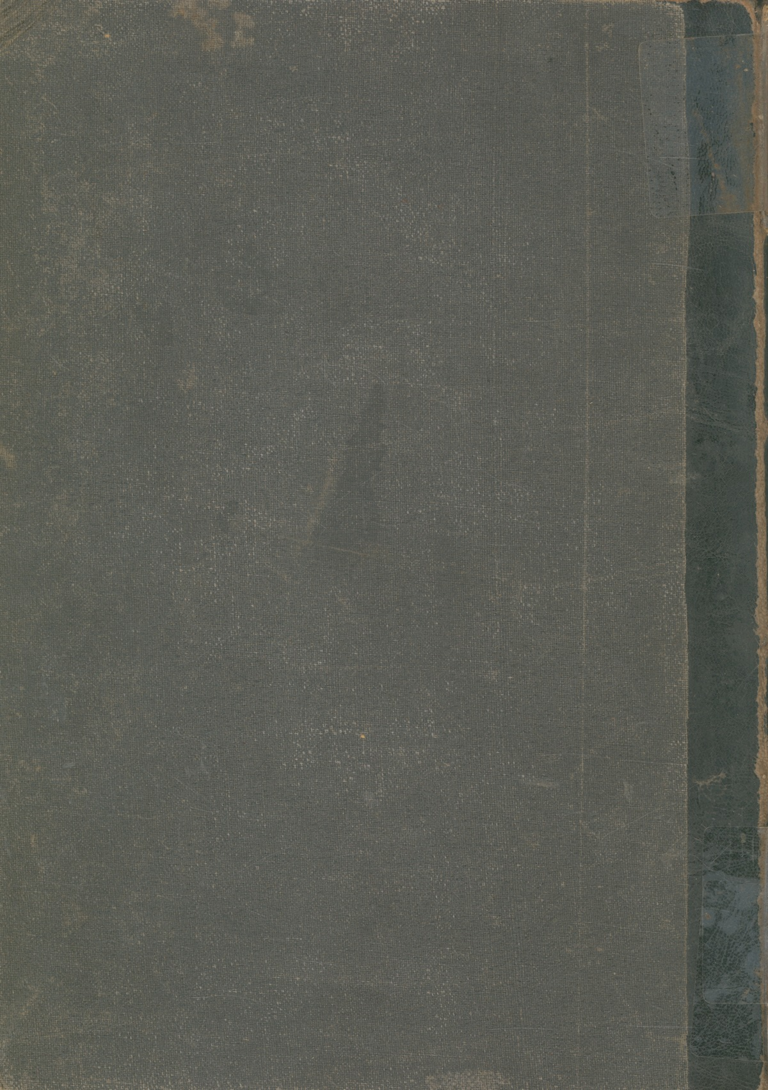


الجزء الثالث والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدّمه فى التفسير
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدّست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد مقابلتها وتصحيحها بمعرفة حضرة الملتزم على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر وعلى النسخة الموجودة بالكتبخانة المحمودية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحية بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه *

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٩ هجريه

﴿سورة يس مكية سوى آية نزلت فى اليهود قوله واذا قيل لهم أنفقوا حروفها ثلاثة آلاف كلها سبعمائة وسبع وعشرون آياتها ثلاث وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يس والقرآن الحكيم (٢) انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما
ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق
القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون
انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى
الاذقان فهم مقمحون وجعلنا
من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا
فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء
عليهم أءنذرتهم أم لم تنذرهم
لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر
وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة
وأجر كريم انا نحن نحيى الموتى
ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ
أحصيناه فى إمام مبين واضرب
لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين
فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا
اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر
مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم
الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم
لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين
قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا
لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم
قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم
قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة
رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا
وهم مهتدون ومالى لا أعبد الذى
فطرنى واليه ترجعون أأتخذ من
دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون
انى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت
بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال
يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى
وجعلنى من المكرمين وما أنزلنا
على قومه من بعده من جند من
السماء وما كنا منزلين ان كانت
الاصيحة واحدة فاذاهم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا لهذا
قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون

الجزء الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الاصيحة واحدة فاذاهم خامدون﴾ يقول تعالى ذكره وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذى قتله قومه لدعائه إياهم الى الله ونصيحته لهم من بعده يعنى من بعد مهلكه من جند من السماء واختلف أهل التأويل فى معنى الجند الذى أخبر الله أنه لم ينزل الى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه فقال بعضهم عنى بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك اليهم رسالة ولا بعث اليهم نبيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من جند من السماء قال رسالة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين قال فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله ان كانت الاصيحة واحدة فاذاهم خامدون * وقال آخرون بل عنى بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودا يقاتلهم بها ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود قال غضب الله له يعنى

وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار (٣) فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقرلها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين)

لهذا المؤمن لاستضعافهم اياه غضبة لم تبق من القوم شيأ فعجل لهم النقمة بما استحلوا منه وقال وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين يقول ما كاثرناهم بالجموع أى الأمر أيسر علينا من ذلك ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون فأهلك الله ذلك الملك وأهل إنطاكية فبادوا عن وجه الأرض فلم تبق منهم باقية وهذا القول الثانى أولى القولين بتأويل الآية وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند الا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرسل فيكون وجها وان كان أيضا من المفهوم بظاهر الآية بعيدا وذلك أن الرسل من بنى آدم لا ينزلون من السماء والخبر فى ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جندا وذلك بالملائكة أشبه منه ببنى آدم وقوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يقول ما كانت هلكتهم الا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار ان كانت الا صيحة واحدة نصبا على التأويل الذى ذكرت وأن فى كانت مضمرا وذكر عن أبى جعفر المدنى أنه قرأه الا صيحة واحدة رفعا على أنها مرفوعة بكان ولا مضمر فى كان * والصواب من القراءة فى ذلك عندى النصب لاجماع الحجة على ذلك وعلى أن فى كانت مضمرا وقوله فاذا هم خامدون يقول فاذا هم هالكون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) يقول تعالى ذكره ياحسرة من العباد على أنفسها وتندما وتلهفا فى استهزائهم برسل الله ما يأتيهم من رسول من الله الا كانوا به يستهزؤن وذكر أن ذلك فى بعض القراآت ياحسرة العباد على أنفسها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ياحسرة على العباد أى ياحسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله وفرّطت فى جنب الله قال وفى بعض القراآت ياحسرة العباد على أنفسها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ياحسرة على العباد قال كان حسرة عليهم استهزاؤهم بالرسل حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ياحسرة على العباد يقول ياويلا للعباد وكان بعض أهل العربية يقول معنى ذلك يالها حسرة على العباد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون) يقول تعالى ذكره ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية أنهم اليهم لا يرجعون يقول ألم يروا أنهم اليهم لا يرجعون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون قال عاد وثمود وقرون بين ذلك كثير وكم من قوله كم أهلكنا فى موضع نصب ان شئت بوقوع يروا عليها وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ألم يروا من أهلكنا وان شئت بوقوع أهلكنا عليها وأما أنهم فان الألف منها فتحت بوقوع يروا عليها وذكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها على وجه الاستئناف بها وترك إعمال يروا فيها وقوله وان كل لما جميع لدينا محضرون يقول تعالى ذكره وان كل هذه القرون التى أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون كما حدثنا

﴿ القراآت يس باظهار النون أبو عمرو وسهل ويعقوب غير رويس وابن كثير غير ابن فليح وحمزة وأبو جعفر ونافع غير النجارى عن ورش والحلوانى عن قالون وعاصم غير يحيى وابن أبى غالب وقرأ حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد بالامالة تنزيل بالنصب ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد والباقون بالرفع سدّا بفتح السين فى الحرفين حمزة وعلى وخلف وحفص وأبو زيد فعززنا بالتخفيف أبو بكر وحماد والمفضل آين بالمد والياء أبو عمرو وقالون وزيد مثله ولكن بالقصر ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد أئن بهمزتين حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة وقرأ المفضل أين على وزن كيف آن بسكون النون وبالمد يزيد مثل آنذرتهم ذكرتم بالتخفيف زيد ومالى بسكون الياء حمزة ويعقوب ينقذونى فى الحالين بالياء يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل انى اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو انى آمنت بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو الا صيحة واحدة بالرفع وكذلك ما بعدها يزيد لما بالتشديد ابن عامر وحمزة وعاصم الميتة بالتشديد أبو جعفر ونافع عملت بغير هاء الضمير حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل لمستقر بكسر القاف زيد عن يعقوب

والقمر بالرفع على الابتداء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ونافع ويعقوب غير رويس الآخرون بالنصب اضمارا على شريطة التفسير ذرياتهم على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل (٤) ويعقوب ۞ الوقوف يس ٥ كوفى الحكيم ٥ لا لجواب القسم المرسلين ٥ لا

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان كل لما جميع لدينا محضرون أى هم يوم القيامة واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وان كل لما بالتخفيف توجيها منهم الى أن ذلك ما أدخلت عليها اللام التى تدخل جوابا لان وأن معنى الكلام وان كل لجميع لدينا محضرون وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لما بتشديد الميم ولتشديدهم ذلك عندنا وجهان أحدهما أن يكون الكلام عندهم كان مرادا به وان كل لمما جميع ثم حذفت احدى الميمات لما كثرت كما قال الشاعر

غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم

والآخر أن يكونوا أرادوا أن تكون لما بمعنى الا مع ان خاصة فتكون نظيرة انما اذا وضعت موضع الا وقد كان بعض نحويى الكوفة يقول كأنها لم ضمت اليها ما فصارتا جميعا استثناء وخرجتا من حد الجحد وكان بعض أهل العربية يقول لا أعرف وجه لما بالتشديد * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ يقول تعالى ذكره ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء وعلى إحيائه من مات من خلقه واعادته بعد فنائه كهيئته قبل مماته إحياؤه الأرض الميتة التى لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذى ينزله من السماء حتى يخرج زرعها ثم إخراجه منها الحب الذى هو قوت لهم وغذاء فمنه يأكلون وقوله وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب يقول تعالى ذكره وجعلنا فى هذه الأرض التى أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون يقول وأنبعنا فيها من عيون الماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾ يقول تعالى ذكره أنشأنا هذه الجنات فى هذه الارض ليأكل عبادى من ثمره وما عملت أيديهم يقول ليأكلوا من ثمر الجنات التى أنشأناها لهم وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا وما التى فى قوله وما عملته أيديهم فى موضع خفض عطفا على الثمر بمعنى ومن الذى عملت وهى فى قراءة عبد الله فيما ذكر ومما عملته بالهاء على هذا المعنى فالهاء فى قراءتنا مضمرة لأن العرب تضمرها أحيانا وتظهرها فى صلات من وما والذى ولو قيل ما بمعنى المصدر كان مذهبا فيكون معنى الكلام ومن عمل أيديهم ولو قيل انها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضا مذهبا فيكون معنى الكلام ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم وقوله أفلا يشكرون يقول أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الارض الميتة التى أحييناها لهم من رزقهم ذلك وأنعم عليهم به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة للذى خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض ومن أنفسهم يقول وخلق من أولادهم ذكورا واناثا ومما لا يعلمون أيضا من الاشياء التى لم يطلعهم عليها خلق كذلك أزواجا مما يضيف اليه هؤلاء المشركون ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾

لأن الجار والمجرور خبر بعد خبر أو مفعول ثان لمعنى الفعل فى المرسلين أى أرسلت على صراط مستقيم ٥ ط على القراءتين فمن نصب فمعناه نزل تنزيل أو أعنى تنزيل ومن رفع فالتقدير هذا تنزيل الرحيم ٥ لا لتعلق لام كى بمعنى التنزيل والارسال غافلون ٥ لا يؤمنون ٥ مقمحون ٥ لا يبصرون ٥ لا يؤمنون ٥ بالغيب ٥ لانقطاع النظم مع دخول الفاء كريم ٥ وآثارهم ط مبين ٥ القرية ٥ لأن اذ ليس ظرفا لاضرب بل التقدير واذكر اذ جاءها وجوز فى الكشاف أن يكون اذ بدلا من أصحاب القرية فلا وقف المرسلون ٥ ج لاحتمال أن يكون اذ بدلا أو معمولا لعامل آخر مضمر مرسلون ٥ مثلنا لا من شئ لا لاتحاد المقول فيهما تكذبون ٥ لمرسلون ٥ ج المبين ٥ بكم ج للابتداء بما فى معنى القسم مع اتحاد المقول أليم ٥ معكم ط ذكرتم ط مسرفون ٥ المرسلين ٥ لأن اتبعوا بدل من الأول مهتدون ٥ ترجعون ٥ ولا ينقذون ٥ ج للابتداء بان مع تعلق اذا بما قبلها أى انى اذا اتخذت آلهة لفى ضلال مبين ٥ فاسمعون ٥ ط لأن التقدير فلم يسمعوا قوله فقتلوه ثم قيل له ادخل الجنة ط يعلمون ٥ لا لتعلق الباء المكرمين ٥ منزلين ٥ خامدون ٥ العباد ج لأن ما بعده يصلح استئنافا وحالا والعامل معنى فى حسرة يستهزؤن ٥ لا يرجعون ٥ محضرون ٥ يأكلون ٥ العيون ٥ لا ثمره ط لمن جعل ما نافية ومن جعلها موصولة لم يقف أيديهم ط يشكرون ٥ لا يعلمون ٥ مظلمون ٥ ط لها ط العليم ٥ لا لمن قرأ والقمر بالرفع بالعطف على الليل ومن قرأ بالنصب وقف مطلقا القديم ٥ النهار ط يسبحون ٥

يقول

يقول تعالى ذكره ودليل لهم أيضا على قدرة الله على فعل كل ما شاء الليل نسلخ منه النهار يقول ننزع عنه النهار ومعنى منه فى هذا الموضع عنه كأنه قيل نسلخ عنه النهار فنأتى بالظلمة ونذهب بالنهار ومنه قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها أى خرج منها وتركها فكذلك انسلاخ الليل من النهار وقوله فاذا هم مظلمون يقول فاذا هم قد صاروا فى ظلمة بمجىء الليل وقال قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون قال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهذا الذى قاله قتادة فى ذلك عندى من معنى سلخ النهار من الليل بعيد وذلك أن ايلاج الليل فى النهار انما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا فى ساعات الآخر وليس السلخ من ذلك فى شئ لأن النهار يسلخ من الليل كله وكذلك الليل من النهار كله وليس يولج كل الليل فى كل النهار ولا كل النهار فى كل الليل وقوله والشمس تجرى لمستقر لها يقول تعالى ذكره والشمس تجرى لموضع قرارها بمعنى الى موضع قرارها وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر الغفارى قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد فلما غربت الشمس قال يا أباذر هل تدرى أين تذهب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب فتسجد بين يدى ربها فتستأذن بالرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مكانها وذلك مستقرها * وقال بعضهم فى ذلك بما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال وقت واحد لا تعدوه * وقال آخرون معنى ذلك تجرى لمجرى لها الى مقادير مواضعها بمعنى أنها تجرى الى أبعد منازلها فى الغروب ثم ترجع ولا تجاوزه قالوا وذلك أنها لا تزال تتقدم كل ليلة حتى تنتهى الى أبعد مغاربها ثم ترجع وقوله ذلك تقدير العزيز العليم يقول هذا الذى وصفنا من جرى الشمس لمستقر لها تقدير العزيز فى انتقامه من أعدائه العليم بمصالح خلقه وغير ذلك من الأشياء كلها لا يخفى عليه خافية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله والقمر قدرناه منازل فقرأه بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين والقمر رفعا عطفا بها على الشمس اذ كانت الشمس معطوفة على الليل فأتبعوا القمر أيضا الشمس فى الاعراب لأنه أيضا من الآيات كما الليل والنهار آيتان فعلى هذه القراءة تأويل الكلام وآية لهم القمر قدرناه منازل وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين وعامة قراء الكوفة نصبا والقمر قدرناه بمعنى وقدرنا القمر منازل كما فعلنا ذلك بالشمس فردوه على الهاء من الشمس فى المعنى لأن الواو التى فيها للفعل المتأخر * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فتأويل الكلام وآية لهم تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه حتى عاد كالعرجون القديم والعرجون من العذق من الموضع النابت فى النخلة الى موضع الشماريخ وانما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم والقديم هو اليابس لان ذلك من العذق لا يكاد يوجد الا متقوسا منحنيا اذا قدم ويبس ولا يكاد أن

المشحون ٥ لا يركبون ٥ ينقذون ٥ لا حين ٥ ۞ التفسير الكلام الكلى فى فواتح السور قد مر فى اول البقرة وغيرها والذى يختص بالمقام ما قيل ان معناه يا سيد أو يا أنيسين فاقتصر على البعض رواه جار الله عن ابن عباس (٥) ولا يخفى أن النداء على هذا يكون لمحمد صلى الله عليه وسلم يؤيده قوله (انك لمن المرسلين) وكثيرا ما يستعمل القسم بعد إفحام الخصم الألد كيلا يقول انك قد أفحمت بقوة جدالك وأنت فى نفسك خبير بضعف مقالك وأيضا الابتداء بصورة اليمين يدل على أن المقسم عليه أمر عظيم والأمر العظيم تتوفر الدواعى على الاصغاء اليه وكانت العرب يتحرزون من الأيمان الفاجرة ويقولون انها تدع الديار بلاقع وكان من المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعظمون القرآن غاية التعظيم وكان اليمين به موقوفا عليه عند الكفرة وقوله (على صراط) كالتأكيد لأن المرسلين لا يكونون الا على المنهج القويم وتنكير صراط للتعظيم قيل فيه دليل على فساد قول المباحية القائلين بأن المكلف اذا صار واصلا لم يبق عليه تكليف فان المرسلين لم يستغنوا عن رعاية الشريعة فكيف غيرهم وقوله (ما أنذر آباؤهم) كقوله فى القصص لتنذر قوما ما أتاهم من نذير وقد مر أنه يشمل اليهود والنصارى لأن آباءهم الأدنين لم ينذروا بعد ما ضلوا (فهم غافلون) لهذا السبب وقد يقال ان ما مصدرية أو موصولة أى أرسلت لتنذرهم إنذار آبائهم أو ما أنذر آباؤهم فانهم فى غفلة فعلى هذا كونهم غافلين سبب باعث على الانذار وعلى الأول عدم الانذار سبب غفلتهم ثم بين أن السبب الحقيقى للغفلة هو أنه تعالى جعلهم من جملة المطبوع على قلوبهم ومن زمرة أهل النار وهو قوله فيهم لأملأن جهنم منك وممن تبعك أو أراد بالقول سبق علمه فيهم وفى أ[illegible]الهم أنهم لا يؤمنون وقيل أراد أن القول بالدعوة بلغ أكثرهم ولكنهم لا يؤمنون جحودا وعنادا وذلك أن من يتوقف على استماع الدليل فى مهلة النظر يرجى منه الايمان

اذابان له البرهان أما بعد البيان والوضوح فلا يكون عدم الايمان الا للمكابرة وحين بين أنهم لا يؤمنون ذكر أن ذلك من الله تعالى فقال (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) فيكون مثلا لتصميمهم (٦) على الكفر كالطبع والختم وقيل انه اشارة الى امساكهم وأنهم لا ينفقون فى سبيل الله كما قال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وعلى هذا يمكن أن يكون معنى قوله فهم لا يؤمنون أنهم لا يزكون كأنه عبر بالايمان عن الزكاة كما عبر به عن الصلاة فى قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره وأنزلت الآيتان والضمير فى قوله (فهى الى الاذقان) راجع الى الأيدى وان كانت غير مذكورة لكونها معلومة فان المغلول تكون أيديه مجموعة الى العنق ولذلك يسمى الغل جامعة أى جامعا لليد والعنق وتأنيث الجامعة مبالغة أو بتأويل الآلة وقيل واختاره فى الكشاف أنه يرجع الى الأغلال أى جعلنا فى أعناقهم أغلالا ثقالا غلاظا بحيث تبلغ الى الأذقان فلم يتمكن المغلول معها من أن يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا والمقمح الذى يرفع رأسه ويغض بصره ومنه أقمحت السويق أى سففته والكانونان يقال لهما شهرا قماح لأن الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وكيف يفهم من الغل فى العنق المنع من الايمان حتى يجعل كناية فيقول المغلول الذى بلغ الغل ذقنه وبقى مقمحا رافع الرأس لا يبصر الطريق فضرب ذلك مثلا للذى يهديه النبى صلى الله عليه وسلم الى الصراط المستقيم العقلى وهو لا يبصره بنظر بصيرته ويمكن أن يجعل كناية عن عدم التصديق بتحريك الرأس ويقال بعير قامح اذا رفع رأسه فلم يشرب الماء والايمان كالماء الزلال الذى به الحياة ثم ضرب قال

يصاب مستويا معتدلا كأغصان سائر الأشجار وفروعها فكذلك القمر اذا كان فى آخر الشهر قبل استسراره ضار فى انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى عاد كالعرجون القديم يقول أصل العذق العتيق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى عاد كالعرجون القديم يعنى بالعرجون العذق اليابس حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم قال كعذق النخلة اذا قدم فانحنى حدثنى أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا أبو يزيد الخراز يعنى خالد بن حيان الرقى عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم فى قوله حتى عاد كالعرجون القديم قال عذق النخلة اذا قدم انحنى حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى بن عبيد عن عكرمة فى قوله كالعرجون القديم قال النخلة القديمة حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد كالعرجون القديم قال العذق اليابس حدثنى محمد بن عمر بن على المقدمى وابن سنان القزاز قالا ثنا أبو عاصم والمقدمى قال سمعت أبا عاصم يقول سمعت سليمن التيمى فى قوله حتى عاد كالعرجون القديم قال العذق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى عاد كالعرجون القديم قال قدره الله منازل فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة شبهه بعذق النخلة وقوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر يقول تعالى ذكره لا الشمس يصلح لها ادراك القمر فيذهب ضوءها بضوئه فتكون الأوقات كلها نهارا لا ليل فيها ولا الليل سابق النهار يقول تعالى ذكره ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه فتكون الأوقات كلها ليلا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى ألفاظهم فى تأويل ذلك الا أن معانى عامتهم الذى قلناه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر قال لا يشبه ضوءها ضوء الآخر لا ينبغى لها ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر قال لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر ولا ينبغى ذلك لهما وفى قوله ولا الليل سابق النهار قال يتطالبان حثيثين ينسلخ أحدهما من الآخر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا الأشجعى عن سفيان عن اسمعيل عن أبى صالح لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار قال لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر وهذا فى ضوء القمر وضوء الشمس اذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء ولا الليل سابق النهار قال فى قضاء الله وعلمه أن لا يفوت الليل النهار حتى يدركه فيذهب ظلمته وفى قضاء الله أن لا يفوت النهار الليل حتى يدركه فيذهب بضوئه حدثنا بشر

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ولكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا واذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار يقول اذا اجتمعا فى السماء كان أحدهما بين يدى الآخر فاذا غابا غاب أحدهما بين يدى الآخر وأن من قوله أن تدرك فى موضع رفع بقوله ينبغى وقوله وكل فى فلك يسبحون يقول وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار فى فلك يجرون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلى قال ثنا شعبة عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكل فى فلك يسبحون قال فى فلك كفلك المغزل حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال مجرى كل واحد منهما يعنى الليل والنهار فى فلك يسبحون يجرون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكل فى فلك يسبحون أى فى فلك السماء يسبحون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وكل فى فلك يسبحون دورانا يقول دورانا يسبحون يقول يجرون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكل فى فلك يسبحون يعنى كل فى فلك فى السموات ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين﴾ يقول تعالى ذكره ودليل لهم أيضا وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء حملنا ذريتهم يعنى من نجا من ولد آدم فى سفينة نوح وإياها عنى جل ثناؤه بالفلك المشحون والفلك هى السفينة والمشحون المملوء الموقر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون يقول الممتلئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فى الفلك المشحون يعنى المثقل حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد الفلك المشحون قال الموقر حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا يونس عن الحسن فى قوله المشحون قال (٣) المحمول حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون يعنى سفينة نوح عليه السلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون الموقر يعنى سفينة نوح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الفلك المشحون قال الفلك المشحون المركب الذى كان فيه نوح والذرية

مثلا آخر لكونهم غير منتهجين سبيل الرشاد وذلك قوله (وجعلنا من بين أيديهم سدا) قال أهل التحقيق المانع إما أن يكون فى النفس وهو الغل فلا يتبين لهم آيات الأنفس وإما أن يكون خارجا عنها وهو السد فلا يتضح لهم (٧) دلائل الآفاق ويمكن أن يقال السد من قدام اشارة الى عدم العلوم النظرية ومن خلف اشارة الى عدم فطنتهم الغريزية أو الأول اشارة الى الغفلة عن أحوال المعاد والثانى اشارة الى الغفلة عن المبدا وفيه أن السالك اذا انسد عليه الطريق من قدامه ومن خلفه والموضع الذى هو فيه لا يكون موضع إقامة فانه يهلك لا محالة ثم زاد فى التأكيد بقوله (فأغشيناهم) أى جعلنا بعد ذلك كله على أبصارهم غشاوة (فهم لا يبصرون) شيأ أصلا ويحتمل أن يكون الاغشاء اشارة الى أن السد قريب منهم بحيث يصير ذلك كالغشاوة فان القرب القريب مانع من الرؤية فلا يرون السد ولا غيره فلذلك قال فهم لا يبصرون وعلى هذا يكون ذكر السد من خلف تأكيدا على تأكيد فان الذى جعل بين يديه ومن خلفه سدان ملتزقان لا يمكنه التحرك يمنة ويسرة ولا النظر الى السد ولا الى غيره ويمكن أن يقال فائدته تعميم المنع من انتهاج المسالك المستقيمة لأنهم ان قصدوا السلوك الى جانب اليمين أو الى جانب الشمال صاروا متوجهين الى شئ وموليين عن شئ وهكذا ان فرض رجوع قهقرى فان المشى من هاتين الجهتين عادة ثم صرح بالمقصود معطوفا على المذكورات قائلا (وسواء عليهم) الآية وقد مر اعرابه وسائر ما يتعلق بتفسيره فى أول البقرة ولا يخفى أن الانذار وعدمه بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم غير مستويين وانما الانذار سبب لزيادة سيادته وسعادته عاجلا وآجلا ثم بين بقوله (انما تنذر) أن عدم فائدة الانذار انما هو بالاضافة الى المطبوع على قلوبهم الذين تقدم شرح حالهم وبيان أمثالهم لا الى المنتفعين به والذكر القرآن أو ما فيه من المواعظ والحكم والدلائل وفى ذكر الخشية مع تعقيبه باسم الرحمن اشارة الى أن قهره مقرون بلطفه يعنى مع كونه

ذاهبة لاتقطعوا رجاءكم والغيب ماغاب عنا من أحوال القيامة وغيرها وقيل أى بالدليل وان لم ينته الى العيان فعند الانتهاء الى ذلك لم يبق للخشية فائدة ومعنى الفاء فى (فبشره) (٨) أنك كما أنذرت وخوّفت فبشر بمغفرة واسعة وأجر كريم لا يكتنه كنهه فكأن المغفرة

التى كانت فى ذلك المركب قال والمشحون الذى قد شحن الذى قد جعل فيه ليركبه أهله جعلوا فيه مايريدون فربما امتلا وربما لم يمتلئ حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتدرون ما الفلك المشحون قلنا لا قال هو الموقر حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا هرون عن جويبر عن الضحاك فى قوله الفلك المشحون قال الموقر وقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يقول تعالى ذكره وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذبيك يا محمد تفضلا منا عليهم من مثل ذلك الفلك الذى كنا حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه الذى يركبونه من المراكب ثم اختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله ما يركبون فقال بعضهم هى السفن ذكر من قال ذلك حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تدرون ما وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قلنا لا قال هى السفن جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار * قال ثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار ألا ترى أنه قال وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن فى هذه الآية وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار حدثنا حاتم بن بكر الضبى قال ثنا عثمان بن عمر عن شعبة عن اسمعيل عن أبى صالح وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يعنى السفن التى اتخذت بعدها يعنى بعد سفينة نوح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال هى السفن التى ينتفع بها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال وهى هذه الفلك حدثنى يونس قال ثنا محمد بن عبيد عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال نعم من مثل سفينة * وقال آخرون بل عنى بذلك الابل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يعنى الابل خلقها الله كما رأيت فهى سفن البر يحملون عليها ويركبونها حدثنا نصر بن على قال ثنا غندر عن عثمان بن غياث عن عكرمة وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال الابل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى قال قال عبد الله بن شداد وخلقنا لهم من مثله ما يركبون هى الابل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال من الأنعام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن هى الابل وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال عنى بذلك السفن وذلك لدلالة قوله وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم على أن ذلك كذلك وذلك أن الغرق معلوم أنه لا يكون الا فى الماء ولا غرق فى البر

بازاء الايمان والأجر الكريم للعمل الصالح أو الاول لاتباع الذكر والثانى للخشية وحين فرغ من بيان الرسالة شرع فى أصل الحشر قائلا (انا نحن نحيى الموتى) على أن البشارة بالمغفرة والأجر لا يتم الا بعد ثبوت الاعادة وهكذا خشية الرحمن بالغيب تناسب ذكر إحياء الاموات والظاهر أن قوله نحن ضمير الفصل ويجوز أن يكون مبتدأ والفعل خبره والجملة خبر إن ويجوز أن يكون نحن خبر إن كقول القائل عند الافتخار بالشهرة انا انا كأن الله تعالى قال انا نحن معروفون بأوصاف الكمال واذا عرفنا أنفسنا فلا تنكر قدرتنا على إحياء الموتى وفى هذا التركيب أيضا اشارة الى التوحيد أى ليس غيرنا أحد يشاركنا حتى يقول انا كذا فنمتاز ثم أشار الى العلم التام الذى يتوقف عليه المجازاة فقال (ونكتب ما قدموا) أى أسلفوا من الأعمال صالحة كانت أو فاسدة وقيل أراد ما قدموا وأخروا فاكتفى بأحدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر والصحيح أنه لا حاجة الى هذا التقدير لأن قوله (وآثارهم) يدل عليه والمراد بها ما هلكوا عليه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو بقعة خير عمروها أو أثر سيئ كبدعة وظلامة وآلات ملاه وقيل هى آثار المشائين الى المساجد عن جابر أردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم وعن عمر ابن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيأ لأغفل هذه الآثار التى تعفيها الرياح أى تمحوها وقيل أراد ونكتب ما قدموا من نياتهم فانها قبل الأعمال وآثارهم أى أعمالهم * سؤال كيف قدم إحياء الموتى على الكتابة ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم لأجل الجزاء * الجواب لأن الكتابة ليست

وقوله

وقوله وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم يقول تعالى ذكره وان نشأ نغرق هؤلاء المشركين اذا ركبوا الفلك فى البحر فلا صريخ لهم يقول فلا مغيث لهم اذا نحن غرقناهم يغيثهم فينجيهم من الغرق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم أى لا مغيث وقوله ولا هم ينقذون يقول ولا هو ينقذهم من الغرق شئ ان نحن أغرقناهم فى البحر الا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم فننجيهم منه وقوله ومتاعا الى حين يقول ولنمتعهم الى أجل هم بالغوه فكأنه قال ولا هم ينقذون الا أن نرحمهم فنمتعهم الى أجل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومتاعا الى حين أى الى الموت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء المشركين بالله المكذبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الامم قبلكم أن يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله وما خلفكم يقول وما بعدهلا ككم مما أنتم لاقوه ان هلكتم على كفركم الذى أنتم عليه لعلكم ترحمون يقول ليرحمكم ربكم ان أنتم حذرتم ذلك واتقيتموه بالتوبة من شرككم والايمان به ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الامم وما خلفهم من أمر الساعة * وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما بين أيديكم قال ما مضى من ذنوبهم وهذا القول قريب المعنى من القول الذى قلنا لأن معناه اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم وما خلفكم مما تعملون من الذنوب ولم تعملوه بعد فذلك بعد تخويف لهم العقاب على كفرهم وقوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يقول تعالى ذكره وما تجىء هؤلاء المشركين من قريش آية يعنى حجة من حجج الله وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده وتصديق رسوله الا كانوا عنها معرضين لا يتفكرون فيها ولا يتدبرونها فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها فان قال قائل وأين جواب قوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم قيل جوابه وجواب قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم قوله الا كانوا عنها معرضين لأن الاعراض منهم كان عن كل آية لله فاكتفى بالجواب عن قوله اتقوا ما بين أيديكم وعن قوله وما تأتيهم من آية بالخبر عن اعراضهم عنها لذلك لأن معنى الكلام واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا واذا أتتهم آية أعرضوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا فى ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء المشركين بالله أنفقوا من رزق الله الذى رزقكم فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم قال الذين أنكروا وحدانية الله وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه وفى قوله ان أنتم الا فى ضلال مبين وجهان أحدهما

مقصودة بالذات وانما المقصود الأصلى هو الاحياء للجزاء ولو لم يكن احياء واعادة لم يكن للكتابة أثر وأيضا قوله انا نحن دال على العظمة والجبروت والاحياء أمر عظيم لا يقدر عليه أحد الا الله سبحانه بخلاف الكتابة فقدم الأمر العظيم ليناسب اللفظ الدال على العظمة وأيضا أراد أن يرتب على كتابة الأعمال قوله (وكل شئ أحصيناه) ومعناه أن قبل هذه الكتابة كتابة أخرى فان الله كتب عليهم أنهم سيفعلون كذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم أنهم فعلوه وفيه بيان أن الكتابة مقرونة بالحفظ والاحصاء فرب مكتوب غير محفوظ ولا مضبوط وفيه تعميم بعد تخصيص كأنه قال ليست الكتابة مختصة بأفعالهم وانما هى لكل شئ والامام اللوح لأن الملائكة يتبعون ما كتب فيه من أجل ورزق واماتة واحياء والمبين هو المظهر للأمور والفارق بين أحوال الخلق وحيث بين أن الانذار لا ينفع من أضله الله وكتب عليه أنه لا يؤمن قال لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تأس (واضرب) لنفسك ولقومك (مثلا) مثل (أصحاب القرية) وهى انطاكية الروم والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى أهلها وفى قوله (اذ أرسلنا) دلالة على أن رسول الرسول رسول وانه يؤيد مسئلة فقهية وهى أن وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الأول وكأنه أرسل اثنين ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة تامة وكان رسولنا صلى الله عليه وسلم يكتفى بواحد فى الأغلب كمعاذ وغيره فمن هنا يعلم ترجيح هذه الأمة وأما القصة فان عيسى عليه السلام أرسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنما واسمه حبيب النجار فسألهما فأخبراه فقال ما آيتكما قالا نشفى المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير ورفع خبرهما الى الملك فأحضرا فلما سمع قولهما

قال ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فحبسهما حتى ينظر في أمرهما فبعث عيسى شمعون وذلك قوله سبحانه (فعززنا بثالث) من قرأ بالتشديد فمعناه فقوينا الرسولين ومن قرأ بالتخفيف فمن العزة أي فغلبنا وقهرنا أهل القرية وانما ترك ذكر المفعول به لأن الغرض ذكر الثالث فالعناية بذكره أهم وأتم نظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض الذي سيق له الكلام قولك بالحق فلذلك تركت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه وأما باقي القصة فان شمعون دخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شئ وليس له شريك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون يا أيها الملك ان شئت أن تغلبهما فقل لآلهتك حتى تصنع مثل هذا فقال الملك أنت لا يخفى عليك أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تقدر ولا تعلم وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم فقال شمعون فالحق اذا معهم فآمن الملك وبعض حاشيته وبقي آخرون على الكفر فأهلكوا بالصيحة قال أهل البيان يجب زيادة المؤكدات في الجملة الخبرية بحسب تزايد الانكار من السامع فلهذا قال الرسل أولا انا اليكم مرسلون مقتصرين على ان وثانيا (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) مجموعا بين ان واللام وما يجري مجرى القسم ولا يخفى أن اليمين بعد اظهار البينة وافحام الخصم مؤكد قوي كما مر في أول السورة وفي قولهم (وما علينا الا البلاغ المبين) ما تسلية لأنفسهم أي نحن خرجنا من عهدة ما علينا ولم يبق الا التفكر منكم والتذكر وحيث أكد الرسل قولهم باليمين أكد الكفار قولهم بالتطير

أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين فيكون تأويل الكلام حينئذ ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم الا في ذهاب عن الحق وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبره أنه في ضلال وهذا هو أولى وجهيه بتأويله والوجه الآخر أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين فيكون تأويله حينئذ ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين أنطعم من لو يشاء الله أطعمه الا في ضلال مبين عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله والبعث بعد الممات يستعجلون ربهم بالعذاب متى هذا الوعد أي الوعد بقيام الساعة ان كنتم صادقين أيها القوم وهذا قولهم لأهل الايمان بالله ورسوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون) يقول تعالى ذكره ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله اياهم الا صيحة واحدة تأخذهم وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الآثار ذكر من قال ذلك وما فيه من الأثر حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر قالا ثنا عوف بن أبي جميلة عن أبي المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو قال لينفخن في الصور والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم حتى ان الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان فما يرسله أحدهما من يده حتى ينفخ في الصور وحتى ان الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ في الصور وهي التي قال الله ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته والرجل يصلح حوضه والرجل يقيم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وتهيج بهم وهم كذلك فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما ينظرون الا صيحة واحدة قال النفخة نفخة واحدة حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع عمن ذكره عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض الا من شاء الله ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهي التي يقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق فيقول انفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الا من شاء الله فاذا هم خامدون ثم يميت من بقي فاذا لم يبق الا الله الواحد الصمد بدل الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الاولى

 (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) بالقول أو بالحجارة (وليمسنكم) بعد ذلك أو بسبب الرجم بالحجارة المتوالية الى الموت (عذاب أليم) قالوا طائركم أى سبب شؤمكم (معكم) وهو كفركم ومعاصيكم (أئن ذكرتم) يعنى أتطيرون ان ذكرتم ومن قرأ أين على وزن كيف ذكرتم بالتخفيف فالمراد شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم فضلا عن المكان الذى حللتم فيه ثم ان الرسل كأنهم قالوا لهم أنحن كاذبون أم نحن مشؤمون (بل أنتم قوم مسرفون) فى عصيانكم أوضلالكم فمن ثم أتاكم الشؤم أو تشاءمتم بمن يجب التبرك بهم وقصد تموهم بالسوء (وجاء من أقصى المدينة رجل) هو حبيب النجار الذى مر ذكره نصح قومه فقتلوه وقبره فى سوق انطاكية وقيل كان فى غار يعبد الله عز وجل فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فوثبوا عليه فقتلوه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين على بن أبى طالب رضى الله عنه وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون ومن هنا قالوا انه آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ولادته وذلك أنه سمع نعته من الكتب والعلماء وتنكير رجل للتعظيم أى رجل كامل فى الرجولية أو ليفيد ظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن بهم رجل من الرجال لا معرفة لهم به وكان بعيدا من التواطؤ وقوله (من أقصى المدينة) أيضا يفيد مثل هذا أو أنهم ما قصروا فى التبليغ والانذار حتى بلغ خبرهم القاصى

ما كان فى بطنها كان فى بطنها وما كان على ظهرها كان على ظهرها * واختلفت القراء فى قراءة قوله وهم يخصمون فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وهم يخصمون بسكون الخاء وتشديد الصاد فجمع بين الساكنين بمعنى يختصمون ثم أدغم التاء فى الصاد فجعلها صادا مشددة وترك الخاء على سكونها فى الأصل وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين وهم يخصمون بفتح الخاء وتشديد الصاد بمعنى يختصمون غير أنهم نقلوا حركة التاء وهى الفتحة التى فى يفتعلون الى الخاء منها فحركوها بتحريكها وأدغموا التاء فى الصاد وشددوها وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة يخصمون بكسر الخاء وتشديد الصاد فكسروا الخاء بكسر الصاد وأدغموا التاء فى الصاد وشددوها وقرأ ذلك آخرون منهم يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد بمعنى يفعلون من الخصومة وكأن معنى قارئ ذلك كذلك كأنهم يتكلمون أو يكون معناه عنده كان وهم عند أنفسهم يخصمون من وعدهم مجىء الساعة وقيام القيامة ويغلبونه بالجدل فى ذلك * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن هذه قراآت مشهورات معروفات فى قراء الامصار متقاربات المعانى فبأيتهن قرأ القارئ فمصيب وقوله فلا يستطيعون توصية يقول تعالى ذكره فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ فى الصور أن يوصوا فى أموالهم أحدا ولا الى أهلهم يرجعون يقول ولا يستطيع من كان منهم خارجا عن أهله أن يرجع اليهم لأنهم لا يمهلون بذلك ولكن يعجلون بالهلاك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا يستطيعون توصية أى فيما فى أيديهم ولا الى أهلهم يرجعون قال أعجلوا عن ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة الآية قال هذا مبتدأ يوم القيامة وقرأ فلا يستطيعون توصية حتى بلغ الى ربهم ينسلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ يقول تعالى ذكره ونفخ فى الصور وقد ذكرنا اختلاف المختلفين والصواب من القول فيه بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ويعنى بهذه النفخة نفخة البعث وقوله فاذا هم من الأجداث يعنى من أجداثهم وهى قبورهم واحدها جدث وفيها لغتان فأما أهل العالية فتقوله بالثاء جدث وأما أهل السافلة فتقوله بالفاء جدف وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من الأجداث الى ربهم ينسلون يقول من القبور حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا هم من الأجداث أى من القبور وقوله الى ربهم ينسلون يقول الى ربهم يخرجون سراعا والنسلان الاسراع فى المشى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ينسلون يقول يخرجون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى ربهم ينسلون أى يخرجون وقوله قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون لما نفخ فى الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردت أرواحهم الى أجسامهم وذلك بعد نومة ناموها ياويلنا من بعثنا من مرقدنا وقد قيل

والدانى والسعى بمعنى المشى أو بمعنى القيام فى المهام أى يهتم بشأن المؤمنين ويسعى فى نصرتهم وهدايتهم ونصحهم ثم حثهم على اتباع الرسل ولم يقل اتبعونى كما قال مؤمن آل فرعون اتبعون أهدكم سبيل الرشاد لأنه جاءهم فنصحهم فى أول مجيئه ومار أوا سيرته بعد فقال اتبعوا

هؤلاء الذين اظهروا الكم الدليل وأوضحوا الأجلكم السبيل فقوله (اتبعوا) نصيحة وقوله (المرسلين) اظهار للايمان وقدم النصيحة اظهارا للشفقة وقد روى انه كان يقتل ويقول اللهم اهد قومى ثم اكد وجوب الاتباع بأنهم فى أنفسهم مهتدون ولا يتوقعون أجرا فى الدلالة ووجوب اتباع مثل هذا الدليل للذى ضل عن سواء السبيل مركوز فى العقول ثم أبرز الكلام فى معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه قال الحكيم الذى فطرنى اشارة الى الوجود المقتضى وقوله (ومالى) اشارة الى عدم المانع من جانبه فان كل امرئ هو أعلم بحال نفسه والمقتضى وان كان مقدما فى الوضع والطبع على المانع الا أن المقتضى ههنا لظهوره كان مستغنيا عن البيان رأسا فقدم عدم المانع لأجل البيان ولهذا لم يقل ومالكم لا تعبدون كيلا يذهب الوهم الى أنه لعله يطلب العلة والبيان وانما ورد فى سورة نوح مالكم ترجون لله وقارا لأن القائل هناك داع لا مدعو فكأن الرجل قال مالى لا أعبد وقد طلب منى ذلك وفى قوله (واليه ترجعون) بيان الخوف والرجاء ولهذا لم يقل واليه أرجع كأنه جعل نفسه ممن يعبد الله لذاته لا لرغبة أو رهبة ثم أراد كمال التوحيد فقال (أأتخذ من دونه آلهة) فقوله مالى لا أعبد الذى فطرنى فيه اقرار بوجود الصانع الفاطر وقوله أأتخذ على سبيل الانكار نفى لغيره ممن يسمى الها وبهما يتم معنى لا اله الا الله ثم عرض على عقولهم جهل عابدى الأصنام أنهم لا يقدرون على دفع ضر ولا على ايصال نفع وقد رتب الكلام فيه على ترتيب ما يقع بين العقلاء فان الذى يريد أن يدفع الضر عن شخص يقدم على الشفاعة له فان قبلت والا أنقذه أى خلصه بوجه من الوجوه قال بعض المفسرين لما أقبل القوم عليه يريدون قتله أقبل هو على المرسلين قال (انى آمنت بربكم) فاسمعوا قولى لتشهدوا لى وانما قال بربكم ولم يقل بربى ليتعين أنه آمن بالرب الذى دعوه اليه وقال أكثرهم الخطاب للكفار وعلى هذا

إن ذلك نومة بين النفختين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن خيثمة عن الحسن عن أبىّ ابن كعب فى قوله ياويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ناموا نومة قبل البعث حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن رجل يقال له خيثمة فى قوله ياويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ينامون نومة قبل البعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا قول أهل الضلالة والرقدة ما بين النفختين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا قال الكافرون يقولونه ويعنى بقوله من مرقدنا هذا من أيقظنا من منامنا وهو من قولهم بعث فلان ناقته فانبعثت اذا أثارها فثارت وقد ذكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود من أهبنا من مرقدنا هذا وفى قوله هذا وجهان أحدهما أن تكون اشارة الى ما ويكون ذلك كلاما مبتدأ بعد تناهى الخبر الأول بقوله من بعثنا من مرقدنا فتكون ما حينئذ مرفوعة بهذا ويكون معنى الكلام هذا وعد الرحمن وصدق المرسلون والوجه الآخر أن تكون من صفة المرقد وتكون خفضا ردا على المرقد وعندها تمام الخبر عن الأول فيكون معنى الكلام من بعثنا من مرقدنا هذا ثم يبتدئ الكلام فيقال ما وعد الرحمن بمعنى بعثكم وعد الرحمن فتكون ما حينئذ رفعا على هذا المعنى وقد اختلف أهل التأويل فى الذى يقول حينئذ هذا ما وعد الرحمن فقال بعضهم يقول ذلك أهل الايمان بالله ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد هذا ما وعد الرحمن مما سر المؤمنون يقولون هذا حين البعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال قال أهل الهدى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون * وقال آخرون بل كلا القولين أعنى ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون من قول الكفار ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ثم قال بعضهم لبعض هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون كانوا أخبرونا أنا نبعث بعد الموت ونحاسب ونجازى والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل وهو أن يكون من كلام المؤمنين لأن الكفار فى قيلهم من بعثنا من مرقدنا دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهالا ولذلك من جهلهم استثبتوا ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك الا من غيرهم ممن خالفت صفته صفتهم فى ذلك وقوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون يقول تعالى ذكره ان كانت اعادتهم أحياء بعد مماتهم الا صيحة واحدة وهى النفخة الثالثة فى الصور فاذا هم جميع لدينا محضرون يقول فاذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا فأشهدوا موقف العرض والحساب لم يتخلف عنه منهم أحد وقد بينا اختلاف المختلفين فى قراءتهم الا صيحة بالنصب والرفع فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون﴾ يقول تعالى ذكره فاليوم يعنى يوم القيامة لا تظلم نفس شيأ كذلك ربنا لا يظلم نفسا شيأ فلا يوفيها

فالمراد به بيان التوحيد أي ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وفطركم فاسمعوا قولي وأطيعوني وفي قوله (قيل ادخل الجنة) وجهان أحدهما أنه قتل ثم كأن سائلا سأل كيف تلقاؤه ربه بعد ذلك التصلب في نصرة الدين حتى بذل مهجته فقيل قيل ادخل الجنة والقائل

جزاء عملها الصالح ولا يحمل عليها وزر غيرها ولكنه يوفى كل نفس أجر ما عملت من صالح ولا يعاقبها الا بما اجترمت واكتسبت من شئ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون يقول ولا تكافؤن الا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا وقوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون اختلف أهل التأويل في معنى الشغل الذي وصف الله جل ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة فقال بعضهم ذلك افتضاض العذارى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال شغلهم افتضاض العذارى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال افتضاض الابكار حدثني عبيد بن أسباط بن محمد قال ثنا أبي عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال افتضاض الابكار حدثني الحسن ابن زريق الطهوي قال ثنا أسباط بن محمد عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا الحسين بن علي الصدائي قال ثنا أبو النضر عن الأشجعي عن وائل بن داود عن سعيد بن المسيب في قوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال في افتضاض العذارى * وقال آخرون بل عنى بذلك أنهم في نعمة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل قال في نعمة حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن أبي سهل عن الحسن في قول الله ان أصحاب الجنة الآية قال شغلهم النعيم عما فيه أهل النار من العذاب * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم في شغل عما فيه أهل النار ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال ثنا أبي عن شعبة عن أبان بن تغلب عن اسمعيل ابن أبي خالد ان أصحاب الجنة الآية قال في شغل عما يلقى أهل النار * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ان أصحاب الجنة وهم أهلها في شغل فاكهون بنعم تأتيهم في شغل وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة وافتضاض أبكار ولهو ولذة وشغل عما يلقى أهل النار وقد اختلفت القراء في قراءة قوله في شغل فقرأت ذلك عامة قراء المدينة وبعض البصريين على اختلاف عنه في شغل بضم الشين وتسكين الغين وقد روى عن أبي عمرو الضم في الشين والتسكين في الغين والفتح في الشين والغين جميعا في شغل وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة وعامة قراء أهل الكوفة في شغل بضم الشين والغين * والصواب في ذلك عندي قراءته بضم الشين والغين أو بضم الشين وسكون الغين بأي ذلك قرأه القارئ فهو مصيب لأن ذلك هو القراءة المعروفة في قراء الأمصار مع تقارب معنييهما وأما قراءته بفتح الشين والغين فغير جائزة عندي لاجماع الحجة من القراء على خلافها واختلفوا أيضا في قراءة قوله فاكهون فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار فاكهون بالألف وذكر عن أبي جعفر القارئ أنه كان يقرؤه فكهون بغير ألف * والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بالألف لأن ذلك هو القراءة المعروفة واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فرحون ذكر من قال ذلك

هو الله سبحانه أو الملائكة بأمره قال جار الله لم يذكر المقول له لانصباب الغرض الى المقول وعظم شأنه ولأنه معلوم ثم كأن سائلا آخر سأل أي شئ تمنى في الجنة فقيل (قال ياليت قومي يعلمون) وانما تمنى علم قومه بحاله ليصير ذلك سببا لهم في التوبة والايمان ليفوزوا بما فاز ويؤيده ماروى في حديث مرفوع أنه نصح قومه حيا وميتا ويجوز أن يكون سبب التمني هو أن ينبهوا على خطئهم في أمره وعلى صوابه في رأيه وأن عداوتهم لم تعقبه الا سعادة وكرامة وثانيهما أن الرسل بشروه وهو حيّ بدخول الجنة فصدّقهم وتمنى علم قومه بحاله فيؤمنوا كما آمن وما في قوله بما غفر مصدرية أو موصولة أي بالذي غفره لي من الذنوب أو استفهامية يعني بأي شئ غفر لي أراد ما جرى بينه وبينهم من المصابرة والذب عن الدين الا أن طرح الألف أجود فقول القائل علمت بم صنعت هذا أحسن من قوله بما صنعت فقوله (غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) بازاء قوله فبشره بمغفرة وأجر كريم ثم أشار الى كيفية اهلاك قومه بعده قائلا (وما أنزلنا على قومه) قال المفسرون يجوز أن يريد بقومه الذين بقوا من أهل القرية بعد المؤمنين منهم وأن يريد به أقاربه فلعل غيرهم من قوم الرسل آمنوا فلم يصبهم العذاب ثم قال (وما كنا منزلين) أي وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء ومن هنا يعلم فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على غيره فقد أنزل الله لأجله الجنود من السماء يوم بدر والخندق وحنين وما أنزلها لغيره من نبي فضلا عن حبيب فشتان بين حبيب الجبار وبين حبيب النجار فالحاصل أنه تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم ان انزال الجنود

حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله في شغل فاكهون يقول فرحون * وقال آخرون معناه عجبون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاكهون قال عجبون حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فكهون قال عجبون * واختلف أهل العلم بكلام العرب في ذلك فقال بعض البصريين منهم الفكه الذي يتفكه وقال تقول العرب للرجل الذي يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس ان فلانا لفكه بأعراض الناس قال ومن قرأها فاكهون جعله كثير الفواكه صاحب فاكهة واستشهد لقوله ذلك ببيت الحطيئة

ودعوتني وزعمت أنـ * ـك لابن بالصيف تامر

أي عنده لبن كثير وتمر كثير وكذلك عاسل ولاحم وشاحم وقال بعض الكوفيين ذلك بمنزلة حاذرون وحذرون وهذا القول الثاني أشبه بالكلمة ﴿القول في تأويل قوله تعالى (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم) يعني تعالى بقوله هم أصحاب الجنة وأزواجهم من أهل الجنة في الجنة كما حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هم وأزواجهم في ظلال قال حلائلهم في ظلل * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم في ظلل بمعنى جمع ظلة كما تجمع الحلة حللا وقرأه آخرون في ظلال واذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان أحدهما أن يكون مرادا به جمع الظلل الذي هو بمعنى الكن فيكون معنى الكلمة حينئذ هم وأزواجهم في كن لا يضحون لشمس كما يضحى لها أهل الدنيا لانه لا شمس فيها والآخر أن يكون مرادا به جمع ظلة فيكون وجه جمعها كذلك نظير جمعهم الحلة في الكثرة الحلال والقلة قلال وقوله على الأرائك متكئون والارائك هي الحجال فيها السرر والفرش واحدتها أريكة وكان بعضهم يزعم أن كل فراش فأريكة ويستشهد لقوله ذلك بقول ذي الرمة كأنما * تباشرن بالمعزاء مس الأرائك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس في قوله على الارائك متكئون قال هي السرر في الحجال حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن مجاهد في قول الله على الأرائك متكئون قال الأرائك السرر عليها الحجال حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال ثنا حصين عن مجاهد في قوله متكئين على الأرائك قال الأرائك السرر في الحجال حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن مجاهد في قوله على الأرائك قال سرر عليها الحجال حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم محمد أن عكرمة قال الأرائك السرر في الحجال حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن وسأله رجل عن الأرائك قال هي الحجال أهل اليمن يقولون أريكة فلان وسمعت عكرمة وسئل عنها فقال هي الحجال على السرر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة على الأرائك متكئون قال هي الحجال فيها السرر وقوله لهم فيها فاكهة يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة ولهم ما يدعون

يقول

من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله لغيرك فمن قرأ الا صيحة بالنصب أراد ما كانت الأخذة أو العقوبة الا بسبب صيحة ومن قرأ بالرفع على أن كان التامة فمعناه ما وقعت الا صيحة قال جار الله القياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع شئ الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل قلت يجوز أن يقدر ما حدثت عقوبة وقيل ان التأنيث لتهويل الواقعة ولهذا جاءت أسماء الجنس كلها مؤنثة ووصف الصيحة بواحدة للتأكيد وقرأ ابن مسعود الازقية وهي الصيحة أيضا ومنه المثل أثقل من الزواقي والزقاء صياح الديك ونحوه وذلك لأن صياح الديكة يؤذن بزوال الانس و بتبدل الفراق بالوصال ثم شبه هلاكهم بخمود النار وهو صيرورتها رمادا لأنهم كانوا كالنار الموقدة في القوة الغضبية حيث قتلوا من نصحهم وتجبروا على من أظهر المعجزة لديهم ثم بين بقوله (ياحسرة) أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون من الملائكة والثقلين أو من الله عز وجل على سبيل الاستعارة وذلك لتعظيم ما صدر من تقصيرهم و بدر من تفريطهم ثم ذكر سبب التحسر بقوله (ما يأتيهم) الآية ثم عجب من حالهم في عدم الاعتبار بأمثالهم من الامم الخالية وقوله (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا التقدير ألم يعلموا القرون الكثيرة المهلكة من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم والبدل بدل اشتمال لهم لأنه حال من أحوال المهلكة أي أهلكوا بحيث لا رجوع لهم اليهم والرجوع حسي وهو ظاهر أو معنوي وهو الرجوع بالنسب والولادة أي أهلكناهم وقطعنا نسلهم من قرأ لما بالتشديد فبمعنى الا وان نافية ومن قرأ بالتخفيف فان مخففة وما صلة تقديره وإن كلهم لمحشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة قال في الكشاف كيف اخبر عن كل المجموعي بجميع وأجاب بأنهما ليسا بواحد بل الكل يفيد الشمول والجميع يفيد الانضمام

وأن المحشر يجمعهم ويحتمل أن يقال الغرض وصف الجميع بالاحضار كقولك الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل ثم ذكر البرهان على الحشر
وعلى التوحيد أيضا مع تعداد النعم وتذكيرها قائلا (وآية لهم الأرض الميتة) قال المحققون انما قال لهم لأن الأرض ليست آية

للنبي ولغيره من أهل الاخلاص الذين هم بالله عرفوا الله قبل النظر الى الارض والسماء كقوله أولم يكف بك أنه على كل شئ شهيد وقوله (أحييناها) استئناف بيانا لكونها آية وكذلك نسلخ ويجوز أن يكونا وصفين على قياس

* ولقد أمر على اللئيم يسبني *

وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم الجار للدلالة على أن الحب هو معظم قوت الانسان وبه قوام معاشه عادة فنفس الارض آية فانها مهدهم الذي فيه تحريكهم واستكنانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم وامكانهم وسواء كانت ميتة أولم تكن فهي مكان لهم ثم احياؤها مخضرة نعمة ثانية فانها أحسن وأنزه ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم اذا كان في مكانهم كان أجمع للقوة والفراغ ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة موجبة للتفكه وسعة العيش ثم تفجير العيون فيها نعمة خامسة لان ماء السماء لا يحصل الوثوق بنزوله في كل حين فذلك كالشئ المدخر القريب التناول والضمير في قوله (من ثمره) يعود الى الله وفائدة الالتفات أن الثمار بعد وجود الأشجار وجريان الانهار لا توجد الا بتخليق الملك الجبار ويحتمل أن يعود الى المذكور وهو الجنات أو الى التحصيل وترك ذكر الاعناب لان حكمه حكم النخيل وقيل الى التفجير المدلول عليه بسياق الكلام أي ليأكلوا من فوائد التفجير وهو أعم من الثمار ويشمل جميع ما ذكر في قوله أنا صببنا الماء صبا الى قوله وفاكهة وأبا وقوله (وما عملت) من قرأ بغير هاء الضمير فما موصولة أو مصدرية أي ليأكلوا من ثمر الله ومن ثمر ما عملته أو من ثمر عمل أيديهم أو نافية فيكون اشارة الى أن الثمر خلق الله

يقول ولهم فيها ما يتمنون وذكر عن العرب أنها تقول ادع على ما شئت أي تمن على ما شئت وقوله سلام قولا من رب رحيم في رفع سلام وجهان في قول بعض نحويي الكوفة أحدهما أن يكون خبرا لما يدعون فيكون معنى الكلام ولهم ما يدعون مسلم لهم خالص واذا وجه معنى الكلام الى ذلك كان القول حينئذ منصوبا توكيدا خارجا من السلام كأنه قيل ولهم فيها ما يدعون مسلم خالص حقا كأنه قيل قاله قولا والوجه الثاني أن يكون قوله سلام مرفوعا على المدح بمعنى هو سلام لهم قولا من الله وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله سلاما قولا على أن الخبر متناه عند قوله ولهم ما يدعون ثم نصب سلاما على التوكيد بمعنى مسلما قولا وكان بعض نحويي البصرة يقول انتصب قولا على البدل من اللفظ بالفعل كأنه قال أقول ذلك قولا قال ومن نصبها نصبها على خبر المعرفة على قوله ولهم فيها ما يدعون * والذي هو أولى بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القرظي أن يكون سلام خبرا لقوله ولهم ما يدعون فيكون معنى ذلك ولهم فيها ما يدعون وذلك هو سلام من الله عليهم بمعنى تسليم من الله ويكون سلام ترجمة عما يدعون ويكون القول خارجا من قوله سلام وانما قلت ذلك أولى بالصواب لما حدثنا به ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا أبو عبد الرحمن المقرى عن حرملة عن سليمن بن حميد قال سمعت محمد بن كعب يحدث عمر ابن عبد العزيز قال اذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة فيقف على أول أهل درجة فيسلم عليهم فيردون عليه السلام وهو في القرآن سلام قولا من رب رحيم فيقول سلوا فيقولون ما نسألك وعزتك وجلالك لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم فيقول سلوا فيقولون نسألك رضاك فيقول رضائي أحلكم دار كرامتي فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهي قال ولو أن امرأة من الحور العين طلعت لأطفأ ضوء سواريها الشمس والقمر فكيف بالمسورة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حرملة عن سليمن بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عمر بن عبد العزيز قال اذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة قال فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه السلام قال القرظي وهذا في كتاب الله سلام قولا من رب رحيم فيقول سلوني فيقولون ماذا نسألك أي رب قال بل سلوني قالوا نسألك أي رب رضاك قال رضائي أحلكم دار كرامتي قالوا يارب وما الذي نسألك فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم ولأسقيناهم ولألبسناهم ولأخدمناهم لا ينقصنا ذلك شيأ قال ان لدي مزيدا قال فيفعل الله ذلك بهم في درجهم حتى يستوي في مجلسه قال ثم تأتيهم التحف من الله تحملها اليهم الملائكة ثم ذكر نحوه حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا أبو عبد الرحمن قال ثنا حرملة قال ثنا سليمن بن حميد أنه سمع محمد بن كعب القرظي يحدث عمر بن عبد العزيز قال اذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار أقبل يمشي في ظلل من الغمام ويقف قال ثم ذكر نحوه الا أنه قال فيقولون فماذا نسألك يارب فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو أنك قسمت علينا أرزاق الثقلين الجن والانس لأطعمناهم ولسقيناهم ولأخدمناهم من غير أن ينتقص ذلك شيأ مما عندنا قال بلى فسلوني قالوا نسألك رضاك قال رضائي أحلكم دار كرامتي فيفعل هذا بأهل كل درجة حتى ينتهي الى مجلسه وسائر الحديث مثله فهذا القول الذي قاله محمد بن كعب ينبئ عن أن سلام بيان عن قوله ما يدعون وأن القول خارج من

السلام وقوله من رب رحيم يعني رحيم بهم اذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جرم في الدنيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ يعني بقوله وامتازوا تميزوا وهي افتعلوا من ماز يميز فعل يفعل ومنه امتاز يمتاز امتيازا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وامتازوا اليوم أيها المجرمون قال عزلوا عن كل خير حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان الآية الى قوله هذه جهنم التي كنتم توعدون امتازوا اليوم أيها المجرمون فيتميز الناس ويجثون وهي قول الله وترى كل أمة الآية فتأويل الكلام اذا وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله فانكم واردون غير موردهم وداخلون غير مدخلهم وقوله ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وفي الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه منه وهو ثم يقال ألم أعهد اليكم يا بني آدم يقول ألم أوصكم وآمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله انه لكم عدو مبين يقول وأقول لكم ان الشيطان لكم عدو مبين قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود لأبيكم آدم حسدا منه له على ما كان الله أعطاه من الكرامة وغروره اياه حتى أخرجه وزوجته من الجنة وقوله وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم يقول وألم أعهد اليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد واياي فأطيعوا فان اخلاص عبادتي وافراد طاعتي ومعصية الشيطان هو الدين الصحيح والطريق المستقيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ولقد أضل منكم جبلا كثيرا ولقد صد الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتي وافرادي بالألوهة حتى عبدوه واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولقد أضل منكم جبلا قال خلقا واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين جبلا بكسر الجيم وتشديد اللام وكان بعض المكيين وعامة قراء الكوفة يقرؤنه جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وكان بعض قراء البصرة يقرؤه جبلا بضم الجيم وتسكين الباء وكل هذه لغات معروفات غير أني لا أحب القراءة في ذلك الا باحدى القراءتين اللتين احداهما بكسر الجيم وتشديد اللام والأخرى ضم الجيم والباء وتخفيف اللام لان ذلك هو القراءة التي عليها عامة قراء الامصار وقوله أفلم تكونوا تعقلون يقول أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون اذ أطعتم الشيطان في عبادة غير الله أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله وتعبدوا غير الله وقوله هذه جهنم التي كنتم توعدون يقول هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله وتكذيبكم رسله فكنتم بها تكذبون وقيل ان جهنم أول باب من أبواب النار وقوله اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون يقول احترقوا بها اليوم وردوها يعني باليوم يوم القيامة بما كنتم تكفرون يقول بما كنتم تجحدونها

ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه ومن قرأ مع الضمير فما موصولة والضمير لها او نافية والضمير للتفجير او المذكور ومعنى عمل الايدى ما يتكابده الناس من الحرث والسقي وغير ذلك هذا اذا جعلت ما موصولة فان كانت نافية فالمراد الايجاد والخلق وقيل عمل الايدى التجارة وقيل الطبخ ونحوه ثم نزه نفسه بقوله (سبحان الذي خلق الأزواج) أي الاصناف والمراد بقوله (ومما لا يعلمون) أزواج لم يطلع الله الانسان عليها بطريق من طرق المعرفة وما يعلم جنود ربك الا هو فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قالت الاشاعرة فيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله لان أفعالهم أعراض وهي داخلة تحت الاجناس وقوله (مما تنبت) لا يخرجه عن العموم لان البيان متعدد نظيره قول القائل أعطيته كل شئ من الثياب والدواب والعبيد فانه يفهم أن تعديد الأصناف لتأكيد العموم يؤيده قوله في حم الذي خلق الأزواج كلها من غير تقييد وحين فرغ من الاستدلال بالمكان شرع في الاستدلال بالزمان ومعنى سلخ النهار من الليل تميزه منه قال جار الله أصله من سلخ جلد الشاة اذا أزاله عنها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وموضع القاء ظله ومعنى (مظلمون) داخلون في الظلام أي لابد لهم أن يدخلوا في الظلام اذا زال ولا يقدرون على دفعه وفيه أن الليل كعرض أصلي يطرأ عليه النور تارة ويزول عنه أخرى ثم كان لجاهل أن يقول سلخ النهار انما هو بغروب الشمس فلا جرم قال (والشمس تجري لمستقر) أي لحد لها مؤقت تنتهي اليه من فلكها شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره الا أن المسافر له قرار بعد ذلك وهذه لا قرار لها بعد الحصول في ذلك الحد ولكنها تستأنف الحركة منه وهو أول الحمل أو أحد الخافقين أو احدى الغايتين في تصاعدها فلك نصف النهار وتنازلها أو غير ذلك من الاعتبارات وقيل أراد بالمستقر بيتها وهو الاسد وقيل أراد لجري مستقرها وهو فلكها وقيل هو الدائرة

التي عليها ركتها الخاصة وقال الحكيم اراد لأمر لووجده لاستقر وهو استخراج الاوضاع الممكنة وقيل أراد الوقت الذي ينقطع جريها
وهو يوم القيامة وقيل انه اشارة الى نعمة النهار بعد الليل كأنه قال ان الشمس (١٧) تجرى فتطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار
لمنافعه وعلى هذا فالمستقر هو أفق الغرب خاصة (ذلك) الجرى على الوجوه المذكورة (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بمبادئ الأمور وغاياتها ثم ذكر أمر سير القمر وقد مر في أول سورة يونس في قوله وقدره منازل والعرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وهو فعلون من الانعراج الانعطاف قاله الزجاج والقديم ما تقادم عهده ويختلف بحسب الاعيان فلا يقال للمدينة بنيت من سنة وسنتين هي قديمة وقد يقال نبت قديم وان لم يكن له سنة واطلاق القديم على العالم لا يعتاد لانه موهم الا عند من يعتقد أنه لا أول له وقال في الكشاف القديم المحول وهو أول ما يوصف بالقدم فلو أن رجلا قال كل مملوك لى قديم فهو حر وكتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول وأكثر واذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه (١) انقراض الشهر به من الوجوه الثلاثة ثم بين أن لكل واحد من النيرين حركة مقدرة وسلطانا على حياله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) لتباطؤ سيرها عن سيره (ولا الليل) أي ولا تسبق آية الليل وهو القمر آية النهار وهي الشمس أي لا يداخل القمر الشمس في سلطانها وقيل أراد أن الليل لا يدخل في وقت النهار وقيل انه اشارة الى الحركة اليومية التي بها يحدث الليل والنهار والمراد أن القمر لا يسبق الشمس

تجحدونها في الدنيا وتكذبون بها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله اليوم نختم على أفواههم اليوم نطبع على أفواه المشركين وذلك يوم القيامة وتكلمنا أيديهم بما عملوا في الدنيا من معاصي الله وتشهد أرجلهم قيل ان الذي ينطق من أرجلهم أفخاذهم من الرجل اليسرى بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أي رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله ذنوبه ويستره منها فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيأ وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونها ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحده ويقول أي رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته فاذا فعل ذلك ختم على فيه قال الأشعري فاني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى ثم تلا اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون حدثنا أبو كريب قال ثنى يحيى عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن الشعبي قال يقال للرجل يوم القيامة عملت كذا وكذا فيقول ما عملت فيختم على فيه وتنطق جوارحه فيقول لجوارحه أبعدكن الله ما خاصمت الا فيكن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اليوم نختم على أفواههم الآية قال قد كانت خصومات وكلام فكان هذا آخره وختم على أفواههم حدثني محمد بن عوف الطائي قال ثنا ابن المبارك عن ابن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول أول شئ يتكلم من الانسان يوم يختم الله على الأفواه فخذه من رجله اليسرى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فقال بعضهم معنى ذلك ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى وأضللناهم عن قصد المحجة ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم يقول أضللتهم وأعميتهم عن الهدى * وقال آخرون معنى ذلك ولو نشاء لتركناهم عميا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون قال لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يترددون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون يقول لو شئنا لتركناهم عميا يترددون وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام لأن الله انما تهدد به قوما كفارا فلا وجه لان يقال وهم كفار لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم ولكنه قال لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عميا لا يبصرون طريقا ولا يهتدون له والطمس على العين هو أن لا يكون بين

بهذه الحركة لانها تشملهما على السواء وهكذا جميع الكواكب
فلا يقع بسببها تقدم ولا تأخر ولهذا لم يقل يسبق على قياس تدرك أي ليس من شأنه السبق اذ الكواكب كأنها ساكنة بهذه الحركة

(١) في العبارة زيادة مضرة وفي الكشاف وغيره فشبه (أي القمر) به الخ فتأمل كتبه مصححه

وأقول يحتمل أن يراد لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا القمر ينبغى أن يتخلف فحذف احدى القرينتين للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر وكذا الكلام فى قوله ولا الليل سابق النهار أراد ولا النهار سابق الليل أى لا يدخل شئ منهما فى غير وقته سلمنا أن المراد

بالليل والنهار آيتهما لكنه يمكن أن يقال انه اشارة الى الحركة الدورية لانه لما قال ان الشمس لبطء سيرها لا تدرك القمر فهم منه أن القمر يسبق الشمس بحركته فأشار الى أن هذا السبق ليس على قياس المتحركات على الاستقامة ولكنه سبق هو بعينه موجب للقرب وهذا معنى قول أهل الهيئة ان الكوكب هارب عن نقطة ما طالب لها بعينه وأما قوله (وكل فى فلك يسبحون) فقد مر تفسيره فى سورة الانبياء ولما بين ما هو كالضرورى لوجود الانسان من المكان والزمان وما يتبعه ويسبقه شرع فى تقرير ما هو نافع لهم فى أحوال المعاش قال بعض المفسرين أراد بحمل الذرية حمل آبائهم وهم فى أصلابهم والفلك فلك نوح ومثله هو ما يركبون الآن عليه من السفن والزوارق قال جار الله وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم وأدخل فى التعجب من قدرته فى حمل أعقابهم الى يوم القيامة فى سفينة نوح ولولا ذلك لما بقى للآدمى نسل ومن فوائد ذكر الذرية أن من الناس من لا يركب السفينة طول عمره ولكنه فى ذريته من يركبها غالبا وذهب آخرون الى أن المراد حمل أولادهم ومن يهمهم حمله كالنساء وقد يقع اسم الذرية عليهن لانهن مزارع الاولاد فى الحديث انه نهى عن قتل الذرارى يعنى النساء فكأنه قيل ان كنا ما حملناكم بأنفسكم فقد حملنا من يهمكم أمره

جفنى العين غزو وذلك هو الشق الذى بين الجفنين كما تطمس الريح الأثر يقال أعمى مطموس وطميس وقوله فاستبقوا الصراط يقول فابتدروا الطريق كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فاستبقوا الصراط قال الطريق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاستبقوا الصراط أى الطريق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاستبقوا الصراط قال الصراط الطريق وقوله فأنى يبصرون يقول فأى وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق وقد طمسنا على أعينهم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فأنى يبصرون وقد طمسنا على أعينهم * وقال الذين وجهوا تأويل قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الى أنه معنى به العمى عن الهدى تأويل قوله فأنى يبصرون فأنى يهتدون للحق ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فأنى يبصرون يقول فكيف يهتدون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فأنى يبصرون يقول لا يبصرون الحق وقوله ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم يقول تعالى ذكره ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم فى منازلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا أن يرجعوا وراءهم * وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم قال لو نشاء لأقعدناكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم أى لأقعدناهم على أرجلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم يستطيعوا أن يتقدموا ولا يتأخروا * وقال آخرون بل معنى ذلك ولو نشاء لأهلكناهم فى منازلهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول ولو نشاء أهلكناهم فى مساكنهم والمكانة والمكان بمعنى واحد وقد بينا ذلك فيما مضى قبل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمره فنمدّ له فى العمر ننكسه فى الخلق يقول نرده الى مثل حاله فى الصبا من الهرم والكبر وذلك هو النكس فى الخلق فيصير لا يعلم شيأ بعد العلم الذى كان يعلمه وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن نعمره ننكسه فى الخلق يقول من نمدّ له فى العمر ننكسه فى الخلق لكيلا يعلم بعد علم شيأ يعنى الهرم واختلفت القراء فى قراءة قوله ننكسه فقرأه عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ننكسه بفتح النون الأولى وتسكين الثانية وقرأته عامة قراء الكوفة ننكسه بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الكاف * والصواب من القول فى ذلك

وعلى هذا يكون قوله (وخلقنا لهم) الى آخره اعتراضا ومثل الفلك ما يركبون من الابل لانها سفائن البر وفى وصف الفلك أنهما بالمشحون مزيد تقرير للقدرة والنعمة فان الفلك اذا كان خاليا كان خفيفا لا يرسب فى الماء بالطبع ثم ذكر ما يؤكد كونه فاعلا مختارا قائلا

(وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) وهو مصدر أو صفة أى لا اغاثة أو لا مغيث وقوله (الا رحمة) اشارة الى أن الانقاذ رحمة بالنسبة الى المؤمن
ومتاع الى حلول الاجل بالاضافة الى الكافر أو المراد أن أحدا لا يتخلص من الموت وان سلم من الآفات ولله در القائل

ولم أسلم لكى ابقى ولكن
سلمت من الحمام الى الحمام

﴿ التأويل ﴾ يس اشارة الى أنه بلغ في السيادة مبلغا لم يبلغه أحد من المرسلين تنزيل العزيز الرحيم فيه أنه لعزته لا يحتاج الى تنزيل القرآن ولكن رحمته اقتضت ذلك نحيي القلوب الموتى ونكتب ما قدموا من الانفاس المتصاعدة ندما وشوقا وآثار خطا أقدام صدقهم وآثار دموعهم على خدودهم أصحاب القرية القلوب اذ أرسلنا اليهم اثنين من الخواطر الرحمانية والالهامات الربانية بالتجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود فكذبوهما النفس وصفاتها فعززنا بثالث من الجذبة انا تطيرنا بكم لأن النفس وصفاتها لا يوافقهما ما يدعو الالهام والجذبة اليه طائركم معكم لأن النفس خلقت من العدم على خاصيتها المشؤمة رجل يسعى هو الروح المشتاق الى لقاء الحق لا يسألكم أجرا لأنه لا شرب له من مشاربكم قيل ادخل الجنة وهي عالم الارواح وهو كقوله يا أيتها النفس المطمئنة الى قوله وادخلي جنتي على قومه من بعده أى بعد رجوع الروح الى الحضرة ما أنزل الى النفس وصفاتها ملائكة من السماء لأنهم لا يقدرون على النفس وصفاتها واصلاح حالها فان صلاحها في موتها والمميت هو الله صيحة واحدة من وارد حق فاذا هم يعني النفس وصفاتها خامدون ميتون عن انانيته بهويته ألم يروا
كم أهلكنا فيه اشارة الى أن هذه الامة خير الامم شكى معهم من كل أمة وما شكى الى أحد من غيرهم شكايتهم وآية لهم القلوب الميتة أحييناها
بالطاعة ونخيل الاذكار وأعناب الأشواق وعيون الحكمة وثمر المكاشفات وعمل الخيرات والصدقات خلق الازواج من الآباء العلوية

أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن التي عليها عامة قراء الكوفيين أعجب الى لأن التنكيس من الله في الخلق انما هو حال بعد حال وشئ بعد شئ فذلك تأييد للتشديد وكذلك اختلفوا في قراءة قوله أفلا يعقلون فقرأته قراء المدينة أفلا تعقلون بالتاء على وجه الخطاب وقرأته قراء الكوفة بالياء على الخبر وقراءة ذلك بالياء أشبه بظاهر التنزيل لأنه احتجاج من الله على المشركين الذين قال ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاخراج ذلك خبرا على نحو ما خرج قوله لطمسنا على أعينهم أعجب الى وان كان الآخر غير مدفوع ويعني تعالى ذكره بقوله أفلا يعقلون أفلا يعقل هؤلاء المشركون قدرة الله على ما يشاء بمعاينتهم ما يعاينون من تصريفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر الى كبر ومن تنكيس بعد كبر في هرم وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له يقول تعالى ذكره وما علمنا محمدا الشعر وما ينبغي له أن يكون شاعرا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال قيل لعائشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان أبغض الحديث اليه غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس فيجعل آخره أوله وأوله آخره فقال له أبو بكر انه ليس هكذا فقال نبي الله اني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي وقوله ان هو الا ذكر يقول تعالى ذكره ما هو الا ذكر يعني بقوله ان هو أي محمد الا ذكر لكم أيها الناس ذكركم الله بارساله اياه اليكم ونبهكم به على حظكم وقرآن مبين يقول وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين يقول يبين لمن تدبره بعقل ولب أنه تنزيل من الله أنزله الى محمد وأنه ليس بشعر ولا سجع كاهن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقرآن مبين قال هذا القرآن وقوله لينذر من كان حيا يقول ان محمد الا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حي القلب يعقل ما يقال له ويفهم ما يبين له غير ميت الفؤاد بليد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن رجل عن أبي روق عن الضحاك في قوله لينذر من كان حيا قال من كان عاقلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لينذر من كان حيا حي القلب حي البصر وقوله ويحق القول على الكافرين يقول ويجب العذاب على أهل الكفر بالله المولين عن اتباعه المعرضين عما أتاهم به من عند الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويحق القول على الكافرين بأعمالهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴾ (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا يقول مما خلقنا من الخلق أنعاما وهي المواشي التي خلقها الله لبني آدم فسخرها لهم من الابل والبقر والغنم فهم لها مالكون يقول فهم لها مصرفون كيف شاؤا بالقهر منهم لها والضبط كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهم لها مالكون أي ضابطون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون فقيل له أهي الابل فقال نعم قال والبقر من الأنعام وليست بداخلة في هذه الآية قال والابل والبقر والغنم من الأنعام وقرأ ثمانية أزواج قال والبقر والابل هي النعم وليست تدخل الشاء في النعم وقوله وذللناها لهم يقول وذللنا هذه الانعام لهم

والامهات السفلية مما تنبت أرض البشرية بازدواج الكاف والنون ومن أنفسهم بازدواج الروح والقلب ومما لا يعلمون من تأثير العناية
فى قلوب المخلصين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وآية لهم ليل البشرية نسلخ منه نهار الروحانية فاذاهم مظلمون

فمنها ركوبهم يقول فمنها ما يركبون كالابل يسافرون عليها يقال هذه دابة ركوب والركوب بالضم هو الفعل ومنها يأكلون لحومها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذللناها لهم فمنها ركوبهم يركبونها يسافرون عليها ومنها يأكلون لحومها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون} يقول تعالى ذكره ولهم فى هذه الأنعام منافع وذلك منافعهم فى أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثا ومتاعا ومن جلودها أكنانا ومشارب يشربون ألبانها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولهم فيها منافع يلبسون أصوافها ومشارب يشربون ألبانها وقوله أفلا يشكرون يقول أفلا يشكرون نعمتى هذه واحسانى اليهم بطاعتى وافراد الالوهية لى والعبادة وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام قوله واتخذوا من دون الله آلهة يقول واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها لعلهم ينصرون يقول طمعا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون} يقول تعالى ذكره لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله ان أراد بهم سوأ ولا تدفع عنهم ضرا وقوله وهم لهم جند محضرون يقول وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله محضرون وأين حضورهم اياهم فقال بعضهم عنى بذلك وهم لهم جند محضرون عند الحساب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وهم لهم جند محضرون قال عند الحساب * وقال آخرون بل معنى ذلك وهم لهم جند محضرون فى الدنيا يغضبون لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يستطيعون نصرهم الآلهة وهم لهم جند محضرون والمشركون يغضبون للآلهة فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم سوأ انما هى أصنام وهذا الذى قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب فى تأويل ذلك لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام وما كانوا يعبدونه فكيف يكونون لها جندا حينئذ ولكنهم فى الدنيا لهم جند يغضبون لهم ويقاتلون دونهم وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك انك شاعر وما جئتنا به شعر ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوّتك وقوله انا نعلم ما يسرّون وما يعلنون يقول تعالى ذكره انا نعلم أن الذى يدعوهم الى قيل ذلك الحسد وهم يعلمون أن الذى جئتهم به ليس بشعر ولا يشبه الشعر وأنك لست بكذاب فنعلم ما يسرّون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم اليه وما يعلنون من جحود ذلك بألسنتهم علانية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم} يقول تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه واختلف فى الانسان الذى عنى بقوله أولم ير الانسان فقال بعضهم عنى به أبىّ بن خلف ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا

بظلمة الخليقة فان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره وشمس نور الله تجرى لمستقر لها وهو قلب استقر فيه رشاش نور الله وقمر القلب قدرناه ثمانية وعشرين منزلا على حسب حروف القرآن وأسماؤها الالفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذلة والرأفة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والصبر والطلب والظمأ والعشق والعزة والفتوة والقربة والكرم واللين والمروءة والنور والولاية والهداية واليقين فاذا قطع كل المنازل فقد تخلق بخلق القرآن ولهذا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وهو آخر المنازل والمقامات فان السالك يألف الحق أولا ثم يتوب فيثبت على ذلك حتى تحصل له الجمعية وعلى هذا يعبر المقامات حتى يصير كاملا كالبدر ثم يتناقص نوره بحسب دنوه من شمس شهود الحق الى أن يتلاشى ويخفى وهو مقام الفقر الحقيقى الذى افتخر به نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله الفقر فخرى ثم أشار بقوله لا الشمس ينبغى لها الى أن الرب لا يصير عبدا ولا العبد ربا ثم ذكر أن العوام محمولون فى سفينة الشريعة والخواص فى بحر الحقيقة كلاهما بفلك العناية وملاحة أرباب الطريقة ومثل ما يركبون هو جناح همة المشايخ وان نشأ نغرق العوام فى بحر الدنيا والرخص والخواص فى بحر الشبهات والاباحة

{واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا فى ضلال مبين

عبيد

ويقولون متى هـذا الوعد ان كنتم صادقين ماينظرون الاصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصيـة ولا الى أهلهم يرجعون ونفخ فى الصور فاذاهم من الأجداث الى ربهم ينسـلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هـذا ما وعد الرحمن وصـدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنـة اليوم فى شـغل فا كهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فا كهة ولهم مايدّعون سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هـذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهـم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهـم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضـيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسـه فى الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينـذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينـا أنعاما فهم لها مالكون وذللناهـا لهم فمنها ركوبهـم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهـم انا نعلم مايسرون وما يعلنون أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منـه توقدون أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى

عبيدالله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد فى قوله من يحيي العظام وهى رميم قال أبىّ بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وضرب لنا مثلا أبىّ بن خلف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قال من يحيي العظام وهى رميم ذكر لنا أن أبىّ بن خلف أتى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بعظم حائل ففته ثم ذرّاه فى الريح ثم قال يا محمد من يحيي هـذا وهو رميم قال الله يحييه ثم يميته ثم يدخلك النار قال فقتله رسول الله صلى الله عليه وسـلم يوم أحد * وقال آخرون بل عنى به العاص بن وائل السهمى ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال جاء العاص بن وائل السهمى الى رسول الله صلى الله عليـه وسـلم بعظم حائل ففته بين يديه فقال يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعد ما أرمّ قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم قال ونزلت الآيات أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفـة فاذا هو خصيم مبين الى آخر الآية * وقال آخرون بل عنى به عبـد الله بن أبىّ ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة الى قوله وهى رميم قال جاء عبد الله بن أبىّ الى النبى صلى الله عليه وسـلم بعظم حائل فكسره بيـده ثم قال يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم يبعث الله هـذا ويميتك ثم يدخلك جهنم فقال الله قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم فتأويل الكلام اذا أولم ير هذا الانسان الذى يقول من يحيي العظام وهى رميم أنا خلقناه من نطفة فسوّيناه خلقا سويا فاذا هو خصيم يقول فاذا هو ذو خصومـة لربه يخاصمـه فيما قال له ربه انى فاعل وذلك إخبار الله اياه أنه محيى خلقـه بعد مماتهم فيقول من يحيي هـذه العظام وهى رميم انكارا منـه لقدرة الله على احيائها وقوله مبين يقول يبين لمن سمع خصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذى خلقـه وقوله وضرب لنا مثـلا ونسى خلقه يقول ومثل لنا شبها بقوله من يحيي العظام وهى رميم اذ كان لا يقـدر على إحياء ذلك أحد يقول فجعلنا كمن لا يقـدر على إحياء ذلك من الخلق ونسى خلقـه يقول ونسى خلقنا اياه كيف خلقناه وأنه لم يكن الا نطفة فجعلناها خلقا سويا ناطقا يقول فلم يفكر فى خلقناه فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرا سويا ناطقا متصرفا لا يعجز أن يعيـد الأموات أحياء والعظام الرميم بشرا كهيئتهم التى كانوا بها قبـل الفناء يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهـذا المشرك القائل لك من يحيي العظام وهى رميم يحييها الذى أنشأها أول مرة يقول يحييها الذى ابتدع خلقها أول مرة ولم تكن شيأ وهو بكل شئ عليم يقول وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت وكيف يحيي وكيف يبدئ وكيف يعيد لا يخفى عليـه شئ من أمر خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منـه توقدون أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهـم بلى وهو الخـلاق العليم﴾ يقول تعالى ذكره قل يحييها الذى أنشأها أول مرة الذى جعـل لكم من الشـجر الأخضر نارا يقول الذى أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر لا يمتنع عليـه فعل ما أراد

وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) ۞ القرآآت يخصمون بفتحتين ثم كسر الصاد المشددة ابن كثير وورش وسهل و يعقوب وأصله يختصمون أدغمت التاء في الصاد بعد نقل حركتها الى الخاء وقرأ أبو جعفر ونافع غير ورش بسكون الخاء وقرأ أبو عمرو باشمام الفتحة قليلا وقرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من الخصم ثلاثيا الباقون بكسر الخاء للاتباع وتشديد الصاد وروى خلف عن يحيى بكسر الياء والخاء والتشديد شغل بضمتين عاصم وخلف وابن عامر و يزيد و يعقوب فكهون و بابه بغير ألف يزيد ظلل بضم الظاء وفتح اللام حمزة وعلي وخلف على أنه جمع ظلة الآخرون ظلال جمع ظل جبلا بضم الجيم وسكون الباء ابن عامر وأبو عمرو وقرأ أبو جعفر ونافع وعاصم وسهل بكسرتين واللام مشددة وقرأ يعقوب بضمتين والتشديد والباقون بضمتين والتخفيف ننكسه مشددا حمزة وعاصم غير مفضل الآخرون بالتخفيف من النكس تعقلون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل و يعقوب لتنذر على الخطاب أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل و يعقوب يقدر على صيغة المضارع يعقوب كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي ۞ الوقوف ترجمون ٥ معرضين ٥ رزقكم الله لا لأن ما بعده جواب اذا أطعمه لا كذلك لاتحاد المقول ولئلا يبتدأ بما لا يقوله مسلم وجوز جار الله ان يكون قوله ان أنتم قول الله أو حكاية قول المؤمنين لهم فالوقف جائز مبين ٥ صادقين ٥ يخصمون ٥ يرجعون ٥ ينسلون ٥ مرقدنا ٥ لئلا يوهم أن هذا صفة وما بعده منفي وفيه وجوه أخر ذكرها في التفسير المرسلون ٥ محضرون ٥ تعملون ٥ فاكهون ٥ ج لاحتمال أنهم تأكيد الضمير وأزواجهم عطف عليه وفي ظلال ظرف فاكهون ولاحتمال أن ما بعده مبتدأ وخبره متكئون ثم يدعون ٥ ج

ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت وإعادتها بشرا سويا وخلقا جديدا كما بدأها أول مرة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا يقول الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه قوله فاذا أنتم منه توقدون يقول فاذا أنتم من الشجر توقدون النار وقال منه والهاء من ذكر الشجر ولم يقل منها والشجر جمع شجرة لانه خرج مخرج الثمر والحصى ولو قيل منها كان صوابا أيضا لأن العرب تذكر مثل هذا وتؤنثه وقوله أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم يقول تعالى ذكره منبها هذا الكافر الذي قال من يحيي العظام وهي رميم على خطا قوله وعظيم جهله أوليس الذي خلق السموات السبع والارض بقادر على أن يخلق مثلكم فان خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والارض يقول فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم فكيف يتعذر عليه إحياء العظام من بعد ما قد رمت وبليت وقوله بلى وهو الخلاق العليم يقول بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء الفعال لما يريد العليم بكل ما خلق و يخلق لا يخفى عليه خافية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون) يقول تعالى ذكره انما أمر الله اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم قال هذا مثل انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون قال ليس من كلام العرب شئ هو أخف من ذلك ولا أهون فأمر الله كذلك وقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ يقول تعالى ذكره فتنزيه الذي بيده ملك كل شئ وخزائنه وقوله واليه ترجعون يقول واليه تردون وتصيرون بعد مماتكم

آخر تفسير سورة يس

(تفسير سورة الصافات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ القول في تأويل قوله تعالى (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) «قال أبو جعفر» أقسم الله تعالى ذكره بالصافات والزاجرات والتاليات ذكرا فأما الصافات فانها الملائكة الصافات لربها في السماء وهي جمع صافة فالصافات جمع جمع وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني سلم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم قال كان مسروق يقول في الصافات هي الملائكة حدثنا اسحق بن أبي اسرائيل قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا شعبة عن سليمن قال سمعت أبا الضحى عن مسروق عن عبد الله بمثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والصافات صفا قال قسم أقسم الله بخلق

لانه من المحتمل أن يكون سلام خبر محذوف أي عليهم سلام يقول قولا وأن يكون سلام بدل مايدعون أي لهم مايتمنون وهو سلام سلام ط ج لحق الحذف رحيم ه المجرمون ه الشيطان ج لان التقدير (٢٣) فانه مبين ه لا للعطف اعبدوني ج

ثم خلق ثم خلق والصافات الملائكة صفوفا في السماء حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله والصافات قال هم الملائكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والصافات صفا قال هذا قسم أقسم الله به واختلف أهل التأويل في تأويل قوله فالزاجرات زجرا فقال بعضهم هي الملائكة تزجر السحاب تسوقه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فالزاجرات زجرا قال الملائكة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فالزاجرات زجرا قال هم الملائكة * وقال آخرون بل ذلك آي القرآن التي زجر الله بها عما زجر بها عنه في القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالزاجرات زجرا قال ما زجر الله عنه في القرآن والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد ومن قال هم الملائكة لأن الله تعالى ذكره ابتدأ القسم بنوع من الملائكة وهم الصافون باجماع من أهل التأويل فلأن يكون الذي بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه وقوله فالتاليات ذكرا يقول فالقارئات كتابا واختلف أهل التأويل في المعني بذلك فقال بعضهم هم الملائكة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فالتاليات ذكرا قال الملائكة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فالتاليات ذكرا قال هم الملائكة * وقال آخرون هو ما يتلى في القرآن من أخبار الامم قبلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فالتاليات ذكرا قال ما يتلى عليكم في القرآن من أخبار الناس والامم قبلكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن إلهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ان إلهكم لواحد والصافات صفا ان معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة واخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثاني له ولا شريك يقول فله فأخلصوا العبادة واياه فأفردوا بالطاعة ولا تجعلوا له في عبادتكم اياه شريكا وقوله رب السموات والارض وما بينهما يقول هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق ومالك ذلك كله والقيم على جميع ذلك يقول فالعبادة لا تصلح الا لمن هذه صفته فلا تعبدوا غيره ولا تشركوا معه في عبادتكم اياه من لا يضر ولا ينفع ولا يخلق شيأ ولا يفنيه واختلف أهل العربية في وجه رفع رب السموات فقال بعض نحويي البصرة رفع على معنى ان إلهكم لرب وقال غيره هو رد على ان إلهكم لواحد ثم فسر الواحد فقال رب السموات وهو رد على واحد وهذا القول عندي أشبه بالصواب في ذلك لأن الخبر هو قوله لواحد وقوله رب السموات ترجمة عنه وبيان مردود على اعرابه وقوله ورب المشارق يقول ومدبر مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاربها والقيم على ذلك ومصلحه وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه

مستقيم ه كثيرا ه تعقلون ه توعدون ه تكفرون ه يكسبون ه يبصرون ه يرجعون ه في الخلق ط يعقلون ه له ج مبين ه الكافرين ه مالكون ه يأكلون ه ومشارب ه يشكرون ه ينصرون ج نصرهم لا لان الواو للحال محضرون ه قولهم ه لئلا يوهم ان ما بعده مقول الكفار يعلنون ه مبين ه خلقه ط رميم ه مرة ط عليم ه لا لان الذي بدل توقدون ه مثلهم ط لانتهاء الاستفهام العليم ه فيكون ه ترجعون ه ۞ التفسير لما بين الآيات المذكورة حكى أنهم في غاية الجهالة ونهاية الضلالة لا مثل العلماء الذين يتبعون البرهان ولا كالعوام الذين يبنون أمورهم على الاحوط اذا أنذرهم منذر انتهوا عن ارتكاب المنهي خوفا من تبعته وطمعا في منفعته واليه الاشارة بقوله (لعلكم ترحمون) أي في ظنكم فان الذي لا تفيده الآيات يقينا فلا أقل من أن يحترز من العذاب ويرجو الثواب أخذا بطريقة الاحتياط ونظير الآية ما مر في أول سورة سبا أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد أراد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين أيديكم من وقائع الامم وما خلفكم أي من أمر الساعة وقيل ما بين أيديكم الآخرة فانهم مستقبلون لها وما خلفكم الدنيا فانهم تاركون لها أو ما بين أيديكم

من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فانه حاضر عندهم وما خلفكم من أمر الحشر فانكم اذا اتقيتم تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والحشر رحمكم الله أو ما بين أيديكم من أنواع العذاب كالحرق والغرق المدلول عليه بقوله وان نشأ نغرقهم وما خلفكم الموت الطالب لكم يدل على قوله

ومتاعا الى حين وجواب اذا محذوف وهو لا يتقون أو يعرضون يدل عليه ما بعده مع زيادة فائدة هي دأبهم الاعراض عند كل آية
ويحتمل أن يكون قوله وما تأتيهم متعلقا بما قبله وهو قوله يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن

واستغنى بذكر المشارق من ذكرها اذ كان معلوما أن معها المغارب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الهكم لواحد وقع القسم على هذا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق قال مشارق الشمس في الشتاء والصيف حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قوله رب المشارق قال المشارق ستون وثلاثمائة مشرق والمغارب مثلها عدد أيام السنة وقوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب اختلفت القراء في قراءة قوله بزينة الكواكب فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بزينة الكواكب باضافة الزينة الى الكواكب وخفض الكواكب انا زينا السماء الدنيا التي تليكم أيها الناس وهي الدنيا اليكم بتزيينها الكواكب أي بأن زينتها الكواكب وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة بزينة الكواكب بتنوين زينة وخفض الكواكب ردا لها على الزينة بمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب كأنه قال زيناها بالكواكب وروى عن بعض قراء الكوفة أنه كان ينون الزينة وينصب الكواكب بمعنى انا زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكب ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعا اذا نونت الزينة لم يكن لحنا وكان صوابا في العربية وكان معناه انا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب أي بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر فجائز توجيهها الى أي هذه الوجوه التي وصفت في العربية وأما القراءة فأعجبها الي باضافة الزينة الى الكواكب وخفض الكواكب لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية وأنها قراءة أكثر قراء الامصار وان كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحا أيضا فأما النصب في الكواكب والرفع فلا أستجيز القراءة بهما لاجماع الحجة من القراء على خلافهما وان كان لهما في الاعراب والمعنى وجه صحيح وقد اختلف أهل العربية في تأويل ذلك اذا أضيفت الزينة الى الكواكب فكان بعض نحويي البصرة يقول اذا قرئ ذلك كذلك فليس يعني بعضها ولكن زينتها حسنها وكان غيره يقول معنى ذلك اذا قرئ كذلك انا زينا السماء الدنيا بأن زينتها الكواكب وقد بينا الصواب في ذلك عندنا وقوله وحفظا يقول تعالى ذكره وحفظا للسماء الدنيا زيناها بزينة الكواكب وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله وحفظا فقال بعض نحويي البصرة قال وحفظا لانه بدل من اللفظ بالفعل كأنه قال وحفظناها حفظا وقال بعض نحويي الكوفة انما هو من صلة التزيين انا زينا السماء الدنيا حفظا لها فأدخل الواو على التكرير أي وزيناها حفظا لها فجعله من التزيين وقد بينا القول فيه عندنا وتأويل الكلام وحفظا لها من كل شيطان عات خبيث زيناها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وحفظا يقول جعلتها حفظا من كل شيطان مارد وقوله لا يسمعون الى الملا الأعلى اختلفت القراء في قراءة قوله لا يسمعون فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين لا يسمعون بتخفيف السين من يسمعون بمعنى أنهم يتسمعون ولا يسمعون وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بعد لا يسمعون بمعنى لا يتسمعون ثم أدغموا التاء في السين فشددوها * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف لان الاخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه أن الشياطين

قد

(وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يعني اذا جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها وقوله ألم يروا الى قوله لعلكم ترحمون اعتراض ثم اشار الى أنهم كما يخلون بجانب التعظيم لأمر الله حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا يخلون بجانب الشفقة على خلق الله ولا ينفقون اذا أمروا بالانفاق على أنهم خوطبوا بأدنى الدرجات في التعظيم والاشفاق فان أدنى الانقياد الاتقاء من العذاب وأدنى الاشفاق هو انفاق بعض ما في التصرف من مال الله فأين هم من معشر أقبلوا بالكلية على الله وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وفي قوله (مما رزقكم الله) اشارة الى أن الله تعالى قادر على اغناء الفقير واعطائه ولكنه جعل الغني واسطة في الانفاق على الفقير فالسعيد من عرف حق التوسيط وانتهز فرصة الامكان وعلم أن الانفاق سبب للبركة في الحال ومجلبة للثواب في المآل وقوله (قال الذين كفروا) دون أن يقول قالوا تسجيل عليهم بالكفر وقوله (للذين آمنوا) مزيد تصوير لجهالتهم حين قالوا لهؤلاء الاشراف ما قالوا وقوله (أنطعم) دون أنفق اظهار لغاية خستهم فان الاطعام أدون من الانفاق ومن بخل بالأدون فهو بأن يبخل بالأكثر أولى وقوله (من لو يشاء الله أطعمه) كلام في نفسه حسن لكنهم ذكروه في معرض الدفع فلهذا استوجبوا الذم وقد بين الله خطأهم بقوله مما رزقكم الله فان من في خزائنه مال وله في يد الغير مال فانه مخير ان أراد أعطى زيدا مما في خزائنه وان شاء أعطاه مما في يد الغير وليس لذلك الغير أن يقول لم أحلته علي وقوله (ان أنتم الا في ضلال مبين) بناء على ما اعتقدوه أن الامر بالانفاق ضائع

لأنه سعى في ابطال مشيئة الله ولم يعلموا ان الضلال لا يتعداهم أية سلكوا وذلك أنهم لم ينظروا الى الأمر والطلب و بادروا الى الاعتراض والطاعة هي اتباع الأمر لا الاستكشاف عن الغرض والغاية ومن جملة تعنتهم أنهم استبطؤا الموعود على الاتقاء والانفاق

قد تتسمع الوحي ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع ذكر رواية بعض ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت للشياطين مقاعد في السماء قال فكانوا يسمعون الوحي قال وكانت النجوم لا تجري وكانت الشياطين لا ترمى قال فاذا سمعوا الوحي نزلوا الى الارض فزادوا في الكلمة تسعا قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان اذا قعد مقعده جاء شهاب فلم يخطه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هو الا لأمر حدث قال فبعث جنوده فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة قال أبو كريب قال وكيع يعني بطن نخلة قال فرجعوا الى ابليس فأخبروه قال فقال هذا الذي حدث **حدثنا** ابن وكيع وأحمد بن يحيى الصوفي قالا ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الجن يصعدون الى السماء الدنيا يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فأما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا إلا لأمر حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الجن لهم مقاعد ثم ذكر نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد ابن اسحق قال ثني الزهري عن علي بن الحسين عن أبي اسحق عن ابن عباس قال حدثني رهط من الأنصار قالوا بينا نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رأى كوكبا رمى به فقال ما تقولون في هذا الكوكب الذي يرمى به فقلنا يولد مولود أو يهلك هالك و يموت ملك و يملك ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولكن الله كان اذا قضى أمرا في السماء سبح لذلك حملة العرش فيسبح لتسبيحهم من يليهم من تحتهم من الملائكة فما يزالون كذلك حتى ينتهي التسبيح الى السماء الدنيا فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليهم من الملائكة مم سبحتم فيقولون ما ندري سمعنا من فوقنا من الملائكة سبحوا فسبحنا الله لتسبيحهم ولكنا سنسأل فيسألون من فوقهم فما يزالون كذلك حتى ينتهي الى حملة العرش فيقولون قضى الله كذا وكذا فيخبرون به من يليهم حتى ينتهوا الى السماء الدنيا فتسترق الجن ما يقولون فينزلون الى أوليائهم من الانس فيلقونه على ألسنتهم بتوهم منهم فيخبرونهم به فيكون بعضه حقا و بعضه كذبا فلم تزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب **حدثنا** ابن وكيع وابن المثنى قالا ثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن علي بن حسين عن ابن عباس قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية اذا رأيتموه قالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يرمى به لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش ماذا قال ربنا فيخبرونهم ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى أوليائهم فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون **حدثنا**

قائلين ان كنتم أيها المدعون للرسالة صادقين فأخبرونا متى يكون هذا الموعود به من الثواب والعقاب فأجابهم الله تعالى بقوله (ما ينظرون الا صيحة واحدة) كأنهم بالاستبطاء كانوا منتظرين شيأ وتنكير صيحة للتهويل ووصفها بواحدة تعظيم للصيحة وتحقير لشأنهم أي صيحة لا يحتاج معها الى ثانية وفي قوله (تأخذهم) أي تعمهم بالأخذ مبالغة أخرى وكذا في قوله (وهم يخصمون) أي يشتغلون بمتاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ومع ذلك يصعقون وقيل تأخذهم وهم يختصمون في أمر البعث قائلين انه لا يكون ثم بالغ في شدة الأخذ بقوله (فلا يستطيعون توصية) وفي قوله لا يستطيعون دون أن يقول فلا يوصون مبالغة لأن من لا يوصي قد يستطيعها وكذلك في تنكير توصية الدال على التقليل وكذا في نفس التوصية لأنها بالقول والقول يوجد أسرع من الفعل من أداء الواجبات ورد المظالم وقد تحصل التوصية بالاشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها وفي قوله (ولا الى أهلهم يرجعون) بيان لشدة الحاجة الى التوصية فان الذي يقطع بعدم الوصول الى أهله كان الى الوصية أحوج وفيه تنبيه على أن الميت لا رجوع له الى الدنيا ولا اجتماع له بأهله مرة أخرى الى حين يبعثون ثم بين حال النفخة الثانية والأجداث القبور والنسلان العدو وكيف صارت النفختان مؤثرتين في أمرين متضادين الاماتة والاحياء نقول لا مؤثر الا الله والنفخ علامة على أن الصوت يوجد التزلزل وأنه قد يصير سببا لافتراق الاجزاء المجتمعة تارة ولاجتماع المتفرقة أخرى

فلعل ذلك فى أول الحالة ثم يحصل لهم سرعة المشى من غير اختيارهم ويمكن أن يقال ان هيئة الانتظار ليست بمنافية للمشى بل مؤكدة له ومعينة عليه وفى اذا المفاجأة اشارة الى أن الاحياء والتركيب والقيام والعدو كلها تقع فى زمان النفخ ثم بين أنهم قبل النسلان (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) كأنهم شكوا فى أنهم كانوا موتى فبعثوا أو كانوا نياما فتنبهوا فجمعوا فى السؤال بين الأمرين البعث والمرقد عن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا ذلك ثم أجابهم الملائكة فى رواية ابن عباس والمتقون على قول الحسن (هذا ماوعد الرحمن) كأنه قيل ليس بالبعث الذى عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الأكبر الذى وعده الرحمن فى كتبه المنزلة على لسان رسله الصادقين والظاهر أن هذا مبتدأ وماوعد الرحمن الى آخره خبره وما مصدرية أى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالمصدر ويجوز أن يكون ما موصولة أى هذا الذى وعده الرحمن وصدقه المرسلون أى صدقوا فيه وجوز جار الله أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف أى هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أى ماوعده الرحمن وصدقه المرسلون حق عليكم وقيل ان قوله

ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا معمر قال ثنا ابن شهاب عن على بن حسين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى نفر من أصحابه قال فرمى بنجم ثم ذكر نحوه الا أنه زاد فيه قلت للزهرى أكان يرمى بها فى الجاهلية قال نعم ولكنها غلظت حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم **حدثنى** على بن داود قال ثنا عاصم بن على قال ثنا أبى على بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان للجن مقاعد فى السماء يستمعون الوحى وكان الوحى اذا أوحى سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يرمى بها على الصفوان فاذا سمعت الملائكة صلصلة الوحى خرّ لجباههم من فى السماء من الملائكة فاذا نزل عليهم أصحاب الوحى قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلىّ الكبير قال فيتنادون قال ربكم الحق وهو العلىّ الكبير قال فاذا أنزل الى السماء الدنيا قالوا يكون فى الارض كذا وكذا موتا وكذا وكذا حياة وكذا وكذا جدوبة وكذا وكذا خصبا وما يريد أن يصنع وما يريد أن يبتدئ تبارك وتعالى فنزلت الجن فأوحوا الى أوليائهم من الانس مما يكون فى الارض فبيناهم كذلك اذ بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم فزجرت الشياطين عن السماء ورموهم بالكواكب فجعل لا يصعد أحد منهم الا احترق وفزع أهل الارض لما رأوا فى الكواكب ولم يكن قبل ذلك وقالوا هلك من فى السماء وكان أهل الطائف أول من فزع فينطلق الرجل الى ابله فينحر كل يوم بعيرا لآلهتهم وينطلق صاحب الغنم فيذبح كل يوم شاة وينطلق صاحب البقر فيذبح كل يوم بقرة فقال لهم رجل ويلكم لاتهلكوا أموالكم فان معالمكم من الكواكب التى تهتدون بها لم يسقط منها شئ فأقلعوا وقد أسرعوا فى أموالهم وقال ابليس حدث فى الارض حدث فأتى من كل أرض بتربة فجعل لا يؤتى بتربة أرض الا شمها فلما أتى بتربة تهامة قال ههنا حدث الحدث وصرف الله اليه نفرا من الجن وهو يقرأ القرآن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا حتى ختم الآية فولوا الى قومهم منذرين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر ماقضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم فهذه الأخبار تنبئ عن أن الشياطين تسمع ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع فان ظن ظان أنه لما كان فى الكلام الى كان التسمع أولى بالكلام من السمع فان الأمر فى ذلك بخلاف ماظن وذلك أن العرب تقول سمعت فلانا يقول كذا وسمعت الى فلان يقول كذا وسمعت من فلان وتأويل الكلام انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد أن لا يسمع الى الملأ الأعلى فحذفت ان اكتفاء بدلالة الكلام عليها كما قيل كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به بمعنى أن لا يؤمنوا به ولو كان مكان لا أن لكان فصيحا كما قيل يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى أن لا تضلوا وكما قال وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم بمعنى أن لا تميد بكم والعرب قد تجزم مع لا فى مثل هذا الموضع الكلام فتقول ربطت الفرس لا ينفلت كما قال بعض بنى عقيل

وحتى رأينا أحسن الود بيننا * مساكنة لا يقرف الشر قارف

هذا ماوعد الرحمن من كلام الكافرين كأنهم تذكروا ما سمعوا من الرسل فأجابوا به أنفسهم أو أجاب بعضهم بعضا ثم عظم شأن الصيحة بالنسبة الى المكلفين وحقر أمرها بالاضافة الى الجبار قائلا (ان كانت الاصيحة) الآية وقد مر نظيره ثم بين ما يكون فى ذلك اليوم وروى

قائلا (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون) أيها الكافرون (الاما كنتم تعملون) وفيه اشارة الى أن عدله عام وفضله خاص بأهل الايمان
وفيه أنهم اذا جمعوا لم يجمعوا الا للعدل أو الفضل فالفاء فيه كما فى قول القائل للوالى أو للقاضى جلست للعدل فلا تظلم أى ذلك

ويروى لايقرف رفعا والرفع لغة أهل الحجاز فيما قيل وقال قتادة فى ذلك ما حدثنى بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لايسمعون الى الملا الأعلى قال منعوها ويعنى بقوله الى الملا
الى جماعة الملائكة التى هم أعلى ممن هم دونهم وقوله ويقذفون من كل جانب دحورا ويرمون
من كل جانب من جوانب السماء دحورا والدحور مصدر من قولك دحرته أدحره دحرا ودحورا
والدحر الدفع والابعاد يقال منه ادحر عنك الشيطان أى ادفعه عنك وأبعده وبنحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة ويقذفون من كل جانب دحورا قذفا قذفا بالشهب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن
ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ويقذفون يرمون من كل جانب قال من كل مكان وقوله دحورا
قال مطرودين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويقذفون من كل
جانب دحورا قال الشياطين يدحرون بها عن الاستماع وقرأ وقال الا من استرق السمع فأتبعه
شهاب ثاقب وقوله ولهم عذاب واصب يقول تعالى ذكره ولهذه الشياطين المسترقة السمع
عذاب من الله واصب واختلف أهل التأويل فى معنى الواصب فقال بعضهم معناه الموجع
ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن اسمعيل بن أبى خالد عن
أبى صالح ولهم عذاب واصب قال موجع وحدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل
قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله عذاب واصب قال الموجع * وقال آخرون بل معناه
الدائم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولهم
عذاب واصب أى دائم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله عذاب واصب
قال دائم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن
ابن عباس ولهم عذاب واصب يقول لهم عذاب دائم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة
عمن ذكره عن عكرمة ولهم عذاب واصب قال دائم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
قال ابن زيد فى قوله ولهم عذاب واصب قال الواصب الدائب * وأولى التأويلين فى ذلك
بالصواب تأويل من قال معناه دائم خالص وذلك أن الله قال وله الدين واصبا فمعلوم أنه لم يصفه
بالايلام والايجاع وانما وصفه بالثبات والخلوص ومنه قول أبى الأسود الدؤلى

لاأشترى الحمد القليل بقاؤه * يوما بذم الدهر أجمع واصبا

أى دائما وقوله الا من خطف الخطفة يقول الا من استراق السمع منهم فأتبعه شهاب ثاقب
يعنى مضىء متوقد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأتبعه شهاب ثاقب من نار وثقوبه ضوءه حدثنا
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله شهاب ثاقب
قال شهاب مضىء يحرقه حين يرمى به حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى
قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فأتبعه شهاب قال كان ابن عباس يقول لا يقتلون

يقتضى هذا ويستعقبه وقوله
ماكنتم تعملون اشارة الى
عدم الزيادة فان الشئ لايزيد على
عينه كقولك فلان يجازينى حرفا
بحرف أى لايترك شيأ ويجوز
أن يراد الجنس أى لاتجزون
الا جنس العمل حسنا أوسيئا ثم
فصل حال المحسنين بطريق
الحكاية فى ذلك اليوم تصويرا
للوعود وترغيبا فيه فقال (ان أصحاب
الجنة اليوم فى شغل) لايكتنه كنهه
وفيه وجوه أقواها أنهم مشغولون
عن هول ذلك اليوم بمالهم
من الكرامات والدرجات وقوله
(فاكهون) مؤكد لذلك المعنى
أى شغلوا عنه باللذة والسرور
لابالويل والثبور وثانيها أنه بيان
لحالهم ولا يريد أنهم شغلوا عن شئ
بل المراد أنهم فى عمل ثم بين عملهم
بأنه ليس بشاق بل هو ملذ محبوب
وثالثها أنهم تصوروا فى الدنيا
أمورا يطلبونها فى الجنة فاذا رأوا
فيها مالم يخطر ببالهم اشتغلوا به
عنها وعن ابن عباس أن الشغل
افتضاض الابكار أو ضرب الأوتار
وقيل التزاور وقيل ضيافة الله
وعن الكلبى هم فى شغل عن
أهاليهم من أهل النار لايهمهم
أمرهم لئلا يدخل عليهم تنغيص
من تنعمهم والفاكه والفكه المتنعم
المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها تؤكل
للتلذذ لا للتغذى والفكاهة الحديث
لأجل التلذذ لا للضرورة والأزواج
ظاهرها زوج المرأة وزوجة الرجل
وقيل أراد أشكالهم فى الأحساب
وأمثالهم فى الايمان كقوله وآخر من شكله أزواج قال أهل العرفان من شرائط السماع الزمان والمكان والاخوان فقوله (هم وأزواجهم)
فى ظلال اشارة الى عدم الوجوه الموحشة وأن لهم فى ظل الله مايمنع الايذاء كقوله لايرون فيها شمسا ولازمهريرا وقوله (على الأرائك متكئون)

بشهاب ولا يموتون ولكنها تحرقهم من غير قتل وتخبل وتخدج من غير قتل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأتبعه شهاب ثاقب قال والثاقب المستوقد قال والرجل يقول أثقب نارك و يقول استثقب نارك استوقد نارك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيدالله قال سئل الضحاك هل للشياطين أجنحة فقال كيف يطيرون الى السماء الا ولهم أجنحة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت و يسخرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذين ينكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء يقول فسلهم أهم أشد خلقا يقول أخلقهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والارض وذكر أن ذلك فى قراءة عبدالله بن مسعود أهم أشد خلقا أم من عددنا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أهم أشد خلقا أم من خلقنا قال السموات والارض والجبال حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك أنه قرأ أهم أشد خلقا أم من عددنا وفى قراءة عبدالله بن مسعود عددنا يقول رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق يقول أهم أشد خلقا أم السموات والارض يقول السموات والارض أشد خلقا منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من عددنا من خلق السموات والارض قال الله لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاستفتهم أهم أشد خلقا قال يعنى المشركين سلهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب يقول انا خلقناهم من طين لاصق وانما وصفه جل ثناؤه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء والتراب اذا خلط بماء صار طينا لازبا والعرب تبدل أحيانا هذه الباء ميما فتقول طين لازم ومنه قول النجاشى الحارثى

بنى اللؤم بيتا فاستقر عماده * عليكم بنى النجار ضربة لازم

ومن اللازب قول نابغة بنى ذبيان

ولا تحسبون الخير لا شر بعده * ولا تحسبون الشر ضربة لازب

وربما أبدلوا الزاى التى فى اللازب تاء فيقولون طين لاتب وذكر أن ذلك فى قيس زعم الفراء أن أبا الجراح أنشده

صداع وتوصيم العظام وفترة * وغثى مع الاشراق فى الجوف لاتب

بمعنى لازم والفعل من لازب لزب يلزب و يلزب لزوبا وكذلك من لاتب لتب يلتب لتوبا وبنحو الذى قلنا فى معنى لازب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبيدالله بن يوسف الجبيرى قال ثنا محمد بن كثير قال ثنا مسلم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله من طين لازب قال هو الطين الحر الجيد اللزج حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبدالرحمن قالا ثنا سفيان

يأتيهم وقال جارالله هو للاتخاذ أى مايدعون به او مايدعون لأنفسهم كقولك يشتوى أى اتخذ لنفسه شواء أوهو بمعنى التداعى وعلى الوجهين اما أن يراد كل مايدعو به الله أحد أو كل ما يطلبه من صاحبه فانه يجاب له بذلك أو يراد أن كل ما يصح أن يدعى به و يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب وقيل معناه يتمنون من قولهم ادع على ماشئت أى تمنه على وقيل هو من الدعوى وذلك أنهم كانوا يدعون فى الدنيا أن الله هو مولاهم وأن الكافرين لا مولى لهم بينه قوله (سلام) يقال لهم (قولا من رب رحيم) أى من جهته بواسطة الملائكة وقيل أراد لهم مايدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا أى عدة وعلى هذا يكون قوله لهم البيان ومايدعون سلام مبتدأ وخبر كقولك لزيد الشرف متوفر وقال بعضهم يحتمل أن يكون قولا نصبا على التمييز لأن السلام من الملك قد يكون قولا وقد يكون اشارة وقال أهل البيان قوله (وامتازوا) معطوف على المعنى كانه قيل دوموا أيها المؤمنون فى النعيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون أوقلنا لأهل الجنة انكم فى شغل وقلنا لأهل النار امتازوا وهو كقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير أو تميزوا فى أنفسكم غيظا وحنقا فلا دواء لألمكم ولا شفاء لسقمكم كقوله فى صفة جهنم تكاد تميز من الغيظ أوافترقوا خلاف ما للمؤمن من الاجتماع بالاخوان فلا عذاب كفرقة الأخدان يؤيده ماروى عن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى وعن قتادة أراد اعتزلوا عن كل خير ترجون أو امتازوا عن شفعائكم وقرنائكم أو المراد تميزهم بسواد الوجه وزرقة العين و بأخذ الكتاب بالشمال و بخفة الميزان

وغيرذلك وقال صاحب المفتاح قوله ان أصحاب الجنة الى آخر الآيات خطاب لاهل المحشر بدلالة الفاء في قوله فاليوم لا تظلم بعد قوله ان كانت الاصيحة وقد جاء في التفاسير أن قوله ان أصحاب الجنة انما يقال حين يسار بهم الى الجنة فيؤل معنى الكلام

الى قول القائل ان أصحاب الجنة منكم يا أهل المحشر يؤل حالهم الى أسعد حال فليمتازوا عنكم الى الجنة وامتازوا أنتم عنهم أيها المجرمون ثم كان لسائل أن يقول ان الانسان خلق ظلوما جهولا والجهل عذر فبين الله تعالى أن الأعذار زائلة قائلا (ألم أعهد اليكم) والآية الى قوله أفلم تكونوا تعقلون شبه اعتراض فيه توبيخ لأهل النار وماذلك العهد عن بعضهم أنه الذى مر ذكره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل وقيل هو المذكور في قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم وقيل هو المبين على لسان الرسل ومعنى (لا تعبدوا) لا تطيعوا ولا تنقادوا وسوسته وتزيينه وقوله (هذا) اشارة الى ما عهد اليهم من مخالفة الشيطان وعبادة الرحمن قال أهل المعانى التنوين في قوله (صراط) للتعظيم اذ لا صراط أقوم منه أو للتنويع أى هذا بعض الطرق المستقيمة ففيه توبيخ لهم على العدول عنه كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ هذا فيما أظن قول نافع غير ضار وفى ذكر الصراط ههنا اشارة الى أن الانسان فى دار التكليف مسافر ومجتاز فى بادية يخاف فيما على نفسه وماله لا يكون عنده شئ أهم من معرفة طريق قريب أمن ثم بين لهم عداوة الشيطان بقوله (ولقد أضل منكم جبلا) وهو فى لغاته كلها بمعنى الخلق من جبله الله على كذا أى طبعه عليه عن على رضى الله عنه أنه قرأ جبيلا بياء

سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد عن ابن عباس قال اللازب الجيد **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال اللازب اللزج الطيب **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله من طين لازب يقول ملتصق **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انا خلقناهم من طين لازب قال من التراب والماء فيصير طينا يلزق **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله انا خلقناهم من طين لازب قال اللازب اللزج **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك انا خلقناهم من طين لازب واللازب الطين الجيد **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله انا خلقناهم من طين لازب واللازب الذى يلزق باليد **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من طين لازب قال لازم **حدثنا** عمرو ابن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله من طين لازب قال هو اللازق **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا خلقناهم من طين لازب قال اللازب الذى يتلصق كأنه غراء ذلك اللازب قوله بل عجبت ويسخرون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة بل عجبت ويسخرون بضم التاء من عجبت بمعنى بل عظم عندى وكبر اتخاذهم لى شريكا وتكذيبهم تنزيلى وهم يسخرون وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بل عجبت بفتح التاء بمعنى بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فان قال قائل وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما قيل انهما وان اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل وسخر منه أهل الشرك بالله وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون فى الله وسخر المشركون بما قالوه فان قال أكان التنزيل باحداهما أو بكلتيهما قيل التنزيل بكلتيهما فان قال وكيف يكون تنزيل حرف مرتين قيل انه لم ينزل مرتين انما أنزل مرة ولكنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما ولهذا موضع سنستقصى ان شاء الله فيه البيان عنه بما فيه الكفاية ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل عجبت ويسخرون قال عجب محمد عليه السلام من هذا القرآن حين أعطيه وسخر منه أهل الضلالة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون﴾ يقول تعالى ذكره واذا ذكر هؤلاء المشركون حجج الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا فينيبوا الى طاعة الله لا يذكرون يقول لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا ذكروا لا يذكرون أى لا ينتفعون ولا يبصرون وقوله واذا رأوا آية يستسخرون يقول واذا رأوا حجة من حجج الله عليهم ودلالة على نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يستسخرون يقول يسخرون

منقوطة من تحت بنقطتين ثم أشار الى محل امتياز المجرمين اليه بقوله (هذه جهنم) وقوله (اصلوها) أمر اهانة وتنكيل نحو ذق وفى قوله (اليوم) اشارة الى أن اللذات قد مضت وأياما قد انقضت وليس بعد ذلك الا العقاب روى أهل التفسير أنهم يجحدون يوم القيامة كفرهم فى الدنيا

ويستهزؤن وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا رأوا آية يستسخرون يسخرون منها ويستهزؤن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله واذا رأوا آية يستسخرون قال يستهزؤن يسخرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون من قريش بالله لمحمد صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئتنا به الا سحر مبين يقول يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون يقولون منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا ومصيرنا ترابا وعظاما قد ذهب عنها اللحوم أو آباؤنا الأولون الذين مضوا من قبلنا فبادوا وهلكوا يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابا وعظاما أحياء كما كنتم قبل مماتكم وأنتم داخرون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون تكذيبا بالبعث قل نعم وأنتم داخرون وقوله وأنتم داخرون يقول تعالى ذكره وأنتم صاغرون أشد الصغر من قولهم صاغر داخر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنتم داخرون أى صاغرون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وأنتم داخرون قال صاغرون وقوله فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون يقول تعالى ذكره فانما هى صيحة واحدة وذلك هو النفخ فى الصور فاذا هم ينظرون يقول فاذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون الى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله زجرة واحدة قال هى النفخة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون المكذبون اذا زجرت زجرة واحدة ونفخ فى الصور نفخة واحدة ياويلنا هذا يوم الدين يقولون هذا يوم الجزاء والمحاسبة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا يوم الدين قال يدين الله فيه العباد بأعمالهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله هذا يوم الدين قال يوم الحساب وقوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون يقول تعالى ذكره هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذى كنتم به تكذبون فى الدنيا فتنكرونه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون يعنى يوم القيامة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله هذا يوم الفصل قال يوم يقضى بين أهل الجنة وأهل النار ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى

فحينئذ يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا أجيز شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل قال المتكلمون انه لا يبعد من الله تعالى انطاق كل جرم من الأجرام انطاق اللسان وهو فاعل لما يشاء كما يشاء قال الحكيم انهم لا يتكلمون بشئ لانقطاع أعذارهم وانهتاك أستارهم فيقفون ناكسى الرؤس وقوف القنوط اليؤس وتكلم الأعضاء عبارة عن ظهور أمارات الذنوب عليهم بحيث لا يبقى للانكار مجال كقول القائل الحيطان تبكى على صاحب الدار اذا ظهر أمارات الحزن وأسبابه ثم انه تعالى أسند الختم الى نفسه وأسند التكلم والشهادة الى الأيدى والأرجل لئلا يقال ان الاقرار بالاجبار غير مقبول وأيضا انه أسند التكلم الى الأيدى والشهادة الى الأرجل لأن الاعمال مستندة الى الأيدى غالبا كقوله وما عملته أيديهم بما كسبت أيديهم فهى كالعاملة والشاهد على العامل ينبغى أن يكون غيره وانما جعلت الشهادة عليهم منهم لأن غيرهم اما صالحون وهم أعداء للمجرمين فلهم أن يقولوا شهادتهم غير مقبولة فى حقنا واما فاسقون وشهادة الفسقة غير مقبولة شرعا * وههنا نكتة وهى أن الختم لازم للكفار فى الدارين ختم الله على قلوبهم فى الدنيا وكان قولهم بأفواههم كما قال يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ثم اذا ختم على أفواههم أيضا فى الآخرة لزم أن يكون قولهم بسائر أعضائهم هذا وقد ذكرنا مرارا أنه تعالى كلما يذكر تمسك الجبرية يذكر عقيبه تمسك القدرية وبالعكس وكان للقدرية أن تمسك بقوله يكسبون يكفرون حيث أسند الله الكفر والكسب اليهم فلا جرم عقبه بتمسك الجبرى وهو قوله (ولو نشاء لطمسنا) ووجه التمسك أن إعماء البصائر شبه إعماء الابصار

احشروا

وسلب القوة العقلية كسلب القوة الجسمية فكأنه لوشاء لطمس على أبصارهم حتى لايهتدوا الى الطريق القاهر الظاهر ولوشاء لسلب قوة جسومهم بالمسخ حتى لايقدروا على تقدم ولا تأخر فكذلك اذا شاء أعمى البصائر وسلب قواهم العقلية حتى

{احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صرط الجحيم} وفى هذا الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك وهو فيقال احشروا الذين ظلموا ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله فى الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال ضرباءهم حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس احشروا الذين ظلموا وأزواجهم يقول نظراءهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم يعنى أتباعهم ومن أشبههم من الظلمة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود قال سألت أبا العالية عن قول الله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله قال الذين ظلموا وأشياعهم حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن أبى العالية أنه قال فى هذه الآية احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال وأشياعهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا داود عن أبى العالية مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أى وأشياعهم الكفار مع الكفار حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال وأشباههم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أزواجهم فى الأعمال وقرأ وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون فالسابقون زوج وأصحاب الميمنة زوج وأصحاب الشمال زوج قال كل من كان من هذا حشره الله معه وقرأ واذا النفوس زوجت قال زوجت على الاعمال لكل واحد من هؤلاء زوج زوج الله بعض هؤلاء بعضا زوج أصحاب اليمين أصحاب اليمين وأصحاب المشأمة أصحاب المشأمة والسابقين السابقين قال فهذا قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أزواج الاعمال التى زوجهن الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأزواجهم قال أمثالهم وقوله وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم يقول تعالى ذكره احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله فوجهوهم الى طريق الجحيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كانوا يعبدون من دون الله الأصنام حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم يقول وجهوهم وقيل ان الجحيم الباب الرابع من أبواب النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {وقفوهم انهم مسئولون مالكم لاتناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون} يقول تعالى ذكره وقفوهم احبسوهم أى احبسوا أيها

لم يفهموا دليلا ولم يتفكروا فى آية والطمس محو أثر شق العين قال جار الله (فاستبقوا الصراط) أصله فاستبقوا الى الصراط فانتصب بنزع الخافض والمعنى لوشاء لمسخ أعينهم فلو راموا أن يسبقوا الى الصراط الذى عهدوه واعتادوا على سلوكه الى مساكنهم لم يقدروا عليه اذ الصراط طريق الاستباق والاستباق مضمن معنى الابتدار فالمراد لوشاء لأعماهم حتى لو أرادوا أن يمشوا مستبقين فى الطريق المألوف أو مبتدرين اياه كما كان هجيراهم لم يستطيعوا أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه فالمعنى لو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذى اعتادوه لعجزوا ولم يقدروا الا على سلوك الطريق المعتاد كالعميان يهتدون فيما ألفوا من المقاصد والجهات دون غيرها عن ابن عباس أراد لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم أو أزمناهم على أرجلهم والمكان والمكانة واحد اراد مسخا مجدا بحيث لايقدرون أن يرجعوا مكانهم وانما قدم الطمس على المسخ تدرجا من الأهون الى الأصعب فان الأعمى قد يهتدى الى وجوه التصرف بأمارات عقلية أو حسية غير البصر وأما الممسوخ على مكانه فلا يهتدى الى شئ أصلا ولمثل ماقلنا قدم المضى على الرجوع فان سلوك طريق قد رآه مرة يكون أهون مما لم يره أصلا فنفى أولا استطاعة الأصعب ثم نفى استطاعة الأهون أيضا لأجل

المبالغة وحين قطع الاعذار بسبق الانذار وذلك فى قوله ألم أعهد اليكم شرع فى قطع عذر آخر للكافر وهو أن يقول لم يكن لبثنا فى الدنيا الا يسيرا ولو عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله تعالى (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) كقوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر أفلا تعقلون أنكم كلما

الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة انهم مسئولون فاختلف أهل التأويل في المعنى الذي يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألتهم عنه فقال بعضهم يسألهم هل يعجبهم ورود النار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء قال كنا عند عبد الله فذكر قصة ثم قال يتمثل الله للخلق فيلقاهم فليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئا الا وهو مرفوع له يتبعه قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون قال فيقولون نعبد عزيرا قال فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ثم قرأ انا عرضنا جهنم للكافرين عرضا قال ثم يلقى النصارى فيقول من تعبدون فيقولون المسيح فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا ثم قرأ عبد الله وقفوهم انهم مسئولون * وقال آخرون بل ذلك للسؤال عن أعمالهم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا معتمر عن ليث عن رجل عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما رجل دعا رجلا الى شئ كان موقوفا لازما به لا يغادره ولا يفارقه ثم قرأ هذه الآية وقفوهم انهم مسئولون * وقال آخرون بل معنى ذلك وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم انهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله وقوله مالكم لا تناصرون يقول مالكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضا بل هم اليوم مستسلمون يقول بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه موقنون بعذابه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مالكم لا تناصرون لا والله لا يتناصرون ولا يدفع بعضهم عن بعض بل هم اليوم مستسلمون في عذاب الله وقوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قيل معنى ذلك وأقبل الانس على الجن يتساءلون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون الانس على الجن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين﴾ يقول تعالى ذكره قالت الانس للجن انكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه واليمين القوة والقدرة في كلام العرب ومنه قول الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

يعني بالقوة والقدرة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تأتوننا عن اليمين قال عن الحق الكفار تقوله للشياطين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال قالت الانس للجن انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطئوننا عنه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل وتصدوننا عن الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال قال بنو آدم

للشياطين

دخلتم في السن ضعفتم ولقد عمرتم ما تمكنتم فيه من النظر والعمل ومن لم يأت بالواجب في زمان الامكان لم يأت به في زمن الازمان وعن بعضهم

طوى العصران ما نشراه مني * فأبلى جدتي نشر وطي
أراني كل يوم في انتقاص * ولا يبقى على النقصان شيء

وقال آخر

أرى الأيام تتركني وتمضي
وأوشك أنها تبقى وأمضي
علامة ذاك شيب قد علاني
وضعف عند إبرامي ونقضي
وما كذب الذي قد قال قبلي
اذا ما مر يوم مر بعضي

وحيث بين أصل الوحدانية والحشر في هذه السورة مرات أقر بها قوله وأن اعبدوني وقوله هذه جهنم الى آخرها عاد الى أصل الرسالة بقوله (وما علمناه الشعر) وانما لم يقل وما علمناه السحر ولا الكهانة مع أنهم ادعوا أنه ساحر كاهن لأنه ما تحداهم الا بالقرآن وانما نسبوه الى السحر عند اظهار فعل خارق كشق القمر وحنين الجذع اليه ونسبوه الى الكهانة عند إخباره عن الغيوب وهو نوع خاص من الكلام من غير اعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية قال جار الله معنى قوله (وما ينبغي له) أنه لا يتأتى له ولا يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدي للخط وروى عن الخليل أن الشعر كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له قال وما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

وقال

هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت

كلام اتفاقي من غير قصد وتعمد والشعر كلام موزون مقفى مع تعمد وقيل أراد نفي الشعر عن القرآن فقال وما علمناه بتعليم القرآن الشعر وما ينبغي للقرآن أن يكون شعرا وأنا أقول الأحسن أن يقال ما ينبغي له معناه أنه لا يليق بجلالة منصبه لأن الشعر مادته كلام يفيد تأثيرا دون التصديق وهو التخييل وأما الوزن والقافية فهما كالصورة ويفيدانه ترويجا وتزيينا

للشياطين الذين كفروا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال تحولون بيننا وبين الخير وردد تمونا عن الاسلام والايمان والعمل بالخير الذى أمر الله به وقوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان يقول تعالى ذكره قالت الجن للانس مجيبة لهم بل لم تكونوا بتوحيد الله مقرّين وكنتم للأصنام عابدين وما كان لنا عليكم من سلطان يقول قالوا وما كان لنا عليكم من حجة فنصدّكم بها عن الايمان ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحق بل كنتم قوما طاغين يقول قالوا لهم بل كنتم أيها المشركون قوما طاغين على الله متعدّين الى ماليس لكم التعدّى اليه من معصية الله وخلاف أمره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قالت لهم الجن بل لم تكونوا مؤمنين حتى بلغ قوما طاغين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وما كان لنا عليكم من سلطان قال الحجة وفى قوله بل كنتم قوما طاغين قال كفار ضلال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ يقول تعالى ذكره فحق علينا قول ربنا فوجب علينا عذاب ربنا انا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدمنا من ذنوبنا ومعصيتنا فى الدنيا فهذا خبر من الله عن قيل الجن والانس كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فحق علينا قول ربنا الآية قال هذا قول الجن وقوله فأغويناكم انا كنا غاوين يقول فأضللناكم عن سبيل الله والايمان به انا كنا ضالين وهذا أيضا خبر من الله عن قيل الجن والانس قال الله فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون يقول فان الانس الذين كفروا بالله وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله والذين أغووا الانس من الجن يوم القيامة فى العذاب مشتركون جميعا فى النار كما اشتركوا فى الدنيا فى معصية الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون قال هم والشياطين انا كذلك نفعل بالمجرمين يقول تعالى ذكره انا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصى الله فى الدنيا على طاعته والكفر به على الايمان فنذيقهم العذاب الأليم ونجمع بينهم وبين قرنائهم فى النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدّق المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره وان هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات كانوا فى الدنيا اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون يقول يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون وترك من الكلام قولوا اكتفاء بدلالة الكلام عليه من ذكره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون قال يعنى المشركين خاصة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون قال قال عمر بن الخطاب احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله فانهم يرون ويسمعون وقوله ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون من قريش أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون يقول لاتباع شاعر مجنون يعنون بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم ونقول لا اله الا الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

أى موعظة (وقرآن مبين) ذوالبيان أوالابانة وأنه يشمل البرهان والجدل أما البرهان فظاهر وأما الجدل فلان النتيجة اذا كانت فى نفسها حقة فالرجل العالم المحق ليس عليه الا إفحام الخصم الألد والزامه بمقدمات مسلمة أو مشهورة ومما يؤيد ما ذكرنا ماروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ قول طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

هكذا ويأتيك من لم تزود بالأخبار ولا ريب أنه كان يتأتى له رواية الشعر ان لم يتأت له قرضه وما ذاك الا للتنزه عما يشبه ما يشين رتبته ولا يوافق مغزاه ويروى أنه صلى الله عليه وسلم حين قال

* هل أنت الا اصبع دميت *

انقطع الوحى أياما حتى قالت الكفار ان محمدا قد ودعه ربه وقلاه وهذا أحد أسباب نزول تلك الآية ولمثل ما قلنا لم يروعنه كلام منظوم وان كان حقا وصدقا كالذى قاله بعض الشعراء فى التوحيد والحقائق وقد أشار الى نحو ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقد مر فى تفسير قوله سبحانه فى آخر الشعراء الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذلك أن الشاعر يقصد لفظا فيوافقه معنى حكمى وبالجملة لايخلو الشعر عن تكلف ما وقد يدعوه النظم الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ فأين الشارع من الشاعر ثم بين كون القرآن منزلا على هذا الوجه بقوله (لتنذر) يا محمد أو لينذر

هو أى القرآن (من كان حيا) عاقلا متأملا ويجوز أن تكون الحياة عبارة عن الايمان أو المراد بالحى من يؤل حاله الى الايمان أو المراد بالانذار الانتفاع به مثل هدى للمتقين انما تنذر من اتبع الذكر وقوله (ويحق القول) كقوله

في أول السورة لقد حق القول وقدمر وهذا كلام مطابق من حيث المعنى كانه قال لتنذر من كان حيا ويحق القول على من كان ميتا لان الكافر في عداد الموتى ثم عاد الى تقرير دلائل الوحدانية (٣٤) مع تعداد النعم فقال (اولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت) أي من جملة ما عملته

و يقولون أئنا لتاركو آلهتنا الشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله بل جاء بالحق وهذا خبر من الله مكذب للمشركين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم شاعر مجنون كذبوا ما محمد كما وصفوه به من أنه شاعر مجنون بل هو لله نبي جاء بالحق من عنده وهو القرآن الذي أنزله عليه وصدق المرسلين الذين كانوا من قبله وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل جاء بالحق بالقرآن وصدق المرسلين أي صدق من كان قبله من المرسلين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ انكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة القائلين لمحمد شاعر مجنون انكم أيها المشركون لذائقوا العذاب الموجع في الآخرة وما تجزون يقول وما تثابون في الآخرة اذا ذقتم العذاب الأليم فيها الا ثواب ما كنتم في الدنيا تعملون من معاصي الله وقوله الا عباد الله المخلصين يقول الا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته وكتب لهم السعادة في أم الكتاب فانهم لا يذوقون العذاب لأنهم أهل طاعة الله وأهل الايمان به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا عباد الله المخلصين قال هذه ثنية الله وقوله أولئك لهم رزق معلوم يقول هؤلاء وهم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم وذلك الرزق المعلوم هو الفواكه التي خلقها الله لهم في الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك لهم رزق معلوم في الجنة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله أولئك لهم رزق معلوم قال في الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ قوله فواكه ردا على الرزق المعلوم تفسيرا له ولذلك رفعت وقوله وهم مكرمون يقول وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في الجنة مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها في جنات النعيم يعني في بساتين النعيم على سرر متقابلين يعني أن بعضهم يقابل بعضا ولا ينظر بعضهم في قفا بعض وقوله يطاف عليهم بكأس من معين يقول تعالى ذكره يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يطاف عليهم بكأس من معين قال كأس من خمر جارية والمعين هي الجارية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم في قوله بكأس من معين قال كل كأس في القرآن فهو خمر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الله بن داود عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال كل كأس في القرآن فهو خمر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله بكأس من معين قال الخمر والكأس عند العرب كل اناء فيه شراب فان لم يكن فيه شراب لم يكن كأسا ولكنه يكون اناء وقوله بيضاء لذة للشاربين يعني بالبيضاء الكأس ولتأنيث الكأس أنثت البيضاء ولم يقل أبيض وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله صفراء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله بيضاء قال السدي في قراءة عبد الله صفراء وقوله لذة للشاربين يقول هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها وقوله لا فيها غول يقول لا في هذه الخمر غول وهو

(أيدينا) فاستعار عمل الأيدي لتفرده بالاحداث والايجاد مع اشتمال المحدث والموجد على غرائب وعجائب حتى قال فيه أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وقوله (فهم لها مالكون) اشارة الى اتمام الانعام في خلق الأنعام وقوله (وذللناها لهم) اشارة الى ما فوق التمام فقد يملك الشئ ولا يكون مسخرا ومن الذي يقدر على تذليل الابل لولا أمر الله بتسخيرها حتى قال بعضهم

يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير

والجرير حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة ومن زعم أن الملك بمعنى الضبط من قوله لا أملك رأس البعير أن يفر يلزمه التكرار ثم فصل بعض منافعها بقوله (فمنها ركوبهم) والركوب والركوبة ما يركب كالحلوب والحلوبة والتاء للمبالغة وقيل للوحدة والمنافع كالجلود والأوبار والأصواف ذكرها بالاسم العام لما في تفصيلها من الطول والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أي الاواني المتخذة من جلودها أو هو الشرب كالألبان والاسمان وحين وبخهم على عدم الشكر بقوله (أفلا يشكرون) زاد في توبيخهم بقوله (واتخذوا من دون الله آلهة) أي وضعوا الشرك مكان الشكر فلا أظلم منهم وفي قوله (لعلهم ينصرون) الى قوله محضرون وجهان أحدهما أنهم طمعوا في أن يتقووا بهم و يعتضدوا بمكانهم والامر عكس ذلك حيث هم جند لآلهتهم معدون يخدمونهم ويذبون عنهم من غير نفع أن في آلهتهم وثانيهما اتخذوهم لينصروهم عند الله بالشفاعة والامر على خلاف ذلك حيث ان آلهتهم يوم القيامة جند محضرون لعذابهم لأنهم

يعملون وقود النار ووجه ثالث وهو ان يكون قوله وهم لهم جند محضرون تأكيدا لعدم الاستطاعة فان من حضر واجتمع ثم عجز عن النصرة يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يتأهب ولم يجمع أنصاره ثم عقب دليل التوحيد بالرسالة مسليا رسوله بقوله (فلا يحزنك

أن تغتال عقولهم يقول لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها كما تذهب بها خمور أهل الدنيا اذا شربوها فأكثروا منها كما قال الشاعر

وما زالت الكأس تغتالنا * وتذهب بالأول الأول

والعرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول بمعنى واحد ورفع غول ولم ينصب بلا لدخول حرف الصفة بينها و بين الغول وكذلك تفعل العرب في التبرئة اذا حالت بين لا والاسم بحرف من حروف الصفات رفعوا الاسم ولم ينصبوه وقد يحتمل قوله لا فيها غول أن يكون معنيا به ليس فيها ما يؤذيهم من مكروه وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه أو ينال بداهية عظيمة غال فلانا غول وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه ليس فيها صداع ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا فيها غول يقول ليس فيها صداع * وقال آخرون بل معنى ذلك ليس فيها أذى فتشتكي منه بطونهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا فيها غول قال هي الخمر ليس فيها وجع بطن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا فيها غول قال وجع بطن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا فيها غول قال الغول ما يوجع البطون وشارب الخمر ههنا يشتكي بطنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا فيها غول يقول ليس فيها وجع بطن ولا صداع رأس * وقال آخرون معنى ذلك أنها لا تغول عقولهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي لا فيها غول قال لا تغتال عقولهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ليس فيها أذى ولا مكروه ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة عن اسرائيل عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في قوله لا فيها غول قال أذى ولا مكروه حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا عبدالله بن يزيد قال أخبرنا اسرائيل عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله لا فيها غول قال ليس فيها أذى ولا مكروه * وقال آخرون بل معنى ذلك ليس فيها اثم ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه وذلك أن الغول في كلام العرب هو ما غال الانسان فذهب به فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل فقالوا غالت فلانا غول فالذاهب العقل من شرب الشراب والمشتكي البطن منه والمصدع الرأس من ذلك والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غول فاذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غول فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جل ثناؤه لا فيها غول فيعم بنفي كل معاني الغول عنه وأعم ذلك أن يقال لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل ولا غير ذلك واختلفت القراء في قراءة قوله ولا هم عنها ينزفون فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة ينزفون بفتح الزاي بمعنى ولا هم عن شربها تنزف عقولهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ولا هم عنها ينزفون بكسر الزاي بمعنى ولا هم عن شربها ينفد شرابهم * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفتيه فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شرابهم ولا يسكرهم

قولهم) باتخاذ الشريك لله أو بالطعن في الرسالة او بالايذاء والتهديد ثم علل عدم الحزن بقوله (انا نعلم ما يسرون) من النفاق وسائر العقائد الفاسدة (وما يعلنون) من الشرك وسائر الأفعال القبيحة أو يسرون من المعرفة بالله و يعلنون من العناد وجوز جار الله فتح أن على تقدير لام التعليل بل جوز أن تكون المفتوحة بدلا من قولهم والمكسورة مفعولا لقولهم و يكون نهي الرسول عن ذلك كنهيه عن الشرك في قوله ولا تكونن من المشركين ثم أردف الرسالة بالحشر مع أن فيه دليلا آخر على التوحيد مأخوذا من الانفس فان الاول كان مأخوذا من الآفاق وفي قوله (فاذا هو خصيم مبين) وجهان أحدهما فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق معرب عما في ضميره كقوله أو من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقوله من نطفة اشارة الى أدنى ما كان عليه الانسان وقوله فاذا هو خصيم مبين اشارة الى أعلى ما حصل عليه الآن لان أعلى أحوال الناطق أن يقدر على المخاصمة والذب عن نفسه بالكلام الفصيح وثانيهما قول كثير من المفسرين انها نزلت في جماعة من كفار قريش تكلموا في البعث فقال لهم أبي بن خلف الجمحي واللات والعزى لأصيرن الى محمد ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده و يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك و يدخلك جهنم قال أهل البيان سمي قولهم من يحيي العظام وهي رميم مثلا لانه انكار قدرة الله تعالى على احياء الموتى قصة عجيبة وفيه تشبيه الخالق القادر العليم بالمخلوق العاجز عن خلق أدنى بعوضة الجاهل بما يجري عليه من الاحوال والرميم اسم لما بلي من العظام كالرمة والرفات

ولا يبعد ان يكون صفة ولم تؤنث بتقدير موصوف محذوف أي شيء رميم أولأنه بمعنى فاعل كقوله ان رحمة الله قريب وفي الآية دليل ظاهر
على أن عظام الميتة نجسة لان الموت والحياة يتعاقبان عليها وقال أصحاب أبي حنيفة انها طاهرة وان الحياة لاتحل فيها

فلا يتصور موتها وكذا الشعر والعصب وتأولوا الآية بأن المراد باحياء العظام ردها على ما كانت عليه غضة طرية في بدن حي حساس واعلم أن المنكرين للحشر منهم من اكتفى في انكاره بمجرد الاستبعاد كقوله من يحيي العظام وهي رميم فأزال استبعادهم بتصوير الخلق الاول فان الذي قدر على جعل النطفة المتشابهة الاجزاء انسانا مختلف الابعاض والاعضاء مودعا فيه الفهم والعقل وسائر أسباب المزية والفضل فهو على اعادتها أقدر ومنهم من ذكر شبهة وهي كقولهم ان الانسان بعد العدم لم يبق شيأ فكيف يصح اعادة المعدوم عقلا أو كقولهم ان الذي تفرقت أجزاؤه في أبدان السباع وجدران الرباع كيف يجمع و يعاد أو كقولهم ان انسانا اذا نشأ مغتذيا بلحم انسان آخر فلابد أن لايبقى للآكل وللمأكول جزء يمكن اعادته فأجاب الله تعالى عن الاول بقوله (يحييها الذي أنشأها أول مرة) يعني كما خلق الانسان ولم يكن شيأ مذكورا فانه يعيده وان لم يكن شيأ وعن الباقيتين بقوله (وهو بكل خلق عليم) فيجمع الاجزاء المتفرقة في البقاع والسباع وهكذا يعلم الاصلي من الفضلي فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل والمأكول ثم شبه خلق الانسان بل الحيوان من قبل ايداع الحرارة الغريزية التي بها قوام الحياة في جوهر رطب طري بانشاء الشجر الاخضر الذي تتقدح منه النار قالت العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر واستغزر يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضرا وان يقطر ابن منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار باذن الله عزوجل وعن ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار الا العناب

شربهم اياه فيذهب عقولهم واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه لاتذهب عقولهم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ولاهم عنها ينزفون يقول لاتذهب عقولهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولاهم عنها ينزفون يقول لاتنزف فتذهب عقولهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولاهم عنها ينزفون قال لاتذهب عقولهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ولاهم عنها ينزفون قال لاتنزف عقولهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولاهم عنها ينزفون قال لاتنزف العقول حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولاهم عنها ينزفون قال لاتغلبهم على عقولهم وهذا التأويل الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه لم تفصل لنا رواته القراءة الذي هذا تأويلها وقد يحتمل أن يكون ذلك تأويل قراءة من قرأها ينزفون و ينزفون كلتيهما وذلك أن العرب تقول قد نزف الرجل فهو منزوف اذا ذهب عقله من السكر وأنزف فهو منزوف محكية عنهم اللغتان كلتاهما في ذهاب العقل من السكر وأما اذا فنيت خمر القوم فاني لم أسمع فيه الا أنزف القوم بالألف ومن الانزاف بمعنى ذهاب العقل من السكر قول الأبيرد

لعمري لئن أنزفتمو أو صحوتمو * لبئس الندامى كنتمو آل أبجرا

القول في تأويل قوله تعالى (وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يقول تعالى وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف وهن النساء اللواتي قصرن أطرافهن على بعولتهن ولا يردن غيرهم ولا يمددن أبصارهن الى غيرهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وعندهم قاصرات الطرف عين يقول عن غير أزواجهن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعندهم قاصرات الطرف عين قال على أزواجهن زاد الحارث في حديثه لاتبغي غيرهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وعندهم قاصرات الطرف قال قصرن أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر أيضا عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعندهم قاصرات الطرف قال قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله قاصرات الطرف قال لاينظرن الا الى أزواجهن قد قصرن أطرافهن على أزواجهن ليس كما يكون نساء أهل الدنيا وقوله عين يعني بالعين النجل العيون عظامها وهي جمع عيناء والعيناء المرأة الواسعة العين عظيمتها وهي أحسن ما تكون من العيون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد

ابن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله عين قال عظام الأعين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله عين قال العيناء العظيمة العين حدثنا أحمد ابن عبدالرحمن بن وهب قال ثنا محمد بن الفرج الصدفى الدمياطى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن أبيه عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله حور عين قال العين الضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر وقوله كأنهن بيض مكنون اختلف أهل التأويل فى الذى به شبههن من البيض بهذا القول فقال بعضهم شبههن ببطن البيض فى البياض وهو الذى داخل القشر وذلك أن ذلك لم يمسه شئ ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله كأنهن بيض مكنون قال كأنهن بطن البيض حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كأنهن بيض مكنون قال البيض حين يقشر قبل أن تمسه الأيدى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كأنهن بيض مكنون لم تمر به الأيدى ولم تمسه يشبهن بياضه * وقال آخرون بل شبههن بالبيض الذى يحضنه الطائر فهو الى الصفرة فشبه بياضهن فى الصفرة بذلك ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كأنهن بيض مكنون قال البيض الذى يكنه الريش مثل بيض النعام الذى قد أكنه الريش من الريح فهو أبيض الى الصفرة فكأنه يبرق فذلك المكنون * وقال آخرون بل عنى بالبيض فى هذا الموضع اللؤلؤ و به شبههن فى بياضه وصفائه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كأنهن بيض مكنون يقول اللؤلؤ المكنون * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال شبههن فى بياضهن وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن انس ولا جان ببياض البيض الذى هو داخل القشر وذلك هو الجلدة الملبسة المح قبل أن تمسه يد أو شئ غيرها وذلك لا شك هو المكنون فأما القشرة العليا فان الطائر يمسها والأيدى تباشرها والعش يلقاها والعرب تقول لكل مصون مكنون ما كان ذلك الشئ لؤلؤا كان أو بيضا أو متاعا كما قال أبو دهبل

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

وتقول لكل شئ أضمرته الصدور أكننته فهو مكن و بنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن عبدالرحمن بن وهب قال ثنا محمد بن الفرج الصدفى الدمياطى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قلت يارسول الله أخبرنى عن قوله كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلدة التى رأيتها فى داخل البيضة التى تلى القشر وهى الغرقئ وقوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون يقول تعالى ذكره فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون يقول يسأل بعضهم بعضا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون أهل الجنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال أهل الجنة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين

ابداء واعادة بتذكر خلق السموات والارض الذى هو أكبر من خلق الناس ثم أثبت ما نفاه مستفهما للتقرير بقوله (بلى وهو الخلاق) الكثير الخلق الكامل فيه (العليم) بكل جوهر وعرض وما يطلق عليه اسم الشيئية ثم بين أن ايجاده ليس متوقفا الا على تعلق الارادة بالمقدور وقدمر تقريره فى أوائل البقرة وغيرها قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن المعدوم شئ وأجيب بأن الآية دلت على أنه حين تعلق الارادة به شئ أما انه قبل ذلك شئ فكلا ثم ختم السورة بتقرير المبدا والمعاد على الاجمال فقوله (بيده ملكوت كل شئ) اشارة الى المبدا وقوله (واليه ترجعون) اشارة الى المعاد واذا تقرر الطرفان فما بينهما الوسط المشتمل على التكاليف والرسالة فهذه الآية كالنتيجة للمقدمات السابقة فى السورة عن ابن عباس كنت لا أعلم ماروى فى فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا أنه لهذه الآية روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس فذكر الامام الغزالى رضى الله عنه أن الايمان صحته بالاعتراف بالحشر وانه مقرر فى هذه السورة بابلغ وجه فلذلك سماها قلب القرآن وقال غيره ان الاصول الثلاثة التى يتعلق بها نصيب الجنان وهى التوحيد والرسالة والحشر مكررة فى هذه السورة وليس فيها شئ من بيان وظيفة اللسان ولا العمل بالاركان فلما كان أعمال القلب لاغير سماه قلبا ولهذا ورد فى الاخبار أنه ينبغى أن تقرأ على الميت حالة النزع وذلك ليزداد بها قوة قلبه فان الاعضاء الظاهرة وقتئذ ساقطة المنة والقلب مقبل على الله معرض عما سواه ولنا فيه وجه هو بالتأويل أشبه فلنذكره هنالك

أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴾ يقول تعالى ذكره قال قائل من أهل الجنة اذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون اني كان لي قرين فاختلف أهل التأويل في القرين الذي ذكر في هذا الموضع فقال بعضهم كان ذلك القرين شيطانا وهو الذي كان يقول له أئنك لمن المصدقين بالبعث بعد الممات ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الله اني كان لي قرين قال شيطان * وقال آخرون ذلك القرين شريك كان له من بني آدم أو صاحب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين قال هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الايمان فيقول له المشرك انك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا ترابا فلما أن صار والى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة وأدخل المشرك النار فاطلع المؤمن فرأى صاحبه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن ثعلبة البهراني في قوله اني كان لي قرين قال ان رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة فقال الذي له حرفة للآخر ليس لك حرفة ما أراني الا مفارقك ومقاسمك فقاسمه وفارقه ثم ان الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار قال ما أحسنها فلما خرج قال اللهم ان صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار واني أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم انه تزوج امرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاما فلما أتاه قال اني تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انصرف قال يارب ان صاحبي تزوج امرأة بألف دينار واني أسألك امرأة من الحور العين فتصدق بألف دينار ثم انه مكث ما شاء الله أن يمكث ثم اشترى بستانين بألفي دينار ثم دعاه فأراه فقال اني ابتعت هذين البستانين فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يارب ان صاحبي قد اشترى بستانين بألفي دينار وأنا أسألك بستانين من الجنة فتصدق بألفي دينار ثم ان الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق بهذا المتصدق فأدخله دارا تعجبه فاذا امرأة تطلع يضيء ما تحتها من حسنها ثم أدخله بستانين وشيأ الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة قال فانه كان لي صاحب يقول أئنك لمن المصدقين قيل له فانه في الجحيم قال فهل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم فقال عند ذلك تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين الآيات وهذا التأويل الذي تأوله فرات بن ثعلبة يقوي قراءة من قرأ أئنك لمن المصدقين بتشديد الصاد بمعنى لمن المتصدقين لأنه يذكر أن الله تعالى ذكره انما أعطاه ما أعطاه على الصدقة لا على التصديق وقراءة قراء الامصار على خلاف ذلك بل قراءتها بتخفيف الصاد وتشديد الدال بمعنى انكار قرينه عليه التصديق أنه يبعث بعد الموت كأنه قال أتصدق بأنك تبعث بعد مماتك وتجزى بعملك وتحاسب يدل على ذلك قول الله أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون وهي القراءة الصحيحة عندنا التي لا يجوز خلافها لاجماع الحجة من

التأويل اتقوا ما بين أيديكم من الدنيا وشهواتها وما خلفكم من نعيم الجنة ولذاتها لعلكم ترحمون بمشاهدة الجمال وأنوار الكمال ونفخ في الصور اشارة الى نفخ اسرافيل المحبة في صور القلب فاذا السر والروح والخفي من أجداث أوصاف البشرية الى ربهم ينسلون يرجعون بعضها بالسير و بعضها بالطيران ان أصحاب الجنة اليوم في شغل شغلهم الله بالفاكهة عن المشاهدة كما قال بعض الصوفية والناس يخرجون من مسجد الجامع هؤلاء حشو الجنة وللمجالسة أقوام آخرون وهم الفارغون من الالتفات الى الكونين قال الله تعالى فاذا فرغت أي من تعلقات الكونين فانصب لطلب الوصال ويحكى أن الآية قرئت في مجلس الشبلي رضي الله عنه فشهق شهقة وغاب فلما أفاق قال مساكين لو علموا أنهم عم شغلوا لهلكوا ويحتمل أن يقال انهم اليوم أي في الدنيا في شغل بانواع الطاعات والعبادات من طلب الحق والشوق الى لقائه كما يحكى عن يحيى ابن معاذ أنه قال رأيت رب العزة في منامي فقال لي يا ابن معاذ كل الناس يطلبون مني الا أبا يزيد فانه يطلبني ويمكن أن يقال انهم اليوم في الدنيا في شغل بالطاعات والرضا بما قسم الله عن طلب اللذات والفوائد وارتكاب المحرمات والزوائد أو يقال انه خطاب للعصاة فان أهل الله هم المستغرقون في بحار عظمة الله وأهل الجنة مشتغلون باستيفاء اللذات وليس للعصاة الا رحمتي وكرمي كما قال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وتشهد أرجلهم في بعض الاخبار المروية ان عبدا تشهد عليه اعضاؤه بالزلة فتطير شعرة من جفن عينه فتستأذن بالشهادة له فيقول الحق تعالى تكلمي يا شعرة جفن عين عبدي واحتجي عن عبدي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له و ينادي مناد هذا عتيق الله بشعرة ومن نعمره ننكسه ان السالك اذا عمر صار في آخر الامر الى الفناء في الله حتى لا يبقى منه ما يستند الفعل اليه وفي قوله

القراء

وفي آخرها أما الاول فقدمر في تفسير لفظ يس وأما الثاني فلأن قوله فسبحان الى آخره يدل على المبدا والمعاد تصريحا وعلى الرسالة ضمنا ولا ريب أن القلب خلاصة كل ذي قلب وانه صلى الله عليه وسلم كان خلاصة المخلوقات وكان خلقه القرآن الذي نزل على قلبه وكأن فاتحة السورة وخاتمتها مبنية على ذكره منبئة عن سره كالقلب في جوف صاحبه فلاجل هذه المناسبات أطلق على يس أنه قلب القرآن والله ورسوله أعلم بأسرار كلامه

﴿سورة والصافات مكية حروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون كلمها ثمانمائة وستون آياتها مائة واحدى وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لايسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لايذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون

القراء عليها وقوله أئنا لمدينون يقول أئنا لمحاسبون ومجزيون بعد مصيرنا عظاما ولحوما ترابا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أئنا لمدينون يقول أئنا المجازون بالعمل كما تدين تدان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أئنا لمدينون أئنا لمحاسبون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أئنا لمدينون محاسبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ يقول تعالى ذكره قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه هل أنتم مطلعون في النار لعلي أرى قريني الذي كان يقول لي انك لمن المصدقين بأنا مبعوثون بعد الممات وقوله فاطلع فرآه في سواء الجحيم يقول فاطلع في النار فرآه في وسط الجحيم وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره وهو فقالوا نعم وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله في سواء الجحيم يعني في وسط الجحيم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في سواء الجحيم يعني في وسط الجحيم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن في قوله في سواء الجحيم يقول في وسط الجحيم حدثنا ابن سنان قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عباد بن راشد قال سمعت الحسن فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة في قوله سواء الجحيم قال وسطها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال هل أنتم مطلعون قال سأل ربه أن يطلعه قال فاطلع فرآه في سواء الجحيم أي في وسط الجحيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن خليد العصري قال لولا أن الله عرفه اياه ماعرفه لقد تغير حبره وسبره وذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم فقال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين حدثنا ابن بشار قال ثنا ابراهيم بن أبي الوزير قال ثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله في قوله فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال والله لولا أنه عرّفه ماعرفه لقد غيرت النار حبره وسبره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله هل أنتم مطلعون قال كان ابن عباس يقرؤها هل أنتم مطلعوني فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال في وسط الجحيم وهذه القراءة التي ذكرها السدي عن ابن عباس أنه كان يقرأ في مطلعون ان كانت محفوظة عنه فانها من شواذ الحروف وذلك أن العرب لاتؤثر في المكني من الأسماء اذا اتصل بفاعل على الاضافة في جمع أو توحيد لايكادون أن يقولوا أنت مكلمني ولا أنتما مكلماني ولا أنتم مكلموني ولا مكلمونني وانما يقولون أنت مكلمي وأنتما مكلماي وأنتم مكلميّ وان قال منهم قائل ذلك قاله على وجه الغلط توهما به أنت تكلمني وأنتما تكلمانني وأنتم تكلمونني كما قال الشاعر

وما أدري وظني كل ظن * أمسلمني الى قومي شراحي

فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون مالكم لاتناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم

على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا
قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين (٤٠) فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم

لااله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الاما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيها غول ولاهم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى ومانحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب

العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين ۞ القراآت والصافات صفا وما بعدهما مدغما حمزة وأبو عمرو وغير عباس بزينة منونا حمزة وعاصم عن

فقال مسلمنى وليس ذلك وجه الكلام بل وجه الكلام أسلمى فأما اذا كان الكلام ظاهرا ولم يكن متصلا بالفاعل فانهم ربما أضافوا وربما لم يضيفوا فيقال هذا مكلم أخاك ومكلم أخيك وهذان مكلما أخيك ومكلمان أخاك وهؤلاء مكلمو أخيك ومكلمون أخاك وانما تختار الاضافة فى المكنى المتصل بفاعل لمصيرا الحرفين باتصال أحدهما بصاحبه كالحرف الواحد وقوله تالله ان كدت لتردين يقول فلما رأى قرينه فى النار قال تالله ان كدت فى الدنيا لتهلكنى بصدك اياى عن الايمان بالبعث والثواب والعقاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله ان كدت لتردين قال لتهلكنى يقال منه أردى فلان فلانا اذا أهلكه وردى فلان اذا هلك كما قال الأعشى

أفى الطوف خفت على الردى * وكم من رد أهله لم يرم

يعنى بقوله وكم من رد وكم من هالك وقوله ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين يقول ولولا أن الله أنعم على بهدايته والتوفيق للايمان بالبعث بعد الموت لكنت من المحضرين معك فى عذاب الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لكنت من المحضرين أى فى عذاب الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله لكنت من المحضرين قال من المعذبين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى ومانحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن الذى أعطاه الله ما أعطاه من كرامته فى جنته سرورا منه بما أعطاه فيها أفما نحن بميتين إلا موتتنا الاولى يقول أفما نحن بميتين غير موتتنا الاولى فى الدنيا ومانحن بمعذبين يقول ومانحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة ان هذا لهو الفوز العظيم يقول ان هذا الذى أعطاناه الله من الكرامة فى الجنة أنا لانعذب ولانموت لهو النجاء العظيم مما كنا فى الدنيا نحذر من عقاب الله وادراك ما كنا فيها نؤمل بايماننا وطاعتنا ربنا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفما نحن بميتين الى قوله الفوز العظيم قال هذا قول أهل الجنة وقوله لمثل هذا فليعمل العاملون يقول تعالى ذكره لمثل هذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة فى الآخرة فليعمل فى الدنيا لأنفسهم العاملون ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾ يقول تعالى ذكره أهذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتى فى الجنة ورزقتهم فيها من النعيم خير أوما أعددت لأهل النار من الزقوم وعنى بالنزل الفضل وفيه لغتان نزل ونزل يقال للطعام الذى له ريع هو طعام له نزل ونزل وقوله أم شجرة الزقوم ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون كيف ينبت الشجر فى النار والنار تحرق الشجر فقال الله انا جعلناها فتنة للظالمين يعنى لهؤلاء المشركين الذين قالوا فى ذلك ما قالوا ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة فقال انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

غير المفضل الكواكب بالنصب أبو بكر وحماد الباقون بالجر لا يسمعون بتشديد السين والميم وأصله يتسمعون حمزة وعلى وخلف
وعاصم غير أبي بكر وحماد الآخرون بسكون السين وتخفيف الميم بل عجبت (٤١) بالضم حمزة وعلى وخلف الآخرون بالفتح

عن قتادة أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم حتى بلغ فى أصل الجحيم قال لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة فقالوا ينبئكم صاحبكم هذا أن فى النار شجرة والنار تأكل الشجر فأنزل الله ما تسمعون انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم غذيت بالنار ومنها خلقت حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال أبو جهل لما نزلت ان شجرة الزقوم قال تعرفونها فى كلام العرب أنا آتيكم بها فدعا جارية فقال ائتيني بتمر وزبد فقال دونكم تزقموا فهذا الزقوم الذى يخوفكم به محمد فأنزل الله تفسيرها أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين قال لأبى جهل وأصحابه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله انا جعلناها فتنة للظالمين قال قول أبى جهل انما الزقوم التمر والزبد أتزقمه وقوله طلعها كأنه رؤس الشياطين يقول تعالى ذكره كأن طلع هذه الشجرة يعنى شجرة الزقوم فى قبحه وسماجته رؤس الشياطين فى قبحها وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله انها شجرة نابتة فى أصل الجحيم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طلعها كأنه رؤس الشياطين قال شبهه بذلك فان قال قائل وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برؤس الشياطين فى القبح ولا علم عندنا بمبلغ قبح رؤس الشياطين وانما يمثل الشئ بالشئ تعريفا من الممثل الممثل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه مع معرفة الممثل له الشيئين كليهما أو أحدهما ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم ولا برؤس الشياطين ولا كانوا رأوهما ولا واحدا منهما قيل له أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها حتى عرفوها ما هى وما صفتها فقال لهم انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فلم يتركهم فى عماء منها وأما فى تمثيله طلعها برؤس الشياطين فأقوال لكل منها وجه مفهوم أحدها أن يكون مثل ذلك برؤس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم فى مبالغتهم اذا أراد أحدهم المبالغة فى تقبيح الشئ قال كأنه شيطان فذلك أحد الأقوال والثانى أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا وهى حية له عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر واياه عنى الراجز بقوله

عنجرد تحلف حين أحلف * كمثل شيطان الحماط أعرف

ويروى عجيز والثالث أن يكون مثل نبت معروف برؤس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون يقول تعالى ذكره فان هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة لآكلون من هذه الشجرة التى هى شجرة الزقوم فمالئون من زقومها بطونهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) يقول تعالى ذكره ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شوبا وهو الخلط من قول العرب شاب فلان طعامه فهو يشوبه شوبا وشيابا من حميم والحميم الماء المحموم وهو الذى أسخن فانتهى حره وأصله مفعول صرف الى فعيل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم ان لهم عليها

على الخطاب آئذا بالمد والياء انا بهمزة واحدة مكسورة يزيد وقالون وزيد الباقون مثل التى فى الرعد وأما الثانية فمثل التى فى الرعد أوآباؤنا مثل أو أمن أهل القرى وكذلك فى الواقعة لا تناصرون بالتشديد البزى وابن فليح أئنا أئنك أئفكا مثل أئنكم فى الانعام يزفون بضم الياء وكسر الزاى حمزة وعلى وخلف والمفضل الآخرون بفتح الزاى لتردين بالياء فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل ۞ الوقوف صفا ه لا زجرا ه لا لواحد ه ط المشارق ه ط الكواكب ه لا مارد ه ج لاحتمال ما بعده الوصف والاستئناف قاله السجاوندى وعليه بحث يجئ فى التفسير واصب ه لا ثاقب ه ج خلقنا ط لازب ه ويسخرون ه ص لا يذكرون ه ص يستسخرون ه ص مبين ه ج لمبعوثون ه لا الاولون ه ط داخرون ه ينظرون ه الدين ه تكذبون ه يعبدون ه لا الجحيم ه مسئولون ه لا لأن المسئول عنه قوله مالكم لا تناصرون ه مستسلمون ه يتساءلون ه اليمين ه مؤمنين ه ج سلطان ج للعدول مع اتفاق الجملتين طاغين ه لذائقون ه غاوين ه مشتركون ه بالمجرمين ه يستكبرون ه مجنون ه ط المرسلين ه الاليم ه ج تعملون ه لا المخلصين ه معلوم ه فواكه ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف مكرمون ه لا النعيم ه لا متقابلين ج معين ه لا للشاربين ه ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا ينزفون ه عين ط مكنون ج يتساءلون ه قرين ه المصدقين ه لمدينون ه

لشوبا من حميم يقول لمزجا حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم يعنى شرب الحميم على الزقوم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال مزاجا من حميم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال الشوب الخلط وهو المزج حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال حميم يشاب لهم بغساق مما تغسق أعينهم وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم وقوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم يقول تعالى ذكره ثم ان مآبهم ومصيرهم لالى الجحيم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم فهم فى عناء وعذاب من نار جهنم وتلا هذه الآية يطوفون بينها وبين حميم آن حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال فى قراءة عبد الله ثم ان منقلبهم لالى الجحيم وكان عبد الله يقول والذى نفسى بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال(١) موتهم وقوله انهم ألفوا آباءهم ضالين يقول ان هؤلاء المشركين الذين اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون وجدوا آباءهم ضلالا عن قصد السبيل غير سالكين محجة الحق فهم على آثارهم يهرعون يقول فهؤلاء يسرع بهم فى طريقهم ليقتفوا آثارهم وسننهم يقال منه أهرع فلان اذا سار سيرا حثيثا فيه شبه بالرعدة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انهم ألفوا آباءهم ضالين أى وجدوا آباءهم ضالين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انهم ألفوا آباءهم أى وجدوا آباءهم وبنحو الذى قلنا فى يهرعون أيضا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فهم على آثارهم يهرعون قال كهيئة الهرولة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهم على آثارهم يهرعون أى يسرعون اسراعا فى ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله يهرعون قال يسرعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يهرعون اليه قال يستعجلون اليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين) يقول تعالى ذكره ولقد ضل يا محمد عن قصد السبيل ومحجة الحق قبل مشركى قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم ولقد أرسلنا فيهم منذرين يقول ولقد أرسلنا فى الأمم التى خلت من قبل أمتك ومن قبل قومك المكذبيك منذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يقول فتأمل وتبين كيف كان غب أمر

مع اتصال المعنى يهرعون ه الأولين ه منذرين ه المنذرين ه لا المخلصين ه المجيبون ه ز العظيم ه ز الباقين ه ز فى الآخرين ه لا لان مابعده مفعول تركا على سبيل الحكاية العالمين ه المحسنين ه المؤمنين ه الآخرين ه

۞ التفسير انه سبحانه بدأ فى أول هذه السورة بالتوحيد كما ختم السورة المتقدمة بذكر المعاد وأقسم على المطلوب بثلاثة أشياء أما الحكمة فى القسم فكما مر فى أول سورة يس وأما الاقسام بغير الله وصفاته فلا نسلم أنه لا يجوز لله سبحانه اوهو على عادة العرب أو المراد تعظيم هذه الأشياء وتشريفها أو المراد رب هذه الاشياء فحذف المضاف قال الواحدى ادغام التاء فى الصاد حسن وكذا التاء فى الزاى وفى الذال لتقارب مخارجها ألا ترى أن التاء والصاد هما من طرف اللسان وأصول الثنايا ويجتمعان فى الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم فى الاطباق والصفير وادغام الأنقص فى الأزيد حسن وأيضا الزاى مجهورة وفيها زيادة صفير ثم المقسم بها فى الآيات اما أن تكون صفات ثلاثا لموصوف واحد أو صفات لموصوفات متباينة وأما التقدير الأول ففيه وجوه الأول أنها صفة الملائكة لانهم صفوف فى السماء كصفوف المصلين فى الارض أو أنهم يصفون أجنحتهم فى الهواء واقفين منتظرين لأمر الله تعالى والصف ترتيب الشئ على نسق الفاعل صاف والجماعة صافة والصافات جمع الجمع ولولا ذلك لقيل والصافين قال الحكيم يشبه أن يكون معنى كونهم صفوفا أن لكل منهم مرتبة معينة فى الشرف أو بالغلبة والزجر سوق السحاب قال ابن عباس يعنى الملائكة الموكلين بالسحاب الذين

(١) لعله مقرهم وحرر اه مصححه

الذين أنذرتهم أنبياؤنا والى ما صار أمرهم وما الذى أعقبهم كفرهم بالله ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ولمن بعدهم عظة وقوله إلا عباد الله المخلصين يقول تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله الذين أخلصناهم للايمان بالله وبرسله واستثنى عباد الله من المنذرين لأن معنى الكلام فانظر كيف أهلكنا المنذرين الا عباد الله المؤمنين فلذلك حسن استثناؤهم منهم وبنحو الذى قلنا فى قوله الا عباد الله المخلصين قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله الا عباد الله المخلصين قال الذين استخلصهم الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد نادانا نوح بمسئلته ايانا هلاك قومه فقال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا الى قوله رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا وقوله فلنعم المجيبون يقول فلنعم المجيبون كنا له اذ دعانا فأجبنا له دعاءه فأهلكنا قومه ونجيناه وأهله يعنى أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة وقد ذكرناهم فيما مضى قبل وبينا اختلاف العلماء فى عددهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون قال أجابه الله وقوله من الكرب العظيم يقول من الأذى والمكروه الذى كان فيه من الكافرين ومن كرب الطوفان والغرق الذى هلك به قوم نوح كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ونجيناه وأهله من الكرب العظيم قال من الغرق قوله وجعلنا ذريته هم الباقين يقول وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا فى الأرض بعد مهلك قومه وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح الى اليوم انما هم ذرية نوح فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث بن نوح والسودان أولاد حام بن نوح وبذلك جاءت الآثار وقالت العلماء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وجعلنا ذريته هم الباقين قال سام وحام ويافث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله وجعلنا ذريته هم الباقين قال فالناس كلهم من ذرية نوح حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وجعلنا ذريته هم الباقين يقول لم يبق الا ذرية نوح ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وتركنا عليه فى الآخرين وأبقينا عليه يعنى على نوح ذكرا جميلا وثناء حسنا فى الآخرين يعنى فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتركنا عليه فى الآخرين يقول يذكر بخير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وتركنا عليه فى الآخرين يقول جعلنا لسان صدق للانبياء كلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتركنا عليه فى الآخرين قال أبقى الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين

وقال آخرون أراد زجرهم الناس عن المعاصى بالخواطر والالهامات أو بدفع تعرض الشياطين عن بنى آدم والتاليات الذين يتلون كتاب الله على الانبياء والحاصل أن كونهم صافين اشارة الى استكمال جواهر الملائكة فى ذواتها أعنى وقوفهم فى مواقف العبودية والطاعة وكونهم زاجرين اشارة الى كيفية تأثيراتها فى ازالة ما لا ينبغى من جواهر الأرواح البشرية وكونهم تالين اشارة الى كيفية تأثيراتها فى افاضة الجلايا القدسية والأنوار الالهية على الأرواح الانسانية الوجه الثانى أنها صفات النفوس الانسانية المقبلة على عبودية الله وعبادته وهم ملائكة الأرض أقسم بنفوس المصلين بالجماعات الزاجرين أنفسهم عن الشهوات أو عن إلقاء وساوس الشيطان فى قلوبهم أثناء الصلوات بتقديم الاستعاذة أو برفع الأصوات التالين للقرآن فى الصلاة وغيرها أو أقسم بنفوس العلماء الصافات لأجل الدعوة الى دين الله الزاجرات عن الشبهات والمنهيات بالمواعظ والنصائح الدارسات شرائع الله وكتبه لوجه الله أو أقسم بنفوس المجاهدين فى سبيل الله كقوله ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا والزجرة والصيحة سواء والمراد رفع الصوت بزجر الخيل وأما التاليات فذلك أنهم يشتغلون وقت المحاربة بقراءة القرآن وذكر الله يحكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يخرج من الصف وسيفه ينطف دما فاذا رقى ربوة يأتى بالخطبة الغراء الوجه الثالث أنها صفات آيات القرآن وذلك أنها أنواع مختلفة بعضها دلائل التوحيد وبعضها دلائل العلم والقدرة وبعضها دلائل النبوة وبعضها دلائل المعاد وبعضها بيان التكاليف والأحكام وبعضها تعليم الأخلاق الفاضلة وكلها مترتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل فكأنها أجرام واقفة فى صفوف معينة ولا ريب أنها تزجر المكلفين عن المناهى والمنكرات وأما نسبة التلاوة اليهن فمجاز كما يقال شعر شاعر والفاء فى هذه الوجوه لترتيب الصفات

حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أسباط عن السدى قوله وتركنا عليه فى الآخرين قال الثناء الحسن وقوله سلام على نوح فى العالمين يقول أمنة من الله لنوح فى العالمين أن يذكره أحد بسوء وسلام مرفوع بعلى وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول معناه وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح أى تركنا عليه هذه الكلمة كما تقول قرأت من القرآن الحمد لله رب العالمين فتكون الجملة فى معنى نصب وترفعها باللام كذلك سلام على نوح ترفعه بعلى وهو فى تأويل نصب قال ولو كان تركنا عليه سلاما كان صوابا وقوله انا كذلك نجزى المحسنين يقول تعالى ذكره انا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه فى رضانا فأنجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وأبقينا عليه ثناء فى الآخرين كذلك نجزى الذين يحسنون فيطيعوننا وينتهون الى أمرنا ويصبرون على الأذى فينا وقوله انه من عبادنا المؤمنين يقول ان نوحا من عبادنا الذين آمنوا بنا فوحدونا وأخلصوا لنا العبادة وأفردونا بالالوهة وقوله ثم أغرقنا الآخرين يقول تعالى ذكره ثم أغرقنا حين نجينا نوحا وأهله من الكرب العظيم من بقى من قومه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أغرقنا الآخرين قال أنجاه الله ومن معه فى السفينة وأغرق بقية قومه

القول فى تأويل قوله تعالى {وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون} يقول تعالى ذكره وان من أشياع نوح على منهاجه وملته والله لابراهيم خليل الرحمن وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله وان من شيعته لابراهيم يقول من أهل دينه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله وان من شيعته لابراهيم قال على منهاج نوح وسنته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وان من شيعته لابراهيم قال على منهاجه وسنته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان من شيعته لابراهيم قال على دينه وملته حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وان من شيعته لابراهيم قال من أهل دينه وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك وان من شيعة محمد لابراهيم وقال ذلك مثل قوله وآية لهم أنا حملنا ذريتهم بمعنى أنا حملنا ذرية من هم منه فجعلها ذرية لهم وقد سبقتهم وقوله اذ جاء ربه بقلب سليم يقول تعالى ذكره اذ جاء ابراهيم ربه بقلب سليم من الشرك مخلص له التوحيد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ جاء ربه بقلب سليم والله من الشرك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله اذ جاء ربه بقلب سليم قال سليم من الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد بقلب سليم قال لا شك فيه * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن على قال ثنا هشام عن أبيه قال يا بنى لا تكونوا لعانين ألم تروا الى ابراهيم لم يلعن شيأ قط فقال الله اذ جاء ربه بقلب سليم وقوله اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون يقول حين قال يعنى ابراهيم لأبيه وقومه أى شئ تعبدون وقوله أئفكا آلهة دون الله تريدون

فى الفضل فالفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو بالعكس فلكل وجه و يحتمل وان لم يذكره جار الله أن تكون لترتيب معانيها فى الوجود كقوله * الصابح فالغانم فالآيب * كأنه قال (٤٤) الذى صبح فغنم فآب مثاله المصلون يقفون أولا صفوفا ثم يزجرون الوساوس عنهم بالاستعاذة ثم يشتغلون بالقراءة وأما التقدير الثانى وهو أن يكون المراد بهذه الأمور الثلاثة موصوفات متغايرة فالصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصى الله والتاليات كل من تلا كتاب الله أو الصافات طائفة من الملائكة أو من الأشخاص الانسانية وكل من الزاجرات والتاليات طائفة أخرى وقيل الصافات العالم الجسمانى المنضود كرة فوق كرة من الأرض الى الفلك الأعظم والزاجرات الأرواح المدبرة للاجسام بالتحريك والتصريف والتاليات الأرواح المستغرقة فى بحار معرفة الله تعالى والثناء عليه والفاء على هذه المعانى لترتب الموصوفات فى الفضل ثم انه سبحانه لم يقتصر فى اثبات التوحيد على الحلف ولكنه عقبه بالدليل الباهر فقال (رب السموات والأرض وما بينهما و رب المشارق) فلكل كوكب مشرق ومغرب بل للشمس ولسائر السيارات وللثوابت فى كل يوم مشرق آخر بحسب تباعدها عن منطقة المعدل وتقاربها منها وانما اقتصر على ذكر المشارق لشرفها ولدلالتها على المغارب كقوله سرابيل تقيكم الحر ثم بين أنه جعل الكواكب بحيث يشاهدها الناس من السماء الدنيا وهى تأنيث الأدنى لمنفعتين الاولى تحصيل الزينة والثانية الحفظ من الشيطان والزينة مصدر كالنسبة أو اسم لما يزان به الشئ كالليقة لما تلاق به الدواة ثم من قرأ بالاضافة فلها وجوه أن يكون مصدرا مضافا الى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب والى المفعول أى بأن زان الله تعالى الكواكب وحسنها فى أنفسها فان النور والضوء أحسن الصفات وأكملها وكذا أشكالها المختلفة

تريدون يقول أكذبا معبودا غير الله تريدون ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ابراهيم لأبيه وقومه فما ظنكم برب العالمين يقول فأى شئ تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم ان لقيتموه وقد عبدتم غيره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما ظنكم برب العالمين يقول اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وقوله فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم فرأى نجما قد طلع فعصب رأسه وقال انى مطعون وكان قومه يهربون من الطاعون فأراد أن يتركوه في بيت آلهتهم ويخرجوا عنه ليخالفهم اليها فيكسرها وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم قال قالوا له وهو في بيت آلهتهم اخرج فقال انى مطعون فتركوه مخافة الطاعون حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم رأى نجما طلع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه رأى نجما طلع فقال انى سقيم قال كايد نبى الله عن دينه فقال انى سقيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم قالوا لابراهيم وهو في بيت آلهتهم اخرج معنا فقال لهم انى مطعون فتركوه مخافة أن يعديهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد عن أبيه في قول الله فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم قال أرسل اليه ملكهم فقال ان غدا عيدنا فاحضر معنا قال فنظر الى نجم فقال ان ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لى فقال انى سقيم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم يقول الله فتولوا عنه مدبرين وقوله انى سقيم أى طعين أو لسقم كانوا يهربون منه اذا سمعوا به وانما يريد ابراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم الذى يريد واختلف في وجه قيل ابراهيم لقومه انى سقيم وهو صحيح فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثنى هشام عن محمد عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم غير ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة هى أختى حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أبى قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم في شئ قط الا في ثلاث ثم ذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن المسيب بن رافع عن أبى هريرة قال ما كذب ابراهيم غير ثلاث كذبات قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وانما قاله موعظة وقوله حين سأله الملك فقال أختى لسارة وكانت امرأته حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن محمد قال ان ابراهيم ما كذب الا ثلاث كذبات ثنتان في الله وواحدة في ذات نفسه فأما الثنتان فقوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقصته في سارة وذكر قصتها

كشكل الثريا و بنات النعش والجوزاء وسائر الصور المتوهمة من الخطوط التى تنتظم طائفة منها وقد ترتقى الى نيف وأربعين منها صور البروج الاثنى عشر و بالجملة اشراق الجواهر الزواهر وتلألؤها على بسيط أزرق (٤٥) بنظام مخصوص مما يروق الناظر و يجوز أن يقع الكواكب بيانا للزينة وهى اسم لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به فيكون كما تم فضة ويجوز أن يراد بالزينة ما زينت به الكواكب كما روى عن ابن عباس أنه فسر الزينة بالضوء ومن قرأ بتنوين زينة وجر الكواكب فعلى الابدال ومن قرأ بتنوين زينة ونصب الكواكب فعلى أنه بدل من محل بزينة أو من السماء أو على أن المراد بتزيينها الكواكب كما في أحد وجوه الاضافة قوله (وحفظا) فيه وجوه أحدها أنه محمول على المعنى والتقدير انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين وثانيها أن يقدر مثل الفعل المتقدم للتعليل كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وثالثها قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر لأنه قد دل على فعله بما تقدم تقول افعل ذلك وكرامة أى وأكرمك كرامة وذلك لما علم أن الأسماء لا تعطف على الأفعال فالتقدير وحفظناها حفظا قال المفسرون الشياطين كانوا يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب فأخبروا صنعاءهم فجعل الله الكواكب في زمن محمد صلى الله عليه وسلم بحيث تحرقهم وتحفظ أهل السماء من إصغائهم قال الحكيم ليس المراد بالكواكب الحافظة أنفس الكواكب المركوزة في الأفلاك الالوقع نقصان ظاهر في أعدادها بل المراد ما يضاهيها من الشهب الحادثة عند كرة النار من الأبخرة المرتفعة وقد مر تحقيق ذلك في أول سورة الحجر قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ان الشياطين لهم حذق كامل في استخراج الصنائع الدقيقة فاذا عرفوا هذه الحالة

وقصة الملك * وقال آخرون ان قوله انى سقيم كلمة فيها معراض ومعناها أن كل من كان فى عقبة الموت فهو سقيم وان لم يكن به حين قالها سقم ظاهر والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف هذا القول وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق دون غيره وقوله فتولوا عنه مدبرين يقول فتولوا عن ابراهيم مدبرين عنه خوفا من أن يعديهم السقم الذى ذكر أنه به كما حدثت عن يحيى بن زكريا عن بعض أصحابه عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انى سقيم يقول مطعون فتولوا عنه مدبرين قال سعيد ان كان الفرار من الطاعون لقديما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فتولوا فنكصوا عنه مدبرين منطلقين وقوله فراغ الى آلهتهم يقول تعالى ذكره فمال الى آلهتهم بعد ما خرجوا عنه وأدبروا وأرى ان أصل ذلك من قولهم راغ فلان عن فلان اذا حاد عنه فيكون معناه اذا كان كذلك فراغ عن قومه والخروج معهم الى آلهتهم كما قال عدى بن زيد

حين لا ينفع الرّواغ ولا ينـ ـفع الا المصادق النحرير

يعنى بقوله لا ينفع الرّواغ الحياد أما أهل التأويل فانهم فسروه بمعنى فمال ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فراغ الى آلهتهم أى فمال الى آلهتهم قال ذهب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله فراغ الى آلهتهم قال ذهب وقوله فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون هذا خبر من الله عن قيل ابراهيم للآلهة وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة الكلام عليه من ذكره وهو فقرب اليها الطعام فلم يرها تأكل فقال لها ألا تأكلون فلما لم يرها تأكل قال لها ما لكم لا تأكلون فلم يرها تنطق فقال لها ما لكم لا تنطقون مستهزئا بها وكذلك ذكر أنه فعل بها وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبل وقال قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقال ألا تأكلون يستنطقهم ما لكم لا تنطقون

القول فى تأويل قوله تعالى {فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون} يقول تعالى ذكره فمال على آلهة قومه ضربا لها باليمين بفأس فى يده يكسرهن كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما خلا جعل يضرب آلهتهم باليمين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك فذكر مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبل عليهم يكسرهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم أقبل عليهم كما قال الله ضربا باليمين ثم جعل يكسرهن بفأس فى يده وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى فراغ عليهم ضربا بالقوة والقدرة ويقول اليمين فى هذا الموضع القوة وبعضهم كان يتأول اليمين فى هذا الموضع الحلف ويقول جعل يضربهن باليمين التى حلف بها بقوله وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله فراغ عليهم صفقا باليمين وروى نحو ذلك عن الحسن حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا خالد بن عبد الله الحشمى قال سمعت الحسن قرأ فراغ عليهم صفقا باليمين أى ضربا باليمين وقوله فأقبلوا اليه يزفون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض

قراء

بالتجربة فلم لا يمتنعون منه وايضا انهم مخلوقون من النار والنار كيف تؤثر فى النار وايضا مقر الملائكة السطح الظاهر من الفلك الأعلى وانهم لا يصعدون الا الى قريب من الفلك الأدنى فكيف يسمعون كلام الملائكة والجواب أنا لا نسلم حذقهم فى كل الأمور ولهذا جاء فى وجوه تسخيرهم ما جاء على أن موضع الاستراق والاحتراق غير متعين ووقوع هذه الحالة أيضا كالنادر فلعل المسترق يكون غير واقف عليه والنيران بعضها أقوى من البعض وليس الشيطان نارا صرفا ولكن النارى غالب عليه ولا نسلم أن الملائكة لا ينزلون الى الفلك الأخير باذن الله والمارد الخارج من الطاعة وقد مر اشتقاقه فى قوله مردوا على النفاق والضمير فى قوله (لا يسمعون) لكل شيطان لانه فى معنى الجمع والتسمع تكلف السماع سمع أولم يسمع وقد ضمن معنى الاصغاء فلذلك عدى بالى وقيل معنى سمعت اليه صرفت الى جهته سمعى قال جار الله هذه الجملة لا يصح أن تكون صفة لأن الحفظ من شياطين غير سامعين أو مستمعين لا معنى له ولا يصح أن يكون استئنافا لأن سائلا لو سأل لم يحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ به لاقتصاص حال المسترقة للسمع قلت لو كان صفة باعتبار ما يؤول اليه حالهم جاز وكذا ان كان مستأنفا كأنه قيل لم يحفظ فأجيب لأنهم يؤلون الى كذا ومن هنا زعم بعضهم أن أصله لئلا يسمعوا لهم فحذفت اللام ثم أن وأهدر عملها كما فى قول القائل

* ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى *

ورد عليه فى الكشاف ان حذف اللام فى قولك جئتك أن تكرمنى وحذف أن فى قول الشاعر جائز فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات قلت ان القرآن حجة على غيره مع أن قول الشاعر أيضا لا يصح الا بتقدير اللام أو من مع أن والملأ الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات وعن ابن عباس أراد أشراف الملائكة وعنه الكتبة من الملائكة والقذف

الرمى بحجر تقول قذفته بحجر أى رميت اليه حجرا وقوله (من كل جانب) اى مرة من هذا الجانب ومرة من هذا الجانب وقيل من كل الجوانب (دحورا) أى طردا مع صغار مصدر من غير لفظ الفعل لان القذف والطرد متغايران كأنه قيل يقذفون قذفا أو يدحرون دحورا ويجوز أن يكون مفعولا له أى لأجل الدحور أو مصدرا فى موضع الحال أى مدحورين كقوله مذموما مدحورا (ولهم) أى للشياطين (عذاب واصب) دائم وقد مر فى النحل فى قوله وله الدين واصبا يعنى أنهم فى الدنيا مرجومون بالشهب ولهم فى الآخرة نوع من العذاب غير منقطع (الا من خطف) فى محل الرفع بدلا من الواو فى لا يسمعون أى لا يسمع الا الشيطان الذى اختلس الكلمة مسارقة وقيل وثب وثبة وقيل الاستثناء منقطع خبره (فأتبعه) أى أتبعه ورمى فى أثره (شهاب ثاقب) مضىء أو ماض فاذا قذفوا احترقوا وقيل تصيبهم آفة فلا يعودون وقيل لا يقتلون بالشهب بل يحس بذلك فلا يرجع ولهذا لا يمتنع غيره من ذلك وقيل يصيبهم مرة ويسلمون مرة فصاروا فى ذلك كراكبى السفينة للتجارة وحين بين الوحدانية ودلائلها فى أول هذه السورة أراد أن يذكر مايدل على الحشر والكلام فيه من طريقين الأول أن يقال قدر على الأصعب فيقدر على الأسهل بالأولى الثانى قدر فى أول الأمر فيقدر فى الحالة الثانية أما الطريق الأول فاشار اليه بقوله (فاستفتهم) أى سل قومك أو صاحبهم وأراد بمن خلقنا ماذكرنا من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب والشياطين وغلب أولى العقل على غيرهم وقيل أراد عادا وثمود ومن قبلهم من الامم الخالية والقول الأول أقوى بدليل فاء التعقيب ولاطلاق قوله خلقنا اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق فاستخبرهم أهم أشد خلقا أم هذه الخلائق ومن هان عليه هذه كان خلق البشر بل اعادته عليه أهون وأما الطريق الثانى

قراء الكوفة فأقبلوا اليه يزفون بفتح الياء وتشديد الفاء من قولهم زفت النعامة وذلك أول عدوها وآخر مشيها ومنه قول الفرزدق

وجاء قريع الشول قبل إفالها * يزف وجاءت خلفه وهى زفف

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة يزفون بضم الياء وتشديد الفاء من أزف فهو يزف وكان الفراء يزعم أنه لم يسمع فى ذلك الازففت و يقول لعل قراءة من قرأه يزفون بضم الياء من قول العرب أطردت الرجل أى صيرته طريدا وطردته اذا أنت خسأته اذا قلت اذهب عنا فيكون يزفون أى جاؤا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحالة فتدخل الألف كما تقول أحمدت الرجل اذا أظهرت حمده وهو محمد اذا رأيت أمره الى أحمد ولم تنشر حمده قال وأنشدنى المفضل

تمنى حصين أن يسود جذاعه * فأمسى حصين قد أذل وأقهرا

فقال أقهر وانما هو قهر ولكنه أراد صار الى حال قهر وقرأ ذلك بعضهم يزفون بفتح الياء وتخفيف الفاء من وزف يزف وذكر عن الكسائى أنه لا يعرفها وقال الفراء لا أعرفها الا أن تكون لغة لم أسمعها وذكر عن مجاهد أنه كان يقول الوزف النسلان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اليه يزفون قال الوزيف النسلان * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأه بفتح الياء وتشديد الفاء لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب والذى عليه قراءة الفصحاء من القراء وقد اختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم معناه فأقبل قوم ابراهيم الى ابراهيم يجرون ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فأقبلوا اليه يزفون فأقبلوا اليه يجرون * وقال آخرون أقبلوا اليه يمشون ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فأقبلوا اليه يزفون قال يمشون * وقال آخرون معناه فأقبلوا يستعجلون ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد عن أبيه فأقبلوا اليه يزفون قال يستعجلون قال يزف يستعجل وقوله قال أتعبدون ما تنحتون يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لقومه أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أتعبدون ما تنحتون الأصنام وقوله والله خلقكم وما تعملون يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ابراهيم لقومه والله خلقكم أيها القوم وما تعملون وفى قوله وما تعملون وجهان أحدهما أن يكون قوله ما بمعنى المصدر فيكون معنى الكلام حينئذ والله خلقكم وعملكم والآخر أن يكون بمعنى الذى فيكون معنى الكلام عند ذلك والله خلقكم والذى تعملونه أى والذى تعملون منه الأصنام وهو الخشب والنحاس والأشياء التى كانوا ينحتون منها أصنامهم وهذا المعنى الثانى قصد ان شاء الله قتادة بقوله الذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله خلقكم وما تعملون بأيديكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم ابراهيم لما قال لهم ابراهيم أتعبدون ما تنحتون

فاليه الاشارة بقوله (انا خلقناهم من طين لازب) اى لازم والباء بدل من الميم عندا كثرهم ولهذا قال ابن عباس هو الملتصق من الطين الحر
وقال مجاهد والضحاك هو المنتن ووجه (٤٨) الاستدلال أن هذا الجسم لو لم يكن قابلا للحياة لم يقبلها من أول الامر واذا قبلها أولا

والله خلقكم وما تعملون ابنوا الا براهيم بنيانا ذكر أنهم بنوا له بنيانا يشبه التنور ثم نقلوا اليه الحطب وأوقدوا عليه فألقوه فى الجحيم والجحيم عند العرب جمر النار بعضه على بعض والنار على النار وقوله فأرادوا به كيدا يقول تعالى ذكره فأراد قوم ابراهيم بابراهيم كيدا وذلك ما كانوا أرادوا من احراقه بالنار يقول الله فجعلناهم أى فجعلنا قوم ابراهيم الأسفلين يعنى الأذلين حجة وغلبنا ابراهيم عليهم بالحجة وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين قال فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم وقوله وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين يقول وقال ابراهيم لما أفلجه الله على قومه ونجاه من كيدهم انى ذاهب الى ربى يقول انى مهاجر من بلدة قومى الى الله أى الى الأرض المقدسة ومفارقهم فمعتزلهم لعبادة الله وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين ذاهب بعمله وقلبه ونيته * وقال آخرون فى ذلك انما قال ابراهيم انى ذاهب الى ربى حين أرادوا أن يلقوه فى النار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت سليمن بن صرد يقول لما أرادوا أن يلقوا ابراهيم فى النار قال انى ذاهب الى ربى سيهدين فجمع الحطب فجاءت عجوز على ظهرها حطب فقيل لها أين تريدين قالت أريد أذهب الى هذا الرجل الذى يلقى فى النار فلما ألقى فيها قال حسبى الله عليه توكلت أو قال حسبى الله ونعم الوكيل قال فقال الله يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال فقال ابن لوط أو ابن أخى لوط ان النار لم تحرقه من أجلى وكان بينهما قرابة فأرسل الله عليه عنقا من النار فأحرقته وانما اخترت القول الذى قلت فى ذلك لأن الله تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه فى موضع آخر فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من احراقه قال انى مهاجر الى ربى ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه انى مهاجر الى أرض الشام فكذلك قوله انى ذاهب الى ربى لأنه كقوله انى مهاجر الى ربى وقوله سيهدين يقول سيثبتنى على الهدى الذى أبصرته ويعيننى عليه وقوله رب هب لى من الصالحين وهذا مسئلة ابراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحا يقول قال يا رب هب لى منك ولدا يكون من الصالحين الذين يطيعونك ولا يعصونك ويصلحون فى الارض ولا يفسدون كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله رب هب لى من الصالحين قال ولدا صالحا وقال من الصالحين ولم يقل صالحا من الصالحين اجتزاء بمن من ذكر المتروك كما قال عز وجل وكانوا فيه من الزاهدين بمعنى زاهدين من الزاهدين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين﴾ يقول تعالى ذكره فبشرنا ابراهيم بغلام حليم يعنى بغلام ذى حلم اذا هو كبر فأما فى طفولته فى المهد فلا يوصف بذلك وذكر أن الغلام الذى بشر الله به ابراهيم اسحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فبشرناه بغلام حليم قال هو اسحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فبشرناه بغلام حليم بشر باسحق قال لم يثن بالحلم على أحد غير اسحق وابراهيم وقوله فلما بلغ معه السعى يقول فلما بلغ الغلام الذى بشر به ابراهيم مع ابراهيم العمل وهو السعى وذلك حين أطاق

فلا يبقى ريب فى قبولها ثانيا وقادرية الله تعالى باقية على حالها فالاعادة أمر ممكن وقد أخبر الصادق عن وقوعها فيجب وقوعها وفى هذا الطريق الثانى تقوية للطريق الأول فان خلقهم من الطين شهادة عليهم بالضعف والرخاوة ثم بين أنهم مع قيام الحجج الضرورية عليهم مصرون على الانكار فقال (بل عجبت) من قرأ بفتح التاء فظاهر أى عجبت يا محمد من تكذيبهم وانكارهم البعث (و) هم (يسخرون) من تعجبك أو عجبت من القرآن حين أعطيته ويسخر أهل الكفر منه ومن قرأ بالضم فأوردعليه أن التعجب على الله غير جائز لأنه روعة تعترى الشخص عند استعظام الشئ وقيل هذه حالة تحصل عند الجهل بصفة الشئ وأجيب بأن معناه قل يا محمد بل عجبت سلمنا لكن العجب هو أن يرى الانسان ما ينكره الكافر والانكار من الله تعالى غير منكر سلمنا لكن هذه الالفاظ فى حقه تعالى محمولة على النهايات كالمكر والاستهزاء والمعنى بلغ من عظم آياتى وكثرة خلائقى أنى استعظمتها فكيف بعبادى وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون منها أو استعظمت انكارهم البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله تعالى بالقدرة عليه نظيره الآية وان تعجب فعجب قولهم عند من يرى أن العجب من الله وقد جاء فى الحديث يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة وقال أيضا عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته والأل التضرع ثم حكى عنهم أنه كما أن دأبهم السخرية عند ايراد البراهين فكذلك معونته
دأبهم أنهم اذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) بينة كانشقاق القمر وغيره من المعجزات (يستسخرون) يبالغون فى السخرية

أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها ونسبوا ما رأوه الى السحر فالحاصل أنه لا تفيد معهم البراهين الضرورية ولا المقدمات الوعظية ولا المعجزات الدالة على صدق اخبارك بالبعث قوله (أوآباؤنا) من قرأ بسكون الواو (٤٩) فمعطوف على محل اسم ان ومن قرأ بفتحها

معونته على عمله وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فلما بلغ معه السعي يقول العمل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فلما بلغ معه السعي قال لما شب حتى أدرك سعيه سعي ابراهيم في العمل حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال لما شب حين أدرك سعيه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فلما بلغ معه السعي قال سعي ابراهيم حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فلما بلغ معه السعي سعي لابراهيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلما بلغ معه السعي قال السعي ههنا العبادة * وقال آخرون معنى ذلك فلما مشى مع ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما بلغ معه السعي أي لما مشى مع أبيه وقوله قال يا بنيّ اني أرى في المنام أني أذبحك يقول تعالى ذكره قال ابراهيم خليل الرحمن لابنه يا بنيّ اني أرى في المنام أني أذبحك وكان فيما ذكر أن ابراهيم نذر حين بشرته الملائكة باسحق ولدا أن يجعله اذا ولدته سارة لله ذبيحا فلما بلغ اسحق مع أبيه السعي أرى ابراهيم في المنام فقيل له أوف لله بنذرك ورؤيا الأنبياء يقين فلذلك مضى لما رأى في المنام وقال له ابنه اسحق ما قال ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال قال جبرائيل لسارة أبشري بولد اسمه اسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضربت جبهتها عجبا فذلك قوله فصكت وجهها وقالت أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب الى قوله حميد مجيد قالت سارة لجبريل ما آية ذلك فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيح فلما كبر اسحق أتى ابراهيم في النوم فقيل له أوف بنذرك الذي نذرت ان الله رزقك غلاما من سارة أن تذبحه فقال لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى اذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام يا أبت أين قربانك قال يا بنيّ اني رأيت في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فقال له اسحق يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فتراه سارة فتحزن وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون للموت عليّ فاذا أتيت سارة فاقرأ عليها مني السلام فأقبل عليه ابراهيم يقبله وقد ربطه وهو يبكي واسحق يبكي حتى استنقع الدموع تحت خد اسحق ثم انه جر السكين على حلقه فلم تحك السكين وضرب الله صفيحة من نحاس على حلق اسحق فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه وحز من قفاه فذلك قوله فلما أسلما يقول سلما لله الأمر وتله للجبين فنودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالحق فالتفت فاذا بكبش فأخذه وخلى عن ابنه فأكب على ابنه يقبله وهو يقول اليوم يا بنيّ وهبت لي فلذلك يقول الله وفديناه بذبح عظيم فرجع الى سارة فأخبرها الخبر فجزعت سارة وقالت يا ابراهيم أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا بنيّ اني أرى في المنام أني أذبحك قال رؤيا الانبياء حق اذا رأوا في المنام

فعليه أو على الضمير في مبعوثون وحسن الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وعلى الأول أرادوا انكار أن يبعث واحد منهم أو من آبائهم فأرغمهم الله سبحانه بقوله (قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون أذلاء واذا كان كذلك (فانما هي) أي البعثة أو هو مبهم يوضحه خبره (زجرة) واحدة يعني صيحة النفخة الثانية (فاذا هم ينظرون) أراد أنهم أحياء بصراء أو أراد أنهم ينظرون أمر الله فيهم (وقالوا يا ويلنا) الظاهر أن كلامهم يتم عند قوله تكذبون يقوله الكفرة فيما بينهم وقيل ان كلامهم يتم عند قوله يا ويلنا ثم قال الله أو الملائكة (هذا يوم الدين) الجزاء والحساب (هذا يوم الفصل) القضاء والفرق بين المحسن والمسيء (احشروا الذين ظلموا) بالكفر أو بالفسق يعني رؤساءهم وهذا الحشر بمعنى الجمع لأنه بعد البعث أي اجمعوهم (وأزواجهم) أي أشكالهم الذين على دينهم وسيرتهم الزاني مع الزاني والسارق مع السارق والشارب مع الشارب وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على ملتهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الأصنام (فاهدوهم) أدعوهم أوقدموهم والسابق يسمى الهادي أو دلوهم (الى صراط الجحيم) وسطها أو طريقها لأنه قال بعد ذلك (وقفوهم) أي احبسوهم للسؤال كأنهم اذا

 انتهوا الى الجحيم سئلوا تهكما وتوبيخا بالعجز عن التناصر (مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضا وخذله وحقيقته طلب كل منهم سلامة نفسه فقال المفسرون ان أبا جهل قال يوم بدر

شيأفعلوه حدثنا مجاهدبن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن
دينار عن عبيد بن عمير قال رؤيا الانبياء وحي ثم تلاهذه الآية انى أرى فى المنام أنى أذبحك
وقوله فانظر ماذا ترى اختلفت القراء فى قراءة قوله ماذا ترى فقرأته عامة قراء أهل المدينة
والبصرة و بعض قراء أهل الكوفة فانظر ماذا ترى بفتح التاء بمعنى أى شئ تأمر أوفانظر ماالذى
تأمر وقرأذلك عامة قراء الكوفة ماذا ترى بضم التاء بمعنى ماذا تشير وماذا ترى من صبرك
أو جزعك من الذبح * والذى هو أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه ماذا
ترى بفتح التاء بمعنى ماذا ترى من الرأى فان قال قائل أوكان ابراهيم يؤامر ابنه فى المضى لأمر الله
والانتهاء الى طاعته قيل لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه فى طاعة الله ولكنه كان منه ليعلم ما عند
ابنه من العزم هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذى هو عليه فيسر بذلك أم لا وهو فى
الأحوال كلها ماض لأمر الله وقوله قال يا أبت افعل ما تؤمر يقول تعالى ذكره قال اسحق لأبيه
يا أبت افعل ما يأمرك به ربك من ذبحى ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يقول ستجدنى
ان شاء الله صابرا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا وقال افعل ما تؤمر ولم يقل ما تؤمر به لأن المعنى
افعل الأمر الذى تؤمره وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله انى أرى فى المنام افعل ما أمرت به
القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين﴾ يقول تعالى ذكره فلما أسلما أمرهما لله وفوضاه
اليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا ثابت بن محمد وحدثنا ابن بشار
قال ثنا مسلم بن صالح قالا ثنا عبد الله بن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح
فى قوله فلما أسلما قال اتفقا على أمر واحد حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا
الحسين عن يزيد عن عكرمة قوله فلما أسلما وتله للجبين قال أسلما جميعا لأمر الله ورضى الغلام
بالذبح ورضى الأب بأن يذبحه فقال يا أبت اقذفنى للوجه كيلا تنظر الى فترحمنى وأنظر أنا الى
الشفرة فأجزع ولكن أدخل الشفرة من تحتى وامض لأمر الله فذلك قوله فلما أسلما وتله
للجبين فلما فعل ذلك ناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما أسلما قال أسلم هذا نفسه لله وأسلم هذا ابنه لله
حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فلما أسلما قال أسلما ما أمرا به حدثنا
موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما أسلما يقول سلما لأمر الله حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما أسلما أى سلم ابراهيم لذبحه حين أمر به وسلم ابنه
للصبر عليه حين عرف أن الله أمره بذلك فيه وقوله وتله للجبين يقول وصرعه للجبين والجبينان
ما عن يمين الجبهة وعن شمالها وللوجه جبينان والجبهة بينهما وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله
وتله للجبين قال وضع وجهه للارض قال لا تذبحنى وأنت تنظر الى وجهى عسى أن ترحمنى ولا تجهز

نحن جميع منتصر فوبخ على ذلك يوم القيامة ثم حكى أنهم فى جهنم يتساءلون تساؤل التخاصم وذلك أن أتباعهم (قالوا) لرؤسائهم (انكم كنتم
تأتوننا عن اليمين) وفيه وجوه الاول أنها استعارة عن الخيرات والسعادات وذلك أن الجانب الايمن أشرف من الايسر شرعا
وعرفا كان رسول الله يحب
التيامن فى كل شئ ولهذا أمرت
الشريعة بمباشرة أفاضل الامور
باليمين وأراذلها بالشمال وجعلت
اليمين لكاتب الحسنات والشمال
لكاتب السيآت ووعد المحسن أن
يؤتى كتابه بيمينه والمسىء بالضد وما
جعلت يمنى الا للتيمن بها ولذلك
تيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح فقيل
أتاه عن اليمين أى من قبل الخير
وناحيته فصدّه عنه وأضله قال جار
الله من المجاز ما غلب عليه الاستعمال
حتى لحق بالحقيقة وهذا من ذلك
لأن اليمين كالحقيقة فى الخير ثم صار
قولك أتاه عن اليمين مجازا فى المعنى
المذكور الثانى أن يقال فلان يمين
فلان اذا كان عنده بمنزلة رفيعة
فكأنهم قالوا انكم كنتم تخدعوننا
وتوهمون أنا عندكم بمحل رفيع فوثقنا
بكم وقبلنا عنكم الثالث اليمين الحلف
كان الكفار قد حلفوا لهؤلاء الضعفة
أن ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا
بأيمانهم وتمسكوا بعهودهم الرابع أن
اليمين القوة والقهر فبها يقع البطش
غالبا أى كنتم تأتوننا عن القهر
والغلبة حتى حملتمونا على الضلال
وكما أن الضمير فى قالوا الاول كان
عائدا الى الاتباع بقرينة الخطاب
فالضمير فى قالوا الثانى يعود الى
الرؤساء لمثل تلك القرينة والمعنى
بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه
كما أعرضنا (وما كان لنا عليكم من
سلطان بل كنتم قوما) مختارين
الطغيان وهذا مثل محاجة ابليس
وما كان لى عليكم من سلطان
الا أن دعوتكم فاستجبتم (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون) قال مقاتل أراد قوله لأملأن جهنم والمعنى أنه
لما أخبر عن وقوعنا فى العذاب وكان خبر الله حقا فلا جرم وجب وقوعنا فى العذاب قال جار الله لو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون
على

علىّ اربط يدىّ الى رقبتى ثم ضع وجهى للارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتله للجبين أى وكبه لفيه وأخذ الشفرة وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا حتى بلغ وفديناه بذبح عظيم حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس وتله للجبين قال أكبه على جبهته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتله للجبين قال جبينه قال أخذ جبينه ليذبحه حدثنا ابن سنان قال ثنا حجاج عن حماد عن أبي عاصم الغنوى عن أبي الطفيل قال قال ابن عباس ان ابراهيم لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب به جبريل الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم تله للجبين وعلى اسمعيل قميص أبيض فقال له يا أبت انه ليس لى ثوب تكفنني فيه غيره هذا فاخلعه حتى تكفنني فيه فالتفت ابراهيم فاذا هو بكبش أعين أبيض فذبحه فقال ابن عباس لقد رأيتنا نتتبع هذا الضرب من الكباش وقوله وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وهذا جواب قوله فلما أسلما ومعنى الكلام فلما أسلما وتله للجبين ناديناه أن يا ابراهيم وأدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما وحتى اذا وتلقيها و يعني بقوله قد صدقت الرؤيا التي أريناكها في منامك بأمرناك بذبح ابنك وقوله انا كذلك نجزي المحسنين يقول انا كما جزيناك بطاعتنا يا ابراهيم كذلك نجزي الذين أحسنوا وأطاعوا أمرنا وعملوا في رضانا وقوله ان هذا لهو البلاء المبين يقول تعالى ذكره ان أمرنا اياك يا ابراهيم بذبح ابنك اسحق لهو البلاء يقول لهو الاختبار الذي يبين لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة وكان ابن زيد يقول البلاء في هذا الموضع الشر وليس باختبار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هذا لهو البلاء المبين قال هذا في البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه صدقت الرؤيا ابتليت ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك قال وهذا من البلاء المكروه وهو الشر وليس من بلاء الاختبار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين﴾ وقوله وفديناه بذبح عظيم يقول وفدينا اسحق بذبح عظيم والفدية الجزاء يقول جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم وأنقذناه من الذبح * واختلف أهل التأويل في المفدىّ من الذبح من ابنى ابراهيم فقال بعضهم هو اسحق ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن مبارك عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب وفديناه بذبح عظيم قال هو اسحق حدثني الحسين بن يزيد بن اسحق قال ثنا ابن ادريس عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال الذي أمر بذبحه ابراهيم هو اسحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال هو اسحق حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس الذبيح اسحق حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن على بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال هو اسحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا

ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم يتكلمون بذلك عن انفسهم وكلا الاستعمالين شائع (فأغويناكم انا كنا غاوين) اى اقدمنا على إغوائكم لأنا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية كأنهم قالوا ان اعتقدتم أن غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب اغواء غاوٍ آخر لزم التسلسل فعلمنا أن غوايتنا أيضا من الله كما مر في قوله فحق علينا قول ربنا هذا تفسير أهل السنة وأما المعتزلة فيفسرون الآيات هكذا قالوا بل لم تكونوا مؤمنين أى كنتم مختارين الكفر على الايمان وماسلبنا تمكنكم من تسلط بل اخترتم أنتم الطغيان فحق علينا وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لامحالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة فأغويناكم فدعوناكم الى الغي لأنا كنا غاوين فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا وحين حكى كلام الاتباع والمتبوعين أنتج من ذلك قوله (فانهم) جميعا (يومئذ) أى يوم القيامة (في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في الغواية ولعل للمتبوعين عذابا زائدا للاغواء ولكن الزيادة لاتنافي الاشتراك في أصل الشئ (انا كذلك) أى مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم أى كافر بدليل قوله (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) يأبون من قبوله والجملة الشرطية خبر كان وهو مع الاسم والخبر خبر إن وان ألغيت كان فالخبر يستكبرون واذا ظرفه (و يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) عنوا محمدا صلى الله عليه وسلم بين أنهم منكرون للتوحيد وللنبوة جميعا فرد عليهم بقوله (بل جاء) متلبسا (بالحق وصدق المرسلين) وفيه تنبيه على أن التوحيد دين كل الانبياء ثم صدقهم في قولهم فحق علينا قول ربنا ونقل الكلام من الغيبة الى الحضور للمبالغة قائلا (انكم لذائقوا العذاب الأليم) ثم كان لقائل أن يقول كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضر أن يعذب عبيده فقال (وماتجزون الاما كنتم تعملون) فالحكمة اقتضت الأمر بالخير والطاعة والنهى عن القبيح والمعصية والامر والنهى لايكمل المقصود بهما الا بالترغيب

والترهيب واذاوقع الاخبارعنه وجب تحققه صونا للكلام عن الكذب هـذا بتفسير المعتزلة أشبه والسنيّ يقول لا اعتراض عليه في شئ ولا يسئل عما يفعل قال جار الله (الا عباد الله) (٥٢) استثناء منقطع أي لكن عباد الله (المخلصين أولئك لهم رزق) قلت يجوز أن يكون الاستثناء متصلا والمعنى وما تجزون الا ما كنتم تعملون من غير زيادة الا المخلصين فان جزاءهم بالأضعاف ويحتمل أن يكون الخطاب في قوله انكم للمكلفين جميعا فيصح الاستثناء المتصل مطلقا أي تذوقون العذاب الأليم قوله (معلوم) قيل أي معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقيل معلوم الصفة لكونه مخصوصا بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم القدر على حسب استحقاقهم وقيل أراد أنهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذى لا يعلم متى يحصل ومتى يقطع ثم فسر ذلك الرزق بأنه (فواكه) فقيل ان الفاكهة عبارة عما يؤكل لاجل التلذذ لا لاجل الحاجة وأرزاق أهل الجنة كلها كذلك لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فانهم أجسام محكمة مخلوقة للابد فلذلك سمى رزقهم فاكهة وقيل أراد به التنبيه بالأدنى على الأعلى فاذا كانت الفاكهة حاضرة أبدا كان الطعام أولى بالحضور وحيث بين الأكل ذكر أن ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال (وهم مكرمون) اذ الاكل الخالى عن التعظيم يليق بالبهائم وحين ذكر مأكولهم وصف مسكنهم وهيئة جلوسهم فقال (في جنات النعيم على سرر متقابلين) وقد مر في الحجر ثم وصف مشروبهم قال أهل اللغة لا يسمى الاناء كاسا الا اذا كان فيها خمر

شعبة عن أبي اسحق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابراهيم بن المختار قال ثنا محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن الزهري عن العلاء بن حارثة الثقفي عن أبي هريرة عن كعب في قوله وفديناه بذبح عظيم قال من ابنه اسحق حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا زكريا وشعبة عن ابن اسحق عن مسروق في قوله وفديناه بذبح عظيم قال هو اسحق حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن زيد ابن أسلم عن عبيد بن عمير قال هو اسحق حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمير قال قال موسى يارب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فبم قالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل بي شيأ قط إلا اختارني عليه وان اسحق جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال قال موسى أي رب بم أعطيت ابراهيم واسحق ويعقوب ما أعطيتهم فذكر معنى حديث عمرو بن علي حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن أبي سنان الشيباني عن ابن ابي الهذيل قال الذبيح هو اسحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عمرو بن أبي سفيان ابن أسيد بن حارثة الثقفي أخبره أن كعبا قال لأبي هريرة ألا أخبرك عن اسحق بن ابراهيم النبي قال أبو هريرة بلى قال كعب لما أرى ابراهيم ذبح اسحق قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل الشيطان لهم رجلا يعرفونه فأقبل حتى اذا خرج ابراهيم باسحق ليذبحه دخل على سارة امرأة ابراهيم فقال لها أين أصبح ابراهيم غاديا باسحق قالت سارة غدا لبعض حاجته قال الشيطان لا والله ما لذلك غدا به قالت سارة فلم غدا به قال غدا به ليذبحه قالت سارة ليس من ذلك شئ لم يكن ليذبح ابنه قال الشيطان بلى والله قالت سارة فلم يذبحه قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت سارة فهذا أحسن بأن يطيع ربه ان كان أمره بذلك فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك اسحق وهو يمشي على اثر أبيه فقال أين أصبح أبوك غاديا بك قال غدا بي لبعض حاجته قال الشيطان لا والله ما غدا بك لبعض حاجته ولكن غدا بك ليذبحك قال اسحق ما كان أبي ليذبحني قال بلى قال لم قال زعم أن ربه أمره بذلك قال اسحق فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنه قال فتركه الشيطان وأسرع الى ابراهيم فقال أين أصبحت غاديا بابنك قال غدوت به لبعض حاجتي قال أما والله ما غدوت به الا لتذبحه قال لم أذبحه قال زعمت أن ربك أمرك بذلك قال فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلن قال فلما أخذ ابراهيم اسحق ليذبحه وسلم اسحق أعفاه الله وفداه بذبح عظيم قال ابراهيم لاسحق قم أي بني فان الله قد أعفاك وأوحى الله الى اسحق اني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها قال اسحق اللهم اني أدعوك أن تستجيب لي أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيأ فأدخله الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر عن محمد بن مسلم الزهري عن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة عن أبي هريرة عن كعب الاحبار أن الذى أمر ابراهيم بذبحه من ابنيه اسحق وأن الله لما فرج له ولابنه من البلاء العظيم الذى كان فيه قال الله لاسحق اني

وقد تسمى الخمر نفسها كاسا عن الأخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس والمعين النهر الجاري على وجه الأرض وأصله معيون لانه الظاهر للعيون أومن عين الماء وقد يقال عان الماء يعين اذا ظهر جاريا قاله ثعلب وقيل فعيل من المعن

انى قد أعطيتك بصبرك لأمرى دعوة أعطيك فيها ما سألت فسلنى قال رب أسألك أن لا تعذب عبدا من عبادك لقيك وهو يؤمن بك فكانت تلك مسئلته التى سأل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا اسرائيل عن جابر عن ابن سابط قال هو اسحق حدثنا أبو كريب قال ثنا سفيان بن عقبة عن حمزة الزيات عن أبى ميسرة قال قال يوسف للملك فى وجهه ترغب أن تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله * قال ثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل قال قال يوسف للملك فذكر نحوه * وقال آخرون الذى فدى بالذبح العظيم من ابنى ابراهيم اسمعيل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب واسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا ثنا يحيى بن يمان عن اسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر قال الذبيح اسمعيل حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان قال ثنى بيان عن الشعبى عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن محمد بن ميمون السكرى عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال ان الذى أمر بذبحه ابراهيم اسمعيل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن على بن زيد عن عمار مولى بنى هاشم أو عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال هو اسمعيل يعنى وفديناه بذبح عظيم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا داود عن الشعبى قال قال ابن عباس هو اسمعيل وحدثنى به يعقوب مرة أخرى قال ثنا ابن علية قال سئل داود بن أبى هند أى ابنى ابراهيم الذى أمر بذبحه فزعم أن الشعبى قال قال ابن عباس هو اسمعيل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن بيان عن الشعبى عن ابن عباس أنه قال فى الذى فداه الله بذبح عظيم قال هو اسمعيل حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله وفديناه بذبح عظيم قال هو اسمعيل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمر بن قيس عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله ابن عباس أنه قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو عاصم عن مبارك عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس الذى فداه الله هو اسمعيل حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا حجاج بن حماد عن أبى عاصم الغنوى عن أبى الطفيل عن ابن عباس مثله حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر قال الذى أراد ابراهيم ذبحه اسمعيل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر أنه قال فى هذه الآية وفديناه بذبح عظيم قال هو اسمعيل قال وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن الشعبى قال الذبيح اسمعيل * قال ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن الشعبى قال رأيت قرنى الكبش فى الكعبة * قال ثنا ابن يمان عن مبارك بن فضالة عن على ابن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران قال هو اسمعيل * قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هو اسمعيل حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا عوف عن الحسن وفديناه بذبح عظيم قال هو اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا

وهو المنقعة أو الماء الشديد الجرى ومنه أمعن فى السير أى بالغ فيه واشتد وصف الخمر بما يوصف به الماء لأنها تجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء و بيضاء صفة للكأس قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن و (لذة) اما مصدر وصف بها للمبالغة كأنها نفس اللذة او هى تأنيث اللذ واللذ واللذيذ واحد كالطب والطبيب ثم بين أن خمر الجنة لاتغتال العقول يقال غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده وفيه تعريض بخمور الدنيا ولهذا قدم الظرف وبنى الكلام على الاسم فى قوله (ولاهم عنها ينزفون) أى يسكرون وخص هذا الوصف بالذكر لأنه أعظم المفاسد فى شرب الخمر يقال نزف الشارب على البناء للمفعول اذا ذهب عقله والتركيب يدور على الفناء والنفاد ومنه نزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وأنزف مثله ومعناه صار ذا نزف وعن بعضهم أن معنى قوله ولاهم عنها ينزفون هو أن الشراب لاينقطع عنهم لئلا يلزم نوع من التكرار والأولون حملوه على المبالغة ثم وصف منكوحهم بقوله (وعندهم قاصرات الطرف) أى حابساتها عن غير أزواجهن كقوله عربا والعين جمع العيناء مؤنث الأعين وهو كبير العين ثم شبههن ببيض النعام المكنون فى وكناتها وذلك لأن فيها بياضا يشوبه قليل من الصفرة واذا كانت مستورة فى أماكنها كانت مصونة عن الغبرة والتغير فكانت فى غاية الحسن وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور ثم عطف على قوله يطاف قوله فأقبل وهو مضارع فى المعنى الا أنه على عادة الله تعالى فى الاخبار ولعل هذا التذاكر عقيب اطافة الكاس فلهذا جىء بالفاء بخلاف مامر فى تخاصم أهل النار والمراد أنهم يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة أهل المنادمة والعشرة قال بعضهم

ومابقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

وقد حكى من جملة مكالماتهم تذكرهم أنه كان قد حصل لهم فى الدنيا

ما يوجب لهم الوقوع فى عذاب الله ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالنعيم المقيم وهذا ابتداء الحكاية (قال قائل منهم) أى من أهل الجنة (انى كان لى
قرين) جليس أو شريك فى الدنيا يقول (٥٤) (أئنك لمن المصدقين) أى بيوم الدين (أئنا لمدينون) لمجزيون من دان يدين اذا جزى
وقيل لمسوسون مقهورون من دانه
اذا ساسه ومنه الحديث الكيس
من دان نفسه وعن بعضهم أراد
بالمتحادثين الرجلين المذكورين
فى الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا
رجلين (قال) يعنى ذلك القائل
أوالله أو بعض الملائكة (هل أنتم
مطلعون) الى النار أى هل تحبون
أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم منها
عن ابن عباس ان فى الجنة كوى
ينظر أهلها منها الى النار (فاطلع) على
أهل النار فرأى قرينه (فى سواء
الجحيم) وسطها (قال) لقرينه (تالله
ان كدت لتردين) ان مخففة واللام
فارقة والارداء الاهلاك وبخه على
أنه كان يدعوه فى الدنيا الى انكار
البعث المتضمن للكفر المؤدى الى
الهلاك الحقيق والخطاب مع
القرين إما أن يكون بحيث يسمعه
حقيقة وذلك لرفع الحجاب وتقريب
المسافة أو كما أراد الله بقدرته وإما
أن يخاطبه وان لم يمكنه السماع لبعده
كما يخاطب الموتى ومن فى حكمهم
نظيره ما مر فى قصة صالح فتولى
عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم الى
آخر الآية والله أعلم ثم شكر الله تعالى
على أن وفقه لنعمة الاسلام
وأرشده الى الحق وعصمه عن
الباطل فقال (ولولا نعمة ربى
لكنت من المحضرين) فى النار مثلك
أطلق اطلاقا لأن الاحضار
يستعمل فى الشر غالبا ولاسيما فى
اصطلاح القرآن وحين تمم كلامه
مع الرجل الذى كان قرينا له
فى الدنيا وهو الآن من أهل النار عاد
الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة قائلا (أفما نحن بميتين) وفيه قولان أحدهما أن أهل الجنة لا يعلمون فى أول دخولهم نحو
الجنة أنهم لا يموتون فيستفهمون عن ذلك فيما بينهم أو يسألون الملائكة فاذا جىء بالموت على صورة كبش أملح وذبح فعند ذلك يعلمون

سلمة عن ابن اسحق قال سمعت محمد بن كعب القرظى وهو يقول ان الذى أمر الله ابراهيم بذبحه
من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبح ابنه
اسمعيل وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم قال وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين يقول بشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح
اسحق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله وما الذى أمر بذبحه الا اسمعيل حدثنا ابن حميد قال
ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصرى أنه كان
لا يشك فى ذلك أن الذى أمر بذبحه من ابنى ابراهيم اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
قال قال محمد بن اسحق سمعت محمد بن كعب القرظى يقول ذلك كثيرا حدثنا ابن حميد قال
ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب
القرظى أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر إن
هذا الشئ ما كنت أنظر فيه وانى لأراه كما هو ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا
فأسلم فحسن اسلامه وكان يرى أنه من علماء يهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال محمد
ابن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال اسمعيل والله
يا أمير المؤمنين وان يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى
كان من أمر الله فيه والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك و يزعمون
أنه اسحق لأن اسحق أبوهم فالله أعلم أيهما كان كل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لربه حدثنى محمد
ابن عمار الرازى قال ثنا اسمعيل بن عبيد بن أبى كريمة قال ثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابى
عن عبيد الله بن محمد العتبى من ولد عتبة بن أبى سفيان عن أبيه قال ثنى عبد الله بن سعيد عن
الصنابحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير
سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد على مما أفاء الله عليك
يا ابن الذبيحين فضحك عليه السلام فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب
لما أمر بحفر زمزم نذر لله لئن سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله
فمنعه أخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل واسمعيل الثانى حدثنا محمد
ابن بشار قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا ابن جريج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفديناه بذبح
عظيم قال الذى فدى به اسمعيل ويعنى تعالى ذكره الكبش الذى فدى به اسحق والعرب تقول
لكل ما أعد للذبح ذبح وأما الذبح بفتح الذال فهو الفعل «قال أبو جعفر» وأولى القولين
بالصواب فى المفدى من ابنى ابراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال هو اسحق لأن
الله قال وفديناه بذبح عظيم فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذى بشر به ابراهيم حين سأله أن يهب
له ولدا صالحا من الصالحين فقال رب هب لى من الصالحين فاذ كان المفدى بالذبح من ابنيه هو
المبشر به وكان الله تبارك اسمه قد بين فى كتابه أن الذى بشر به هو اسحق ومن وراء اسحق يعقوب
فقال جل ثناؤه و بشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وكان فى كل موضع من القرآن ذكر تبشيره
اياه بولد فانما هو معنى به اسحق كان بينا أن تبشيره اياه بقوله فبشرناه بغلام حليم فى هذا الموضع

انهم لايموتون والتقدير نحن مخلدون منعمون فـما من شأننا أن نموت ولا أن نعذب وثانيهما ان هذا مما يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله سبحانه واغتباطا بحاله فان الذي يتكامل خيره وسعادته اذا عظم تعجبه بها قد يقول (٥٥) أفيدوم هذا لى وان كان على يقين من دوامه وأيضا انه قال ذلك بمسمع من قرينـه ليكون توبيخا له وليحكيه الله فيكون لنـا لطفا وزجرا احتج نفاة عذاب القـبر بقوله الا موتتنا الاولى فانه يدل على ان الانسان لايموت الا موتة واحدة ولو حصلت الحياة فى القبر لكان الموت حاصلا مرتين وأجيب بأن المراد بالموتة الاولى كل مايقع فى الدنيا وقوله (ان هذا لهو الفوز العظيم) يجوز أن يكون من تمام كلامه لقرينـه تقريعا له وتوبيخا وأن يكون من قول أهل الجنة فيما بينهم أى ان هذا الامر الذى نحن فيـه أوهو قول الله تصديقا لهم وكذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون ولاخلاف أن قول ذلك خير من كلام الله عز وجل كأنه لما تم قصة المؤمن رجع الى ذكـر الرزق المعلوم فاستفهم للتقـرير ان ذلك الرزق (خير نزلا أم شجرة الزقوم) قال جار الله أصل النزل الفضل والريع فى الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشئ وحاصل الرزق المعـلوم اللذة والسرور وحاصل تلك الشجرة الألم والغم ويمكن أن يقال النزل مايقدم للضيف ومعلوم أنه لاخير فى شجرة الزقوم ولكنهم وبخوا على ذلك وظاهر القرآن يدل على أنها شجرة كريهة الطعم والرائحـة مؤلمة التناول صـعبة الابتلاع الا أن المفسرين اختلفوا فى ماهيتهـا فذكر قطرب أنها شجرة مرة تكون بتهامة وقال غـيره انها ليس لهـا فى الدنيـا وجود بدليل قوله (انا جعلناها فتنة للظالمين) وذلك أنها خلاف المألوف والمعتاد فاذا ورد على سمع المؤمن فوض علمه الى الله تعالى واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن فى القرآن ويزيد فى شبهته كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقيل انما كانت فتنة لهم لانهم اذا كلفوا تناولها شق ذلك عليهم

نحو سائر أخباره فى غيره من آيات القرآن وبعد فان الله أخبر جل ثناؤه فى هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغـلام الحليم عن مسألته اياه أن يهب له من الصالحين ومعلوم أنه لم يسأله ذلك الا فى حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين لأنه لم يكن له من ابنيه إلا امام الصالحين وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه فى هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذى ذكر تعالى ذكره فى هذا الموضع هو الذى ذكر فى سائر القرآن أنه بشره به وذلك لاشك أنه اسحق اذ كان المفـدى هو المبشر به وأما الذى اعتـل به من اعتل فى أنه اسمعيل أن الله قد كان وعد ابراهيم أن يكون له من اسحق ابن ابن فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذى قد تقدم فان الله انمـا أمره بذبحه بعـد أن بلغ معه السعى وتلك حال (٣) غير ممكن أن يكون قد كان ولد لاسحق فيها أولاد فكيف الواحد وأما اعتـلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدى من ولد ابراهيم بقوله وبشرناه باسحق نبيا ولو كان المفدى هو اسحق لم يبشر به بعد وقد ولد وبلغ معه السعى فان البشارة بنبوة اسحق من الله فيما جاءت به الاخبار جاءت ابراهيم واسحق بعـد أن فدى تكرمة من الله له على صـبره لامر ربه فيما امتحنه به من الذبح وقد تقدمت الرواية قبل عمن قال ذلك وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا فى الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام الى مكة وقد روى عن جماعة من أهل العـلم أن ابراهيم انما أمر بذبح ابنـه اسحق بالشام وبها أراد ذبحه * واختلف أهل العلم فى الذبح الذى فدى به اسحق فقال بعضهم كان كبشا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن أبى الطفيل عن على وفديناه بذبح عظيم قال كبش أبيض أقرن أعين مربوط بسمرة فى ثبير حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال كبش قال عبيـد بن عمير ذبح بالمقام وقال مجاهـد ذبح بمنى فى المنحر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن سعيد عن ابن عباس قال الكبش الذى ذبحه ابراهيم هو الكبش الذى قربه ابن آدم فتقبل منه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا سيار عن عكرمة أن ابن عباس كان أفتى الذى جعل عليـه أن ينحر نفسه فأمره بمـائة من الابل قال فقال ابن عباس بعـد ذلك لو كنت أفتيتـه بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا فان الله قال فى كتابه وفديناه بذبح عظيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس قوله وفديناه بذبح عظيم قال ذبح كبش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة وفديناه بذبح عظيم قال قال ابن عباس التفت فاذا كبش فأخذه فذبحه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير وفديناه بذبح عظيم قال كان الكبش الذى ذبحه ابراهيم رعى فى الجنة أربعين سنة وكان كبشا أملح صوفه مثل العهن الأحمر حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد وفديناه بذبح قال بكبش حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ليث قال قال مجاهـد الذبح العظيم شاة حدثنى محمـد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بذبح عظيم قال بكبش وحدثنا الحرث قال ثنا الحسـن قال ثنا شريك

فهو كقوله يوم هم على النار يفتنون وذكر المفسرون أن ابن الزبعرى قال لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وان الزقوم بلسان بربر
وافريقية الزبد والتمر وذكروا أيضا أن أبا جهل أدخلهم بيته وقال يا جارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا الذي
يوعدكم محمد به فأنزل الله صفة
الزقوم وذكر بقية أوصاف
الشجرة منها (انها تخرج فى أصل
الجحيم) أى منبتها فى قعر جهنم
وأغصانها ترتفع الى دركاتها وفيه
تكذيب للطاعنين فيه كيف يكون
فى النار شجرة والنار تحرق الشجر
ومنها (طلعها كأنه رؤس الشياطين)
قال جار الله الطلع للنخلة فاستعير
لما طلع من شجرة الزقوم من حملها
اما استعارة لفظية وذلك أن يكون
وجه الاستعارة مجرد الطلوع أى
الظهور أو معنوية وذلك اذا كان
يشبه الطلع شكلا ولونا وفى تشبيه
ثمرتها برؤس الشياطين أقوال
أحدها وهو الأقوى انه تمثيل
وتخييل وذلك أن الشيطان مثل
فى القبح ونفرة الطباع عنه كما أن
الملك مثل فى الحسن وميل النفوس
اليه واذا كان الشيطان كله
مستقبحا فرأسه كذلك وتشبيه
الثمرة برأسه أولى للاستدارة
وللتوسط فى الجحيم الثانى أن
الشيطان ههنا نوع من الحيات
تعرفها العرب خفاف لها أعراف
ورؤس قباح الثالث أنه شجر
معروف عند العرب قبيح الاعالى
يسمى الاستن وثمره يسمى رؤس
الشياطين الرابع قال مقاتل
رؤس الشياطين حجارة سود
تكون حول مكة ولعل هذا بل
الثالث والثانى أيضا يعود الى
الاول الا أنه بعد التسمية كأنه صار
أصلا يشبه به ثم علل جعل الشجرة
فتنة للظالمين بقوله (فانهم لآكلون
منها) أى من طلعها (فمالئون منها البطون) أى بطونهم إما لأن شدة الجوع تحملهم على تناول ذلك الشئ الكريه واما لان على
الزبانية يقسرونهم على أكلها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش أو أخذتهم الغصة فيسقون من حميم وهو الماء الشديد الحرارة

عن ليث عن مجاهد وفديناه بذبح عظيم قال الذبح الكبش حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال
ثنا أسباط عن السدى قال التفت يعنى ابراهيم فاذا بكبش فأخذه وخلى عن ابنه حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الذبح العظيم الكبش الذى فدى الله به اسحق حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن قتادة بن دعامة عن جعفر بن
اياس عن عبدالله بن العباس فى قوله وفديناه بذبح عظيم قال خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها
قبل ذلك أربعين خريفا فأرسل ابراهيم ابنه واتبع الكبش فأخرجه الى الجمرة الأولى فرمى بسبع
حصيات فأفلته عنده فجاء الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه
عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه
فوالذى نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه عند ميزاب
الكعبة قد حش يعنى يبس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ابن اسحق ويزعم أهل
الكتاب الاول وكثير من العلماء أن ذبيحة ابراهيم التى فدى بها ابنه كبش أملح أقرن أعين حدثنا
عمرو بن عبدالحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قوله وفديناه بذبح
عظيم قال بكبش * وقال آخرون كان ذلك الذبح وعلا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب
قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن رجل عن أبى صالح عن ابن عباس وفديناه بذبح
عظيم قال كان وعلا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن
الحسن أنه كان يقول ما فدى اسمعيل الا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير واختلف أهل
التأويل فى السبب الذى من أجله قيل للذبح الذى فدى به اسحق عظيم فقال بعضهم قيل ذلك
كذلك لأنه كان رعى فى الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن
سفيان عن عبدالله بن عيسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال رعى
فى الجنة أربعين خريفا * وقال آخرون قيل له عظيم لأنه كان ذبحا متقبلا ذكر من قال ذلك
حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد عظيم قال متقبل
حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد فى وفديناه بذبح
عظيم قال العظيم المتقبل * وقال آخرون قيل له عظيم لأنه ذبح ذبح بالحق وذلك ذبحه بدين ابراهيم
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن
الحسن أنه كان يقول ما يقول الله وفديناه بذبح عظيم لذبيحته التى ذبح فقط ولكنه الذبح على دينه
فتلك السنة الى يوم القيامة فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء فضحوا عباد الله «قال أبو جعفر»
ولا قول فى ذلك أصح مما قال الله جل ثناؤه وهو أن يقال فداه الله بذبح عظيم وذلك أن الله عم وصفه
اياه بالعظم دون تخصيصه فهو كما عمه به وقوله وتركنا عليه فى الآخرين يقول تعالى ذكره وأبقينا
عليه فيمن بعده الى يوم القيامة ثناء حسنا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة وتركنا عليه فى الآخرين قال أبقى الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتركنا عليه فى الآخرين قال سأل ابراهيم فقال واجعل
لى لسان صدق فى الآخرين قال فترك الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين كما ترك اللسان السوء

وقد وصفه الله سبحانه في قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه والشوب المزج كما قال في صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم وهو تسمية بالمصدر والمراد أن الطعام مزج بالحميم أو يسقون صديدا (٥٧) أو شرابا حارا ممزوجا بما هو أحر وهو الحميم

على فرعون وأشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء وقيل معنى ذلك وتركنا عليه في الآخرين السلام وهو قوله سلام على ابراهيم وذلك قول يروى عن ابن عباس تركناه كرهه لأن في اسناده من لم نستجز ذكره وقد ذكرنا الأخبار المروية في قوله وتركنا عليه في الآخرين فيما مضى قبل وقيل معنى ذلك وتركنا عليه في الآخرين أن يقال سلام على ابراهيم وقوله سلام على ابراهيم يقول تعالى ذكره أمنة من الله في الأرض لابراهيم أن لا يذكر من بعده الا بالجميل من الذكر وقوله كذلك نجزى المحسنين يقول كما جزينا ابراهيم على طاعته ايانا واحسانه في الانتهاء الى أمرنا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين يقول ان ابراهيم من عبادنا المخلصين لنا الايمان

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ يقول تعالى ذكره وبشرنا ابراهيم باسحق نبيا شكرا له على احسانه وطاعته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر به بعد ذلك نبيا بعد ما كان هذا من أمره لما جاد لله بنفسه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس الذبيح اسحق قال وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر بنبوته قال وقوله ووهبنا له أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهب الله نبوته حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا معتمر ابن سليمن قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال انما بشر به نبيا حين فداه من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده حدثني الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا ابن ادريس عن داود عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله وبشرناه باسحق نبيا قال انما بشر بالنبوة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشرا براهيم باسحق حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بنبوته حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ضرار عن شيخ من أهل المسجد قال بشر ابراهيم لسبع عشرة ومائة سنة وقوله وباركنا عليه وعلى اسحق يقول تعالى ذكره وباركنا على ابراهيم وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن يعنى بالمحسن المؤمن المطيع لله المحسن في طاعته اياه وظالم لنفسه مبين ويعنى بالظالم لنفسه الكافر بالله الجالب على نفسه بكفره عذاب الله وأليم عقابه مبين يعنى الذى قد أبان ظلمه نفسه بكفره بالله وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى في قوله محسن وظالم لنفسه مبين قال المحسن المطيع لله والظالم لنفسه العاصى لله

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد تفضلنا على موسى وهرون ابنى عمران فجعلناهما نبيين ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذى كانوا فيه من عبودة آل فرعون ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط

ومعنى ثم التراخى في الزمان كأنهم لا يسقون الا بعد مدة مديدة تكميلا للتعذيب أو التراخى بالرتبة لأن الشراب أبشع من الطعام بكثير قال مقاتل معنى ثم في قوله (ثم ان مرجعهم) أنهم يخرجون من الجحيم ودركاتها الى موضع فيه الزقوم والحميم وبعد الأكل والشرب يردون الى موضعهم أى من الجحيم فكأنهم في وقت الأكل والشرب لا يعذبون بالنار وقيل هو كقولهم فلان يرجع الى مال ونعمة أى هو فيها وقيل ثم لتراخى الاخبار أى فقد صح أن مرجع الكفار الى النار وقيل ثم مع الجملة قد تدل على التقديم أى قبل ذلك كان مرجعهم الى الجحيم ثم بين أن سبب وقوعهم في أصناف العذاب المذكور هو التقليد والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يساقون سوقا ولو لم يوجد في ذم التقليد الا هذه الآية لكفى ثم أراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا بقوله (ولقد ضل قبلهم) أى قبل قومك (أكثر الأولين) ثم استثنى من قوله ولقد ضل أو من المنذرين المهلكين عباده المخلصين فان عاقبتهم كانت حميدة ثم سلاه بوقائع الامم الخالية تفصيلا وقدم قصة نوح عليه السلام لكونه أبا ثانيا ونداؤه في قوله رب انصرنى بما كذبون أو قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف أو للابتداء والمخصوص بالمدح وهو نحن محذوف والجمع لتصوير العظمة والكبرياء وفيه وفى فاء التعقيب في فلنعم دليل على أن نداء العظيم الكبير حقيق بأن يكون مقرونا باجابة والكرب العظيم ما هو فيه من مخاوف الطوفان أو من ايذاء قومه مع اليأس من ايمانهم وهذا أقرب

عن السدى فى قوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم قال من الغرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم أى من آل فرعون وقوله ونصرناهم يقول ونصرنا موسى وهرون وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم فكانوا هم الغالبين لهم وقال بعض أهل العربية انما أريد بالهاء والميم فى قوله ونصرناهم موسى وهرون ولكنها أخرجت على مخرج مكنى الجمع لأن العرب تذهب بالرئيس كالنبى والأمير وشبهه الى الجمع بجنوده وأتباعه والى التوحيد لأنه واحد فى الأصل ومثله على خوف من فرعون وملئهم وفى موضع آخر وملئه قال وربما ذهبت العرب بالاثنين الى الجمع كما تذهب بالواحد الى الجمع فتخاطب الرجل فتقول ما أحسنتم ولا أجملتم وانما تريده بعينه وهذا القول الذى قاله هذا الذى حكينا قوله فى قوله ونصرناهم وان كان قولا غير مدفوع فانه لا حاجة بنا الى الاحتيال به لقوله ونصرناهم لأن الله أتبع ذلك قوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ثم قال ونصرناهم يعنى هما وقومهما لأن فرعون وقومه كانوا أعداء لجميع بنى اسرائيل قد استضعفوهم يذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم فنصرهم الله عليهم بأن غرقهم ونجى الآخرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وآتينا موسى وهرون الكتاب يعنى التوراة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناهما الكتاب المستبين التوراة و يعنى بالمستبين المتبين هدى ما فيه وتفصيله وأحكامه وقوله وهديناهما الصراط المستقيم يقول تعالى ذكره وهدينا موسى وهرون الطريق المستقيم الذى لا اعوجاج فيه وهو الاسلام دين الله الذى ابتعث به أنبياءه و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهديناهما الصراط المستقيم الاسلام وقوله وتركنا عليهما فى الآخرين يقول وتركنا عليهما فى الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما وقوله سلام على موسى وهرون يقول وذلك أن يقال سلام على موسى وهرون وقوله انا كذلك نجزى المحسنين يقول هكذا نجزى أهل طاعتنا والعاملين بما يرضينا عنهم انهما من عبادنا المؤمنين يقول ان موسى وهرون من عبادنا المخلصين لنا الايمان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان إلياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم و رب آبائكم الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين﴾ يقول تعالى ذكره وان الياس وهو الياس بن ياسين بن فنحاص ابن العيزار بن هرون بن عمران فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقيل انه إدريس حدثنا بذلك بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان يقال الياس هو ادريس وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل وقوله لمن المرسلين يقول جل ثناؤه لمرسل من المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون يقول حين قال لقومه من بنى اسرائيل ألا تتقون الله أيها القوم فتخافونه وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله والها سواه وتذرون أحسن الخالقين يقول وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق وقد اختلف فى معنى بعل فقال بعضهم معناه أتدعون ربا وقالوا هى لغة لأهل اليمن معروفة فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى

ومأجوج وتركنا عليه فى المتأخرين من الأمم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) ومعنى (فى العالمين) أن هذه التحية ثبتها الله فيهم فيسلم الثقلان عليه الى يوم القيامة ثم بين أن سبب هذه التشريفات هو كونه محسنا وهذا جزاء كل محسن ثم بين أن احسانه كان مسبوقا بايمانه فعلى كل مؤمن أن يجتهد حتى يصير محسنا وحين تم ما آل اليه أمر نوح وذريته ذكر عاقبة سائر قومه فقال (ثم أغرقنا الآخرين) أعاذنا الله من الاغراق والاحراق وجعل فلكنا فلك نوح وسفرنا متضمنا للنصر والفتوح ۞ التأويل والصافات اشارة الى ما جاء أن الارواح خلقت قبل الأجساد فى أربعة صفوف الأول للانبياء والثانى للاولياء والثالث للمؤمنين والرابع لأهل الكفر فالزاجرات هى الالهامات الربانية للعوام عن المناهى وللخواص عن رؤية الأعمال وللأخص عن الالتفات الى غير الله فالتاليات ذكرا هم الذين يذكرون الله فى الخلوات بخلوص النيات رب سموات القلوب وأرض النفوس وما بينهما من صفاتهما ورب مشارق القلوب يطلع منها شموس الشواهد وأقمار الطوالع ونجوم اللوامع السماء الدنيا هى الرأس وكواكبها الحواس والشهب هى الخواطر الرحمانية تدفع بها الوساوس الشيطانية طين لازب أى لاصق بكل ما يصادفه فقوم لصقوا بالدنيا وقوم لصقوا بالآخرة وقوم لصقوا بنفحات ألطاف الحق فأذابتهم وجذبتهم عن أنانيتهم بهويتها كما تذيب الشمس الثلج وتجذبه عنه وقفوهم انهم مسؤلون للسالك فى كل مقام وقفة تناسب ذلك المقام وهو مسؤل عن أداء حقوق ذلك المقام

فقوم يسالهم الملك وقوم يسألهم الملك والاولون أقوام لهم أعمال صالحة تصلح للعرض والكشف والآخرون قسمان قوم لهم أعمال يسترها الحق عن اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والآخرة كما قال أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقوم لهم ذنوب لا يطلع عليها الا الله

ابن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرني عمارة عن عكرمة في قوله أتدعون بعلا قال إلها حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا عمارة عن عكرمة في قوله أتدعون بعلا يقول أتدعون ربا وهي لغة أهل اليمن تقول من بعل هذا الثور أي من ربه حدثني زكريا بن يحيي ابن أبي زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أتدعون بعلا قال ربا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أتدعون بعلا قال هذه لغة باليمانية أتدعون ربا دون الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله أتدعون بعلا قال ربا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن عبد الله بن أبي يزيد قال كنت عند ابن عباس فسألوه عن هذه الآية أتدعون بعلا قال فسكت ابن عباس فقال رجل أنا بعلها فقال ابن عباس كفاني هذا الجواب * وقال آخرون هو صنم كان لهم يقال له بعل وبه سميت بعلبك ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أتدعون بعلا يعني صنما كان لهم يسمى بعلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال بعل صنم كانوا يعبدون كانوا ببعلبك وهم وراء دمشق وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون * وقال آخرون كان بعل امرأة كانوا يعبدونها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال سمعت بعض أهل العلم يقول ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله وللبعل في كلام العرب أوجه يقولون لرب الشئ هو بعله يقال هذا بعل هذه الدار يعني ربها ويقولون لزوج المرأة بعلها ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيا بماء السماء ولم يكن سقيا هو بعل وهو العذي وذكر أن الله بعث الى بني اسرائيل إلياس بعد مهلك حزقيل بن بوزا وكان من قصته وقصة قومه فيما بلغنا ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن وهب بن منبه قال ان الله قبض حزقيل وعظمت في بني اسرائيل الأحداث ونسوا ما كان من عهد الله اليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص ابن العيزار بن هرون بن عمران نبيا وانما كانت الانبياء من بني اسرائيل بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة فكان الياس مع ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له أحاب كان اسم امرأته اربل وكان يسمع منه ويصدقه وكان الياس يقيم له أمره وكان سائر بني اسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله يقال له بعل قال ابن اسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول ما كان بعل الا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فجعل الياس يدعوهم الى الله وجعلوا لا يسمعون منه شيأ الا ما كان من ذلك الملك والملوك متفرقة بالشام كل ملك له ناحية منها يأكلها فقال ذلك الملك الذي كان الياس معه يقوم له أمره ويراه على هدى من بين أصحابه يوما يا إلياس والله ما أرى ما تدعو اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا يعدد ملوكا من ملوك بني اسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون

فيسترها عليهم كما جاء ذكره في الحديث ان الله يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم أي رب ثم يقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم أي رب حتى اذا أقرره بذنوبه ورأى نفسه أنه قد هلك قال فاني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته الا موتتنا الأولى وهي الموتة الارادية عن الصفات النفسانية وبعد ذلك لا موت بل ينتقل من دار الى دار لمثل هذا فليعمل العاملون بل لمثل هذه الأمور تبذل الأرواح وتفدى الأشباح كما قيل شعر

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وان بات من ليلى على اليأس والصد

ثم أخبر بعد قصة الأولياء عن قصة الأعداء بقوله أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم وفي قوله كأنه رؤس الشياطين دليل على أن أفعالهم كانت في قبح صفات الشياطين فكانت مكافأتهم من جنس صورة الشياطين سلام على نوح في العالمين انه تعالى سلم على نوح الروح لانه يحتاج الى سلام الله ليعبر على الصراط المستقيم الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف ولهذا يكون دعوة الرسل حينئذ رب سلم سلم وانما اختصوا بالصراط والعبور عليه ليؤدوا الامانة التي حملوها الى أهلها

وهو الله سبحانه وتعالى ﴿وان من شيعته لا براهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم

ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم
الأسفلين وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين (٦٠) رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى
أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر
ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر
ستجدنى ان شاء الله من الصابرين
فلما أسلما وتله للجبين وناديناه
أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا
لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم
وتركنا عليه فى الآخرين سلام على
ابراهيم كذلك نجزى المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين وباركنا
عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما
محسن وظالم لنفسه مبين ولقد مننا
على موسى وهرون ونجيناهما
وقومهما من الكرب العظيم
ونصرناهم فكانوا هم الغالبين
وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما
الصراط المستقيم وتركنا عليهما
فى الآخرين سلام على موسى وهرون
انا كذلك نجزى المحسنين انهما
من عبادنا المؤمنين وان إلياس لمن
المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون
أتدعون بعلا وتذرون أحسن
الخالقين الله ربكم ورب آبائكم
الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون
الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه
فى الآخرين سلام على الياسين
انا كذلك نجزى المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين وإن لوطا لمن
المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين
الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا
الآخرين وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل أفلا تعقلون
وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى
الفلك المشحون فساهم فكان من
المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو الله
سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون

وينعمون مملكين ما ينقص دنياهم أمرهم الذى تزعم أنه باطل وما نرى لنا عليهم من فضل
فيزعمون والله أعلم أن الياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك
الملك فعل أصحابه عبد الأوثان وصنع ما يصنعون فقال الياس اللهم ان بنى اسرائيل قد أبوا الا
أن يكفروا بك والعبادة لغيرك فغيّر ما بهم من نعمتك أو كما قال حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال فذكر لى أنه أوحى اليه انا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك واليك
حتى تكون أنت الذى تأذن فى ذلك فقال الياس اللهم فأمسك عليهم المطر فحبس عنهم ثلاث
سنين حتى هلكت الماشية والهوام والدواب والشجر وجهد الناس جهدا شديدا وكان الياس
فيما يذكرون حين دعا بذلك على بنى اسرائيل قد استخفى شفقا على نفسه منهم وكان حيثما كان
وضع له رزق وكانوا اذا وجدوا ريح الخبز فى دار أو بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فطلبوه
ولقى منهم أهل ذلك المنزل شرا ثم انه أوى ليلة الى امرأة من بنى اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن
أخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا الياس لابنها فعوفى من الضر الذى كان به واتبع
اليسع الياس فآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر
وكان اليسع غلاما شابا فيزعمون والله أعلم أن الله أوحى الى إلياس انك قد أهلكت كثيرا من الخلق
ممن لم يعص سوى بنى اسرائيل من البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بحبس المطر عن
بنى اسرائيل فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال أى رب دعنى أنا الذى أدعو لهم وأكون أنا الذى
آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذى أصابهم لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة
غيرك قيل له نعم فجاء الياس الى بنى اسرائيل فقال لهم انكم قد هلكتم جهدا وهلكت البهائم
والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل وغرور أو كما قال لهم فان كنتم تحبون
أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه وأن الذى أدعوكم اليه الحق فاخرجوا
بأصنامكم هذه التى تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم اليه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون
وان هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا
أنصفت فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به الى الله من احداثهم الذى لا يرضى فدعوها فلم
تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل ثم
قالوا لالياس يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم الياس بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا
فخرجت سحابة مثل الترس باذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون ثم ترامى اليه السحاب ثم أدحست
ثم أرسل المطر فأغاثهم فحييت بلادهم وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فلم ينزعوا ولم يرجعوا
وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس من كفرهم دعا ربه أن يقبضه اليه فيريحه
منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى بلد كذا وكذا فما جاءك من شئ فاركبه
ولا تهبه فخرج الياس وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى اذا كان فى البلد الذى ذكر له فى المكان
الذى أمر به أقبل اليه فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه فانطلق به فناداه اليسع يا الياس
يا الياس ما تأمرنى فكان آخر عهدهم به فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم
والمشرب وطار فى الملائكة فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا واختلفت القراء فى قراءة قوله

أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ألا إنهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه (٦١) و بين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون

سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا إلا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴿القراآت﴾ يزفون بضم الياء وكسر الزاى حمزة الباقون بفتح الياء انى أرى أنى أذبحك بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وترى بضم التاء وكسر الراء على وخلف وحمزة ستجدنى بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وان الياس موصولا كهمزة الوصل ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بكسر الهمزة الله ربكم ورب بالنصب فى ثلاثتها على البدل سهل و يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد والمفضل الباقون برفعها على الابتداء والخبر آل ياسين ابن عامر ونافع ورويس الآخرون إلياسين كأنه جمع الياس لكاذبون أصطفى موصولا والابتداء بكسر الهمزة

الله ربكم ورب آبائكم الأولين فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة الله ربكم ورب آبائكم الأولين رفعا على الاستئناف وأن الخبر قد تناهى عند قوله أحسن الخالقين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة الله ربكم و رب آبائكم الأولين نصبا على الرد على قوله وتذرون أحسن الخالقين على أن ذلك كله كلام واحد * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مع استفاضة القراءة بهما فى القراء فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ذلك معبودكم أيها الناس الذى يستحق عليكم العبادة ربكم الذى خلقكم ورب آبائكم الماضين قبلكم لا الصنم الذى لا يخلق شيأ ولا يضر ولا ينفع وقوله فكذبوه فانهم لمحضرون يقول فكذب الياس قومه فانهم لمحضرون يقول فانهم لمحضرون فى عذاب الله فيشهدونه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانهم لمحضرون فى عذاب الله الا عباد الله المخلصين يقول فانهم يحضرون فى عذاب الله الا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب وتركنا عليه فى الآخرين يقول وأبقينا عليه الثناء الحسن فى الآخرين من الأمم بعده ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سلام على إلياسين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره أمنة من الله لآل ياسين واختلفت القراء فى قراءة قوله سلام على الياسين فقرأته عامة قراء مكة والبصرة والكوفة سلام على الياسين بكسر الألف من الياسين فكان بعضهم يقول هو اسم إلياس و يقول انه كان يسمى باسمين إلياس وإلياسين مثل ابراهيم وابراهام و يستشهد على أن ذلك كذلك بأن جميع ما فى السورة من قوله سلام فانه سلام على النبى الذى ذكر دون آله فكذلك إلياسين انما هو سلام على الياس دون آله وكان بعض أهل العربية يقول الياس اسم من أسماء العبرانية كقولهم اسمعيل واسحق والألف واللام منه و يقول لو جعلته عربيا من الالس فتجعله إفعالا مثل الاخراج والادخال أجرى و يقول قال سلام على الياسين فتجعله بالنون والعجمى من الأسماء قد تفعل به هذا العرب تقول ميكال وميكائيل وميكائين وهى فى بنى أسد تقول هذا اسمعين قد جاء وسائر العرب باللام قال وأنشدنى بعض بنى نمير لضب صاده

يقول رب السوق لما جينا * هذا ورب البيت اسرائينا

قال فهذا كقوله الياسين قال وان شئت ذهبت بالياسين الى أن تجعله جمعا فتجعل أصحابه داخلين فى اسمه كما تقول لقوم رئيسهم المهلب قد جاءتكم المهالبة والمهلبون فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف والسعدين بالتخفيف وشبهه قال الشاعر

* أنا ابن سعد سيد السعدين * قال وهو فى الاثنين أن يضم أحدهما الى صاحبه اذا كان أشهر منه اسما كقول الشاعر

جزانى الزهدمان جزاء سوء * وكنت المرء يجزى بالكرامه

واسم أحدهما زهدم وقال الآخر

جزى الله فيها الأعورين دمامة * وفروة ثفر الثورة المتضاجم

واسم أحدهما أعور وقرأ ذلك عامة قراء المدينة سلام على آل ياسين بقطع آل من ياسين فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى سلام على آل محمد وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ قوله وان الياس

يزيد واسمعيل والأصبهانى عن ورش الباقون بفتحها فى الحالين ﴿الوقوف﴾ لابراهيم ه ط لان التقدير واذكر وجوز فى الكشاف ان يتعلق الظرف بما فى الشيعة من معنى المتابعة فلا وقف سليم ه تعبدون ه ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد المقول تريدون ه ط

لاستفهام آخر العالمين ٥ فى النجوم ٥لا للفاء واتحاد المعنى سقيم ٥ مدبرين ٥ تأكلون ٥ ج للاستفهام مع الاتحاد كما مر
لاتنطقون ٥ باليمين ٥ يزفون ٥ تنحتون ٥ لا لان الواو للحال تعملون ٥ فى الجحيم ٥ الأسفلين ٥ سيهدين ٥
الصالحين ٥ حليم ٥ ماذا ترى
ط ماتؤمر ز للسين مع اتصال
المقول الصابرين ٥ للجبين ٥ ج
لاحتمال أن الواو مقحمة وناديناه
جواب لما ولاحتمال أن الجواب
محذوف أى قبلنا منه وناديناه
ياابراهيم ٥لا الرؤيا ج لاحتمال
أن مابعده داخل فى حكم النداء
أومستأنف المحسنين ٥ المبين ٥
عظيم ٥ فى الآخرين ٥ لا
ابراهيم ٥ المحسنين ٥ المؤمنين ٥
الصالحين ٥ اسحق ط مبين ٥
وهرون ٥ ج للآية مع العطف
العظيم ٥ ج لذلك الغالبين ٥ لا
المستبين ٥ ج المستقيم ٥ ج
فى الآخرين ٥ لا وهرون ٥
المحسنين ٥ المؤمنين ٥ المرسلين
٥ لا وجه صحيح وان لم يكن
مقصودا فلهذا لم يكن الوقف لازما
تتقون ٥ الخالقين ٥ لا لمن قرأ
الله بالنصب الاولين ٥ لمحضرون
٥ المخلصين ٥ فى الآخرين ٥لا
الياسين ٥ المحسنين ٥ المؤمنين
٥ المرسلين ٥ أجمعين ٥ لا
الغابرين ٥ الآخرين ٥ مصبحين
٥ لا وبالليل ط تعقلون ٥
المرسلين ٥ لا المشحون ٥ لا
المدحضين ٥ ج لحق المحذوف
مع الفاء مليم ٥ من المسبحين
٥ لا يبعثون ٥ سقيم ٥ ج
يقطين ٥ ج أويزيدون ٥ ط
الى حين ٥ ط البنون ٥ ط
شاهدون ٥ ليقولون ٥ لا
ولد الله لا تعجيلا لتكذيبهم
لكاذبون ٥ البنين ٥ ط لابتداء
استفهام آخر تحكمون ٥ تذكرون ٥ ج لأن أم تصلح استئنافا مبين ٥ لا لتعجيل أمر التعجيز صادقين ٥
نسبا ط لمحضرون ٥ لا لتعلق الاستثناء وسبحان الله معترض يصفون ٥ المخلصين ٥ تعبدون ٥ لا بفاتنين ٥ لا الجحيم ٥

بترك الهمز فى ألف الياس ويجعل الألف واللام داخلتين على ياس للتعريف ويقول انما كان اسمه ياس أدخلت عليه ألف ولام ثم يقرأ على ذلك سلام على آلياسين * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأه سلام على الياسين بكسر ألفها على مثال ادراسين لأن الله تعالى ذكره انما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه صلوات الله عليهم فى هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله فكذلك السلام فى هذا الموضع ينبغى أن يكون على الياس كسلامه على غيره من أنبيائه لا على آله على نحو ما بينا من معنى ذلك فان ظن ظان أن الياسين غير الياس فان فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن الياسين هو الياس غنى عن الزيادة فيه مع أن فيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى سلام على الياسين قال إلياس وفى قراءة عبد الله بن مسعود سلام على ادراسين دلالة واضحة على خطا قول من قال عنى بذلك سلام على آل محمد وفساد قراءة من قرأ وان الياس بوصل النون من ان بالياس وتوجيه الألف واللام فيه الى أنهما أدخلتا تعريفا للاسم الذى هو ياس وذلك أن عبد الله كان يقول الياس هو ادريس ويقرأ وان ادريس لمن المرسلين ثم يقرأ على ذلك سلام على ادراسين كما قرأ الآخرون سلام على إلياسين فلا وجه على ما ذكرنا من قراءة عبد الله لقراءة من قرأ ذلك سلام على آل ياسين بقطع الآل من ياسين ونظير تسمية الياس بالياسين قوله وشجرة تخرج من طور سيناء ثم قال فى موضع آخر وطور سينين وهو موضع واحد سمى بذلك وقوله انا كذلك نجزى المحسنين يقول تعالى ذكره انا هكذا نجزى أهل طاعتنا والمحسنين أعمالا وقوله انه من عبادنا المؤمنين يقول ان الياس عبد من عبادنا الذين آمنوا فوحدونا وأطاعونا ولم يشركوا بنا شيأ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين﴾ يقول تعالى ذكره وان لوطا لمرسل من المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين يقول اذ نجينا لوطا وأهله أجمعين من العذاب الذى أحللناه بقومه فأهلكناهم به الا عجوزا فى الغابرين يقول الا عجوزا فى الباقين وهى امرأة لوط وقد ذكرنا خبرها فيما مضى واختلاف المختلفين فى معنى قوله فى الغابرين والصواب من القول فى ذلك عندنا وقد حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى روق عن الضحاك الا عجوزا فى الغابرين يقول الا امرأته تخلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هيشفع حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله الا عجوزا فى الغابرين قال الهالكين وقوله ثم دمرنا الآخرين يقول ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم فأهلكناهم بذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لمشركى قريش وانكم لتمرون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهارا وبالليل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانكم لتمرون عليهم مصبحين قالوا نعم والله صباحا ومساء يطؤنها وطأ من أخذ من المدينة الى الشام أخذ على سدوم قرية قوم لوط حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله لتمرون عليهم مصبحين قال فى أسفاركم وقوله أفلا تعقلون يقول أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكرون فتعلمون أن من سلك من عباد الله فى الكفر به وتكذيب رسله مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط نازل بهم من عقوبة الله مثل الذى نزل بهم على كفرهم بالله وتكذيب رسوله

رسوله فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله وتكذيب محمد عليه السلام كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفلا تعقلون قال أفلا تتفكرون ما أصابهم في معاصي الله أن يصيبكم ما أصابهم قال وذلك المرور أن يمر عليهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ يقول تعالى ذكره وان يونس لمرسل من المرسلين الى أقوامهم اذ أبق الى الفلك المشحون يقول حين فر الى الفلك وهو السفينة المشحون وهو المملوء من الحمولة الموقر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى الفلك المشحون كنا نحدث أنه الموقر من الفلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى في قوله الفلك المشحون قال الموقر وقوله فساهم يقول فقارع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله فساهم يقول أقرع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فساهم فكان من المدحضين قال فاحتبست السفينة فعلم القوم انما احتبست من حدث أحدثوه فتساهموا فقرع يونس فرمى بنفسه فالتقمه الحوت حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى في قوله فساهم قال قارع وقوله فكان من المدحضين يعني فكان من المسهومين المغلوبين يقال منه أدحض الله حجة فلان فدحضت أي أبطلها فبطلت والدحض أصله الزلق في الماء والطين وقد ذكر عنهم دحض الله حجته وهي قليلة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكان من المدحضين يقول من المقروعين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من المدحضين قال من المسهومين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فكان من المدحضين قال من المقروعين وقوله فالتقمه الحوت يقول فابتلعه الحوت وهو افتعل من اللقم وقوله وهو مليم يقول وهو مكتسب اللوم يقال قد ألام الرجل اذا أتى ما يلام عليه من الأمر وان لم يلم كما يقال أصبحت محمقا معطشا أي عندك الحمق والعطش ومنه قول لبيد

سفها عذلت ولمت غير مليم * وهداك قبل اليوم غير حكيم

فأما الملوم فهو الذي يلام باللسان ويعذل بالقول وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وهو مليم قال مذنب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو مليم أي في صنعه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهو مليم قال وهو مذنب قال والمليم المذنب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى

للعطف ولشدة اتصال المعنى يبصرون ٥ يستعجلون ٥ المنذرين ٥ حين ٥ لا يبصرون ٥ عما يصفون ٥ ج لعطف جملتين مختلفتين المرسلين ٥ ج للابتداء بالحمد الذي به يبتدأ الكلام واليه ينتهي مع اتفاق الجملتين العالمين ٥ ﴿ التفسير الضمير في (شيعته) يعود الى نوح والمراد أن ابراهيم ممن شايع نوحا على أصول الدين أو على التصلب في الدين وقال الكلبي واختاره الفراء إنه يعود الى محمد أي هو على منهاجه ودينه وان كان ابراهيم سابقا والاول أظهر لتقدم ذكر نوح ولما روى عن ابن عباس معناه من أهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الانبياء هود وصالح وبين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة ومعنى (جاء ربه) أقبل بقلبه على الله وأخلص العمل له والقلب السليم قدمر في الشعراء ثم ذكر من جملة آثار سلامة قلبه أن دعا أباه وقومه الى التوحيد ومعنى (ماذا تعبدون) أي شيء تعبدونه كقوله في الانبياء ما تعبدون سألهم عن جنس معبوديهم ثم وبخهم على ذلك بقوله (أئفكا) هو مفعول له قدم للعناية كما قدم المفعول به على الفعل لذلك فانه كان الأهم عنده أن يكافحهم ويعنفهم على شركهم وأنهم على افك وباطل ويجوز أن يكون افكا حالا معنى أو مفعولا به وآلهة بدل منه على أنها افك في أنفسها

(فما ظنكم برب العالمين) حتى جعلتم الجمادات أندادا له أو حسبتم أنه يهمل أمركم ولا يعاقبكم وفيه أنه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصدر عن عبادته وفي قوله انى سقيم قولان الأول أنه صدر منه كذب بالمصلحة رأى فيه ولما جاء في الحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات

يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ يقول تعالى ذكره فلولا أنه
يعنى يونس كان من المصلين لله قبل البلاء الذى ابتلى به من العقوبة بالحبس فى بطن الحوت للبث
فى بطنه الى يوم يبعثون يقول لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيامة يوم يبعث الله فيه خلقه محبوسا
ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء فذكره الله فى حال البلاء فأنقذه ونجاه وقد اختلف
أهل التأويل فى وقت تسبيح يونس الذى ذكره الله به فقال لولا أنه كان من المسبحين فقال
بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك وقالوا مثل قولنا فى معنى قوله من المسبحين ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلولا أنه كان من المسبحين كان كثير الصلاة
فى الرخاء فنجاه الله بذلك قال وقد كان يقال فى الحكمة ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا ما عثر
فاذا صرع وجد متكأ حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن بعض أصحابه عن قتادة فى قوله
فلولا أنه كان من المسبحين قال كان طويل الصلاة فى الرخاء قال وان العمل الصالح يرفع
صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا أبو صخر أن
يزيد الرقاشى حدثه قال سمعت أنس بن مالك قال ولا أعلم الا أن أنسا يرفع الحديث الى النبى صلى الله
عليه وسلم أن يونس النبى حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو فى بطن الحوت فقال
اللهم لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فأقبلت الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة
يارب هذا صوت ضعيف معروف فى بلاد غريبة قال أما تعرفون ذلك قالوا يارب ومن هو قال
ذلك عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قالوا
يارب أولا يرحم بما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس
فلولا أنه كان من المسبحين قال من المصلين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا
سفيان عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير فلولا أنه كان من المسبحين قال من المصلين حدثنا
أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فلولا أنه كان
من المسبحين قال كان له عمل صالح فيما خلا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل
قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله من المسبحين قال المصلين حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر قال ثنا ميمون بن مهران قال سمعت الضحاك بن
قيس يقول على منبره اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة إن يونس كان عبدا لله ذاكرا فلما
أصابته الشدة دعا الله فقال الله لولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فذكره الله
بما كان منه وكان فرعون طاغيا باغيا فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به
بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين قال الضحاك
فاذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة « قال أبو جعفر » وقيل انما أحدث الصلاة التى أخبر
الله عنه بها فقال فلولا أنه كان من المسبحين فى بطن الحوت * وقال بعضهم كان ذلك تسبيحا
لا صلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران القطان قال
سمعت الحسن يقول فى قوله فلولا أنه كان من المسبحين قال فوالله ما كانت الا صلاة أحدثها

فى

قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة انها أختى وقد سبق تقرير ذلك فى الانبياء الثانى وهو الأقوى أنه كلام صادق
لان الكذب قبيح وان اشتمل على مصلحة وأما الحديث فنسبة الراوى الى الكذب أولى من نسبة نبى الله الى ذلك
وفى التوجيه وجوه الأول أن النظر فى النجوم يريد به النظر فى علم النجوم وأحكامها وكتبها وذلك ليس بحرام ولاسيما فى ذلك الشرع فليس فيه الا اعتقاد أنه تعالى خص كل واحد من الكواكب بقوة وخاصية يظهر بها منه أثر مخصوص والانسان لا ينفك فى أكثر أحواله عن حصول حالة مكروهة له اما فى بدنه أو فى قلبه فلعل به سقما كالحمى الثابتة أوأراد أنه سيسقم لأمارة نجومية أو أراد به الموت الذى يلحقه لامحالة ولاداء أعيى منه الثانى أن المراد بالنجوم ما جاء فى قوله فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الى آخر الآية أى نظر فيها ليعرف أحوالها وأنها قديمة أومحدثة وقوله انى سقيم أى سقيم القلب غير عارف بربى وكان ذلك قبل البلوغ أوسقيم النفس لكفركم الثالث أن النجوم النبات أى فنظر فيها متحريا منها ما فيه شفاء لسقمهم وهمهم أن به ذلك وكان به وقال الازهرى عن أحمد بن يحيى النجوم جمع نجم وهو كل ما تفرق ومنه نجوم الكتابة أى نظر فى متفرقات كلامهم وأحوالهم حتى يستخرج منه حيلة فلم يجد عذرا أحسن من قوله انى سقيم قال المفسرون كان الطاعون أغلب الأسقام عليهم فظنوا أن به ذلك فتركوه فى بيت الأصنام مخافة العدوى وهربوا الى عيدهم وذلك قوله سبحانه (فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم) ذهب اليها
فى خفية حتى لا يرى فكأنه رجع اليها مراوغا قومه من روغان الثعلب وقيل راغ بقوله انى سقيم حتى خلا بها
وسماها آلهة على زعمهم وقوله ألا تأكلون مالكم لا تنطقون استهزاء بها وكان عندها طعام زعموا أنها تأكل منه وقيل وضع الطعام ليبارك فيه

و روى أن سدنتها كانوا يأكلون ما يوضع عندها من الطعام و ينطقون عند الضعفة عن لسانها يوهمون أنها تأكل وتنطق وانما جاء في هذه السورة فقال ألا تأكلون بالفاء وفي الذاريات قال ألا تأكلون بغير الفاء لأنه قصد من أول الأمر تقريع من زعم أنها تأكل

في بطن الحوت قال عمران فذكرت ذلك لقتادة فأنكر ذلك وقال كان والله يكثر الصلاة في الرخاء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير فالتقمه الحوت وهو مليم قال قال لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فلما قالها قذفه الحوت وهو مغرب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للبث في بطنه الى يوم يبعثون لصار له بطن الحوت قبرا الى يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبي مالك قال لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوما وقوله فنبذناه بالعراء يقول فقذفناه بالفضاء من الأرض حيث لا يواريه شئ من شجر ولا غيره ومنه قول الشاعر

و رفعت رجلا لا أخاف عثارها * ونبذت بالبلد العراء ثيابي

يعني بالبلد الفضاء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله فنبذناه بالعراء يقول ألقيناه بالساحل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنبذناه بالعراء بأرض ليس فيها شئ ولا نبات حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى في قوله بالعراء قال بالأرض وقوله وهو سقيم يقول وهو كالصبي المنفوس لحم نىء كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وهو سقيم كهيئة الصبي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله ابن أبي سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج به يعني الحوت حتى لفظه في ساحل البحر فطرحه مثل الصبي المنفوس لم ينقص من خلقه شئ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ما لفظه الحوت حتى صار مثل الصبي المنفوس قد نشر اللحم والعظم فصار مثل الصبي المنفوس فألقاه في موضع وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وقوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين يقول تعالى ذكره وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق وكل شجرة لا تقوم على ساق كالدباء والبطيخ والحنظل ونحو ذلك فهي عند العرب يقطين واختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير في قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال هو كل شئ ينبت على وجه الأرض ليس له ساق حدثني مطر بن محمد الضبي قال ثنا يزيد قال ثنا الأصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير في قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال كل شئ ينبت ثم يموت من عامه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شجرة من يقطين فقالوا عنده القرع قال وما يجعله أحق من البطيخ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله شجرة من يقطين قال غير ذات أصل من الدباء أو غيره من نحوه * وقال آخرون هو القرع ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنبتنا عليه شجرة

وتشرب وفي الذاريات يستأنف تقديره قربه اليهم فلم يأكلوها فلما رآهم لا يأكلون فقال ألا تأكلون (فراغ عليهم) عداه بعلى لأن الميل الاول كان على سبيل الرفق استهزاء وهذا كان بطريق العنف والقهر وهذا كما يقال في المحبوب مال اليه وفي المكروه مال عليه وقوله (ضربا) مصدر راغ من غير لفظه أو لفعل محذوف أو حال أي يضرب ضربا أو ضاربا ومعنى (باليمين) أي باليد اليمنى لأنها أقوى على الأعمال أو بالقوة مجازا او بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم (فأقبلوا اليه) أي الى ابراهيم (يزفون) يمشون على سرعة وزفيف النعامة ابتداء عدوها ومن قرأ بضم الياء فاما لازم من أزف اذا صار الى حال الزفيف أو متعد والمفعول محذوف أي يزفون دوابهم أو بعضهم بعضا وقد مر نظيره في التوبة في قوله ولأوضعوا خلالكم قال بعض الطاعنين قوله فأقبلوا اليه دل على أنهم عرفوا كاسر أصنامهم وقوله في الانبياء من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم دل على أنهم لم يعرفوا الكاسر فبينهما تناقض وأجيب بأن هؤلاء غير أولئك فالذين عرفوه ذهبوا اليه مسرعين والذين لم يعرفوه بعد استخبروا عنه على أن قوله فأقبلوا اليه لا دلالة له على أنهم عرفوا أن الكاسر هو ابراهيم فلعلهم أقبلوا اليه لأجل السؤال عن الكاسر وحين عاتبوه على فعله أراد أن يبين لهم فساد طريقتهم فـ(قال أتعبدون ما تنحتون) وذلك أن الناحت لم يحدث فيه إلا صورة معينة فيكون معناه ان الشئ الذي لم يكن معبودا الى صار بسبب تصرفي فيه معبودا لي وفساد هذا معلوم بالبديهة احتج جمهور الاشاعرة

من يقطين قال القرع حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله أنه قال فى هذه الآية وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع حدثنى مطر بن محمد الضبى قال ثنا عبد الله بن داود الواسطى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون الأودى فى قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنبتنا عليه شجرة من يقطين كنا نحدث أنها الدباء هذا القرع الذى رأيتم أنبتها الله عليه يأكل منها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى أبو صخر قال ثنى ابن قسيط أنه سمع أبا هريرة يقول طرح بالعراء فأنبت الله عليه يقطينة فقلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة قال الشجرة الدباء هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو هشاش فتفشح عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال ابن أبى الصلت قبل الاسلام فى ذلك بيتا من شعر

فأنبت يقطينا عليه برحمة * من الله لولا الله ألفى ضاحيا

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن مغيرة فى قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله شجرة من يقطين قال القرع حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أنبت الله عليه شجرة من يقطين قال فكان لا يتناول منها ورقة فيأخذها الا أروته لبنا أو قال شرب منها ما شاء حتى نبت حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله شجرة من يقطين قال هو القرع والعرب تسميه الدباء حدثنا عمرو ابن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن ورقاء عن سعيد بن جبير فى قول الله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال هو القرع حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع * وقال آخرون كان اليقطين شجرة أظلت يونس ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير قال اليقطين شجرة سماها الله يقطينا أظلته وليس بالقرع قال فيما ذكر أرسل الله عليه دابة الأرض فجعلت تقرض عروقها وجعل ورقها يتساقط حتى أفضت اليه الشمس وشكاها فقال يا يونس جزعت من حر الشمس ولم تجزع لمائة ألف أو يزيدون تابوا الى فتبت عليهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ﴾ يقول تعالى ذكره فأرسلنا يونس الى مائة ألف من الناس أو يزيدون على مائة ألف وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول معنى قوله أو بل يزيدون ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن الحكم بن عبد الله بن الأزور عن ابن عباس فى قوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال بل يزيدون كانوا مائة ألف وثلاثين ألفا حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون سبعين ألفا وقد كان العذاب أرسل عليهم فلما فرقوا بين النساء وأولادها والبهائم وأولادها وعجوا الى الله كشف عنهم العذاب

والارض الذى فطرهن أى فطر الاصنام ثم ان ابراهيم لما ألقمهم الحجر بهذا القول وألزمهم عدلوا الى طريقة الايذاء (قالوا ابنوا له بنيانا) قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون وتقدير الآية ابنوا له بنيانا واملؤه نارا وألقوه فيها والجحيم النار العظيمة ومعنى الفاء فى قوله (فأرادوا) كقوله أهلكناها فجاءها بأسنا كأنه قيل فبنوا البنيان وملؤه نارا وألقوه فيها فنجيناه منها وقد صح أنهم أرادوا به كيدا (فجعلناهم الأسفلين) الأذلين وأما فى الانبياء فلم يقصد هذا الترتيب فاقتصر على الواو العاطفة وانما اختصت هذه السورة بقوله الأسفلين لأنه ذكر أنهم بنوا بنيانا عاليا فكان ذكر السفل فى طباقه أنسب ثم ذكر بقية قصة ابراهيم وقوله (انى ذاهب الى ربى) كقوله فى العنكبوت انى مهاجر الى ربى وانما حكم بقوله (سيهدين) ربى الى ما فيه صلاحى فى الدارين اعتمادا على فضل الله أو عرف ذلك بالوحى وحين هاجر الى الارض المقدسة أراد الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) والله تعالى بين استجابته بقوله فبشرناه بغلام حليم وصف الغلام بالعلم فى سورة الحجر وبالحلم ههنا فذهب العلماء الى أنه أراد بغلام عليم فى صغره حليم فى كبره فان الصبى لا يوصف بالحلم ومن هنا انطوت البشارة على معان ثلاثة أحدها أن الولد ذكر والثانى أنه يبلغ أوان الحلم والثالث أنه يكون حليما وأى حلم أعظم من استسلامه حين عرض أبوه عليه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وفيه ان ولده قائم مقامه فى الشرف والفضيلة فوصفه بالحلم كما وصف به ابراهيم فى قوله ان ابراهيم لحليم أواه منيب وأمطرت

وقيل العليم اسحق لقوله فأقبلت امرأته فى صرة والحليم اسمعيل ثم حكى حديث ذبحه قائلا (فلما بلغ معه السعى) أى قوى على أن يمشى مع أبيه فى حوائجه والظرف بيان كأنه قال أولا فلما بلغ السعى فقيل مع من فأجيب مع أبيه ولا يجوز تعلقه بالسعى لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه ولا بقوله بلغ لانهما لم يبلغا معا حد السعى والمعنى فى اختصاص الاب اخراج الكلام مخرج الأغلب وقال جار الله السبب فيه أن الاب أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به فى الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته يروى أنه كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقيل أراد السعى فى المنافع وفى طاعة الله * اعلم ان الناس اختلفوا فى الذبيح فعن أبى بكر الصديق وابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيب وعكرمة ومجاهد والضحاك أنه اسمعيل لقوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك أن عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة أن يذبح واحدا منهم تقربا فلما كملوا عشرة أتى بهم البيت وضرب عليهم بالقداح فخرج قدح عبد الله فمنعه أخواله ففداه بعشرة من الابل ثم ضرب عليه وعلى الابل فخرج قدحه ففداه بعشرة أخرى وضرب مرة أخرى فخرج قدحه وهكذا يزيد عشرة عشرة الى أن تمت مائة فخرج القدح على الجزر فنحرها وسن الدية مائة وفى رواية أن اعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعوه ففداه بمائة من الابل * حجة أخرى نقل عن الاصمعى أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى أين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل وهو الذى بنى البيت مع أبيه وسن النحر بمكة * وحجة أخرى وصف اسمعيل بالصبر فى قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح

وأمطرت السماء دما حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سمعت زهيرا عمن سمع أبا العالية قال ثنى أبى بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول فى ذلك معناه الى مائة ألف أو كانوا يزيدون عندكم يقول كذلك كانوا عندكم وانما عنى بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون أنه أرسله الى قومه الذين وعدهم العذاب فلما أظلهم تابوا فكشف الله عنهم وقيل انهم أهل نينوى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون أرسل الى أهل نينوى من أرض الموصل قال قال الحسن بعثه الله قبل أن يصيبه ما أصابه فآمنوا فمتعناهم الى حين حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الى مائة ألف أو يزيدون قال قوم يونس الذين أرسل اليهم قبل أن يلتقمه الحوت وقيل ان يونس أرسل الى أهل نينوى بعد ما نبذه الحوت بالعراء ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال سمعت أبا هلال محمد بن سليمن قال ثنا شهر بن حوشب قال أتاه جبرائيل يعنى يونس وقد انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم قال ألتمس دابة قال الأمر أعجل من ذلك قال ألتمس حذاء قال الأمر أعجل من ذلك قال فغضب فانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست السفينة لا تقدم ولا تؤخر قال فتساهموا قال فسهم فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودى الحوت أيا حوت انا لم نجعل يونس لك رزقا انما جعلناك له حوزا ومسجدا قال فالتقمه الحوت فانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الأيلة ثم انطلق به حتى مر به على دجلة ثم انطلق به حتى ألقاه فى نينوى حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا أبو هلال قال ثنا شهر بن حوشب عن ابن عباس قال انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت وقوله فآمنوا يقول فوحدوا الله الذى أرسل اليهم يونس وصدقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله وقوله فمتعناهم الى حين يقول فأخرنا عنهم العذاب ومتعناهم الى حين بحياتهم الى بلوغ آجالهم من الموت وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فمتعناهم الى حين الموت حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فمتعناهم الى حين قال الموت وقوله فاستفتهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم سل يا محمد مشركى قومك من قريش كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون يعنى مشركى قريش حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون قال سلهم وقرأ ويستفتونك قال يسألونك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فاستفتهم يقول يا محمد سلهم وقوله ألربك البنات ولهم البنون ذكر أن مشركى قريش كانوا يقولون الملائكة بنات الله وكانوا يعبدونها فقال الله لنبيه محمد عليه السلام سلهم وقل لهم ألربى البنات ولكم البنون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

فى قوله ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ووصفه بصدق الوعد انه كان صادق الوعد وذلك انه وعد أباه الصبر على قضاء الله أو على الذبح

فوفى به * أخرى ومن وراء اسحق يعقوب

فيمن قرأ بالنصب لانه اذا بشر بالولد من صلبه علم أنه لم يؤمر بذبحه * أخرى

ألربك البنات ولهم البنون لأنهم قالوا يعنى مشركى قريش لله البنات ولهم البنون حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون قال كانوا يعبدون الملائكة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ألا انهم من إفكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون﴾ يعنى تعالى ذكره أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين الملائكة بنات الله خلق الملائكة وأنا أخلقهم اناثا فشهدوا هذه الشهادة ووصفوا الملائكة بأنها اناث وقوله ألا انهم من افكهم يقول تعالى ذكره ألا ان هؤلاء المشركين من كذبهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون فى قيلهم ذلك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألا انهم من افكهم يقول من كذبهم ليقولون ولد الله حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ألا انهم من افكهم ليقولون قال من كذبهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره موبخا هؤلاء القائلين لله البنات من مشركى قريش أصطفى الله أيها القوم البنات على البنين والعرب اذا وجهوا الاستفهام الى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانا وطرحوها أحيانا كما قيل أذهبتم بالقصر طيباتكم فى حياتكم الدنيا يستفهم بها ولا يستفهم بها والمعنى فى الحالين واحد واذا لم يستفهم فى قوله أصطفى البنات ذهبت ألف اصطفى فى الوصل ويبتدأ بها بالكسر واذا استفهم فتحت وقطعت وقد ذكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل فأما قراء الكوفة والبصرة فانهم فى ذلك على قراءته بالاستفهام وفتح ألفه فى الأحوال كلها وهى القراءة التى نختار لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله مالكم كيف تحكمون يقول بئس الحكم تحكمون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم فتجعلون له ما لا ترضونه لأنفسكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون يقول كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات مالكم كيف تحكمون وقوله أفلا تذكرون يقول أفلا تتدبرون ما تقولون فتعرفوا خطأه فتنتهوا عن قيله وقوله أم لكم سلطان مبين يقول ألكم حجة تبين صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم لكم سلطان مبين أى عذر مبين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله سلطان مبين قال حجة وقوله فأتوا بكتابكم يقول فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذى تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأتوا بكتابكم أى بعذركم ان كنتم صادقين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فأتوا بكتابكم أن هذا كذا بأن له البنات ولكم البنون وقوله ان كنتم صادقين يقول ان كنتم صادقين أن لكم بذلك حجة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسبا * واختلف أهل التأويل فى معنى

أجمعوا على أن اسمعيل مقدم فى الوجود على اسحق فهو المراد بقوله رب هب لى من الصالحين ثم انه ذكر عقيبه قصة الذبح وأيضا قوله وبشرناه باسحق يجب أن يكون غير قوله فبشرناه بغلام حليم والالزم التكرار * حجة أخرى ان قرنى الكبش كانا ميراثا لولد اسمعيل عن أبيهم وكانا معلقين بالكعبة الى ان احترق البيت فى أيام ابن الزبير والحجاج * وعن على وابن مسعود وكعب الاحبار واليه ذهب أهل الكتاب أن الذبيح اسحق لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى النسب أشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وأجابوا عن قوله وبشرناه باسحق أنه بشر بغلام أولا ثم بنبوته ثانيا وأيضا صرح بالمبشر به فى قوله فبشرناها باسحق وفى قوله وبشرناه باسحق فيحمل عليه المبهم فى قوله فبشرناه بغلام وأيضا لانسلم أن البشارة بيعقوب كانت متصلة ببشارة اسحق اعتبارا بقراءة من قرأ يعقوب بالرفع وأيضا أنهم أجمعوا على أن المراد من قوله انى ذاهب الى ربى هو مهاجرته الى الشام ثم قال فبشرناه بغلام فوجب أن يكون الغلام الحليم قد حصل له فى الشام وذلك الغلام لم يكن الا اسحق لأن اسمعيل قد نشأ بمكة وكان الزجاج يقول الله أعلم أيهما الذبيح ويتفرع على اختلاف المفسرين فى الذبيح اختلافهم فى موضع الذبح فالذين

قالوا ان الذبيح اسمعيل ذهبوا الى أن الذبح كان بمنى وهذا أقوى والذين قالوا انه اسحق قالوا ان الذبح كان بالشام وخصه النسب بعضهم ببيت المقدس اذا عرفت هذا الاختلاف فقوله (يا بنى انى أرى فى المنام) انما قال بلفظ المستقبل لأنه كان يرى فى منامه ثلاث ليال

النسب الذي أخبر الله عنهم أنهم جعلوه لله تعالى فقال بعضهم هو أنهم قالوا أعداء الله ان الله وابليس اخوان ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وابليس اخوان * وقال آخرون هو أنهم قالوا الملائكة بنات الله وقالوا الجنة هي الملائكة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله فسأل أبو بكر من أمهاتهن فقالوا بنات سروات الجن يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه ابليس حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة قال ثنا عمرو بن سعيد الابح عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قالت اليهود ان الله تبارك وتعالى تزوج الى الجن فخرج منهما الملائكة قال سبحانه سبح نفسه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الجنة الملائكة قالوا هن بنات الله حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا الملائكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال بين الله وبين الجنة نسبا افتروا وقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه ولقد علمت الجنة انهم لمشهدون الحساب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن ابي نجيح عن مجاهد ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون أنها ستحضر الحساب * وقال آخرون معناه ان قائلي هذا القول سيحضرون العذاب في النار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي انهم لمحضرون ان هؤلاء الذين قالوا هذا المحضرون لمعذبون * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال انهم لمحضرون العذاب لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الاحضار في هذه السورة انما عني به الاحضار في العذاب فكذلك في هذا الموضع وقوله سبحان الله عما يصفون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له مما يضيف اليه هؤلاء المشركون به ويفترون عليه ويصفونه من أن له بنات وأن له صاحبة وقوله الا عباد الله المخلصين يقول ولقد علمت الجنة إن الذين قالوا ان الملائكة بنات الله لمحضرون العذاب الا عباد الله الذين أخلصهم لرحمته وخلقهم لجنته ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم ﴾ يقول تعالى ذكره فانكم أيها المشركون بالله وما تعبدون من الآلهة والأوثان ما أنتم عليه بفاتنين يقول ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بفاتنين أي بمضلين أحدا الا من هو صال الجحيم يقول الا أحدا سبق في علمي أنه صال الجحيم وقد قيل ان معنى عليه في قوله ما أنتم عليه بفاتنين بمعنى به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين يقول لا تضلون أنتم ولا أضل منكم الا من قد قضيت

يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فأصبح يروي في ذلك أمن الله أومن الشيطان فسمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمي عرفة ثم رأى مثله في الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وقال بعضهم حين بشره الملائكة بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي مع أبيه قيل له أوف بنذرك فانظر ماذا ترى هو من الرأي ومن قرأه من الاراءة فالمعنى ماذا تبصر من رأيك وتدبيرك وانما شاوره في حتم من الله ليثبته ان جزع ويفرح بصبره ان ثبت ولئلا يقع الذبح معافصة من غير اعلام به وبسببه وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في الأكل من الشجرة لما فرط منه ذلك (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي به فحذف الجار كقوله أمرتك الخير أي أمرتك بالخير أو أمرك على تسمية المأمور به بالمصدر ثم اضافته الى المفعول (فلما أسلما) أي انقادا وخضعا لأمر الله قال قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله) اى صرعه واللام في (للجبين) كهي في قوله ويخرون للأذقان والجبين أحد جانبي الجبهة وقيل كبه لوجهه لأن الولد قال له اذبحني وأنا ساجد يروى أنه حين أراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية ننطلق الى الشعب ونحتطب فلما توسطا الشعب أخبره بما أمر فقال له اشدد به رباطي لئلا أضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شئ من
دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع امرارها على حلقي ليكون أهون فان الموت شديد واقرأ على أمي سلامي وان رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل فقال ابراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه

وهما بيكيان فقال له كبنى على وجهى ولا تنظر الىّ حتى لا تدركك رقة تحول بينك و بين أمر الله قال جار الله تقدير الكلام فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به العيان ولا يحيط به البيان من استئثارهما بما أنعم الله عليهما

من دفع البلاء و بما اكتسبا فى تضاعيف ذلك من الثواب والثناء وقد أشير الى جميع ذلك بقوله (انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا) الأمر الذى قد وقع (لهو البلاء المبين) الذى يتميز فيه المخلص عن المدعى والمكروه الذى لا أصعب على النفس منه يروى أنه لما وصل موضع السجود منه الأرض جاء الفرج وقيل انه وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا فنظر فاذا جبرائيل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبرائيل والكبش وابراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وذلك قوله سبحانه (وفديناه بذبح عظيم) والفداء جعل الشئ مكان غيره لدفع الضرر عنه والذبح اسم لما يذبح كالطحن لما يطحن وقوله عظيم أى سمين ضخم الجثة بالقياس الى أمثاله وهى السنة فى الاضاحى قال صلى الله عليه وسلم استشرفوا ضحايا كم فانها على الصراط مطايا كم والاستشراف جعلها شريفة وكريمة وعن سعيد ابن جبير حق له أن يكون عظيما وقد رعى فى الجنة أربعين خريفا وفى قول ابن عباس انه الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة الى أن فدى به اسمعيل وقيل سمى عظيما لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد خليله وقيل وصفه بالعظم لبقاء أثره الى يوم القيامة فانه ما من سنة الاويذبح بسبب ذلك من الأنعام مالا يحصيه

أنه صال الجحيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول ما أنتم بفاتنين على أوثانكم أحدا الا من قد سبق له أنه صال الجحيم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن خالد قال قلت للحسن قوله ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم الا من أوجب الله عليه أن يصلى الجحيم حدثنا على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن عن قول الله ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال ما أنتم عليه بمضلين الا من كان فى علم الله أنه سيصلى الجحيم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم إلا من قدر عليه أنه يصلى الجحيم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن العشرة الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز وكانوا متكلمين كلهم فتكلموا ثم ان عمر بن عبد العزيز تكلم بشئ فظننا أنه تكلم بشئ ردّ به ما كان فى أيدينا فقال لنا هل تعرفون تفسير هذه الآية فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال انكم والآلهة التى تعبدونها لستم بالذى تفتنون عليها الا من قضيت عليه أنه يصلى الجحيم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم الا من هو صال الجحيم قال ما أنتم بمضلين الا من كتب عليه أنه يصلى الجحيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانكم وما تعبدون حتى بلغ صال الجحيم يقول ما أنتم بمضلين أحدا من عبادى بباطلكم هذا الا من تولاكم بعمل النار حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدّى ما أنتم عليه بفاتنين بمضلين الا من هو صال الجحيم الا من كتب الله أنه يصلى الجحيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم يقول لا تضلون بآلهتكم أحدا الا من سبقت له الشقاوة ومن هو صال الجحيم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم يقول لا تفتنون به أحدا ولا تضلونه الا من قد قضى الله أنه صال الجحيم إلا من قد قضى أنه من أهل النار وقيل بفاتنين من فتنت أفتن وذلك لغة أهل الحجاز وأما أهل نجد فانهم يقولون أفتنته فانا أفتنه وقد ذكر عن الحسن أنه قرأ الا من هو صال الجحيم برفع اللام من صال فان كان أراد بذلك الجمع كما قال الشاعر

اذا ماحاتم وجد ابن عمى * مجدنا من تكلم أجمعينا

فقال أجمعينا ولم يقل تكلموا وكما يقال فى الرجال من هو اخوتك يذهب بهو الى الاسم المجهول ويخرج فعله على الجمع فذلك وجه وان كان غيره أفصح منه وان كان أراد بذلك واحدا فهو عند أهل العربية لحن لانه لحن عندهم أن يقال هذا رام وقاض الا أن يكون سمع فى ذلك من العرب لغة مقلوبة مثل قولهم شاك السلاح وشاكى السلاح وعاث وعثا وعاق وعقا فيكون لغة ولم أسمع أحدا يذكر سماع ذلك من العرب وقوله وما منا الا له مقام معلوم وهذا خبر من الله عن قيل الملائكة أنهم قالوا وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام فى السماء معلوم و بنحو الذى قلنا فى ذلك

الا الله وعن الحسن أنه وعل أهبط عليه من ثبير وقال السدّى نودى ابراهيم فالتفت فاذا هو بكبش أملح ينحط من الجبل فقام عندا براهيم عليه السلام فذبحه وخلى ابنه * استدل بعض الأصوليين من أهل السنة بالآية على جواز نسخ الحكم قبل حضور وقته قال

قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وما منا الا له مقام معلوم قال الملائكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما منا الا له مقام معلوم هؤلاء الملائكة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون كان مسروق بن الأجدع يروى عن عائشة أنها قالت قال نبى الله صلى الله عليه وسلم ما فى سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنى موسى بن اسحق الجبائى المعروف بابن القواس قال ثنا يحيى بن عيسى الرملى عن الأعمش عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم وان ناركم هذه لتعوذ من نار جهنم حدثنا موسى بن اسحق قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن زيد بن وهب قال قال عبد الله بن مسعود ان ناركم هذه لما أنزلت ضربت فى البحر مرتين ففترت فلولا ذلك لم تنتفعوا بها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته وانا لنحن الصافون لله لعبادته وانا لنحن المسبحون له يعنى بذلك المصلون له وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال به أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن على بن الحسن بن شقيق المروزى قال ثنا أبو معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول قوله وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون كان مسروق بن الأجدع يروى عن عائشة أنها قالت قال نبى الله صلى الله عليه وسلم ما فى السماء الدنيا موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قول الله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله ان من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدمه قائما قال ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله قال ان من السموات سماء ما فيها موضع الا فيه ملك ساجد أو قدماه قائم ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا الجريرى عن أبى نضرة قال كان عمر اذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه فقال يا أيها الناس استووا ان الله انما يريد بكم هدى الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون استووا تقدم أنت يا فلان تأخر أنت أى هذا فاذا استووا تقدم فكبر حدثنى موسى بن عبد الرحمن قال ثنى أبو أسامة قال ثنى الجريرى سعيد ابن اياس أبو مسعود قال ثنى أبو نضرة كان عمر اذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم واستووا فانما يريد الله بكم هدى الملائكة يقول وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ثم ذكر نحوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال

وقالت المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية بعدم الجواز لاستلزامه البداء أو الجهل وزعموا أنه تعالى أمر ابراهيم فى المنام بمقدمات الذبح كاضجاع ابنه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على الاتيان بذلك الفعل أوان ورود الأمر سلمنا أنه أمر بنفس الذبح لكن لم لا يجوز أنه قطع الحلقوم الا أنه كان يلتئم جزأ فجزأ فلهذا قيل له قد صدقت الرؤيا والفداء فضل من الله فى حقه وتعظيم له بدلا من عدم وقوع الذبح فى الظاهر ولهذا قال وفديناه باسناد الفداء الى ذاته تعالى والحق أن نسخ الحكم قبل وقته لا يدل على البداء والعبث كما أنه بعد الوقت لا يدل على ذلك فقد يكون غرض الآمر أن يعلم أن المأمور هل يعزم على الفعل ويوطن نفسه على الانقياد والطاعة أم لا وتصديق الرؤيا يكفى فيه الاتيان بمثل هيئة الذبح فمن الرؤيا ما يكون تأويلها بالشبيه كرؤيا يوسف والفداء زيادة تشريف وتكريم ووضع سنة مؤكدة وروى أن الكبش هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى انه لما ذبحه قال جبرائيل الله أكبر الله أكبر فقال الولد الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة قوله وتركنا الى قوله المؤمنين قد مر نظيره فى قصة نوح الا أنه لم يقل ههنا فى العالمين اكتفاء بما علم فى قصة نوح ولم يقل ههنا انا كذلك بل اقتصر على كذلك لأنه سبق ذكر التأكيد فى هذه القصة فلم يحتج الى اعادته على أنه قد بقى من القصة شئ فناسب الاختصار فى الاعتراض قوله (وبشرناه باسحق) من جعل الذبيح اسمعيل قال وبشرناه باسحق بعد اسمعيل ومن جعل الذبيح اسحق قال بشر بنبوته وقد كان بشر بمولده قوله (نبيا من الصالحين) كل منهما حال مقدرة من الفاعل أى بشرناه به مقدرا وعالما وحاكما بأنه نبى صالح وقد أطنب صاحب الكشاف فى هذا المقام حيث بنى الكلام على أنه حال مقدرة من اسحق وهو عندى

ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانا لنحن الصافون قال يعنى الملائكة وانا لنحن المسبحون قال الملائكة صافون تسبح لله عزوجل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وانا لنحن الصافون قال الملائكة حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة وانا لنحن الصافون قال الملائكة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانا لنحن الصافون قال صفوف فى السماء وانا لنحن المسبحون أى المصلون هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وانا لنحن الصافون قال للصلاة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال وذكر السدى عن عبد الله قال مافى السماء موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أوقدماه ساجدا أوقائما أو راكعا ثم قرأ هذه الآية وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانا لنحن الصافون قال الملائكة هذا كله لهم وقوله وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله يقول تعالى ذكره وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم نبيا لو أن عندنا ذكرا من الأولين يعنى كتابا أنزل من السماء كالتوراة والانجيل أونبى أتانا مثل الذى أتى اليهود والنصارى لكنا عباد الله الذين أخلصهم لعبادته واصطفاهم لجنته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين قال قد قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم لو كان عندنا ذكر من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به فسوف يعلمون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ذكرا من الأولين قال هؤلاء ناس من مشركى العرب قالوا لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين أوجاءنا علم من علم الأولين قال قد جاءكم محمد بذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد رجع الحديث الى الأولين أهل الشرك وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين هذا قول مشركى أهل مكة فلما جاءهم ذكر الأولين وعلم الآخرين كفروا به فسوف يعلمون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به وذلك كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب يقول الله فسوف يعلمون اذا وردوا على ماذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين قال لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الأولين

(ومن ذريتهما محسن) ويعلم من قوله (وظالم لنفسه) أن البر قد يلد الفاجر ولاعار على الأب وأن الشرف بالحسب لا بالنسب وأما قصة موسى فلاخفاء بها والكرب العظيم تسلط فرعون وجفاؤه على قومه وقيل الغرق والضمير فى نصرناهم لهما ولقومهما والمستبين البليغ فى بيانه وهو التوراة بان وأبان واستبان بمعنى الأن الثالث أبلغ والصراط المستقيم دين الله الذى اشترك فى أصوله جميع الرسل وأما إلياس فالجمهور على أنه نبى من بنى اسرائيل بعث بعد موسى وكان من ولد هرون وقيل هو ادريس النبى وقدمر ذكره فى سورة مريم واذ ظرف لمحذوف أى اذكر يا محمد لقومك (اذ قال لقومه ألا تتقون) الله قال الكلبى أى ألا تخافون عبادة غير الله وحين خوفهم مجملا ذكر سببه فقال (أتدعون) أى أتعبدون (بعلا) وهو اسم صنم من ذهب كان ببعلبك من بلاد الشام طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس قال الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه لو جوزنا دخول الشيطان فى جوف الصنم وتكلمه فيه لكان قادحا فى كثير من المعجزات كحنين الجذع وكلام الجمل قلت هذا الوهم زائل بعد ثبوت النبوة بمعجزات أخر

الأولين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب فسوف يعلمون يقول قد جاءكم محمد بذلك فكفروا بالقرآن وبما جاء به محمد وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون يقول تعالى ذكره ولقد سبق منا القول لرسلنا انهم لهم المنصورون أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين حتى بلغ لهم الغالبون قال سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون يقول بالحجج وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ولقد سبقت كلمتنا على عبادنا المرسلين فجعلت على مكان اللام فكأن المعنى حقت عليهم ولهم كما قيل على ملك سليمن وفي ملك سليمن اذ كان معنى ذلك واحدا وقوله وان جندنا لهم الغالبون يقول وان حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون يقول لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا والخلاف علينا ❊ القول في تأويل قوله تعالى {فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين} يعني تعالى ذكره بقوله فتول عنهم حتى حين فأعرض عنهم الى حين واختلف أهل التأويل في هذا الحين فقال بعضهم معناه الى الموت ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فتول عنهم حتى حين أي الى الموت * وقال آخرون الى يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فتول عنهم حتى حين قال حتى يوم بدر * وقال آخرون معنى ذلك الى يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فتول عنهم حتى حين قال يوم القيامة وهذا القول الذي قاله السدي أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه فقال أفبعذابنا يستعجلون وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عنهم الى مجيء حينه فتأويل الكلام فتول عنهم يا محمد الى حين مجيء عذابنا ونزوله بهم وقوله وأبصرهم فسوف يبصرون وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأبصرهم فسوف يبصرون حين لا ينفعهم البصر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأبصرهم فسوف يبصرون يقول انظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم قال يقول يبصرون يوم القيامة ما ضيعوا من أمر الله وكفرهم بالله ورسوله وكتابه قال فأبصرهم وأبصر واحد وقوله أفبعذابنا يستعجلون يقول فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد وذلك قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وقوله فاذا نزل بساحتهم يقول فاذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب والعرب تقول نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة وذلك اذا نزل به والساحة هي فناء دار الرجل فساء صباح المنذرين يقول فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدقوا به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

وقيل آل ياسين آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يس اسم القرآن فكأنه قيل سلام على من آمن بكتاب الله والوجه الأول هو أنسب الأقوال ومن قرأ على صورة الجمع فقد قال الفراء أراد به الياس وأتباعه من المؤمنين كقولهم (٧٣) المهلبون والأشعرون بتخفيف ياء النسبة وقيل انه لغة في الياس قال الزجاج يقال ميكائيل وميكائين فكذا ههنا حكى الثعلبي وغيره أن الياس نبي من سبط هرون بعثه الله الى بني اسرائيل وكان فيهم ملك يقال له احب وله امرأة يقال لها ازبيل وكانت تبرز للناس كما يبرز زوجها وتجلس للحكم كما يجلس فأتاهما الياس ودعاهما الى الله تعالى فأبيا عليه وهما بقتله فاختفى منهما سبع سنين وكان اليسع خليفته وآل أمره الى أن أوحى اليه أن اخرج الى موضع كذا فما جاءك فاركبه ولا تخف فجاء فرس من نار فوثب عليه وناداه خليفته اليسع بن أخطوب ما تأمرني فرمى الياس اليه بكسائه من الجو وكان ذلك عليه علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وقيل الياس موكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار وهما آخر من يموت من بني آدم وكان الحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس وقصة لوط مذكورة مرارا ومعنى (مصبحين وبالليل) أن مشركي العرب كانوا مسافرين الى الشأم فلعل أكثر مرورهم بتلك الديار كان في هذين الوقتين لأمر عارض كحر أو غيره وقصة يونس أيضا مما سبق ذكرها وفيها مزيد تسلية وتثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم انه أرسله ملك زمانه الى أولئك القوم ليدعوهم الى الله تعالى فالاباق وهو هرب العبد من سيده لا يوجب العصيان والأظهر أن قوله وان يونس لمن المرسلين مذكور في معرض التعظيم على قياس أوائل سائر القصص ولن يفيد هذه الفائدة

الا اذا كان الارسال من الله تعالى وأما الجواب عن اباقه فقد مر فى قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا قوله (المشحون) كالعلة لقوله فساهم والمساهمة المقارعة يقال أسهم القوم اذا اقترعوا

قال المبرد هى من السهام التى تجال للقرعة والمدحض المغلوب فى الحجة وغيرها

ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاذا نزل بساحتهم قال بدارهم فساء صباح المنذرين قال بئس ما يصبحون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين وخلهم وفريتهم على ربهم حتى حين يقول الى حين يأذن الله بهلاكهم وأبصر فسوف يبصرون يقول وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا فى حين لا تنفعهم التوبة وذلك عند نزول بأس الله بهم وقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون يقول تعالى ذكره تنزيها لربك يا محمد وتبرئة له رب العزة يقول رب القوة والبطش عما يصفون يقول عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركى قريش من قولهم ولد الله وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سبحان ربك رب العزة عما يصفون أى عما يكذبون يسبح نفسه اذا قيل عليه البهتان وقوله وسلام على المرسلين يقول وأمنة من الله للمرسلين الذين أرسلهم الى أممهم الذين ذكرهم فى هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك وتعالى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسلام على المرسلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم على فسلموا على المرسلين فانما أنا رسول من المرسلين والحمد لله رب العالمين يقول تعالى ذكره والحمد لله رب الثقلين الجن والانس خالصا دون ما سواه لأن كل نعمة لعباده فمنه فالحمد له خالص لا شريك له كما لا شريك له فى نعمه عندهم بل كلها من قبله ومن عنده

آخر تفسير سورة الصافات

﴿تفسير سورة ص﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق﴾ * قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى معنى قول الله عز وجل ص فقال بعضهم هو من المصاداة من صاديت فلانا وهو أمر من ذلك كأن معناه عندهم صاد بعملك القرآن أى عارضه به ومن قال هذا تأويله فانه يقرؤه بكسر الدال لأنه أمر وكذلك روى عن الحسن ذكر الرواية بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن ص قال حادث القرآن وحدثت عن على بن عاصم عن عمرو بن عبيد عن الحسن فى قوله ص قال عارض القرآن بعملك حدثت عن عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن فى قوله ص والقرآن قال عارض القرآن قال عبد الوهاب يقول اعرضه على عملك فانظر أين عملك من القرآن حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن اسمعيل عن الحسن أنه كان

وحقيقته الذى أزلق عن مقام الظفر والغلبة يروى أنه حين غضب على قومه خرج من بينهم حتى أتى بحر الروم ووجد سفينة مشحونة بحمولة فيها فلما وصلت الى لجة البحر أشرفت على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل فى السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقد يزعم أهل البحر أن السفينة اذا كان فيها آبق لا تجرى فاقترعوا فخرج من بينهم يونس فقال التجار نحن أولى بالمعصية من نبى الله ثم عادوا ثانيا وثالثا فخرج سهمه فقال يا هؤلاء أنا العاصى ورمى بنفسه الى الماء (فالتقمه الحوت) أى ابتلعه كاللقمة (وهو مليم) داخل فى الملامة ومنه المثل رب لائم مليم أى يلوم غيره وهو أحق منه باللوم (فلولا أنه كان من المسبحين) قيل أى من المصلين عن قتادة كان كثير الصلاة فى الرخاء وقيل من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس كما قيل اذكر الله فى الخلوات يذكرك فى الفلوات والأظهر أن المراد منه ما حكى الله تعالى فى آية أخرى أنه كان يقول فى تلك الظلمات لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين والضمير فى يبعثون للخلائق بالقرينة وقوله للبث فيه أقوال * أحدها يبقى هو والحوت الى يوم البعث * والثانى يموت الحوت ويبقى هو فى بطنه * والثالث يموتان ثم يحشر يونس من بطنه واختلفوا فى مدة لبثه فى بطن الحوت فعن الحسن أنه لم يلبث الا قليلا وقيل ثلاثة أيام وعن عطاء سبعة وعن الضحاك عشرون وقال الكلبى أربعون وروى أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه بالعراء وهو المكان الخالى لا شجر فيه ولا شئ يغطيه
يقرأ

يقرأ صن والقرآن بخفض الدال وكان يجعلها من المصاداة يقول عارض القرآن * وقال آخرون
هي حرف هجاء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال
ثنا أسباط عن السدي أما ص فمن الحروف * وقال آخرون هو قسم أقسم الله به ذكر من
قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ص
قال قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله * وقال آخرون هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ص قال هو اسم
من أسماء القرآن أقسم الله به * وقال آخرون معنى ذلك صدق الله ذكر من قال ذلك حدثت
عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك في قوله ص قال صدق الله واختلفت القراء
في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار خلا عبد الله بن أبي اسحق وعيسى بن عمر بسكون الدال
فأما عبد الله بن أبي اسحق فانه كان يكسرها لاجتماع الساكنين ويجعل ذلك بمنزلة الأداة كقول
العرب تركته حاث باث وخاز باز يخفضان من أجل أن الذي يلي آخر الحروف ألف فيخفضون
مع الألف وينصبون مع غيرها فيقولون حيث بيث ولأجعلنك في حيص بيص اذا ضيق عليه
وأما عيسى بن عمر فكان يوفق بين جميع ما كان قبل آخر الحروف منه ألف وما كان قبل آخره ياء
أو واو فيفتح جميع ذلك وينصبه فيقول ص وق ون ويس فيجعل ذلك مثل الأداة كقولهم
ليت وأين وما أشبه ذلك * والصواب من القراءة في ذلك عندنا السكون في كل ذلك لأن ذلك
القراءة التي جاءت بها قراء الامصار مستفيضة فيهم وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات فيعرب
اعراب الاسماء والأدوات والأصوات فيسلك بهن مسالكهن فتأويلها اذ كانت كذلك تأويل
نظائرها التي قد تقدم بياننا ها قبل فيما مضى وكان بعض أهل العربية يقول ص في معناها
كقولك وجب والله نزل والله وحق والله وهي جواب لقوله والقرآن كما تقول حقا والله نزل والله
وقوله والقرآن ذي الذكر وهذا قسم أقسمه الله تبارك وتعالى بهذا القرآن فقال والقرآن
ذي الذكر واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ذي الذكر فقال بعضهم معناه ذي الشرف
ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن علي قال ثنا أبو أحمد عن قيس عن أبي حصين عن سعيد
ص والقرآن ذي الذكر قال ذي الشرف حدثنا نصر بن علي وابن بشار قالا ثنا أبو أحمد
عن مسعر عن أبي حصين ذي الذكر ذي الشرف * قال ثنا أبو أحمد عن سفيان عن اسمعيل
عن أبي صالح أو غيره ذي الذكر ذي الشرف حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل
قال ثنا أسباط عن السدي والقرآن ذي الذكر قال ذي الشرف حدثنا أبو كريب قال
ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ص
والقرآن ذي الذكر ذي الشرف وقال بعضهم بل معناه ذي التذكير ذكركم الله به ذكر من قال ذلك
حدثت عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك ذي الذكر قال فيه ذكركم قال
ونظيرتها لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
ذي الذكر أي ما ذكر فيه * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه ذي التذكير لكم
لأن الله أتبع ذلك قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق فكان معلوما بذلك أنه انما أخبر عن

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا لنسمع صوتا ضعيفا
بأرض غريبة فقال نعم ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك
منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال
نعم فشفعوا له فأمر الحوت فقذفه
في الساحل وحكي في بعض التفاسير
وان لم يطابقه رأي أصحاب المسالك
كل المطابقة أن الحوت أخرجه الى
نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى
البطائح ثم دجلة فلفظه بأرض
نصيبين لم تنله آفة الا أن بدنه عاد
كبدن الصبي حين يولد فأنبت الله
عليه شجرة من يقطين وذلك كالمعجزة
له قال المبرد والزجاج هو يفعيل من
قطن بالمكان اذا أقام به فيشمل كل
شجرة لا تقوم على ساق كالدباء
والبطيخ الا أن المفسرين خصصوه
بالدباء قالوا لأن الذباب لا يجتمع
عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انك لتحب القرع قال أجل
هي شجرة أخي يونس قال الواحدي
في الآية دلالة أولا على أن اليقطين
لم يكن من قبل فأنبته الله لأجله
والآخر أن اليقطين كان قائما بحيث
يحصل له ظل قلت الثاني مسلم
الا أن الأول ممنوع ان أراد به النوع
وان أراد به الشخص فمسلم وقيل
هي التين وقيل هي شجرة الموز
تغطى بورقها واستظل بأغصانها
واغتذى من ثمارها وروي أنه
كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة
تأتيه فيشرب من لبنها وروي أنه
مر زمان على الشجرة فيبست
فبكى جزعا فأوحى اليه بكيت على
شجرة ولا تبكي على مائة ألف أو
يزيدون فرجع الى قومه وقد سبق
في سورة يونس باقي التفسير وأوفى
قوله أو يزيدون ليست للشك وانما
المراد وصفهم بالكثرة في مرأى الناظر أي اذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر ومن هذا التأويل يتضح وجه العطف من حيث
المعنى كأنه قيل وأرسلناه الى جم غفير مقول فيهم انهم مائة ألف أو يزيدون وقيل التقدير وأرسلناه الى مائة ألف وأرسلناه الى قوم

القـرآن أنه أنزله ذكرا لعباده ذكرهم به وأن الكفار من الايمـان به فى عزة وشـقاق واختلف فى الذى وقع عليه اسم القسم فقال بعضهم وقع القسم على قوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل الذين كفروا فى عزة قال ههنا وقع القسم وكان بعض أهل العربيـة يقول بل دليل على تكذيبهـم فاكتفى ببـل من جواب القسم وكأنه قيل ص ما الأمر كما قلتم بل أنتم فى عزة وشقاق وكان بعض نحويى الكوفة يقول زعموا أن موضع القسم فى قوله ان كل إلا كذب الرسـل وقال بعض نحويى الكوفة قد زعم قوم أن جواب والقـرآن قوله ان ذلك لحق تخاصم أهـل النار قال وذلك كلام قد تأخر عن قوله والقرآن تأخرا شـديدا وجرت بينهما قصص مختلفة فلا نجد ذلك مستقيما فى العربيـة والله أعلم قال ويقال ان قوله والقرآن يمين اعترض كلام دون موقع جوابها فصار جوابها للمعـترض وليمين فكأنه أراد والقرآن ذى الذكر لكم أهلكنا فلما اعترض قوله بل الذين كفروا فى عزة صارت كم جوابا للعزة واليمـين قال ومثله قوله والشمس وضحاها اعترض دون الجواب قوله ونفس وما سـوّاها فألهمها فصارت قد أفلح تابعة لقوله فألهمها وكفى من جواب القسم فكأنه قال والشمس وضحاها لقـد أفلح * والصواب من القول فى ذلك عنـدى القول الذى قاله قتادة وأن قوله بل لمـا دلت على التكذيب وحلت محـل الجواب استغنى بها من الجواب اذ عرف المعـنى فمعنى الكلام اذ كان ذلك كذلك ص والقرآن ذى الذكر ما الامر كما يقول هؤلاء الكافرون بل هم فى عزة وشـقاق وقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق يقول تعـالى ذكره بل الذين كفروا بالله من مشركى قريش فى حميـة ومشاقة وفراق لمحمد وعداوة وما بهم أن لا يكونوا أهل علم بأنه ليس بساحر ولا كذاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فى عزة وشقاق قال معازين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى عزة وشقاق أى فى حمية وفراق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بل الذين كفروا فى عزة وشـقاق قال يعادون أمر الله ورسـله وكتابه ويشاقون ذلك عزة وشقاق فقلت له الشقاق الخلاف فقال نعم

القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنـادوا ولات حين مناص﴾ يقول تعـالى ذكره كثيرا أهلكنا من قبـل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدا صـلى الله عليه وسـلم فيما جاءهم به من عنـدنا من الحق من قرن يعنى من الأمم الذين كانوا قبلهم فسلكوا سبيلهم فى تكذيب رسـلهم فيما أتوهم به من عند الله فنادوا يقول فعجوا الى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة اليه حين نزل بهم بأس الله وعاينوا عذابه فرارا من عقابه وهربا من أليم عذابه ولات حين مناص يقول وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العـذاب بالتوبة وقد حقت كلمة العذاب عليهم وتابوا حين لا تنفعهم التوبة واسـتقالوا فى غير وقت الاقالة وقوله مناص مفعل من النوص والنوص فى كلام العرب التأخر والمنـاص المفر ومنه قول امرئ القيس

أمن ذكر سلمى اذ نأتك تنوص * فتقصر عنها خطوة وتبوص

يزيدون فى الايهـام وكم الزائد قيـل ثلاثون ألفا عن ابن عباس وقيل بضعة وثلاثون وقيل بضعة وأربعون وقيل سبعون وجاء مرفوعا عشرون ألفا ويحتمل أن يراد أو يزيدون فى مرور الزمان لانه يبقى فيهم مدة كما قال آمنوا فمتعناهم الى حين هو انقضاء آجالهم وقيـل القيامة وقدم ثم عطف قوله (فاستفتهم) على مثله فى أول السورة والوجه فيه أنه أمر رسوله باستفتاء قريش عن سبب انكار البعث ثم ساق الكلام متصـلا بعضه ببعض على ما عرفت فى أثناء التفسـير ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى حين أضافوا البنات الى الله تعالى قائلين الملائكة بنات الله مع كراهتهم التامة لهن ورغبتهـم الوافرة فى البنين وحين استفتاهم على سبيل التوبيخ شرع فى تزييف معتقدهم بقسمة عقلية وذلك أن سند الدعوى اما أن يكون حسا أو خـبرا أو نظرا أما الحس فمفقود لأنهم ما شاهدوا كيفية تخليق الله الملائكة وهو المراد من قوله (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وأما الخبر فكذلك لأن الخبر انما يفيد العلم اذا علم أنه صدق قطعا وهؤلاء كذابون أفاكون وأشار اليه بقوله (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) وأما النظر فمفقود أيضا وبيانه من وجهين الاول أن دليـل العقل يقتضى فساده لانه تعـالى أكمل الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفاء الأخس لأجل نفسه وذلك قوله (أصطفى البنات على البنـين ما لكم كيف تحكمون) من قرأ أصطفى بفتح الهمزة فلأنه استفهام بطريق الانكار وقد حذفت همزة الوصـل للتخفيف ومن قرأ بكسرها على الاخبار جعله من جملة كلام الكفرة * الثانى عدم الدليـل على صحة مذهبهم وهو قوله (أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) نظيره ما مر فى قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) للمفسرين فيه قولان أحدهما أنهم الطائفة الاولى والمعنى أنهم جعلوا بين الله وبين الملائكة نسبة

بسبب قولهم انهم بناته فان الولادة تقتضى الجنسية والمناسبة وفيه توبيخ لهم على أن من صفته الاجتنان والاستتار كيف يصلح أن يكون مناسبا لمن لا يجوز عليه صفات الاجرام وعلى هذا فالضمير فى قوله (انهم لمحضرون) (٧٧) للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون فى الملائكة وقد علمت الملائكة أنهم فى ذلك كاذبون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون * وثانيهما أنهم طائفة من الزنادقة قائلون بيزدان واهرمن كما مر فى الانعام فى قوله وجعلوا لله شركاء الجن وعلى هذا فالضمير اما للكفار كما مر واما للشياطين روى عكرمة أنهم قالوا سروات الجن بنات الرحمن وقال الكلبي زعموا أن الله سبحانه تزوج الى الجن فخرج منها الملائكة والتاء فى الجنة للتأنيث كحق وحقة قال جار الله الاستثناء فى قوله (الا عباد الله) منقطع معناه انهم لمحضرون ولكن المخلصين ناجون وما بينهما اعتراض دال على التنزيه وجوز أن يكون الاستثناء من الضمير فى يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن أهل الاخلاص مبرؤن من وصفه بما لا ينبغى وحين بين المذاهب الفاسدة نقضها بين أن أهل الشرك ومعبوديهم ليس لهم أن يفتنوا على الله أى يحملوا غيرهم على سلوك سبيل الفتنة والضلال الا من سبق فى علم الله بأنه من أهل النار وقالت المعتزلة الا من سبق فى علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها وجوز جار الله أن تكون الواو فى وما تعبدون بمعنى مع وجاز السكوت على تعبدون كما فى قولهم كل رجل وضيعته ثم قال (ما أنتم عليه) أى على ما تعبدون (بفاتنين الا من هو صال) مثلكم وقال والوجه فى نظم هذه الآيات أن يكون قوله سبحان الله الى قوله المسبحون من

يقول أو تقدم يقال من ذلك ناصني فلان اذا ذهب عنك وباصني اذا سبقك. ناص فى البلاد اذا ذهب فيها بالضاد وذكر الفراء أن العقيلي أنشده

اذا عاش اسحق وشيخه لم أبل * فقيدا ولم يصعب على مناص
ولو أشرفت من كفة الستر عاطلا * لقلت غزال ما عليه خضاض

والخضاض الحلى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس فى قوله ولات حين مناص قال ليس بحين نزو ولا حين فرار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التميمى قال قلت لابن عباس أرأيت قول الله ولات حين مناص قال ليس بحين نزو ولا فرار ضبط القوم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق الهمدانى عن التميمى قال سألت ابن عباس قول الله ولات حين مناص قال ليس حين نزو ولا فرار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولات حين مناص قال ليس حين نزو ولا فرار حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولات حين مناص يقول ليس حين مغاث حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولات حين مناص قال ليس هذا بحين فرار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنادوا ولات حين مناص قال نادى القوم على غير حين نداء وأرادوا التوبة حين عاينوا عذاب الله فلم يقبل منهم ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ولات حين مناص قال حين نزل بهم العذاب لم يستطيعوا الرجوع الى التوبة ولا فرارا من العذاب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فنادوا ولات حين مناص يقول وليس حين فرار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولات حين مناص ولات حين منجى ينجون منه ونصب حين فى قوله ولات حين مناص تشبيها للات بليس وأضمر فيها اسم الفاعل وحكى بعض نحويى أهل البصرة الرفع مع لات فى حين زعم أن بعضهم رفع ولات حين مناص فجعله فى قوله ليس كأنه قال ليس وأضمر الحين قال وفى الشعر

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن ليس حين بقاء

فجر أوان وأضمر الحين الى أوان لأن لات لا تكون الا مع الحين قال ولا تكون لات الا مع حين وقال بعض نحويى الكوفة من العرب من يضيف لات فيخفض بها وذكر أنه أنشد

* لات ساعة مندم * بخفض الساعة قال والكلام أن ينصب بها لأنها فى معنى ليس وذكر أنه أنشد

تذكر حب ليلى لات حينا * وأضحى الشيب قد قطع القرينا

كلام الملائكة والمعنى ولقد علمت الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباده المخلصين وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه الا من كان مثلكم

قال وأنشدني بعضهم

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن ليس حين بقاء

بخفض أوان قال وتكون لات مع الأوقات كلها واختلفوا في وجه الوقف على قراءة ولات حين فقال بعض أهل العربية الوقف عليه ولات بالتاء ثم يبتدأ حين مناص قالوا وانما هي لا التي بمعنى ما وان في الجحد وصلت بالتاء كما وصلت ثم بها فقيل ثمت وكما وصلت رب فقيل ربت * وقال آخرون منهم بل هي هاء زيدت في لا فالوقف عليها لاه لانها هاء زيدت للوقف كما زيدت في قولهم

العاطفونة حين ما من عاطف * والمطعمونة حين أين المطعم

فاذا وصلت صارت تاء وقال بعضهم الوقف على لا والابتداء بعدها تحين وزعم أن حكم التاء أن تكون في ابتداء حين وأوان والآن ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

تولى قتلى يوم سبى حمانا * وصلينا كما زعمت تلانا

وأنه ليس ههنا لا فيوصل بها هاء أو تاء ويقول ان قوله لات حين انما هي ليس حين ولم توجد لات في شئ من الكلام * والصواب من القول في ذلك عندنا أن لا حرف جحد كما وإن وصلت بها هاء تصير في الوصل تاء كما فعلت العرب ذلك بالأدوات ولم تستعمل ذلك كذلك مع لا المدة الا للاوقات دون غيرها ولا وجه للعلة التي اعتل بها القائل انه لم يجد لات في شئ من كلام العرب فيجوز توجيه قوله ولات حين الى ذلك لأنها تستعمل الكلمة في موضع ثم تستعملها في موضع آخر بخلاف ذلك وليس ذلك بأبعد في القياس من الصحة من قولهم رأيت بالهمز ثم قالوا فأنا أراه بترك الهمز لما جرى به استعمالهم وما أشبه ذلك من الحروف التي تأتي في موضع على صورة ثم تأتي بخلاف ذلك في موضع آخر للجاري من استعمال العرب ذلك بينها وأما ما استشهد به من قول الشاعر كما زعمت تلانا فان ذلك منه غلط في تأويل الكلمة وانما أراد الشاعر بقوله * وصلينا كما زعمت تلانا * وصلينا كما زعمت أنت الآن فأسقط الهمزة من أنت فلقيت التاء من زعمت النون من أنت وهي ساكنة فسقطت من اللفظ وبقيت التاء من أنت ثم حذفت الهمزة من الآن فصارت الكلمة في اللفظ كهيئة تلان والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من الآن لانها تاء أنت وأما زعمه أنه رأى في المصحف الذي يقال له الامام التاء متصلة بحين فان الذي جاءت به مصاحف المسلمين في أمصارها هو الحجة على أهل الاسلام والتاء في جميعها منفصلة عن حين فلذلك اخترنا أن يكون الوقف على الهاء في قوله ولات حين * القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب﴾ يقول تعالى ذكره وعجب هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم ولم يأتهم ملك من السماء بذلك وقال الكافرون هذا ساحر كذاب يقول وقال المنكرون وحدانية الله هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ساحر كذاب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعجبوا أن جاءهم منذر منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب حدثنا محمد

قال

ممن علم الله عز وجل لكفرهم أنهم أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ومانحن الاعبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يتجاوزه ونحن الصافون كما مر في أول السورة ونحن المسبحون وقال في التفسير الكبير هاتان الجملتان تدلان على الحصر وفيه اشارة الى أن طاعة البشر كالعدم بالنسبة الى طاعة الملك فكيف يجوز أن يقال البشر تقرب درجتهم من درجة الملك فضلا عن دعوى الأفضلية قلت لا شك أن هذا التركيب يفيد الحصر الا أنه لم يفرق بين قصر الاول على الثاني كما في الآية و بين عكسه والذي يفيد مدعاه هو العكس لا الأصل فافهم وقيل هذه الآيات من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ومامن المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون في الصلاة و يسبحون الله و ينزهونه ثم حكى أن مشركي قريش (كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا) أي كتابا من جملة كتب الأولين أي نظيرها في بيان الشرائع والتكاليف لأخلصنا العبادة لله و إن مخففة واللام فارقة (فكفروا به) الفاء للربط أي فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار فكفروا به (فسوف يعلمون) وخامة عاقبة التكذيب وقيل أرادوا لو علمنا حال آبائنا وما آل اليه أمرهم وكان ذلك كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم لآمنا به وأخلصنا لكنا على شك من حديثه ثم بين أن رسل الله وجنده منصورون غالبون عاجلا وآجلا والأول أكثري والثاني تحقيقي يقيني ثم أمر نبيه بالصفح والاغماض الى أوان النصرة والغلبة قائلا (فتول عنهم) أي أعرض عن أذاهم الى حين الامر بالقتال أو الى يوم بدر عن السدي أو الى الموت والقيامة (وأبصرهم) وما يقضي عليهم من الاسر والقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك وما يؤول اليه أمرك من النصر والثواب في الدارين وفي هذا الامر تنفيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له كأن الحالة الموعودة قدام عينيه قربا

وتحققا وسوف في الموضعين للوعيد لا للتبعيد وكأنهم فهموا التسويف فاستعجلوا العذاب فوبخوا عليه وكان من عادة العرب أن يغيروا
صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وشبه نزول العذاب

قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله ساحر كذاب يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وقوله أجعل الآلهة الها واحدا يقول وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا محمد ساحر كذاب أجعل محمد
المعبودات كلها معبودا واحدا يسمع دعاءنا جميعنا ويعلم عبادة كل عابد عبده منا ان هذا الشيء
عجاب أي ان هذا الشيء عجيب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا الشيء عجاب قال عجب المشركون أن دعوا الى الله وحده وقالوا
يسمع لحاجاتنا جميعا إله واحد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة وكان سبب قيل هؤلاء المشركين
ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم أسألكم أن تجيبوني
الى واحدة تدين لكم بها العرب وتعطيكم بها الخراج العجم فقالوا وما هي فقال تقولون لا اله الا الله
فعند ذلك قالوا أجعل الآلهة الها واحدا تعجبا منهم من ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا
أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو أسامة قال ثنا الأعمش قال ثنا عباد عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام
فقالوا ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فنهيته فبعث اليه
فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال فخشي
أبو جهل ان جلس الى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي
ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال فأكثروا عليه من القول وتكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم اني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب
وتؤدي اليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا
فقالوا وما هي فقال أبو طالب وأي كلمة هي يا ابن أخي قال لا اله الا الله قال فقاموا فزعين ينفضون
ثيابهم وهم يقولون أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب قال ونزلت من هذا الموضع الى
قوله لما يذوقوا عذاب اللفظ لأبي كريب حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن
سفيان عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مرض أبو طالب فأتاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعوده وهم حوله جلوس وعند رأسه مكان فارغ فقام أبو جهل فجلس
فيه فقال أبو طالب يا ابن أخي ما لقومك يشكونك قال يا عم أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب
وتؤدي اليهم بها العجم الجزية قال ما هي قال لا اله الا الله فقاموا وهم يقولون ما سمعنا بهذا في الملة
الآخرة ان هذا الا اختلاق ونزل القرآن ص والقرآن ذي الذكر ذي الشرف بل الذين كفروا
في عزة وشقاق حتى قوله أجعل الآلهة الها واحدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد
عن سفيان عن الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مرض
أبو طالب ثم ذكر نحوه الا أنه لم يقل ذي الشرف وقال الى قوله ان هذا الشيء عجاب حدثنا ابن
بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن
جبير قال مرض أبو طالب قال فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فكان عند رأسه مقعد
رجل فقام أبو جهل فجلس فيه فشكوا النبي صلى الله عليه وسلم على أبي طالب وقالوا انه يقع

بساحتهم بعدما أنذروه بجيش أنذر بعض
النصحاء بهجومه قومه فلم يلتفتوا
الى انذاره ولا أخذوا أهبتهم حتى
أناخ بفنائهم بغتة فشن الغارة عليهم
قيل نزلت في فتح مكة وعن أنس لما
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم
ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس
ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله
عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا
اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين أي صباحهم فحذف
المخصوص بالذم واللام في المنذرين
للجنس وانما ثنى وتول عنهم ليكون
تسلية على تسلية والاول لعذاب
الدنيا والثاني للآخرة وأطلق الفعل
الثاني أيضا اكتفاء بالاول وليفيد
فائدة زائدة وهي أنه يبصرون وهم
يبصرون مالا يحيط به الوصف من
صنوف المسرة وفنون المساءة واعلم
أن السورة اشتملت على ما قاله
المشركون في الله وعلى ما عاني المرسلون
من جهتهم وعلى ما يؤول اليه عاقبة
الرسل وحزب الله من موجبات
الحمد فلا جرم ختمها بكلمات جامعة
لتلك المعاني ومعنى (رب العزة)
كقوله قل اللهم مالك الملك والمراد
ذي العزة لانها صفته لا مربوبه عن
ابن عباس أنه سمع رجلا يقول اللهم
رب القرآن فانكر عليه وقال القرآن
ليس بمربوب ولكن كلام الله
والظاهر أن قوله (عما يصفون)
يتعلق بسبحان كما في قوله فسبحان
الله عما يصفون وقيل متعلق بالعزة
أي امتنع عما يصفونه به وقد
مر شيء من تحقيق هذه الحالة
في آخر سورة يس قال بعضهم انما لم يقل في آخر قصتي لوط ويونس سلام عليهما اكتفاء بقوله في الخاتمة وسلام على المرسلين عن علي رضي
الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى آخر السورة

﴿سـورة ص وهي مكية حروفها ثلاثة آلاف وتسـعة وستون كلمها سبعمائة واثنان وثلاثون آياتها ثمـان وثمـانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ص والقرآن (٨٠) ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصـبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هـذا الا اختلاق أأنزل عليـه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمـة ربك العزيز الوهاب أم لهـم ملك السموات والأرض وما بينهـما فليرتقوا فى الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالهـا من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبـل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشـددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحـراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضـنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقـال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى الذى

فى آلهتنا فقال يا ابن أخى ما تريد الى هذا قال يا عم انى أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدى اليهـم العجم الجزية قال وما هى قال لا اله الا الله فقالوا أجعل الآلهـة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانطلق الملأ منهـم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد ماسمعنا بهـذا فى الملة الآخرة ان هـذا الا اختلاق﴾ يقول تعالى ذكره وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش القائلين أجعل الآلهة الها واحدا بأن امضوا فاصـبروا على دينكم وعبادة آلهتكم فأن من قوله أن امشوا فى موضع نصب بتعلق انطلقوا بها كأنه قيل انطلقوا مشـيا ومضيا على دينكم وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا على آلهتكم وذكر أن قائل ذلك كان عقبـة بن أبى معيط ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد وانطلق الملأ منهم قال عقبة بن أبى معيط وقوله ان هـذا الشئ يراد أى ان هـذا القول الذى يقول محمد ويدعونا اليه من قول لا اله الا الله شئ يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا وأن نكون له فيه أتباعا ولسـنا مجيبيه الى ذلك وقوله ماسمعنا بهذا فى المـلة الآخرة اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهـم معناه ماسمعنا بهذا الذى يدعونا اليه محمد من البراءة من جميع الآلهة الا من الله تعالى ذكره وبهـذا الكتاب الذى جاء به فى الملة النصرانية قالوا وهى الملة الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة يقول النصرانية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس قوله ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة يعنى النصرانيـة فقالوا لو كان هـذا القرآن حقا أخبرتنا به النصارى حدثنى محمد بن اسحق قال ثنا يحيى بن معين قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى لبيد عن القرظى فى قوله ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة قال ملة عيسى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة النصرانية * وقال آخرون بل عنوا بذلك ماسمعنا بهـذا فى ديننا دين قريش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمـد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة قال ملة قريش حدثنى محمد بن عمـرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فى الملة الآخرة قال ملة قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة أى فى ديننا هذا ولا فى زماننا قط حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ماسمعنا بهـذا فى المـلة الآخرة قال الملة الآخرة الدين الآخر قال والملة الدين * وقيل ان الملأ الذين انطلقوا نفر من مشيخة قريش منهم أبو جهل والعاص بن وائل والأسود ابن عبد يغوث ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السـدى أن أناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسـود بن المطلب والاسود بن عبـد يغوث فى نفر من مشـيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى أبى طالب فلنكلمه فيـه فلينصفنا منه فيأمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهـه

المتقين كالفجار كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾

﴿ القراآت أونزل بالواو مثل أونبئكم فى آل عمران عذابى وعقابى بالياء فى الحالين يعقوب والسرندى عن قنبل وافق سهل وعباس فى الوصل أيكة مذكور فى الشعراء من فواق بضم الفاء حمزة وعلى وخلف الباقون بالفتح ولى نعجة بفتح الياء حفص والأعشى والبرجمى فتناه بتخفيف النون على أنه مثنى والضمير للخصمين عباس لتدبروا بحذف احدى التاءين على أنه خطاب يزيد والأعشى والبرجمى الباقون على الغيبة وادغام تاء التفعل فى الدال انى أحببت بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ومن بعدى بالفتح أبو جعفر ونافع وأبو عمرو والرياح مجموعة يزيد ﴿ الوقوف ذى الذكر ط وشقاق ٥ مناص ٥ منهم ز لتصريح ذكر الكافرين مع امكان الاكتفاء بالضمير وقد اتفقت الجملتان كذاب ج للاستفهام واتحاد العامل واحدا ج لمثل ما مر عجاب ٥ آلهتكم ج

الذى يعبد فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون مناشئ فتعيرنا العرب فيقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه قال فبعثوا رجلا منهم يدعى المطلب فاستأذن لهم على أبى طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه قال فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخى هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك قال فقال أى عم أولا أدعوهم الى ما هو خير لهم منها قال وإلام تدعوهم قال أدعوهم الى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم قال فقال أبو جهل من بين القوم ماهى وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها قال تقولون لا اله الا الله قال فنفروا وقالوا سلنا غير هذه قال لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سألتكم غيرها قال فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك والذى يأمرك بهذا وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد الى قوله إلا اختلاق وأقبل على عمه فقال له عمه يا ابن أخى ما شططت عليهم فأقبل على عمه فدعاه فقال قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة تقول لا اله الا الله فقال لولا أن تعيبكم بها العرب يقولون جزع من الموت لأعطيتكها ولكن على ملة الأشياخ قال فنزلت هذه الآية انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا الشئ يراد قال نزلت حين انطلق أشراف قريش الى أبى طالب فكلموه فى النبى صلى الله عليه وسلم وقوله ان هذا الا اختلاق يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين فى القرآن ما هذا القرآن الا اختلاق أى كذب اختلقه محمد وتخرصه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان هذا إلا اختلاق يقول تخريص حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان هذا إلا اختلاق قال كذب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد ان هذا الا اختلاق يقول كذب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان هذا الا اختلاق الا شئ تخلقه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان هذا الا اختلاق اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هذا الا اختلاق قالوا ان هذا الا كذب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين من قريش أأنزل على محمد الذكر من بيننا فخص به وليس بأشرف منا حسبا وقوله بل هم فى شك من ذكرى يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمدا صادق ولكنهم فى شك من وحينا اليه وفى هذا القرآن الذى أنزلناه اليه أنه من عندنا بل لما يذوقوا عذاب

لما مر يراد ج ٥ لذلك الآخرة ج لذلك اختلاق ٥ ج لما قلنا من بيننا ط من ذكرى ٥ لعطف الجملتين المختلفتين والابتداء بالتهديد عذاب ٥ لأن أم بمعنى ألف استفهام انكار الوهاب ٥ ج لأن أم تصلح ابتداء انكار الأسباب ٥ الأحزاب ٥

يقول بل لم ينزل بهم بأسنا فيذوقوا وبال تكذيبهم محمدا وشكهم فى تنزيلنا هذا القرآن عليه ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ماهم به مكذبون حين لا ينفعهم علمهم أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب يقول تعالى ذكره أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحى الله الى محمد خزائن رحمة ربك يعنى مفاتيح رحمة ربك يا محمد العزيز فى سلطانه الوهاب لمن يشاء من خلقه ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة فيمنعوك يا محمد ما منّ الله به عليك من الكرامة وفضلك به من الرسالة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا فى الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ يقول تعالى ذكره أم لهؤلاء المشركين الذين هم فى عزة وشقاق ملك السموات والأرض وما بينهما فانه لا يعازنى ويشاقنى الا من كان له ملك ذلك يقول ليس ذلك لأحد غيرى فكيف يعازنى ويشاقنى من كان فى ملكى وسلطانى وقوله فليرتقوا فى الأسباب يقول وان كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليصعدوا فى أبواب السماء وطرقها فان من كان له ملك شئ لم يتعذر عليه الاشراف عليه وتفقده وتعهده واختلف أهل التأويل فى معنى الأسباب التى ذكرها الله فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بها أبواب السماء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فليرتقوا فى الأسباب قال طرق السماء وأبوابها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فليرتقوا فى الأسباب يقول فى أبواب السماء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فى الأسباب قال أسباب السموات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فليرتقوا فى الأسباب قال طرق السموات حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك أم لهم ملك السموات والأرض يقول ان كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا فى الأسباب يقول فليرتقوا الى السماء السابعة حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فليرتقوا فى الأسباب يقول فى السماء * وذكر عن الربيع بن أنس فى ذلك ما حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس قال الأسباب أدق من الشعر وأشد من الحديد وهو بكل مكان غير أنه لا يرى وأصل السبب عند العرب كل ما تسبب به الى الوصول الى المطلوب من حبل أو وسيلة أو رحم أو قرابة أو طريق أو محجة وغير ذلك وقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب يقول تعالى ذكره هم جند يعنى الذين فى عزة وشقاق هنالك يعنى ببدر مهزوم وقوله هنالك من صلة مهزوم وقوله من الأحزاب يعنى من أحزاب ابليس وأتباعه الذين مضوا قبلهم فأهلكهم الله بذنوبهم ومن من قوله من الأحزاب من صلة قوله جند ومعنى الكلام هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك وما فى قوله جند ما هنالك صلة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب قال قريش من الأحزاب قال القرون الماضية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

الأوتاد ٥ لا الأيكة ط الأحزاب ٥ عقاب ٥ فواق ٥ الحساب ٥ الأيد ج للابتداء بان ولاحتمال التعليل أوّاب ٥ والاشراق ٥ أوّاب ٥ الخطاب ٥ الخصم م لأن اذ ليس بظرف للاتيان ولتناهى الاستفهام الى الامر أى اذ كر اذ تسوّروا المحراب ٥ لا لأن اذ بدل من الاولى لا تخف ج لحق الحذف أى نحن خصمان مع اتحاد المقول الصراط ٥ فى الخطاب ٥ نعاجه ج ماهم ط وأناب ٥ ذلك ط مآب ٥ عن سبيل الله الاولى ط الحساب ٥ باطلا ط كفروا ج للابتداء بالتهديد مع فاء التعقيب النار ٥ ج لأن أم لاستفهام انكار كالفجار ٥ الألباب ٥ سليمن ط العبد ط أوّاب ٥ لا والأصح الوقف والتقدير اذكر اذ فان أو به غير مقيد بل مطلق الجياد ٥ لا للعطف ربى ج لاحتمال أن حتى للابتداء وأن تكون لانتهاء الحب أى آثرت حب الخير حتى توارت بالحجاب ٥ لحق الحذف تقديره قال ردوها علىّ فطفق والأعناق ٥ أناب ٥ بعدى ٥ لا لاحتمال أن يكون التقدير فانك الوهاب ٥ أصاب ٥ وغوّاص ٥ الأصفاد ٥ حساب ٥ مآب ٥ ۞ التفسير عن ابن عباس أن ص بحر عليه عرش الرحمن وعن سعيد ابن جبير بحر يحيى الله به الموتى بين النفختين وقيل صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى كل ما أخبر به عن الله وقيل صدّ الكفار عن قبول هذا الدين وقيل صدّ محمد صلى الله عليه وسلم قلوب العباد وقيل هو من المصاداة المعارضة ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت فى الجبال يؤيده قراءة من قرأ ص بالكسر معناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه والذكر الشرف والشهرة أو الموعظة

ثنا سعيد عن قتادة جند ماهنالك مهزوم من الأحزاب قال وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جنـدا من المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وكان بعض أهل العربيـة يتأول ذلك جند ماهنالك مغلوب عن أن يصعد الى السماء ﷺ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب﴾ يقول تعالى ذكره كذبت قبـل هؤلاء المشركين من قريش القائلين أجعل الآلهـة الها واحدا رسـلها قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد * واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيـل لفرعون ذو الأوتاد فقال بعضهم قيـل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها ذكر من قال ذلك حدثت عن علي بن الهيثم عن عبـد الله بن أبي جعفر عن أبيـه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفرعون ذو الأوتاد قال كانت ملاعب يلعب له تحتها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله وفرعون ذو الأوتاد قال كان له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب له عليها * وقال آخرون بل قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ذو الأوتاد قال كان يعذب الناس بالأوتاد يعذبهم بأربعة أوتاد ثم يرفع صخرة تمد بالحبال ثم تلقى عليه فتشدخه حدثت عن علي بن الهيثم عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال كان يعذب الناس بالأوتاد * وقال آخرون معنى ذلك ذو البنيان قالوا والبنيان هو الأوتاد ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحـاك ذو الاوتاد قال ذو البنيان * وأشـبه الأقوال في ذلك بالصـواب قول من قال عنى بذلك الأوتاد إما لتعـذيب الناس وإما للعب كان يلعب له بها وذلك أن ذلك هو المعـروف من معنى الأوتاد وثمود وقوم لوط وقـد ذكرنا أخبار كل هؤلاء فيما مضى قبـل من كتابنا هذا وأصحاب الأيكة يعني وأصحاب الغيضة وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حدثت عن معمر بن المثنى عن أبي عمرو يقول الأيكة الحرجة من النبع والسـدر وهو الملتف منه قال الشاعر

أفمن بكاء حمـامة في أيكة * يرفض دمعك فوق ظهر المحمل

يعني محمل السيف وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة وأصحاب الأيكة قال كانوا أصحاب شجر قال وكان عامة شجرهم الدوم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السـدي قوله وأصحاب الأيكة قال أصحاب الغيضـة وقوله أولئك الأحزاب يقول تعالى ذكره هؤلاء الجماعات المجتمعـة والأحزاب المتحزبة على معـاصي الله والكفر به الذين منهـم يا محمد مشركو قومك وهـم مسلوك بهم سبيلهم ان كل الا كذب الرسـل يقول ما كل هؤلاء الامم الا كذب رسل الله وهي في قراءة عبـد الله كما ذكر لي ان كل لمـا كذب الرسـل فحق عقاب يقول فوجب عليهم عقاب الله اياهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان كل الا كذب الرسـل فحق عقاب قال هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسـل فحق عليهم العذاب ﷺ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لهـا من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا

وجواب القسم محذوف كأنه قيل انه المعجز وان الحكم لواحد ويجوز أن كان ص اسم السورة أن يراد هذه ص والقرآن يعني هذه السور هي التي أعجزت العرب بحق القرآن كما تخبر عن هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله ثم بين أن الكفار في استكبار عن الاذعان للحق وفي مخالفة الله ورسوله ومعنى بل ترك كلام والأخذ في كلام آخر ولئن سـلم أنه للمغايرة الكلية فالكلام الأول هو كون محمد صلى الله عليه وسـلم صادقا في تبليغ الرسالة أو كون القرآن أو هذه السورة معجزا أو الحكم المذكور بعد بل هو المعـازة والمشاقة في كونه كذلك فحصل المطلوب ثم خوف الكفار بقوله (كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات) أي رفعوا أصواتهم بالدعاء والاستغاثة لأن نداء من نزل به العذاب لا يكون الا كذلك وعن الحسن فنادوا بالتوبة كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا ولهذا قال ولات (حين مناص) أي لم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب أو حين نداء ينجي قال سيبويه والخليل التاء في لات زائدة مثلها في ربت وثمت وهي المشبهة بليس وقد تغير حكمها بزيادة التاء حيث لا تدخل الا على الأحيان ولم يبرز الا اسمها أو خبرها وتقـديرالآية ليس الحين حين مناص ولو رفع لكان تقديره وليس حين مناص حاصـلا لهم وقال الأخفش انها لا النافيـة للجنس زيدت عليها التـاء وخصت بنفي الأحيان كأنه قيل ولا حين مناص لهم وقيل أصـل لات ليس قلبت الياء ألفا والسين تاء وقيـل التاء قد تلحق بحين كقوله

العاطفون تحين ما من عاطف
والمطعمون زمان ما من مطعم

والى هـذا ذهب أبو عبيدة وتأكد هـذا الرأي عنده حين رأى التاء في المصحف متصلا بحين وضعف بعد تسليم أنه في الامام كذلك بأن خط المصحف غير مقيس عليه أما الوقف على لات فعند الكوفيين بالهاء قياسا على الأسماء وعند البصريين بالتاء قياسا على الأفعال والمناص مصدر ناص ينوص اذا هرب ونجا أو فات قال ابن عباس

لما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص أى اهربوا وخذوا احذركم فأنزل الله ولات حين مناص ثم حكى شر صنيعهم وسوء مقالتهم فى حق النبى صلى الله عليه وسلم قائلا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) (٨٤) أى من جنس البشر ثم سجل عليهم بالكفر بوضع الظاهر موضع المضمر قائلا (وقال الكافرون هذا ساحر) فى اظهار خوارق العادات (كذاب) على الله وانما قيل فى سورة ق فقال الكافرون بالفاء لأن القول هناك شئ عجيب وهو نتيجة العجب فاتصل الكلامان لفظا ومعنى وأما ههنا فلم يتصل الا معنى (أجعل الآلهة) أى صيرها وحكم عليها بالوحدة (ان هذا لشئ عجاب) بليغ فى العجب يروى أنه لما أسلم عمر بن الخطاب شق ذلك على قريش وفرح المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الأشراف والرؤساء امشوا الى أبى طالب فأتوه وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا أتيناك لتقضى بيننا و بين ابن أخيك فدعا أبو طالب النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألون السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال ماذا يسألوننى فقالوا ارفضنا وارفض آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أتعطوننى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال له أبو جهل والله لنعطينكها وعشر أمثالها فقال صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد فأنزل الله هذه الآيات يعنى من أول السورة الى قوله كذبت قبلهم (وانطلق الملأ منهم) أى نهضوا من ذلك المجلس و (أن) مفسرة أى (امشوا) من غير أن يتلفظوا به (واصبروا على) عبادة (آلهتكم) قال النحويون الانطلاق ههنا مضمن معنى القول لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا كان ويتفاوضوا فيما جرى لهم وقيل وانطلق الملأ منهم وقالوا لغيرهم امشوا وقيل انطلقوا بأن امشوا أى بهذا القول وليس المراد بالمشى السير

قبل يوم الحساب﴾ يقول تعالى ذكره وما ينظر هؤلاء المشركون بالله من قريش الا صيحة واحدة يعنى بالصيحة الواحدة النفخة الاولى فى الصور ما لها من فواق يقول ما لتلك الصيحة من فيقة يعنى من فتور ولا انقطاع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة يعنى أمة محمد ما لها من فواق حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن اسمعيل بن رافع عن يزيد بن زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال كيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع الاولى والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهى التى يقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله ما لها من فواق فقال بعضهم يعنى بذلك ما لتلك الصيحة من ارتداد ولا رجوع ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ما لها من فواق يقول من ترداد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ما لها من فواق يقول ما لها من رجعة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما لها من فواق قال من رجوع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما لها من فواق يعنى الساعة ما لها من رجوع ولا ارتداد * وقال آخرون بل معنى ذلك ما لهؤلاء المشركين بعد ذلك افاقة ولا رجوع الى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ما لها من فواق يقول ليس لهم بعدها افاقة ولا رجوع الى الدنيا وقال آخرون الصيحة فى هذا الموضع العذاب ومعنى الكلام ما ينتظر هؤلاء المشركون الا عذابا يهلكهم لا افاقة لهم منه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما لها من فواق قال ما ينتظرون الا صيحة واحدة ما لها من فواق يا لها من صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذى يغشى عليه وكما يفيق المريض تهلكهم ليس لهم فيها افاقة * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة من فواق بفتح الفاء وقرأته عامة أهل الكوفة من فواق بضم الفاء * واختلف أهل العربية فى معناها اذا قرئت بفتح الفاء وضمها فقال بعض البصريين منهم معناها اذا فتحت الفاء ما لها من راحة واذا ضمت جعلها فواق ناقة ما بين الحلبتين وكان بعض الكوفيين منهم يقول معنى الفتح والضم فيها واحد وانما هما لغتان مثل السواف والسواف وجمام المكوك وجمامه وقصاص الشعر وقصاصه * والصواب من القول فى ذلك أنهما لغتان وذلك أنا لم نجد أحدا من المتقدمين على اختلافهم فى قراءته يفرقون بين معنى الضم فيه والفتح ولو

انما المراد المضىّ على الأمر وقيل امشوا واتركوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل هى من مشت الماشية اذا كثر نسلها مشاء ومنه الماشية
للتفاؤل وفى تهذيب اللغة عن الأزهرى مشى الرجل اذا استغنى فيكون هذا دعاء لهم بالبركة (ان هذا) الأمر وهو استعلاء محمد

كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم لقد كانوا فرقوا بين ذلك فى المعنى فاذ كان ذلك
كذلك فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب وأصل ذلك من قولهم أفاقت الناقة فهى تفيق افاقة
وذلك اذا ردت ما بين (١) الرضعتين ولدها الى الرضعة الاخرى وذلك أن ترضع البهيمة أمها ثم
تتركها حتى ينزل شئ من اللبن فتلك الافاقة يقال اذا اجتمع ذلك فى الضرع فيقة كما قال الاعشى

حتى اذا فيقة فى ضرعها اجتمعت * جاءت لترضع شق النفس لو رضعا

وقوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون بالله من
قريش يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة والقط فى كلام العرب الصحيفة المكتوبة ومنه
قول الأعشى ولا الملك النعمان يوم لقيته * بنعمته يعطى القطوط ويأفق
يعنى بالقطوط جمع القط وهى الكتب بالجوائز واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أراد
هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القط لهم فقال بعضهم انما سألوا ربهم تعجيل حظهم من
العذاب الذى أعدلهم فى الآخرة فى الدنيا كما قال بعضهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ربنا عجل لنا قطنا يقول العذاب حدثنى محمد
ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال سألوا الله أن يعجل لهم العذاب قبل يوم القيامة حدثنا
ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد
فى قوله عجل لنا قطنا قال عذابنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله
عجل لنا قطنا قال عذابنا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب أى نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة قال قد قال ذلك
أبو جهل اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء الآية * وقال آخرون بل انما
سألوا ربهم تعجيل أنصبائهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد صلى الله
عليه وسلم فيؤمنوا حينئذ به ويصدقوه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال
ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله عجل لنا قطنا قالوا أرنا منازلنا فى الجنة
حتى نتابعك * وقال آخرون مسألتهم نصيبهم من الجنة ولكنهم سألوا تعجيله لهم فى الدنيا ذكر
من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ثابت الحداد
قال سمعت سعيد بن جبير يقول فى قوله عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال نصيبنا من الجنة
* وقال آخرون بل سألوا ربهم تعجيل الرزق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمر بن على
قال ثنا أشعث السجستانى قال ثنا شعبة عن اسمعيل بن أبى خالد فى قوله عجل لنا قطنا قال
رزقنا * وقال آخرون سألوا أن يعجل لهم كتبهم التى قال الله فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى
كتابه بشماله فى الدنيا لينظروا أبأيمانهم يعطونها أم بشمائلهم ولينظروا من أهل الجنة هم أم من أهل

(١) لعله ردت ولدها ما بين الرضعة الى الرضعة الخ تأمل كتبه مصححه

صلى الله عليه وسلم (لشئ يراد) أى
حكم الله به فلا حيلة فى دفعه ولا ينفع
الا الصبر أو انه لشئ من نوائب الدهر
أريد بنا فلا انفكاك لنا منه أو ان
دينكم لشئ يراد أن يؤخذ منكم
وقيل ان عبادة الأصنام لشئ نريده
ونحتاج اليه وقيل ان هذا الاستعلاء
والترفع لشئ يريده كل أحد وكل
ذى همة وقريب منه قول القفال ان
هذه كلمة تذكر للتحذير والتخويف
معناها انه ليس غرض محمد صلى الله
عليه وسلم من هذا القول تقرير الدين
ولكن غرضه أن يستولى علينا
ويحكم فى أموالنا وأولادنا بما يريد
(ما سمعنا بهذا) أى بقول محمد صلى
الله عليه وسلم (فى الملة الآخرة) فيما
أدركنا عليه آباءنا أو فى ملة عيسى
التى هى آخر الملل لأن النصارى مثلثة
غير موحدة قال جار الله يجوز أن
يكون التقدير ما سمعنا بهذا كائنا
فى الملة الآخرة فيكون الظرف حالا
من هذا لا متعلقا بسمعنا والمعنى أنا
لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان
أنه يحدث فى الملة الآخرة توحيد الله
(ان هذا الا اختلاق) كذب اختلقه
من عنده ثم أظهروا الحسد وما كان
يغلى به صدورهم قائلين (أأنزل
عليه الذكر من بيننا) وذلك أنهم ظنوا
أن الشرف بالمال والجاه فقط نظيره
فى القمر أألقى الذكر عليه من بيننا
الا أنه استعمل هناك الالقاء لان
أذكارهم كانت صحفا مكتوبة
وألواحا مسطورة وقدم الظرف
ههنا لشدة العناية ولزيادة غيظهم
وحمقهم فأجاب الله تعالى عن
شبهتهم بقوله (بل هم فى شك من ذكرى) أى من دلائلى التى لو نظروا فيها لزال الشك عنهم فالقاطع لا يساوى المشكوك وقيل أراد أنهم
لا يكذبونك ولكنهم جحدوا آياتى ثم قال (بل لما يذوقوا عذاب) أى لو ذاقوه لأقبلوا على أداء المأمورات والانتهاء عن المنهيات وقيل أراد

النار قبل يوم القيامة استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال ان القوم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذى وعد الله عباده أن يؤتيهموها فى الآخرة قبل يوم القيامة فى الدنيا استهزاء بوعيد الله وانما قلنا ان ذلك كذلك لأن القط هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم ثم أتبع ذلك قوله لنبيه اصبر على ما يقولون فكان معلوما بذلك أن مسألتهم ما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذى يتبع الامر بالصبر عليه ولكن لما كان ذلك استهزاء وكان فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أذى أمره الله بالصبر عليه منهم حتى يأتيه قضاؤه فيهم ولما لم يكن فى قوله عجل لنا قطنا بيان أىّ القطوط ارادتهم لم يكن لنا توجيه ذلك الى أنه معنىٌّ به القطوط ببعض معانى الخير أو الشر فلذلك قلنا ان مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أوّاب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشىّ والإشراق والطير محشورة كل له أوّاب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم لك فانا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك ثم جاعلو العلو والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك سنتنا فى الرسل الذين أرسلناهم الى عبادنا قبلك فمنهم عبدنا أيوب وداود بن ايشا فاذكره ذا الأيد ويعنى بقوله ذا الأيد ذا القوة والبطش الشديد فى ذات الله والصبر على طاعته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس داود ذا الأيد قال ذا القوة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ذا الأيد قال ذا القوة فى طاعة الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذكر عبدنا داود ذا الأيد قال أعطى قوة فى العبادة وفقها فى الاسلام وقد ذكر لنا أن داود صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله داود ذا الأيد القوة فى طاعة الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله داود ذا الأيد قال ذا القوة فى عبادة الله الأيد القوة وقرأ والسماء بنيناها بأيد قال بقوة وقوله انه أوّاب يقول ان داود رجاع مما يكرهه الله الى ما يرضيه أوّاب وهو من قولهم آب الرجل الى أهله اذا رجع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انه أوّاب قال رجاع عن الذنوب حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انه أوّاب قال الراجع عن الذنوب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انه أوّاب أى كان مطيعا لله كثير الصلاة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله انه أوّاب قال المسبح حدثنى يونس

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بالعذاب لو أصروا على الكفر ثم انهم اصروا ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا لشكهم فى صدقه صلى الله عليه وسلم فلا جرم لا يزول ذلك الشك الا بنزول العذاب ثم أجاب عن شبهتهم بوجه آخر وهو قوله (أم عندهم خزائن رحمة ربك) والمراد أن النبوة من جملة النعمة المخزونة عنده يعطيها من يشاء من عباده ثم خصص بعد التعميم قائلا (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) ولا ريب أن هذه الأشياء بعض خزائن الله واذا كانوا عاجزين عن البعض فعن الكل أولى ثم تهكم بهم بقوله (فليرتقوا) أى فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق وقسمة الرحمة فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوسل بها الى المقصود وقيل أسباب السموات أبوابها والمعنى ان ادّعوا ملك السموات وأنهم يعلمون ما يجرى فيها فليرتقوا اليها قال بعض حكماء الاسلام فى الأسباب اشارة الى أن الأجرام الفلكية وما أودع الله فيها من القوى والخواص أسباب حوادث العالم السفلى ثم حقر أمرهم بقوله (جند ما) وهو خبر مبتدا محذوف وما مزيدة للاستعظام جارية مجرى الصفة أى هم جند من الجنود ثم خصص الوصف بقوله (من الاحزاب) أى ماهم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بهم قال قتادة هنالك اشارة الى يوم بدر وقيل يوم الخندق وقيل فتح مكة فان مكة هى الموضع الذى ذكروا فيه هذه الكلمات وقال أهل البيان هى اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم كقولك لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك ثم مثل حالهم بحال من قبلهم من الأمم المكذبة وقصصهم مذكورة مرارا والذى يختص بالمقام هو أنه وصف فرعون بذى الاوتاد فعن قتادة أنه قال كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب بها عنده وقال المبرد بنى أبنية طويلة صارت كالأوتاد لبقائها وقيل هى أوتاد أربعة كان يعذب الناس

بها على الارض أو على رؤس أخشاب أربعة وقيل أراد كثرة أوتاد خيام معسكره وقيل أراد أنه ذو جموع كثيرة فبالجمعية يشتد الملك
كما يشتد البناء بالأوتاد وهذا قريب وقول أهل البيان ان أصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطنب بأوتاد ثم استعير لثبات العز
والملك والمقصود على الوجوه كلها وصف فرعون بالشدة والقوة ونفاذ الامر ليعلم أنه تعالى أهلك من كان هذه صفته فكيف بمن هو دونه قال أبو البقاء قوله (أولئك الاحزاب) مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون خبرا والمبتدأ من قوله وعاد أو من ثمود أو من قوم لوط قلت ويحتمل أن يكون الاحزاب صفة أولئك وأولئك بدلا من مجموع المعطوفات والمعطوف عليه قال جار الله قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن هذه الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وآباؤهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية أعني قوله ان كل الا كذب الرسل فبين أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم (فحق) أي ثبت أو وجب لذلك عقابي اياهم في الدنيا ثم في الآخرة وذلك قوله (وما ينظر هؤلاء) المذكورون وقيل أهل مكة (الا صيحة واحدة) وهي النفخة الاولى (مالها من) توقف مقدار (فواق) وهو بالفتح والضم زمان ما بين حلبتي الحالب عن النبي صلى الله عليه وسلم العيادة قدر فواق الناقة ومعنى الآية اذا جاء وقتها لم يمهل هذا القدر وقيل الفواق بالفتح الافاقة أي مالها من رجوع وترداد لان الواحدة تكفي أمرهم ومالها رجوع الى الحالة الاولى بل تبقى ممتدة الى أن يهلك كلهم واعلم أن القوم انما تعجبوا
لشبهات ثلاث وقعت لهم أولاها في الالهيات وهو قولهم أجعل الآلهة الها واحدا والثانية في النبوات وهي قولهم أأنزل عليه الذكر من بيننا
والثالثة تتعلق بالمعاد وهي قولهم ربنا عجل لنا قطنا وهو القطعة من الشئ لانه قطع منه من قطه اذا قطعه والقط أيضا صحيفة الجائزة ونحوها

قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انه أوّاب قال الأوّاب التواب الذي يؤب الى طاعة الله ويرجع اليها ذلك الأوّاب قال والأوّاب المطيع وقوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشيّ والاشراق يقول تعالى ذكره انا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشيّ وذلك من وقت العصر الى الليل والاشراق وذلك بالغداة وقت الضحى ذكر أن داود كان اذا سبح سبحت معه الجبال كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشيّ والاشراق يسبحن مع داود اذا سبح بالعشيّ والاشراق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بالعشيّ والاشراق قال حين تشرق الشمس وتضحى حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن بشر عن مسعر بن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس أنه بلغه أن أم هانئ ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله يسبحن بالعشيّ والاشراق حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال ثنا صدقة قال ثني سعيد ابن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن عبد الله بن الحرث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى قال فأدخلته على أم هانئ فقلت أخبري هذا بما أخبرتني به فقالت أم هانئ دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي فأمر بماء فصب في قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهنّ وركوعهنّ وسجودهنّ وجلوسهنّ سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى الا الآن يسبحن بالعشيّ والاشراق وكنت أقول أين صلاة الاشراق ثم قال بعد هنّ صلاة الاشراق حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد بن أبي عروبة عن متوكل عن أيوب بن صفوان مولى عبد الله ابن الحرث عن عبد الله بن الحرث أن أم هانئ ابنة أبي طالب حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دخل عليها ثم ذكر نحوه وعن ابن عباس في قوله يسبحن بالعشيّ مثل ذلك وقوله والطير محشورة يقول تعالى ذكره وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى مجموعة له ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سبح أجابته الجبال واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه كان حشرها وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في معنى الحشر فيما مضى فكرهنا اعادته وكان قتادة يقول في ذلك في هذا الموضع ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والطير محشورة مسخرة وقوله كل له أوّاب يقول كل ذلك له مطيع رجاع الى طاعته وأمره ويعني بالكل كل الطير ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كل له أوّاب أي مطيع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والطير محشورة كل له أوّاب قال كل له مطيع * وقال آخرون معنى ذلك كل ذلك لله مسبح ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله والطير محشورة كل له أوّاب يقول مسبح لله وقوله وشددنا ملكه اختلف أهل التأويل في المعنى الذي به شدد ملكه فقال بعضهم شدد

ذلك بالجنود والرجال فكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف أربعة آلاف ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله وشددنا ملكه قال كان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف أربعة آلاف * وقال آخرون كان الذي شدد به ملكه أن أعطي هيبة من الناس له لقضية كان قضاها ذكر من قال ذلك حدثني ابن حرب قال ثنا موسى قال ثنا داود عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا عند داود النبي صلى الله عليه وسلم فقال المستعدي ان هذا اغتصبني بقرا لي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله الى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي استعدى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت فأوحى الله الى داود في منامه مرة أخرى أن يقتل الرجل وأوحى الله اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة من الله فأرسل داود الى الرجل ان الله قد أوحى الي أن أقتلك فقال الرجل تقتلني بغير بينة ولا تثبت فقال له داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل علي حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك قتلت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود وشدد به ملكه فهو قول الله وشددنا ملكه * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا وجائز أن يكون كان بجميعها ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله اذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له وقوله وآتيناه الحكمة اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة في هذا الموضع فقال بعضهم عني بها النبوة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله وآتيناه الحكمة قال النبوة وقال آخرون عني بها أنه علم السنن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه الحكمة أي السنة وقد بينا معنى الحكمة في غير هذا الموضع بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله وفصل الخطاب اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم عني به أنه علم القضاء والفهم به ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال أعطي الفهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد وفصل الخطاب قال اصابة القضاء وفهمه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وفصل الخطاب قال علم القضاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال الخصومات التي يخاصم الناس اليه فصل ذلك الخطاب الكلام الفهم واصابة القضاء والبينات حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين قال سمعت أبا عبد الرحمن يقول فصل الخطاب القضاء * وقال آخرون بل معنى ذلك وفصل الخطاب بتكليف المدعي البينة واليمين على المدعى

لانها قطعة من القرطاس استعجلوا نصيبهم من العذاب الموعود أو من اللذات العاجلة أو من الجنة أو من صحيفة الاعمال كل ذلك استهزاء منهم فلذلك أمره بالصبر على ما يقولون قال جار الله أراد اصبر على أذاهم وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم (واذكر) أخاك (داود) كيف زل تلك الزلة اليسيرة فعوتب عليها ونسب الى البغي أو اصبر وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود وما أورثته زلته من البكاء الدائم والحزن الواصب وقال غيره اصبر على أذى قومك فانك مبتلى بذلك كما صبر سائر الانبياء على ما ابتلاهم به ثم عدهم وبدأ بداود وذلك أنه تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فأوحى الله اليه أنهم وجدوها بالصبر على البلايا فسأل الابتلاء وفيه أن الدنيا لاتنفك من الهموم والأحزان واستحقاق الدرجات بقدر الصبر على البليات ثم ان مجامع ما ذكر الله تعالى في قصة داود ثلاثة أنواع من الكلام الاول تفصيل ما آتاه الله تعالى من الفضائل الثاني شرح الواقعة التي وقعت له والثالث استخلاف الله تعالى اياه بعد ذلك والأول عشرة أصناف * أحدها ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم اياه ليقتدى به في الصبر وسائر أصول الاخلاق * وثانيها تسميته بالعبد مضافا الى صيغة جمع التكلم للتعظيم والعبودية الصحيحة الجامعة لكمالات الممكنات كما سبق مرارا ويمكن أن يكون التلفظ بذكر اسمه العلم أيضا تشريفا له * وثالثها قوله ذا الايد أي ذا القوة في الحروب وعلى الطاعات وعن المعاصي وكان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل ويحتمل أن يكون الياء محذوفا اكتفاء بالكسر فيكون جمع اليد بمعنى النعمة لأن الله تعالى أنعم عليه مالم ينعم على غيره * رابعها قوله انه أواب أي رجاع في الامور كلها الى طاعة الله ومرضاته من آب يؤب * خامسها تسبيح الجبال معه وقوله يسبحن حال والاشراق وقت اضاءة الشمس وهو بعد شروقها عند الضحى

عليه عليه

عليه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبى هند قال ثنى الشعبى أو غيره عن شريح أنه قال فى قوله وفصل الخطاب قال بينة المدعى أو يمين المدعى عليه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود بن أبى هند فى قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال نبئت عن شريح أنه قال شاهدان أو يمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا معتمر قال سمعت داود قال بلغنى أن شريحا قال فصل الخطاب الشاهدان على المدعى واليمين على المنكر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن طاوس أن شريحا قال لرجل ان هذا يعيب على ما أعطى داود الشهود والايمان حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن شريح أنه قال فى هذه الآية وفصل الخطاب قال الشهود والأيمان حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن الشعبى فى قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال يمين أو شاهد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفصل الخطاب البينة على الطالب واليمين على المطلوب هذا فصل الخطاب * وقال آخرون بل هو قول أما بعد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر ابن نوح قال ثنا اسمعيل عن الشعبى فى قوله وفصل الخطاب قال قول الرجل أما بعد * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب والفصل هو القطع والخطاب هو المخاطبة ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل فى حال احتكام أحدهما الى صاحبه قطع المحتكم اليه الحكم بين المحتكم اليه وخصمه بصواب من الحكم ومن قطع مخاطبته أيضا صاحبه الزام المخاطب فى الحكم ما يجب عليه ان كان مدعيا فاقامة البينة على دعواه وان كان مدعى عليه فتكليفه اليمين ان طلب ذلك خصمه ومن قطع الخطاب أيضا الذى هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء فى أخرى الفصل بينهما بأما بعد فاذ كان ذلك كله محتملا ظاهر الخبر ولم تكن فى هذه الآية دلالة على أى ذلك المراد ولا ورد به خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت فالصواب أن يعم الخبر كما عمه الله فيقال أوتى داود فصل الخطاب فى القضاء والمحاورة والخطب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهل أتاك يا محمد نبأ الخصم وقيل انه عنى بالخصم فى هذا الموضع ملكان وخرج فى لفظ الواحد لأنه مصدر مثل الزور والسفر لا يثنى ولا يجمع ومنه قول لبيد

وخصم يعدّون الدخول كأنهم * قروم غيارى كل أزهر مصعب

وقوله اذ تسوروا المحراب يقول دخلوا عليه من غير باب المحراب والمحراب مقدّم كل مجلس وبيت وأشرفه وقوله اذ دخلوا على داود فكرر اذ مرتين وكان بعض أهل العربية يقول فى ذلك قد يكون معناهما كالواحد كقولك ضربتك اذ دخلت على اذ اجترأت فيكون الدخول هو الاجتراء ويكون أن تجعل احداهما على مذهب لما فكأنه قال اذ تسوروا المحراب لما دخلوا قال وان شئت جعلت لما فى الاول فاذا كان لما أولا وآخرا فهى بعد صاحبتها كما تقول أعطيته لما سألنى

داود عليه السلام ويحتمل أن يكون معنى الاشراق الدخول فى وقت الشروق فيراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق قاله جار الله * سادسها قوله والطير محشورة أى وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية قال ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقد مر ذكر هذه المعجزة فى الأنبياء وفى سبا قال أهل البيان قوله محشورة فى مقابلة قوله يسبحن ولكنه اختير الفعل فى أحد الموضعين والاسم فى الآخر لأنه أريد فى الأول الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال حتى كأن السامع يتصورها بتلك الحالة وأما الحاشر فهو الله وحشر الطيور جملة واحدة أدل على القدرة له تعالى * سابعها قوله (كل له أوّاب) أى كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيح داود مسبح مرجع للتسبيح وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله مسبح رجاع الى فعله مرة بعد مرة وهذا الوصف كالتأكيد للوصف الذى يتقدمه وهذا أخص لأنه أدل على الواقعة * ثامنها قوله (وشددنا ملكه) أى قويناه بالجنود والأعوان وبسائر الأسباب فكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف حرس وزاد بعضهم فقال أربعون ألفا وقيل نصرناه بالهيبة وسببه أن غلاما ادعى على رجل بقرة فأنكر المدعى عليه ولطم الغلام لطمة فسأل داود من الغلام البينة فعجز فرأى داود فى المنام أن الله تعالى يأمره أن يقتل المدعى عليه ويسلم البقرة الى الغلام فقال داود هذا منام فأتاه الوحى بذلك فى اليقظة فأخبر بذلك بنى اسرائيل فجزعوا وقالوا أتقتل رجلا بلطمة

فقال داود هذا أمر الله فسكتوا ثم أحضر الرجل وأخبره ان الله أمره بقتله فقال الرجل صدقت يا نبيّ الله انى قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فقتله داود وعظمت هيبته واشتدّ ملكه وقالوا انه يقضى بالوحى من السماء * تاسعها قوله وآتيناه الحكمة وقد مر معناها مرارا وأنها منحصرة فى قسمين الاول العلم بالتصوّرات الحقيقية والتصديقات اليقينية بمقتضى الطاقة البشرية والثانى العمل بالأخلاق الفاضلة المفضية الى السعادة الباقية وخصصها بعضهم بالعلم بالنبوّة والفهم أو بالزبور والشرائع * عاشرها فصل الخطاب وهو القدرة على ضبط المعانى والتعبير عنها بأقصى الغايات حتى يكون كاملا مكملا فهما مفهما قال جار الله الفصل بمعنى المفصول ومعناه البين من الكلام الملخص الذى لا يلتبس ولا يختلط بغيره قلت ومن ذلك أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل كما نذكره فى الوقوف وعن علىّ رضى الله عنه أنه قال البينة على المدّعى واليمين على من أنكر فالفصل بمعنى الفاصل كالصوم والصحب ويندرج فيه جميع كلامه فى الأقضية والحكومات وتدابير الملك والمشورات يروى أنه سبحانه علق لأجله سلسلة من السماء وأمره أن يقضى بها بين الناس فمن كان على الحق يأخذ السلسلة ومن كان على الباطل لا يقدر على أخذها ثم ان رجلا غصب من آخر لؤلؤة وجعلها فى جوف عصاه ثم خاصمه المدّعى الى داود فقال المدعى ان هذا أخذ منى لؤلؤة ولم يردها علىّ وانى صادق فى مقالتى فجاء وأخذ السلسلة فتحير داود فى ذلك فرفعت السلسلة وأمره أن يقضى بالبينة واليمين وهو فصل الخطاب وقيل هو قوله أما بعد وهو أوّل من تكلم به وقيل هو أنه اذا تكلم فى الحكم فصل وكل هذه الاقوال تخصيصات من غير دليل والأقوى ما قدمناه ثم انه سبحانه لما مدحه بالوجوه العشرة أردفه بذكر واقعته قائلا (وهل أتاك) يا محمد (نبأ الخصم) أى ما أتاك خبرهم وقد أتاك الآن وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها ليكون أدعى

ابن

فالسؤال قبل الاعطاء فى تقدمه وتأخره وقوله ففزع منهم يقول القائل وما كان وجه فزعه منهما وهما خصمان فان فزعه منهما كان لدخولهما عليه من غير الباب الذى منه كان المدخل عليه فراعه دخولهما كذلك عليه وقيل ان فزعه كان منهما لأنهما دخلا عليه ليلا فى غير وقت نظره بين الناس قالوا لا تخف يقول تعالى ذكره قال له الخصم لا تخف يا داود وذلك لما رأياه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام منه وهو مرافع خصمان وذلك نحن وانما جاز ترك اظهار ذلك مع حاجة الخصمين الى المرافع لان قوله خصمان فعل للتكلم والعرب تضمر للتكلم والمكلم المخاطب ما يرفع أفعالهما ولا يكادون أن يفعلوا ذلك بغيرهما فيقولون للرجل يخاطبونه أمنطلق يا فلان ويقول المتكلم لصاحبه أحسن اليك وتجمل وانما يفعلون ذلك كذلك فى المتكلم والمكلم لأنهما حاضران يعرف السامع مراد المتكلم اذا حذف الاسم وأكثر ما يجىء ذلك فى الاستفهام وان كان جائزا فى غير الاستفهام فيقال أجالس راكب فمن ذلك قوله خصمان ومنه قول الشاعر

وقولا اذا جاوزتما أرض عامر * وجاوزتما الحيين (١) نهلا وخثعما
نزيعان من جرم بن زبان انهم * أبوا أن يميزوا فى الهزاهز أعجما

وقول الآخر

تقول ابنة الكعبىّ يوم لقيتها * أمنطلق فى الجيش أم متثاقل

ومنه قولهم محسنة فهيلى وقول النبى صلى الله عليه وسلم آئبون تائبون وقوله جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله كل ذلك بضمير رفعه وقوله عز وجل بغى بعضنا على بعض يقول تعدّى أحدنا على صاحبه بغير حق فاحكم بيننا بالحق يقول فاقض بيننا بالعدل ولا تشطط يقول ولا تجر ولا تسرف فى حكمك بالميل منك مع أحدنا على صاحبه وفيه لغتان أشط وشط ومن الاشطاط قول الأحوص

ألا يا لقومى قد أشطت عواذلى * ويزعمن أن أودى بحقى باطلى

ومسموع من بعضهم شططت علىّ فى السوم فأما فى البعد فان أكثر كلامهم شطت الدار فهى تشط كما قال الشاعر

تشط غدا دار جيراننا * وللدار بعد غد أبعد

وقوله واهدنا الى سواء الصراط يقول وأرشدنا الى قصد الطريق المستقيم وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله ولا تشطط قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تشطط أى لا تمل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تشطط يقول لا تحف حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تشطط تخالف عن الحق وكالذى قلنا أيضا فى قوله واهدنا الى سواء الصراط قالوا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واهدنا الى سواء الصراط الى عدله وخيره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد

(١) لعله نهدا بالدال المهملة وحرر كتبه مصححه

ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واهدنا الى سواء الصراط الى عدل القضاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واهدنا الى سواء الصراط قال الى الحق الذى هو الحق الطريق المستقيم ولا تشطط تذهب الى غيرها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه واهدنا الى سواء الصراط أى احملنا على الحق ولا تخالف بنا الى غيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب﴾ وهذا مثل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه له وذلك أن داود كانت له فيما قيل تسع وتسعون امرأة وكانت للرجل الذى أغزاه حتى قتل امرأة واحدة فلما قتل نكح فيما ذكر داود امرأته فقال له أحدهما ان هذا أخى يقول أخى على دينى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب ابن منبه ان هذا أخى أى على دينى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة أنثى وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة كقولهم هذا رجل ذكر ولا يكادون أن يفعلوا ذلك الا فى المؤنث والمذكر الذى تذكيره وتأنيثه فى نفسه كالمرأة والرجل والناقة ولا يكادون أن يقولوا هذه دار أنثى وملحفة أنثى لان تأنيثها فى اسمها لا فى معناها وقيل عنى بقوله أنثى أنها حسنة ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة أنثى يعنى بتأنيثها حسنها وقوله فقال أكفلنيها يقول فقال لى انزل عنها لى وضمها الىّ كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أكفلنيها قال أعطنيها طلقها لى أنكحها وخل سبيلها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه فقال أكفلنيها أى احملنى عليها وقوله وعزنى فى الخطاب يقول وصار أعزمنى فى مخاطبته اياى لأنه ان تكلم فهو أبين منى وان بطش كان أشد منى فقهرنى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال قال عبد الله فى قوله وعزنى فى الخطاب قال مازاد داود على أن قال انزل لى عنها حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن المسعودى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مازاد على أن قال انزل لى عنها وحدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنى أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله مازاد داود على أن قال أكفلنيها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وعزنى فى الخطاب قال ان دعوت ودعا كان أكثر وان بطشت وبطش كان أشد منى فذلك قوله وعزنى فى الخطاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعزنى فى الخطاب أى ظلمنى وقهرنى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعزنى فى الخطاب قال قهرنى وذلك العز قال والخطاب الكلام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه وعزنى فى الخطاب أى قهرنى فى الخطاب وكان أقوى منى فحاز نعجتى الى نعاجه وتركنى لا شئ لى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت

تفسير بعض الألفاظ بحسب اختلاف بعض المذاهب فلنفسر كلا منها على حدة وأما المشترك بين الأقوال فلا نفسره الامرة القول الأول يروى أن جماعة من الأعداء طمعوا فى أن يقتلوا نبىّ الله داود وكان له يوم يخلو بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهضوا الفرصة فى ذلك وتسوروا المحراب أى تصعدوا غرفته من سوره وفى قوله اذ دخلوا عليه اشارة الى أنهم بعد التسوّر نزلوا عليه قال الفراء قد يجاء باذ مرتين ويكون معناهما كالواحد كقولك ضربتك اذ دخلت علىّ اذ اجترأت علىّ مع أنه يكون وقت الدخول ووقت الاجتراء واحدا وحين رآهما قد دخلا عليه لا من الطريق المعتاد علم أنهم انما دخلوا عليه للشر (ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان) أى نحن خصمان والخصم فى الأصل مصدر فلهذا لم يجمعه أوّلا نظرا الى أصله وثناه ثانيا بتأويل شخصان أو فريقان خصمان وجمع الضمائر فى قوله اذ تسوروا اذ دخلوا ففزع منهم قالوا لاتخف بناء على أن أقل الجمع اثنان أو على أن صحب كل منهما من جملتهما والأول أظهر لأن القائلين كانا اثنين بالاتفاق (بغى بعضنا على بعض) أى بغى أحدنا على الآخر وتعدّى حدّ العدالة ثم قرروا مقصودهم بثلاث عبارات متلازمة احداها (فاحكم بيننا بالحق) أى بالعدل الذى هو حكم الله فينا والثانية (ولا تشطط) وهو نهى عن الباطل بالزام الحق والشطط البعد شط وأشط لغتان أرادوا لاتجر فالجور البعد عن الحق والثالثة

(واهدنا الى سواء الصراط) أى وسطه وهو مثل لمحض الحق وصدقه وحين أخبروا عن وقوع الخصومة مجملا شرعوا فى التفصيل فقال أحدهما مشيرا الى الآخر (ان هذا) وقوله (أخى) أى فى الدين أو الخلطة أو النسب خبر أو بدل والخبر (له تسع وتسعون نعجة) وهى أنثى

من الضأن (ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها) أى ملكنيها فأكفلها كما أكفل ماتحت يدى (وعزنى فى الخطاب) اى غلبنى فى المخاطبة فكان تكلمه أبين و بطشه أشد (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال (٩٢) نعجتك) أضاف المصدر الى المفعول الثانى وحذف الفاعل والمفعول الأول أى بسؤاله اياك نعجتك وليس السؤال ههنا سؤال خضوع وتفضل وانما هو سؤال مطالبة ومعازة والى متعلقة بفعل دل عليه السؤال تقديره بسؤال أى ليضمها الى نعاجه أوضمن السؤال معنى الاضافة كأنه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه الطلب (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم واطلع بسبب ذلك بعضهم على أحوال البعض (ليبغى بعضهم على بعض) وقد تغلب الخلطة فى الماشية والشافعى يعتبرها فى باب الزكاة اذا اتحد الفحل والراعى والمراح والمسقى وموضع الحلب فان كانت للخليطين أربعون شاة فعليهما شاة وعند أبى حنيفة لاشئ عليهما وان كانت لأحدهما واحدة وللآخر تسع وتسعون فعلى الاول أداء جزء من مائة جزء من شاة واحدة وعلى الآخر الباقى هذا عند الشافعى وعند أبى حنيفة لاشئ على ذى النعجة ثم بين أن أكثر الخلطاء موسوم بسمة الظلم الا المؤمنين وانهم لقليل وما فى قوله (وقليل ماهم) مزيدة للابهام وفيه تعجيب من قلتهم وقال ابن عيسى هى موصولة أى وقليل الذين هم كذلك قصد نبى الله بذكر حال الخلطاء فى هذا المقام الموعظة الحسنة والترغيب فى اختيار عادة الخلطاء الصلحاء لاالتى عليها أكثرهم من الظلم والاعتداء وفيه تسلية للمظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له فى أكثر الخلطاء أسوة (وظن داود أنما فتناه) أى ابتليناه وذلك أن القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا شديد القوة وقد فزع منهم ثم انه مع ذلك عفا عنهم دخل قلبه شئ من العجب فحمله على الابتلاء (فاستغفر ربه) من تلك الحالة (وأناب) الى الله واعترف بأن اقدامه على تلك الخلة لم يكن الا بتوفيق الله ان

الضحاك يقول فى قوله وعزنى فى الخطاب قال ان تكلم كان أبين منى وان بطش كان أشد منى وان دعا كان أكثر منى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ﴾ يقول تعالى ذكره قال داود للخصم المتظلم من صاحبه لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك الى نعاجه وهذا مما حذفت منه الهاء فأضيف بسقوط الهاء منه الى المفعول به ومثله قوله عز وجل لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه بالخير فلما ألقيت الهاء من الدعاء أضيف الى الخير وألقى من الخير الباء وانما كنى بالنعجة ههنا عن المرأة والعرب تفعل ذلك ومنه قول الاعشى

قد كنت رائدها وشاة محاذر * حذرا يقل بعينه اغفالها

يعنى بالشاة امرأة رجل يحذر الناس عليها وانما يعنى لقد ظلمك بسؤال امرأتك الواحدة الى التسع والتسعين من نسائه وقوله وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض يقول وان كثيرا من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بطاعة الله وانتهوا الى أمره ونهيه ولم يتجاوزوه وقليل ماهم وفى ما التى فى قوله وقليل ماهم وجهان أحدهما أن تكون صلة بمعنى وقليل هم فيكون اثباتها واخراجها من الكلام لا يفسد معنى الكلام والآخر أن تكون اسما وهم صلة لها بمعنى وقليل ما تجدهم كما يقال قد كنت أحسبك أعقل مما أنت فتكون أنت صلة لما والمعنى كنت أحسب عقلك أكثر مما هو فتكون ما والاسم مصدرا ولو لم ترد المصدر لكان الكلام بمن لان من التى تكون للناس وأشباههم ومحكى عن العرب قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك وقد كنت أرى أنه غير ما هو بمعنى كنت أراه على غير ما رأيت وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى به على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وقليل ماهم يقول وقليل الذين هم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم قال قليل من لا يبغى فعلى هذا التأويل الذى تأوله ابن عباس معنى الكلام الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل الذين هم كذلك بمعنى الذين لا يبغى بعضهم على بعض وما على هذا القول بمعنى من وقوله وظن داود أنما فتناه يقول وعلم داود أنما ابتليناه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وظن داود وعلم داود حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن وظن داود أنما فتناه قال ظن أنما ابتلى بذاك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وظن داود أنما فتناه اختبرناه والعرب توجه الظن اذا أدخلته على الاخبار كثيرا الى العلم الذى هو من غير وجه العيان وقوله فاستغفر ربه يقول فسأل داود ربه غفران ذنبه وخر راكعا يقول وخر ساجدا لله وأناب يقول ورجع الى رضا ربه وتاب من خطيئته * واختلف فى سبب البلاء الذى ابتلى به نبى الله داود صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله ابراهيم واسحق ويعقوب من حسن الثناء الباقى لهم فى الناس فتمنى مثله فقيل له انهم امتحنوا فصبروا فسأل أن يبتلى كالذى ابتلوا ويعطى كالذى أعطوا

انه هو صبر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب قال ان داود قال يارب قد أعطيت ابراهيم واسحق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله قال الله اني ابتليتهم بما لم أبتلك به فان شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم قال نعم قال له فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ما شاء الله أن يكون وطال ذلك عليه فكاد أن ينساه فبينا هو في محرابه اذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها فطارت الى كوة المحراب فذهب ليأخذها فطارت فاطلع من الكوة فرأى امرأة تغتسل فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم من المحراب فأرسل اليها فجاءته فسألها عن زوجها وعن شأنها فأخبرته أن زوجها غائب فكتب الى أمير تلك السرية أن يؤمره على السرايا ليهلك زوجها ففعل فكان يصاب أصحابه وينجو وربما نصروا وان الله عز وجل لما رأى الذي وقع فيه داود أراد أن يستنقذه فبينما داود ذات يوم في محرابه اذ تسور عليه الخصمان من قبل وجهه فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت وقال لقد استضعفت في ملكي حتى ان الناس يتسورون على محرابي قالا له لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ولم يكن لنا بد من أن نأتيك فاسمع منا قال أحدهما ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها يريد أن يتمم بها مائة ويتركني ليس لي شيء وعزني في الخطاب قال ان دعوت ودعا كان أكثر وان بطشت وبطش كان أشد مني فذلك قوله وعزني في الخطاب قال له داود أنت كنت أحوج الى نعجتك منه لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه الى قوله وقليل ما هم ونسي نفسه صلى الله عليه وسلم فنظر الملكان أحدهما الى الآخر حين قال ذلك فتبسم أحدهما الى الآخر فرآه داود وظن أنما فتن فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب أربعين ليلة حتى نبتت الخضرة من دموع عينيه ثم شدد الله له ملكه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب قال كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم يخلو فيه لنسائه وكان له تسع وتسعون امرأة وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال يارب ان الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأعطني مثل ما أعطيتهم وافعل بي مثل ما فعلت بهم قال فأوحى الله اليه ان آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ابتلي ابراهيم بذبح ابنه وابتلي اسحق بذهاب بصره وابتلي يعقوب بحزنه على يوسف وانك لم تبتل من ذلك بشيء قال يارب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به وأعطني مثل ما أعطيتهم قال فأوحى اليه انك مبتلى فاحترس قال فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث اذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلي فمد يده ليأخذه فتنحى فتبعه فتباعد حتى وقع في كوة فذهب ليأخذه فطار من الكوة فنظر أين يقع فيبعث في أثره قال فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل الناس خلقا فحانت منها التفاتة فأبصرته فألقت شعرها فاستترت به قال فزاده ذلك فيها رغبة قال فسأل عنها فأخبر أن لها زوجا وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا قال فبعث الى صاحب المسلحة يأمره أن يبعث أهريا الى عدو كذا وكذا قال فبعثه ففتح له قال وكتب اليه بذلك قال فكتب اليه أيضا أن ابعثه الى عدو كذا

(فغفرنا له ذلك) الخاطر أو لعله هم بايذاء القوم ثم تذكر أنه لم يدل دليل قاطع على أن هؤلاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر من تلك الهمة أو لعل القوم تابوا الى الله وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم فاستغفر لأجلهم متضرعا الى الله فغفر ذنبهم بسبب شفاعته ودعائه (و) معنى (خر راكعا) سقط ساجدا قال الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع أو المراد أنه خر للسجود مصليا لان الركوع قد يعبر به عن الصلاة ومذهب الشافعي أن هذا الموضع ليس فيه سجدة التلاوة لأنه توبة نبي فلا توجب على غيره سجدة التلاوة ولا تستحب أيضا ومذهب أبي حنيفة بخلافه وجوز مع ذلك أن يكون الركوع بدل السجود هذا تمام تقرير القول الاول ولا يرد عليه الا أن داود كان أرفع منزلة من أن يتسور عليه بعض آحاد الرعية في حال تعبده أو يتجاسر عليه بقوله لا تخف ولا تشطط وأنه كيف سارع الى تصديق أحد الخصمين على ظلم الآخر قبل استماع كلامه والأول استبعاد محض وأجيب عن الثاني بأنه ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه لكنه لم يذكر في القرآن ومما يؤيد هذا القول ختم ذكر الواقعة بقوله (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) والزلفى القربة والمآب الحسن الجنة قال مالك بن دينار اذا كان يوم القيامة يؤتى بمنبر رفيع ويوضع في الجنة يقال يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا وحاصل التفسير على هذا القول أن الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة بينهما على الحقيقة وكانا خليطين في الغنم أو كان الخلطة خلطة الصدقة أو الجوار وكان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من الحرائر والسرائر والعرب تشبه المرأة بالنعجة والظبية والثاني معسرا ماله الا امرأة واحدة واستنزله عنها وكانت الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك كما كانوا يقاسمونهم أموالهم ومنازلهم وما كان ذنب داود الا خطرة أو همة * القول الثاني أن أهل زمان داود كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له

عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته فاتفق ان نظر داود وقع على امرأة رجل يقال له أوريا فأحبها فسأله النزول عنها فاستحيا ففعل فتزوجها وهى
أم سليمن فقيل له انه مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكثرة نسائك لم يكن لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة

وكذا أشد منهم بأسا قال فبعثه ففتح له أيضا قال فكتب الى داود بذلك قال فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا فبعثه فقتل المرة الثالثة قال وتزوج امرأته قال فلما دخلت عليه قال لم تلبث عنده الا يسيرا حتى بعث الله ملكين فى صورة انسيين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس أن يدخلا عليه فتسوروا عليه المحراب قال فما شعر وهو يصلى اذ هو بهما بين يديه جالسين قال ففزع منهما فقالا لا تخف انما نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط يقول لا تخف واهدنا الى سواء الصراط الى عدل القضاء قال فقال قصا على قصتكما قال فقال أحدهما ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فهو يريد أن يأخذ نعجتى فيكمل بها نعاجه مائة قال فقال للآخر ما تقول فقال ان لى تسعا وتسعين نعجة ولأخى هذا نعجة واحدة فأنا أريد أن آخذها منه فأكمل بها نعاجى مائة قال وهو كاره قال وهو كاره قال وهو كاره قال اذا لا ندعك وذاك قال ما أنت على ذلك بقادر قال فان ذهبت تروم ذلك أو تريد ذلك ضربنا منك هذا وهذا وهذا وفسر أسباط طرف الأنف وأصل الأنف والجبهة قال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وهذا حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة ولم يكن لأهريا الا امرأة واحدة فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته وتزوجت امرأته قال فنظر فلم ير شيأ فعرف ما قد وقع فيه وما قد ابتلى به قال فخر ساجدا قال فبكى قال فمكث يبكى ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة منها ثم يقع ساجدا يبكى ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه قال فأوحى الله اليه بعد أربعين يوما يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك فقال يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لى وأنت حكم عدل لا تحيف فى القضاء اذا جاءك أهريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما فى قبل عرشك يقول يا رب سل هذا فيم قتلنى قال فأوحى اليه اذا كان ذلك دعوت أهريا فأستوهبك منه فيهبك لى فأثيبه بذلك الجنة قال رب الآن علمت أنك قد غفرت لى قال فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم حدثنى على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال ثنى عطاء الخراسانى قال نقش داود خطيئته فى كفه لكيلا ينساها قال فكان اذا رآها خفقت يده واضطربت * وقال آخرون بل كان ذلك لعارض كان عرض فى نفسه من ظن أنه يطيق أن يتم يوما لا يصيب فيه حوبة فابتلى بالفتنة التى ابتلى بها فى اليوم الذى طمع فى نفسه باتمامه بغير اصابة ذنب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الحسن ان داود جزأ الدهر أربعة أجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادته ويوما لقضاء بنى اسرائيل ويوما لبنى اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل قال ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود فى نفسه أنه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على التوراة فبينما هو يقرؤها فاذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن قد وقعت بين يديه فأهوى اليها ليأخذها قال فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها قال فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها قال فلما رأت ظله فى الأرض جللت نفسها بشعرها فزاده ذلك أيضا اعجابا بها وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب اليه أن يسير الى مكان كذا وكذا مكان اذا سار اليه لم يرجع قال ففعل فأصيب فخطبها فتزوجها قال وقال قتادة بلغنا أنها أم سليمن قال فبينما هو

النزول لك كان الواجب عليك مغالبة هواك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها وكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وعلى هذا يجوز أن يكون الخطاب فى قوله (وعزنى فى الخطاب) من الخطبة أى غالبنى فى خطبتها حيث زوجها دونى وعلى هذا القول يجوز أن يكون الخصمان من الانس كأمر وحين وافق حالهما حال داود تنبه فاستغفر وأن يكونا ملكين بعثهما الله ليتنبه على خطئه فيتداركه بالاستغفار ويرد على هذا أن الملكين لو قالا نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فكذب والملائكة لا يكذبون ولا يأمرهم الله بالكذب والجواب أن التقدير ما تقول خصمان قالا بغى بعضنا على بعض أو أرادوا أرأيت لو كنا خصمين بغى بعضنا على بعض ألست تحكم بيننا ثم صوروا المسئلة ومثلوا قصته بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وعن الحسن لم يكن لداود تسع وتسعون امرأة وانما هذا مثل * القول الثالث وهو المشهور عند الجمهور أن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بنى اسرائيل للوعظ والتذكير فجاءه الشيطان يوم العبادة والباب مغلق فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت الى قريب منه وهكذا مرة ثانية فى
وثالثة الى أن وقعت فى كوة فتبعها فوقع بصره على امرأة جميلة تغتسل فنقضت شعرها فغطى جسدها فوقع فى نفسه منها ما شغله عن الصلاة

فنزل من محرابه ولبست المرأة ثيابها وخرجت الى بيتها فخرج داود حتى عرف بيتها وسألها من أنت فأخبرته فقال لها هل لك زوج فقالت نعم
قال أين هو قالت في جند كذا فرجع وكتب الى أمير جيشه اذا جاءك كتابي هذا فقدم فلانا في أول التابوت وكان من يتقدم على

التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة ثانية وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فبعث الله اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته ومنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهما وحين وجد قصتهما مطابقة لحاله علم أنه مبتلى من الله يروى أنهما قالا حينئذ حكم على نفسه وقيل ضحكا وغابا فعلم أن الله ابتلاه بذنبه ولا يخفى أن ذنبه بهذا التفسير والتقرير كبيرة لأنه يدل على الافراط في العشق وعلى السعي في قتل النفس المسلمة بغير حق فيروى أنه سجد أربعين ليلة لم يرفع رأسه الا للصلاة المكتوبة ولم يذق طعاما ولا شرابا حتى أوحى الله اليه أن ارفع رأسك فاني قد غفرت لك ويروى أن جبرائيل قال له اذهب الى أوريا وهو زوج المرأة واستحل منه فانك تسمع صوته موضع كذا فأتاه واستحل منه فقال أنت في حل قال فلما رجع قال له جبريل هل أخبرته بجرمك فقال لا قال فانك لم تعمل شيأ فارجع وأخبره بالذي صنعت فرجع داود فأخبره بذلك فقال أنا خصمك يوم القيامة فرجع مغتما وبكى أربعين يوما فأتاه جبريل وقال ان الله تعالى يقول انا أستوهبك من عبدي فيهبك لي وأجزيه على ذلك أفضل الجزاء

فسري عنه وكان حزينا في عمره باكيا على خطيئته وروي انه نقش خطيئته على كفه حتى لا ينساها والمحققون كعلي رضي الله عنه وابن
عباس وابن مسعود وغيرهم ينكرون القصة على هذا الوجه روى سعيد بن المسيب والحرث بن الاعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

في المحراب اذ تسور الملكان عليه وكان الخصمان اذا أتوه يأتونه من باب المحراب ففزع منهم حين
تسوروا المحراب فقالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض حتى بلغ ولا تشطط أي لا تمل
واهدنا الى سواء الصراط أي أعدله وخيره إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وكان لداود تسع
وتسعون امرأة ولي نعجة واحدة قال وانما كان للرجل امرأة واحدة فقال أكفلنيها وعزني
في الخطاب أي ظلمني وقهرني فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه الى قوله وقليل ما هم
وظن داود فعلم داود انما صمد له أي عني به ذلك فخر راكعا وأناب قال وكان في حديث مطر أنه سجد
أربعين ليلة حتى أوحى الله اليه اني قد غفرت لك قال رب كيف تغفر لي وأنت حكم عدل لا تظلم
أحدا قال اني أقضيك له ثم أستوهبه دمك أو ذنبك ثم أثيبه حتى يرضى قال الآن طابت نفسي
وعلمت أنك قد غفرت لي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن بعض
أهل العلم عن وهب بن منبه اليماني قال لما اجتمعت بنو اسرائيل على داود أنزل الله عليه الزبور
وعلمه صنعة الحديد فألانه له وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه اذا سبح ولم يعط الله فيما يذكرون
أحدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور فيما يذكرون تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وانها
لمصيخة تسمع لصوته وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج الا على أصناف صوته
وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة فأقام في بني اسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا وكان
شديد الاجتهاد من الانبياء كثير البكاء ثم عرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له وكان له محراب
يتوحد فيه لتلاوة الزبور ولصلاته اذا صلى وكان أسفل منه جنينة لرجل من بني اسرائيل وكان
عند ذلك الرجل المرأة التي أصاب داود فيها ما أصابه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد
ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم قال لا يدخلن
علي محرابي اليوم أحد حتى الليل ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي ودخل محرابه ونشر
زبوره يقرؤه وفي المحراب كوة تطلعه على تلك الجنينة فبيناهو جالس يقرأ زبوره اذ أقبلت حمامة
من ذهب حتى وقعت في الكوة فرفع رأسه فرآها فأعجبته ثم ذكر ما كان قال لا يشغله شيء عما دخل
له فنكس رأسه وأقبل على زبوره فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة فوقعت بين يديه
فتناولها بيده فاستأخرت غير بعيد فاتبعها فنهضت الى الكوة فتناولها في الكوة فتصوبت الى
الجنينة فأتبعها بصره أين تقع فاذا المرأة جالسة تغتسل بهيئة الله أعلم بها في الجمال والحسن والخلق
فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه واختطفت قلبه ورجع الى زبوره
ومجلسه وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها ثم أمر صاحب
جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك ولداود
تسع وتسعون امرأة فلما أصيب زوجها خطبها داود فنكحها فبعث الله اليه وهو في محرابه ملكين
يختصمان اليه مثلا يضربه له ولصاحبه فلم يرع داود الا بهما واقفين على رأسه في محرابه فقال
ما أدخلكما علي قالا لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة خصمان بغى بعضنا على بعض فجئناك لتقضي
بيننا فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط أي احملنا على الحق ولا تخالف بنا الى
غيره قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة ان هذا أخي أي على ديني له تسع

قال من حدثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء قلت لايخفى أن الاحوط السكوت عما لايرجع الى طائل بل يحتمل أن يعود الى قائله (٩٦) لوم عاجل وعقاب آجل ومن الدلائل القوية التى اعتمد عليها فخر الدين الرازى فى ضعف هذه الرواية قوله سبحانه عقيب ذكر الواقعة (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) فمن البعيد جدا أن يوصف الرجل بكونه ساعيا فى سفك دم أخيه المسلم بغير حق و بانتزاع زوجته منه ثم يقال انا فوضنا الخلافة اليه وعندى أن ذلك عليه لاله لقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى الخ فكأنه قيل له انا جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء فى الدعاء الى الله وفى سياسة المدن أو تخلفنا كما يقال السلطان ظل الله فى الارض فالائق بهذا المنصب السعى لاصلاح حال المسلمين وحفظ فروجهم ودمائهم وأموالهم لا السعى فى تحصيل هوى النفس بأى وجه يمكن فان صاحبه المصر عليه ضال معرض عن اعداد الزاد ليوم المعاد يحكى عن بعض خلفاء بنى مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز أو الزهرى هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لايجرى عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال ياأمير المؤمنين الخلفاء أفضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وحين تمم واقعة داود ونصحه وما فرض عليه فى شان الاستخلاف أشار الى أن الأمور الدنيوية التابعة للحركات السماوية ليست واقعة على الجزاف و بمقتضى الطبائع ولكن لها غاية صحيحة فأجمل هذا المعنى أوّلا بقوله (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك) الذى ذكر من خلق هذه الاشياء بلا غاية (ظن الذين كفروا) لأنهم بانكارهم فى البعث جحدوا الجزاء الذى هو غاية التكليف (فويل للذين كفروا من النار) لأنهم بهذه العقيدة وقعوا فى نار البعد والقطيعة فلم يستدلوا

وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها أى احملنى عليها ثم عزنى فى الخطاب أى قهرنى فى الخطاب وكان أقوى منى هو وأعز فحاز نعجتى الى نعاجه وتركنى لاشئ لى فغضب داود فنظر الى خصمه الذى لم يتكلم فقال لئن كان صدقنى ما يقول لأضربن بين عينيك بالفأس ثم ارعوى داود فعرف أنه هو الذى يراد بما صنع فى امرأة أوريا فوقع ساجدا تائبا منيبا باكيا فسجد أربعين صباحا صائما لا يأكل فيها ولا يشرب حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه وحتى أندب السجود فى لحم وجهه فتاب الله عليه وقبل منه ويزعمون أنه قال أى رب هذا غفرت ما جنيت فى شأن المرأة فكيف بدم القتيل المظلوم قيل له ياداود فيما زعم أهل الكتاب أما ان ربك لم يظلمه بدمه ولكنه سيسأله اياك فيعطيه فيضعه عنك فلما فرج عن داود ما كان فيه رسم خطيئته فى كفه اليمنى بطن راحته فما رفع الى فيه طعاما ولا شرابا قط الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس قط الا نشر راحته فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته فى يده حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد قال لما أصاب داود الخطيئة خرّ لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ثم نادى رب قرح الجبين وجمدت العين وداود لم يرجع اليه فى خطيئته شئ فنودى أجائع فتطعم أم مريض فتشفى أم مظلوم فينتصر لك قال فنحب نحبة هاج كل شئ كان نبت فعند ذلك غفر له وكانت خطيئته مكتوبة بكفه يقرؤها وكان يؤتى بالاناء ليشرب فلا يشرب الا ثلثه أو نصفه وكان يذكر خطيئته فينحب النحبة تكاد مفاصله تزول بعضها من بعض ثم ما يتم شرابه حتى يملأه من دموعه وكان يقال ان دمعة داود تعدل دمعة الخلائق ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق قال فهو يجئ يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفه فيقول رب ذنبى ذنبى قدمنى قال فيقدم فلا يأمن فيقول رب أخرنى فيؤخر فلا يأمن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن لهيعة عن أبى صخر عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك سمعه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فأهم قطع على بنى اسرائيل فأوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول فى سجوده فلم أحص من الرقاشى الا هؤلاء الكلمات رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلوف من بعده فجاءه جبرائيل صلى الله عليه وسلم من بعد الأربعين ليلة فقال ياداود ان الله قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود علمت أن الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال يارب دمى الذى عند داود فقال جبرائيل صلى الله عليه وسلم ماسألت ربك عن ذلك ولئن شئت لأفعلن فقال نعم فعرج جبريل وسجد داود فمكث ماشاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله ربك عز وجل ياداود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول هب لى دمك الذى عند داود فيقول هولك يارب فيقول فان لك

بالآفاق والأنفس على الصانع نظيره مامر فى آخر آل عمران ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم صرح بالغاية قائلا (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة للانكار

والمراد أنه لو بطل الجزاء كما زعموا لاستوت

فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا حدثنى على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا ابن جابر عن عطاء الخراسانى أن كتاب صاحب البعث جاء بنعى من قتل فلما قرأ داود نعى رجل منهم رجع فلما انتهى الى اسم الرجل قال كتب الله على كل نفس الموت قال فلما انقضت عدتها خطبها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) يعنى تعالى ذكره بقوله فغفرنا له ذلك فعفونا عنه وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك وان له عندنا لزلفى يقول وان له عندنا للقربة منا يوم القيامة وبنحو الذى قلنا فى قوله فغفرنا له ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فغفرنا له ذلك الذنب وقوله وحسن مآب يقول مرجع ومنقلب ينقلب اليه يوم القيامة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحسن مآب أى حسن مصير حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله وحسن مآب قال حسن المنقلب وقوله يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض يقول تعالى ذكره وقلنا لداود يا داود انا استخلفناك فى الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى انا جعلناك خليفة ملكه فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق يعنى بالعدل والانصاف ولا تتبع الهوى يقول ولا تؤثر هواك فى قضائك بينهم على الحق والعدل فيه فتجور عن الحق فيضلك عن سبيل الله يقول فيميل بك اتباعك هواك فى قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذى جعله لأهل الايمان به فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله وقوله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يقول تعالى ذكره ان الذين يميلون عن سبيل الله وذلك الحق الذى شرعه لعباده وأمرهم بالعمل به فيجورون عنه فى الدنيا لهم فى الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله يقول بما تركوا القضاء بالعدل والعمل بطاعة الله يوم الحساب من صلة العذاب الشديد وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوّام عن عكرمة فى قوله عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب قال هذا من التقديم والتأخير يقول لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله بما نسوا يوم الحساب قال نسوا تركوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) يقول تعالى ذكره وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثا ولعبا ما خلقناهما الا ليعمل فيهما بطاعتنا وينتهى الى أمرنا ونهينا ذلك ظن الذين كفروا يقول أى ظن أنا خلقنا ذلك باطلا ولعبا ظن الذين كفروا بالله فلم يوحدوه ولم يعرفوا عظمته وأنه لا ينبغى أن يعبث

حال الطائفتين المتقى المصلح للارض بتهذيب الأخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية على وفق العقل والشرع والفاجر المفسد فى الأرض بهدم النواميس وتتبع الشهوات وهتك الحرمات ومن سوى بينهم كان الى السفه أقرب منه الى الحكمة ولا ينافى هذا امكان التسوية من حيث المالكية وحين ذكر هذه المعانى اللطيفة والقواعد الشريفة منّ على رسوله بقوله (كتاب) أى هذا كتاب (أنزلناه اليك مبارك) كثير المنافع والفوائد (ليدبروا آياته) ليتأملوا فيها ويستنبطوا الأسرار والحقائق منها فمن حفظ حروفه وضيع حدوده كان مثله كمثل معلق اللؤلؤ والجواهر على الخنازير قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله يقال فى وجه النظم ان العقلاء قالوا من ابتلى بخصم جاهل مصر متعصب وجب عليه أن يقطع الكلام معه ويخوض فى كلام آخر أجنبى حتى اذا اشتغل خاطره بالكلام الأجنبى أدرج فى أثنائه مقدمة مناسبة للمطلوب الاول فان ذلك المتعصب قد يسلم هذه المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتمسك بها فى اثبات المطلوب الاول فيصير الخصم ساكتا مفحما واذ قد عرفت هذا فنقول ان الكفار قد بلغوا فى انكار الحشر الى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال تعالى يا محمد (اصبر على ما يقولون) واقطع الكلام معهم فى هذه المسئلة واشرع فى كلام آخر أجنبى فى الظاهر وهو قصة داود الى قوله انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق فكل من سمع هذا قال نعم ما فعل حيث أمره بالحكم الحق كأنه قال أيها المكلف انى لا آمرك

مع أنى رب العالمين الا بالحق فههنا الخصم يقول نعم ما فعل حيث لم يقض الا بالحق فعند هذا يلتزم صحة القول بالحشر والا لزم التسوية بين من أصلح واتق ومن أفسد وفجر وذلك ضد الحكمة وحين ذكر هذه الطريقة الدقيقة فى الزام المنكرين وافحامهم وصف القرآن

فيتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيأ باطلا فويل للذين كفروا من النار يعنى من نار جهنم وقوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض يقول أنجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم عنه كالمفسدين فى الأرض يقول كالذين يشركون بالله و يعصونه و يخالفون أمره ونهيه أم نجعل المتقين يقول الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه فحذروا معاصيه كالفجار يعنى كالكفار المنتهكين حرمات الله وقوله كتاب أنزلناه اليك يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القرآن كتاب أنزلناه اليك يا محمد مبارك ليدبروا آياته يقول ليتدبروا حجج الله التى فيه وما شرع فيه من شرائعه فيتعظوا و يعملوا به واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء ليدبروا بالياء يعنى ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك اليه من قومك يا محمد وقرأه أبو جعفر وعاصم لتدبروا آياته بالتاء بمعنى لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك * وأولى القراءتين عندنا بالصواب فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وليتذكر أولو الألباب يقول وليعتبر أولو العقول والحجى ما فى هذا الكتاب من الآيات فيرتدعوا عما هم عليه مقيمون من الضلالة وينتهوا الى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب و بنحو الذى قلنا فى معنى قوله أولو الألباب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أولو الألباب قال أولو العقول من الناس وقد بينا ذلك فيما مضى قبل بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ووهبنا لداود سليمن نعم العبد إنه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق﴾ يقول تعالى ذكره ووهبنا لداود سليمن ابنه ولدا نعم العبد يقول نعم العبد سليمن إنه أواب يقول إنه رجاع الى طاعة الله تواب اليه مما يكرهه منه وقيل إنه عنى به أنه كثير الذكر لله والطاعة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس نعم العبد انه أواب قال الاواب المسبح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نعم العبد انه أواب قال كان مطيعا لله كثير الصلاة حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله نعم العبد انه أواب قال المسبح والمسبح قد يكون فى الصلاة والذكر وقد بينا معنى الأواب وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد يقول تعالى ذكره انه تواب الى الله من خطيئته التى أخطأها اذ عرض عليه بالعشى الصافنات فاذ من صلة أواب والصافنات جمع الصافن من الخيل والانثى صافنة والصافن منها عند بعض العرب الذى يجمع بين يديه و يثنى طرف سنبك احدى رجليه وعند آخرين الذى يجمع يديه وزعم الفراء أن الصافن هو القائم يقال منه صفنت الخيل تصفن صفونا و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الصافنات الجياد قال صفون الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح

بالبركة والافادة والارشاد لان هذه اللطائف لا تستفاد الا منه وبعد تتميم قصة داود شرع فى قصة ابنه سليمن ومدحه بقوله (نعم العبد) أى هو فحذف المخصوص للعلم به وفى قوله (انه أواب) كما مر فى قصة داود اشارة الى أنه كان شبيها بالأب فى الفضيلة والكمال فلذلك استويا فى جهة المدح وفى القصة واقعتان يمكن تقرير كل منهما كما فى واقعة أبيه على وجه لا يقدح فى العصمة وهو المختار عند المحققين وعلى وجه دون ذلك وهو الأشهر فلنفسر كلا منهما بالوجهين بتوفيق الله تعالى أما الأول من الواقعة الأولى فقوله (اذ عرض عليه بالعشى الصافنات) وهى جمع صافن وهو الذى يقوم على ثلاث قوائم وعلى طرف الرابعة وهو نعت جيد للخيل قيل الصافن الذى يجمع بين يديه وفى الحديث من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار أى واقفين مثل خدم الجبابرة و (الجياد) جمع جواد وهو جيد الجرى يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها على أحسن الأشكال واذا أجريت كانت سراعا فى جريها فاذا طلبت لحقت واذا طلبت لم تلحق يروى أن رباط الخيل كان مندوبا فى شرعهم كما فى شرعنا ثم ان سليمن سلام الله عليه احتاج الى الغزو فجلس بعد صلاة الظهر على كرسيه وأمر باحضار الخيل وذكر أنى لا أحبها لأجل الدنيا وحظ النفس وانما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله (انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) سمى الخيل خيرا لتعلق الخير بها كما جاء فى الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة أى آثرت حب الخير ولزمته لأن ربى أمرنى بارتباطها ولم يصدر حب هذه المحبة الشديدة الا عن ذكر الله

نجيح عن مجاهد صفن الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ عرض عليه بالعشىّ الصافنات الجياد يعنى الخيل وصفونها قيامها وبسطها قوائمها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى الصافنات قال الخيل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الصافنات الجياد قال الخيل أخرجها الشيطان لسليمن من مرج من مروج البحر قال الخيل والبغال والحمير تصفن والصفن أن تقوم على ثلاث وترفع رجلا واحدة حتى يكون طرف الحافر على الارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الصافنات الخيل وكانت لها أجنحة وأما الجياد فانها السراع واحدها جواد كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الجياد قال السراع وذكر أنها كانت عشرين فرسا ذوات أجنحة ذكر الخبر بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبيه عن ابراهيم التيمى فى قوله اذ عرض عليه بالعشىّ الصافنات الجياد قال كانت عشرين فرسا ذات أجنحة وقوله فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب وفى هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره فلهى عن الصلاة حتى فاتته فقال انى أحببت حب الخير ويعنى بقوله فقال انى احببت حب الخير أى أحببت حبا للخير ثم أضيف الحب الى الخير وعنى بالخير فى هذا الموضع الخيل والعرب فيما بلغنى تسمى الخيل الخير والمال أيضا يسمونه الخير وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقال انى أحببت حب الخير أى المال والخيل أو الخير من المال حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى قال انى أحببت حب الخير قال الخيل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله انى أحببت حب الخير قال المال وقوله عن ذكر ربى يقول انى أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربى وأداء فريضته وقيل ان ذلك كان صلاة العصر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ذكر ربى عن صلاة العصر حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى عن ذكر ربى قال صلاة العصر حدثنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم قال ثنا أبو زرعة قال ثنا حيوة بن شريح قال ثنا أبو صخر أنه سمع أبا معاوية البجلى من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكرى يقول سألت على بن أبى طالب عن الصلاة الوسطى فقال هى العصر وهى التى فتن بها سليمن بن داود وقوله حتى توارت بالحجاب يقول حتى توارت الشمس بالحجاب يعنى تغيبت فى مغيبها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ميكائيل عن داود بن أبى هند قال قال ابن مسعود فى قوله انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب قال توارت الشمس من وراء ياقوتة خضراء فخضرة السماء منها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى توارت بالحجاب حتى دلكت براح قال قتادة والله ما نازعته بنو اسرائيل ولا كابروه ولكن ولوه من ذلك ما ولاه الله حدثنا محمد بن الحسين

من أعظم الاعوان فى دفع العدو أولأنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها أو أراد اظهار أنه بلغ فى اختبار أمور المملكة الى حيث يباشر أكثر الامور بنفسه وقيل مسح الغبار عن أعناقها وسوقها بيده وقيل وسم أعناقهن وأرجلهن فجعلهن فى سبيل الله * وأما الوجه الآخر فى هذه الواقعة فما روى أن سليمن غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وكان أبوه أصابها من العمالقة وقيل أخرجها الشياطين من مرج من المروج أو من البحر وكانت ذوات أجنحة فقعد يوما بعد الظهر واستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وذلك قوله (حتى توارت) أى الشمس بدليل ذكر العشى (بالحجاب) حجاب الافق وقيل حتى توارت الخيل بحجاب الليل وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشى فقال انى أحببت حب الخير وهو متضمن معنى فعل يتعدى بعن أى أنبت حب الخير عن ذكر ربى وجعلت حبها مغنيا عن ذكر ربى فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا بالله وذلك قوله فطفق مسحا قال جار الله أى يمسح بالسيف سوقها وأعناقها فقلب لأمن الالباس كقولهم عرضت الناقة على الحوض قال الراوى قربها الا مائة فما فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وحين عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بأمره وقيل

ضمير فى ردّوها للشمس والخطاب للملائكة تضرع الى الله فرد الله عليه الشمس فصلى العصر ومحل القدح فى هذه الرواية هو نسبة سليمن الى حب الدنيا حتى غفل عن الصلاة وضم بعضهم الى ذلك أن قطع أعناق الخيل وعرقبة أرجلها منهى عنه وقد روى عن النبى

قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدّي حتى توارت بالحجاب حتى غابت وقوله ردّوها عليّ يقول ردّوا عليّ الخيل التي عرضت عليّ فشغلتني عن الصلاة فكروها عليّ كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدّي ردّوها عليّ قال الخيل وقوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق يقول فجعل يمسح منها السوق وهي جمع الساق والأعناق واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمن بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها فقال بعضهم معنى ذلك أنه عقرها وضرب أعناقها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فطفق مسحا بالسوق والأعناق قال قال الحسن قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك قال قولهما فيه يعني قتادة والحسن قال فكسف عراقيبها وضرب أعناقها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدّي فطفق مسحا بالسوق والأعناق فضرب سوقها وأعناقها حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن قال أمر بها فعقرت * وقال آخرون بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حبالها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق يقول جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبالها وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ان شاء الله ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر اليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر اليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب﴾ يقول تعالى ذكره ولقد ابتلينا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا شيطانا متمثلا بانسان ذكروا ان اسمه صخر وقيل ان اسمه آصف وقيل ان اسمه آصر وقيل ان اسمه حبقيق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وألقينا على كرسيه جسدا قال هو صخر الجني تمثل على كرسيه جسدا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال الجسد الشيطان الذي كان دفع اليه سليمن خاتمه فقذفه في البحر وكان ملك سليمن في خاتمه وكان اسم الجني صخرا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا مبارك عن الحسن وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا يقال له آصر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على كرسيه جسدا قال شيطانا يقال له آصف فقال له سليمن كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه آصف في البحر فساح سليمن وذهب ملكه وقعد آصف على

صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذبح الحيوان الا لمأكله وأجيب بأنه فعل ذلك لأنها منعته عن الصلاة أو لأنه ذبحها للفقراء والمساكين قال الزجاج لم يفعل ذلك الا وقد أباحه الله (١٠٠) وما أباح الله فليس بمنهى قال الامام فخر الدين الرازي ان الكفار لما بلغوا في الايذاء والسفاهة الى حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قال لنبيه اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقيبه قصة سليمن وهذا الكلام انما يكون لائقا لو قلنا ان سليمن أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله وأعرض عن الشهوات فأما لو كان المقصود أنه أقدم على الكبيرة لم يكن ذكره مناسبا هذا تمام الكلام في الواقعة الاولى وأما الثانية واليها الاشارة بقوله (ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا) فالمحققون يروونه على وجوه * أحدها أن سليمن ولد له ابن بعد أن ملك عشرين سنة فقالت الشياطين ان عاش لم نتخلص من البلاء والتسخير فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم بذلك سليمن فأمر السحاب أن يحفظه و يغذوه خوفا من مضرة الشياطين فما راعه الا أن ألقي على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وأناب * وثانيها روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن سليمن قال ذات ليلة لأطوفن الليلة على سبعين امرأة وفي رواية على مائة وفي رواية على ألف كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعين فذلك قوله ولقد فتنا سليمان * وثالثها قال أبو مسلم مرض سليمن مرضا شديدا امتحنه الله به حتى صار جسدا على كرسيه ملقى كما جاء في الحديث لحم على وضم كرسيه وجسد بلا روح لأن الجسد يطلق في الاكثر على ما لا روح له (ثم أناب) أي رجع الى حالة الصحة والمشهور عند الجمهور أن الجسد الملقى

كرسيه ومنعه الله نساء سليمن فلم يقربهنّ وأنكرنه قال فكان سليمن يستطعم فيقول أتعرفوني أطعموني أنا سليمن فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع اليه ملكه وفرّ آصف فدخل البحر فارًّا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه غير أنه قال في حديثه فيقول لو تعرفوني أطعمتموني حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال حدثنا قتادة أن سليمن أمر ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له ان شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة فنزح ماؤها وجعل فيها خمر فجاء يوم وروده فاذا هو بالخمر فقال انك لشراب طيب الا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاها فقال انك لشراب طيب الا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل قال فكان ملكه في خاتمه فأتى به سليمن فقال انا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى الى بيضه فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة فكان سليمن اذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه فانطلق يوما الى الحمام وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمن منه وألقى على الشيطان شبه سليمن قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمن كله غير نسائه قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبيّ الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة فقال والله لأجربنه قال فقال له يا نبي الله وهو لا يرى الا أنه نبي الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال لا قال فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله جنيّ ولا طير الا سجد له حتى انتهى اليهم وألقينا على كرسيه جسدا قال هو الشيطان صخر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ولقد فتنا سليمن قال لقد ابتلينا وألقينا على كرسيه جسدا قال الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمن مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه عنده وآمنهن عنده وكان اذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الأيام فقالت ان أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال لها نعم ولم يفعل فابتلى وأعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته فقال لها هاتي الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمن وخرج سليمن بعد فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل قال لا وخرج مكانه تائها قال ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فقالوا انا قد أنكرنا

على كرسيه كان شيطانا جلس على سرير ملكه أربعين يوما وذلك أن ملكه كان في خاتمه فأخذ شيطانا يقال له آصف وقال كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه آصف في البحر فذهب ملكه (١٠١) وقعد آصف على كرسيه وعن علي رضى الله عنه أنه قال بينا سليمن جالس على شاطئ البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط في البحر وقيل انه وطئ امرأة في الحيض فذلك ذنبه وقال في الكشاف وغيره حكوا أن سليمن بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم الشأن فخرج اليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمن بذلك فكسر الصورة وكانت له أم ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها فوضعه عندها يوما فأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمن على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمن فقال يا أمينة أعطيني خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمن وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمن عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال أنا سليمن حثوا عليه التراب وسبوه فمكث على ذلك أربعين يوما عدد ما عبد الوثن في بيته وكان ذلك الشيطان يقضي بين الناس ويتمكن من جميع ملكه الا نساءه وقيل من جميع ملكه ونسائه وما يدع امرأة في دمها ولا يغتسل من جنابة فلما أراد الله أن يرد الملك اليه أنكر علماء بني اسرائيل قضية قضاها الشيطان فاحضروا التوراة فلما قرؤها فر الشيطان وألقى الخاتم في البحر فابتلعته سمكة

فصادها صائد ووهبها لسليمن وأعطاها على أجرة عمله يوما فأخرج من بطنها الخاتم (ثم أناب) أى رجع على ملكه أو ثاب ووقع ساجدا ثم ان سليمن ظفر بالشيطان فجعله فى تابوت وسده بالنحاس وألقاه فى البحر والعلماء المتقنون أبوا قبول هذه الرواية وقالوا انها من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هـذه الافاعيل والا ارتفع الأمان عن الشرائع والاديان وكيف يسلطهم الله على آحاد عباده فضلا عن أنبيائه حتى يغيروا أحكامهم ويفجروا بنسائهم وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع والسجود للصورة اذا كان بغير اذنه فلا عتب عليـه وحكى الثعلبى هذه القصة بوجه أقرب الى القبول وهو أن سليمن لما افتتن بأخذ التمثال فى بيته سقط الخاتم من يده فأخذه سليمن فأعاده الى يده فسقط فلما رآه لا يثبت فى اليد أيقن بالفتنة فقال له آصف انك لمفتون فتب الى الله واشتغل بالعبادة وأنا أقوم مقامك الى أن يتوب الله عليك فقام آصف فى ملكه أربعة عشر يوما وهو الجسد الذى ألقى على كرسيـه فردّ الله اليه ملكه وأثبت الخاتم فى يده وعن سعيد بن المسيب أن سليمن احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليـه ياسليمن احتجبت عن عبادى وما أنصفت مظلوما عن ظالم ثم ذكر القصة وأخذ الشيطان الخاتم ورجوعه اليـه ثم حكى الله تعالى أن سليمن قال (رب اغفر لى وهب لى ملكا) قـدم المغفرة على طلب الملك كما هو دأب الصالحين تقديما لامر الدين على أمر الدنيا ولان الاستغفار يجر الرزق فان الانسان قلما ينفك عن ترك الاولى فاذا زال عنـه شؤم ذلك ببركة الاستغفار انفتح عليـه أبواب الخيرات والذين حملوا الفتنة على صدور الذنب عنه فوجوب الاستغفار عندهم واضح وحملوا قوله (لا ينبغى لأحد من بعدى) على أنه سأل ملكا لا يقدر يقول الشيطان على أن يقوم مقامه والأولون ذهبوا الى أنه لم يقل ذلك حسدا وانما قصد به أن يكون معجزة له ومن شرط المعجز أن لا يقدر غيره

هذا فان كان سليمن فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا التوراة فقرؤا قال فطار من بين أيديهـم حتى وقع على شرفة والخاتم معـه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منـه فى البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبـل سليمن فى حاله التى كان فيها حتى انتهى الى صـياد من صـيادى البحر وهو جائع وقد اشتدّ جوعه فاستطعمهم من صيدهم قال انى أنا سليمن فقام اليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسـل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال انه زعم أنه سليمن قال فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرر حتى قام الى شط البحر فشق بطونهما فجعـل يغسل فوجد خاتمه فى بطن احداهما فأخذه فلبسه فردّ الله عليه بهاءه وملكه وجاءت الطير حتى حامت عليـه فعرف القوم أنه سليمن فقام القوم يعتذرون ممـا صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هـذا الأمر لا بدّ منه قال فجاء حتى أتى ملكه فأرسل الى الشيطان فجئ به وسخر له الريح والشياطين يومئذ ولم تكن سخرت له قبـل ذلك وهو قوله وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعـدى انك أنت الوهاب قال وبعث الى الشيطان فأتى به فأمر به فجعل فى صندوق من حديد ثم أطبق عليه فأقفل عليـه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقى فى البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حبقيق وقوله ثم أناب سليمن فرجع الى ملكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربى عن عبـد الرحمن عن جويبر عن الضحاك فى قوله ثم أناب قال دخل سليمن على امرأة تبيع السمك فاشترى منها سمكة فشق بطنها فوجد خاتمه فجعـل لا يمرّ على شجر ولا حجر ولا شئ الا سجـد له حتى أتى ملكه وأهله فذلك قوله ثم أناب يقول ثم رجع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أناب وأقبل يعنى سـليمن قوله قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعـدى يقول تعالى ذكره قال سـليمن راغبا الى ربه رب استر على ذنبى الذى أذنبت بينى وبينك فلا تعاقبنى به وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعـدى لا يسلبنيه أحد كما سلبنيه قبل هذه الشيطان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهـل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعـدى يقول ملكا لا أسلبه كما سلبته وكان بعض أهـل العربيـة يوجه معنى قوله لا ينبغى لأحد من بعـدى الى أن لا يكون لأحد من بعدى كما قال ابن أحمر

ما أم غفر على دعجاء ذى علق * ينفى القراميد عنها الأعصم الوقل
فى رأس خلقاء من عنقاء مشرفة * لا ينبغى دونها سهل ولا جبـل

يعنى لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها وقوله انك أنت الوهاب يقول انك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كل شئ تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت ۞ القول فى تأويل قوله تعـالى (فسـخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشـياطين كل بناء وغوّاص وآخرين مقرّنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب)

على معارضته ولاسيما أمته الذين بعث اليهم ولهذا قال بعضهم أراد غيري ممن بعثت اليهم ولم يرد من بعده الى يوم القيامة وحقيقة لا ينبغي لا ينفعل من بغيت الشيء طلبته أي لا يصير مطلوبا الا أنه سماوي فوق طوق البشر أو قصد أن الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها أشق فاذا كان ملكه آية كان ثوابه على الصبر عنه غاية ونهاية أو أراد أن يظهر للخلق أن حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى وأن ملك سليمن اذا كان عرضة للفناء فالأولى بالعاقل أن يشتغل بالعبودية ولا يلتفت الى الدنيا ومافيها وقيل انه لما مرض ثم عاد الى الصحة عرف أن خيرات الدنيا زائلة منتقلة الى الغير بارث ونحوه فطلب ملكا لا يتصور انتقاله الى الغير وهو ملك الدين والحكمة وقال أهل البيان لم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك والأقوى هو الاول بدليل قوله عقيبه فسخرنا له الريح والشياطين ولا ريب أن هذا معجزة وملك عجيب دال على نبوته ويؤيده ما جاء في الحديث أردت أن أربطه يعني الشيطان على سارية من سواري المسجد الا أني تذكرت دعوة أخي سليمن والضمير في (بأمره) لسليمن وقيل لله والرخاء الرخوة اللينة ولا ينافي هذا وصفها بالعصوف في الانبياء فلعلها تختلف باختلاف الاحوال والاوقات أوهي طيبة في نفسها ولكنها عاصفة بالاضافة الى الرياح المعهودة ومعنى أصاب قصد وأراد من اصابة السهم وقوله (والشياطين) معطوف على الريح وقوله (كل بناء وغواص) بدل الكل من الشياطين كانوا يبنون لأجله الابنية الرفيعة ويستخرجون اللؤلؤ من البحر وهو أول من استخرج الدر من البحر (وآخرين) عطف على الشياطين أو على كل داخل في حكم البدل وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد والعطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه

يقول تعالى ذكره فاستجبنا له دعاءه فأعطيناه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فسخرنا له الريح مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة تجري بأمره رخاء يعني رخوة لينة وهي من الرخاوة كما حدثنا محمد ابن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عوف عن الحسن أن نبي الله سليمن صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه الخيل فشغله النظر اليها عن صلاة العصر حتى توارت بالحجاب فغضب لله فأمر بها فعقرت فأبدله الله مكانها أسرع منها سخر الريح تجري بأمره رخاء حيث شاء فكان يغدو من ايلياء ويقيل بقزوين ثم يروح من قزوين ويبيت بكابل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فانه دعا يوم دعا ولم يكن في ملكه الريح وكل بناء وغواص من الشياطين فدعا ربه عند توبته واستغفاره فوهب الله له ما سأل فتم ملكه * واختلف أهل التأويل في معنى الرخاء فقال فيه بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تجري بأمره رخاء قال طيبة حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب قال سريعة طيبة قال ليست بعاصفة ولا بطيئة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رخاء قال الرخاء اللينة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن في قوله رخاء حيث أصاب قال ليست بعاصفة ولا الهينة بين ذلك رخاء * وقال آخرون معنى ذلك مطيعة لسليمن ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله رخاء يقول مطيعة له حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس تجري بأمره رخاء قال يعني بالرخاء المطيعة حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تجري بأمره رخاء قال مطيعة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله رخاء يقول مطيعة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله رخاء قال طوعا وقوله حيث أصاب يقول حيث أراد من قولهم أصاب الله بك خيرا أي أراد الله بك خيرا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله حيث أصاب يقول حيث أراد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله حيث أصاب يقول حيث أراد انتهى عليها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حيث أصاب قال حيث شاء حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن أبي رجاء عن الحسن في قوله حيث أصاب قال حيث أراد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال

من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك وقيل حقيقته التفويض على الخير والشر قال الجبائى ان الشيطان كان كثيف الجسم فى زمن سليمن و يشاهده الناس ثم انه (١٠٤) لما توفى سليمن أمات الله ذلك الجنس وخلق نوعا آخر لطيف الجسم بحيث لا يرى ولا يقوى على الاعمال الشاقة قلت هـذا اخبار بالغيب الا أن تكون رواية صحيحة ولم لا يجوز أن تكون أجسامهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلبة بمعنى أنها لا تقبل التمزق والتفرق (هذا عطاؤنا) أى قلنا لسليمن هذا الملك عطاؤنا والاضافة للتعظيم وقوله (بغير حساب) يتعلق بالعطاء يعنى انه جم كثير لا يدخل تحت الضبط والحصر فأعط منـه ماشئت أو أمسك مفوضا اليك زمام التصرف فيـه ويجوز أن يتعلق بالأمرين أى ليس عليك فى ذلك حرج ولا تحاسب على ما تعطى وتمنع يوم القيامة عن الحسن ان الله لم يعط أحدا عطية الا جعل عليـه فيها حسابا سوى سليمن فانه أعطاه عطية هنيئة ان أعطى أجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة ويحتمل أن يراد هذا التسخير تسخير الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم بالاطلاق أو أمسك من شئت منهـم بالوثاق فانت فى سعة من ذلك لا تحاسب فى اطلاق من أطلقت وحبس من حبست وحين فرغ من تعداد النعم الدنيوية أردفه بما أنعم به عليـه فى الآخرة قائلا (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) كما فى قصة داود وفيه أن ثوابه كفء ثواب أبيـه كما أن سيرته سيرة أبيه ﷺ التأويل بصاد صمديته فى الازل وصانعيته فى الوسط وصبوريته الى الأبد أقسم بالقرآن ذى الذكر لأن القرآن قانون معالجات القلوب وأعظم مرض القلب من نسيان الله فأعظم علاجه ذكر الله ثم أشار الى انحراف مزاج الكفار بعرض نسيان الله من اللين والسلامة واختلق الى الغلظ والقساوة ومن التواضع الى التكبر ومن الوفاق الى الخلاف ومن التصديق الى التكذيب ومن التوحيـد الى تكثير الآلهـة

ثنا سعيد عن قتادة حيث أصاب قال الى حيث أراد حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حيث أصاب قال حيث أراد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه حيث أصاب أى حيث أراد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى حيث أصاب قال حيث أراد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حيث أصاب قال حيث أراد وقوله والشياطين كل بناء وغواص يقول تعالى ذكره وسخرنا له الشياطين فسلطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذى ألقينا على كرسيه منها يستعملها فيما شاء من أعماله من بناء وغواص فالبناة منها يصنعون محاريب وتماثيل والغاصة يستخرجون له الحلى من البحار وآخرون ينحتون له جفانا وقدورا والمردة فى الأغلال مقرنون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والشياطين كل بناء وغواص قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وغواص يستخرجون الحلى من البحر وآخرين مقرنين فى الأصفاد قال مردة الشياطين فى الأغلال حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك والشياطين كل بناء وغواص قال لم يكن هـذا فى ملك داود أعطاه الله ملك داود وزاده الريح والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد يقول فى السلاسل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السـدى قوله الأصفاد قال تجمع اليدين الى عنقه والأصفاد جمع صفد وهى الأغلال وقوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغـير حساب اختلف أهل التأويل فى المشار اليـه بقوله هذا من العطاء وأى عطاء أريد بقوله عطاؤنا فقال بعضهم عنى به الملك الذى أعطاه الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب قال قال الحسـن الملك الذى أعطيناك فأعط ماشئت وامنع ماشئت حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك هذا عطاؤنا هذا ملكنا * وقال آخرون بل عنى بذلك تسخيره له الشياطين وقالوا ومعنى الكلام هـذا الذى أعطيناك من كل بناء وغواص من الشياطين وغيرهم عطاؤنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب قال هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم فى وثاقك وفى عذابك أو سرح من شئت منهـم تتخذ عنده يدا اصنع ماشئت * وقال آخرون بل ذلك ما كان أوتى من القوة على الجماع ذكر من قال ذلك حدثت عن أبى يوسف عن سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان سليمن فى ظهره ماء مائة رجل وكان له ثلثمائة امرأة وتسعمائة سرية هـذا عطاؤنا فامنن أو أمسـك بغير حساب * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب القول الذى ذكرناه عن الحسن والضحاك من أنه عنى بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره وذلك أنه جل ثناؤه ذكر ذلك عقيب خبره عن مسـئلة نبيه سليمن صلوات الله وسلامه عليه اياه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فأخبر أنه سخر له ما لم يسـخر لأحد من بنى آدم وذلك تسـخيره له الريح والشـياطين على ما وصفت ثم قال له عز ذكره هذا الذى أعطيناك من الملك وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبـه لك من الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعـدك فامنن أو أمسك بغـير حساب

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فامنن أو أمسك بغير حساب فقال بعضهم معنى ذلك فأعط من شئت ماشئت من الملك الذى آتيناك وامنع من شئت منه ماشئت لاحساب عليك فى ذلك . ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن فامنن أو أمسك بغير حساب الملك الذى أعطيناك فأعط ماشئت وامنع ماشئت فليس عليك تبعة ولاحساب حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك فامنن أو أمسك بغير حساب سأل ملكا هنيئاً لايحاسب به يوم القيامة فقال ما أعطيت وما أمسكت فلاحرج عليك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبيه عن عكرمة فامنن أو أمسك بغير حساب قال أعط أو أمسك فلاحساب عليك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فامنن قال أعط أو أمسك بغير حساب * وقال آخرون بل معنى ذلك أعتق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة أو من الوثاق ممن كان منهم مقرنا فى الأصفاد من شئت واحبس من شئت فلا حرج عليك فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فامنن أو أمسك بغير حساب يقول هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم فى وثاقك وفى عذابك وسرح من شئت منهم تتخذ عنده يدا اصنع ماشئت لاحساب عليك فى ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فامنن أو أمسك بغير حساب يقول أعتق من الجن من شئت وأمسك من شئت حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله فامنن أو أمسك بغير حساب قال تمن على من تشاء منهم فتعتقه وتمسك من شئت فتستخدمه ليس عليه فى ذلك حساب * وقال آخرون بل معنى ذلك هذا الذى أعطيناك من القوة على الجماع عطاؤنا فجامع من شئت من نسائك وجواريك ماشئت بغير حساب واترك جماع من شئت منهن * وقال آخرون بل ذلك من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول فى قوله بغير حساب وجهان أحدهما بغير جزاء ولا ثواب والآخر منة ولا قلة * والصواب من القول فى ذلك ماذكرته عن أهل التأويل من أن معناه لايحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان وانما قلنا ذلك هو الصواب لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه وقوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يقول وان لسليمن عندنا القربة بانابته الينا وتوبته وطاعته لنا وحسن مآب يقول وحسن مرجع ومصير فى الآخرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب أى مصير ان قال لنا قائل وما وجه رغبة سليمن الى ربه فى الملك وهو نبى من الأنبياء وانما يرغب فى الملك أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة أم ما وجه مسئلته اياه اذ سأله ذلك ملكا لاينبغى لأحد من بعده وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذى أوتى من ذلك أكان به بخل بذلك فلم يكن من ملكه يعطى ذلك من يعطاه أم حسد للناس كما ذكر عن الحجاج ابن يوسف فانه ذكر أنه قرأ قوله وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى فقال ان كان لحسودا

وأحسوا بالألم فعاينوا الامر حين لاينفع العيان ويزول الشك يوم لايجدى البرهان عجل لنا قطنا النفوس الخبيثة تميل بطبعها الى السفليات العاجلة كما أن النفوس الكريمة تميل بطبعها الى العلويات الباقية ولكل من الصنفين جذبة بالخاصية الى شكله كجذب المغناطيس الحديد له تسع وتسعون نعجة هن آثار فيوض الصفات الربانية بحسب الأسماء التسعة والتسعين فلكل منها مظهر فى عالم الملك والخلق ولى نعجة واحدة هو ذات الله وحده فقال أكفلنيها أى صيرنى أجمع بين الله وبين ماسواه ثم ههنا أسرار كثيرة نفهمها ان شاء الله وظن داود أنما فتناه امتحناه بالجمع بين الدين والدنيا فاستغفر للحق ربه راكعا وأناب الى الله معرضا عما سواه وهذا التأويل مما خطر ببالى أرجو أن يكون مضاهيا للحق انا جعلناك خليفة فيه أن الخلافة عطاء من الله وأنها مخصوصة بالانسان خلق مستعدا لها بالقوة وفيه أن الجعلية تتعلق بعالم المعنى كما أن الخلقية تتعلق بعالم الصورة الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا ووجه الخلافة هو أن الروح الانسانى أول فيض بذاته وصفاته فذاته من ذات الله بلا واسطة وصفاته من صفاته بلا واسطة فخلق لخليفته متزلا صالحا وهو قالبه وأعد له عرشا هو القلب

ليكون محل استوائه ونصب له خادما وهو النفس فلو بقى الانسان
على فطرة الله لكان روحه مستفيضا من الله تعالى فائضا لخلافة الحق على عرش القلب والقلب فائض لخلافة الروح على خادمه النفس

فان ذلك ليس من أخلاق الأنبياء قيل أما رغبته الى ربه فيما رغب اليه من الملك فلم تكن ان شاء الله به رغبة فى الدنيا ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله فى اجابته فيما رغب اليه فيه وقبوله توبته واجابته دعاءه وأما مسئلته ربه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فانا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال ان معنى ذلك هب لى ملكا لا أسلبه كما سلبته قبل وانما معناه عند هؤلاء هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى أن يسلبنيه وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى لا ينبغى لأحد سواى من أهل زمانى فيكون حجة وعلما لى على نبوّتى وأنى رسولك اليهم مبعوث اذ كانت الرسل لا بدّ لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم ويتجه أيضا لأن يكون معناه وهب لى ملكا تخصنى به لا تعطيه أحدا غيرى تشريفا منك لى بذلك وتكرمة لتبين منزلتى منك به من منازل من سواى وليس فى وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج فى معنى ذلك شئ ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد عبدنا أيوب اذ نادى ربه مستغيثا به فيما نزل به من البلاء يارب انى مسنى الشيطان بنصب فاختلفت القراء فى قراءة قوله بنصب فقرأته عامة قراء الأمصار خلا أبى جعفر القارئ بنصب بضم النون وسكون الصاد وقرأ ذلك أبو جعفر بضم النون والصاد كليهما وقد حكى عنه بفتح النون والصاد والنصب والنصب بمنزلة الحزن والحزن والعدم والعدم والرشد والرشد والصلب والصلب وكان الفراء يقول اذا ضم أوله لم يثقل لانهم جعلوهما على سمتين اذا فتحوا أوله ثقلوا واذا ضموا أوله خففوا قال وأنشدنى بعض العرب

لئن بعثت أم الحميدين مائرا * لقد غنيت فى غير بؤس ولا جحد

من قولهم جحد عيشه جحدا اذا ضاق واشتد قال فلما قال جحد خفف وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين النصب من العذاب وقال العرب تقول أنصبنى عذبنى وبرح بى قال وبعضهم يقول نصبنى واستشهد لقيله ذلك بقول بشر بن أبى حازم

تعناك نصب من أميمة منصب * كذى الشجو لما يسله وسيذهب

وقال يعنى بالنصب البلاء والشر ومنه قول نابغة بنى ذبيان

كلينى لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطىء الكواكب

قال والنصب اذا فتحت وحركت حروفها كانت من الاعياء والنصب اذا فتح أوله وسكن ثانيه واحد أنصاب الحرم وكل ما نصب علما وكأن معنى النصب فى هذا الموضع العلة التى نالته فى جسده والعناء الذى لاقى فيه والعذاب فى ذهاب ماله * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وذلك الضم فى النون والسكون فى الصاد وأما التأويل فبنحو الذى قلنا فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذكر عبدنا أيوب حتى بلغ بنصب وعذاب ذهاب المال والأهل والضر الذى أصابه فى جسده قال ابتلى سبع سنين وأشهرا ملقى على كناسة لبنى اسرائيل تختلف الدواب فى جسده ففرج الله عنه وعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب قال نصب فى جسدى وعذاب

والنفس فائضة لخلافة القلب على القالب والقالب فائض لخلافة النفس على الدنيا وهى أرض الله فلا يجرى شئ من الامور الا على نهج الحق ووهبنا لداود الروح سليمان القلب اذ عرض عليه بالعشى وهو بعد زوال شمس التجلى الصافنات الجياد وهى مركب الصفات البشرية وفى قوله فطفق مسحا اشارة الى أن كل محبوب سوى الله اذا حجبك عنه لحظة يلزمك أن تقتله بسيف لا اله الا الله واليه الاشارة بقوله ثانيا ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه صدره شيأ من الشهوات الجسدانية فافتتن به فتاب ورجع الى الحضرة فان قيل قوله لا ينبغى لأحد من بعدى هل يتناول نبينا صلى الله عليه وسلم قلنا يتناوله بالصورة لا بالمعنى فان الذى كان مطلوب سليمن من تزكية النفس عن محبة الدنيا مع القدرة عليها ومن تحلية القلوب بعلو الهمة وبذل المال والجاه وافشاء العدل والنصفة وغير ذلك كان حاصلا للنبى صلى الله عليه وسلم من غير زحمة مباشرة صورة الملك والافتتان به عزة ودلالا ولهذا قال فى حديث تسلطه على الشيطان ذكرت دعوة أخى سليمن فتركته وكان يعرض عليه مقاليد الخزائن فيقول الفقر فخرى على أن صورة الملك أيضا مما سيحصل لبعض أمته كما قال وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب

فى

هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هـذا لرزقنا ماله من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم
وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار (١٠٧) قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا

في مالى حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك أنى مسنى الشيطان بنصب يعنى البلاء
في الجسد وعذاب قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقوله اركض برجلك ومعنى
الكلام اذ نادى ربه مستغيثا به أنى مسنى الشيطان ببلاء فى جسدى وعذاب بذهاب مالى وولدى
فاستجبنا له وقلنا له اركض برجلك الارض أى حركها وادفعها برجلك والركض حركة الرجل يقال
منه ركضت الدابة ولا تركض ثوبك برجلك وقيل ان الارض التى أمر أيوب أن يركضها برجله
الجابية ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اركض برجلك
الآية قال ضرب برجله الارض أرضا يقال لها الجابية وقوله هذا مغتسل بارد وشراب ذكر أنه
نبعت له حين ضرب برجله الأرض عينان فشرب من احداهما واغتسل من الأخرى ذكر من
قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ضرب برجله الارض
فاذا عينان تنبعان فشرب من احداهما واغتسل من الأخرى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
قال فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها واغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان من البلاء
حدثنى بشر بن آدم قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا أبو هلال قال سمعت الحسن فى قول الله
اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها ثم مشى نحوا من أربعين ذراعا ثم ركض
برجله فنبعت عين فشرب منها فذلك قوله اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وعنى
بقوله مغتسل ما يغتسل به من الماء يقال منه هذا مغتسل وغسول للذى يغتسل به من الماء
وقوله وشراب يعنى ويشرب منه والموضع الذى يغتسل فيه يسمى مغتسلا ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله
ووهبنا له أهله ومثلهم معهم وقد ذكرنا اختلافهم فى ذلك والصواب من القول عندنا فيه فى سورة
الانبياء بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فتأويل الكلام فاغتسل وشرب ففرجنا عنه ما كان
فيه من البلاء ووهبنا له أهله من زوجة وولد ومثلهم معهم رحمة منا له ورأفة وذكرى يقول
وتذكيرا لأولى العقول ليعتبروا بها فيتعظوا وقد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
أخبرنى نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان نبى الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلان من
اخوانه كانا من أخص اخوانه به كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله
لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال من ثمانى عشرة سنة
لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب لا أدرى ما تقول
غير أن الله يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع الى بيتى فأكفر عنهما
كراهية أن يذكرا الله إلا فى حق قال وكان يخرج الى حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده
حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى الى أيوب فى مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فاستبطأته فتلقته تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن

فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا
هذا فزده عذابا ضعفا فى النار وقالوا
مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من
الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت
عنهم الأبصار ان ذلك لحق تخاصم
أهل النار قل انما أنا منذر وما
من اله الا الله الواحد القهار
رب السموات والارض وما بينهما
العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه
معرضون ما كان لى من علم بالملا
الأعلى اذ يختصمون ان يوحى الى
الا أنما أنا نذير مبين اذ قال ربك
للملائكة انى خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحى
فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة
كلهم أجمعون الا ابليس استكبر
وكان من الكافرين قال يا إبليس
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى
أستكبرت أم كنت من العالين قال
أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته
من طين قال فاخرج منها فانك رجيم
وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال
رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال
فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم
أجمعين الا عبادك منهم المخلصين
قال فالحق والحق أقول لأملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين
قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من
المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين
ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ ۞ القراآت
مسنى الشيطان بسكون الياء حمزة
بنصب بضمتين يزيد وقرأ يعقوب
بفتحتين وقرأ هبيرة بالفتح والسكون
والباقون بالضم والسكون بخالصة
ذكرى على الاضافة أبو جعفر ونافع وهشام عبدنا ابراهيم على التوحيد ابن كثير وعلى هذا يكون ابراهيم وحده عطف بيان ما يوعدون
على الغيبة ابن كثير وأبو عمرو وغساق بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وحفص وأخر بضم الهمزة على الجمع أبو عمرو وسهل

و يعقوب والمفضل والباقون بالمد على التوحيد الأشرار بالامالة والتفخيم مثل الابرار غير ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الاشرار
بالامالة اتخذناهم موصولة والابتداء بكسر الألف أبو عمرو وسهل و يعقوب وحمزة وعلي وخلف والآخرون بفتح
الهمزة على الاستفهام ما كان لي بفتح الياء حفص الا انما بكسر الهمزة على الحكاية يزيد لعنتي الى بفتح الياء أبو جعفر ونافع فالحق بالرفع حمزة وخلف وعاصم غير المفضل وهبيرة و يعقوب غير رويس ۞ الوقوف أيوب م الا اذا جعل اذ بدلا وعذاب ه ط لتقدير القول أي فأرسلنا اليه جبريل فقال له اركض برجلك ج لان هذا مبتدأ مع أنه من تمام القول وشراب ه الألباب ه ولا تحنث ط صابرا ط العبد ط أواب ه والأبصار ه الدار ه ج للآية مع العطف الأخيار ه وذا الكفل ط من الأخيار ه ذكر ه ط مآب ه لا لأن جنات بدل أو عطف بيان الابواب ه ج لاحتمال أن عامل متكئين محذوف أي يتنعمون متكئين وان جعل حالا من مفتحة فهي مقدرة لان الاتكاء لا يكون في حال فتح الأبواب وشراب ه أتراب ه الحساب ه من نفاد ه ج هذا ط أي هذا بيان جزاء المتقين أو الأمر هذا مآب ه لا جهنم ج لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا يصلونها ج المهاد ه هذا لا لأن خبره حميم فقوله فليذوقوه اعتراض وغساق ه لا للعطف أزواج ه ط معكم ج لا تصال المعنى مع الابتداء بما في معنى الدعاء بهم ه النار ط بكم ط لنا ج القرار ه النار ه الاشرار ه ط لمن قرأ بكسر الهمزة لاحتمال اضمار همزة الاستفهام واحتمال كونها خبرية
صفة أو حالا ومن صرح بالاستفهام فوقفه مطلق الأبصار ه النار ه القهار ه ج لأن ما بعده يصلح بدلا وخبرا اليوم
لمحذوف أي هو الغفار عظيم ه لا لان ما بعده وصف معرضون ه يختصمون ه مبين ه طين ه ساجدين ه أجمعون ه لا

ما كان فلما رأته قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى فوالله على ذلك ما رأيت أحدا أشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني أنا هو قال وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت احداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ووهبنا له أهله ومثلهم معهم قال قال الحسن وقتادة فأحياهم الله بأعيانهم وزادهم مثلهم حدثني محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا عبد الرحمن بن جبير قال لما ابتلى نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم بماله وولده وجسده وطرح في مزبلة جعلت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه فحسده الشيطان على ذلك وكان يأتي أصحاب الخبز والشوى الذين كانوا يتصدقون عليها فيقول اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم فانها تعالج صاحبها وتلمسه بيدها فالناس يتقذرون طعامكم من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك وكان يلقاها اذا خرجت كالمحزون لما لقي أيوب فيقول لج صاحبك فأبى الا ما أبى فوالله لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كل ضر ولرجع اليه ماله وولده فتجيء فتخبر أيوب فيقول لها لقيك عدو الله فلقاك هذا الكلام و يلك انما مثلك كمثل المرأة الزانية اذا جاء صديقها بشئ قبلته وأدخلته وان لم يأتها بشئ طردته وأغلقت بابها عنه لما أعطانا الله المال والولد آمنا به واذا قبض الذي له منا نكفر به ونبدل غيره ان أقامني الله من مرضي هذا لأجلدنك مائة قال فلذلك قال الله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وقوله وخذ بيدك ضغثا يقول وقلنا لأيوب خذ بيدك ضغثا وهو ما يجمع من شئ مثل حزمة الرطبة وكملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق ومنه قول عوف بن أبي الجرع

وأسفل مني نهدة قد ربطتها * وألقيت ضغثا من خلا متطيب

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنى عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وخذ بيدك ضغثا يقول حزمة حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث قال أمر أن يأخذ ضغثا من رطبة بقدر ما حلف عليه فيضرب به حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابن جريج عن عطاء في قوله وخذ بيدك ضغثا قال عيدانا رطبة حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن اسمعيل بن ابراهيم بن المهاجر عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس وخذ بيدك ضغثا قال هو الأثل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخذ بيدك ضغثا الآية قال كانت امرأته قد عرضت له بأمر وأرادها ابليس على شئ فقال لو تكلمت بكذا وكذا وانما حملها عليها الجزع فحلف نبي الله لئن الله شفاه ليجلدنها مائة جلدة قال فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيبا والاصل تكملة المائة فضربها ضربة واحدة فأبر نبي الله وخفف الله عن أمته والله رحيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وخذ بيدك ضغثا يعني ضغثا من الشجر الرطب كان حلف على يمين فأخذ من الشجر عدد ما حلف عليه فضرب به ضربة واحدة فبرت يمينه وهو

ابليس ط الكافرين ه بيدىّ ط للاستفهام العالين ه منه ط لأن ما بعده جواب سؤال كأنه علل الخيرية طين ه رجيم ه ج
والوصل أولى لاتصال لعنتى به الدين ه يبعثون ه المنظرين ه لا لتعلق الى المعلوم ه أجمعين ه لا للاستثناء

اليوم فى الناس يمين أيوب من أخذ بها فهو حسن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث قال ضغثا واحدا من الكلا فيه أكثر من مائة عود فضرب به ضربة واحدة فذلك مائة ضربة حدثنى محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا عبد الرحمن بن جبير وخذ بيدك ضغثا فاضرب به يقول فاضرب زوجتك بالضغث لتبر فى يمينك التى حلفت بها عليها أن تضربها ولا تحنث يقول ولا تحنث فى يمينك وقوله انا وجدناه صابرا نعم العبد يقول انا وجدنا أيوب صابرا على البلاء لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله والدخول فى معصيته نعم العبد انه أوّاب يقول انه الى طاعة الله مقبل والى رضاه رجاع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله عبادنا فقرأته عامة قراء الأمصار واذكر عبادنا على الجماع غير ابن كثير فانه ذكر عنه أنه قرأه واذكر عبدنا على التوحيد كأنه يوجه الكلام الى أن اسحق و يعقوب من ذرية ابراهيم وأنهما ذكرا من بعده حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ واذكر عبدنا ابراهيم قال انما ذكر ابراهيم ثم ذكر ولده بعده * والصواب عندنا من القراءة فى ذلك قراءة من قرأه على الجماع على أن ابراهيم واسحق و يعقوب بيان عن العباد وترجمة عنه لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله أولى الأيدى والأبصار و يعنى بالايدى القوة يقول أهل القوة على عبادة الله وطاعته و يعنى بالأبصار أنهم أهل أبصار القلوب يعنى به أولى العقول (٣) للحق * وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فى ذلك نحوا مما قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أولى الأيدى والأبصار يقول أولى القوة والعبادة والابصار يقول الفقه فى الدين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولى الأيدى والأبصار قال فضلوا بالقوة والعبادة حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور أنه قال فى هذه الآية أولى الأيدى قال القوة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله أولى الأيدى قال القوة فى أمر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد أولى الأيدى قال الأيدى القوة فى أمر الله والأبصار العقول حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولى الأيدى والأبصار قال القوة فى طاعة الله والأبصار قال البصر فى الحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولى الأيدى والأبصار يقول أعطوا قوة فى العبادة وبصرا فى الدين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أولى الأيدى والأبصار قال الأيدى القوة فى طاعة الله والأبصار البصر بعقولهم فى دينهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله أولى الأيدى والأبصار قال الأيدى القوة والأبصار

المخلصين ه فالحق ز على قراءة الرفع أى فهذا الحق مع اتحاد المقول أقول ج لاحتمال أن ما بعده قسم مستأنف أو بدل من قوله والحق أجمعين ه ج المتكلفين ه للعالمين ه حين ه ۞ التفسير وجه النظم كأنه تعالى يقول يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان فى الدنيا أكثر مالا وأوجاها من داود وسليمن ولم يكن أكثر بلاء ومحنة من أيوب ومع ذلك لم يبق حالها وحاله على نسق واحد فالصبر مفتاح الفرج وأيوب عطف بيان واذ معمول فعل آخر أو بدل اشتمال من أيوب أى زمان بلائه وكان معاصرا ليعقوب وامرأته ليا بنت يعقوب ونداؤه دعاؤه والجار محذوف أى دعاه بأنى مسنى على الحكاية والالتفات بأنه مسه والنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب بالفتح والسكون على أصل المصدر وضمة الصاد لاتباع النون كقفل وقفل ومعنى الكل التعب والمشقة قيل الضر فى البدن والعذاب فى ذهاب المال والأهل وللناس فى بلائه قولان الأول أن الذى نزل به كان من الشيطان وقدمر تقريره فى الانبياء ومجمله ما روى أن ابليس سأل ربه فقال هل فى عبيدك من لو سلطتنى عليه يمتنع منى فقال نعم عبدى أيوب قال فسلطنى على ماله فكان يجيئه و يقول هلك من مالك كذا فيقول الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله فقال يا رب ان أيوب لا يبالى بماله فسلطنى على ولده فجاء وزلزل الدار فهلك أولاده بالكلية فجاء وأخبره به فلم يلتفت اليه فقال يا رب انه لا يبالى بماله وولده فسلطنى على جسده فأذن فيه فنفخ فى جلد أيوب وحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فمكث فى ذلك البلاء سبع سنين أو ثمان عشرة وصار بحيث استقذره أهل بلده

العقول فان قال لنا قائل وما الأيدي من القوة والأيدي انما هي جمع يد واليد جارحة وما العقول من الأبصار وانما الأبصار جمع بصر قيل ان ذلك مثل وذلك أن باليد البطش وبالبطش تعرف قوة القوي فلذلك قيل للقوي ذو يد وأما البصر فانه عني به بصر القلب و به تنال معرفة الأشياء فلذلك قيل للرجل العالم بالشئ بصير به وقد يمكن أن يكون عني بقوله أولي الأيدي أولي الأيدي عند الله بالأعمال الصالحة فجعل الله أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا أيديا لهم عند الله تمثيلا لها باليد تكون عند الرجل للآخر وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرؤه أولي الأيد بغير ياء وقد يحتمل أن يكون ذلك من التأييد وأن يكون بمعنى الأيدي ولكنه أسقط منه الياء كما قيل يوم ينادي المناد بحذف الياء وقوله عز وجل إنا أخلصناهم بخالصة يقول تعالى ذكره إنا خصصناهم بخاصة ذكرى الدار واختلفت القراء في قراءة قوله بخالصة ذكرى الدار فقرأته عامة قراء المدينة بخالصة ذكرى الدار باضافة خالصة الى ذكرى الدار بمعنى أنهم أخلصوا بخالصة الذكرى والذكرى اذا قرئ كذلك غير الخالصة كما المتكبر اذا قرئ على كل قلب متكبر باضافة القلب الى المتكبر هو الذي له القلب وليس بالقلب وقرأ ذلك عامة قراء العراق بخالصة ذكرى الدار بتنوين قوله خالصة ورد ذكرى عليها على أن الدار هي الخالصة فردوا الذكرى وهي معرفة على خالصة وهي نكرة كما قيل لشر مآب جهنم فرد جهنم وهي معرفة على المآب وهي نكرة * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه انا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار أي انهم كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة و يدعونهم الى طاعة الله والعمل للدار الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بهذه أخلصهم الله كانوا يدعون الى الآخرة والى الله * وقال آخرون معنى ذلك أنه أخلصهم بعملهم للآخرة وذكرهم لها ذكر من قال ذلك حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن مجاهد في قوله إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بذكر الآخرة فليس لهم هم غيرها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بذكرهم الدار الآخرة وعملهم للآخرة * وقال آخرون معنى ذلك إنا أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة وهذا التأويل على قراءة من قرأه بالاضافة وأما القولان الأولان فعلى تأويل قراءة من قرأه بالتنوين ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به وأعطيناهم اياه قال والدار الجنة وقرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض قال الجنة وقرأ ولنعم دار المتقين قال هذا كله الجنة وقال أخلصناهم بخير الآخرة * وقال آخرون بل معنى ذلك خالصة عقبى الدار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير بخالصة ذكر الدار قال عقبى الدار * وقال آخرون بل معنى ذلك بخالصة أهل الدار ذكر من قال ذلك حدثت عن ابن أبي زائدة عن ابن جريج قال ثني ابن أبي نجيح أنه سمع مجاهدا يقول بخالصة ذكرى الدار

نخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان الى امرأته وقال ان استأذني زوجك خلصته من هذا البلاء فأشارت الى أيوب بذلك فغضب لذلك أو لوجوه أخر سبق ذكرها في سورة الانبياء وحلف ان عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة وعند ذلك دعا ربه شاكيا اليه لا منه كقول يعقوب انما أشكو بثي وحزني الى الله فأجاب دعاءه وأوحى اليه (اركض) أي اضرب (برجلك) الارض عن قتادة هي أرض الجابية من قرى الشام فأظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره و باطنه و رد عليه أهله وماله * القول الثاني أن الشيطان لا قدرة له على ايقاع الناس في الأمراض والآفات والا لوقع في العالم مفاسد ولم يدع صالحا الا نكبه وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له الا الوسوسة فالمراد بمس الشيطان هو الأحزان الحاصلة في قلبه بسبب وساوسه من تعظيم ما نزل به من البلاء واغرائه على الجزع والقنوط من روح الله الى غير ذلك مما مر ذكره في سورة الأنبياء ولناصر القول الأول أن يقول سلمنا أن الشيطان باستقلاله لا يقدر على المفاسد ولكنه لم لا يجوز أن يقدر بعد الالتماس والتسليط ولنعد الى تفسير ما يختص بالمقام قوله (مغتسل بارد) أي هذا مكان يغتسل فيه أي بمائه ويشرب منه والظاهر أنها كانت عينا واحدة عذبة باردة وروى بعضهم أنه نبعت عينان ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها فبرأ ظاهره وضرب رجله اليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها فزال ما في بطنه من القروح و زعم أن تقدير الكلام هذا مغتسل وشراب بارد وقوله (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله بأعيانهم وزاده مثلهم من أولاده وقيل من أولاد أولاده وقيل كانوا قد غابوا عنه وتفرقوا فجمع الله شملهم وقيل كانوا مرضى فشفاهم الله والأول أصح وقوله (رحمة منا) وذكرى مفعول لهما فكانت الهبة رحمة له

وتذكير لذوي العقول حتى لو ابتلوا بما ابتلي به صبروا كما صبر فيفوزوا كما فاز وانما لم يقل ههنا رحمة من عندنا مع أنه أبلغ اكتفاء بما مر في سورة الانبياء وفي قوله (وذكرى لأولي الألباب) مع قوله في الانبياء وذكرى (١١١) للعابدين اشارة الى أن ذا اللب هو الذي يعبد الله وتخصيص كل من السورتين بما خص لرعاية الفاصلة قوله (وخذ) معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو سنبلة قال مجاهد هو لأيوب خاصة وعن قتادة هو عام في هذه الأمة والصحيح أنه باق في المريض والمعذور لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بمخدج وقد زنى بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة حلل الله يمين أيوب بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها ومعنى (وجدناه صابرا) علمنا منه الصبر وههنا نكتة ذكرها بعض أرباب القلوب وهي أنه لما نزل في حق سليمن نعم العبد تارة وفي حق أيوب أخرى اغتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا تشريف عظيم فان كان سببه اتفاق مملكة مثل مملكة سليمن فنحن لا نقدر عليه وان كان سببه تحمل بلاء مثل بلاء أيوب فنحن لا نطيقه فكيف السبيل الى تحصيله فأنزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد أنك ان لم تكن نعم العبد فأنا نعم المولى فان كان منك الفضول فمني الفضل وان كان منك التقصير فمني النصرة والتوفيق قلت وصف أنبياء سائر الامم بقوله نعم العبد ووصف هذه الامة بقوله كنتم خير أمة فلا تشريف فوق هذا ثم أجمل ذكر طائفة من مشاهير الأنبياء ومعنى (أولي الأيدي والأبصار) أولي العمل والعلم لأن اليد آلة لاكثر الأعمال والبصر آلة لأقوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وفيه تعريض بأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يتفكرون أفكار ذوي العقول والعرفان فهم في حكم الزمنى والعميان ولولا قرينة الأبصار لكان يحتمل أن الأيدي جمع اليد

الدار هم أهل الدار وذو الدار كقولك ذو الكلاع وذو يزن وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يتأول ذلك على القراءة بالتنوين بخالصة عمل في ذكرى الآخرة * وأولى الاقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتنوين أن يقال معناه انا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة فعملوا لها في الدنيا فأطاعوا الله وراقبوه وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضا الدعاء الى الله والى الدار الآخرة لأن ذلك من طاعة الله والعمل للدار الآخرة غير أن معنى الكلمة ماذكرت وأما على قراءة من قرأه بالاضافة فأن يقال معناه انا أخلصناهم بخالصة ماذكر في الدار الآخرة فلما لم تذكر في أضيفت الذكرى الى الدار كما قد بينا قبل في معنى قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير وقوله بسؤال نعجتك الى نعاجه وقوله وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار يقول وان هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الاخيار الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا الى خلقنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اسمعيل واليسع وذا الكفل وما أبلوا في طاعة الله فتأس بهم واسلك منهاجهم في الصبر على ما نالك في الله والنفاذ لبلاغ رسالته وقد بينا قبل من أخبار اسمعيل واليسع وذا الكفل فيما مضى من كتابنا هذا ما أغنى عن اعادته في هذا الموضع والكفل في كلام العرب الحظ والجد وقوله هذا ذكر يقول تعالى ذكره هذا القرآن الذي أنزلناه اليك يا محمد ذكر لك ولقومك ذكرناك واياهم به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي هذا ذكر قال القرآن وقوله وان للمتقين لحسن مآب يقول وان للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لحسن مرجع يرجعون اليه في الآخرة ومصير يصيرون اليه ثم أخبر تعالى ذكره عن ذلك الذي وعدهم من حسن المآب ما هو فقال جنات عدن مفتحة لهم الأبواب حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله وان للمتقين لحسن مآب قال لحسن منقلب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ قوله تعالى ذكره جنات عدن بيان عن حسن المآب وترجمة عنه ومعناه بساتين اقامة وقد بينا معنى ذلك بشواهده وذكرنا ما فيه من الاختلاف فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله جنات عدن قال سأل عمر كعبا ما عدن قال يا أمير المؤمنين قصور في الجنة من ذهب يسكنها النبيون والصديقون والشهداء وأئمة العدل وقوله مفتحة لهم الأبواب يعني مفتحة لهم ابوابها وأدخلت الالف واللام في الأبواب بدلا من الاضافة كما قيل فان الجنة هي المأوى بمعنى هي مأواه وكما قال الشاعر

ماولدتكم حية ابنة مالك * سفاحا وما كانت أحاديث كاذب
ولكن نرى أقدامنا في نعالكم * وآنفنا بين اللحى والحواجب

بمعنى بين لحاكم وحواجبكم ولو كانت الأبواب جاءت بالنصب لم يكن لحنا وكان نصبه على توجيه

النعمة قوله (أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) الخالصة صفة أو مصدر كالعاقبة والدار ظرف فهي الدنيا أو مفعول به فهي الآخرة والمعنى جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وهي ذكراهم الجنة بحيث لا يشوبون ذكرها بشئ من هموم الدنيا أو هي تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها أو بسبب خلوص ذكرى الجنة أو بما خلص من ذكراها أو جعلناهم مختصين بخلة صافية عن المنقصات وهي الثناء الحسن في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم و (المصطفين) جمع مصطفى وأصله مصطفيين لأنه في حالة الجر بالياء قلبت الياء المتحركة ألفا ثم حذفت أراد اخترناهم من بين أبناء جنسهم والأخيار جمع خير بالتشديد أو خير بالتخفيف كأموات في ميت أو موت (واسمعيل واليسع وذا الكفل) وقدم ذكرهم في سورة الأنبياء وحين تم ذكر الصالحين وما لقي كل منهم من أنواع الابتلاء تثبيتا لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواع القرآن أراد أن يذكر على عقيبه بابا آخر وهو ذكر جزاء المتقين والطاغين قال (هذا ذكر) ثم قال (وان للمتقين) كما يقول المصنف اذا فرغ من فصل من كتابه هذا باب ثم يشرع في باب آخر ويحتمل أن يكون من تتمة صفات الأنبياء أي هذا الذي قصصنا عليك من أحوال هؤلاء الأنبياء شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا قوله (مفتحة) حال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل قال الزجاج الأبواب فاعل مفتحة والعائد محذوف أي الأبواب منها وقال غيره في مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل الاشتمال من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب نظيره في بدل البعض ضرب زيد اليد والرجل فكان اللام عوضا من الضمير الراجع والمعنى أن الملائكة الموكلين بالجنات قوله اذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام فلا يحتاجون الى تحصيل مفاتيح ومعاناة الفتح وقيل أراد به وصف تلك المساكن

المفتحة في اللفظ الى جنات وان كان في المعنى للابواب وكان كقول الشاعر

وما قومي بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا

ثم نونت مفتحة ونصبت الابواب فان قال لنا قائل وما في قوله مفتحة لهم الابواب من فائدة خبر حتى ذكر ذلك قيل فان الفائدة في ذلك اخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها اياها بمعاناة بيد ولا جارحة ولكن بالامر فيما ذكر كما حدثنا أحمد بن الوليد الرملي قال ثنا ابن نفيل قال ثنا ابن دعيج عن الحسن في قوله مفتحة لهم الابواب قال أبواب تكلم فتكلم انفتحي انغلقي وقوله متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب يقول متكئين في جنات عدن على سرر يدعون فيها بفاكهة يعني بثمار من ثمار الجنة كثيرة وشراب من شرابها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) يقول تعالى ذكره وعند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف في هذه الآية من اسكانهم جنات عدن قاصرات الطرف يعني نساء قصرت أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يمددن أعينهن الى سواهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعندهم قاصرات الطرف قال قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قاصرات الطرف قال قصرن أبصارهن وقلوبهن وأسماعهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وقوله أتراب يعني أسنان واحدة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بين أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قاصرات الطرف أتراب قال أمثال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أتراب سن واحدة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أتراب قال مستويات قال وقال بعضهم متواخيات لا يتباغضن ولا يتعادين ولا يتغايرن ولا يتحاسدن وقوله هذا ما توعدون ليوم الحساب يقول تعالى ذكره هذا الذي يعدكم الله في الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم في الآخرة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي هذا ما توعدون ليوم الحساب قال هو في الدنيا ليوم القيامة وقوله ان هذا لرزقنا ماله من نفاد يقول تعالى ذكره ان هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في جنات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب والقاصرات الطرف ومكناهم فيها من الوصول الى اللذات وما اشتهته فيها أنفسهم لرزقنا رزقناهم فيها كرامة منا لهم ماله من نفاد يقول ليس له عنهم انقطاع ولا له فناء وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها فأكلوها عادت مكانها أخرى مثلها فذلك لهم دائم أبدا لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه في الدنيا فانقطع بالفناء ونفد بالانفاد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان هذا لرزقنا ماله من نفاد قال رزق الجنة كلما أخذ منه شئ عاد مثله مكانه ورزق الدنيا له نفاد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ماله من نفاد أي ماله انقطاع ۞ القول في تأويل

قوله تعالى ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار﴾ يعني تعالى ذكره بقوله هذا الذي وصفت لهؤلاء المتقين ثم استأنف جل وعز الخبر عن الكافرين به الذين طغوا عليه وبغوا فقال وان للطاغين وهم الذين تمردوا على ربهم فعصوا أمره مع احسانه اليهم لشر مآب يقول لشر مرجع ومصير يصيرون اليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان للطاغين لشر مآب قال لشر منقلب ثم بين تعالى ذكره ما ذلك الذي اليه ينقلبون ويصيرون في الآخرة فقال جهنم يصلونها فترجم عن جهنم بقوله لشر مآب ومعنى الكلام ان للكافرين لشر مصير يصيرون اليه يوم القيامة لأن مصيرهم الى جهنم واليها منقلبهم بعد وفاتهم فبئس المهاد يقول تعالى ذكره فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم وقوله هذا فليذوقوه حميم وغساق يقول تعالى ذكره هذا حميم وهو الذي قد أغلي حتى انتهى حره وغساق فليذوقوه فالحميم مرفوع بهذا وقوله فليذوقوه معناه التأخير لأن معنى الكلام ما ذكرت وهو هذا حميم وغساق فليذوقوه وقد يتجه ذلك الى أن يكون هذا مكتفيا بقوله فليذوقوه ثم يبتدأ فيقال حميم وغساق بمعنى منه حميم ومنه غساق كما قال الشاعر

حتى اذا ما أضاء الصبح في غلس * وغودر البقل ملوي ومحصود

واذا وجه الى هذا المعنى جاز في هذا النصب والرفع النصب على أن يضمر قبلها ناصب كما قال الشاعر

زيارتنا نعمان لا تحرمنها * تق الله فينا والكتاب الذي تتلو

والرفع بالهاء في قوله فليذوقوه كما يقال الليل فبادروه والليل فبادروه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي هذا فليذوقوه حميم وغساق قال الحميم الذي قد انتهى حره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الحميم دموع أعينهم تجمع في حياض النار فيسقونه وقوله وغساق اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين والشام بالتخفيف وغساق وقالوا هو اسم موضوع وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وغساق مشددة ووجهوه الى أنه صفة من قولهم غسق يغسق غسوقا اذا سال وقالوا انما معناه أنهم يسقون الحميم وما يسيل من صديدهم * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كان التشديد في السين أتم عندنا في ذلك لأن ذلك المعروف في الكلام وان كان الآخر غير مدفوعة صحته واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم هو ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا فليذوقوه حميم وغساق قال كنا نحدث أن الغساق ما يسيل من بين جلده ولحمه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال الغساق الذي يسيل من أعينهم من دموعهم يسقونه مع الحميم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال الغساق ما يسيل من سرمهم وما يسقط من جلودهم حدثني يونس قال أخبرنا

بالسعة وجولان الطرف فيها من غير حائل وقوله (متكئين) حال مقدرة متداخلة كما مر أو حال بعد حال أو عامله مؤخر وهو (يدعون) أي يحكمون في ثمارها وشرابها فاذا قالوا لشيء منها أقبل حصل عندهم وقيل يتمنون وقيل يسألون قال المفسرون أراد وشراب كثير فحذف اكتفاء بالأول وحين بين أمر المسكن والمأكول والمشروب ذكر أمر المنكوح وقاصرات الطرف قد مر في الصافات أنهن اللواتي قصرن الطرف عن الالتفات الى غير أزواجهن والأتراب جمع ترب وهي اللدة واشتقاقها قيل من اللعب بالتراب وقيل لأن التراب مسهن في وقت واحد والسبب في اعتبار هذا الوصف أن التحاب بين الأقران أثبت وقيل هن وأزواجهن واحدة في الأسنان وقيل أراد أنهن شواب لا عجوز ولا صبية ويروى أنهن بنات ثلاث وثلاثين ومعنى (ليوم الحساب) قيل لاجل الحساب لأن الحساب علة الوصول الى جزاء العمل والظاهر أن اللام للوقت أي ما وعدتم تعطونه في يوم الحساب (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) انقطاع ونهاية ولا مزيد فوق ذلك فتمام النعم بدوامها ثم بين أن حال الطاغين مضادة لحال المتقين وأكثر المفسرين حملوا الطغيان ههنا على الكفر لأنه تعالى يحكي عنهم أنهم قالوا اتخذناهم سخريا والفاسق لا يتخذ المؤمن هزوا لان الطاغي اسم ذم والاسم المطلق محمول على الكامل والكامل في الطغيان هو الكافر ويؤيده قول ابن عباس المعنى ان الذين طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر مصير وحمله الجبائي على أصحاب الكبائر من أهل الايمان وغيرهم لأن كل من تجاوز عن تكاليف الله فقد طغا ومنه قوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى والمهاد الفراش وقد مر مرارا وقوله (هذا) قد مر بعض اعرابه في الوقوف ويحتمل أن يراد العذاب هذا ثم ابتدأ فقال هو حميم أو منه (حميم) ومنه (غساق) أو هذا فليذوقوه معناه

ابن وهب قال قال ابن زيد الغساق الصديد الذى يجمع من جلودهم مما تصهرهم النار فى حياض يجتمع فيها فيسقونه حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السهمى قال ثنى أبى قال ثنا ابن لهيعة قال ثنى أبو قبيل أنه سمع أبا هبيرة الزيادى يقول سمعت عبد الله بن عمرو يقول أى شئ الغساق قالوا الله أعلم فقال عبد الله بن عمرو هو القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهراق فى المغرب لأنتنت أهل المشرق ولو تهراق فى المشرق لأنتنت أهل المغرب * قال يحيى بن عثمان قال أبى ثنا ابن لهيعة مرة أخرى فقال ثنا أبو قبيل عن عبد الله بن هبيرة ولم يذكر لنا أبا هبيرة حدثنا ابن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا أبو يحيى عطية الكلاعى أن كعبا كان يقول هل تدرون ما غساق قالوا لا والله قال عين فى جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غيرها فيستنقع فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام حتى يتعلق جلده فى كعبيه وعقبيه ويجر لحمه كجر الرجل ثوبه * وقال آخرون هو البارد الذى لا يستطاع من برده ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد وغساق قال بارد لا يستطاع أو قال برد لا يستطاع حدثنى على بن عبد الأعلى قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك هذا فليذوقوه حميم وغساق قال يقال الغساق أبرد البرد ويقول آخرون لا بل هو أنتن النتن * وقال آخرون بل هو المنتن ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب عن ابراهيم النكرى عن صالح بن حيان عن أبيه عن عبد الله بن بريدة قال الغساق المنتن وهو بالطخارية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عمرو بن الحرث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هو ما يسيل من صديدهم لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق وان كان للآخر وجه صحيح وقوله وآخر من شكله أزواج اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة وآخر من شكله أزواج على التوحيد بمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع كما يقال لك عذاب من فلان ضروب وأنواع وقد يحتمل أن يكون مرادا بالازواج الخبر عن الحميم والغساق وآخر من شكله وذلك ثلاثة فقيل أزواج يراد أن ينعت بالازواج تلك الاشياء الثلاثة وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وأخر على الجماع وكأن من قرأ ذلك كذلك كان عنده لا يصلح أن يكون الازواج وهى جمع نعتا للواحد فلذلك جمع أخر لتكون الازواج نعتا لها والعرب لا تمنع أن ينعت الاسم اذا كان فعلا بالكثير والقليل والاثنين كما بينا فتقول عذاب فلان أنواع ونوعان مختلفان وأعجب القراءتين الى أن أقرأ بها وآخر على التوحيد وان كانت الاخرى صحيحة لاستفاضة القراءة بها فى قراء الامصار وانما اخترنا التوحيد لأنه أصح مخرجا فى العربية وأنه فى التفسير بمعنى التوحيد وقيل انه الزمهرير ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن مرة عن عبد الله وآخر من شكله أزواج قال الزمهرير حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن مرة عن عبد الله بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية عن سفيان عن السدى عمن أخبره عن عبد الله بمثله الا أنه قال عذاب الزمهرير

ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله فاياى فارهبون وقيل حميم مبتدأ وهذا خبره والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وذكر الأزهرى أن الغاسق البارد ولهذا قيل لليل الغاسق لأنه أبرد من النهار فالحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقال الزجاج انه المنتن لو قطرت منه قطرة فى المغرب لتنتن أهل المشرق يؤيده قول ابن عمر هو القيح الذى يسيل منهم يجتمع فيسقونه وقال كعب هو عين فى جهنم يسيل اليها سم كل ذى سم من عقرب وحية وعن الحسن هو عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا فى قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وآخر من شكله) أى ومذوقات أخر أو عذاب أو مذوق آخر من جنس هذا المذوق و(أزواج) أى أجناس أو مقترنات صفة الآخر لأنه جاز أن يكون مختلفات أو صفة للثلاثة المذكورة وهى حميم وغساق وشئ آخر من شكله والمجموع خبر هذا أو خبر هو وحين وصف مسكن الطاغين ومآكولهم ومشروبهم حكى أحوالهم مع الذين كانوا يعدونهم أحباءهم فى الدنيا ثم مع الذين كانوا يعدونهم أعداءهم أما الأول فقوله (هذا) أى يقول الطاغون بعضهم مع بعض وذلك اذا دخلت أمة ثم دخل آخرون والفوج الأول الرؤساء والثانى الاتباع وقيل الأول ابليس وبنوه والثانى أبناء آدم هذا (فوج) أى جمع كثيف دخل النار فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشدة أرادوا أن أتباعهم اقتحموا معهم العذاب كما اقتحموا معهم الضلال وقوله (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم ومرحبا نصب على أنه مفعول به أو مصدر أى أتيت رحبا لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا فاذا دخل عليه لا صار دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم وقوله (انهم صالو النار) تعليل لاستيجابهم اللعن قيل انما قالوا ذلك ولم يصدر من الأتباع ذنب

فى حق من قبلهم لان النار تكون مملوءة منهم أولان عذابهم يضاعف بسببهم وقيــل هو اخبار لادعاء أى وقد وردوا موردا لا رحب فيه ولا
سعة وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فيما بين أتباعهم وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع
(بل أنتم لا مرحبا بكم) أى الدعاء
الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به
وعللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا)
والضمير لما هم فيه من العذاب
أو الصلى أى كنتم السبب فى العمل
الذى هذا جزاؤه فجمعوا بين مجازين
لأن الأتباع هم الذين عملوا عمل
السوء لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم
لا جزاؤه ومن جعل قوله لا مرحبا
بهم من كلام الخزنة زعم أن تقدير
الكلام هذا الذى دعا به علينا الخزنة
أنتم يا رؤساء أحق به منا لاغوائكم
ايانا وتسببكم لما نحن فيه (فبئس
القرار) أى المستقر النار (قالوا) أى
الفوج وهو كالبدل من قالوا الاول
والضعف المضاعف كما مر
فى الأعراف وأما الثانى فقوله
(مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من
الأشرار) أى فى اعتقادنا لأن دينهم
على خلاف ديننا أو أرادوا أنهم
أراذل لا خير فيهم يعنون فقراء
المسلمين وعن بعضهم أن القائلين
صناديد قريش كأبى جهل والوليد
وأضرابهما والرجال عمار وبلال
وصهيب وأمثالهم من قرأ (أتخذناهم)
بفتح الهمزة فعلى أنه انكار منهم على
أنفسهم وتأنيب لها بالاستسخار
منهم وكذا فيمن قرأ اتخذناهم بكسر
الهمزة ويقدر همزة الاستفهام
محذوفة ومن جعلها صفة أو حالا
فلا اشكال وحينئذ يتصل (أم
زاغت) بقوله مالنا لا نرى أى الرجال
الموصوفين فى النار كأنهم ليسوا فيها
بل أزاغت عنهم أبصارنا وخفى
علينا مكانهم فلا نراهم وهم فيها
فأم منقطعة وكذا ان اتصل بقوله اتخذناهم على الاستفهام لأن الأول للانكار والثانى للاستخبار ويجوز أن يكون أم متصلة وكلاهما
للانكار ومعنى زيغ الابصار ازدراؤهم وتحقيرهم يؤيده قول الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم

الزمهرير حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى عن مرة الهمدانى عن عبد الله
ابن مسعود قال هو الزمهرير حدثت عن يحيى بن أبى زائدة عن مبارك بن فضالة عن الحسن
قال ذكر الله العذاب فذكر السلاسل والاغلال وما يكون فى الدنيا ثم قال وآخر من شكله أزواج
قال وآخر لم ير فى الدنيا وأما قوله من شكله فان معناه من ضربه ونحوه يقول الرجل للرجل ما أنت
من شكلى بمعنى ما أنت من ضربى بفتح الشين وأما الشكل فانه من المرأة ما علقت مما تحسن به
وهو الدل أيضا منها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى
على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وآخر من شكله أزواج
يقول من نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآخر من شكله أزواج
من نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآخر من شكله أزواج
قال من كل شكل ذلك العذاب الذى سمى الله أزواج لم يسمها الله قال والشكل الشبيه وقوله
أزواج يعنى ألوان وأنواع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وآخر من شكله أزواج
قال ألوان من العذاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أزواج زوج زوج
من العذاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أزواج قال أزواج
من العذاب فى النار وقوله هذا فوج مقتحم معكم يعنى تعالى ذكره بقوله هذا فوج هذه فرقة
وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار وذلك دخول أمة من الامم الكافرة بعد أمة لا مرحبا
بهم وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم للفوج
المقتحم فيها عليهم لا مرحبا بهم ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد كما قيل يريد أن يخرجكم
من أرضكم فماذا تأمرون فاتصل قول فرعون بقول ملائه وهذا كما قال تعالى ذكره مخبرا عن أهل
النار كلما دخلت أمة لعنت أختها ويعنى بقوله لا مرحبا بهم لا اتسعت بهم مداخلهم كما قال
أبو الأسود * ألا مرحب واديك غير مضيق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا فوج
مقتحم معكم فى النار لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم حتى بلغ فبئس القرار
قال هؤلاء التباع يقولون للرؤس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله
هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم قال الفوج القوم الذين يدخلون فوجا بعد فوج وقرأ كلما
دخلت أمة لعنت أختها التى كانت قبلها وقوله انهم صالوا النار يقول انهم واردو النار وداخلوها
قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم يقول قال الفوج الواردون جهنم على الطاغين الذين وصف
جل ثناؤه صفتهم لهم بل أنتم أيها القوم لا مرحبا بكم أى لا اتسعت بكم أماكنكم أنتم قدمتموه
لنا يعنون أنتم قدمتم لنا سكنى هذا المكان وصلى النار باضلالكم ايانا ودعائكم لنا الى الكفر بالله
وتكذيب رسله حتى ضللنا باتباعكم فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم فذلك تقديمهم لهم ما قدموا فى
الدنيا من عذاب الله لهم فى الآخرة فبئس القرار يقول فبئس المكان يستقر فيه جهنم ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) وهذا أيضا قول

واللام فى الابصار عوض من الضمير أى أبصارنا (ان ذلك) الذى حكينا عنهم (لحق) لابد لهم من وقوعه لانهم مالوا الى عالم التضاد فيحشرون كذلك ثم بين ماهو فقال هو (تخاصم أهل النار) (١١٦) لأن التلاعن والتشاتم نوع من أنواع الخصومة واعلم أنه سبحانه لما بدأ فى أول السورة بأن محمدا يدعو الى التوحيد وأن الكفار يستهزؤن منه و ينسبونه الى السخرية تارة والى الكذب أخرى ثم ذكر طرفا من قصص الانبياء عليهم السلام ليعلم أن الدنيا دار تكليف و بلاء لادار اقامة و بقاء ثم عقبه بشرح نعيم الابرار وعقاب الاشرار عاد الى تقرير المطالب المذكورة فى أول السورة وهى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق مايدعو اليه من التوحيد والاخلاص فقال (قل انما أنا منذر ومامن اله الا الله الواحد) من جميع الوجوه (القهار) لما دونه ثم أردف القهر باللطف والتربية قائلا (رب السموات والأرض وما بينهما) ثم أكد صفتى القهر واللطف بقوله (العزيز الغفار) فمن عزته أدخل أهل الاستكبار النار ولمغفرته أعد الجنة لأهل الاستغفار قوله (قل هو نبأ عظيم) أى القول بأن الله واحد نبأ عظيم أو القول بالنبوة أو باثبات الحشر والقيامة وذلك لأن هذه المطالب كانت مذكورة فى أول السورة ولأجلها سيق الكلام منجرا الى ههنا و يحتمل أن يراد كون القرآن معجزا كما مر فى قوله كتاب أنزلناه فيه نبأ عظيم وهؤلاء الأقوام أعرضوا عن كل من هذه الأمور ثم بين أنه حاصل من قبل الوحى بقوله (ما كان لى من علم بالملا الأعلى) وهم الملائكة (اذ يختصمون) أى يتقاولون فيما بينهم بالوحى والظرف متعلق بمحذوف أى بكلامهم وقت اختصامهم شبه التقاول بالتخاصم من حيث ان فى كل منهما سؤالا وجوابا والمشابهة علة لجواز المجاز ثم صرح بما عليه مدار الوحى قائلا (ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين) أى ما يوحى الى الا هذا وهو انى نذير كامل فى باب التبليغ و يؤيده قراءة كسر انما

الفوج المقتحم على الطاغين وهم كانوا أتباع الطاغين فى الدنيا يقول جل ثناؤه وقال الأتباع ربنا من قدم لنا هذا يعنون من قدم لهم فى الدنيا بدعائهم الى العمل الذى يوجب لهم النار التى وردوها وسكنى المنزل الذى سكنوه منها و يعنون بقولهم هذا العذاب الذى وردناه فزده عذابا ضعفا فى النار يقولون فأضعف له العذاب فى النار على العذاب الذى هو فيه وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبوعين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ان ذلك لحق تخاصم أهل النار} يقول تعالى ذكره قال الطاغون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم فى هذه الآيات وهم فيما ذكر أبو جهل والوليد بن المغيرة وذووهما مالنا لا نرى رجالا يقول ما بالنا لا نرى معنا فى النار رجالا كنا نعدهم من الاشرار يقول كنا نعدهم فى الدنيا من أشرارنا وعنوا بذلك فيما ذكر صهيبا وخبابا وبلالا وسلمان و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن ليث عن مجاهد فى قوله مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال ذاك أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وذكر أناسا صهيبا وعمارا وخبابا كنا نعدهم من الاشرار فى الدنيا حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد فى قوله وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال قالوا أين سلمان أين خباب أين بلال وقوله أتخذناهم سخريا اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والشام و بعض قراء الكوفة أتخذناهم بفتح الالف من أتخذناهم وقطعها على وجه الاستفهام وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة و بعض قراء مكة بوصل الالف من الاشرار اتخذناهم وقد بينا فيما مضى قبل أن كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ فان العرب تستفهم فيه أحيانا وتخرجه على وجه الخبر أحيانا * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالوصل على غير وجه الاستفهام لتقدم الاستفهام قبل ذلك فى قوله مالنا لا نرى رجالا كنا فيصير قوله اتخذناهم بالخبر أولى وان كان للاستفهام وجه مفهوم لما وصفت قبل من أنه بمعنى التعجب واذ كان الصواب من القراءة فى ذلك ما اخترنا لما وصفنا فمعنى الكلام وقال الطاغون مالنا لا نرى سلمان و بلالا وخبابا الذين كنا نعدهم فى الدنيا أشرارا اتخذناهم فيها سخريا نهزأ بهم فيها معنا اليوم فى النار وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول من كسر السين من السخرى فانه يريد به الهزء يريد يسخر به ومن ضمها فانه يجعله من السخرة يستسخرونهم يستذلونهم أزاغت عنهم أبصارنا وهم معنا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار يقول أهم فى النار لا نعرف مكانهم وحدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار قال هم قوم كانوا يسخرون من محمد وأصحابه فانطلق به و بأصحابه الى الجنة وذهب بهم الى النار فقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار يقولون أزاغت أبصارنا عنهم فلا ندرى أين هم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اتخذناهم سخريا قال أخطأناهم أم زاغت عنهم الأبصار ولا نراهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا مالنا لا نرى

رجالا

رجالا كنا نعدهم من الأشرار قال فقدوا أهل الجنة اتخذناهم سخريا في الدنيا أم زاغت عنهم الأبصار وهم معنا في النار وقوله ان ذلك لحق يقول تعالى ذكره ان هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار ولعن بعضهم بعضا ودعاء بعضهم على بعض في النار لحق يقين فلا تشكوا في ذلك ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار وقوله تخاصم ردّ على قوله لحق ومعنى الكلام ان تخاصم أهل النار الذي أخبرتكم به لحق وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله أم زاغت عنهم الأبصار الى بل زاغت عنهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان ذلك لحق تخاصم أهل النار فقرأ تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقرأ ويوم نحشرهم جميعا حتى بلغ ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال ان كنتم تعبدوننا كما تقولون ان كنا عن عبادتكم لغافلين ما كنا نسمع ولا نبصر قال وهذه الاصنام قال هذه خصومة أهل النار وقرأ وأضل عنهم ما كانوا يفترون قال وضل عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون في الدنيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك انما أنا منذر لكم يا معشر قريش بين يدي عذاب شديد أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحل بكم على كفركم به فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة وما من اله الا الله الواحد القهار يقول وما من معبود تصلح له العبادة وتنبغي له الربوبية الا الله الذي يدين له كل شيء ويعبده كل خلق الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك ولا ينبغي أن تكون له صاحبة القهار لكل ما دونه بقدرته رب السموات والأرض يقول مالك السموات والأرض وما بينهما من الخلق يقول فهذا الذي هذه صفته هو الاله الذي لا اله سواه لا الذي لا يملك شيأ ولا يضر ولا ينفع وقوله العزيز الغفار يقول العزيز في نقمته من أهل الكفر به المدّعين معه الها غيره الغفار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه فأناب الى الايمان به والطاعة له بالانتهاء الى أمره ونهيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا أنما أنا نذير مبين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك المكذبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن القائلين لك فيه ان هذا الا اختلاق هو نبأ عظيم يقول هذا القرآن خبر عظيم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسدي قال ثنا أبو أسامة عن شبل بن عباد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون قال القرآن حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين عن شريح أن رجلا قال له أتقضي عليّ بالنبأ قال فقال له شريح أوليس القرآن نبأ قال وتلا هذه الآية قل هو نبأ عظيم قال وقضى عليه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون قال القرآن وقوله أنتم عنه معرضون يقول أنتم عنه منصرفون لا تعملون به ولا تصدقون بما فيه من حجج الله وآياته وقوله ما كان لي من علم بالملا الأعلى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك ما كان لي من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون في شأن آدم من قبل أن يوحى الي ربي فيعلمني ذلك

وقيل ان الجار محذوف أي لم يوح الي الا لأن أنذر ولا أقصر روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني الليل آت من ربي وفي رواية ربي في أحسن صورة فقال لي يا محمد قلت لبيك ربي وسعديك قال هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أعلم قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات وما في الأرض قال يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الدرجات والكفارات ونقل الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في السبرات المكروهات أي في البرد الشديد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه الحديث قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام واعلم أن أشراف قريش انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فختم الله تعالى السورة بذكر قصة آدم وما وقع فيه ابليس من الرجم واللعن حين حسد آدم واستكبر ليصير سماع القصة زاجرا للمكلفين عن هاتين الخصلتين فعلى هذا يكون اذ قال معمولا لمحذوف أي اذكر وقت قول ربك للملائكة وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من أحد وعلى هذا فالضمير عائد الى ما يذكره عما قريب والمعنى ما أحكيه خبر له شأن لانه مستفاد من الوحي وقوله اذ قال بدل من اذ يختصمون والملأ الأعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كأنهم قالوا هؤلاء فيما بينهم ثم خاطبوا بها الله سبحانه فلا يلزم أن يكون الله تعالى من الملأ الأعلى ويثبت له مكان أو نقول المراد علو الرتبة والشرف فيشمل تقاول الله وملائكته وقال جار الله كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط وقصة آدم مذكورة في البقرة وفي غيرها مشروحة والتي في هذه السورة يوافق أكثرها ما في الحجر فلا فائدة

يقول ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن ولا هو مما شاهدته فعاينته ولكني علمت ذلك باخبار الله اياي به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما كان لي من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون قال الملأ الأعلى الملائكة حين شووروا في خلق آدم فاختصموا فيه وقالوا لا تجعل في الأرض خليفة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي بالملا الأعلى اذ يختصمون هو اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لي من علم بالملا الأعلى قال هم الملائكة كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين حتى بلغ ساجدين وحين قال اني جاعل في الأرض خليفة حتى بلغ ويسفك الدماء ففي هذا اختصم الملأ الأعلى وقوله ان يوحى الي الا أنما أنا نذير مبين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قريش ما يوحي الله الي علم ما لا علم لي به من نحو العلم بالملا الأعلى واختصامهم في أمر آدم اذ أراد خلقه الا لأني انما أنا نذير مبين فانما على هذا التأويل في موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض فسواء اسقاط خافضه منه واثباته وأما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب اذا أسقط منه الخافض فانه على مذهبه نصب وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر وهو أن يكون معناه ما يوحي الله الا انذاركم واذا وجه الكلام الى هذا المعنى كانت أنما في موضع رفع لأن الكلام يصير حينئذ بمعنى ما يوحى الي الا الانذار قوله الا أنما أنا نذير مبين يقول الا أني نذير لكم مبين لكم انذاره اياكم وقيل الا أنما أنا ولم يقل الا أنما أنك والخبر من محمد عن الله لأن الوحي قول فصار في معنى الحكاية كما يقال في الكلام أخبروني أني مسيء وأخبروني أنك مسيء بمعنى واحد كما قال الشاعر

رجلان من ضبة أخبرانا * أنا رأينا رجلا عريانا

بمعنى أخبرانا أنهما رأيا وجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين﴾ وقوله اذ قال ربك من صلة قوله اذ يختصمون وتأويل الكلام ما كان لي من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون حين قال ربك يا محمد للملائكة اني خالق بشرا من طين يعني بذلك خلق آدم وقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي يقول تعالى ذكره فاذا سويت خلقه وعدلت صورته ونفخت فيه من روحي قيل عنى بذلك ونفخت فيه من قدرتي ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك ونفخت فيه من روحي قال من قدرتي فقعوا له ساجدين يقول فاسجدوا له وخروا له سجدا وقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون يقول تعالى ذكره فلما سوى الله خلق ذلك البشر وهو آدم ونفخ فيه من روحه سجد له الملائكة كلهم أجمعون يعني بذلك الملائكة الذين هم في السموات والارض

وقد يقال في حق من جنى بلسانه وان لم يكن له يد هذا مما كسبت يداك والحق فيه أن السلطان العظيم لا يقدر على عمل شئ بيديه الا اذا كانت عنايته مصروفة الى ذلك العمل فحيث كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد أمكن جعله مجازا عنها ومنها قول أرباب التأويل انه اشارة الى صفتي اللطف والقهر وهما يشملان جميع الصفات فلا مخلوق الا وهو مظهر لاحدى الصفتين كالملك فانه مظهر اللطف وكالشيطان فانه مظهر القهر الا الانسان فانه مظهر لكلتيهما وبذلك استحق الخلافة ومسجودية الملائكة ولهذا جاء في الأحاديث القدسية لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان قوله (أستكبرت أم كنت من العالين) أي أطلبت الكبر من غير استحقاق أم كنت ممن علوت وفقت فأجاب بأنه من العالين حيث (قال أنا خير منه) وقيل استكبرت الآن أو لم تزل منذ كنت من المتكبرين ومعنى الهمزة التقرير قوله (فالحق) من قرأ بالرفع فعلى أنه خبر لمبتدأ أو مبتدأ محذوف الخبر مثل لعمرك أي فالحق قسمي لأملان والحق أقوله وهو اعتراض ومن نصبهما فعلى أن الثاني تأكيد للاول أو على أن الأول للاغراء أي اتبعوا الحق وهو الله سبحانه أو الحق الذي هو نقيض الباطل وقوله (منك) أي من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) أي من ذرية آدم و (أجمعين) تأكيد للتابعين والمتبوعين ثم ختم السورة بما يدل على الاحتياط والاجتهاد في طلب هذا الدين لأن النظر اما الى الداعي أو الى المدعو اليه أما الداعي فلا يسأل أجرا على ما يدعو اليه وهو القرآن أو الوحي أو النبأ ومن الظاهر

أن الكذاب لاينقطع طمعه عن طلب المال البتة وأما المدعو اليه فقوله (وما أنا من المتكلفين) الذين ينتحلون ما ليس عندهم ولا دليل لهم على وجوده بل العقل الصريح يشهد بصحته فانى أدعوكم الى الاقرار بالله أولا ثم الى تنزيهه عما لا يليق به ثانيا ثم الى وصفه بنعوت الجمال والجلال ثالثا ومن جملة ذلك التوحيد ونفى الانداد والأضداد ثم أدعو الى تعظيم الأرواح الطاهرة وهم الملائكة والأنبياء رابعا ثم الى الشفقة على خلق الله خامسا ثم أدعو الى الاقرار بالبعث والقيامة سادسا ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فهذه أصول معتبرة فى دين الاسلام يشهد بحسنها بداية العقول ويحكم ببعدها عن الباطل كل من يرجع الى محصول وهو المراد بقوله (ان هو الا ذكر للعالمين) عن النبى صلى الله عليه وسلم للتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلمن نبأه بعد حين) أى خبر حقيقة القرآن وما أدعو اليه بعد حين هو الموت لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقيل هو القيامة وقيل هو حين ظهور الاسلام ولا يخفى ما فيه من التهديد

والأرض الا ابليس استكبر يقول غير ابليس فانه لم يسجد استكبر عن السجود له تعظما وتكبرا وكان من الكافرين يقول وكان بتعظمه ذلك وتكبره على ربه ومعصيته أمره ممن كفر فى علم الله السابق بجحدر بوبيته وأنكر ما عليه الاقرار له به من الاذعان له بالطاعة كما حدثنا أبو كريب قال قال أبو بكر فى الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال قال ابن عباس كان فى علم الله من الكافرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لابليس اذ لم يسجد لآدم وخالف أمره يا ابليس ما منعك أن تسجد يقول أى شئ منعك من السجود لما خلقت بيدى يقول لخلق يدى يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه كما حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرنى عبيد المكتب قال سمعت مجاهدا يحدث عن ابن عمر قال خلق الله أربعة بيده العرش وعدن والقلم وآدم ثم قال لكل شئ كن فكان وقوله أستكبرت يقول لابليس تعظمت عن السجود لآدم فتركت السجود له استكبارا عليه ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك أم كنت من العالين يقول أم كنت كذلك من قبل ذا علو وتكبر على ربك قال أنا خير منه خلقتنى من نار يقول جل ثناؤه قال ابليس لربه فعلت ذلك فلم أسجد للذى أمرتنى بالسجود له لأنى خير منه وكنت خيرا منه لأنك خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار تأكل الطين وتحرقه فالنار خير منه يقول لم أفعل ذلك استكبارا عليك ولا لأنى كنت من العالين ولكنى فعلته من أجل أنى أشرف منه وهذا تقريع من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأبوا الانقياد له واتباع ما جاءهم به من عند الله استكبارا عن أن يكونوا اتباعا لرجل منهم حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا وهل هذا الا بشر مثلكم فقص عليهم تعالى ذكره قصة ابليس واهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه من أجل أنه خلق من نار وخلق آدم من طين حتى صار شيطانا رجيما وحقت عليه من الله لعنته محذرهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد وتكذيبهم اياه فيما جاءهم به من عند الله حسدا وتعظما من اللعن منه والسخط ما استحقه ابليس بتكبره عن السجود لآدم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون﴾ يقول تعالى ذكره لابليس فاخرج منها يعنى من الجنة فانك رجيم يقول فانك مرجوم بالقول مشتوم ملعون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاخرج منها فانك رجيم قال والرجيم اللعين حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك بمثله وقوله وان عليك لعنتى يقول وان لك طردى من الجنة الى يوم الدين يعنى الى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون يقول تعالى ذكره قال ابليس لربه رب فاذ لعنتنى وأخرجتنى من جنتك فأنظرنى يقول فأخرنى فى الأجل ولا تهلكنى الى يوم يبعثون يقول الى يوم تبعث خلقك من قبورهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لابليس فانك ممن أنظرته الى يوم الوقت المعلوم وذلك الوقت الذى جعله الله أجلا لهلاكه وقد بينت وقت ذلك فيما مضى على اختلاف أهل العلم فيه وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين يقول تعالى ذكره قال ابليس فبعزتك أى بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك

* (سورة الزمر مكية الا ثلاث آيات نزلت فى وحشى بن حرب وأصحابه يا عبادى الذين أسرفوا الى آخرهن حروفها أربعة آلاف وسبعمائة وثمانية وكلمها ألف ومائة وسبعون آياتها ٧٥) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار

خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث
ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون ان تكفروا فان الله غنىّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه
لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم
الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم
تعملون إنه عليم بذات الصدور
واذا مس الانسان ضر دعا ربه
منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى
ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل
لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع
بكفرك قليلا انك من أصحاب النار
أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل
هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب
قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم
للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة
وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب قل انى أمرت
أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت
لأن أكون أول المسلمين قل انى
أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم
عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى
فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان
الخاسرين الذين خسروا أنفسهم
وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو
الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل ذلك
يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون
والذين اجتنبوا الطاغوت أن
يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى
فبشر عباد الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب
أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت
تنقذ من فى النار لكن الذين اتقوا
ربهم لهم غرف من فوقها غرف
مبنية تجرى من تحتها الانهار وعد الله
لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه يعنى
مصفرا ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم

لأغوينهم أجمعين يقول لأضلنّ بنى آدم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين يقول الا من أخلصته
منهم لعبادتك وعصمته من اضلالى فلم تجعل لى عليه سبيلا فانى لا أقدر على اضلاله واغوائه
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين قال علم
عدو الله أنه ليست له عزة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فالحق والحق أقول لأملأنّ
جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ اختلفت
القراء فى قراءة قوله قال فالحق والحق أقول فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع الحق
الأول ونصب الثانى وفى رفع الحق الأول اذا قرئ كذلك وجهان أحدهما رفعه بضمير لله الحق
أو أنا الحق وأقول الحق والثانى أن يكون مرفوعا بتأويل قوله لأملأنّ فيكون معنى الكلام
حينئذ فالحق أن أملأ جهنم منك كما يقول عزمة صادقة لآتينك فرفع عزمة بتأويل لآتينك لأن
تأويله أن آتيك كما قال ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه فلا بد لقوله بدا لهم من مرفوع
وهو مضمر فى المعنى وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين بنصب
الحق الأول والثانى كليهما بمعنى حقا لأملأنّ جهنم والحق أقول ثم أدخلت الألف واللام عليه
وهو منصوب لأن دخولهما اذا كان كذلك معنى الكلام وخروجهما منه سواء كما سواء قولهم
حمدا لله والحمد لله عندهم اذا نصب وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الاغراء بمعنى الزموا الحق
واتبعوا الحق والأول أشبه لأنه خطاب من الله لابليس بما هو فاعل به وبتباعه * وأولى الأقوال
فى ذلك عندى بالصواب أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار فبأيتهما قرأ
القارئ فمصيب لصحة معنييهما وأما الحق الثانى فلا اختلاف فى نصبه بين قراء الامصار كلهم
بمعنى وأقول الحق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد فى قوله فالحق والحق أقول يقول الله أنا الحق
والحق أقول وحدثت عن ابن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد فالحق والحق أقول يقول الله
الحق منى وأقول الحق حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون
قال ثنا أبان بن تغلب عن طلحة اليامى عن مجاهد أنه قرأها فالحق بالرفع والحق أقول نصبا
وقال يقول الله أنا الحق والحق أقول حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن
السدى فى قوله الحق والحق أقول قال قسم أقسم الله به وقوله لأملأنّ جهنم منك يقول لابليس
لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك من بنى آدم أجمعين وقوله قل ما أسألكم عليه من أجر يقول تعالى
ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك القائلين لك أأنزل عليه الذكر من بيننا
ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذى أتيتكم به من عند الله أجرا يعنى ثوابا وجزاء وما أنا من
المتكلفين يقول وما أنا ممن يتكلف تخرصه وافتراءه فتقولوا ان هذا الا افك افتراه وان هذا إلا
اختلاق كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل ما أسألكم عليه من
اجر وما أنا من المتكلفين قال لا أسألكم على القرآن أجرا تعطونى شيأ وما أنا من المتكلفين أتخرص
وأتكلف ما لم يأمرنى الله به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمنّ نبأه
بعد حين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين من قومك ان هو

يعنى ما هذا القرآن الا تذكير يقول الا تذكير من الله للعالمين من الجن والانس ذكرهم ربهم ارادة استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة وقوله ولتعلمن نبأه بعد حين يقول ولتعلمن أيها المشركون بالله من قريش نبأه يعنى نبأ هذا القرآن وهو خبره يعنى حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين * وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولتعلمن نبأه قال صدق هذا الحديث نبأ ما كذبوا به وقيل نبأه حقيقة أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبى ثم اختلفوا فى مدة الحين الذى ذكره الله فى هذا الموضع ما هى وما نهايتها فقال بعضهم نهايتها الموت ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتعلمن نبأه بعد حين أى بعد الموت وقال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين وقال بعضهم كانت نهايتها الى يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولتعلمن نبأه بعد حين قال يوم بدر وقال بعضهم يوم القيامة وقال بعضهم نهايتها القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولتعلمن نبأه بعد حين قال يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة وقرأ لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون قال وهذا أيضا الآخرة يستقر فيها الحق ويبطل الباطل * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حد منه لذلك الحين بحد وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا الى ظهور حقيقته ووضوح صحته فى الدنيا ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر وقبل ذلك ولا حد عند العرب للحين لا يجاوز ولا يقصر عنه فاذ كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب قال قال عكرمة سئلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا الى حين فقلت ان من الحين حينا لا يدرك ومن الحين حين يدرك فالحين الذى لا يدرك قوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحين الذى يدرك قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها وذلك من حين تصرم النخلة الى حين تطلع وذلك ستة أشهر

آخر تفسير سورة ص

﴿ تفسير سورة الزمر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيل الكتاب الذى نزلناه عليك يا محمد من الله العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره خلقه لا من غيره فلا

يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾

القراآت يرضه بالاشباع ابن كثير وعلى والمفضل وعباس واسماعيل وابن ذكوان وخلف يرضه باختلاس ضمة الهاء يزيد وسهل ويعقوب ونافع وعاصم غير يحيى وحماد والمفضل وحمزة وهشام وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون يرضه بسكون الهاء ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الباقون بالضم أمن هو بتخفيف الميم نافع وابن كثير وحمزة وأبو زيد يا عبادى الذين بفتح الياء الشمونى والبرجمى والوقف بالياء انى أمرت فبشر عبادى بفتح ياء المتكلم فيهما شجاع وأبو شعيب وعباس والشمونى والبرجمى والوقف بالياء انى أخاف بالفتح أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو سالما بالالف ابن كثير وأبو عمرو والآخرون بفتح السين واللام من غير ألف ۞ الوقوف الحكيم ه له الدين ه ط الخالص ط أولياء ه التقدير يقولون ولو وصل لأوهم أن ما نعبدهم اخبار من الله قاله السجاوندى وعندى أن هذا وهم بعيد والاولى أن لا يوقف لئلا يفصل بين المبتدأ

وخبره زلفى ج لاحتمال أن خبر المبتدا هو ما بعده يختلفون ه ط كفار ه مايشاء ز لتعجيل التنزيه سبحانه ط القهار ه ز بالحق ج
لاحتمال كون ما بعده حالا والاستئناف أفضل والقمر ط مسمى ط الغفار ه أزواج ط ثلاث ط الملك ط

تكونن فى شك من ذلك و رفع قوله تنزيل بقوله من الله وتأويل الكلام من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب وجائز رفعه باضمار هذا كما قيل سورة أنزلناها غير أن الرفع فى قوله تنزيل الكتاب بما بعده أحسن من رفع سورة بما بعدها لان تنزيل وان كان فعلا فانه الى المعرفة أقرب اذ كان مضافا الى معرفة فحسن رفعه بما بعده وليس ذلك بالحسن فى سورة لأنه نكرة وقوله انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا أنزلنا اليك يا محمد الكتاب يعنى بالكتاب القرآن بالحق يعنى بالعدل يقول أنزلنا اليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصا له الدين لأن الدين له لا للاوثان التى لا تملك ضرا ولا نفعا * و بنحو الذى قلنا فى معنى قوله الكتاب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق يعنى القرآن وقوله فاعبد الله مخلصا له الدين يقول تعالى ذكره فاخشع لله يا محمد بالطاعة وأخلص له الألوهة وأفرده بالعبادة ولا تجعل له فى عبادتك اياه شريكا كما فعلت عبدة الأوثان * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفى صحيفته أمثال الجبال من الحسنات فيقول رب العزة جل وعز صليت يوم كذا وكذا ليقال صلى فلان أنا الله لا اله الا أنا لى الدين الخالص صمت يوم كذا وكذا ليقال صام فلان أنا الله لا اله الا أنا لى الدين الخالص تصدقت يوم كذا وكذا ليقال تصدق فلان أنا الله لا اله الا أنا لى الدين الخالص فما يزال يمحو شيأ بعد شئ حتى تبقى صحيفته ما فيها شئ فيقول ملكاه يا فلان ألغير الله كنت تعمل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله مخلصا له الدين فالتوحيد والدين منصوب بوقوع مخلصا عليه وقوله ألا لله الدين الخالص يقول تعالى ذكره ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له خالصة لا شرك لأحد معه فيها فلا ينبغى ذلك لأحد لأن كل ما دونه ملكه وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيأ و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألا لله الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وقوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول تعالى ذكره والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم و يعبدونهم من دون الله يقولون لهم ما نعبدكم أيها الآلهة الا لتقربونا الى الله زلفى قربة ومنزلة وتشفعوا لنا عنده فى حاجاتنا وهى فيما ذكر فى قراءة أبى ما نعبدكم وفى قراءة عبد الله قالوا ما نعبدهم وانما حسن ذلك لأن الحكاية اذا كانت بالقول مضمرا كان أو ظاهرا جعل الغائب أحيانا كالمخاطب و يترك أخرى كالغائب وقد بينت ذلك فى موضعه فيما مضى حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال هى فى قراءة عبد الله قالوا ما نعبدهم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال قريش تقوله للاوثان ومن قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى بن مريم ولعزير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قالوا ما نعبد هؤلاء الا ليقربونا الا ليشفعوا لنا عند الله حدثنا

تصرفون ه الكفر ج لعطف جملتى الشرط مع وقوع العارض لكم ط أخرى ط لأن ثم لترتيب الاخبار تعملون ه الصدور ه سبيله ط قليلا ز ص والاولى الوصل أو التقدير فانك النار ه رحمة ربه ط لا يعلمون ه الألباب ه ربكم ط حسنة ط واسعة ط حساب ه له الدين ه ط المسلمين ه عظيم ه دينى ه لا دونه ط يوم القيامة ط المبين ه ومن تحتهم ظلل ط عباده ط فاتقون ه البشرى ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب عباد ه لا احسنه ط الالباب ه العذاب ه فى النار ه ج للآية مع الاستدراك مبنية لا لأن ما بعده وصف الأنهار ط وعد الله ط الميعاد ه حطاما ط الالباب ه من ربه ط لحذف جواب الاستفهام من ذكر الله ط مبين ه ربهم ج لان الجملة ليست من صفة الكتاب مع العطف ذكر الله ط من يشاء ط هاد ه يوم القيامة ط لحق الحذف كما مر تكسبون ه لا يشعرون ه الدنيا ج للام الابتداء مع العطف أكبر ه يعلمون ه يتذكرون ه ج لاحتمال كون قرآنا نصبا على المدح أو على الحال المؤكدة كما يجىء يتقون ه متشاكسون ه لرجل ط مثلا ط الله ج للاضراب مع اتفاق الجملتين لا يعلمون ه ميتون ه تختصمون ه

التفسير (تنزيل الكتاب) مبتدأ وخبره (من الله) وقيل أصله هذا تنزيل الكتاب والجار صلة والاولى أقوى لان الاضمار خلاف الاصل ولأنه يلزم مجاز آخر وهو كون التنزيل بمعنى المنزل فان هذا اشارة الى القرآن أو الى جزء منه وهو هذه السورة وفيه ابطال ما يقوله المشركون من ان محمدا يقوله

محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى قال هى منزلة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى ٣ وقوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى قال قالوا هم شفعاؤنا عند الله وهم الذين يقربونا الى الله زلفى يوم القيامة للاوثان والزلفى القرب وقوله ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا فى الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون فى الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها بأن يصليهم جميعا جهنم إلا من أخلص الدين لله فوحده ولم يشرك به شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله لايهدى من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله لايهدى الى الحق ودينه الاسلام والاقرار بوحدانيته فيوفقه له من هو كاذب مفتر على الله يتقول عليه الباطل و يضيف اليه ماليس من صفته و يزعم أن له ولدا افتراء عليه كفار لنعمه جحود لربوبيته وقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا يقول تعالى ذكره لو شاء الله اتخاذ ولد ولا ينبغى له ذلك لاصطفى مما يخلق مايشاء يقول لاختار من خلقه مايشاء وقوله سبحانه هو الله الواحد القهار يقول تنزيها لله عن أن يكون له ولد وعما أضاف اليه المشركون به من شركهم هو الله يقول هو الذى يعبده كل شئ ولو كان له ولد لم يكن له عبدا يقول فالاشياء كلها له ملك فأنى يكون له ولد وهو الواحد الذى لاشريك له فى ملكه وسلطانه والقهار لخلقه بقدرته فكل شئ له متذلل ومن سطوته خاشع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ﴾ يقول تعالى ذكره واصفا نفسه بصفتها خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل يقول يغشى هذا على هذا وهذا على هذا كما قال يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل يقول يحمل الليل على النهار حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يكور الليل على النهار قال يدهوره حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل قال يغشى هذا هذا و يغشى هذا هذا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل قال يجىء بالنهار و يذهب بالليل و يجىء بالليل و يذهب بالنهار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل حين يذهب بالليل و يكور النهار عليه و يذهب بالنهار و يكور الليل عليه وقوله وسخر الشمس والقمر يقول تعالى ذكره وسخر الشمس والقمر لعباده ليعلموا بذلك عدد

به المرسل اليهم وفى قوله (الحكيم) اشارة الى أنه مشتمل على الفوائد الدينية والدنيوية لاعلى العبث والباطل وقوله (انا أنزلنا اليك) ليس تكرارا من وجهين أحدهما أن التنزيل للتدريج والانزال دفعى كما مر مرارا والثانى أن الاول كعنوان الكتاب والثانى يقرر مافى الكتاب وقوله (بالحق) يعنى أن كل ما أودعنا فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكاليف فهو حق وصدق مؤيد بالبرهان العقلى وهو مطابقته للعقول الصحيحة و بالدليل الحسى وهو أن الفصحاء عجزوا عن معارضته ثم اشتغل ببيان بعض مافيه من الحق وهو الاقبال على عبادته بالاخلاص والالتفات عما سواه بالكلية أما الاول فهو قوله (فاعبد الله) أى أنت أو أمتك (مخلصا له الدين) وآية الاخلاص أن يكون الداعى الى العبادة هو مجرد الامر لا طلب مرغوب أو هرب مكروه وأما الثانى فذلك قوله (ألا لله الدين الخالص) أى واجب اختصاصه بالطاعة من غير أن يشوب ذلك دعاء أو شرك ظاهر وخفى وخصصه قتادة فقال الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وحين حث على التوحيد والاخلاص ذم طريقة الشرك والتقليد فقال (والذين اتخذوا) الضمير للشركين ولكن الموصول يحتمل أن يكون عبارة عن المشركين والخبر ما أضمر من القول أو قوله ان الله يحكم بينهم والقول المضمر حال أو بدل فلا يكون له محل كالمبدل وأن يكون عبارة عن الشركاء والخبر ان الله يحكم بينهم والقول المضمر للحال أو بدل وتقدير الكلام على الاول والمشركون الذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون مانعبدهم الاليقربونا أو المشركون الذين اتخذوا من دونه أولياء قائلين أو يقولون مانعبدهم

السنين والحساب ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم كل يجرى لأجل مسمى يقول كل ذلك يعنى الشمس والقمر يجرى لأجل مسمى يعنى الى قيام الساعة وذلك الى أن تكوّر الشمس وتنكدر النجوم وقيل معنى ذلك أن لكل واحد منهما منازل لا تعدوه ولا تقصر دونه ألا هو العزيز الغفار يقول تعالى ذكره ألا ان الله الذى فعل هذه الافعال وأنعم على خلقه هذه النعم هو العزيز فى انتقامه ممن عاداه الغفار لذنوب عباده التائبين اليه منها بعفوه لهم عنها ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون﴾ يقول تعالى ذكره خلقكم أيها الناس من نفس واحدة يعنى من آدم ثم جعل منها زوجها يقول ثم جعل من آدم زوجه حوّاء وذلك أن الله خلقها من ضلع من أضلاعه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم ثم خلق منها زوجها حواء خلقها من ضلع من أضلاعه فان قال قائل وكيف قيل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانما خلق ولد آدم من آدم وزوجته ولا شك أن الوالدين قبل الولد فان فى ذلك أقوالا أحدها أن يقال قيل ذلك لأنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج كل نسمة هى كائنة الى يوم القيامة ثم أسكنه بعد ذلك الجنة وخلق بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه فهذا قول والآخر أن العرب ربما أخبر الرجل منهم عن رجل بفعلين فيرد الأول منهما فى المعنى بثم اذا كان من خبر المتكلم كما يقال قد بلغنى ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس أعجب فذلك نسق من خبر المتكلم والوجه الآخر أن يكون خلقه الزوج مردودا على واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدها ثم جعل منها زوجها فيكون فى واحدة معنى خلقها وحدها كما قال الراجز

أعددته للخصم ذى التعدى * كوّحته منك بدون الجهد

بمعنى الذى اذا تعدى كوّحته ومعنى كوّحته غلبته والقول الذى يقوله أهل العلم أولى بالصواب وهو القول الأول الذى ذكرت أنه يقال ان الله أخرج ذرية آدم من صلبه قبل أن يخلق حواء وبذلك جاءت الرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والقولان الآخران على مذاهب أهل العربية وقوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يقول تعالى ذكره وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الابل زوجين ومن البقر زوجين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين كما قال جل ثناؤه ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من الأنعام ثمانية أزواج قال من الابل والبقر والضأن والمعز حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين من كل واحد زوج حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأنزل لكم من الانعام

وتقريبهم الى الله أما الملائكة وعيسى فظاهر وأما الاصنام فلانهم اعتقدوا أنها تماثيل الكواكب والارواح السماوية أو الصالحين ومعنى حكم الله بينهم أنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم مع الاصنام النار واختلافهم أن الملائكة وعيسى موحدون وهم مشركون والاصنام يكفرون يوم القيامة بشركهم وهم يرجون نفعهم وشفاعتهم ويجوز أن يرجع الضمير فى بينهم الى الفريقين المؤمن والمشرك ولا يخفى ما فى الآية من التهديد ثم سجل عليهم بالخذلان والحرمان فقال (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) فكذبهم هو زعمهم شفاعة الأصنام وكفرانهم أنهم تركوا عبادة المنعم الحق وأقبلوا على عبادة من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ومن جملة كذبهم قولهم الملائكة بنات الله فلذلك نعبدصورها فاحتج على ابطال معتقدهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) وهو الأفضل يعنى البنين لا الأنقص وهن البنات وقال جار الله معناه لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما شاء من خلقه وهم الملائكة لأن اتخاذ الولد ممتنع وفيه توبيخ لهم على أنهم حسبوا الاصطفاء اتخاذ الأولاد بل البنات وأقول انه تعالى أراد ابطال قولهم بطريق برهان وهو صورة قياس استثنائى كقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى لأجل الاتخاذ مما يخلق ما يشاء لكنه ما اصطفى ينتج أنه لم يرد أما الشرطية فظاهرة بعد تسليم كمال قدرته وأما الثانية فاشار اليها بقوله (سبحانه هو الله الواحد القهار) فقوله سبحانه اشارة الى استحالة اصطفائه شيأ لأجل اتخاذ الولد وقوله هو الله الواحد القهار اشارة الى البرهان

الأنعام ثمانيـة أزواج يعني من المعز اثنين ومن الضأن اثنين ومن البقر اثنين ومن الابل اثنين وقوله يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعـد خلق يقول تعـالى ذكره يبتدئ خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق وذلك أنه يحدث فيها نطفة ثم يجعلها علقة ثم مضـغة ثم عظاما ثم يكسو العظام لحما ثم ينشئه خلقا آخر تبارك الله و تعالى فذلك خلقه اياه خلقا بعد خلق كما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبـد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك عن عكرمة يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال نطفة ثم علقة ثم مضغة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهـد قوله خلقا من بعد خلق قال نطفة ثم ما يتبعها حتى تم خلقه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعـد خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما ثم أنبت الشـعر أطوار الخلق حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة في قوله يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال يعني يخلق بعد الخلق علقة ثم مضغة ثم عظاما حدثنا محمد قال ثنا أحمـد قال ثنا أسـباط عن السـدي في قوله يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعـد خلق قال يكونون نطفا ثم يكونون علقا ثم يكونون مضغا ثم يكونون عظاما ثم ينفخ فيهم الروح حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله في بطون أمهاتكم خلقا من بعـد خلق خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة * وقال آخرون بل معنى ذلك يخلقكم في بطون أمهاتكم من بعـد خلقـه اياكم في ظهر آدم قالوا فـذلك هو الخلق من بعـد الخلق ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يخلقكم في بطون أمهاتـكم خلقا من بعـد خلق قال خلقا في البطون من بعـد الخلق الأول الذي خلقهم في ظهر آدم * وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي قاله عكرمة ومجاهد ومن قال في ذلك مثـل قولهما لأن الله جل وعز أخبر أنه يخلقنا خلقا من بعد خلق في بطون أمهاتنا في ظلمات ثلاث ولم يخـبر أنه يخلقنا في بطون أمهاتنا من بعـد خلقنا في ظهر آدم وذلك نحو قوله ولقد خلقنا الانسان من سـلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقـة الآية وقوله في ظلمات ثلاث يعني في ظلمـة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمـة في ظلمات ثلاث قال الظلمات الثـلاث البطن والرحم والمشـيمة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك عن عكرمة في ظلمات ثلاث قال البطن والمشيمة والرحم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في ظلمات ثلاث قال يعني بالظلمات الثلاث بطن أمه والرحم والمشـيمة حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهـد قوله في ظلمات ثلاث قال البطن والرحم والمشيمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة في ظلمات ثلاث المشيمة والرحم والبطن حدثنا محمد قال ثنا أحـمد قال ثنا أسـباط عن السـدي في ظلمات ثلاث قال ظلمة المشيمة

وكل ذلك ينـافي الوجوب الذاتي والاسـتغناء المطلق الثاني أنه هو الواحد الحقيقي كما مر ذكره مرارا والولد انما يحصل من جزء من أجزاء الوالد ومن شرطه أن يكون مماثلا لوالده في تمام الماهية حـتى تكون حقيقة الوالد حقيقة نوعية محمولة على شخصـين و يكون تعين كل منهما معلوما لسبب منفصل وكل ذلك ينافي التعين الذاتي والوحدة المطلقة وأيضا ان حصول الولد من الزوج يتوقف على الزوجة عادة وهي لابد أن تكون من جنس الزوج فلا يكون الزوج مما ينحصر نوعه في شخصه الثالث أنه هو القهار والمحتاج الى الولد هو الذي يموت فيقوم الولد مقامه والميت مقهور لا قاهر فثبت بهـذه الدلائل أنه تعالى ما اصطفى شيأ الا ان يتخذه ولدا فصـح أنه لم يرد ذلك ونفي ارادة الاتخاذ أبلغ من نفي الاتخاذ فقد يراد ولا يتخذ لـمانع كعجزه ونحوه هـذا ما وصـل اليه فهمي في تفسير هذه الآية والله تعالى أعلم بأسرار كلامه وحين طعن في الهية الأصنام عدد الصفات التي بها يستدل على الالهية الحقـة وهي أصناف أولها قوله (خلق السموات والارض بالحق) اى متلبسا بالغـاية الصحيحة وقد مر مرارا الثاني (يكور الليل على النهار) والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسـه وكورها وفي التشبيه أوجه منها أن الليـل والنهار متعاقبان اذا غشي أحدهما مكان الآخر فكأنما ألبسه ولف عليه ومنها أنه شبه كل منهما اذا غيب صاحبه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن الأبصار ومنها أن كلا منهما يكر على الآخر كرورا متتابعا كتتابع أكوار العمامة وقيل أراد أنه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الآخر من قوله صـلى الله عليه وسـلم نعوذ بالله من الحور بعد الكور

وظلمة الرحم وظلمة البطن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله في ظلمات ثلاث قال المشيمة في الرحم والرحم في البطن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله في ظلمات ثلاث الرحم والمشيمة والبطن والمشيمة التي تكون على الولد اذا خرج وهي من الدواب السلى وقوله ذلكم الله ربكم يقول تعالى ذكره هذا الذي فعل هذه الافعال أيها الناس هو ربكم لا من لا يجلب لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ولا يسوق اليكم خيرا ولا يدفع عنكم سوأ من أوثانكم وآلهتكم وقوله له الملك يقول جل وعز له ربكم أيها الناس الذي صفته ما وصف لكم وقدرته ما بين لكم الملك ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا لغيره فأما ملوك الدنيا فانما يملك أحدهم شيأ دون شيء فانما له خاص من الملك وأما الملك التام الذي هو الملك بالاطلاق فلله الواحد القهار وقوله لا اله الا هو فأنى تصرفون يقول تعالى ذكره لا ينبغي أن يكون معبود سواه ولا تصلح العبادة الا له فأنى تصرفون يقول تعالى ذكره فأنى تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم الذي هذه الصفة صفته الى عبادة من لا ضر عنده لكم ولا نفع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأنى تصرفون قال كقوله تؤفكون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فأنى تصرفون قال للمشركين أنى تصرف عقولكم عن هذا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر فقال بعضهم ذلك لخاص من الناس ومعناه ان تكفروا أيها المشركون بالله فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر يعني الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم فيقولوا لا اله الا الله ثم قال ولا يرضى لعباده الكفر وهم عباده المخلصون الذين قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فألزمهم شهادة أن لا اله الا الله وحببها اليهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ولا يرضى لعباده الكفر قال لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا * وقال آخرون بل ذلك عام لجميع الناس ومعناه أيها الناس ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لكم أن تكفروا به والصواب من القول في ذلك ما قال الله جل وعز ان تكفروا بالله أيها الكفار به فان الله غني عن ايمانكم وعبادتكم اياه ولا يرضى لعباده الكفر بمعنى ولا يرضى لعباده أن يكفروا به كما يقال لست أحب الظلم وان أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب وقوله وان تشكروا يرضه لكم يقول وان تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شكركم له وذلك هو ايمانهم به وطاعتهم اياه فكنى عن الشكر ولم يذكر وانما ذكر الفعل الدال عليه وذلك نظير قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا بمعنى فزادهم قول الناس لهم ذلك ايمانا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط

اى من الادبار بعد الاقبال الثالث قوله (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) وقد مر مثله في فاطر وغيره وحيث كان الأجل المسمى شاملا للقيامة عقبه بقوله (ألا هو العزيز الغفار) وفيه ترهيب مع ترغيب الرابع والخامس قوله (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) وهما آيتان أولهما تشعيب الخلق الفائت للحصر من نفس آدم والثانية خلق حواء من ضلعه ومعنى ثم ترتيب الأخبار لأن الأولى عادة مستمرة دون الثانية اذ لم يخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع وقيل هو متعلق بواحدة في المعنى كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة ثم شفعها الله بزوج منها وقيل انه خلق آدم وأخرج ذريته من ظهره ثم ردهم الى مكانهم ثم خلق بعد ذلك حواء وقيل ثم قد يأتي مع الجملة دالا على التقدم كقوله ثم اهتدى ثم كان من الذين آمنوا وكقوله صلى الله عليه وسلم فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذي هو خير السادس قوله (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) أما الأزواج فهي المذكورة في سورة الأنعام من الضأن اثنين الذكر والأنثى ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وأما وصفها بالانزال فقيل أنزلها من الجنة وقيل أراد انزال ما هو سبب في وجودها وهو المطر الذي به قوام النبات الذي به يعيش الحيوان وقيل أنزل بمعنى قضى وقسم لأن قضاياه وقسمه مكتوبة في اللوح ومن هناك ينزل وفي هذه العبارة نوع فخامة وتعظيم لافادتها معنى الرفعة والاعتلاء ولهذا يقال رفعت القضية الى الأمير وان كان الأمير في سرب وخصت هذه الأزواج بالذكر لكثرة منافعها من اللبن واللحم والجلد والشعر والوبر والركوب والحمل والحرث وغير ذلك السابع قوله (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) والمقصود ذكر تخليق الحيوان على الاطلاق بعد ذكر تخليق الانسان والأنعام

الاأنه غلب أولى العقل لشرفهم ويحتمل أن يكون ذكر الانعام اعتراضا حسن موقعه ذكر الأزواج بعد قوله جعل منها زوجها ليعلم أن كل
حيوان ذو زوج وترتيب التخليق مذكور مرارا كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله أحسن الخالقين

أسباط عن السدى وان تشكروا يرضه لكم قال ان تطيعوا يرضه لكم وقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى يقول لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها ولا تؤاخذ الا باثم نفسها يعلم عز وجل عباده أن على كل نفس ما جنت وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولا تزر وازرة وزر أخرى قال لا يؤخذ أحد بذنب أحد وقوله ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون يقول تعالى ذكره ثم بعد اجتراحكم فى الدنيا ما اجترحتم من صالح وسيء وايمان وكفر أيها الناس الى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم فينبئكم يقول فيخبركم بما كنتم فى الدنيا تعملونه من خير وشر فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم المحسن منكم باحسانه والمسيء بما يستحقه يقول عز وجل لعباده فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم فى الدنيا بما لا يرضاه منكم فتهلكوا فانه لا يخفى عليه عمل عامل منكم وقوله انه عليم بذات الصدور يقول تعالى ذكره ان الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لا تدركه أعينكم فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار وانما يعنى جل وعز بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء وأنه محص على عباده أعمالهم ليجازيهم بها كي يتقوه فى سر أمورهم وعلانيتها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار﴾ يقول تعالى ذكره واذا مس الانسان بلاء فى جسده من مرض أو عاهة أو شدة فى معيشته وجهد وضيق دعا ربه يقول استغاث بربه الذى خلقه من شدة ذلك ورغب اليه فى كشف ما نزل به من شدة ذلك وقوله منيبا اليه يقول تائبا اليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به واشراك الآلهة والأوثان به فى عبادته راجعا الى طاعته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا مس الانسان ضر قال الوجع والبلاء والشدة دعا ربه منيبا اليه قال مستغيثا به وقوله ثم اذا خوله نعمة منه يقول تعالى ذكره ثم اذا منحه ربه نعمة منه يعنى عافية فكشف عنه ضره وأبدله بالسقم صحة وبالشدة الرخاء والعرب تقول لكل من أعطى غيره من مال أو غيره قد خوله ومنه قول أبى النجم العجلى

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

وحدثت عن أبى عبيدة معمر بن المثنى أنه قال سمعت أبا عمرو يقول فى بيت زهير

هنالك ان يستخولوا المال يخولوا * وان يسئلوا يعطوا وان ييسروا يغلوا

قال معمر قال يونس انما سمعناه * هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا * قال وهى بمعناها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ثم اذا خوله نعمة منه اذا أصابته عافية أو خير وقوله نسى ما كان يدعو اليه من قبل يقول ترك دعاءه الذى كان يدعو الى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضر وجعل لله أندادا يعنى شركاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى نسى يقول ترك هذا فى الكافر خاصة ولما التى فى قوله نسى ما كان وجهان أحدهما أن يكون بمعنى الذى ويكون معنى الكلام حينئذ ترك الذى

والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه أفعاله (ربكم له الملك) وقدم اعرابه فى فاطر (لا اله الا هو) اذ لا موصوف بهذه الصفات الا هو (فأنى تصرفون) أى كيف يعدل بكم عن طريق الحق بعد هذا البيان ثم بين أنه غنى عن طاعات المطيعين وأنها لا تفيد الا أنفسهم فقال (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) قالت المعتزلة فى قوله (ولا يرضى لعباده الكفر) دليل على أن الكفر ليس بقضائه والا لكان راضيا به وأجاب الأشاعرة بأنه قد علم من اصطلاح القرآن أن العباد المضاف الى الله أو الى ضميره هم المؤمنون قال وعباد الرحمن الذين يمشون عينا يشرب بها عباد الله فمعنى الآية ولا يرضى لعباده المخلصين الكفر وهذا مما لا نزاع فيه أو نقول سلمنا أن كفر الكافر ليس برضا الله بمعنى أنه لا يمدحه عليه ولا يترك اللوم والاعتراض الا أنا ندعى أنه بارادته وليس فى الآية دليل على ابطاله ثم بين غاية كرمه بقوله (وان تشكروا يرضه لكم) والسبب فى كلا الحكمين ما جاء فى الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى وباقى الآية مذكور مرارا مع وضوحه ثم حكى نهاية ضعف الانسان وتناقض آرائه بقوله (واذا مس) الى آخره وقدم نظيره أيضا وقيل ان الانسان هو الكافر الذى تقدم ذكره وقيل أريد أقوام معينون كعتبة بن ربيعة وغيره

ومعنى خوله أعطاه لا لاستجرار العوض قال جار الله فى حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتخول أصحابه بالموعظة أى يتعهد ويتكفل أحوالهم

ان راى منهم نشاطا فى الوعظ وعظهم والثانى أنه جملة يقول اى يفتخر كما قيل * ان الغنى طويل الذيل مياس * ومعنى نسى ما كان
يدعو اليه نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه أو نسى ربه الذى كان يتضرع اليه فما بمعنى من والمراد أنه نسى

كان يدعوه فى حال الضر الذى كان به يعنى به الله تعالى ذكره فتكون ما موضوعة عند ذلك موضع من كما قيل ولا أنتم عابدون ما أعبد يعنى به الله وكما قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء والثانى أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت واذا كانت بمعنى المصدر كان فى الهاء التى فى قوله اليه وجهان أحدهما أن يكون من ذكر ما والآخر من ذكر الرب وقوله وجعل لله أندادا يقول وجعل لله أمثالا وأشباها ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى جعلوها فيه له أندادا قال بعضهم جعلوها له أندادا فى طاعتهم اياهم فى معاصى الله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وجعل لله أندادا قال الأنداد من الرجال يطيعونهم فى معاصى الله * وقال آخرون عنى بذلك أنه عبد الأوثان فجعلها لله أندادا فى عبادتهم اياها * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى به أنه أطاع الشيطان فى عبادة الاوثان فجعل له الاوثان أندادا لأن ذلك فى سياق عتاب الله اياهم على عبادتها وقوله ليضل عن سبيله يقول ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده والاقرار به والدخول فى الاسلام وقوله قل تمتع بكفرك قليلا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لفاعل ذلك تمتع بكفرك بالله قليلا الى أن تستوفى أجلك فتأتيك منيتك انك من أصحاب النار أى انك من أهل النار الماكثين فيها وقوله تمتع بكفرك وعيد من الله وتهدد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أمن فقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين أمن بتخفيف الميم ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان أحدهما أن يكون الألف فى أمن بمعنى الدعاء يراد بها يا من هو قانت آناء الليل والعرب تنادى بالالف كما تنادى بيا فتقول أزيد أقبل ويا زيد أقبل ومنه قول أوس بن حجر

أبنى لبينى لستم بيد * الا يدا ليست لها عضد

واذا وجهت الالف الى النداء كان معنى الكلام قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا انك من أصحاب النار ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما انك من أهل الجنة ويكون فى النار عما للفريق الكافر عند الله من الجزاء فى الآخرة الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن اذ كان معلوما اختلاف أحوالهما فى الدنيا ومعقولا لأن أحدهما اذا كان من أصحاب النار لكفره بربه أن الآخر من أصحاب الجنة فحذف الخبر عما له اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره اذ كان قد دل على المحذوف بالمذكور والثانى أن تكون الالف التى فى قوله أمن ألف استفهام فيكون معنى الكلام أهذا كالذى جعل لله أندادا ليضل عن سبيله ثم اكتفى بما قد سبق من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه اذ كان مفهوما المراد بالكلام كما قال الشاعر

فأقسم لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

فحذف لدفعناه وهو مرادفى الكلام اذ كان مفهوما عند السامع مراده وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة أمن بتشديد الميم بمعنى أم من هو ويقولون انما هى أمن استفهام اعترض فى الكلام بعد كلام قد مضى فجاء بأم فعلى هذا التأويل يجب أن يكون جواب الاستفهام

أن لا مفزع ولا اله سواه وعاد الى اتخاذ الأنداد مع الله واللام فى ليضل لام العاقبة ثم هدده بقوله (تمتع بكفرك) كقوله اعملوا ما شئتم وفيه أن الكافر لا يتمتع بالدنيا الا قليلا ثم يؤل الى النار ثم أردفه بشرح حال المحقين الذين لا رجوع لهم الا الى الله ولا اعتماد لهم الا على فضله فقال (أمن هو قانت) قال ابن عباس القنوت الطاعة وقال ابن عمر لا أعلم القنوت الا قراءة القرآن وطول القيام والمشهور أنه الدعاء فى الصلاة والقيام بما يجب عليه من الطاعة وعن قتادة (آناء الليل) أوله ووسطه وآخره وفيه تنبيه على فضل قيام الليل ولا يخفى أنه كذلك لبعده عن الرياء ولمزيد الحضور وفراغ الحواس من الشواغل الخارجية ولأن الليل وقت الراحة فالعبادة فيه أشق على النفس فيكون ثوابه أكثر والواو فى قوله (ساجدا وقائما) للجمع بين الصفتين وفى قوله (يحذر الآخرة) أى عذابها (ويرجو رحمة ربه) اشارة الى أن العابد يتقلب بين طورى القهر واللطف ويتردد بين حالى القبض والبسط ولا يخفى أن فى الكلام حذفا فمن قرأ أمن بالتخفيف فالخبر محذوف والمعنى أمن هو مطيع كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وبيان عدم الاستواء بين العالم والجاهل بعده ومن قرأ بالتشديد فالمحذوف جملة استفهامية والمذكور معطوف على المبتدا والمعنى هذا أفضل أمن
هو قانت وقيل الهمزة على قراءة التخفيف للنداء كما تقول فلان لا يصلى ولا يصوم فيا من تصلى وتصوم ابشر وقيل متروكا
المنادى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله (قل هل يستوى الذين يعلمون) الآية قال جار الله أراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم

وهم القانتون فكأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون فيها ثم يفتنون بالدنيا ويجوز أن يراد على وجه التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون قيل نزلت في عمار بن ياسر وأمثاله والظاهر العموم وفي قوله (انما يتذكر أولو الألباب) اشارة الى أن هذا التفاوت العظيم بين العالم والجاهل لا يعرفه الا أرباب العقول كما قيل

انما يعرف ذا الفضـ ـل من الناس ذووه

وقيل لبعض العلماء انكم تزعمون أن العلم أفضل من المال ونحن نرى العلماء مجتمعين على أبواب الملوك دون العكس فأجاب بأن هذا أيضا من فضيلة العلم لأن العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فتركوه وحين بين عدم الاستواء بين من يعلم وبين من لا يعلم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخاطب المؤمنين بأنواع من الكلام النوع الاول (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) قال أهل السنة أمر المؤمنين أن يضموا الى الايمان التقوى وفيه دلالة على أن الايمان يبقى مع المعصية وقالت المعتزلة أمرهم بالتقوى لكيلا يحبطوا ايمانهم بارتكاب الكبائر بل يزيدوا في الايمان حتى يتصفوا بصفة الاتقاء ثم بين للمؤمنين فائدة الاتقاء قائلا (للذين أحسنوا) الآية وقوله (في هذه الدنيا) إما أن يكون صلة لما قبله أو صلة لما بعده وهو قول السدي ومعناه على الاول الذين أحسنوا في هذه الدنيا لهم حسنة في الآخرة وهي الجنة والتنكير للتعظيم أي حسنة لا يصل العقل الى كنهها وعلى الثاني الذين أحسنوا فلهم في هذه الدنيا حسنة قال جار الله فالظرف بيان لمكان الحسنة ويحتمل أن يقال انه نصب على الحال لأنه نعت للنكرة قدم عليها

متروكا من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر وما أعد له في الآخرة ثم أتبع الخبر عن فريق الايمان فعلم بذلك المراد فاستغنى بمعرفة السامع بمعناه من ذكره اذ كان معقولا أن معناه هذا أفضل أم هذا والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان قرأ بكل واحدة علماء من القراء مع صحة كل واحدة منهما في التأويل والاعراب فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد ذكرنا اختلاف المختلفين والصواب من القول عندنا فيما مضى قبل في معنى القانت بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع غير أنا نذكر بعض أقوال أهل التأويل في ذلك في هذا الموضع ليعلم الناظر في الكتاب اتفاق معنى ذلك في هذا الموضع وغيره فكان بعضهم يقول هو في هذا الموضع قراءة القارئ قائما في الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى عن عبيد الله أنه قال أخبرني نافع عن ابن عمر أنه كان اذا سئل عن القنوت قال لا أعلم القنوت الا قراءة القرآن وطول القيام وقرأ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما * وقال آخرون هو الطاعة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أمن هو قانت يعني بالقنوت الطاعة وذلك أنه قال ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون الى كل له قانتون قال مطيعون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما قال القانت المطيع وقوله آناء الليل يعني ساعات الليل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أمن هو قانت آناء الليل أوله وأوسطه وآخره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي آناء الليل قال ساعات الليل وقد مضى بياننا عن معنى الآناء بشواهده وحكاية أقوال أهل التأويل فيها بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ساجدا وقائما يقول يقنت ساجدا أحيانا وأحيانا قائما يعني يطيع والقنوت عندنا الطاعة ولذلك نصب قوله ساجدا وقائما لأن معناه أمن هو يقنت آناء الليل ساجدا طورا وقائما طورا فهما حال من قانت وقوله يحذر الآخرة يقول يحذر عذاب الآخرة كما حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله يحذر الآخرة قال يحذر عقاب الآخرة ويرجو رحمة ربه يقول ويرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة وقوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم ربهم من الثواب وما عليهم في معصيتهم اياه من التبعات والذين لا يعلمون ذلك فهم يخبطون في عشواء لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا ولا يخافون بسيئها شرا يقول ما هذان بمتساويين وقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي في ذلك ما حدثني محمد بن خلف قال ثني نصر بن مزاحم قال ثنا سفيان الجريري عن سعيد بن أبي مجاهد عن جابر عن أبي جعفر رضوان الله عليه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قال نحن الذين يعلمون وعدونا الذين

والقائلون بهذا القول فسروا الحسنة بالصحة والعافية وضم بعضهم اليها الامن والكفاية ورجح الاول بأن هذه الامور قد تحصل للكفار على الوجه الأتم فكيف تجعل جزاء للمؤمن المتقي وقيل هي الثناء الجميل وقيل الظفر والغنيمة وقيل نور القلب وبهاء الوجه وفي قوله (وأرض الله واسعة) اشارة الى أن أسباب التقوى ان لم تتيسر في أرض وجبت الهجرة الى أرض يتيسر ذلك فيها فيكون كقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وعن أبي مسلم هي أرض الجنة لانه حين بين

أن المتقى له الجنة وصف أرض الجنة بالسعة ترغيبا فيها كما قال نتبوأ من الجنة حيث نشاء (انما يوفى الصابرون) على مفارقة الأوطان وتجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وتكاليفه (أجرهم بغير حساب) أى لا يحاسبون أو بغير حصر قال جابر الله عن النبى صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين و يؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين و يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان (١٣٠) و يصب عليهم الاجر صبا ثم تلا الآية وقال حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل النوع الثانى (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) قال مقاتل ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما يحملك على هذا الدين الذى أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فأنزل الله هذه الآية وكأنه اشارة الى الأمر المذكور فى أول السورة فاعبد الله مخلصا له الدين وقوله (وأمرت لأن أكون) ليس بتكرار لان اللام للعلة والمأمور به محذوف يدل عليه ماقبله والمعنى أمرت باخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدارين ٣ فنقول فائدة التكرار أن ذكر التعليل مع نوع تأكيد وقيل اللام بدل من الباء أى أمرت بأن أكون أول من دعا نفسه الى مادعا اليه غيره ليصح الاقتداء بى فى قولى وفعلى ولعل الاخلاص اشارة الى عمل القلب والاسلام الى عمل الجوارح فان النبى صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام فى خبر جبريل بالأعمال الظاهرة وفيه أنه صلى الله عليه وسلم ليس مثل الملوك الجبابرة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلونها بل له سابقة فى كل ما يأمر به و ينهى عنه وحين بين أن الله أمره باخلاص القلب و بأعمال الجوارح وكان الأمر يحتمل الوجوب والندب بين أن ذلك الأمر للوجوب فقال (قل انى أخاف) الآية وذلك أن خوف العقاب لا يترتب الا على ترك الواجب واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره خائفا من العصيان فغيره أولى قيل المراد به أمته وقيل نزلت قبل أن يغفر الله له وقالت الأشاعرة فيه دليل على أن صاحب الكبيرة قد يعفى عنه لأنه بين ان اللازم عند حصول المعصية خوف العقاب لا نفس العقاب النوع الثالث (قل الله أعبد مخلصا له دينى)

لا يعلمون وقوله انما يتذكر أولو الالباب يقول تعالى ذكره إنما يعتبر حجج الله فيتعظ و يتفكر فيها و يتدبرها أهل العقول والحجى لا أهل الجهل والنقص العقول ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لعبادى الذين آمنوا ياعبادى الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصيه للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه للذين أطاعوا الله حسنة فى هذه الدنيا وقال فى من صلة حسنة وجعل معنى الحسنة الصحة والعافية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة قال العافية والصحة ۞ وقال آخرون فى من صلة أحسنوا ومعنى الحسنة الجنة وقوله وأرض الله واسعة يقول تعالى ذكره وأرض الله فسيحة واسعة فهاجروا من أرض الشرك الى دار الاسلام كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأرض الله واسعة فهاجروا واعتزلوا الأوثان وقوله انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب يقول تعالى ذكره انما يعطى الله أهل الصبر على ما لقوا فيه فى الدنيا أجرهم فى الآخرة بغير حساب يقول ثوابهم بغير حساب و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب لا والله ماهنا كم مكيال ولا ميزان حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قال فى الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك ان الله أمرنى أن أعبده مفردا له الطاعة دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد وأمرت لأن أكون أول المسلمين يقول وأمرنى ربى جل ثناؤه بذلك لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم لخضعه بالتوحيد وأخلص له العبادة وبرئ من كل ما دونه من الآلهة وقوله تعالى قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم انى أخاف ان عصيت ربى فيما أمرنى به من عبادته مخلصا له الطاعة ومفرده بالربوبية عذاب يوم عظيم يعنى عذاب يوم القيامة وذلك هو اليوم الذى يعظم هوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك الله أعبد مخلصا مفردا له طاعتى وعبادتى

وليس بتكرار لما قبله وذلك ان الاول للاخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة الخالصة عن الشرك الجلي والخفي وهذا اخبار بأن الذي أمر به فانه قد أتى به على أكمل الوجوه ولهذا أخر الفعل وضم الى مضمونه التهديد بقوله (فاعبدوا ماشئتم من دونه) النوع الرابع (قل ان الخاسرين) الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه هم (الذين خسروا أنفسهم) لوقوعها في هلكة الاخلاد بعذابها (و) خسروا (أهليهم) لان أهلهم وأولادهم ان كانوا في النار فلا فائدة لهم منهم لانهم محجوبون عنهم أولان كلا منهم مشغول بهمه وان كانوا من أهل الجنة فما أبعد ما بينهم وقيل أهلوهم الحور العين في الجنة لو آمنوا قال أهل البيان في قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) تفظيع لشأنهم حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل وعرف الخسران ووصفه بالمبين قلت التحقيق فيه أن للانسان قوتين يستكمل باحداهما علما وبالأخرى عملا والآلة الواسطة في القسم الأول هي العلوم المسماة بالبديهيات وترتيبها على الوجه المؤدي الى النتائج وهو بمنزلة الربح يشبه تصرف التاجر في رأس المال بالبيع والشراء والآلة في القسم العملي هي القوى البدنية وغيرها من الاسباب الخارجية المعينة عليها واستعمال تلك القوى في وجوه أعمال البر التي هي بمنزلة الربح يشبه التجارة فكل من أعطاه الله العقل والصحة والتمكين ثم انه لم يستفد منها معرفة الحق ولا عمل الخير فاذا مات فقد فات ربحه وضاع رأس ماله ووقع في عذاب الجهل وألم البعد عن عالمه والقرب مما يضاده أبد الآباد فلا خسران فوق هذا ولا حرمان أبين منه وقد أشار الى هذا بقوله (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) أي أطباق من النار من ظلل الآخرين فان لجهنم دركات كما أن للجنة درجات وقال المفسرون سمي

لا أجعل له في ذلك شريكا ولكني أفرده بالألوهة وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك اذا لقيتم ربكم وقوله قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم ان الهالكين الذين غبنوا أنفسهم وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم فلم يكن لهم اذ دخلوا النار فيها أهل وقد كان لهم في الدنيا أهلون * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة قال هم الكفار الذين خلقهم الله للنار وخلق النار لهم فزالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة قال الله خسر الدنيا والآخرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة قال هؤلاء أهل النار خسروا أنفسهم في الدنيا وخسروا الأهلين فلم يجدوا في النار أهلا وقد كان لهم في الدنيا أهل حدثت عن ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد قال غبنوا أنفسهم وأهليهم قال يخسرون أهليهم فلا يكون لهم أهل يرجعون اليهم ويخسرون أنفسهم فيهلكون في النار فيموتون وهم أحياء فيخسرونهما وقوله ألا ذلك هو الخسران المبين يقول تعالى ذكره ألا ان خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وذلك هلاكها هو الخسران المبين يقول تعالى ذكره هو الهلاك الذي يبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران

القول في تأويل قوله تعالى ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الخاسرين يوم القيامة في جهنم من فوقهم ظلل من النار وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار ومن تحتهم ظلل يقول ومن تحتهم من النار ما يعلوهم حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللا وذلك نظير قوله جل ثناؤه لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش يغشاهم مما هو تحتهم فيها من المهاد وقوله ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون يقول تعالى ذكره هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب تخويف من ربكم لكم يخوفكم به لتحذروه فتجتنبوا معاصيه وتنيبوا من كفركم الى الايمان به وتصديق رسوله واتباع أمره ونهيه فتنجوا من عذابه في الآخرة فاتقون يقول فاتقون بأداء فرائضي عليكم واجتناب معاصي لتنجوا من عذابي وسخطي وقوله والذين اجتنبوا الطاغوت أي اجتنبوا عبادة كل ما عبد من دون الله من شيء وقد بينا معنى الطاغوت فيما مضى قبل بشواهد ذلك وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وذكرنا أنه في هذا الموضع الشيطان وهو في هذا الموضع وغيره بمعنى واحد عندنا ذكر

النار ظلة بغلظها وكثافتها فصارت محيطة بهم من جميع الجوانب حائلة من النظر الى شيء آخر قلت ان كانوا في كرة النار فوجهه ظاهر ونظيره في الاحوال النفسانية احاطة نار الجهل والحرص وسائر الأخلاق الذميمة بالانسان وقدمر في قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل الظلة ما علا الانسان فسمي ما تحتهم بالظلة اطلاقا لأحد الضدين على الآخر أولأن التحتانية مشابهة للفوقانية في الحرارة والاحراق و (ذلك) العذاب المعد للكفار (يخوف الله به عباده) المؤمنين وقدمر أن العباد في القرآن

اذا كان مضافا الى ضمير الله اختص بأهل الايمان عند اهل السنة وعندى أنه لامانع من التعميم ههنا ثم عقب الوعيد بالوعد قائلا (والذين اجتنبوا الطاغوت) وهو كل ماعبد من دون الله كما مر فى آية الكرسى وقوله (أن يعبدوها) بدل اشتمال منه (وأنابوا الى الله) رجعوا بالكلية الى تحصيل رضاه فالاول تخلية والثانى تحلية وحقيقة الاعراض عما سوى الله والاقبال على الله هى أن يعرف أن كل ماسواه فانه ممكن الوجود لذاته فقير فى نفسه وهو سبحانه (١٣٢) واجب الوجود لذاته غنى على الاطلاق لاحكم الا له ولاتدبير الا به وبأمره

من قال ماذكرنا فى هذا الموضع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والذين اجتنبوا الطاغوت قال الشيطان حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال الشيطان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال الشيطان هو ههنا واحد وهى جماعة والطاغوت على قول ابن زيد هذا واحد مؤنث ولذلك قيل أن يعبدوها وقيل انما أنثت لأنها فى معنى جماعة وقوله وأنابوا الى الله يقول وتابوا الى الله ورجعوا الى الاقرار بتوحيده والعمل بطاعته والبراءة مما سواه من الآلهة والانداد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنابوا الى الله وأقبلوا الى الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله وأنابوا الى الله قال أجابوا اليه وقوله لهم البشرى يقول لهم البشرى فى الدنيا بالجنة فى الآخرة فبشر عبادى الذين يستمعون القول يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فبشر يا محمد عبادى الذين يستمعون القول من القائلين فيتبعون أرشده وأهداه الى الحق وأدله على توحيد الله والعمل بطاعته ويتركون ماسوى ذلك من القول الذى لايدل على رشاد ولايهدى الى سداد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيتبعون أحسنه وأحسنه طاعة الله حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فيتبعون أحسنه قال أحسن مايؤمرون به فيعملون به وقوله أولئك الذين هداهم الله يقول تعالى ذكره الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين هداهم الله يقول وفقهم الله للرشاد واصابة الصواب لا الذين يعرضون عن سماع الحق ويعبدون مالايضر ولاينفع وقوله وأولئك هم أولو الألباب يعنى أولو العقول والحجى وذكر أن هذه الآية نزلت فى رهط معروفين وحدوا الله وبرئوا من عبادة كل مادون الله قبل أن يبعث نبى الله فأنزل الله هذه الآية على نبيه يمدحهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها الآيتين حدثنى أبى أن هاتين الآيتين نزلتا فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا اله الا الله زيد بن عمرو وأبى ذر الغفارى وسلمان الفارسى نزل فيهم والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فى جاهليتهم وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه لا اله الا الله أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولانبى وأولئك هم أولو الألباب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لايخلف الله الميعاد﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله

(لهم البشرى) أى هم مخصوصون بالبشارة المطلقة وهى الخبر الاول الصدق الموجب للسرور بزوال المكاره وحصول الأمانى ووقتها الموت الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وعند دخول الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وعند لقاء الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وسماع هذه البشارات فى الدنيا على ألسنة الرسل لايخرجها عن كونها بشارة فى هذه الأوقات لانها فى الاول عامة للمكلفين مبهمة فيهم ولاتتعين الافى هذه الاحوال وقيل هذه أنواع أخر من السعادات فوق ماعرفوها أوسمعوها نسأل الله الفوز بها قال ابن زيد نزلت فى ثلاثة نفر كانوا يقولون فى الجاهلية لا اله الا الله زيد بن عمرو وأبو ذر الغفارى وسلمان الفارسى وعن ابن عباس أن أبا بكر آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد وسعيد فسألوه فأخبرهم بايمانه فآمنوا فأنزل الله (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) أى من أبى بكر (فيتبعون أحسنه) وهو لا اله الا الله وقال أهل النظم لما بين أن الذين اجتنبوا وأنابوا لهم البشرى وكان ذلك درجة عالية لايصل اليها الا الأقلون جعل الحكم أعم اظهارا للرحمة فقال كل من اختار الأحسن فى كل باب كان من زمرة السعداء أهلا للبشارة وقال جار الله أراد بعباده الذين يستمعون القول الذين اجتنبوا وأنابوا لاغيرهم أى هم الذين ضموا هذه الخصلة الى تلك ولهذا وضع الظاهر فى موضع المضمر وفى الآية دلالة على وجوب النظر والاستدلال وأنه اذا اعترض أمران واجب وندب فالأولى اختيار الواجب وكذا الكلام فى المباح والندب كالقصاص والعفو وكل ماهو أحوط فى الدين مثاله فى الاصول القول بأن للعالم صانعا حيا قديما عليما قادرا متصفا بنعوت الجلال والاكرام أفمن

أفمن حق عليه كلمة العذاب أفمن وجبت عليه كلمة العذاب فى سابق علم ربك يا محمد بكفره به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن حق عليه كلمة العذاب بكفره وقوله أفأنت تنقذ من فى النار يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفأنت تنقذ يا محمد من هو فى النار من حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه فاستغنى بقوله تنقذ من فى النار عن هذا وكان بعض نحويى الكوفة يقول هذا مما يراد به استفهام واحد فيسبق الاستفهام الى غير موضعه فيرد الاستفهام الى موضعه الذى هو له وانما المعنى والله أعلم أفأنت تنقذ من فى النار من حقت عليه كلمة العذاب قال ومثله من غير الاستفهام أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون فردد أنكم مرتين والمعنى والله أعلم أيعدكم أنكم مخرجون اذا متم ومثله قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وكان بعضهم يستخطئ القول الذى حكيناه عن البصريين ويقول لا تكون فى قوله أفأنت تنقذ من فى النار كناية عمن تقدم لا يقال القوم ضربت من قام يقول المعنى التجرئة أفأنت تنقذ من فى النار منهم وانما معنى الكلمة أفأنت تهدى يا محمد من قد سبق له فى علم الله أنه من أهل النار الى الايمان فتنقذه من النار بالايمان لست على ذلك بقادر وقوله لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية يقول تعالى ذكره لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه لهم فى الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالى بعضها فوق بعض تجرى من تحتها الأنهار يقول تعالى ذكره تجرى من تحت أشجار جناتها الأنهار وقوله وعد الله يقول جل ثناؤه وعدنا هذه الغرف التى من فوقها غرف مبنية فى الجنة هؤلاء المتقين لا يخلف الله الميعاد يقول جل ثناؤه والله لا يخلفهم وعده ولكنه يوفى بوعده ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء ماء وهو المطر فسلكه ينابيع فى الأرض يقول فأجراه عيونا فى الأرض واحدها ينبوع وهو ما جاش من الارض وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن الشعبى فى قوله فسلكه ينابيع فى الارض قال كل ندى وماء فى الارض من السماء نزل ﴿ قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن الحسن بن مسلم بن بيان قال ثم أنبت بذلك الماء الذى أنزله من السماء فجعله فى الأرض عيونا زرعا مختلفا ألوانه يعنى أنواعا مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز ونحو ذلك من الأنواع المختلفة ثم يهيج فتراه مصفرا يقول ثم ييبس ذلك الزرع من بعد خضرته يقال للارض اذا يبس ما فيها من الخضر وذوى هاجت الارض وهاج الزرع وقوله فتراه مصفرا يقول فتراه من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر وكذلك الزرع اذا يبس اصفر

وصفات الكمال والتمام أولى وأحوط من انكاره وكذا الاقرار بالبعث والجزاء أحوط من الانكار وفى الفروع الصلاة المشتملة على القراءة والتشهد والتسليم وغيرها من الأركان والابعاض المختلف فيها أجود من الصلاة الفارغة عنها أو عن بعضها وقال العارفون يسمعون من النفس الدعوة الى الشهوات ومن الشيطان قول الباطل والغرور ومن الملك الالهامات ومن الله ورسوله الدعاء الى دار السلام فيقبلون كلام الله ورسوله والخواطر الحسنة دون غيرها وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيستمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الواقفين من يقف على قوله فبشر عبادى و يبتدئ الذين يستمعون وخبره (أولئك الذين هداهم) وهو اشارة الى الفاعل (وأولئك هم أولوا الألباب) اشارة الى أن جواهر نفوسهم قابلة لفيض الهداية بخلاف من لم يكن له قابلية ذلك وهو قوله (أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال جار الله أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه فهى جملة شرطية دخل عليها الهمزة للانكار وكررت الفاء الثانية للجزاء تأكيدا لمعنى الانكار ووضع من فى النار موضع الضمير تصريحا بجزائهم وأما الفاء الأولى فللعطف على محذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق الى آخره وجوز أن يكون الكلام بعد المحذوف جملتين شرطية جزاؤها محذوف أيضا ثم حملية والتقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من فى النار قلت فالكلام على هذا التقدير يشتمل على أربع جمل ثنتان بعد همزتى الانكار محذوفتان والباقيتان ظاهرتان ومن زعم أن الفاء بعد الهمزة لمزيد الانكار لا للعطف فمجموع الآية شرطية كما ذكرنا أو هى مع حملية ثم صرح بجزاء المتقين فقال (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف) وهو كالمقابل لما مر فى وعيد الكفار لهم من فوقهم ظلل ومعنى قوله (مبنية) والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التى على الارض وسويت تسويتها وجعلت متساوية فى أسباب النزاهة من الاشجار والانهار لا مثل أبنية الدنيا فان الفوقانى منها يكون أضعف من التحتانى وأخف والتحتانى قد يجرى من تحتها الانهار وأما الفوقانى فلا يمكن فيها ذلك قال حكماء الاسلام الغرف المبنية بعضها فوق بعض هى العلوم المكتسبة المبنية على الفطريات وأنها تكون فى المتانة واليقين كالعلوم الغريزية البديهية

وحين وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة فيها أراد أن يصف الدنيا بما يقتضى النفرة عنها فقدم لذلك مقدمة يستدل بها على حقية الصانع أيضا فقال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخله فى الارض حال كون ذلك الماء (ينابيع) مثل الدم فى العروق والينابيع جمع ينبوع وهو كل ما يخرج من الارض وقيل هو الموضع الذى يخرج منه الماء كالعيون والآبار فينصب على الظرف وقوله (ثم يخرج) على لفظ المستقبل تصوير لتلك الحالة العجيبة الثانى وهى اخراج النبت المختلف الألوان والأصناف والخواص بسبب الماء المخالط للارض (ثم يهيج) أى يتم جفافه قال الاصمعى لانه اذا تم جفافه جازله أن يثور عن منابته ويذهب (ثم يجعله حطاما) أى فتاتا متكسرا (ان فى ذلك) الذى ذكر من انزال الماء واخراج الزرع بسببه (لذكرى) لتذكيرا وتنبيها على وجود الصانع (لاولى الالباب) وفيه أن الانسان وان طال عمره فلا بدله من الانتهاء الى حالة اصفرار اللون وتحطم الأجزاء والأعضاء بل الى الموت والفناء وانما قال ههنا ثم يجعله حطاما وفى الحديد ثم يكون حطاما لان الفعل هناك مسند الى النبات وهو قوله أعجب الكفار نباته وههنا مسند الى الله من قوله أنزل الى آخره وحين بالغ فى تقرير البيانات الدالة على وجوب الاقبال على طاعة الله والاعراض عن الدنيا الفانية بين أن ذلك البيان لا يكمل الانتفاع به الا اذا شرح الله صدره ونور قلبه فقال (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ولا يخفى ما فى لفظة على من فائدة الاستعلاء والتمكن كما مر فى قوله أولئك على هدى والخبر محذوف كما ذكرنا فى قوله أمن هو قانت يعنى هذا الشخص المنشرح الصدر كمن طبع الله على قلبه يدل عليه ما بعده (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى من أجل سماع القرآن وانما عدى بمن لان قسوة القلب تدل على خلوه من فوائد القرآن ويجوز أن يكون من للتعليل وذلك أن جواهر النفوس مختلفة فبعضها تكون مشرقة بنور الله يزيدها نور القرآن بهاء وضياء وبعضها تكون مظلمة كدرة لا ينعكس نور الذكر اليها ولا تظهر صور الحق فيها كالمرآة الصدئة ثم أكد وصف القرآن وكيفية تأثيره فى النفوس بقوله (الله نزل أحسن الحديث) عن ابن عباس وابن مسعود ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملولة فقالوا له حدثنا فنزلت الآية والحديث كلام يتضمن الخبر عن حال متقدمة

ثم يجعله حطاما والحطام فتات التبن والحشيش يقول ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابسا فتاتا متكسرا وقوله ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب يقول تعالى ذكره ان فى فعل الله ذلك كالذى وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجى يتذكرون به فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذر عليه إحداث ما شاء من الأشياء وانشاء ما أراد من الأجسام والأعراض و إحياء من هلك من خلقه من بعد مماته واعادته من بعد فنائه كهيئته قبل فنائه كالذى فعل بالأرض التى أنزل عليها من بعد موتها الماء فأنبت بها الزرع المختلف الألوان بقدرته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره أفمن فسح الله قلبه لمعرفته والاقرار بوحدانيته والاذعان لربوبيته والخضوع لطاعته فهو على نور من ربه يقول فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين بتنوير الحق فى قلبه فهو لذلك لأمر الله متبع وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه كمن أقسى الله قلبه وأخلاه من ذكره وضيقه عن استماع الحق واتباع الهدى والعمل بالصواب وترك ذكر الذى أقسى الله قلبه وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام اذ ذكر أحد الصنفين وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يعنى كتاب الله هو المؤمن به يأخذ واليه ينتهى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام قال وسع صدره للاسلام والنور الهدى حدثت عن ابن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد أفمن شرح الله صدره للاسلام قال ليس المنشرح صدره مثل القاسى قلبه قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله يقول تعالى ذكره فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت يعنى عن القرآن الذى أنزله تعالى ذكره مذكرا به عباده فلم يؤمن به ولم يصدق بما فيه وقيل من ذكر الله والمعنى عن ذكر الله فوضعت من مكان عن كما يقال فى الكلام اتخمت من طعام أكلته وعن طعام أكلته بمعنى واحد وقوله أولئك فى ضلال مبين يقول تعالى ذكره هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله فى ضلال مبين لمن تأمله وتدبره بفهم أنه فى ضلال عن الحق جائر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ يقول تعالى ذكره الله نزل أحسن الحديث كتابا يعنى به القرآن متشابها يقول يشبه بعضه بعضا لا اختلاف فيه ولا تضاد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى كتابا متشابها قال المتشابه يشبه بعضه بعضا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر

ووصفه بالحدوث من حيث النزول لاينافى قدمه من حيث انه كلام نفسى ووجه كونه أحسن لفظا ومعنى ممالايخفى على ذى طبع فضلا عن ذى لب وقوله (كتابا) بدل من أحسن أوحال موطئة ومعنى (متشابها) أنه يشبه بعضه بعضا فى الاعجاز اللفظى والمعنوى والنظم الانيق والاسلوب العجيب والاشتمال على الغيوب وعلى أصول العلوم كما مر فى أول البقرة فى تفسير قوله وان كنتم فى ريب وقيل هو من قوله وأخر متشابهات فيكون صفة لبعض القرآن وقيل يشبه اللفظ اللفظ والمعنى مختلف وقوله مثانى جمع مثنى

عن سعيد بن جبير فى قوله كتابا متشابها قال يشبه بعضه بعضا و يصدق بعضه بعضا و يدل بعضه على بعض وقوله مثانى يقول تثنى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والاحكام والحجج وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى قال ثنى الله فيه القضاء تكون السورة فيها الآية فى سورة أخرى آية تشبهها وسئل عنها عكرمة (١) حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كتابا متشابها مثانى قال فى القرآن كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثانى قال ثنى الله فيه الفرائض والقضاء والحدود حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله مثانى قال كتاب الله مثانى ثنى فيه الأمر مرارا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله مثانى قال كتاب الله مثانى ثنى فيه الأمر مرارا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله مثانى ثنى فى غير مكان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مثانى مردد ردد موسى فى القرآن وصالح وهود والانبياء فى أمكنة كثيرة وقوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم يقول تعالى ذكره تقشعر من سماعه اذا تلى عليهم جلود الذين يخافون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله يعنى الى العمل بما فى كتاب الله والتصديق به وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن أصحابه سألوه الحديث ذكر الرواية بذلك حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا حكام بن سلم عن أيوب ابن موسى عن عمرو الملائى عن ابن عباس قالوا يارسول الله لوحدثتنا قال فنزلت الله نزل أحسن الحديث حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب بن سيار أبى عبد الرحمن عن عمرو بن قيس قال قالوا يانبى الله فذكر مثله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء يقول تعالى ذكره هذا الذى يصيب هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعرار جلودهم ثم لينها ولين قلوبهم الى ذكر الله من بعد ذلك هدى الله يعنى توفيق الله اياهم ووفقهم له يهدى به من يشاء يقول يهدى تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده وقد يتوجه معنى قوله ذلك هدى الى أن يكون ذلك من ذكر القرآن فيكون معنى الكلام هذا القرآن بيان الله يهدى به من يشاء يوفق للايمان به من يشاء وقوله ومن يضلل الله فماله من هاد يقول تعالى ذكره ومن يخذله الله عن الايمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه فيضله عنه فماله من هاد يقول فماله من موفق له ومسدد يسدده فى اتباعه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون﴾

(١) الذى فى الدر وسئل عنها عكرمة فقال ثنى الله فيه القضاء كتبه مصححه

ومثنى بمعنى مكرر لما ثنى من قصصه وأحكامه ومواعظه أو لانه يثنى فى التلاوة فلا يورث ملالا كقوله ولايخلق على كثرة الرد وقيل المثانى لآى القرآن كالقوافى للشعر وقد مر بعض هذه الاقوال فى مقدمات الكتاب وفى سورة الحجر فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى ومعنى اقشعرار الجلد تقبضه قال جار الله تركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها الراء ليصير رباعيا دالا على معنى زائد وهو تمثيل لشدة الخوف أوحقيقة سببه الخوف قال المفسرون أراد انهم عند سماع آيات العذاب يخافون فتقشعر جلودهم وعند سماع آيات الرحمة والاحسان أوتذكرهم لرأفته وأن رحمته سبقت غضبه تلين جلودهم وقلوبهم ومعنى الى فى قوله (الى ذكر الله) هو أنه ضمن لان معنى سكن واطمأن وقال العارفون اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان راح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا وقال أهل البرهان اذا اعتبر العقل موجودا لاأول له ولا آخر ولاحين ولاجهة وقع فى بادية التحير والهيبة واذا اعتبر الدلائل القاطعة على وجود موجود واجب لذاته واحد فى صفاته وأفعاله اطمأن قلبه اليه قال جار الله انما ذكرت الجلود أولا

وحدها لان الخشية تدل على القلوب لانها محل الخشية فكأنه قيل تقشعر جلودهم بعد خشية قلوبهم ثم اذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم ويحتمل أن يقال المكاشفة فى مقام الرجاء أكمل منها فى مقام الخوف ومحل المكاشفات هو القلب فلذلك اختص ذكر القلب بجانب الرجاء ثم أشار الى الكتاب المذكور بقوله (ذلك هدى الله) كقوله هدى للمتقين ثم بين أن للقاسية قلوبهم حالين أما فى الدنيا فالضلال العام وهو قوله ومن يضلل الله فماله من هاد وأما فى الآخرة فقوله

اختلف أهل التأويل في صفة اتقاء هذا الضال بوجهه سوء العذاب فقال بعضهم هو أن يرمى به في جهنم مكبوبا على وجهه فذلك اتقاؤه اياه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب قال يخر على وجهه في النار يقول هو مثل أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة * وقال آخرون هو أن ينطلق به الى النار مكتوفا ثم يرمى به فيها فأول ما تمس النار وجهه وهذا قول يذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره لضعف سنده وهذا أيضا مما ترك جوابه استغناء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه عنه ومعنى الكلام أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير أم من ينعم في الجنان وقوله وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون يقول ويقال يومئذ للظالمين أنفسهم باكسابهم اياها سخط الله ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله وقوله كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الامم الذين مضوا في الدهور الخالية رسلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول فجاءهم عذاب الله من الموضع الذي لا يشعرون أي لا يعلمون بمجيئه منه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم الهوان في الدنيا والعذاب قبل الآخرة ولم ينظرهم اذ عتوا عن أمر ربهم ولعذاب الآخرة أكبر يقول ولعذاب الله اياهم في الآخرة اذا أدخلهم النار فعذبهم بها أكبر من العذاب الذي عذبهم به في الدنيا لو كانوا يعلمون يقول لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون للامم الخالية تخويفا منا لهم وتحذيرا لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وقوله قرآنا عربيا يقول تعالى ذكره لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل قرآنا عربيا غير ذي عوج يعني ذي لبس كما حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قرآنا عربيا غير ذي عوج غير ذي لبس ونصب قوله قرآنا عربيا على الحال من قوله هذا القرآن لأن القرآن معرفة وقوله قرآنا عربيا نكرة وقوله لعلهم يتقون يقول جعلنا قرآنا عربيا اذ كانوا عربا ليفهموا ما فيه من المواعظ حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسطوته فينيبوا الى عبادته وافراد الألوهة له ويتبرؤا من الأنداد والآلهة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره مثل الله مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى ويطيع جماعة من الشياطين والمؤمن الذي لا يعبد الا الله الواحد يقول تعالى ذكره ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء يقول هو بين جماعة مالكين متشاكسين يعني مختلفين متنازعين

من العذاب فانه يجعل يديه وقاية لوجهه الذي هو أشرف الأعضاء فكأنه قيل لا يقدرون على الاتقاء الا بالوجه والاتقاء بالوجه غير ممكن فلا اتقاء أصلا (وقيل للظالمين) القائلون هم خزنة النار قوله (كذب الذين من قبلهم) تصوير لحال أمثالهم من الامم الخالية بيناهم آمنون اذ أخذهم العذاب والخزي في الدنيا كالمسخ والقتل ونحوهما ثم بين بقوله (ولقد ضربنا) الى آخر الآيتين أن هذه البيانات بلغت في الكمال الى حيث لا مزيد عليه ثم ضرب من أمثال القرآن مثلا لقبح طريقة أهل الشرك وهو رجل من المماليك قد اشترك (فيه شركاء متشاكسون) أي كلهم يسيء خلقه في استخدامه أوهم مختلفون في ذلك يأمره هذا بشيء وينهاه الآخر عن ذلك الشيء بعينه والشكاسة سوء الخلق والاختلاف (ورجلا سالما لرجل) أي خالصا من الشرك ومن قرأ بغير ألف فعلى حذف المضاف أي ذا سلامة وذا خلوص من الشركة وقال جار الله وانما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك قلت لا ريب أن الرجل أصل في كل باب فجعله مضرب المثل أولى نظيره وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ثم استفهم على سبيل الانكار بقوله (هل يستويان مثلا) وهو تمييز أي هل يستوي حالاهما وصفتاهما واقتصر في التمييز على الواحد لقصد الجنس والمراد تجهيل من يجعل المعبود متعددا فليس رضا واحد كطلب رضا جماعة مختلفين وحاصله يرجع الى دليل التمانع كما مر في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال أهل العرفان الشركاء المتشاكسون تجاذب شغل الدنيا وشغل العيال

متنازعين سيئة أخلاقهم من قولهم رجل شكس اذا كان سيئ الخلق وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه و رجلا سلما لرجل يقول ورجلا خلوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله لا يعبد غيره ولا يدين لشئ سواه بالربوبية واختلفت القراء في قراءة قوله ورجلا سلما فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة ورجلا سالما لرجل وتأولوه بمعنى رجلا خالصا لرجل وقد روى ذلك أيضا عن ابن عباس حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن جرير بن حازم عن حميد عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأها سالما لرجل يعني بالالف وقال ليس فيه لأحد شئ وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ورجلا سلما لرجل بمعنى صلحا * والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن السلم مصدر من قول القائل سلم فلان لله سلما بمعنى خلص له خلوصا تقول العرب ربح فلان في تجارته ربحا وربحا وسلم سلما وسلما وسلامة وأن السالم من صفة الرجل وسلم مصدر من ذلك وأما الذي توهمه من رغب عن قراءة ذلك سلما من أن معناه صلحا فلا وجه للصلح في هذا الموضع لان الذي تقدم من صفة الآخر انما تقدم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشئ من الاشياء فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لا شريك له فيه ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله رجلا فيه شركاء متشاكسون و رجلا سالما لرجل قال هذا مثل اله الباطل واله الحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون قال هذا المشرك تتنازعه الشياطين لا يقر به بعضهم لبعض و رجلا سالما لرجل قال هو المؤمن أخلص الدعوة لله والعبادة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الى قوله بل أكثرهم لا يعلمون قال الشركاء المتشاكسون الرجل الذي يعبد آلهة شتى كل قوم يعبدون الها يرضونه و يكفرون بما سواه من الآلهة فضرب الله هذا المثل لهم وضرب لنفسه مثلا يقول رجل سلم لرجل يقول يعبدون الها واحدا لا يختلفون فيه حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون قال مثل لأوثانهم التي كانوا يعبدون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل قال أرأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون كلهم سيئ الخلق ليس منهم واحد الا تلقاه آخذا بطرف من مال لاستخدامه أسواءهم والذي لا يملكه الا واحد فانما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة وجعلوا لها في أعناقهم حقوقا فضربه الله مثلا لهم وللذي يعبده وحده هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وفي قوله ورجلا سالما لرجل يقول ليس معه شرك وقوله هل يستويان مثلا يقول تعالى ذكره هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه منازع اذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه واذا أخطأ صفح له عن خطئه يقول فأي هذين أحسن حالا وأروح جسما وأقل تعبا

وغير ذلك من الاشغال فأين ذلك الرجل ممن ليس له في الدنيا نصيب ولا له في الخلق نسيب وهو عن الآخرة غريب والى الله قريب قوله (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) كما مر في لقمان قوله (انك ميت) وجه النظم أنه سبحانه كأنه قال ان هؤلاء الاقوام ان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم في الدنيا فلا تبال يا محمد بهذا فانك ستموت وهم أيضا يؤلون الى الموت

ونصبا كما حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون يقول من اختلف فيه خير أم من لم يختلف فيه وقوله الحمد لله يقول الشكر الكامل والحمد التام لله وحده دون كل معبود سواه وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول جل ثناؤه وما يستوى هذا المشترك فيه والذى هو منفرد ملكه لواحد بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله وقيل هل يستويان مثلا ولم يقل مثلهن لانهما كلاهما ضربا مثلا واحدا فجرى المثل بالتوحيد كما قال جل ثناؤه وجعلنا ابن مريم وأمه آية اذ كان معناهما واحدا فى الآية والله أعلم

فلو أنهم يتربصون بك الموت فان الموت يعم الكل فلا معنى لشماتة المرء بعدو فاة صاحبه (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) تحتج عليهم بأنك قد بلغت وهم يعتذرون بالاطائل تحته وقد يخاصم الكفار بعضهم بعضا حتى يقال لهم لاتختصموا لدى وقد يقع الاختصام بين أهل الملة فى الدماء والمظالم التى بينهم والله أعلم

(تم الجزء الثالث والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الرابع والعشرون أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون)﴾

تنبيه

وقع بجزء ٢٤ صحيفة ١٠ سطر ٨ (أسرافوا) وهو خطأ وصوابه (أسرفوا)

فهـــــرس

الجـــزء الثـالث والعشرين

من تفســير الامام ابن جرير الطــبرى

﴿ فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير النيسابورى ﴾

الجزء الرابع والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرّض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٨ هجريه



الجزء الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذجاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يا محمد ميت عن قليل وان هؤلاء المكذبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يقول ثم ان جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم ويفصل بين جميعكم بالحق واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم عنى به اختصام المؤمنين والكافرين واختصام المظلوم والظالم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يقول يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدى الضال والضعيف المستكبر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال أهل الاسلام وأهل الكفر حدثنى ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا ابن الدراوردى قال ثنى محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت هذه الآية انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أينكر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم حتى يؤدى الى كل ذى حق حقه * وقال آخرون بل عنى بذلك اختصام أهل الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد عن ابن عمر

﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون

قال

قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ۞ قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين وينجى الله الذين

قال نزلت علينا هذه الآية وما ندرى ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة فقلنا هذا الذى وعدنا ربنا أن نختصم فيه ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابراهيم قال لما نزلت انك ميت وانهم ميتون ثم انكم الآية قالوا ما خصومتنا بيننا ونحن اخوان قال فلما قتل عثمان بن عفان قالوا هذه خصومتنا بيننا حدثت عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال هم أهل القبلة * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال عنى بذلك انك يا محمد ستموت وانكم أيها الناس ستموتون ثم ان جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم مؤمنكم وكافركم ومحقوكم ومبطلوكم وظالموكم ومظلوموكم حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب لان الله عم بقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون خطاب جميع عباده فلم يخصص بذلك منهم بعضا دون بعض فذلك على عمومه على ما عمه الله به وقد تنزل الآية فى معنى ثم يكون داخلا فى حكمها كل ما كان فى معنى ما نزلت به وقوله فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه يقول تعالى ذكره فمن من خلق الله أعظم فرية ممن كذب على الله فادعى أن له ولدا وصاحبة أو أنه حرم ما لم يحرمه من المطاعم وكذب بالصدق اذ جاءه يقول وكذب بكتاب الله اذ أنزله على محمد وابتعثه الله به رسولا وأنكر قول لا اله الا الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكذب بالصدق اذ جاءه أى بالقرآن وقوله أليس فى جهنم مثوى للكافرين يقول تبارك وتعالى أليس فى النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله وامتنع من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه على ما يدعوه اليه مما أتاه به من عند الله من التوحيد وحكم القرآن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ﴾ اختلف أهل التأويل فى الذى جاء بالصدق وصدق به وما ذلك فقال بعضهم الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والصدق الذى جاء به لا اله الا الله والذى صدق به أيضا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذى جاء بالصدق يقول من جاء بلا اله الا الله وصدق به يعنى رسوله * وقال آخرون الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن منصور قال ثنا أحمد بن مصعد المروزى قال ثنا عمر بن ابراهيم بن خالد عن عبد الملك بن عمير عن اسيد بن صفوان عن على رضى الله عنه فى قوله والذى جاء بالصدق قال محمد صلى الله عليه وسلم وصدق به قال أبو بكر رضى الله عنه * وقال آخرون الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والصدق القرآن والمصدقون به المؤمنون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذى جاء بالصدق قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن وصدق به المؤمنون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به المسلمون * وقال آخرون الذى جاء بالصدق جبريل والصدق القرآن الذى جاء به من عند الله وصدق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله والذى جاء بالصدق وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون الذى جاء بالصدق المؤمنون والصدق القرآن وهم المصدقون به ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد

اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولاهم يحزنون الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله (٤) تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ ۞ القراآت عباده على الجمع يزيد وحمزة وعلى وخلف أرادني الله بسكون الياء حمزة كاشفات بالتنوين ضره بالنصب وهكذا ممسكات رحمته أبو عمرو وسهل و يعقوب الباقون بلا اضافة فيهما قضى عليها مجهولا الموت بالرفع حمزة وعلى وخلف ياعبادى الذين أسرفوا بسكون الياء حمزة وعلى وخلف وأبو عمرو وسهل و يعقوب والوقف للجميع بالياء لاغير السيآت

قوله والذى جاء بالصدق وصدق به قال الذين يجيؤن بالقرآن يوم القيامة فيقولون هذا الذى أعطيتمونا فاتبعنا مافيه * قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد والذى جاء بالصدق وصدق به قال هم أهل القرآن يجيؤن به يوم القيامة يقولون هذا الذى اعطيتمونا فاتبعنا مافيه * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره عنى بقوله والذى جاء بالصدق وصدق به كل من دعا الى توحيد الله وتصديق رسوله والعمل بما ابتعث به رسوله صلى الله عليه وسلم من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به وأن يقال الصدق هو القرآن وشهادة أن لا اله الا الله والمصدق به المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائنا من كان من نبى الله وأتباعه وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن قوله تعالى ذكره والذى جاء بالصدق وصدق به عقيب قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذجاءه وذلك ذم من الله للمفترين عليه المكذبين بتنزيله ووحيه الجاحدين وحدانيته فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين وهم الذين دعوهم الى توحيد الله ووصفه بالصفة التى هو بها وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه والذين هم كانوا كذلك يوم نزلت هذه الآية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم القائمون فى كل عصر وزمان بالدعاء الى توحيد الله وحكم كتابه لأن الله تعالى ذكره لم يخص وصفه بهذه الصفة التى فى هذه الآية على أشخاص بأعيانهم ولا على أهل زمان دون غيرهم وانما وصفهم بصفة ثم مدحهم بها وهى المجيء بالصدق والتصديق به فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل فى جملة هذه الآية اذا كان من بنى آدم ومن الدليل على صحة ماقلنا أن ذلك كذلك فى قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به فقد بين ذلك من قراءته أن الذى من قوله والذى جاء بالصدق لم يعن بها واحد بعينه وأنه مراد بها جماع ذلك صفتهم ولكنها أخرجت بلفظ الواحد اذ لم تكن مؤقتة وقد زعم بعض أهل العربية من البصريين أن الذى فى هذا الموضع جعل فى معنى جماعة بمنزلة من ومما يؤيد ماقلنا أيضا قوله أولئك هم المتقون فجعل الخبر عن الذى جماعا لأنها فى معنى جماع وأما الذين قالوا عنى بقوله وصدق به غير الذى جاء بالصدق فقول بعيد من المفهوم لان ذلك لو كان كما قالوا لكان التنزيل والذى جاء بالصدق والذى صدق به أولئك هم المتقون فكانت تكون الذى مكررة مع التصديق ليكون المصدق غير المصدق فأما اذ لم يكرر فان المفهوم من الكلام أن التصديق من صفة الذى جاء بالصدق لاوجه للكلام غير ذلك واذا كان ذلك كذلك وكانت الذى فى معنى الجماع بما قد بينا كان الصواب من القول فى تأويله ما بينا وقوله أولئك هم المتقون يقول جل ثناؤه هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الاوثان والانداد وأداء فرائضه واجتناب معاصيه فخافوا عقابه كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أولئك هم المتقون يقول اتقوا الشرك وقوله لهم مايشاؤن عند ربهم يقول تعالى ذكره لهم عند ربهم يوم القيامة ماتشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم ذلك جزاء المحسنين يقول تعالى ذكره هذا الذى لهم عند ربهم جزاء من أحسن فى الدنيا فأطاع الله فيها وأتمر لأمره وانتهى عمانهاه فيها عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وجزى هؤلاء المحسنين ربهم باحسانهم كى يكفر عنهم أسوأ الذى عملوا فى الدنيا من الاعمال فيما بينهم وبين ربهم بما كان منهم فيها من توبة وانابة مما اجترحوا من

ياحسرتاى بياء بعد الف يزيد الآخرون بالالف وحدها و يحيى الله بالتخفيف روح بمفازاتهم على الجمع حمزة وعلى وخلف وعاصم
غير حفص والمفضل تأمرونى بتشديد النون وفتح الياء ابن كثير تأمرونني بنونين (٥) وسكون الياء ابن عامر تأمرونى بنون واحدة

السيآت فيها و يجزيهم أجرهم يقول ويثيبهم ثوابهم بأحسن الذى كانوا فى الدنيا يعملون مما يرضى الله
عنهم دون أسوئها كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والذى جاء بالصدق
وصدق به أولئك هم المتقون ألهم ذنوب أى رب نعم لهم فيها ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين
ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا و يجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون وقرأ انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى أن بلغ ومغفرة لئلا ييئس من لهم الذنوب أن لا يكونوا منهم
ورزق كريم وقرأ ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أليس الله
بكاف عبده و يخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل
أليس الله بعزيز ذى انتقام﴾ اختلفت القراء فى قراءة أليس الله بكاف عبده فقرأ ذلك بعض قراء
المدينة وعامة قراء الكوفة أليس الله بكاف عباده على الجماع بمعنى أليس الله بكاف محمدا وأنبياءه
من قبله ما خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء
الكوفة بكاف عبده على التوحيد بمعنى أليس الله بكاف عبده محمدا * والصواب من القول فى ذلك
أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنييهما واستفاضة
القراءة بهما فى قرأة الامصار و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أليس الله بكاف عبده يقول محمد صلى الله
عليه وسلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أليس الله بكاف عبده
قال بلى والله ليكفينه الله و يعزه وينصره كما وعده وقوله و يخوفونك بالذين من دونه يقول تعالى
ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم و يخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الاوثان
والآلهة أن تصيبك بسوء ببراءتك منها وعيبك لها والله كافيك ذلك و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة و يخوفونك
بالذين من دونه الآلهة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى شعب (١) بسقام
ليكسر العزى فقال سادنها وهو قيمها يا خالد أنا أحذركها ان لها شدة لا يقوم اليها شئ فمشى اليها خالد
بالفأس فهشم أنفها حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى و يخوفونك بالذين
من دونه يقول بآلهتهم التى كانوا يعبدون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
فى قوله و يخوفونك بالذين من دونه قال يخوفونك بآلهتهم التى من دونه وقوله ومن يضلل الله فماله
من هاد يقول تعالى ذكره ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق وسبيل الرشد فماله سواه من
مرشد ومسدد الى طريق الحق وموفق للايمان بالله وتصديق رسوله والعمل بطاعته ومن يهد الله
فماله من مضل يقول ومن يوفقه الله للايمان به والعمل بكتابه فماله من مضل يقول فماله من مزيغ
يزيغه عن الحق الذى هو عليه الى الارتداد الى الكفر أليس الله بعزيز ذى انتقام يقول جل ثناؤه
أليس الله يا محمد بعزيز فى انتقامه من كفرة خلقه ذى انتقام من أعدائه الجاحدين وحدانيته
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم
ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات
رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن
سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الاوثان والاصنام من خلق السموات والارض ليقولن

(١) سقام كغراب واد بالحجاز حمته قريش للعزى يضاهؤن به حرم الكعبة اهـ من معجم ياقوت

وفتح الياء أبو جعفر ونافع الباقون
بتشديد النون وسكون الياء
لنحبطن بالنون من الاحباط عملك
بالنصب يزيد الآخرون على الغيبة
وفتح العين عملك بالرفع وسيق
بضم السين وكسر الياء ابن عامر
وعلى ورويس فتحت بالتخفيف
حمزة وعلى وخلف وعاصم غير
المفضل فى الحرفين ۞ الوقوف
اذ جاءه ط للكافرين ٥ المتقون ٥
عند ربهم ط المحسنين ٥ ج
لاحتمال تعلق اللام بمحذوف كما يجيء
يعملون ٥ عبده ط من دونه ط
من هاد ٥ ج مضل ط انتقام ٥
ليقولن الله ط رحمته ط حسبى
الله ط المتوكلون ٥ عامل ج
لابتداء التهديد مع فاء التعقيب
تعلمون ٥ لا مقيم ٥ بالحق ج
لاختلاف الجملتين فلنفسه ج
عليها ج للابتداء بالنفى مع العطف
بوكيل ٥ ج فى منامها ج مسمى
ط يتفكرون ٥ شفعاء ط يعقلون
٥ جميعا ط والارض ط بناء على
أن ثم لترتيب الاخبار ترجعون ٥
بالآخرة ط ج فصلا بين الجملتين
مع اتفاقهما نظما يستبشرون ٥
يختلفون ٥ القيامة ط يحتسبون
٥ يستهزؤن ٥ دعانا ز فصلا
بين تناقض الحالين مع اتفاق
الجملتين منا لا لأن ما بعده جواب
على علم ط لا يعلمون ٥
يكسبون ٥ ما كسبوا الاولى ط
ما كسبوا الثانية لا لان الواو
للحال بمعجزين ٥ ويقدر ط
يؤمنون ٥ رحمة الله ط جميعا ط
الرحيم ٥ لا تنصرون ٥ لا تشعرون ٥ لا الساخرين ٥ لا المتقين ٥ لا المحسنين ٥ الكافرين ٥ مسودة ط للمتكبرين ٥
بمفازتهم ز لاحتمال الاستئناف والحال أوجه يحزنون ٥ كل شئ ز للفصل بين الوصفين تعظيما مع اتفاق الجملتين وكيل ٥

والارض ط الخاسرون ه الجاهلون ه من قبلك ج لحق القسم المحذوف الخاسرين ه الشاكرين ه بيمينه ط يشركون ه من شاء الله ج بيانا للتراخي (٦) النفخة الثانية عن الاولى مع اتفاق الجملتين ينظرون ه لا يظلمون ه يفعلون ه

الذى خلقهن الله فاذا قالوا ذلك فقل أفرأيتم أيها القوم هذا الذى تعبدون من دون الله من الاصنام والآلهة ان أرادنى الله بضر يقول بشدة فى معيشتى هل هن كاشفات عنى ما يصيبنى به ربى من الضر أو أرادنى برحمة يقول ان أرادنى ربى ان يصيبنى سعة فى معيشتى وكثرة مالى ورخاء وعافية فى بدنى هل هن ممسكات عنى ما أراد أن يصيبنى به من تلك الرحمة وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك ودلالة ما ظهر من الكلام عليه والمعنى فانهم سيقولون لا فقل حسبى الله مما سواه من الاشياء كلها اياه أعبد واليه أفزع فى أمورى دون كل شئ سواه فانه الكافى وبيده الضر والنفع لا الى الاصنام والاوثان التى لا تضر ولا تنفع عليه يتوكل المتوكلون يقول على الله يتوكل من هو متوكل وبه فليثق لا بغيره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله حتى بلغ كاشفات ضره يعنى الاصنام أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته واختلفت القراء فى قراءة كاشفات ضره وممسكات رحمته فقرأه بعضهم بالاضافة وخفض الضر والرحمة وقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء البصرة بالتنوين ونصب الضر والرحمة * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وهو نظير قوله كيد الكافرين فى حال الاضافة والتنوين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك الذين اتخذوا الاوثان والاصنام آلهة يعبدونها من دون الله اعملوا أيها القوم على تمكنكم من العمل الذى تعملون ومنازلكم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على مكانتكم قال على ناحيتكم انى عامل كذلك على تؤدة على عمل من سلف من أنبياء الله قبلى فسوف تعلمون اذا جاءكم بأس الله من المحق منا من المبطل والرشيد من الغوى وقوله من يأتيه عذاب يقول تعالى ذكره من يأتيه عذاب يخزيه ما أتاه من ذلك العذاب يعنى يذله ويهينه ويحل عليه عذاب مقيم يقول وينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانا للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه يقول فمن عمل بما فى الكتاب الذى أنزلناه اليك واتبعه فلنفسه يقول فانما عمل بذلك لنفسه واياها بغى الخير لا غيرها لانه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة والنجاة من النار ومن ضل يقول ومن جار عن الكتاب الذى أنزلناه اليك والبيان الذى بيناه لك فضل عن قصد المحجة وزال عن سواء السبيل فانما يجور على نفسه واليها يسوق العطب والهلاك لانه يكسبها سخط الله وأليم عقابه والخزى الدائم وما أنت عليهم بوكيل يقول تعالى ذكره وما أنت يا محمد على من أرسلتك اليه من الناس برقيب ترقب أعمالهم وتحفظ عليهم أفعالهم انما أنت رسول وانما عليك البلاغ وعلينا الحساب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أنت عليهم بوكيل أى بحفيظ حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وما أنت عليهم بوكيل قال بحفيظ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها

زمرا ط هذا ط الكافرين ه فيها ج المتكبرين ه زمرا ط خالدين ه نشاء ج العاملين ه ربهم ج لان الماضى لا ينعطف على المستقبل ولاحتمال جعله حالا وقد قضى بين الزمرين العالمين ه ۞ التفسير لما ضرب لعبدة الاصنام مثلا أشار الى نوع آخر من قبائح أفعالهم وهو أنهم يضمون على كذبهم على الله باضافة الشريك والولد اليه تكذيبهم بالصدق يعنى الأمر الذى هو الصدق بعينه أى القرآن ومعنى (اذجاءه) أنه لم يراع طريقة أهل الانصاف والتدبر لكنه لما سمع به فاجأه بالتكذيب واللام فى قوله (للكافرين) لهؤلاء المعهودين الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق قال جار الله ويحتمل أن يكون للعموم فيشملهم وغيرهم من الكفرة وحين بين وعيدهم عقبه بوعد الصادقين المصدقين وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل الرسول وأبو بكر والتعميم أولى لقوله (أولئك هم المتقون) قوله (ليكفر) ظاهره تعلقه بيشاؤن فتكون لام العاقبة ويحتمل تعلقه بمحذوف اى جزاؤهم وا كرامهم لاجل ذلك قال جار الله الأسوأ ههنا ليس للتفضيل وانما هو كقولهم الأشج أعدل بنى مروان وفائدة صيغة التفضيل استعظامهم المعصية حتى ان الصغائر عندهم أسوأ أعمالهم وقال بعض المفسرين أراد به الكفر السابق الذى يمحوه الايمان واستدل مقاتل وكان شيخ المرجئة بهذه الآية فانها تدل على أن من صدق الانبياء فانه تعالى يكفر عنه أسوأ الاعمال التى أتى بها بعد الايمان والوصف بالتقوى وفيه نظر ثم انهم كانوا يخوفون المؤمنين والنبى صلى الله عليه وسلم برفض آلهتهم وتحقيرها وروى أنه بعث خالدا الى العزى

فيمسك

لیكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد ان لها شدة فعمد خالد اليها فهشم أنفها فأنزل الله تعالى (أليس الله بكاف عبده) أى نبيه بدليل قوله (ويخوفونك) ومن قرأ على الجمع فهى للعموم والآيات الى قوله بوكيل (٧) ظاهرة مع أنها تعلم مما سبق ذكرها مرارا

فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن الدلالة على أن الالوهة لله الواحد القهار خالصة دون كل ماسواه أنه يميت ويحيى و يفعل مايشاء ولا يقدر على ذلك شئ سواه فجعل ذلك خبرا نبههم به على عظيم قدرته فقال الله يتوفى الانفس حين موتها فيقبضها عند فناء أجلها وانقضاء مدة حياتها و يتوفى أيضا التى لم تمت فى منامها كما التى ماتت عند مماتها فيمسك التى قضى عليها الموت ذكر أن أرواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فيتعارف ماشاء الله منها فاذا أراد جميعها الرجوع الى أجسادها أمسك الله أرواح الاموات عنده وحبسها وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع الى أجسادها الى أجل مسمى وذلك الى انقضاء مدة حياتها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها الآية قال يجمع بين أرواح الاحياء وأرواح الاموات فيتعارف منها ماشاء الله أن يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجسادها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها قال تقبض الارواح عند نيام النائم فتقبض روحه فى منامه فتلتقى الارواح بعضها بعضا أرواح الموتى وأرواح النيام فتلتقى فتساءل قال فيخلى عن أرواح الاحياء فترجع الى أجسادها وتريد الأخرى أن ترجع فيحبس التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى قال الى بقية آجالها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها قال فالنوم وفاة فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى التى لم يقبضها الى أجل مسمى وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان فى قبض الله نفس النائم والميت وارساله بعد نفس هذا ترجع الى جسمها وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر وبيانا له أن الله يحيى من يشاء من خلقه اذا شاء ويميت من شاء اذا شاء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ﴾ يقول تعالى ذكره أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التى يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله فى حاجاتهم وقوله قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا ولا يعقلون شيأ قل لهم ان تكونوا تعبدونها لذلك وتشفع لكم عند الله فأخلصوا عبادتكم لله وأفردوه بالالوهة فان الشفاعة جميعا له لا يشفع عنده الا من أذن له ورضى له قولا وأنتم متى أخلصتم له العبادة فدعوتموه شفعكم له ملك السموات والارض يقول له سلطان السموات والارض وملكها وما تعبدون أيها المشركون من دونه ملك له يقول فاعبدوا الملك لا المملوك الذى لا يملك شيأ ثم اليه ترجعون يقول ثم الى الله مصيركم وهو معاقبكم على اشراككم به ان متم على شرككم ومعنى الكلام لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض فاعبدوا المالك الذى له ملك السموات والارض الذى يقدر على نفعكم فى الدنيا وعلى ضركم فيها وعند مرجعكم اليه بعد مماتكم فانكم اليه ترجعون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم اتخذوا من دون الله شفعاء الآلهة قل أولو كانوا لا يملكون شيأ الشفاعة

والعذاب الخزى عذاب يوم بدر والعذاب المقيم العذاب الدائم فى الآخرة ومدار هذه الآى على تسلية النبى صلى الله عليه وسلم ثم أكد كون الهداية والضلال من الله تعالى بقوله (الله يتوفى الانفس) وذلك أن الحياة واليقظة تشبه الهداية والموت والنوم يضاهى الضلال فكما أن الحياة والموت واليقظة والنوم لا يحصلان الا بتخليق الله وتكوينه فكذلك الهداية والضلال والعارف بهذه الدقيقة عارف بسر الله فى القدر ومن عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب ففيه تسلية أخرى للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل فى وجه النظم انه تعالى أراد أن يذكر حجة أخرى على اثبات الاله العليم القدير ليعلم أنه أحق بالعبادة من كل ما سواه فضلا عن الاصنام ومعنى الآية أن الله تعالى يتوفى الأنفس حين موتها قال جار الله أراد بالأنفس الجملة كما هى لانها هى التى تنام وتموت (و) يتوفى الانفس (التى لم تمت فى منامها) أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل والحاصل أنه يتوفى الانفس مرتين مرة عند موتها ومرة عند نومها فتكون فى متعلقة بيتوفى والتوفى مستعمل فى الاول حقيقة وفى الثانى مجازا ولم يجوزه كثير من أئمة الاصول وقال الفراء فى متعلقة بالموت وتقديره و يتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها عند انقضاء حياتها ثم بين الفرق بين الحالين بقوله (فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) من غير غلط وقال حكماء الاسلام النفس الانسانية جوهر مشرق نورانى اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه فى جميع الاعضاء ظاهرها وباطنها

وهوالحياة واليقظة وأمافي وقت النوم فانضوءه لايقع الاعلى باطن البدن وينقطع عن ظاهره فتبقى نفس الحياة التي بها النفس وعمل القوى البدنية في الباطن ويفنى مابه التمييز (٨) والعقل واذا انقطع هذا الضوء بالكلية عن البدن فهو الموت ومثل هذا التدبير العجيب لايمكن صدوره الامن القدير الخبير الذى لاشريك له في ملكه ولانظير ولهذا ختم الآية بقوله (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ثم كان للمشرك أن يقول انما نعبد الاصنام لانها تماثيل أشخاص كانوا عندالله مقربين فنحن نرجو شفاعتهم فأنكر الله عليهم بقوله (أم اتخذوا من دون الله) أي من دون اذنه (شفعاء) وأم بمعنى بل والهمزة الانكارية وتقرير الانكار أن هؤلاء الكفار اما أن يطمعوا في شفاعة تلك التماثيل واما في شفاعة من هذه التماثيل تماثيلهم والاول باطل لان هذه الاصنام جمادات لاتملك شيأ ولاتعقل وأشار الى هذا المعنى بقوله (قل أولو كانوا) يعني أيشفعون ولو كانوا بحيث (لايملكون شيأ ولايعقلون) والثاني أيضا مستحيل لان يوم القيامة لايشفع أحد الا باذن الله وهو المراد بقوله (قل لله الشفاعة) وانتصب (جميعا) على الحال ولو كان تأكيدا للشفاعة لقيل جمعاء وحين قرر أنه لاشفاعة لاحد الا باذن الله برهن على ذلك بقوله (له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) يوم القيامة ولاملك في ذلك اليوم الا له ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أفعال المشركين فقال (واذا ذكر الله وحده) أى منفردا ذكره عن ذكر آلهتهم (اشمأزت) أى نفرت وانقبضت منه (قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) سواء ذكر الله معهم أولم يذكر (اذاهم يستبشرون) أى فاجأوقت ذكر آلهتهم وقت استبشارهم وفي الآية طباق ومقابلة لان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى يظهر أثره في بشرته والاشمئزاز أن يمتلئ غما ذلك

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قل لله الشفاعة جميعا قال لايشفع عنده أحد الا باذنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى {واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون} يقول تعالى ذكره واذا أفرد الله جل ثناؤه بالذكر فدعى وحده وقيل لا اله الا الله اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات وعني بقوله اشمأزت نفرت من توحيد الله واذا ذكر الذين من دونه يقول واذا ذكر الآلهة التي يدعونها من دون الله مع الله فقيل تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى اذا الذين لايؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة أي نفرت قلوبهم واستكبرت واذا ذكر الذين من دونه الآلهة اذاهم يستبشرون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اشمأزت قال انقبضت قال وذلك يوم قرأ عليهم النجم عند باب الكعبة حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله اشمأزت قال نفرت واذا ذكر الذين من دونه أوثانهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى {قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يامحمد الله خالق السموات والارض عالم الغيب والشهادة الذى لاتراه الأبصار ولاتحسه العيون والشهادة الذى تشهده أبصار خلقه وتراه أعينهم أنت تحكم بين عبادك فتفصل بينهم بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون من القول فيك وفي عظمتك وسلطانك وغير ذلك من اختلافهم بينهم فتقضي يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين الذين اذا ذكرت وحدك اشمأزت قلوبهم واذا ذكر من دونك استبشروا بالحق وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى في قوله فاطر السموات والارض فاطر قال خالق وفي قوله عالم الغيب قال ماغاب عن العباد فهو يعلمه والشهادة ماعرف العباد وشهدوا فهو يعلمه ۞ القول في تأويل قوله تعالى {ولو أن للذين ظلموا مافي الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون} يقول تعالى ذكره ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة وهم الذين ظلموا أنفسهم مافي الارض جميعا في الدنيا من أموال وما يتهاوز بينها ومثله معه مضاعفا فقبل ذلك منهم عوضا من أنفسهم لفدوا بذلك كله أنفسهم عوضا منها لينجوا من سوء عذاب الله الذى هو معذبهم به يومئذ وبدا لهم من الله يقول وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه الذى كان أعده لهم مالم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعده لهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى {وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن} يقول تعالى ذكره وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة سيآت ما كسبوا من الاعمال في الدنيا اذ أعطوا كتبهم بشمائلهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ووجب عليهم حينئذ فلزمهم عذاب الله الذى كان نبي الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم فكانوا به يسخرون انكارا أن يصيبهم

ذلك أو ينالهم تكذيبا منهم به وأحاط ذلك بهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فاذا أصاب الانسان بؤس وشدة دعانا مستغيثا بنا من جهة ما أصابه من الضر ثم اذا خولناه نعمة منا يقول ثم اذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضر بأن أبدلناه بالضر رخاء وسعة وبالسقم صحة وعافية فقال انما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في المعيشة والصحة في البدن والعافية على علم عندي يعني على علم من الله بأني له أهل لشرفي ورضاه بعملي عندي يعني فيما عندي كما يقال أنت محسن في هذا الامر عندي أي فيما أظن وأحسب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم اذا خولناه نعمة منا حتى بلغ على علم عندي أي على خير عندي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اذا خولناه نعمة منا قال أعطيناه وقوله أوتيته على علم أي على شرف أعطانيه وقوله بل هي فتنة يقول تعالى ذكره بل عطيتنا اياهم تلك النعمة من بعد الضر الذي كانوا فيه فتنة لهم يعني بلاء ابتليناهم به واختبار اختبرناهم به ولكن أكثرهم لجهلهم وسوء رأيهم لا يعلمون لأي سبب أعطوا ذلك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل هي فتنة أي بلاء

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ يقول تعالى ذكره قد قال هذه المقالة يعني قولهم لنعمة الله التي خولهم وهم مشركون أوتيناه على علم عندنا الذين من قبلهم يعني الذين من قبل مشركي قريش من الامم الخالية لرسلها تكذيبا منهم لهم واستهزاء بهم وقوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزائهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال وذلك عبادتهم الاوثان يقول لم تنفعهم خدمتهم اياها ولم تشفع آلهتهم لهم عند الله حينئذ ولكنها أسلمتهم وتبرأت منهم وقوله فأصابهم سيآت ما كسبوا يقول فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الامم الخالية وبال سيآت ما كسبوا من الاعمال فعوجلوا بالخزي في دار الدنيا وذلك كقارون الذي قال حين وعظ انما أوتيته على علم عندي فخسف الله به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين يقول الله جل ثناؤه والذين ظلموا من هؤلاء يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا بالله يا محمد من قومك وظلموا أنفسهم وقالوا هذه المقالة سيصيبهم أيضا وبال سيآت ما كسبوا كما أصاب الذين من قبلهم بقيلهموها وما هم بمعجزين يقول وما يفوتون ربهم ولا يسبقونه هربا في الارض من عذابه اذا نزل بهم ولكنه يصيبهم سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ففعل الله ذلك بهم فأحل بهم خزيه في عاجل الدنيا فقتلهم بالسيف يوم بدر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قد قالها الذين من قبلهم الامم الماضية والذين ظلموا من هؤلاء قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولم يعلموا أن الله يبسط

وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه وذلك لاحتباس الروح الحيواني في القلب وقيل معنى الآية أنه اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم وفي بعض التفاسير أن هذا اشارة الى ما روى أنه (٩) صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة النجم وسوس الشيطان اليه بقوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فاستبشر المشركون وسجدوا ولما حكى عنهم هذا الجهل الغليظ والحمق الشديد وهو الاشمئزاز عن ذكر من ذكره رأس السعادات وعنوان الخيرات والاستبشار بذكر أخس الاشياء وهي الجمادات أمر رسوله بهذا الدعاء (اللهم فاطر السموات والارض) وهو وصفه بالقدرة التامة (عالم الغيب والشهادة) وهو نعته بالعلم الكامل وانما قدم وصفه بالقدرة على وصفه بالعلم لان العلم بكونه قادرا متقدم على العلم بكونه عالما كما بين في أصول الدين وقد أشرنا الى ذلك فيما سلف (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) يعني أن نفرتهم عن التوحيد وفرحهم بالشرك أمر معلوم الفساد ببديهة العقل فلا حيلة في ازالته الا باستعانة القدير العليم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح صلاته بالليل فيقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك لتهدي الى صراط مستقيم وعن الربيع ابن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين عليه السلام وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية ٭ وروى أنه قال على اثره قتل من كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه في فيه ثم ذكر وعيدهم على ذلك المذهب الباطل بقوله (ولو أن للذين ظلموا) أي بالشرك وقد مر نظير الآية مرارا أولها في

الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره أولم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم فقالوا انما أوتيناه على علم منا أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله دون كل من سواه يبسط الرزق لمن يشاء فيوسعه عليه ويقدر ذلك على من يشاء من عباده فيضيقه وأن ذلك من حجج الله على عباده ليعتبروا به ويتذكروا ويعلموا أن الرغبة اليه والرهبة دون الآلهة والانداد ان في ذلك لآيات يقول ان في بسط الله الرزق لمن يشاء وتقتيره على من أراد لآيات يعني دلالات وعلامات لقوم يؤمنون يعني يصدقون بالحق فيقرون به اذا تبينوه وعلموا حقيقته أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم﴾ اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عني بها قوم من أهل الشرك قالوا لما دعوا الى الايمان بالله كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا وقتلنا النفس التي حرم الله والله يعد فاعل ذلك النار فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الايمان فنزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وذلك أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أنه من عبد الأوثان ودعا مع الله الها آخر وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا الآلهة وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل الشرك فأنزل الله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله يقول لا تيأسوا من رحمتي ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له وانما يعاتب الله أولي الالباب وانما الحلال والحرام لأهل الايمان فاياهم عاتب واياهم أمر ان أسرف أحدهم على نفسه أن لا يقنط من رحمة الله وأن ينيب ولا يبطئ بالتوبة من ذلك الاسراف والذنب الذي عمل وقد ذكر الله في سورة آل عمران المؤمنين حين سألوا الله المغفرة فقالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا فينبغي أن يعلم أنهم قد كانوا يصيبون الاسراف فأمرهم بالتوبة من اسرافهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الذين أسرفوا على أنفسهم قال قتل النفس في الجاهلية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت هذه الآيات الثلاث بالمدينة في وحشي وأصحابه يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر قال قال زيد بن أسلم في قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال انما هي للمشركين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم حتى بلغ الذنوب جميعا قال ذكر لنا أن ناسا أصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية فلما جاء الاسلام أشفقوا أن لا يتاب عليهم فدعاهم الله بهذه الآية يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم قال هؤلاء المشركون من أهل مكة قالوا كيف نجيبك وأنت تزعم أنه من زنى أو قتل أو أشرك بالرحمن كان هالكا من أهل النار فكل هذه الاعمال

آل عمران وفيه قوله (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) نظير قوله في أهل الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات يروى أن محمد بن المنكدر جزع عند موته فقيل له في ذلك فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم يكن في حسباني وعن سفيان الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ثم صرح بما أبهم قائلا (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) وما موصولة أو مصدرية أي ظهرت لهم سيئات أعمالهم التي اكتسبوها أو سيئات كسبهم وذلك عند عرض الصحائف أو غير ذلك من المواقف وجوز أهل البيان أن يراد بالسيئات جزاء افعالهم كقوله وجزاء سيئة سيئة وانما قال في الجاثية سيئات ما عملوا لمناسبة ألفاظ العمل وههنا قد وقع من ألفاظ الكسب ثم حكى نوعا آخر من قبيح أعمالهم قائلا (فاذا مس الانسان) وقد مر مثله في مواضع أقربها أول السورة الا أنه ذكر ههنا بفاء التعقيب لان هذا مناقض لما حكى عنهم عن قريب وهو أنهم يشمئزون عن ذكر الله وحده فكيف التجؤا اليه وحده عند ضر يصيبهم ومعنى (أوتيته على علم) أوتيته على علم الله بكوني مستحقا لذلك أو على علم عندي صار سببا لهذه المزية ككسب وصنعة ونحو ذلك ولا شك أن هذا نوع من الغرور فلهذا قال سبحانه (بل هي فتنة) بلاء واختبار يتميز بها الشاكر عن الكافر ذكر الضمير أولا بتأويل المخول وأنثه ثانيا بتأويل النقمة ثم أشار بقوله (قد قالها) أي مجموع الكلمة التي صدرت عنهم و (الذين من قبلهم) هم قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الامم الخالية قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) قد من الاموال أو من المعاصي وأشار بقوله (هؤلاء) الى أهل مكة أصابهم قتل في يوم بدر وغيره وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط

لهم فطروا سبع سنين فقيل لهم أولم يعلموا أن الباسط والقابض هو الله وحده وذلك أن انتهاء الحوادث المتسلسلة يجب أن يكون الى ارادته ومشيئته ولا ينافى هذا توسيط عالم الاسباب وأن يكون للكواكب كلها تأثيرات (١١) فى عالمنا هذا باذن مبدعها وفاطرها وقول الشاعر

فلا السعد يقضى به المشترى
ولا النحس يقضى علينا زحل
ولكنه حكم رب السماء
وقاضى القضاة تعالى وجل

كلام من غير تبين واستبصار بسر القدر والذى يشكك به الامام فخر الدين الرازى من أنه قد يولد انسانان فى طالع واحد ثم يصير أحدهما فى غاية السعادة والآخر فى غاية الشقاوة كلام غير محقق لانا لو سلمنا وقوع ذلك فلا اختلاف القابل وليس تأثير العامل السماوى فى طالع ولد السلطان مثله فى طالع ولد الحمامى وكذا اختلافات أخر لا نهاية لها نعم لو ادعى عسر ادراك جميع الجزئيات فلا نزاع فى ذلك الا ان المتفع بما ينتفع به عليه أن يقنع بما يصل اليه فهمه فلكل شئ حد وفوق كل ذى علم عليم وحين أطنب فى الوعيد أردفه ببيان كمال رحمته ومغفرته فقال (يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) عن ابن عباس أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الاوثان وقتل النفس التى حرم الله لن يغفر له ونحن قد عبدنا الاوثان وقتلنا الانفس فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عمر نزلت فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين أسلموا ثم عذبوا فارتدوا فنزلت فيهم وكان عمر كاتبا فكتبها الى عياش والوليد والى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت بالمدينة فى وحشى وقد سبق ثم ان قلنا العباد عام فالاسراف على النفس يعم الشرك ولا نزاع أن عدم اليأس من الرحمة يكون مشروطا بالتوبة والايمان وان قلنا العباد المضاف فى عرف القرآن مختص بالمؤمنين فالاسراف اما بالصغائر ولا خلاف فى أنها مكفرة ما اجتنبت الكبائر واما بالكبائر وحينئذ يبقى النزاع بين

قد عملناها فأنزلت فيهم هذه الآية يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال كان قوم مسخوطين فى أهل الجاهلية فلما بعث الله نبيه قالوا لو أتينا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنا به واتبعناه فقال بعضهم لبعض كيف يقبلكم الله ورسوله فى دينه فقالوا ألا نبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فلما بعثوا نزل القرآن قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقرأ حتى بلغ فأكون من المحسنين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الشعبى قال تجالس شتير بن شكل ومسروق فقال شتير إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدقك واما أن أحدث فتصدقنى فقال مسروق لا بل حدث فأصدقك فقال سمعت ابن مسعود يقول ان أكبر آية فرجا فى القرآن يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال مسروق صدقت ❊ وقال آخرون بل عنى بذلك أهل الاسلام وقالوا تأويل الكلام ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء قالوا وهى كذلك فى مصحف عبد الله وقالوا انما نزلت هذه الآية فى قوم صدهم المشركون عن الهجرة وفتنوهم فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا يحيى بن سعيد الاموى عن ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال قال يعنى عمر كنا نقول ما لمن افتتن من توبة وكانوا يقولون ما الله بقابل منا شيأ تركنا الاسلام ببلاء أصابنا بعد معرفته فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال عمر فكتبتها بيدى ثم بعثت بها الى هشام بن العاص قال هشام فلما جاءتنى جعلت أقرؤها ولا أفهمها فوقع فى نفسى أنها أنزلت فينا لما كنا نقول فجلست على بعيرى ثم لحقت بالمدينة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال انما أنزلت هذه الآيات فى عياش ابن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا كنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوه فنزلت هؤلاء الآيات وكان عمر بن الخطاب كاتبا قال فكتبها بيده ثم بعث بها الى عياش بن أبى ربيعة والوليد ابن الوليد والى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا يونس عن ابن سيرين قال قال على رضى الله عنه أى آية فى القرآن أوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحوها فقال على ما فى القرآن آية أوسع من يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى آخر الآية **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سعيد الازدى عن أبى الكنود قال دخل عبد الله المسجد فاذا قاص يذكر النار والأغلال قال فجاء حتى قام على رأسه فقال يا مذكر أتقنط الناس يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن القرظى أنه قال فى هذه الآية يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال هى للناس أجمعين **حدثنى** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج قال ثنا ابن لهيعة عن أبى قنبل قال سمعت أبا عبد الرحمن المزنى يقول ثنى أبو عبد الرحمن الجلانى أنه سمع ثوبان مولى رسول الله صلى الله

الفريقين فالمعتزلة شرطوا التوبة والاشاعرة العفو وقد مر مرارا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يارسول الله ومن أشرك فسكت (١٢) ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات رواه فى الكشاف وعلى هذا يكون

عليه وسلم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فقال رجل يارسول الله ومن أشرك فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا ومن أشرك ألا ومن أشرك ثلاث مرات * وقال آخرون نزل ذلك فى قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ذكر من قال ذلك حدثنى ابن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال ثنا أبو معاذ الخراسانى عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول انه ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت هذه الآية أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا قد هلك حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما نزلت هذه الآية كففنا عن القول فى ذلك فكنا اذا رأينا أحدا أصاب منها شيأ خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجونا له * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الايمان والشرك لان الله عم بقوله يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم جميع المسرفين فلم يخصص به مسرفا دون مسرف فان قال قائل فيغفر الله الشرك قيل نعم اذا تاب منه المشرك وانما عنى بقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء كما قد ذكرنا قبل أن ابن مسعود كان يقرؤه وأن الله قد استثنى منه الشرك اذا لم يتب منه صاحبه فقال ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأخبر أنه لا يغفر الشرك الا بعد توبة بقوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأما ما عداه فان صاحبه فى مشيئة ربه ان شاء تفضل عليه فعفا له عنه وان شاء عدل عليه فجازاه به وأما قوله لا تقنطوا من رحمة الله فانه يعنى لا تيأسوا من رحمة الله كذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقد ذكرنا ما فى ذلك من الروايات قبل فيما مضى و بينا معناه وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا يقول ان الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها اذا تابوا منها انه هو الغفور الرحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) يقول تعالى ذكره وأقبلوا أيها الناس الى ربكم بالتوبة وارجعوا اليه بالطاعة له واستجيبوا له الى ما دعاكم اليه من توحيده وافراد الالوهة له واخلاص العبادة له كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنيبوا الى ربكم أى أقبلوا الى ربكم حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأنيبوا قال أجيبوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنيبوا الى ربكم قال الانابة الرجوع الى الطاعة والنزوع عما كانوا عليه ألا تراه يقول منيبين اليه واتقوه وقوله وأسلموا له يقول واخضعوا له بالطاعة والاقرار بالدين الحنيفى من قبل أن يأتيكم العذاب من عنده على كفركم به ثم لا تنصرون يقول ثم لا ينصركم ناصر فينقذكم من عذابه النازل بكم وقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم يقول تعالى ذكره واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم

مخصوصا بشرط الايمان ولا يخفى ما فى الآية من مؤكدات الرحمة أولها تسمية المذنب عبدا والعبودية تشعر بالاختصاص مع الحاجة واللائق بالكريم الرحيم افاضة الجود والرحمة على المساكين وثانيها من جهة الاضافة الموجبة للتشريف وثالثها من جهة وصفهم بقوله الذين أسرفوا على أنفسهم كأنه قال يكفيهم من تلك الذنوب عود مضرتها عليهم لا على ورابعها نهاهم عن القنوط والكريم اذا أمر بالرجاء فلا يليق به الا الكرم وخامسها قوله من رحمة الله مع امكان الاقتصار على الضمير بأن يقول من رحمتى فايراد أشرف الاسماء فى هذا المقام يدل على أعظم أنواع الكرم واللطف وسادسها تكرير اسم الله تعالى فى قوله (ان الله يغفر الذنوب جميعا) مع تصدير الجملة بان ومع ايراد صيغة المضارع المنبئة عن الاستمرار ومع تأكيد الذنوب بقوله جميعا أى حال كونها مجموعة وسابعها ارداف الجملة بقوله انه هو الغفور الرحيم ومع ما فيه من أنواع المؤكدات ومع جميع ذلك لم يخل الترغيب عن الترهيب ليكون رجاء المؤمن مقرونا بخوفه فقال (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له) وذلك أن الاشاعرة أيضا يجوزون أن يدخل صاحب الكبيرة النار مدة ثم يخرج منها ومع احتمال هذا العذاب يجب الميل الى الانابة والاخلاص لله فى العمل على أن الخوف للتقصير فى الطاعة يكفى

عن الخوف للتصريح بالمعصية وللصديقين فى الاول مندوحة عن الثانى وقال بعضهم ان الكلام قد تم على الآية الاولى فى
ثم خاطب الكفار بهذه الآيات من قوله (وأنيبوا) والمراد بالعذاب اما عذاب الدنيا كما للامم السابقة واما الموت لانه أول أهوال الآخرة

في تنزيله واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه وذلك هو أحسن ما أنزل الينا من ربنا فان قال قائل ومن القرآن شئ هو احسن من شئ قيل له القرآن كله حسن وليس معنى ذلك ما توهمت وانما معناه واتبعوا مما أنزل اليكم ربكم من الامر والنهى والخبر والمثل والقصص والجدل والوعد والوعيد أحسنه وأحسنه أن تأتمروا لأمره وتنتهوا عما نهى عنه لان النهى مما أنزل في الكتاب فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه فذلك وجهه وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم يقول ما أمرتم به في الكتاب من قبل أن يأتيكم العذاب وقوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة يقول من قبل أن يأتيكم عذاب الله فجأة وأنتم لا تشعرون يقول وأنتم لا تعلمون به حتى يغشاكم فجأة ﴿﴾ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين﴾ يقول تعالى ذكره وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له أن تقول نفس بمعنى لئلا تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وهو نظير قوله وألقى في الارض رواسى أن تميد بكم بمعنى أن لا تميد بكم فأن اذ كان ذلك معناه في موضع نصب وقوله يا حسرتا يعنى أن تقول يا ندما كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى في قوله يا حسرتا قال الندامة والالف في قوله يا حسرتا هى كناية المتكلم وانما أريد يا حسرتى ولكن العرب تحول الياء التى في كناية اسم المتكلم في الاستغاثة ألفا فتقول يا ويلتا ويا ندما فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء وربما قيل يا حسرة على العباد كما قيل يا لهف ويا لهفا عليه وذكر الفراء أن أبا ثروان أنشده

تزورونها ولا أزور نساءكم * ألهف لأولاد الاماء الحواطب

خفضا كما يخفض في النداء اذا أضافه المتكلم الى نفسه وربما أدخلوا الهاء بعد هذه الألف فيخفضونها أحيانا ويرفعونها أحيانا وذكر الفراء أن بعض بنى أسد أنشد

يا رب يا رباه اياك أسل * عفراء يا رباه من قبل الأجل

خفضا قال والخفض أكثر في كلامهم الا في قولهم يا هناه ويا هنتاه فان الرفع فيهما أكثر من الخفض لانه كثير في الكلام حتى صار كأنه حرف واحد وقوله على ما فرطت في جنب الله يقول على ما ضيعت من العمل بما أمرنى الله به وقصرت في الدنيا في طاعة الله وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد في قوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله يقول في أمر الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد في قول الله على ما فرطت في جنب الله قال في أمر الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى في قوله على ما فرطت في جنب الله قال تركت من أمر الله وقوله وان كنت لمن الساخرين يقول وان كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله أن تقول نفس يا حسرتا

وقوله (أحسن ما أنزل اليكم) كقوله يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقد مر الاقوال فيه وحين خوفهم بالعذاب حكى عنهم أنهم بتقدير نزول العذاب ماذا يقولون فذكر ثلاثة أنواع من الكلمات الاول أن تقول والتقدير (١٣) أنذرناكم العذاب المذكور كراهة أن تقول أو لئلا تقول قال جار الله انما نكرت نفس لان المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر أو نوع من الأنفس متميزة بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم وجوز أن يكون التنكير لأجل التكثير كقوله رب وفد أكرمته (يا حسرتا على ما فرطت) أى قصرت والتفريط اهمال ما ينبغى أن يقدم (في جنب الله) واعلم أن بعض أهل التجسيم يحتجون بورود هذا اللفظ على اثبات هذا العضو لله سبحانه ولا يدرى أنه بعد التسليم لا معنى للتفريط فيه ما لم يصر الى التأويل والصحيح ما ذهب اليه علماء البيان أن هذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الشئ في مكان الرجل وحيزه وجانبه وناحيته فقد أثبته فيه كقوله

ان السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

وتقول لمكانك فعلت كذا أى لأجلك وفى الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل ولا بد من تقدير مضاف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر وللمفسرين فيه عبارات قال ابن عباس أى ضيعت من ثواب الله وقال مقاتل ضيعت من ذكر الله وقال مجاهد في أمر الله وقال الحسن في طاعة الله وعن سعيد بن جبير في حق الله وقيل في قرب الله من الجنة من قوله والصاحب بالجنب وقال ابن جبير في جانب هدى الله لان الطريق متشعب الى الهدى والضلال فكل واحد جانب وجنب والتحقيق في المسئلة أن الشئ الذى يكون من لوازم الشئ ومن توابعه كأنه حد من حدوده وجانب من جوانبه فلما حصلت المشابهة بين الجنب الذى هو العضو وبين ما يكون لازما للشئ وتابعا له لا جرم حسن اطلاق لفظ الجنب في الآية على أحد هذه المضافات قال الشاعر وهو سابق البربرى

اما لتقين الله في جنب عاشق * له كبد حرّى عليك تقطع ثم زاد في التحسر بقوله (وان كنت لمن الساخرين) اى المستهزئين بالقرآن والنبي
والمؤمنين ان مخففة واللام فارقة والواو تحتمل العطف والحال قال قتادة لم يكفه ماضيع من أمر الله حتى سخر من المصدقين

النوع الثاني من كلمات النفس المعذبة (لو أن الله هداني) يجوز أن يقول مرة هذا ومرة ذلك أو يكون قائل كل من الكلمتين بعد أخرى والمعنى لو أرشدني الى دينه (لكنت من المتقين) النوع الثالث قوله عند رؤية العذاب (لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) قال جارالله لما حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب وهو الثاني صح أن تقع بلى جوابا له مع أنه غير منفى لان قوله لو أن الله هداني في معنى ماهديت قلت هذا يصلح جوابا للقولين الثاني والثالث أى بلى قد هديت بالوحى فكذبت واستكبرت عن قبوله فلا فائدة في الرجعة فان عدم القابلية وكونه واقعا في جانب القهر لن يزول عنه ثم صرح ببعض أنواع العذاب قائلا (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وقوله (وجوههم مسودة) مفعول ثان ان كانت الرؤية القلبية والا فموضعه نصب على الحال والظاهر أن الكذب على الله هو المشار اليه في قوله فكذبت بها ويشمل الكذب عليه باتخاذ الشريك والولد ونسبته الى العجز عن الاعادة ونسبة القرآن الى كونه مختلقا ونحو ذلك وأما المسائل الاجتهادية التي يختلف فيها كل فريق اسلامي ولاسيما الفروعية فالظاهر أنها لا تدخل فيها والله أعلم وأما سواد الوجه فان كان في الصورة فظاهر ويكون كسائر أوصاف
أهل النار من زرقة العيون وغيره وان كان المراد به الخجل وشدة الحياء ونحو ذلك فالله تعالى أعلم بمراده ولا ريب أن الجهل قال
والاخبار على خلاف ماعليه الامر ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة كلها ظلمات كما أن العلم والصدق ونحوهما أنوار كلها وفي ذلك العالم تظهر

على ما فرّطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين قال فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله قال هذا قول صنف منهم حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدّي وان كنت لمن الساخرين يقول من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالكتاب وبما جاء به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره وأنيبوا الى ربكم أيها الناس وأسلموا له أن لا تقول نفس يوم القيامة ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله في أمر الله وأن لا تقول نفس أخرى لو أن الله هداني للحق فوفقني للرشاد لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه أو أن لا تقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعاينه لو أن لى كرة تقول لو أن لى رجعة الى الدنيا فأكون من المحسنين الذين أحسنوا في طاعة ربهم والعمل بما أمرتهم به الرسل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله الآية قال هذا قول صنف منهم أو تقول لو أن الله هداني الآية قال هذا قول صنف آخر أو تقول حين ترى العذاب الآية يعني بقوله لو أن لى كرة رجعة الى الدنيا قال هذا صنف آخر حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله قال أخبر الله ما العباد قائلوه قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه قال ولا ينبئك مثل خبير أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله أو تقول لو أن الله هداني الى قوله فأكون من المحسنين يقول من المهتدين فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردّوا لم يقدروا على الهدى وقال ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة قال ولو ردّوا الى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا وفي نصب قوله فأكون وجهان أحدهما أن يكون نصبه على أنه جواب لو والثاني على الردّ على موضع الكرة وتوجيه الكرة في المعنى الى لو أن لى أن أكر كما قال الشاعر

فمالك منها غير ذكرى وحسرة * وتسأل عن ركبانها أين يمموا

فنصب تسأل عطفا بها على موضع الذكرى لان معنى الكلام فمالك (١) بيرسل على موضع الوحى في قوله الا وحيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره مكذبا للقائل لو أن الله هداني لكنت من المتقين وللقائل لو أن لى كرة فأكون من المحسنين ما القول كما تقولون بلى قد جاءتك أيها المتمني على الله الرد الى الدنيا لتكون فيها من المحسنين آياتي يقول قد جاءتك حججي من بين رسول أرسلته اليك وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير فكذبت بآياتي واستكبرت عن قبولها واتباعها وكنت من الكافرين يقول وكنت ممن يعمل عمل الكافرين ويستن بسنتهم ويتبع منهاجهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد

(١) فيه سقط من الناسخ ولعل الاصل فمالك غير أن تذكر وتسأل ونظيره وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل فعطف بيرسل الخ تأمل كتبه مصححه

قال ثنا سعيد عن قتادة يقول الله ردّا لقولهم وتكذيبا لهم يعنى لقول القائلين لو أن الله هدانى والصنف الآخر بلى قد جاءتك آياتى الآية وبفتح الكاف والتاء من قوله قد جاءتك آياتى فكذبت على وجه المخاطبة للذكور قرأه القراء فى جميع أمصار الاسلام وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ذلك بكسر جميعه على وجه الخطاب للنفس كأنه قال أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله بلى قد جاءتك ايها النفس آياتى فكذبت بها أجرى الكلام كله على النفس اذ كان ابتداء الكلام بها جرى والقراءة التى لا أستجيز خلافها ما جاءت به قراء الامصار مجمعة عليه نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الفتح فى جميع ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم القيامة ترى يا محمد هؤلاء الذين كذبوا على الله من قومك فزعموا أن له ولدا وأن له شريكا وعبدوا آلهة من دونه وجوههم مسودّة والوجوه وان كانت مرفوعة بمسودّة فان فيها معنى نصب لانها مع خبرها تمام ترى ولو تقدّم قوله مسودّة قبل الوجوه كان نصبا ولو نصب الوجوه المسودّة ناصب فى الكلام لا فى القرآن اذا كانت المسودّة مؤخرة كان جائزا كما قال الشاعر

ذرينى ان امرك لن يطاعا * وما ألفيتنى حلمى مضاعا

فنصب الحلم والمضاع على تكرير ألفيتنى وكذلك تفعل العرب فى كل ما احتاج الى اسم وخبر مثل ظن وأخواتها وفى مسودّة للعرب لغتان مسودّة ومسوادّة وهى فى أهل الحجاز يقولون فيما ذكر عنهم قد اسوادّ وجهه واحمارّ واشهابّ وذكر بعض نحويى البصرة عن بعضهم أنه قال لا يكون افعالّ الا فى ذى اللون الواحد نحو الأشهب قال ولا يكون فى نحو الاحمر لان أشهب لون يحدث والاحمر لا يحدث وقوله أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين يقول أليس فى جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله فامتنع من توحيده والانتهاء الى طاعته فيما أمره ونهاه عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل ﴾ يقول تعالى ذكره وينجى الله من جهنم وعذابها الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فى الدنيا بمفازتهم يعنى بفوزهم وهى مفعلة منه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل وان خالفت ألفاظ بعضهم اللفظة التى قلناها فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم قال بفضائلهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم قال بأعمالهم قال والآخرون يحملون أوزارهم يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض قراء مكة والبصرة بمفازتهم على التوحيد وقرأته عامة قراء الكوفة بمفازاتهم على الجماع والصواب عندى من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنييهما والعرب توحد مثل ذلك أحيانا وتجمع بمعنى واحد فيقول أحدهم سمعت صوت القوم وسمعت أصواتهم كما قال جل ثناؤه ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ولم يقل أصوات الحمير ولو جاء ذلك كذلك كان صوابا وقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون يقول تعالى

ولا شك أن الباء هى التى فى نحو قولك كتبت بالقلم فقال جار الله تارة تفسير المفازة هى قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون فلا محل للجملة لانه كأنه قيل وما مفازتهم فقيل (لا يمسهم السوء) أى فى أبدانهم (ولا هم يحزنون) يتألمون قلبا على ما فات وقال أخرى يجوز أن يراد بسبب فلاحهم أو منجاتهم وهو العمل الصالح وذلك أن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها وعلى هذه الوجوه يكون قوله لا يمسهم منصوبا على الحال وعن الماوردى أن المفازة ههنا البرية أى بما سلكوا مفازة الطاعات الشاقة وهو غريب وحين تمم الوعد والوعيد أتبعه شيأ من دلائل المالكية قائلا (الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل) وقد مر فى الأنعام ثم أكده بقوله (له مقاليد السموات والارض) وهو كقوله فى الانعام وعنده مفاتح الغيب والمقاليد المفاتيح أيضا فقيل لا واحد لها من لفظها وقيل مقليد أو مقلد او اقليد والظاهر أنه فى الاصل فارسى والتعريب جعله من قبيل العربى ويروى أنه سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير الآية فقال يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك تفسير المقاليد لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وقال العلماء يعنى أن هذه الكلمات مفاتيح خيرات السموات والارض وقد يوحد الله بها ويمجد قال أهل العرفان بيده مفاتيح خزائن اللطف والقهر فيفتح على من يشاء أبواب خزائن لطفه فى قلبه فتخرج ينابيع الحكمة وجواهر

ذكره لا يمس المتقين من أذى جهنم شئ وهو السوء الذى أخبر جل ثناؤه أنه لن يمسهم ولا هم يحزنون يقول ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا اذ صاروا الى كرامة الله ونعيم الجنان وقوله الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل يقول تعالى ذكره الله الذى له الالوهة من كل خلقه الذى لا تصلح العبادة الا له خالق كل شئ لا ما لا يقدر على خلق شئ وهو على كل شئ وكيل يقول وهو على كل شئ قيم بالحفظ والكلاءة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره له مفاتيح خزائن السموات والارض يفتح منها على من يشاء ويمسكها عمن أحب من خلقه واحدها مقليد وأما الاقليد فواحد الاقاليد وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله مقاليد السموات والارض مفاتيحها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله له مقاليد السموات والارض أى مفاتيح السموات والارض حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله له مقاليد السموات والارض قال خزائن السموات والارض حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله له مقاليد السموات والارض قال المقاليد المفاتيح قال له مفاتيح خزائن السموات والارض وقوله والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون يقول تعالى ذكره والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها أولئك هم المغبونون حظوظهم من خيرات السموات التى بيده مفاتيحها لانهم حرموا ذلك كله في الآخرة بخلودهم في النار وفي الدنيا بخذلانهم عن الايمان بالله عز وجل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لمشركى قومك الداعيك الى عبادة الاوثان أفغير الله أيها الجاهلون بالله تأمرونى أن أعبد ولا تصلح العبادة لشئ سواه واختلف أهل العربية في العامل في قوله أفغير النصب فقال بعض نحويى البصرة قل أفغير الله تأمرونى يقول أفغير الله أعبد تأمرونى كأنه أراد الالغاء والله أعلم كما تقول ذهب فلان يدرى جعله على معنى فما يدرى وقال بعض نحويى الكوفة غير منتصبة بأعبد وأن تحذف وتدخل لانها علم للاستقبال كما تقول أريد أن أضرب وأريد أضرب وعسى أن أضرب وعسى أضرب فكانت في طلبها الاستقبال كقولك زيد اسوف أضرب فلذلك حذفت وعمل ما بعدها فيما قبلها ولا حاجة بنا الى اللغو وقوله ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك يقول تعالى ذكره ولقد أوحى اليك يا محمد ربك والى الذين من قبلك من الرسل لئن أشركت ليحبطن عملك يقول لئن أشركت بالله شيأ يا محمد ليبطلن عملك ولا تنال به ثوابا ولا تدرك به جزاء الا جزاء من أشرك بالله وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم ومعنى الكلام ولقد اوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين والى الذين من قبلك بمعنى والى الذين من قبلك من الرسل من ذلك مثل الذى أوحى اليك منه فاحذر أن تشرك بالله شيأ فتهلك ومعنى قوله ولتكونن من الخاسرين ولتكونن من الهالكين بالاشراك بالله ان أشركت به شيأ ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه

والظاهر أنه لا حاجة الى هذا التقدير البعيد حتى يعطف جملة اسمية على جملة فعلية والأقرب أنه لما وصف نفسه بصفات المالكية والقدرة ذكر بعده والذين كفروا بدلائل ملكه وملكه مع كونها ظاهرة باهرة فلا أخسر منهم لانهم عمى في الدارين فاقدون لأشرف المطالب ولذلك وبخ أهل الشرك بقوله (قل أفغير الله) أى قل لهم بعد هذا البيان أفغير الله وهو منصوب بأعبد و(تأمرونى) اعتراض والمعنى أفغير الله (أعبد) بأمركم وذلك أن المشركين دعوه الى دين آبائه وجوز جار الله أن ينتصب بما يدل عليه جملة قوله تأمرونى أعبد لانه في معنى تعبدوننى غير الله وتقولون لى اعبد والاصل تأمروننى أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل ويمكن أن يعترض عليه بأن صلة أن كيف تتقدم عليه ويحتمل أن يجاب بأن العامل هو ما دل عليه الجملة كما قلنا لا قوله أن أعبد وقيل التقدير أفبعبادة غير الله تأمرونى وقوله (أيها الجاهلون) لا يكون أليق بالمقام منه لانه لا جهل أشد من جهل من نهى عن عبادة أشرف الاشياء وأمر بعبادة أخس الاشياء ثم هدد الامة على الشرك مخاطبا نبيه بقوله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء مثله (لئن اشركت) فاقتصر على الاول ويجوز أن يراد ولقد أوحى اليك والى كل واحد ممن قبلك لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أى كل واحد منا

وقد مر نظير هذه الآية بقوله ولئن اتبعت أهواءهم وبينا أن ذلك على سبيل الفرض والشرطية لا حاجة في صدقها الى صدق جزأيها أو المراد الأمة كما قلنا وفي قوله (ولتكونن من الخاسرين) اشارة الى أن منصب النبوة الذى هو أشرف مراتب الانسانية

واقربها من الله اذا بدل بضده الذى هو البعد عن الحضرة الالهية لم يكن خسران وراء ذلك ثم رده صلى الله عليه وسلم الى ماهو الحق الثابت فى نفس الامر وهو تخصيص الله بالعبادة فقال (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (١٧) على ذلك لان توفيق العبادة منه وحده ولذا جعله مظهر اللطف حتى صار سيد ولد آدم ثم بين أنهم لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة فى العبادة ما عرفوا الله حق معرفته وقدر فى الانعام والحج ثم أردفه بما يدل على كمال عظمته قائلا (والارض جميعا قبضته) قال جار الله الغرض من هذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين الى جهة حقيقة أوالى جهة مجاز وكذلك حكم ما روى عن عبد الله بن مسعود أن رجلا من أهل الكتاب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال وانزل الله الآية تصديقا له وقال جار الله وانما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شئ من غير ذلك ولكن فهمه وقع أول شئ وآخره على الزبدة والخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة وأن الافعال العظام التى لا تكتنهها الاوهام هينة عليه ثم ذكر كلاما آخر طويلا واعترض عليه الامام فخر الدين الرازى بأن هذا الكلام الطويل لا طائل تحته لانه هل يسلم أن الاصل فى الكلام حمله على حقيقته أم لا وعلى الثانى يلزم خروج القرآن بكليته عن كونه حجة فان لكل أحد حينئذ أن يؤول الآية بما شاء وعلى الاول وهو الذى عليه الجمهور يلزمه بيان أنه لا يمكن

عليه وسلم لا تعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته بل الله فاعبد دون كل ماسواه من الآلهة والأوثان والأنداد وكن من الشاكرين لله على نعمته عليك بما أنعم عليك من الهداية لعبادته والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان ونصب اسم الله بقوله فاعبد وهو بعده لأنه رد كلام ولو نصب بمضمر قبله اذ كانت العرب تقول زيدا فليقم وزيدا فليقم رفعا ونصبا الرفع على فلينظر زيد فليقم والنصب على انظروا زيدا فليقم كان صحيحا جائزا وقوله وما قدروا الله حق قدره يقول تعالى ذكره وما عظم الله حق عظمته هؤلاء المشركون بالله الذين يدعونك الى عبادة الاوثان * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما قدروا الله حق قدره قال هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وما قدروا الله حق قدره ما عظموا الله حق عظمته وقوله والأرض جميعا قبضته يوم القيامة يقول تعالى ذكره والارض كلها قبضته فى يوم القيامة والسموات كلها مطويات بيمينه فالخبر عن الارض متناه عند قوله يوم القيامة والارض مرفوعة بقوله قبضته ثم استأنف الخبر عن السموات فقال والسموات مطويات بيمينه وهى مرفوعة بمطويات وروى عن ابن عباس وجماعة غيره أنهم كانوا يقولون الارض والسموات جميعا فى يمينه يوم القيامة ذكر الرواية بذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة يقول قد قبض الارضين والسموات جميعا بيمينه ألم تسمع أنه قال مطويات بيمينه يعنى الارض والسموات بيمينه جميعا قال ابن عباس وانما يستعين بشماله المشغولة بيمينه حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى ابى عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال ما السموات السبع والارضون السبع فى يد الله الا كخردلة فى يد أحدكم * قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة قال ثنا النضر بن أنس عن ربيعة الجرشى قال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه قال ويده الاخرى خلو ليس فيها شئ حدثنى على بن الحسن الازدى قال ثنا يحيى بن يمان عن عمار ابن عمرو عن الحسن فى قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة قال كأنها جوزة بقضها وقضيضها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة يقول السموات والارض مطويات بيمينه جميعا وكان ابن عباس يقول انما يستعين بشماله المشغولة بيمينه وانما الارض والسموات كلها بيمينه وليس فى شماله شئ حدثنا الربيع قال ثنا ابن وهب قال أخبرنى أسامة بن زيد عن أبى حازم عن عبد الله بن عمر أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب الناس فمر بهذه الآية وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ السموات والارضين السبع فيجعلها فى كفه ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة أنا الله الواحد أنا الله العزيز حتى لقد رأينا المنبر وانه ليكاد أن يسقط به حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان قال ثنى منصور وسليمن عن ابراهيم عن عبيدة السلمانى عن عبد الله قال جاء

يهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والخلائق على اصبع ثم يقول أنا الملك قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال وما قدروا الله حق قدره حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي عن منصور عن خيثمة بن عبد الرحمن عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه حبر من أحبار اليهود فجلس اليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا قال ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة جعل السموات على أصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والماء والشجر على اصبع وجميع الخلائق على اصبع ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لما قال ثم قرأ هذه الآية وما قدروا الله حق قدره الآية حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي نحو ذلك حدثني سليمن بن عبد الجبار وعباس بن أبي طالب قالا ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس قال مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال يا يهودي حدثنا فقال كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره الآية حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله يحمل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته الى آخر الآية * وقال آخرون بل السموات في يمينه والارضون في شماله ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن داود قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا ابن أبي حازم قال ثني أبو حازم عن عبيد الله بن مقسم أنه سمع عبد الله بن عمر يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيديه وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وجعل يقبضهما ويبسطهما قال ثم يقول أنا الرحمن أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى اني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني أبو علقمة الفروي عبد الله بن محمد قال ثني عبد الله بن نافع عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ثم يقول أنا الجبار أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون قال ويميل رسول صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى اني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني الحسن بن علي بن عياش الحمصي قال ثنا بشر ابن شعيب قال أخبرني أبي قال ثنا محمد بن مسلم بن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب عن

حمل اللفظ الفلاني على معناه الحقيقي لتعين المصير الى التأويل ثم ان كان هناك مجازان وجب اقامة الدليل على تعيين أحدهما ففي هذه الصورة لاشك أن لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الجوارح الا أن الدلائل العقلية قامت على امتناع الاعضاء والجوارح لله تعالى فوجب المصير الى التأويل صونا للنص عن التعطيل ولا تأويل الا أن يقال المراد كونها تحت تدبيره وتسخيره كما يقال فلان في قبضة فلان وقال تعالى وما ملكت أيمانهم ويقال هذه الدار في يد فلان ويمينه وفلان صاحب اليد وأنا أقول هذا الذي ذكره الامام طريق أصولي والذي ذكره جار الله طريق بياني وأنهم يحيلون كثيرا من المسائل الى الذوق فلا منافاة بينهما ولا يرد اعتراض الامام وتشنيعه وقد مر لنا في هذا الكتاب الاصل الذي كان يعمل به السلف في باب المتشابهات في مواضع فتذكر ولنرجع الى الآية قوله والارض قالوا المراد بها الارضون لوجهين أحدهما قوله جميعا فانه يجعله في معنى الجمع كقوله كل الطعام وقوله والنخل باسقات والثاني قوله والسموات ولقائل أن يقول كل ما هو ذو أجزاء حسا أو حكما فانه يصح تأكيده بالجميع وعطف السموات على الارض في القرآن كثير نعم قيل ان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة وليس ببعيد والقبضة بالفتح المرة من القبض يعني والارضون جميعا مع عظمهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته فهن ذوات قبضته وعندي أن المراد منه تصرفه يوم القيامة فيها بتبديلها كقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات مطويات بيمينه كقوله يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وقيل معنى مطويات كونها مستولى عليها استيلاءك على الشيء المطوى عندك بيدك وقيل معنى أبي مطويات كونها مستولى عليها بيمينه أي بقسمه لانه تعالى حلف أن يطويها ويفنيها في الآخرة وفي الآية اشارة الى كمال استغنائه

وأنه اذا حاول تخريب الارض والسموات وتبديلها وذلك في يوم القيامة سهل عليه كل السهولة ولذلك نزه نفسه عن الشركاء بقوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) ثم ذكر سائر أحوال القيامة وأحوالها بقوله (١٩) (ونفخ في الصور فصعق) الظاهر أن نفخ الصور مرتان وبعضهم روى أنه ثلاث نفخات الاولى للفزع كما جاء في النمل والثانية للموت وهو معنى الصعق والثالثة للاعادة والاظهر أن الفزع يتقدم الصعق فلا يلزم منه اثبات نفختين وقدمر في النمل تفسير باقي الآية قال جار الله تقدير الكلام ونفخ في الصور نفخة واحدة (ثم نفخ فيه أخرى) وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان ومعنى (ينظرون) يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود تحيرا ثم وصف أرض القيامة بقوله (وأشرقت الارض بنور ربها) الظاهر أن هذا نور تجليه سبحانه وقدمر شرح هذا النور في تفسير قوله الله نور السموات والارض وفي غيره من المواضع وقال علماء البيان افتتح الآية بذكر العدل كما اختتم الآية بنفي الظلم ويقال للملك العادل أشرقت الآفاق بنور عدلك وأضاءت الدنيا بقسطك وفي ضده أظلمت الدنيا بجوره وأهل الظاهر من المفسرين لم يستبعدوا أن يخلق الله في ذلك اليوم للارض نورا مخصوصا وقيل أراد أرض الجنة ثم ان أهل البيان أكدوا قولهم بأنه أتبعه قوله (ووضع الكتاب) الى آخره وكل ذلك من الامور الدالة على غاية العدل والمراد بالكتاب اما اللوح المحفوظ يقابل به صحف الاعمال أو الصحف

أبي هريرة أنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله عزوجل الارض يوم القيامة ويطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض حدثت عن حرملة بن يحيى قال ثنا ادريس بن يحيى القائد قال أخبرنا حيوة عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبض الارض يوم القيامة بيده ويطوى السماء بيمينه ويقول أنا الملك حدثني محمد بن عون قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي عن أبي أيوب الانصاري قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود قال أرأيت اذ يقول الله في كتابه والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فأين الخلق عند ذلك قال هم فيها كرقم الكتاب حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا أبو أسامة قال ثنا عمرو بن حمزة قال ثني سالم عن أبيه أنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يطوى الله السموات فيأخذهن بيمينه ويطوى الارض فيأخذها بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون * وقيل ان هذه الآية نزلت من أجل يهودي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة الرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عن محمد عن سعيد قال أتى رهط من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه فجاءه جبريل فسكنه وقال اخفض عليك جناحك يا محمد وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه قال يقول الله تبارك وتعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فلما تلاها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا صف لنا ربك كيف خلقه وكيف عضده وكيف ذراعه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الاول ثم ساورهم فأتاه جبريل فقال مثل مقالته وأتاه بجواب ما سألوه عنه وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال تكلمت اليهود في صفة الرب فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره ثم بين للناس عظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل صفتهم التي وصفوا الله بها شركا وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه يقول في قدرته نحو قوله وما ملكت أيمانكم أي وما كانت لكم عليه قدرة وليس الملك لليمين دون سائر الجسد قال وقوله قبضته نحو قولك للرجل هذا في يدك وفي قبضتك والأخبار التي ذكرناها عن رسول الله وعن أصحابه وغيرهم تشهد على بطول هذا القول حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن حبيب بن أبي عمرة عن مجاهد عن ابن عباس عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة فأين الناس يومئذ قال على الصراط وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة لله وعلوا وارتفاعا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد القائلون لك اعبد الأوثان من دون الله واسجد لآلهتنا ﴿﴾ القول في تأويل قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم

نسيها ولكنه اكتفى باسم الجنس (وجيء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة ويجيب قومهم عما يجيبون والمراد بالشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار ومن الجوارح والمكان والزمان أيضا وقيل هم الذين قتلوا في سبيل الله ولعله ليس في تخصيصهم

قيام ينظرون ﴾ يقول تعالى ذكره ونفخ اسرافيل فى القرن وقد بينا معنى الصور فيما مضى بشواهده وذكرنا اختلاف أهل العلم فيه والصواب من القول فيه بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وقوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض يقول مات وذلك فى النفخة الاولى كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض قال مات وقوله الا من شاء الله اختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله بالاستثناء فى هذه الآية فقال بعضهم عنى به جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت حدثنى هرون بن ادريس الاصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا الفضل بن عيسى عن عمه يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فقيل من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله قال جبرائيل وميكائيل وملك الموت فاذا قبض أرواح الخلائق قال يا ملك الموت من بقى وهو أعلم قال يقول سبحانك تباركت ربى ذا الجلال والاكرام بقى جبريل وميكائيل وملك الموت قال يقول يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل قال فيقع كالطود العظيم قال ثم يقول يا ملك الموت من بقى فيقول سبحانك ربى يا ذا الجلال والاكرام بقى جبريل وملك الموت قال فيقول يا ملك الموت مت قال فيموت قال ثم يقول يا جبريل من بقى قال فيقول جبريل سبحانك ربى يا ذا الجلال والاكرام بقى جبريل وهو من الله بالمكان الذى هو به قال فيقول يا جبريل لابد من موتة قال فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام أنت الباقى وجبريل الميت الفانى قال ويأخذ روحه فى الخلقة التى خلق منها قال فيقع على ميكائيل ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كفضل الطود العظيم على الظرب من الظراب * وقال آخرون عنى بذلك الشهداء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن عمارة عن ذى حجر اليحمدى عن سعيد بن جبير فى قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال الشهداء ثنية الله حول العرش متقلدين السيوف * وقال آخرون عنى بالاستثناء فى الفزع الشهداء وفى الصعق جبريل وملك الموت وحملة العرش ذكر من قال ذلك والخبر الذى جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عبد الرحمن بن محمد عن اسمعيل بن رافع المدنى عن يزيد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ فى الصور ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين تبارك وتعالى يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فتفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله قال أبو هريرة يا رسول الله فمن استثنى حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق فيقول انفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات

والارض

بالذكر فائدة وحين بين أنه يحضر فى محفل القيامة جميع ما يحتاج اليه فى فصل الخصومات ذكر أنه يوصل أهل النار وختم السورة بذكر أهل الجنة فقال وسيق وهو على عادة اخبار الله تعالى والزمر الافواج المتفرقة واحدها زمرة وكذلك فى صفة أهل الجنة وذلك أنه يحشر أمة بعد أمة مع امامها الى الجنة أو النار أو بعضهم قبل الحساب وبعضهم بعد الحساب على اختلاف المراتب والطبقات فلا ريب أن الناس محقين أو مبطلين فرق ذاهبون فى طرق شتى جماعة جماعة والخزنة جمع خازن والمراد بكلمة العذاب قوله لأملأن جهنم أو علم الله السابق وكان القياس التكلم الا أنه عدل الى الظاهر فقيل على الكافرين ليعلم سبب العذاب * سؤال السوق فى الكفار له وجه لانهم أهل الطرد والعنف فما وجهه فى أهل الجنة الجواب من وجوه قال جار الله المضاف هنا محذوف أى وسيق مراكب الذين اتقوا لانهم لا يذهبون الا راكبين كالوافدين على ملوك الدنيا وحثها اسراع لهم الى دار الكرامة والرضوان وقيل طباق وقيل أكثر أهل الجنة البله فيحتاجون الى السوق لانهم لا يعرفون ما فيه صلاحهم وقيل انهم يقولون لا أدخلها حتى يدخلها أحبائى فيتأخرون لهذا السبب وحينئذ يحتاجون الى أن يساقوا الى الجنة وقال أهل العرفان المتقون قد عبدوا الله لله لا للجنة فيصير شدة استغراقهم فى مشاهدة مطالع الجمال والجلال مانعة لهم عن الرغبة فى الجنة فلا جرم يفتقرون الى السوق وقال الحكيم كل خصلة ذميمة أو شريفة فى الانسان فانما تجره من غير اختياره شاء أم أبى الى ما يضاهيه حاله فذلك معنى السوق * سؤال آخر لم قيل فى صفة أهل النار فتحت أبوابها من غير واو وفى صفة أهل الجنة وفتحت أبوابها بالواو والجواب البحث عن مثل هذه الواو قد يقال له واو الثمانية قد مر فى قوله التائبون العابدون وفى سورة الكهف الا أن الذى اختص بالمقام

هو أن بعضهم قالوا ان ابواب جهنم مغلقة لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها لقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها وعلى هذا الجواب حتى اذا محذوف وحق موقعه ما بعد خالدين أى كان ما كان من أصناف الكرامات والسعادات وقيل حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها أى مع فتح أبوابها وقيل لاهل التأويل أن يقولوا ان أبواب الجنة وهى أسباب حصول الكمالات مفتوحة بمعنى أنها غير ممنوع عنها بل مندوب اليها مرغب فيها وأبواب جهنم مغلقة بمعنى أن أسبابها ممنوع عنها على لسان الشرع والعقل جميعا ومعنى تسليم الخزنة الاكرام والتهنئة بأنهم سلموا من أحوال الدنيا وأهوال القيامة ومعنى (طبتم) قيل اخبارهم عن كونهم طيبين فى الدنيا بالافعال الصالحة والاخلاق الفاضلة أو طبتم نفسا بما نلتم من الجنة ونعيمها وقيل ان أهل الجنة اذا انتهوا الى بابها وجدوا عنده عينين تجريان من ساق شجرة فيتطهرون من احداهما فتجرى عليهم نضرة النعيم فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدا ويشربون من الأخرى فيذهب ما فى بطونهم من أذى وقذى فيقول لهم الخزنة طبتم وقال جار الله أرادوا طبتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا ولهذا عقبه بقوله (فادخلوها خالدين) ليعلم أن الطهارة عن المعاصى هى السبب فى دخول الجنة والخلود فيها لانها دار طهرها الله من كل دنس فلا يدخلها الا من هو موصوف بصفتها رزقنا الله تعالى بعميم فضله وحسن توفيقه نسبة توجب ذلك ثم حكى قول المتقين فى الجنة فقال (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى الوعد بدخول الجنة (وأورثنا الارض) أرض الجنة عبر عن التمليك بالايراث وقد مر مرارا نتبوأ منها حيث نشاء لان لكل متق جنة لا توصف سعة فيتبوأ من جنته كما يريد من غير منازع وقال حكماء الاسلام الجنات الجسمانية كذلك أما الروحانية فلا مانع فيها

والارض الا من شاء الله فاذا هم خامدون ثم يأتى ملك الموت الى الجبار تبارك وتعالى فيقول يارب قدمات أهل السموات والارض الا من شئت فيقول له وهو أعلم فمن بقى فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقى حملة عرشك وبقى جبريل وميكائيل فيقول الله له اسكت انى كتبت الموت على من كان تحت عرشى ثم يأتى ملك الموت فيقول يارب قدمات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم فمن بقى فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقى حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله فليمت حملة العرش فيموتون ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور فيقول أى رب قدمات حملة عرشك فيقول من بقى وهو أعلم فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت أنا قال فيقول الله أنت من خلق خلقتك لما رأيت فمت لا تحى فيموت وهذا القول الذى روى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالصحة لان الصعقة فى هذا الموضع الموت والشهداء وان كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله تعالى ذكره فانهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك وانما عنى جل ثناؤه بالاستثناء فى هذا الموضع الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق لا من الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك وذاق الموت قبل وقت نفخة الصعق وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك فذاق الموت من قبل ذلك لانه ممن لا يصعق فى ذلك الوقت اذا كان الميت لا يجدد له موت آخر فى تلك الحال وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال الحسن يستثنى الله وما يدع أحدا من أهل السموات ولا أهل الارض الا أذاقه الموت قال قتادة قد استثنى الله والله أعلم الى ما صارت ثنيته قال ذكر لنا أن نبى الله قال أتانى ملك فقال يا محمد اختر نبيا ملكا أو نبيا عبدا فأومأ الى أن تواضع قال نبيا عبدا قال فأعطيت خصلتين أن جعلت أول من تنشق عنه الارض وأول شافع فأرفع رأسى فأجد موسى آخذا بالعرش فالله أعلم أصعق بعد الصعقة الاولى أم لا حدثنى أبو كريب قال ثنا عبدة بن سليمن قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال يهودى بسوق المدينة والذى اصطفى موسى على البشر قال فرفع رجل من الانصار يده فصك بها وجهه فقال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فأكون أنا أول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله حدثنى ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن الحسن قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كأنى أنفض رأسى من التراب أول خارج فألتفت فلا أرى أحدا الا موسى متعلقا بالعرش فلا أدرى أممن استثنى الله أن لا تصيبه النفخة أو بعث قبلى وقوله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون يقول تعالى ذكره ثم نفخ فى الصور نفخة أخرى والهاء التى فى فيه من ذكر الصور كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ثم نفخ فيه أخرى قال فى الصور وهى نفخة البعث وذكر أن بين النفختين أربعين سنة ذكر من قال ذلك حدثنى أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا

من المشاركة وأن يحصل لغيره ما يحصل لبعض الاشخاص ثم وصف مآب الملائكة المقربين بعد بعثهم فقال (وترى) أيها الرائى أو النبى (الملائكة حافين) محدقين وهو نصب على الحال (٢٢) قال الفراء لا واحد له لانه لا بد فيه من الجمعية وأقول لعله عنى من حيث الاستعمال وقيل الحاف بالشئ الملازم له وقوله من حول العرش من زائدة أو ابتدائية أى مبتدأ خوفهم من هناك الى حيث شاء الله أو متصل بالرؤية (يسبحون بحمد ربهم) تلذذا لا تعبدا وكان جوانب العرش دار ثواب الملائكة وانها ملاصقة لجوانب الجنة والضمير فى قوله (وقضى بينهم) للعباد كلهم لقرائن ذكر القيامة فان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وقيل بين الانبياء وأممهم وقيل تكرار لقوله وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل هو حال وقد مقدرة معه أى يسبحون بحمد ربهم وقد قضى بينهم يعنى بين الملائكة على أن ثوابهم ليس على سنن واحد ويحتمل عندى أن يعود الضمير الى البشر والملائكة جميعا والقضاء بينهم هو انزال البشر مقامهم من الجنة أو النار وانزال الملائكة حول العرش ثم ختم السورة بقوله (وقيل الحمد لله) والقائل المقضى بينهم وهم جميع العباد كقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله أو جميع الملائكة حمدوا الله على انزال كل منزلته

(سورة المؤمن وهى مكية الا آية قوله ان الذين يجادلون حروفها أربعة آلاف وتسعمائة وسبعون كلمها الف ومائتان غير كلمة آياتها خمس وثمانون) *

(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب

قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فتنبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة حدثنا يحيى بن واضح قال ثنا البلخى بن اياس قال سمعت عكرمة يقول فى قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض الآية قال الاولى من الدنيا والأخيرة من الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون قال نبى الله بين النفختين أربعون قال قال أصحابه فما سألناه عن ذلك ولا زادنا على ذلك غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة وذكر لنا أنه يبعث فى تلك الاربعين مطر يقال له مطر الحياة حتى تطيب الارض وتهتز وتنبت أجساد الناس نبات البقل ثم ينفخ فيه الثانية فاذا هم قيام ينظرون قال ذكر لنا أن معاذ بن جبل سأل نبى الله صلى الله عليه وسلم كيف يبعث المؤمنون يوم القيامة قال يبعثون جردا مردا مكحلين بنى ثلاثين سنة وقوله فاذا هم قيام ينظرون يقول فاذا من صعق عند النفخة التى قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الارض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فاذا هم قيام ينظرون قال حين يبعثون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون} يقول تعالى ذكره فأضاءت الارض بنور ربها يقال أشرقت الشمس اذا صفت وأضاءت وشرقت اذا طلعت وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأشرقت الارض بنور ربها قال فما يتضارون فى نوره الا كما يتضارون فى الشمس فى اليوم الصحو الذى لا دخن فيه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأشرقت الارض بنور ربها قال أضاءت وقوله ووضع الكتاب يعنى كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ووضع الكتاب قال كتاب أعمالهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ووضع الكتاب قال الحساب وقوله وجىء بالنبيين والشهداء يقول وجىء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم وردت عليهم فى الدنيا حين أتتهم رسالة الله والشهداء يعنى بالشهداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم يستشهدهم ربهم على الرسل فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التى أرسلهم بها ربهم الى أممها اذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله والشهداء جمع شهيد وهذا نظير قول الله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل عنى بقوله الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله وليس لما قالوا من ذلك فى هذا الموضع كبير معنى لان عقيب قوله وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وفى ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا من أنه انما دعى بالنبيين والشهداء للقضاء بين الانبياء وأممها وأن الشهداء انما هى جمع شهيد الذين يشهدون للانبياء على أممهم كما ذكرنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل

التأويل

وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا (٢٣) سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات

التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي
عن ابن عباس قوله وجيء بالنبيين والشهداء فإنهم ليشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وبتكذيب الامم
اياهم ذكر من قال ما حكينا قوله من القول الآخر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل
قال ثنا أسباط عن السدي وجيء بالنبيين والشهداء الذين استشهدوا في طاعة الله وقوله
وقضي بينهم بالحق يقول تعالى ذكره وقضي بين النبيين وأممها بالحق وقضاؤه بينهم بالحق
أن لا يحمل على أحد ذنب غيره ولا يعاقب نفسا إلا بما كسبت ۞ القول في تأويل قوله تعالى
﴿ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا
جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ووفى الله
حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية
ولا يعزب عنه علم شئ من ذلك وهو مجازيهم عليه يوم القيامة فمثيب المحسن باحسانه والمسيء بما
أساء وقوله وسيق الذين كفروا إلى جهنم يقول وحشر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أعدها لهم
يوم القيامة جماعات جماعة جماعة وحزبا حزبا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة في قوله زمرا قال جماعات وقوله حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها السبعة وقال لهم خزنتها
قوامها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم يعني كتاب الله المنزل على رسله وحججه التي
بعث بها رسله إلى أممهم وينذرونكم لقاء يومكم هذا يقول وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا
وقد يحتمل أن يكون معناه وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم قالوا بلى يقول قال الذين كفروا مجيبين
لخزنة جهنم بلى قد أتتنا الرسل منا فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم ولكن حقت كلمة العذاب على
الكافرين يقول قالوا ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به علينا بكفرنا به كما حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
بأعمالهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين ﴾ يقول تعالى ذكره فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ ادخلوا أبواب جهنم
السبعة على قدر منازلكم فيها خالدين فيها يقول ماكثين فيها لا ينتقلون عنها إلى غيرها فبئس مثوى
المتكبرين يقول فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا أن يوحدوه ويفردوا له الالوهة جهنم
يوم القيامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها
وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ يقول تعالى ذكره وحشر الذين
اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب معاصيه في الدنيا وأخلصوا له فيها الالوهة وأفردوا له العبادة
فلم يشركوا في عبادتهم إياه شيئا إلى الجنة زمرا يعني جماعات فكان سوق هؤلاء إلى منازلهم من الجنة
وفدا على ما قد بينا قبل في سورة مريم على نجائب من نجائب الجنة وسوق الآخرين إلى النار دعا
وورداً كما قال الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا ذلك في أماكنه من هذا
الكتاب وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وسيق الذين كفروا إلى
جهنم زمرا وفي قوله وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا قال كان سوق أولئك عنفا وتعبا ودفعا

عدن التي وعدتهم ومن صلح من
آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك
أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات
ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته
وذلك هو الفوز العظيم إن الذين
كفروا ينادون لمقت الله أكبر من
مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الايمان
فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين
وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل
إلى خروج من سبيل ذلكم بأنه إذا
دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به
تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو
الذي يريكم آياته وينزل لكم من
السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب
فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره
الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش
يلقي الروح من أمره على من يشاء
من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم
بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم
اليوم إن الله سريع الحساب وأنذرهم
يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر
كاظمين ما للظالمين من حميم
ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق
والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشئ إن الله هو السميع البصير أولم
يسيروا في الأرض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا
هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض
فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم
من الله من واق ذلك بأنهم
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
فكفروا فأخذهم الله إنه قوي

شديد العقاب ﴾ ۞ القراآت حم وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وقرأ أبو جعفر ونافع
بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وذلك طبعا لا اختلافا فالمعان مذكورة في ص كلمات ربك على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر لتنذر

بالتاء الفوقانية على أن الضمير للروح وقد تؤنث أو على خطاب الرسول يعقوب غير رويس التلاقي بالياء في الحالين ابن كثير و يعقوب
وافق يزيد وورش وسهل وعباس في الوصل (٢٤) والذين تدعون على الخطاب نافع وهشام غير الرازي وابن مجاهد والنقاش وابن
ذكوان أشد منكم ابن عامر الباقون
منهم ۞ الوقوف حم ط كوفي
العليم ه لا الطول ط الاهو
ط المصير ه البلاد ه من بعدهم ص
لعطف الجملتين المتفقتين فأخذتهم
ط للابتداء بالتهديد عقاب ه
النار م لئلا يتوهم أن ما بعده صفة
أصحاب النار آمنوا ج لحق القول
المحذوف الجحيم ه وذرياتهم ط
الحكيم ه وقد يوصل للعطف
السيئات ط رحمته ط العظيم
ه فتكفرون ه سبيل ه كفرتم
ج للابتداء بالشرط مع العطف
تؤمنوا ط الكبير ه رزقا ط
ينيب ه الكافرون ه
ذو العرش ج لاحتمال ما بعده
الاستئناف والحال التلاق ه لا
بارزون ج لاحتمال الاستئناف
وتعلقه بالظرف شيء ط اليوم ط
فصلا بين السؤال والجواب القهار
ه كسبت ط اليوم ط الحساب
ه كاظمين ط يطاع ه ط
الصدور ه بالحق ط بشيء ط
البصير ه من قبلهم ط واق
ه فأخذهم الله ط العقاب ه
۞ التفسير حم اسم الله الأعظم
وقيل حم ما هو كائن أي قدر وروى
أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ما حم فقال أسماء وفواتح
سور وقد تقدم القول في حواميم
في مقدمات الكتاب وفي أول البقرة
ومن جملة تلك التقادير أن يقال
السورة المسماة بحم (تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم) وقد
مر نظيره في أول الزمر ثم وصف
نفسه بما يجمع الوعد والوعيد فقال (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) قالت المعتزلة معناه في
أنه غافر الذنب إذا استحق غفرانه إما بالتوبة ان كان كبيرا أو طاعة أعظم منه ثوابا ان كان صغيرا وقال الاشعري انه قد يعفو عن الكبائر بدون

وقرأ يوم يدعون الى نار جهنم دعا قال يدفعون دفعا وقرأ فذلك الذي يدع اليتيم قال يدفعه وقرأ
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ونحشر المتقين الى الرحمن وفدا ثم قال فهؤلاء وفد الله حدثنا مجاهد
ابن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا شريك بن عبدالله عن أبي إسحق عن عاصم بن ضمرة عن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى إذا انتهوا الى بابها
إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان فعمدوا الى احداهما فشربوا منها كأنما أمروا بها فخرج
ما في بطونهم من قذر أو أذى أو قذى ثم عمدوا الى الاخرى فتوضؤا منها كأنما أمروا به فجرت
عليهم نضرة النعيم فلن تشعث رؤسهم بعدها أبدا ولن تبلى ثيابهم بعدها ثم دخلوا الجنة فتلقتهم الولدان
كأنهم اللؤلؤ المكنون فيقولون أبشر أعد الله لك كذا وأعد لك كذا وكذا ثم ينظر الى تأسيس بنيانه
جندل اللؤلؤ الاحمر والاصفر والاخضر يتلألأ كأنه البرق فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره
لذهب ثم يأتي بعضهم الى بعض أزواجه فيقول أبشري قد قدم فلان بن فلان فيسميه باسمه واسم
أبيه فتقول أنت رأيته أنت رأيته فيستخفها الفرح حتى تقوم فتجلس على أسكفة بابها فيدخل
فيتكئ على سريره ويقرأ هذه الآية الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الآية
حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر أبو إسحق عن الحرث عن علي
رضي الله عنه قال يساقون الى الجنة فينتهون اليها فيجدون عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان
تجريان فيعمدون الى احداهما فيغتسلون منها فتجري عليهم نضرة النعيم فلن تشعث رؤسهم
بعدها أبدا ولن تغبر جلودهم بعدها أبدا كأنما دهنوا بالدهان ويعمدون الى الأخرى فيشربون
منها فيذهب ما في بطونهم من قذى أو أذى ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون فيفتح لهم فتتلقاهم خزنة
الجنة فيقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قال وتتلقاهم الولدان المخلدون يطيفون
بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم إذا جاء من الغيبة يقولون أبشر أعد الله لك كذا وأعد لك كذا
فينطلق أحدهم الى زوجته فيبشرها به فيقول قدم فلان باسمه الذي كان يسمى به في الدنيا وقال
فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها وتقول أنت رأيته أنت رأيته قال فيقول نعم قال فيجيء
حتى يأتي منزله فإذا أصوله من جندل اللؤلؤ من بين أصفر وأحمر وأخضر قال فيدخل فإذا
الأكواب موضوعة والنمارق مصفوفة والزرابي مبثوثة قال ثم يدخل الى زوجته من الحور العين
فلولا أن الله أعدها له لالتمع بصره من نورها وحسنها قال فاتكأ عند ذلك ويقول الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله قال فتناديهم الملائكة أن تلكم الجنة أورثتموها بما
كنتم تعملون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط قال ذكر السدي نحوه أيضا غير
أنه قال لهو أهدى الى منزله في الجنة منه الى منزله في الدنيا ثم قرأ السدي ويدخلهم الجنة عرفها لهم
واختلف أهل العربية في موضع جواب إذا التي في قوله حتى إذا جاؤها فقال بعض نحويي البصرة
يقال ان قوله وقال لهم خزنتها في معنى قال لهم كأنه يلغي الواو وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون
الواو زائدة كما قال الشاعر

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن * إلا توهم حالم بخيال

فيشبه أن يكون يريد فإذا ذلك لم يكن قال وقال بعضهم فأضمر الخبر وإضمار الخبر أيضا أحسن

التوبة لئلا يلزم التكرار بقوله قابل التوب وليفيد المدح المطلق و يؤيده ادخال الواو بين هذين الوصفين فقط كأنه قيل الجامع بين المغفرة ان كانت بدون تو بة و بين القبول ان كانت بتو بة فقد جمع للذنب بين رحمتين بحسب الحالتين وقيل غافر الذنب الصغير

فى الآية واضمار الخبر فى الكلام كثير وقال آخر منهم هو مكفوف عن خبره قال والعرب تفعل مثل هذا قال عبد مناف بن ربع فى آخر قصيدة

حتى اذا أسلكوهم فى قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وقال الأخطل فى آخر قصيدة

خلا أن حيا من قريش تفاضلوا * على الناس أو أن الاكارم نهشلا

وقال بعض نحويى الكوفة أدخلت فى حتى اذا وفى فلما الواو فى جوابها وأخرجت فأما من أخرجها فلا شئ فيه ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب فجعل الثانى نسقا على الاول وان كان الثانى جوابا كأنه قال أتعجب لهذا وهذا * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال الجواب متروك وان كان القول الآخر غير مدفوع وذلك أن قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين يدل على أن فى الكلام متروكا اذ كان عقيبه وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واذا كان ذلك كذلك فمعنى الكلام حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دخلوها وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وعنى بقوله سلام عليكم أمنة من الله لكم أن ينالكم بعد مكروه أو أذى وقوله طبتم يقول طابت أعمالكم فى الدنيا فطاب اليوم مثواكم وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله طبتم قال كنتم طيبين فى طاعة الله وقوله وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده يقول وقال الذين سيقوا زمرا ودخلوها الشكر خالص لله الذى صدقنا وعده الذى كان وعدناه فى الدنيا على طاعته فحققه بانجازه لنا اليوم وأورثنا الارض يقول وجعل أرض الجنة التى كانت لاهل النار لو كانوا أطاعوا الله فى الدنيا فدخلوها ميراثا لنا عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأورثنا الارض قال أرض الجنة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأورثنا الارض أرض الجنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأورثنا الارض قال أرض الجنة وقرأ أن الارض يرثها عبادى الصالحون وقوله نتبوأ من الجنة حيث نشاء يقول نتخذ من الجنة بيتا ونسكن منها حيث نحب ونشتهى كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى نتبوأ منها حيث نشاء ننزل منها حيث نشاء وقوله فنعم أجر العاملين يقول فنعم ثواب المطيعين لله العاملين له فى الدنيا الجنة لمن أعطاه الله اياها فى الآخرة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره وترى يا محمد الملائكة محدقين من حول عرش الرحمن و يعنى بالعرش السرير ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش محدقين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وترى الملائكة حافين من حول العرش قال محدقين حول العرش قال العرش السرير واختلف أهل العربية فى وجه دخول من فى قوله حافين من حول العرش والمعنى حافين حول العرش وفى قوله ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك فقال بعض

وقابل التوب عن الكبير أو غافر الذنب باسقاط العقاب وقابل التوب بايجاب الثواب ثم ان قبول التوبة واجب على الله أم لا فيه بحث أيضا للفريقين فالمعتزلة أوجبوه والأشعرى يقول انه على سبيل التفضل والا لم يتمدح به والظاهر أن التوب مصدر وقيل جمع تو بة أى ما ذنب تاب منه العبد الا قبل تو بته وقد ذكر أهل الاعراب ههنا سؤالا وهو أن غافر الذنب وقابل التوب يمكن توجيههما بأنهما معرفتان كما سبق فى مالك يوم الدين وهو أنهما بمعنى الماضى أو الاستمرار فيصح وقوعهما صفتين لله الا أن قوله شديد العقاب لا يمكن فيه هذا الوجه لانه فى معنى شديد عقابه فان قلنا انه صفة لزم وقوع النكرة صفة للمعرفة وان قلنا انه بدل لزم نبو ظاهر للزوم بدل واحد فيما بين صفات كثيرة وأجيب على تقدير أن لا يكون الكل أبدالا بأن الالف واللام من شديد محذوف لمناسبة ما قبله مع الامن من اللبس ومن جهالة الموصوف أو تعمد تنكيره من بين الصفات للابهام والدلالة على فرط الشدة وجوزوا أن تكون هذه النكتة سببا لجعله بدلا من بين سائر أخواته هذا ما قاله صاحب الكشاف وعندى أنه لا مانع من جعل شديد العقاب أيضا للاستمرار والدوام حتى يصير اضافة حقيقية قوله (ذى الطول) أى ذى الفضل بسبب ترك العقاب وقدمر فى قوله ومن لم يستطع منكم طولا وانما أورد هذا الوصف بعد وصفه نفسه بشدة العقاب ليعلم أن خاتمة أمره مبنية على التفضل كما أن فاتحته مبنية على الغفران وقبول التو بة وقد تقع عقو بة فى الوسط أعاذنا الله منها

الا أنه لايبقى مؤمن فى النار خالدا ببركة قوله لااله الا الله وهو المبدأ وسبب علمه أنه اليه المصير وهو المعاد وفيه أن من آمن بالمبدا والمعاد فان أخل فى الوسط ببعض التكاليف كان مرجوا أن (٢٦) يغفر الله له ويقبل توبته ثم بين أحوال من لا يقبل هذه التقريرات ولا يخضع لها فقال (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) والجدال فى آياته نسبتها الى الشعر تارة والى السحر أخرى الى غير ذلك من المطاعن وفضول الكلام فأما البحث عنها لاستنباط حقائقها والوقوف على دقائقها وحل مشكلاتها فنوع من الجهاد فى سبيل الله ولمكان الفرق بين هذين الجدالين قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا فى القرآن كفر فنكر الجدال ليشمل أحد نوعيه فقط وهو الجدال بالباطل كما يجيء فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ثم عقب الكلام بقوله (فلا يغررك) ليعلم أن جدالهم الصادر عن البطر والأشر والجاه والخدم لا اعتبار به وكذا (تقلبهم فى البلاد) للتجارات والمكاسب فان قريشا كانت أصحاب أموال متجرين الى الشام واليمن مترفين بأموالهم مستكبرين عن قبول الحق لذلك ثم مثل حالهم بحال الامم السالفة الذين تحزبوا على الرسل وكادوا يقتلونهم فأهلكهم الله ودمرهم ونجى الرسل ثم بين بقوله (وكذلك حقت) أنهم فى الآخرة أيضا معذبون وقوله (أنهم أصحاب النار) بدل من كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم فى الآخرة من أصحاب النار وجوز جار الله أن يكون أنهم فى محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل وقوله الذين كفروا قريش أى كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لأن العلة الجامعة وهى أنهم أصحاب النار واحدة فى الفريقين ومن قرأ كلمات على الجمع أراد بها علم الله السابق أو معلوماته التى لا نهاية لها أو الآيات الواردة فى وعيد الكفار وحين بين أن الكفار بالغوا فى اظهار عداوة المؤمنين حكى أن أشرف طبقات أكثر و يقول

نحويى البصرة أدخلت من فى هذين الموضعين توكيدا والله أعلم كقولك ماجاءنى من أحد وقال غيره قبل وحول وما أشبههما ظروف تدخل فيهما من وتخرج نحو أتيتك قبل زيد ومن قبل زيد وطفنا حولك ومن حولك وليس ذلك من نوع ماجاءنى من أحد لأن موضع من فى قولهم ماجاءنى من أحد رفع وهو اسم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن من فى هذه الأماكن أعنى فى قوله من حول العرش ومن قبلك وما أشبه ذلك وان كانت دخلت على الظروف فانها بمعنى التوكيد وقوله يسبحون بحمد ربهم يقول يصلون حول عرش الله شكرا له والعرب تدخل الباء أحيانا فى التسبيح وتحذفها أحيانا فتقول سبح بحمد الله وسبح حمد الله كما قال جل ثناؤه سبح اسم ربك الأعلى وقال فى موضع آخر فسبح باسم ربك العظيم وقوله وقضى بينهم بالحق يقول وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم والشهداء وأممها بالعدل فأسكن أهل الايمان بالله وبما جاءت به رسله الجنة وأهل الكفر به وبما جاءت به رسله النار وقيل الحمد لله رب العالمين يقول وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذى ابتدأ خلقهم الذى له الالوهية وملك جميع ما فى السموات والارض من الخلق من ملك وجن وانس وغير ذلك من أصناف الخلق وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يسبحون بحمد ربهم الآية كلها قال فتح أول الخلق بالحمد لله فقال الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختم بالحمد فقال وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

آخر تفسير سورة الزمر

﴿ تفسير سورة المؤمن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لااله الا هو اليه المصير﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله حم فقال بعضهم هو حروف مقطعة من اسم الله الذى هو الرحمن الرحيم وهو الحاء والميم منه ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزى قال ثنا على بن الحسن قال ثنى أبى عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة * وقال آخرون هو قسم أقسمه الله وهو اسم من أسماء الله ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال حم قسم أقسمه الله وهو اسم من أسماء الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله حم من حروف أسماء الله * وقال آخرون بل هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حم قال اسم من أسماء القرآن * وقال آخرون هو حروف هجاء * وقال آخرون بل هو اسم واحتجوا لقولهم ذلك بقول شريح بن أوفى العبسى

يذكرنى حم والرمح شاجر * فهلا تلا حم قبل التقدم

و بقول الكميت

وجدنا لكم فى آل حم آية * تأولها منا تقى ومعرب

وحدثت عن معمر بن المثنى أنه قال قال يونس يعني الجرمى ومن قال هذا القول فهو منكر عليه لان السورة حم ساكنة الحروف فخرجت مخرج التهجي وهذه أسماء سور خرجت متحركات واذا سميت سورة بشئ من هذه الأحرف الجزم دخله الاعراب * والقول فى ذلك عندى نظير القول فى أخواتها وقد بينا ذلك فى قوله الم ففى ذلك كفاية عن اعادته فى هذا الموضع اذ كان القول فى حم وجميع ماجاء فى القرآن على هذا الوجه أعني حروف التهجي قولا واحدا وقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم يقول الله تعالى ذكره من الله العزيز فى انتقامه من أعدائه العليم بما يعملون من الاعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب فالتنزيل مرفوع بقوله من الله وفى قوله غافر الذنب وجهان أحدهما أن يكون بمعنى يغفر ذنوب العباد واذا أريد هذا المعنى كان خفض غافر وقابل من وجهين أحدهما من نية تكرير من فيكون معنى الكلام حينئذ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم من غافر الذنب وقابل التوب لأن غافر الذنب نكرة وليس بالأفصح أن يكون نعتا للمعرفة وهو نكرة والآخر أن يكون أجرى فى اعرابه وهو نكرة على اعراب الاول كالنعت له لوقوعه بينه وبين قوله ذى الطول وهو معرفة وقد يجوز أن يكون أتبع اعرابه وهو نكرة اعراب الاول اذ كان مدحا وكان المدح يتبع اعرابه ماقبله أحيانا ويعدل به عن اعراب الاول أحيانا بالنصب والرفع كما قال الشاعر

لايبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك * والطيبين معاقد الأزر

وكما قال جل ثناؤه وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد فرفع فعال وهو نكرة محضة وأتبع اعراب الغفور الودود والآخر أن يكون معناه أن ذلك من صفته تعالى اذ كان لم يزل لذنوب العباد غفورا من قبل نزول هذه الآية وفى حال نزولها ومن بعد ذلك فيكون عند ذلك معرفة صحيحة ونعتا على الصحة وقال غافر الذنب ولم يقل الذنوب لانه أريد به الفعل وأما قوله وقابل التوب فان التوب قد يكون جمع توبة كما يجمع الدومة دوما والعومة عوما من عومة السفينة كما قال الشاعر * عوم السفين فلما حال دونهم * وقد يكون مصدر تاب يتوب توبا وقد حدثني محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى اسحق قال جاء رجل الى عمر فقال انى قتلت فهل لى من توبة قال نعم اعمل ولا تيأس ثم قرأ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب وقوله شديد العقاب يقول تعالى ذكره شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له فلا تتكلوا على سعة رحمته ولكن كونوا منه على حذر باجتناب معاصيه وأداء فرائضه فانه كما أنه لا يؤيس أهل الأجرام والآثام من عفوه وقبول توبة من تاب منهم من جرمه كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من محارمه وركبوا من معاصيه وقوله ذى الطول يقول ذى الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه يقال منه ان فلانا لذو طول على أصحابه اذا كان ذا فضل عليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذى الطول يقول ذى

المخلوقات وهم حملة العرش والحافون حوله يبالغون فى محبتهم ونصرتهم كأنه قيل ان كان هؤلاء الاراذل يعادونهم فلا تبال بهم ولا تقم لهم وزنا فان الاشراف يحابونهم روى صاحب الكشاف أن حملة العرش أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وهو طائر صغير شبه العصفور وروى أن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وعدد حملة العرش يوم القيامة ثمانية لقوله عزوجل ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية أما فى غير ذلك الوقت فلا يعلم به الا الله أما الذين حول العرش فقيل سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل مامنهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وهذه الآثار كلها منقولة من كتاب الكشاف * سؤال ما فائدة قوله (ويؤمنون به) ولا يخفى أن حملة العرش ومن حوله مؤمنون أجاب فى الكشاف بأن فائدته التنبيه على شرف الايمان والترغيب فيه وأيضا فيه تكذيب المجسمة فان الامر لو كان على زعمهم لكانت الملائكة يشاهدونه فلا يوصفون بالايمان به لانه لا يوصف بالايمان الا الغائب فعلم أن ايمانهم كايمان أهل الارض والكل سواء فى أن ايمانهم بطريق النظر والاستدلال واستحسن

السعة والغنى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ذي الطول الغنى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذي الطول أي ذي النعم * وقال بعضهم الطول القدرة ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذي الطول قال الطول القدرة ذاك الطول وقوله لا اله الا هو اليه المصير يقول لا معبود تصلح له العبادة الا الله العزيز العليم الذي صفته ما وصف جل ثناؤه فلا تعبدوا شيأ سواه اليه المصير يقول تعالى ذكره الى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس فاياه فاعبدوا فانه لا ينفعكم شئ عبدتموه عند ذلك سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ يقول تعالى ذكره ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالانكار لها الا الذين جحدوا توحيده وقوله فلا يغررك تقلبهم في البلاد يقول جل ثناؤه فلا يخدعك يا محمد تصرفهم في البلاد وبقاؤهم ومكثهم فيها مع كفرهم بربهم فتحسب أنهم انما أمهلوا وتقلبوا فتصرفوا في البلاد مع كفرهم بالله ولم يعاجلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم لانهم على شئ من الحق فانا لم نمهلهم لذلك ولكن ليبلغ الكتاب أجله ولتحق عليهم كلمة العذاب عذاب ربك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا يغررك تقلبهم في البلاد أسفارهم فيها ومجيئهم وذهابهم ثم قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص الأمم المكذبة رسلها وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسله على مثل الذي عليه قومه الذين أرسل اليهم وأنه أحل بهم من نقمته عند بلوغهم أمدهم بعد اعذار رسله اليهم وانذارهم بأسه ما قد ذكر في كتابه إعلاما منه بذلك نبيه أن سنته في قومه الذين سلكوا سبيل أولئك في تكذيبه وجداله سنته من احلال نقمته بهم وسطوته بهم فقال تعالى ذكره كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتك اليهم رسولا المجادليك بالباطل قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهم الامم الذين تحزبوا وتجمعوا على رسلهم بالتكذيب لها كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وأشباههم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم قال الكفار وقوله وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه يقول تعالى ذكره وهمت كل أمة من هذه الامم المكذبة رسلها المتحزبة على أنبيائها برسولهم الذي أرسل اليهم ليأخذوه فيقتلوه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه أي ليقتلوه وقيل برسولهم وقد قيل كل أمة فوجهت الهاء والميم الى الرجل دون لفظ الامة وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله برسولها يعني برسول الأمة وقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق يقول وخاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ليبطلوا بجدالهم اياه وخصومتهم له الحق الذي جاءهم به من عند الله من الدخول في طاعته والاقرار بتوحيده والبراءة من عبادة ما سواه كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل وقوله فأخذتهم فكيف كان عقاب يقول تعالى ذكره فأخذت الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندي فكيف كان

عقابي

هذا الكلام الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير حتى ترحم عليه وقال لو لم يكن في كتابه الا هذه النكتة لكفى به فخرا وشرفا وأنا أقول لانسلم أن الايمان لا يكون الا بالغائب والا لم يكن الايمان بالنبي وقت تحديه بالقرآن وان شئت فتأمل قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب فلو لم يكن ايمان بالشهادة لم يكن لقوله بالغيب فائدة على أنه يحتمل أن يشاهد الرب وينكر كونه الها ويمكن أن يكون محمول الشئ محجوبا عن ذلك الشئ فمن أين يلزم تكذيب المجسمة وقال بعضهم في الجواب أراد أنهم يسبحون تسبيح تلفظ لا تسبيح دلالة وزعم فخر الدين أن في الآية دلالة أخرى على ابطال قول أهل التجسيم ان الاله على العرش فانه لو كان كما زعموا وحامل الشئ حامل لكل ما على ذلك الشئ لزم أن تكون الملائكة حاملين لاله العالم حافظين له والحافظ أولى بالالهية من المحفوظ قلت لا شك أن هذه مغالطة فان جاز الحمل لا لاجل العظمة واظهار الكبرياء على ما يزعم الخصم في المسئلة كيف يلزم منه ذلك وهل يزعم عاقل أن الحمار أشرف من الانسان الراكب عليه من جهة الركوب عليه وانما ذكرت ما ذكرت لكونه واردا على كلام الامامين مع وفور فضلهما وبعد غورهما لا لاني مائل في المسئلة على ما يزعم الخصم الى غير معتقدهما قال جار الله وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وفيه أنهم بعد التعظيم لأمر الله يقبلون على الشفقة على خلق الله ولا سيما المؤمنين لان الايمان جامع لا أجمع منه يجذب السماوي الى الارضي والروحاني الى العنصري احتج كثير من العلماء بالآية على أفضلية الملك قالوا لانها تدل على أنه لا معصية للملائكة والا لزم بحكم ابدأ بنفسك أن يستغفروا أولا لأنفسهم قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا قلت لا نزاع بالنسبة

عقابى اياهم ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة ولمن بعدهم عظة وأجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء وللوحوش ثواء وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأخذتهم فكيف كان عقاب قال شديد والله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) يقول تعالى ذكره وكما حق على الامم التى كذبت رسلها التى قصصت عليك يا محمد قصصها عذابى وحل بها عقابى بتكذيبهم رسلهم وجدالهم اياهم بالباطل ليدحضوا به الحق كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك الذين يجادلون فى آيات الله وقوله أنهم أصحاب النار اختلف أهل العربية فى موضع قوله أنهم فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار أى لأنهم أو بأنهم وليس أنهم فى موضع مفعول ليس مثل قولك أحققت أنهم لو كان كذلك كان أيضا أحققت لأنهم وكان غيره يقول أنهم بدل من الكلمة كأنه أحقت الكلمة حقا أنهم أصحاب النار * والصواب من القول فى ذلك أن قوله أنهم ترجمة عن الكلمة بمعنى وكذلك حق عليهم عذاب النار الذى وعد الله أهل الكفر به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) يقول تعالى ذكره الذين يحملون عرش الله من ملائكته ومن حول عرشه ممن يحف به من الملائكة يسبحون بحمد ربهم يقول يصلون لربهم بحمده وشكره ويؤمنون به يقول ويقرون بالله أنه لا اله لهم سواه ويشهدون بذلك لا يستكبرون عن عبادته ويستغفرون للذين آمنوا يقول ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقروا بمثل اقرارهم من توحيد الله والبراءة من كل معبود سواه ذنوبهم فيعفوها عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستغفرون للذين آمنوا لأهل لا اله الا الله وقوله ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما وفى هذا الكلام محذوف وهو يقولون ومعنى الكلام ويستغفرون للذين آمنوا يقولون يا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما ويعنى بقوله وسعت كل شئ رحمة وعلما وسعت رحمتك وعلمك كل شئ من خلقك فعلمت كل شئ فلم يخف عليك شئ ورحمت خلقك ووسعتهم برحمتك وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب الرحمة والعلم فقال بعض نحويى البصرة انتصاب ذلك كانتصاب لك مثله عبدا لانك قد جعلت وسعت كل شئ وهو مفعول له والفاعل التاء وجاء بالرحمة والعلم تفسيرا وقد شغلت عنهما الفعل كما شغلت المثل بالهاء فلذلك نصبته تشبيها بالمفعول بعد الفاعل وقال غيره هو من المنقول وهو مفسر وسعت رحمته وعلمه ووسع هو كل شئ رحمة كما تقول طابت به نفسى وطبت به نفسا وقال أما لك مثله عبدا فان المقادير لا تكون الا معلومة مثل عندى رطل زيتا والمثل غير معلوم ولكن لفظه لفظ المعرفة والعبد نكرة فلذلك نصب العبد وله أن يرفع واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

ما فى معد والقبائل كلها * قحطان مثلك واحد معدود

وقال رد الواحد على مثل لانه نكرة قال ولو قلت ما مثلك رجل ومثلك رجل ومثلك رجلا جاز لأن مثل يكون نكرة وان كان لفظها معرفة وقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك يقول فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك فرجع الى توحيدك واتبع أمرك ونهيك كما حدثنا بشر

اليهم والى غير المعصومين من البشر وانما النزاع بينهم وبين المعصومين فلا دليل فى الآية ولا يلزم من طلب الاستغفار لاحد لو سلم أن قوله للذين آمنوا عام أن يكون المستغفر له عاصيا على أنه قد خص الاستغفار فى قوله فاغفر للذين تابوا وهذا فيه بحث يجىء وفى قولهم (ربنا وسعت كل شئ رحمة) ولو باعطاء الوجود (وعلما) وقد مر فى الانعام اشارة الى أن الحمد والثناء ينبغى أن يكون مقدما على الدعاء وفى لفظ ربنا خاصية قوية فى تقديم الدعاء كما ذكرنا فى آخر آل عمران كأن الداعى يقول كنت نفيا صرفا وعدما محضا فأخرجتنى الى الوجود وربيتنى فاجعل تربيتك لى شفيعا اليك ولا ريب أن ذكر الله أول كل شئ بمنزلة الاكسير الاعظم للنحاس من حيث انه يقوى جوهر الروح ويكسبه اشراقا وصفاء وفى تقديم الرحمة على العلم فائدة هى أن مطلوب الملائكة فى هذا المقام هو أن يرحم المؤمنين فكأنهم قالوا ارحم من علمت منه التوبة واتباع الدين قالت علماء المعتزلة الفائدة فى استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون طلب مزيد الكرامة والثواب فهو بمنزلة الشفاعة واذا ثبت شفاعة الملائكة لاهل الطاعة فكذلك شفاعة الانبياء ضرورة أنه لا قائل بالفرق وقال علماء السنة ان مراد الملائكة (فاغفر للذين تابوا) عن الكفر (واتبعوا سبيلك) الايمان وهذا لا ينافى كون المستغفر لهم مذنبين ومما يؤيد ما قلنا أن الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا فى اسقاط العذاب أما طلب النفع الزائد فانه لا يسمى استغفارا قال أهل التحقيق هذا الاستغفار من الملائكة يجرى مجرى الاعتذار من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أما قوله (وقهم عذاب الجحيم) فتصريح بالمطلوب بعد الرمز لان دلالة المغفرة على الوقاية من العذاب كالضمنية وحين طلبوا لاجلهم اسقاط العذاب ضمنا وصريحا طلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) قال علماء السنة كل أهل الايمان موعودون بالجنة وان

كانوا من أهل الكبائر غاية ذلك انهم يعذبون بالنار مدة ان لم يكن عفو او شفاعة ثم يخرجون الى الجنة قال الفراء والزجاج قوله (ومن صلح) يجوز أن يكون معطوفا على الضمير في وأدخلهم فيكون دعاء من الملائكة بادخال هؤلاء الاصناف الجنة تكميلا لأنس الاولين

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاغفر للذين تابوا من الشرك وقوله واتبعوا سبيلك يقول وسلكوا الطريق الذى أمرتهم أن يسلكوه ولزموا المنهاج الذى أمرتهم بلزومه وذلك الدخول في الاسلام * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتبعوا سبيلك أى طاعتك وقوله وقهم عذاب الجحيم يقول واصرف عن الذين تابوا من الشرك واتبعوا سبيلك عذاب النار يوم القيامة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء ملائكته لأهل الايمان به من عباده تقول يا ربنا وأدخلهم جنات عدن يعنى بساتين اقامة التى وعدتهم يعنى التى وعدت أهل الانابة الى طاعتك أن تدخلهموها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم يقول وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا واتبعوا سبيلك جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فعمل بما يرضيك عنه من الاعمال الصالحة في الدنيا وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة وان لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله اياه كما حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى بن يمان العجلى قال ثنا شريك عن سعيد قال يدخل الرجل الجنة فيقول أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجتى فيقال لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة ثم قرأ جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فمن اذا اذ كان ذلك معناه في موضع نصب عطفا على الهاء والميم في قوله وأدخلهم وجائز أن يكون نصبا على العطف على الهاء والميم في وعدتهم انك أنت العزيز الحكيم يقول انك أنت يا ربنا العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره خلقه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله مخبرا عن قيل ملائكته وقهم اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التى كانوا أتوها قبل توبتهم وانابتهم يقولون لا تؤاخذهم بذلك فتعذبهم به ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته يقول ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة فقد رحمته فنجيته من عذابك وذلك هو الفوز العظيم لانه من نجا من النار وأدخل الجنة فقد فاز وذلك لا شك هو الفوز العظيم * وبنحو الذى قلنا في معنى السيئات قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقهم السيئات أى العذاب حدثنا ابن بشار قال ثنا معمر بن بشير قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة عن مطرف قال وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة وأغش العباد للعباد الشياطين وتلا الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال مطرف وجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين ووجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة اذا دخلوها فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعد الله لهم فيها من أنواع العذاب فيقال لهم لمقت الله اياكم أيها القوم في الدنيا اذ تدعون فيها للايمان بالله

وتتميما لابتهاجهم واشفاقا على هؤلاء أيضا ويجوز أن يكون عطفا على الضمير في وعدتهم لانه تعالى قال في سورة الرعد أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وعلى هذا لا يشمل دعاء الملائكة هؤلاء الأصناف اللهم الا ضمنا قال أهل السنة المراد بمن صلح أهل الايمان منهم وان كانوا ذوى كبائر ثم ختم الآية بقوله (انك أنت العزيز الحكيم) لانه ان لم يكن غالبا على الكل لم يصح منه وقوع المطلوب كما يراد وان لم يكن حكيما أمكن منه وضع الشئ في غير موضعه ثم قالوا (وقهم السيئات) فقيل يعنى العقوبات أو عذاب السيئات على حذف المضاف واعترض بأنهم قالوا مرة وقهم عذاب الجحيم فيلزم التكرار وأجيب بأن الاول دعاء للاصول وهذا لفروعهم وهم الاصناف الثلاثة أو الاول مخصوص بعذاب النار وهذا شامل لعذاب الموقف وعذاب الحساب وعذاب السؤال أو المراد بالسيئات العقائد الفاسدة والاعمال الضارة وعلى هذا يكون يومئذ في قوله (ومن تق السيئات يومئذ) اشارة الى الدنيا وقوله (فقد رحمته) يجوز أن يكون في الدنيا وفي الآخرة قال في الكشاف السيئات هى الصغائر والكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة ثم انه تعالى عاد الى شرح أحوال الكفرة المجادلين في آياته وأنهم سيعترفون يوم القيامة بما كانوا ينكرونه في الدنيا من البعث وذلك اذا عاينوا النشأة وتذكروا النشأة الاولى فقال (ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيامة وفي الآية حذف وفيها تقديم وتأخير أما الحذف فالتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم

بالله فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حل بكم من سخط الله عليكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لمقت الله أكبر قال مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم ومقت الله اياهم فى الدنيا اذ يدعون الى الايمان فيكفرون أكبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون يقول لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الايمان فى الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوا أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم فى النار اذ تدعون الى الايمان فى الدنيا فتكفرون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ينادون لمقت الله الآية قال لما دخلوا النار مقتوا أنفسهم فى معاصى الله التى ركبوها فنودوا ان مقت الله اياكم حين دعاكم الى الاسلام أشد من مقتكم أنفسكم اليوم حين دخلتم النار واختلف أهل العربية فى وجه دخول هذه اللام فى قوله لمقت الله أكبر فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة هى لام الابتداء كأن ينادون يقال لهم لان النداء قول قال ومثله فى الاعراب يقال لزيد أفضل من عمرو وقال بعض نحويى الكوفة المعنى فيه ينادون أن مقت الله اياكم ولكن اللام تكفى من أن تقول فى الكلام ناديت أن زيدا قائم قال ومثله قوله ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين اللام بمنزلة أن فى كل كلام ضارع القول مثل ينادون ويخبرون وأشباه ذلك * وقال آخر غيره منهم هذه لام اليمين تدخل مع الحكاية وما ضارع الحكاية لتدل على أن ما بعدها ائتناف قال ولا يجوز فى جوابات الأيمان أن تقوم مقام اليمين لان اللام كانت معها النون أولم تكن فاكتفى بها من اليمين لانها لاتقع الامعها وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال دخلت لتؤذن أن ما بعدها ائتناف وأنها لام اليمين وقوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قد أتينا عليه فى سورة البقرة فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ولكنا نذكر بعض ما قال بعضهم فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لابد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان وحدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين هو قول الله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال هو كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الآية حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال هى كالتى فى البقرة وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال خلقتنا

فيها باتباعكم هواهن وفيه توبيخ ولاريب أن سخط الله وبغضه الشديد لانسبة له الى سخط غيره ولهذا أوردهم النار الثانى عن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا بلسان خزنة جهنم لمقت الله وهو قريب من الاول الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم فى النار بقوله وما كان لى عليكم من سلطان الى قوله ولوموا أنفسكم وفى هذه الحالة مقتوا أنفسهم فلعل المعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض ومن لعنه اياه وأما قول الكفرة فى الجواب (ربنا أمتنا اثنتين) أى اماتتين اثنتين (وأحييتنا) احياءتين (اثنتين) فللعلماء فى تعيين كل من الاثنتين خلاف أما فى الكشاف فذهب الى أن الاماتتين احداهما خلقهم أولا أمواتا ثم نطفة ثم علقة الخ كما فى الآية الأخرى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا ونسب هذا القول الى ابن عباس ووجهه بأنه كقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر أو بالعكس وانما أردت الانشاء على هذه الصفة والسبب فى صحته أن كلا النعتين جائز على المصنوع الواحد وللصانع ان يختار أحدهما قلت ومما يؤيد قوله أنه بدأ بالاماتة ولو كان الاظهر أن يبدأ بالاحياء قال والاماتة الثانية هى التى فى الدنيا والاحياءة الاولى هى التى فى الدنيا والثانية هى التى بعد البعث وأورد على هذا القول أنه لزم أن لاتكون الاحياءة فى القبر والاماتة فيه مذكورتين فى القرآن بل تكونان منفيتين مع ورودهما فى الحديث أجاب بعضهم بأن حياة القبر والاماتة ممنوعة لانه تعالى لم يذكرها والاحاديث الواردة فيها آحاد ولان الذى افترسه السبع لو أعيد حيا لزم نقصان شئ من السبع

وليس بمحسوس ولان الذى مات لو تركناه ظاهرا بحيث يراه كل احد لم يحس منه حياة وتجويز ذلك مع عدم الرؤية سفسطة وفتح لباب الجهالات وزيف هذا الجواب أهل الاعتبار (٣٢) بأن عدم ذكر الشئ لا يدل على عدمه والاحاديث فى ذلك الباب صحيحة مقبولة واذا كان الانسان جوهرا نورانيا مشرقا مدبرا للبدن فى كل طور على حد معلوم كما ورد فى الشريعة الحقة زالت سائر الاشكالات ولا يلزم قياس ما بعد الموت على ما قبله وللشرع فى اخفاء هذه الامور عن نظر المكلفين حكم ظاهرة حققناها لك مرات وقال بعضهم فى الجواب هذا كلام الكفار فلا يكون حجة وضعف بأنه لو لم يكن صادقا لأنكر الله عليهم وقيل أن مقصودهم تعديد أوقات البلاء والمحنة وهى أربعة الموتة الاولى والحياة فى القبر والموتة الثانيــة والحياة فى القيامة فأما الحياة فى الدنيا فانها وقت ترفههم وتنعمهم فلهــذا السبب لم يذكروها وقيل أهملوا ذكر حياة القبر لقصر مدتها أو لانهم لم يموتوا بعد ذلك بل يبقون أحياء فى الشقاوة حتى تتصل بها حياة القيامة وكانوا من جملة المستثنين فى قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ولا يخفى أن أكثر هــذه الاقوال متكلفة ولاسيما الاخير فان قوله الذين كفروا عام ولو فرض أنه مخصوص بكفار معهودين فتخصيصهم بالحياة فى القبر حتى يكونوا من المستثنين بعيــد جدا وقد يدور فى الخلد أن هــذا النداء يحتمل أن يكون فى القبر وعلى هذا لا يبقى اشكال لان الاماتة والاحياء التى بعد ذلك تخرج من غير تكلف وثبت سؤال القبر كما جاء فى الحديث والله تعالى أعلم بمراده وقوله (فهل الى خروج من سبيل) أى الى نوع من الخروج والرد من القبر الى الدنيا خروج سريع أو بطىء من سبيل قط أم اليأس الكلى واقع وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وكان الجواب الصريح أن يقال لا أو نعم الا أنه سبحانه رمز الى عدم الخروج بقوله (ذلكم) أى ذلكم اليأس وأن

ولم نكن شيأ ثم أمتنا ثم أحييتنا حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قالوا كانوا أمواتا فأحياهم الله ثم أماتهم ثم أحياهم * وقال آخرون فيه ما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى قبورهم فسئلوا أو خوطبوا ثم أميتوا فى قبورهم ثم أحيوا فى الآخرة * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق وقرأ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم فقرأ حتى بلغ المبطلون قال فنساهم الفعل وأخذ عليهم الميثاق قال وانتزع ضلعا من أضلاع آدم القصرى فخلق منه حواء ذكره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وذلك قول الله يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء قال بث منهما بعد ذلك فى الارحام خلقا كثيرا وقرأ يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال خلقا بعد ذلك قال فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم ثم خلقهم فى الارحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة فذلك قول الله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا وقرأ قول الله وأخذنا منهم ميثاقا غليظا قال يومئذ وقرأ قول الله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا وقوله فاعترفنا بذنوبنا يقول فأقررنا بما عملنا من الذنوب فى الدنيا فهل الى خروج من سبيل يقول فهل الى خروج من النار لنا سبيل لنرجع الى الدنيا فنعمل غير الذى كنا نعمل فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهل الى خروج من سبيل فهل الى كرة الى الدنيا * القول فى تأويل قوله تعالى {ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير} وفى هذا الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر من ذكره عليه وهو فأجيبوا أن لا سبيل الى ذلك هذا الذى لكم من العذاب أيها الكافرون بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فأنكرتم أن تكون الالوهة له خالصة وقلتم أجعل الآلهة الها واحدا وان يشرك به تؤمنوا يقول وان يجعل لله شريك تصدقوا من جعل ذلك له فالحكم لله العلى الكبير يقول فالقضاء لله العلى على كل شئ الكبير الذى كل شئ دونه متصاغرا له اليوم * القول فى تأويل قوله تعالى {هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون} يقول تعالى ذكره الذى يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته وينزل لكم من السماء رزقا يقول ينزل لكم من أرزاقكم من السماء بادرار الغيث الذى يخرج به أقواتكم من الارض وغذاء أنعامكم عليكم وما يتذكر الا من ينيب يقول وما يتذكر حجج الله التى جعلها أدلة على وحدانيته فيعتبر بها ويتعظ ويعلم حقيقة ما تدل عليه الا من ينيب يقول الا من يرجع الى توحيده ويقبل على طاعته كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى الا من ينيب قال من يقبل الى طاعة الله وقوله فادعوا الله مخلصين له الدين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به فاعبدوا الله أيها المؤمنون له مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيأ مما دونه ولو كره الكافرون يقول ولو كره عبادتكم اياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون فى عبادتهم اياه الأوثان والأنداد * القول فى تأويل قوله تعالى {رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده

لينذر

لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ يقول تعالى ذكره هو رفيع الدرجات ورفع قوله رفيع الدرجات على الابتداء ولو جاء نصبا على الرد على قوله فادعوا الله كان صوابا ذو العرش يقول ذو السرير المحيط بما دونه وقوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده يقول ينزل الوحى من أمره على من يشاء من عباده * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الروح فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به الوحى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يلقى الروح من أمره قال الوحى من أمره * وقال آخرون عنى به القرآن والكتاب ذكر من قال ذلك حدثنى هرون بن ادريس الأصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن جويبر عن الضحاك فى قوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده قال يعنى بالروح الكتاب ينزله على من يشاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده وقرأ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا قال هذا القرآن هو الروح أوحاه الله الى جبريل وجبريل روح نزل به على النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ نزل به الروح الامين قال فالكتب التى أنزلها الله على أنبيائه هى الروح لينذر بها ما قال الله يوم التلاق يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال الروح القرآن كان أبى يقوله قال ابن زيد يقومون له صفا بين السماء والارض حين ينزل جل جلاله * وقال آخرون عنى به النبوة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده قال النبوة على من يشاء وهذه الاقوال متقاربات المعانى وان اختلفت ألفاظ أصحابها وقوله لينذر يوم التلاق يقول لينذر من يلقى الروح عليه من عباده من أمر الله بانذاره من خلقه عذاب يوم تلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وهو يوم التلاق وذلك يوم القيامة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يوم التلاق من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم التلاق يوم تلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض والخالق والخلق حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى يوم التلاق تلتقى أهل السماء وأهل الارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يوم التلاق قال يوم القيامة قال يوم تتلاقى العباد وقوله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ يعنى بقوله يوم هم بارزون يعنى المنذرين الذين أرسل الله اليهم رسله لينذروهم وهم ظاهرون يعنى للناظرين لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر ولا يستر بعضهم عن بعض ساتر ولكنهم بقاع صفصف لا أمت فيه ولا عوج وهم من قوله يوم هم فى موضع رفع بما بعده كقول القائل فعلت ذلك يوم الحجاج أمير واختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها لم تخفض هم بيوم وقد أضيف اليه فقال بعض نحويى البصرة أضاف يوم الى هم فى المعنى فلذلك لا ينون اليوم كما قال يوم هم على النار يفتنون وقال هذا يوم لا ينطقون ومعناه هذا يوم فتنتهم ولكن لما ابتدأ بالاسم وبنى عليه لم يقدر على جره وكانت الاضافة فى المعنى الى الفتنة وهذا انما يكون اذا كان اليوم فى معنى اذ والا فهو قبيح

لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم فى وقت التمكن من التوحيد أوان التكليف (فالحكم لله العلى الكبير) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمدى وكما يناسب عظمته وكبرياءه قيل ان تحكيم الحرورية وهو قولهم لا حكم الا لله مأخوذ من هذه الآية ثم أراد أن يذكر طرفا من دلائل وحدانيته وكماله فقال (هو الذى يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق (وينزل لكم من السماء) ماء هو سبب الرزق (وما يتذكر الا من ينيب) أى ما يعتبر الا الذى أناب الى الله وأعرض عن الشرك لينفتح عليه أبواب الانوار والمكاشفات ثم قال للمنيبين (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) قال جار الله قوله (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على الاول وهو قوله الذى يريكم أو أخبار مبتدا محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا أوسطها معرفة ثم ان الرفيع اما أن يكون بمعنى الرافع أو بمعنى المرتفع وعلى الاول فاما أن يراد رافع درجات الخلق فى العلم والأخلاق الفاضلة كما قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وكذا فى الرزق والاجل بل جعل للملائكة مقامات معينة وللاجسام البسيطة العلوية والسفلية درجات معينة كما يشهد به علم الهيئة وقد أشرنا الى ذلك فى أثناء هذا الكتاب أو يراد رافع درجات الانبياء والاولياء فى الجنة وأما على الثانى فلا ريب أنه سبحانه أشرف الموجودات وأجلها رتبة من جهة استغنائه فى وجوده وفى جميع صفات وجوده عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه اليه فى الوجود وفى توابع الوجود واعلم أن كمال كبرياء الله لا يصل اليه عقول البشر فالطريق فى تعريفه أن يؤيد المعقول بنحو من المحسوس فلهذا عقب الله تعالى هذه الصفة بصفتين أخريين وذلك أن ما سوى الله اما جسمانيات واما روحانيات أما الجسمانيات فأعظمها العرش فأشار بقوله ذو العرش

الى استيلائه على كلية عالم الاجسام وأما الروحانيات فأشار الى كونها تحت تسخيره بقوله يلقى الروح أى الوحى (من أمره) أى من عالم أمره (على من يشاء من عباده) وقد مر نظيره (٣٤) فى الآية فى أول سورة النحل وقيل من أمره حال ثم بين الغرض من الالقاء بقوله (لينذر يوم التلاق) ووجه التسمية ظاهر لتلاقى الاجساد والارواح فيه أو لتلاقى أهل السماء والارض كما قال عز من قائل ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ولأن كل واحد يلاقى جزاء عمله وقال ميمون بن مهران يوم يلتقى فيه الظالم والمظلوم فربما ظلم رجل رجلا وانفصل عنه ولم يمكن التلاقى أو استضعف المظلوم ففى يوم القيامة لابد أن يتلاقيا وقوله (يوم هم بارزون) بدل من الاول ومعنى البروز مامر فى آخر سورة ابراهيم فى قوله وبرزوا لله الواحد القهار وقوله (لايخفى على الله منهم شئ) تأكيد لذلك وهذا وان كان عاما فى جميع الاحوال وشاملا للدنيا والآخرة الا أنه خصص بالآخرة لانهم فى الدنيا كانوا يظنون أن بعض الأعمال تخفى على الله عند الاستتار بالحجب كما قال ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون فهو نظير قوله مالك يوم الدين ثم أكد تفرده فى ذلك اليوم بالحكم والقضاء بقوله (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) ولاريب أن الكلام مشتمل على جواب وسؤال وليس فى لفظ الآية مايدل على تعيين السائل ولا المجيب فقال جم من المفسرين ومن أرباب القلوب اذا هلك كل من فى السموات ومن فى الارض يقول الرب تعالى لمن الملك اليوم فلايجيبه أحد فهو سبحانه يجيب عن نفسه فيقول لله الواحد القهار وأما الذين ألغوا صرف المعقول من أهل الاصول فقد أنكروا هذا القول انكارا شديدا لانه تعالى بين أن هذا النداء فى يوم التلاق والبروز يوم تجزى كل نفس بما كسبت وكل هذا ينافى كون الخلق هالكين وقتئذ ولأن التكلم من غير سامع ولامجيب عبث الا أن يكون

ألا ترى أنك تقول لقيتك زمن زيد أميرا أى اذ زيد أمير ولو قلت ألقاك زمن زيد أمير لم يحسن وقال غيره معنى ذلك أن الاوقات جعلت بمعنى اذ واذا فلذلك بقيت على نصبها فى الرفع والخفض والنصب فقال ومن خزى يومئذ فنصبوا والموضع خفض وذلك دليل على أنه جعل موضع الأداة ويجوز أن يعرب بوجوه الاعراب لانه ظهر ظهور الاسماء ألا ترى أنه لايعود عليه العائد كما يعود على الاسماء فان عاد العائد نون وأعرب ولم يضف فقيل أعجبنى يوم فيه تقوم لما أن خرج من معنى الأداة وعاد عليه الذكر صار اسما صحيحا قال وجائز فى اذ أن تقول أتيتك اذ تقوم كما تقول أتيتك يوم يجلس القاضى فيكون زمنا معلوما فأما أتيتك يوم تقوم فلا مؤنة فيه وهو جائز عند جميعهم وقال وهذه التى تسمى اضافة غير محضة * والصواب من القول عندى فى ذلك أن نصب يوم وسائر الأزمنة فى مثل هذا الموضع نظير نصب الأدوات لوقوعها مواقعها واذ أعربت بوجوه الاعراب فلأنها ظهرت ظهور الاسماء فعوملت معاملتها وقوله لايخفى على الله منهم ولا من أعمالهم التى عملوها فى الدنيا شئ وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شئ ولكنهم برزوا له يوم القيامة فلا يستترون بجبل ولا مدر وقوله لمن الملك اليوم يعنى بذلك يقول الرب لمن الملك اليوم وترك ذكر يقول استغناء بدلالة الكلام عليه وقوله لله الواحد القهار وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل ومعنى الكلام يقول الرب لمن السلطان اليوم وذلك يوم القيامة فيجيب نفسه فيقول لله الواحد الذى لامثل له ولا شبيه القهار لكل شئ سواه بقدرته الغالب بعزته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله يوم القيامة حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يقول اليوم يثاب كل عامل بعمله فيوفى أجر عمله فعامل الخير يجزى الخير وعامل الشر يجزى جزاءه وقوله لاظلم اليوم يقول لابخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله فى الدنيا فينقص منه ان كان محسنا ولا حمل على مسئ اثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه ان الله سريع الحساب يقول ان الله ذو سرعة فى محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ذكر أن ذلك اليوم لاينتصف حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وقد فرغ من حسابهم والقضاء بينهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ ان الله هو السميع البصير ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وأنذر يا محمد مشركى قومك يوم الآزفة يعنى يوم القيامة أن يوافوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة فيستحقوا من الله عقابه الأليم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يوم الآزفة قال يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنذرهم يوم الآزفة يوم القيامة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأنذرهم يوم الآزفة قال يوم القيامة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد

هناك ملائكة يسمعون ذلك النداء لكن المفروض فناء كل المخلوقين فاما أن يكون حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به وذلك ان ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الوحد القهار (٣٥) يقوله المؤمن تلذذا والكافر هوانا وتحسرا على أن فاتتهم هذه المعرفة فى الدنيا فان الملك كان له من الازل الى الابد وفائدة تخصيص هذا النداء يوم القيامة كما عرفت فى مالك يوم الدين يحكى أن نصر بن أحمد لما دخل نيسابور وضع التاج على رأسه ودخل عليه الناس فخطر بباله شئ فقال هل فيكم من يقرأ آية فقرأ رجل رواس رفيع الدرجات ذو العرش فلما بلغ قوله لمن الملك اليوم نزل الامير عن سريره ورفع التاج عن رأسه وسجد لله تعالى وقال لك الملك لا لى فلما توفى الرواس رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وقال لى انك عظمت ملكى فى عين عبدى فلان يوم قرأت تلك الآية فغفرت لك وله ومما يدل على تفرده سبحانه قوله (لله الواحد القهار) فان كل واحد من الأسماء الثلاثة ينبئ عن غاية الجلال والعظمة كما مر مرارا وباقى الآية أيضا مما سلف تفسيره مرات ثم وصف يوم القيامة بأنواع أخر من الصفات الهائلة فقال (وأنذرهم يوم الآزفة) وهى فاعلة من أزف الأمر أزوفا اذا دنا ولا ريب أن القيامة قريبة وان استبعد الناس مداها لأن كل ما هو كائن فهو قريب قال جار الله يجوز أن يريد بيوم الآزفة وقت لحظة الآزفة وهى مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارّها فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا وقال أبو مسلم يوم الآزفة يوم المنية وحضور الأجل لانه

زيد فى قوله وأنذرهم يوم الآزفة قال يوم القيامة وقرأ أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة وقوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين يقول تعالى ذكره اذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله لدى حناجرهم قد شخصت من صدورهم فتعلقت بحلوقهم كاظميها يرومون ردّها الى مواضعها من صدورهم فلا ترجع ولا هى تخرج من أبدانهم فيموتوا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ القلوب لدى الحناجر قال قد وقعت القلوب فى الحناجر من المخافة فلا هى تخرج ولا تعود الى أمكنتها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين قال شخصت أفئدتهم عن أمكنتها فنشبت فى حلوقهم فلم تخرج من أجوافهم فيموتوا ولم ترجع الى أمكنتها فتستقر واختلف أهل العربية فى وجه نصب كاظمين فقال بعض نحويى البصرة انتصابه على الحال كأنه أراد اذ القلوب لدى الحناجر فى هذه الحال وكان بعض نحويى الكوفة يقول الألف واللام بدل من الاضافة كأنه قال اذ قلوبهم لدى حناجرهم فى حال كظمهم وقال آخر منهم هو نصب على القطع من المعنى الذى يرجع من ذكرهم فى القلوب والحناجر المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين قال فان شئت جعلت قطعه من الهاء التى فى قوله وأنذرهم قال والاول أجود فى العربية وقد تقدم بيانى وجه ذلك وقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يقول جل ثناؤه ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع ويجاب فيما سأل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ما للظالمين من حميم ولا شفيع قال من يعنيه أمرهم ولا شفيع لهم وقوله يطاع صلة للشفيع ومعنى الكلام ما للظالمين من حميم ولا شفيع اذا شفع أطيع فيما شفع فأجيب وقبلت شفاعته له وقوله يعلم خائنة الأعين يقول جل ذكره مخبرا عن صفة نفسه يعلم ربكم ما خانت أعين عباده وما أخفته صدورهم يعنى وما أضمرته قلوبهم يقول لا يخفى عليه شئ من أمورهم حتى ما يحدث به نفسه ويضمره قلبه اذا نظر ماذا يريد بنظره وما ينوى ذلك بقلبه والله يقضى بالحق يقول والله تعالى ذكره يقضى فى الذى خانته الأعين بنظرها وأخفته الصدور عند نظر العيون بالحق فيجزى الذين أغمضوا أبصارهم وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه ومسئلته عنه بالحسنى والذين ردّدوا النظر وعزمت قلوبهم على مواقعة الفواحش اذا قدرت جزاءها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أحمد المروزى قال ثنا على بن حسين بن واقد قال ثنى أبى قال ثنا الأعمش قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس يعلم خائنة الأعين اذا نظرت اليها تريد الخيانة أم لا وما تخفى الصدور اذا قدرت عليها أتزنى بها أم لا قال ثم سكت ثم قال ألا أخبركم بالتى تليها قلت نعم قال والله يقضى بالحق قادر على أن يجزى بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة ان الله هو السميع البصير قال الحسن فقلت للأعمش حدثنى به الكلبى الا أنه قال ان الله قادر على أن يجزى بالسيئة السيئة وبالحسنة عشرا فقال الأعمش لو أن الذى عند الكلبى عندى ما خرج منى الا بحقير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

تعالى ذكر يوم القيامة فى قوله يوم التلاق يوم هم بارزون فناسب أن يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم ولأنه تعالى وصف يوم الموت بنحو هذه الصفة فى مواضع أخر قال فلولا اذا بلغت الحلقوم كلا اذا بلغت التراقى ولا ريب أن الرجل عند معاينة أمارات الموت يعظم خوفه فلوجعلنا

كون القلوب لدى الحناجر كناية عن شدة الخوف جاز ولو حملناه على ظاهره فلا بأس وقوله (كاظمين) أى مكروبين والكاظم الساكت حال امتلائه غما وغيظا قال عز من قائل والكاظمين الغيظ وانتصابه على أنه حال عن أصحاب القلوب كأنه قيل اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها أو عن القلوب وجمع جمع السلامة بناء على أن الكظم من أفعال العقلاء كقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين أو عن ضمير المفعول فى وأنذرهم أى وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم فيكون حالا مقدرة وفى قوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع بحث بين الاشاعرة والمعتزلة حيث حمله الأولون على أهل الشرك والآخرون على معنى أعم حتى يشمل أصحاب الكبائر وقد مر مرارا ولا سيما فى قوله وما للظالمين من أنصار ومعنى قوله (يطاع) يجاب أى لا شفاعة ولا اجابة كقوله

* ولا ترى الضب بها ينجحر *

وذلك أنه لا يشفع أحد فى ذلك اليوم الا باذن الله فان أذن له أجيب والا فلا يوجد شئ من الامرين والفائدة فى ذكر هذه الصفة أن يعلم أن الغرض من الشفيع منتف فى حقهم وان فرض شفيع على ما يزعم أهل الشرك من أن الاصنام يشفعون لهم وقوله (يعلم خائنة الاعين) خبر آخر لقوله هو الذى يريكم آياته الا أنه فصل بالتعليل وهو قوله لينذر وذكر وصف القيامة استطرادا قال جار الله هى صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب قال ولا يحسن أن تكون الخائنة صفة للاعين مضافة اليها نحو جرد قطيفة أى يعلم العين الخائنة لأن قوله وما تخفى الصدور لا يساعد عليه قلت يعنى أن عطف العرض على الجوهر والمعنى على العين غير مناسب وقيل هى قول الانسان رأيت ولم ير وما رأيت ورأى ومضمرات الصدور ذكره أى القلوب فيها لانها فيها قيل هى ما يستره الانسان من امانة وخيانة وقيل الوسوسة وقال ابن عباس ما تخفى الصدور بعد النظر اليها

عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يعلم خائنة الأعين قال نظر الأعين الى ما نهى الله عنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خائنة الأعين أى يعلم همزه بعينه واغماضه فيما لا يحب الله ولا يرضاه وقوله والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ يقول والاوثان والآلهة التى يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشئ لانها لا تعلم شيأ ولا تقدر على شئ يقول جل ثناؤه لهم فاعبدوا الذى يقدر على كل شئ ولا يخفى عليه شئ من أعمالكم فيجزى محسنكم بالاحسان والمسئ بالاساءة لا ما لا يقدر على شئ ولا يعلم شيأ فيعرف المحسن من المسئ فيثيب المحسن ويعاقب المسئ وقوله ان الله هو السميع البصير يقول ان الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس البصير بما تفعلون من الافعال محيط بكل ذلك محصيه عليكم ليجازى جميعكم جزاءه يوم الجزاء واختلفت القراء فى قراءة قوله والذين يدعون من دونه فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والذين تدعون من دونه بالتاء على وجه الخطاب وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء على وجه الخبر والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ يقول تعالى ذكره أولم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله المكذبون رسوله من قريش فى البلاد فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم يقول فيروا ما الذى كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الامم الذين سلكوا سبيلهم فى الكفر بالله وتكذيب رسله كانوا هم أشد منهم قوة يقول كانت تلك الامم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشا وأبقى فى الارض آثارا فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم اذ جاءهم أمر الله وأخذهم بما أجرموا من معاصيه واكتسبوا من الآثام ولكنه أباد جمعهم وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا وما كان لهم من الله من واق يقول وما كان لهم من عذاب الله اذ جاءهم من واق يقيهم فيدفعه عنهم كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كان لهم من الله من واق يقيهم ولا ينفعهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى فعلت بهؤلاء الامم الذين من قبل مشركى قريش من اهلاكناهم بذنوبهم فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله اليهم بالبينات يعنى بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم اليه من توحيد الله والانتهاء الى طاعته فكفروا يقول فأنكروا رسالتها وجحدوا توحيد الله وأبوا أن يطيعوا الله فأخذهم الله يقول فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم انه قوى شديد العقاب يقول ان الله ذو قوة لا يقهره شئ ولا يغلبه ولا يعجزه شئ أراده شديد عقابه من عاقب من خلقه وهذا وعيد من الله مشركى قريش المكذبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لهم جل ثناؤه فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم فى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وجحود توحيد الله ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم فى تعجيل الهلاك لكم مسلكهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب﴾ يقول تعالى

أيز نى بها أم لا أقول والحاصل أنه تعالى أراد أن يصف نفسه بكمال العلم فان المجازاة تتوقف على ذلك ففى قوله يعلم خائنة الأعين اشارة الى أنه عالم بجميع أفعال الجوارح وفى قوله وما تخفى الصدور دلالة على أنه عالم بجميع أفعال (٣٧) القلوب واذا علمت هذه الصفة وقد عرفت من الاوصاف السابقة كمال قدرته واستغنائه لم يبق شك فى حقية قضائه فلذلك قال (والله يقضى بالحق) ثم وبخهم على عبادة من لا قضاء له ولا سمع ولا بصر بقوله (والذين يدعون) الخ ثم وعظهم بالنظر فى أحوال الامم السالفة وقد مر نظير الآية فى مواضع وانما قال فى هذه السورة (ذلك بأنهم كانت) وفى التغابن ذلك بأنه كانت موافقة لضمير الفصل فى قوله كانوا هم أشد ۞ التأويل الحاء والميم حرفان من وسط اسم الرحمن ومن وسط اسم محمد ففى ذلك اشارة الى سر بينه و بين حبيبه صلى الله عليه وسلم لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل غافر الذنب للظالم وقابل التوب للمقتصد شديد العقاب للكافر ذى الطول للسابق وقهم عذاب الجحيم أى عن موجباتها كالرياء واتباع الهوى لمقت الله اياكم حين حكم عليكم بالبعد والحرمان أكبر من مقتكم أنفسكم لو كنتم تمقتونها فى الدنيا فانها أعدى عدوكم ومقتها منعها من هواها ولا ريب أن عذاب البعد الابدى أشد من رياضة أيام معدودة فلا تل ذو العرش عرش القلوب استوى عليها بجميع الصفات وهم العلماء بالله المستغرقون فى بحر معرفته ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد

ذكره مسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما كان يلق من مشركى قومه من قريش باعلامه ما لق موسى ممن أرسل اليه من التكذيب ومخبره أنه معليه عليهم وجاعل دائرة السوء على من حاده وشاقه كسنته فى موسى صلوات الله عليه اذ أعلاه وأهلك عدوه فرعون ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يعنى بأدلته وسلطان مبين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسلطان مبين أى عذر مبين يقول وحججه المبينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو اليه موسى الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يقول فقال هؤلاء الذين أرسل اليهم موسى لموسى هو ساحر يسحر العصا فيرى الناظر اليها أنها حية تسعى كذاب يقول يكذب على الله و يزعم أنه أرسله الى الناس رسولا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا فى ضلال﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله اليهم بالحق من عندنا وذلك مجيئه اياهم بتوحيد الله والعمل بطاعته مع اقامة الحجة عليهم بأن الله ابتعثه اليهم بالدعاء الى ذلك قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا بالله معه من بنى اسرائيل واستحيوا نساءهم يقول واستبقوا نساءهم للخدمة ۞ فان قال قائل وكيف قيل فلما جاءهم موسى بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وانما كان قتل فرعون الولدان من بنى اسرائيل حذار المولود الذى كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه وهلاك قومه وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبيا قيل ان هذا الامر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى واستحياء نسائهم كان أمرا من فرعون وملئه من بعد الامر الأول الذى كان من فرعون قبل مولد موسى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم قال هذا قتل غير القتل الاول الذى كان وقوله وما كيد الكافرين الا فى ضلال يقول وما احتيال أهل الكفر لأهل الايمان بالله الا فى جور عن سبيل الحق وصد عن قصد المحجة وأخذ على غير هدى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لملئه ذرونى أقتل موسى وليدع ربه الذى يزعم أنه أرسله الينا فيمنعه منا انى أخاف أن يبدل دينكم يقول انى أخاف ان يغير دينكم الذى أنتم عليه بسحره واختلفت القراء فى قراءة قوله أو أن يظهر فى الارض الفساد فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشأم والبصرة وأن يظهر فى الارض الفساد بغير ألف وكذلك ذلك فى مصاحف أهل المدينة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة أو أن بالالف وكذلك ذلك فى مصاحفهم يظهر فى الارض بفتح الياء ورفع الفساد ۞ والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن الفساد اذا أظهره مظهر كان ظاهرا واذا ظهر فباظهار مظهره يظهر ففى القراءة باحدى القراءتين فى ذلك دليل واضح على صحة معنى الاخرى وأما القراءة فى أو أن يظهر بالالف و بحذفها فانهما أيضا متقاربتا المعنى وذلك أن الشئ اذا بدل الى خلافه فلا شك أن خلافه المبدل اليه الاول هو الظاهر دون المبدل فسواء عطف على خبره عن خوفه من موسى أن يبدل دينهم بالواو أو بأو لأن تبديل دينهم كان عنده هو ظهور الفساد وظهور الفساد كان عنده هو تبديل الدين فتأويل الكلام اذا انى أخاف من موسى أن يغير دينكم الذى أنتم عليه أو أن

الكافرين الا فى ضلال وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله

وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا (٣٨) من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد وقال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب وقال الذين آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لاجرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وإذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا

يظهر فى أرضكم أرض مصر عبادة ربه الذى يدعوكم إلى عبادته وذلك كان عنده هو الفساد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة إنى أخاف أن يبدل دينكم أى أمركم الذى أنتم عليه أو أن يظهر فى الارض الفساد والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال موسى إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب﴾ يقول تعالى ذكره وقال موسى لفرعون وملئه إنى استجرت أيها القوم بربى وربكم من كل متكبر عليه تكبر عن توحيده والاقرار بألوهته وطاعته لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه فيجازى المحسن باحسانه والمسىء بما أساء وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب لأن من لم يكن بيوم الحساب مصدقا لم يكن للثواب على الاحسان راجيا ولا للعقاب على الاساءة وقبيح ما يأتى من الافعال خائفا ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة وقوله وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه اختلف أهل العلم فى هذا الرجل المؤمن فقال بعضهم كان من قوم فرعون غير أنه كان قد آمن بموسى وكان يسر إيمانه من فرعون وقومه خوفا على نفسه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وقال رجل مؤمن من آل فرعون قال هو ابن عم فرعون ويقال هو الذى نجا مع موسى فمن قال هذا القول وتأول هذا التأويل كان صوابا الوقف إذا أراد القارئ الوقف على قوله من آل فرعون لأن ذلك خبر متناه قد تم * وقال آخرون بل كان الرجل اسرائيليا ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون والصواب على هذا القول لمن أراد الوقف أن يجعل وقفه على قوله يكتم إيمانه لأن قوله من آل فرعون صلة لقوله يكتم إيمانه فتمامه قوله يكتم إيمانه وقد ذكر أن اسم هذا الرجل المؤمن من آل فرعون جبريل كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق * وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى القول الذى قاله السدى من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون قد أصغى لكلامه واستمع منه ما قاله وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله وقيله ما قال وقال له ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ولو كان اسرائيليا لكان حريا أن يعاجل هذا القائل له ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله لأنه لم يكن يستنصح بنى اسرائيل لاعتداده إياهم أعداء له فيكف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلا ولكنه لما كان من ملا قومه استمع قوله وكف عما كان هم به فى موسى وقوله أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله يقول أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربى الله فأن فى موضع نصب لما وصفت وقد جاءكم بالبينات يقول وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك وتلك البينات من الآيات يده وعصاه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق وقد جاءكم بالبينات من ربكم بعصاه وبيده وقوله وإن يك كاذبا فعليه كذبه يقول وإن يك موسى كاذبا فى قيله إن الله أرسله إليكم يأمركم بعبادته وترك دينكم الذى أنتم عليه فإنما إثم كذبه عليه دونكم وإن يك صادقا يصبكم

فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء (٣٩) الكافرين الا فى ضلال ﴾ القرآت ذرونى

بعض الذى يعدكم يقول وان يك صادقا فى قيله ذلك أصابكم الذى وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذى أنتم عليه مقيمون فلا حاجة بكم الى قتله فتزيدوا ربكم بذلك الى سخطه عليكم بكفركم سخطا ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب يقول ان الله لا يوفق للحق من هو متعدّ الى فعل ما ليس له فعله كذاب عليه يكذب و يقول عليه الباطل وغير الحق وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الاسراف الذى ذكره المؤمن فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به الشرك وأراد ان الله لا يهدى من هو مشرك به مفتر عليه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب مشرك أسرف على نفسه بالشرك * وقال آخرون عنى به من هو قتال سفاك للدماء بغير حق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب قال المسرف هو صاحب الدم و يقال هم المشركون والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عم بقوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب والشرك من الاسراف وسفك الدم بغير حق من الاسراف وقد كان مجتمعا فى فرعون الامران كلاهما فالحق أن يعم ذلك كما أخبر جل ثناؤه عن قائله أنه عم القول بذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض يعنى أرض مصر يقول لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بنى اسرائيل فى أرض مصر فمن ينصرنا من بأس الله يقول فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته ان حل بنا وعقوبته ان جاءتنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى يقول قال فرعون مجيبا لهذا المؤمن الناهى عن قتل موسى ما أريكم أيها الناس من الرأى والنصيحة الا ما أرى لنفسى ولكم صلاحا وصوابا وما أهديكم الا سبيل الرشاد يقول وما أدعوكم الا الى طريق الحق والصواب فى أمر موسى وقتله فانكم ان لم تقتلوه بدل دينكم وأظهر فى أرضكم الفساد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ يقول تعالى ذكره وقال المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه ياقوم انى أخاف عليكم بقتلكم موسى ان قتلتموه مثل يوم الاحزاب الذين تحزبوا على رسل الله نوح وهود وصالح فأهلكهم الله بتجرئهم عليهم فيهلككم كما أهلكهم وقوله مثل دأب قوم نوح يقول يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته فى قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم وقد بينا معنى الدأب فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادته مع ذكر أقوال أهل التأويل فيه وقد حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس مثل دأب قوم نوح يقول مثل حال حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مثل دأب قوم نوح قال مثل ما أصابهم وقوله والذين من بعدهم يعنى قوم ابراهيم وقوم لوط وهم أيضا من الاحزاب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين من بعدهم قال هم الأحزاب وقوله وما الله يريد ظلما للعباد يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه وما أهلك الله هذه الاحزاب من هذه

بفتح الياء ابن كثير انى أخاف بفتح الياء ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو أو بصيغة الترديد عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب الباقون بواو العطف يظهر بضم الياء وكسر الهاء من الاظهار الفساد بالنصب أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل وحفص الآخرون بفتحهما ورفع الفساد عذت مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف ويزيد واسمعيل وهشام التنادى بالياء فى الحالين ابن كثير ويعقوب وافق يزيد وورش وسهل وعباس فى الوصل قلب متكبر بالتنوين فيهما على الوصف أبو عمرو وقتيبة وابن ذكوان الباقون على الاضافة لعلى أبلغ الاسباب بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فأطلع بالنصب حفص اتبعونى بالياء فى الحالين سهل وابن كثير ويعقوب وافق أبو عمرو ويزيد والاصفهانى عن ورش واسمعيل وابونشيط عن قالون فى الوصل مالى بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع أمرى الى الله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو تقوم بتاء التأنيث الرازى عن هشام أدخلوا من الادخال أبو جعفر ونافع ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وحفص وعلى هذه القراءة الخطاب للزبانية وانتصب آل وأشد على أنهما مفعول بهما وعلى القراءة الاخرى هو لآل فرعون وانتصب آل على النداء لا على أنه مفعول به

﴿ الوقوف مبين ہ لا كذاب ہ نساءهم ط ضلال ہ ربه ج لاحتمال اللام مؤمن قف قد قيل بناء على أن الجار يتعلق بالفعل بعده والوصل أصح لانه كان من القبط ولو فرض أنه لم يكن منهم فالجملة وصف له من ربكم ج لانتهاء الاستفهام الى الابتداء بالشرط كذبه ج

الامم ظلما منه لهم بغير جرم اجترموه بينهم و بينه لانه لا يريد ظلم عباده ولا يشاؤه ولكنه أهلكهم باجرامهم وكفرهم به وخلافهم أمره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ و ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لفرعون وقومه و ياقوم انى أخاف عليكم بقتلكم موسى ان قتلتموه عقاب الله يوم التناد واختلفت القراء فى قراءة قوله يوم التناد فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يوم التناد بتخفيف الدال وترك اثبات الياء بمعنى التفاعل من تنادى القوم تناديا كما قال جل ثناؤه ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وقال ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء فلذلك تأوله قارؤ ذلك كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن عبد الله الانصارى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه قال فى هذه الآية يوم التناد قال يوم ينادى أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله و ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم ينادى أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وينادى أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم التناد قال يوم القيامة ينادى أهل الجنة أهل النار * وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معنى ذلك على هذه القراءة تأويل آخر على غير هذا الوجه وهو ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع المدنى عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع ففزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله و يأمره الله أن يديمها و يطولها فلا يفتر وهى التى يقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتكون سرابا فترج الارض بأهلها رجا وهى التى يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون كالسفينة المرتعة فى البحر تضربها الامواج تكفأ بأهلها أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجه الارواح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع و يولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم فعلى هذا التأويل معنى الكلام و ياقوم انى أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضهم بعضا من فزع نفخة الفزع * وقرأ ذلك آخرون يوم التنادّ بتشديد الدال بمعنى التفاعل من الند وذلك اذا هربوا فندوا فى الارض كما تند الابل اذا شردت على أربابها ذكر من قال ذلك كذلك وذكر المعنى الذى قصد بقراءته ذلك كذلك حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا أبو أسامة عن الاجلح قال سمعت الضحاك بن مزاحم قال اذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها ونزل من فيها من الملائكة فأحاطوا بالارض ومن عليها ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فصفوا صفا دون صف ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم فاذا رآها أهل الارض ندوا فلا يأتون قطرا من أقطار الارض الا وجدوا

للعطف والشرط يعدكم ط كذاب ه فى الارض ز لابتداء الاستفهام والوجه الوصل لان المقصود الوعظ به جاءنا ط الرشاد ه الأحزاب ه لا لأن ما بعده بدل بعدهم ط (٤٠) للعباد ه التناد ه ط لاجل البدل مدبرين ج لأن ما بعده يصلح حالا واستئنافا من عاصم ج لاحتمال كون ما بعده ابتداء اخبار من الله سبحانه وكونه من كلام المؤمن من هاد ه جاءكم به ط رسولا ط مرتاب ه ج لاحتمال البدل فان من فى معنى الجمع أو الاستئناف أى هم الذين أو أعنى أنهم آمنوا ط جبار ه الاسباب ه لا كاذبا ط السبيل ط تباب ه الرشاد ج لان النداء يبدأ به مع أنه تكرار للاول متاع ز للفصل بين تنافى الدارين مع اتفاق الجملتين القرار ه مثلها ج لعطف جملتى الشرط حساب ه النار ه ج لانتهاء الاستفهام الى الاخبار ولاحتمال ابتداء استفهام آخر الغفار ه النار ه لكم ط الى الله ط بالعباد ه العذاب ه ج لاحتمال البدل والابتداء وعشيا ج لاحتمال ما بعده العطف والاستئناف الساعة قف لحق القول المحذوف أى يقال لهم أو للزبانية العذاب ه من النار ه العباد ه من العذاب ه بالبينات ط بلى ط فادعوا ج لاحتمال أن ما بعده من قول الخزنة أو ابتداء اخبار من الله تعالى ضلال ه ۞ التفسير لما وبخ الكفار بعدم السير فى الارض للنظر والاعتبار أو بعدم النظر فى أحوال الماضين مع السير فى الاقطار وقد وصف الماضين بكثرة العدد والآثار الباقية أراد أن يصرح بقصة واحدة من قصصهم تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم و زيادة توبيخ وتذكير لهم وكان فى قصة موسى وفرعون من العجائب ما فيها فلا جرم أوردها ههنا مع فوائد زائدة على ما فى المواضع السبعة الأخر منها ذكر مؤمن آل فرعون وما وعظ ونصح به قومه ولان القصة قد تكررت مرارا فلنقتصر فى التفسير على ما يختص بالمقام

قوله (بالحق) أى بالمعجزات الظاهرة وقوله (اقتلوا) يريد به اعادة القتل كما مر فى الاعراف فى قوله سنقتل أبناءهم قوله (الا فى ضلال) أى فى ضياع واضمحلال فان كان اللام فى الكافرين للجنس فظاهر لأن وبال كيدهم (٤١) يعود بالآخرة عليهم حين يهلكون ويدخلون النار

السبعة صفوف من الملائكة فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه فذلك قول الله انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين وذلك قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وجىء يومئذ بجهنم وقوله يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان وذلك قوله وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله يوم التناد قال تندون وروى عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك يوم التنادى باثبات الياء وتخفيف الدال * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وهو تخفيف الدال وبغير اثبات الياء وذلك أن ذلك هو القراءة التى عليها الحجة مجمعة من قراء الامصار وغير جائز خلافها فيما جاءت به نقلا فاذا كان ذلك هو الصواب فمعنى الكلام وياقوم انى أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضهم بعضا امامن هول ماقد عاينوا من عظيم سلطان الله وفظاعة ماغشيهم من كرب ذلك اليوم وإما لتذكير بعضهم بعضا انجاز الله اياهم الوعد الذى وعدهم فى الدنيا واستغاثة من بعضهم ببعض مما لقى من عظيم البلاء فيه وقوله يوم تولون مدبرين فتأويله على التأويل الذى ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يولون هاربين فى الارض حذار عذاب الله وعقابه عند معاينتهم جهنم وتأويله على التأويل الذى قاله قتادة فى معنى يوم التناد يوم تولون منصرفين عن موقف الحساب الى جهنم * وبنحو ذلك روى الخبر عنه وعمن قال نحو مقالته فى معنى يوم التناد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يوم تولون مدبرين أى منطلقا بكم الى النار * وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان الذى قاله قتادة فى ذلك غير بعيد من الحق وبه قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم تولون مدبرين قال فارين غير معجزين وقوله مالكم من الله من عاصم يقول مالكم من الله مانع يمنعكم وناصر ينصركم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مالكم من الله من عاصم أى من ناصر وقوله ومن يضلل الله فماله من هاد يقول ومن يخذله الله فلم يوفقه لرشده فماله من موفق يوفقه له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾ يقول تعالى ذكره ولقد جاءكم يوسف ابن يعقوب ياقوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولقد جاءكم يوسف من قبل قال قبل موسى وقوله فما زلتم فى شك مما جاءكم به يقول فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقنى القلوب بحقيقته حتى اذا هلك يقول حتى اذا مات يوسف قلتم أيها القوم لن يبعث الله من بعد يوسف اليكم رسولا بالدعاء الى الحق كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب يقول هكذا يصد الله عن اصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب شاك فى حقيقة أخبار رسله ۞ القول

وان كان للعهد وهم فرعون وقومه فأظهر كما قص عليك من حديث اغراقهم واستيلاء موسى وقومه على ديارهم قوله (ذرونى أقتل موسى) ظاهره مشعر بأن قومه كانوا يمنعونه من قتله وفيه احتمالات الأول لعله كان فيهم من يعتقد نبوة موسى فيأتى بوجوه الحيل فى منع فرعون الثانى قال الحسن إن أصحابه قالوا لاتقتله فانما هو ساحر ضعيف ولايمكنه أن يغلب سحرتك وان قتلته أدخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتله الثالث لعل مراد أمرائه أن يكون فرعون مشغول القلب بأمر موسى حتى انهم يكونون فى أمن وسعة قال جار الله ان فرعون كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شئ فكيف لا يقصد قتل من أحس بأنه فى وجوده هدم ملكه وتغيير ماهو عليه من عبادة أصنامه كما قال (انى أخاف أن يبدل) الآية ولكنه كان قد استيقن أنه نبى وكان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك قال وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه من دعوة ربه وقال غيره هو على سبيل الاستهزاء يعنى ان أقتله فليقل لربه الذى يدعى وجوده حتى يخلصه ومعنى تبديل الدين تغيير عبادة الاصنام كما مر فى الأعراف فى قوله ويذرك وآلهتك والفساد التهارج والتنازع واختلاف الآراء والأهواء

أراد أنه يحدث لا محالة من بقائه فساد الدين والدنيا جميعا أو أحد الامرين على القراءتين ثم حكى ماذكره موسى فى دفع شر فرعون وهو العوذ بالله وفى تصدير الجملة بان دلالة على أن الطريق المعتبر فى دفع الآفات الاستغاثة

والاستعاذة برب الارض والسموات وفى قوله (بربى) اشارة الى أن الذى ربانى والى درجات الخير رقانى سيعصمنى من شر هذا
المارد الجانى وفى قوله (وربكم) احتراز عن أن يظن ظان أنه يريد به فرعون لأنه رباه فى صغره ألم نربك فينا وليدا وفيه
بعث لقوم موسى على أن يقتدوا به فى الاستعاذة فان اجتماع النفوس له تأثير قوى وفى قوله (من كل متكبر) أى متكبر عن قبول الحق على سبيل العموم فائدتان احداهما شمول الدعاء فيدخل فيه فرعون بالتبعية والثانية أن فرعون رباه فى الصغر فلعله راعى حسن الأدب فى عدم تعيينه وأما وصف المتكبر بقوله (لا يؤمن بيوم الحساب) فلأن الموجب لايذاء الناس أمران أحدهما قسوة القلب والثانى عدم اعتقاد بالجزاء والحساب ولا ريب أنه اذا اجتمع الامران كان الخطب أفظع لاجتماع المقتضى وارتفاع المانع ثم شرع فى قصة مؤمن آل فرعون والأصح أنه كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا واسمه سمعان أو حبيب أو خربيل وقيل كان اسرائيليا وزيف بأن المؤمنين من بنى اسرائيل لم يعتلوا ولم يعزوا لقوله اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه فما الوجه فى تخصيصه ولقائل أن يقول الوجه تخصيصه بالوعظ والنصيحة لأن قوله (فمن ينصرنا من بأس الله) وقوله ياقوم على رأس كل نصيحة يغلب على الظن أنه يتنصح لقومه ومعنى (أن يقول) لاجل قوله أو وقت أن يقول كأنه قال منكرا عليهم أترتكبون الفعلة الشنعاء وهى قتل نفس محرمة أى نفس كانت لاجل كلمة حقة وهى قوله (ربى الله) والدليل على حقيتها اظهار الخوارق والمعجزات وفى قوله (من ربكم) استدراج لهم الى
الاعتراف بالله ثم احتج عليهم بالتقسيم العقلى أنه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا على الاول يعود وبال كذبه عليه وعلى
الثانى أصابكم ما يتوعدكم به من العقاب واعترض على الشق الاول بأن الكاذب يجب دفع شره بامالته الى الحق أو بقتله ولهذا أجمع العلماء

فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم فقوله الذين مردود على من فى قوله من هو مسرف وتأويل الكلام كذلك يضل الله أهل الاسراف والغلو فى ضلالهم بكفرهم بالله واجترائهم على معاصيه المرتابين فى أخبار رسله الذين يخاصمون فى حججه التى أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحجج بغير سلطان أتاهم يقول بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحجج التى أتتهم بها الرسل والذين اذا كان معنى الكلام ماذكرنا فى موضع نصب ردا على من وقوله كبر مقتا عند الله يقول كبر ذلك الجدال الذى يجادلونه فى آيات الله مقتا عند الله وعند الذين آمنوا بالله وانما نصب قوله مقتا لما فى قوله كبر من ضمير الجدال وهو نظير قوله كبرت كلمة تخرج من أفواههم فنصب كلمة من نصبها لانه جعل فى قوله كبرت ضمير قولهم اتخذ الله ولدا وأما من لم يضمر ذلك فانه رفع الكلمة وقوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار يقول كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده ويصدق رسله جبار يعنى متعظم عن اتباع الحق واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار خلا أبى عمرو بن العلاء على كل قلب متكبر باضافة القلب الى المتكبر بمعنى الخبر عن أن الله طبع على قلوب المتكبرين كلها ومن كان ذلك قراءته كان قوله جبار من نعت متكبر وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار حدثنى بذلك ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنى حجاج عن هرون أنه كذلك فى حرف ابن مسعود وهذا الذى ذكر عن ابن مسعود من قراءته يحقق قراءة من قرأ ذلك باضافة قلب الى المتكبر لأن تقديم كل قبل القلب وتأخيرها بعده لا يغير المعنى بل معنى ذلك فى الحالتين واحد وقد حكى عن بعض العرب سماعا هو يرجل شعره يوم كل جمعة يعنى كل يوم جمعة وأما أبو عمرو فقرأ ذلك بتنوين القلب وترك اضافته الى متكبر وجعل المتكبر والجبار من صفة القلب * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه باضافة القلب الى المتكبر لأن التكبر فعل الفاعل بقلبه كما أن القاتل اذا قتل قتيلا وان كان قتله بيده فان الفعل مضاف اليه وانما القلب جارحة من جوارح المتكبر وان كان بها التكبر فان الفعل الى فاعله مضاف نظير الذى قلنا فى القتل وذلك وان كان كما قلنا فان الاخرى غير مدفوعة لأن العرب لا تمنع أن تقول بطشت يد فلان ورأت عيناه كذا وفهم قلبه فتضيف الأفعال الى الجوارح وان كانت فى الحقيقة لأصحابها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبى الله وحذره من بأس الله على قيله أقتله ما حذره لوزيره وزير السوء هامان ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب يعنى بناء وقد بينا معنى الصرح فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع لعلى أبلغ الأسباب اختلف أهل التأويل فى معنى الاسباب فى هذا الموضع فقال بعضهم أسباب السموات طرقها ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن

هشام

هشام قال ثنا عبدالله بن موسى عن اسرائيل عن السدى عن أبى صالح أسباب السموات قال طرق السموات حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أبلغ الاسباب أسباب السموات قال طرق السموات * وقال آخرون عنى بأسباب السموات أبواب السموات ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا وكان أول من بنى بهذا الآجر وطبخه لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات أى أبواب السموات * وقال آخرون بل عنى به منزل السماء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات قال منزل السماء وقد بينا فيما مضى قبل أن السبب هو كل ما تسبب به الى الوصول الى ما يطلب من حبل وسلم وطريق وغير ذلك * فأولى الأقوال بالصواب فى ذلك أن يقال معناه لعلى أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها الى رؤية اله موسى طرقا كانت تلك الأسباب منها أو أبوابا أو منازل أو غير ذلك وقوله فأطلع الى اله موسى اختلفت القراء فى قراءة قوله فأطلع فقرأت ذلك عامة قراء الامصار فأطلع بضم العين ردا على قوله أبلغ الأسباب وعطفا به عليه وذكر عن حميد الأعرج أنه قرأ فأطلع نصبا جوابا للعلى وقد ذكر الفراء أن بعض العرب أنشده

على صروف الدهر أو دولاتها * يديلننا اللمة من لماتها * فتستريح النفس من زفراتها

فنصب فتستريح على أنها جواب للعل والقراءة التى لا أستجيز غيرها الرفع فى ذلك لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله وانى لأظنه كاذبا يقول وانى لأظن موسى كاذبا فيما يقول ويدعى من أن له فى السماء ربا أرسله الينا وقوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله يقول الله تعالى ذكره وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرد قبيح عمله حتى سولت له نفسه بلوغ أسباب السموات ليطلع الى اله موسى وقوله وصد عن السبيل اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة وصد عن السبيل بضم الصاد على وجه ما لم يسم فاعله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وصد عن السبيل قال فعل ذلك به زين له سوء عمله وصد عن السبيل وقرأ ذلك حميد وأبو عمرو وعامة قراء البصرة وصد بفتح الصاد بمعنى وأعرض فرعون عن سبيل الله التى ابتعث بها موسى استكبارا * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان معروفتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وما كيد فرعون الا فى تباب يقول تعالى ذكره وما احتيال فرعون الذى يحتال للاطلاع الى اله موسى الا فى خسار وذهاب مال وغبن لانه ذهبت نفقته التى أنفقها على الصرح باطلا ولم ينل بما أنفق شيأ مما أراده فذلك هو الخسار والتباب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما كيد فرعون الا فى تباب يقول فى خسران حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى تباب قال خسار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كيد فرعون الا فى تباب أى فى ضلال وخسار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كيد

زمان الفترة والحيرة فأين هذا من زماننا الذى وضح الحق فيه وضوح الفجر الصادق بل ظهور الشمس فى ضحوة النهار وعن الثانى أنه من كلام المنصف كأنه قال ان لم يصبكم كل ما أوعد فلا أقل من أن يصيبكم بعضه أو أراد عذاب الدنيا وكان موسى أوعدهم عذاب الدنيا والآخرة جميعا وعن أبى عبيدة أن البعض ههنا بمعنى الكل وأنشد قول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها
أو يرتبط بعض النفوس حمامها

وخطأه جار الله وكثير من أهل العربية وقالوا انه أراد ببعض النفوس نفسه فقط ثم أكد حقية أمر موسى بقوله (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) وقد هداه الله الى المعجزات الباهرة فهو اذن ليس بمتجاوز عن حد الاعتدال ولا بكذاب وقيل انه كلام مستأنف من الله عز وجل وفيه تعريض بأن فرعون مسرف فى عزمه على قتل موسى كذاب فى ادّعاء الالهية فلا يهديه الله الى شئ من خيرات الدارين ويزيل ملكه ويدفع شره وقد يلوح من هذه النصيحة وما يتلوها من المواعظ أن مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه الى أن قصدوا قتل موسى وعند ذلك أظهر الايمان وترك التقية مجاهدا فى سبيل الله بلسانه ثم ذكرهم نعمة الله عليهم وخوفهم زوالها بقوله (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) أى غالبين على أرض مصر ومن فيها من بنى اسرائيل والقبط (فمن ينصرنا من بأس الله) من يخلصنا من عذابه (ان جاءنا) وذلك لشؤم تكذيب نبيه (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قبله (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) وصلاح الدين والدنيا أو ما أعلمكم من الصواب ولا أسر خلاف ما أظهر قال جار الله

وقد كذب فقد كان مستشعر الخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد وحكى أبو الليث أن الرشاد اسم من أسماء أصنامه قوله (مثل
دأب) قال جار الله صاحب الكشاف لابد من حذف مضاف أي مثل جزاء دأبهم وهو عادتهم المستمرة في الكفر والتكذيب

فرعون الا في تباب قال التباب والضلال واحد ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن المؤمن بالله من آل فرعون وقال الذي آمن من قوم فرعون لقومه يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يقول ان اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم بينت لكم طريق الصواب الذي ترشدون اذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذي ابتعث به موسى يقول انما هذه الحياة الدنيا متاع يقول لقومه ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار الا متاع تستمتعون بها الى أجل أنتم بالغوه ثم تموتون وتزول عنكم وان الآخرة هي دار القرار يقول وان الدار الآخرة هي دار القرار التي تستقرون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم يقول فلها فاعملوا واياها فاطلبوا * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله وان الآخرة هي دار القرار قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان الآخرة هي دار القرار استقرت الجنة بأهلها واستقرت النار بأهلها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ يقول من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا فلا يجزيه الله في الآخرة الا سيئة مثلها وذلك أن يعاقبه بها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى يقول ومن عمل بطاعة الله في الدنيا وأتمر لأمره وانتهى فيها عما نهاه عنه من رجل أو امرأة وهو مؤمن بالله فأولئك يدخلون الجنة يقول فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون في الآخرة الجنة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها أي شركا السيئة عند قتادة شرك ومن عمل صالحا أي خيرا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وقوله يرزقون فيها بغير حساب يقول يرزقهم الله في الجنة من ثمارها وما فيها من نعيمها ولذاتها بغير حساب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يرزقون فيها بغير حساب قال لا والله ماهناكم مكيال ولا ميزان ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة مالي أدعوكم الى النجاة من عذاب الله وعقوبته بالايمان به واتباع رسوله موسى وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه وتدعونني الى النار يقول وتدعونني الى عمل أهل النار * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله مالي أدعوكم الى النجاة قال الايمان بالله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار قال هذا مؤمن آل فرعون قال يدعونه الى دينهم والاقامة معهم وقوله تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم يقول وأشرك بالله في عبادته أوثانا لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها واشراكها في عبادة الله لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل وقوله وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار يقول وأنا أدعوكم الى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به الذي لا يمنعه اذا انتقم من عدوله شيء الغفار لمن تاب اليه بعد معصيته

ثم قال انه عطف بيان للاول لان آخرها تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى أعلام فسرى ذلك الحكم الى أول المضافات قلت لا بأس من جعله بدلا كما مر وقوله (وما الله يريد ظلما للعباد) أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد لأن نفي الارادة آكد من نفي الفعل ولتنكير الظلم في سياق النفي وفيه أن تدميرهم كان عدلا وقسطا وقيل معناه أنه لا يريد لهم أن يظلموا فدمرهم لكونهم ظالمين وحين خوفهم عذاب الدنيا خوفهم عذاب الآخرة أيضا فقال (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) أما اليوم فيمكن انتصابه على الظرفية كأنه أخبر عن خوفه في ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب والاولى أن يكون مفعولا به أي أحذركم عذاب ذلك اليوم وفي تسمية يوم القيامة يوم التناد وجوه منها أن أهل الجنة ينادون أهل النار وبالعكس كما مر في سورة الاعراف ومنها أنه من قوله يوم ندعو كل أناس بامامهم ومنها أن بعض الظالمين ينادي بعضا بالويل والثبور قائلين يا ويلنا ومنها أنهم ينادون الى المحشر ومنها أنه ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتني لم أوت كتابيه ومنها أنه يجاء بالموت على صورة كبش أملح ثم يذبح وينادى في أهل القيامة لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا على فرح وأهل النار حزنا على حزن

وقال أبو علي الفارسي التناد مخفف من التناد مشددا وأصله من ندّ اذا هرب نظيره يوم يفر المرء من أخيه وأمه الخ اياه
ويؤيده قراءة ابن عباس مشددا وتفسيره بأنهم ينِدّون كما تند الابل وقوله بعد ذلك (يوم تولون مدبرين) أنهم اذا سمعوا زفير النار ندّوا هاربين

ايادلعفوه عنــه فلا يضره شئ مع عفوه عنه يقول فهذا الذى هذه الصفة صفته فاعبدوا لا ما لا ضر عنــده ولا نفع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا جرم أنمــا تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردّنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ يقول حقا أن الذى تدعوننى اليه من الأوثان ليس له دعاء فى الدنيا ولا فى الآخرة لأنه جماد لا ينطق ولا يفهم شيأ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهــل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحســن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهــد قوله ليس له دعوة فى الدنيا قال الوثن ليس بشئ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليس له دعوة فى الدنيــا ولا فى الآخرة أى لا ينفع ولا يضر حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة (١) وقوله وأن مردّنا الى الله يقول وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار يقول وأن المشركين بالله المتعدين حدوده القتلة النفوس التى حرم الله قتلها هم أصحاب نار جهنم عنــد مرجعنا الى الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى معنى المسرفين فى هــذا الموضع فقال بعضهم هم سفاكو الدماء بغير حقها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله وأن المسرفين هم أصحاب النار قال السفاكون الدماء بغير حقها حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قول الله وأن المسرفين هم أصحاب النار قال هم السفاكون الدماء بغير حقها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهــد فى قوله وأن المسرفين قال السفاكون الدماء بغير حقها هم أصحاب النار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأن المسرفين هم أصحاب النــار قال سماهم الله مسرفين فرعون ومن معــه * وقال آخرون هم المشركون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأن المسرفين هم أصحاب النــار أى المشركون وقد بينا معنى الاسراف فيما مضى قبل بما فيه الكفاية من اعادته فى هــذا الموضع وانمــا اخترنا فى تأويل ذلك فى هذا الموضع ما اخترنا لأن قائل هذا القول لفرعون وقومه انمــا قصد فرعون به لكفره وما كان همّ به من قتل موسى وكان فرعون عاليا عاتيا فى كفره بالله ســفا كا للــدماء التى كان محرما عليــه سفكها وكل ذلك من الاسراف فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل فى ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعــالى ﴿فســتذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعبــاد فوقاه الله ســيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ يقول تعالى ذكره مخــبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه فستذكرون أيهــا القوم اذا عاينتم عقاب الله قد حل بكم ولقيتموه صــدق ما أقول وحقيقــة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النــار كما حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فستذكرون

(١) سقط التفسير من قلم الناسخ والذى فى ابن كثير عنه لا يجيب داعيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة اهـ

فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صــفوفا فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه وقال قتادة معنى تولون مدبرين انصرافهــم عن موقف الحساب الى النار ثم أكد التهديد بقوله (مالكم من الله) الآية ثم ذكر مثالا (٤٥) لمن لا يهديه الله بعد اضلاله وهو قوله (ولقد جاءكم يوسف) وفيه أقوال ثلاثة أحدها أنه يوســف بن يعقوب وفرعون موسى هو فرعون يوسف والبينات اشارة الى ما روى أنه مات لفرعون فرس قيمتــه ألوف فدعا يوسف فأحياه الله وأيضا كسفت الشمس فدعا يوسف فكشفها الله ومعجزاته فى باب تعبير الرؤيا مشهورة فآمن فرعون ثم عاد الى الكفر بعد ما مات يوســف والثــانى هو يوسف بن ابن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم عشرين سنة قاله ابن عباس وقال النقاش فى تفسيره ان الله بعث اليهم رسولا من الجن اسمه يوسف وأورده أقضى القضاة أيضا وفيــه بعــد قال المفسرون فى قوله (لن يبعث الله من بعده رسولا) ليس اشارة الى أنهم صــدّقوا يوسف لقوله (فما زلتم فى شك) وانمــا الغرض بيان أن تكذيبهــم لموسى مضموم الى تكذيب يوسف ولهذا ختم الآية بقوله (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) قلت هذا انما يصح اذا لم يكن فرعون يوسف قد آمن به لكنه مروى كما قلنا اللهم الا أن يقال لولا شكه فى امره لما كفر بعد موته قال جار الله فاعل كبر ضمــير عائد الى من هو مسرف لانه مــوحد اللفظ وان كان مجمــوع المعــنى وجوز أن يكون الذين يجادلون مبتــدأ على تقدير حذف المضاف أى جدال الذين يجادلون كبر وجوز آخرون أن يكون التقدير الذين يجادلون كبر جدالهم على حذف الفاعل للقرينــة وفى قوله (وعند الذين آمنوا) اشارة الى أن شهادة المؤمنين عند الله بمكان حتى قرنها الى شهادة نفسه والمقصود التعجب والاستعظام لجدالهم وخروجه عن حدّ أشكاله من الكبائر ووصف القلب بالتكــبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما أو باعتبار صاحبه ومن قرأ بالاضافة فظاهر الا أنه قيل فيه قلب والاصل على قلب

ما أقول لكم فقلت له أوذلك فى الآخرة قال نعم وقوله وأفوض أمرى الى الله يقول وأسلم أمرى الى الله وأجعله اليه وأتوكل عليه فانه الكافى من توكل عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأفوض أمرى الى الله قال أجعل أمرى الى الله وقوله ان الله بصير بالعباد يقول ان الله عالم بامور عباده ومن المطيع منهم والعاصى له والمستحق جميل الثواب والمستوجب سيئ العقاب وقوله فوقاه الله سيئات ما مكروا يقول تعالى ذكره فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بايمانه وتصديق رسوله موسى مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء فنجاه منه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سيئات ما مكروا قال وكان قبطيا من قوم فرعون فنجا مع موسى قال وذكر لنا أنه بين يدى موسى يومئذ يسير ويقول أين أمرت يا نبى الله فيقول أمامك فيقول له المؤمن وهل أمامى الا البحر فيقول موسى لا والله ما كذبت ولا كذبت ثم يسير ساعة ويقول أين أمرت يا نبى الله فيقول أمامك فيقول وهل أمامى الا البحر فيقول لا والله ما كذبت ولا كذبت حتى أتى على البحر فضربه بعصاه فانفلق اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق وقوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب يقول وحل بآل فرعون ووجب عليهم وعنى بآل فرعون فى هذا الموضع تباعه وأهل طاعته من قومه كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله وحاق بآل فرعون سوء العذاب قال قوم فرعون وعنى بقوله سوء العذاب ما ساءهم من عذاب الله وذلك نار جهنم * القول فى تأويل قوله تعالى {النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب} يقول تعالى ذكره مبينا عن سوء العذاب الذى حل بهؤلاء الاشقياء من قوم فرعون ذلك الذى حاق بهم من سوء عذاب الله النار يعرضون عليها انهم لما هلكوا وغرقهم الله جعلت أرواحهم فى أجواف طير سود فهى تعرض على النار كل يوم مرتين غدوا وعشيا الى أن تقوم الساعة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى قيس عن الهذيل بن شرحبيل قال أرواح آل فرعون فى أجواف طير سود تغدو وتروح على النار وذلك عرضها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال بلغنى أن أرواح قوم فرعون فى أجواف طير سود تعرض على النار غدوا وعشيا حتى تقوم الساعة حدثنى عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنا حماد بن محمد الفزارى البلخى قال سمعت الاوزاعى وسأله رجل فقال رحمك الله رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضا فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله فاذا كان العشى رجع مثلها سودا قال وفطنتم الى ذلك قالوا نعم قال ان تلك الطيور فى حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع الى وكورها وقد احترقت رياشها وصارت سوداء فتنبت عليها من الليل رياش بيض وتتناثر السود ثم تغدو يعرضون على النار غدوا وعشيا ثم ترجع الى وكورها فذلك دأبها فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قالوا وكانوا يقولون انهم ستمائة ألف مقاتل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى حرملة عن سليمن بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول ليس فى الآخرة ليل ولا نصف نهار وانما هو بكرة وعشى

كل متكبر كما يقال فلان يصوم كل يوم جمعة اى يوم كل جمعة ثم اخبر الله سبحانه عن بناء فرعون ليطلع على السماء وقد تقدم ذكره فى سورة القصص قال أهل اللغة الصرح مشتق من التصريح (٤٦) الاظهار وأسباب السموات طرقها كما مر فى أول ص فليرتقوا فى الاسباب

فائدة بناء الكلام على الابدال هى فائدة الاجمال ثم التفصيل والابهام ثم التوضيح من تشويق السامع وغيره من قرأ فأطلع بالرفع فعلى العطف أى لعلى أبلغ فأطلع ومن قرأ بالنصب فعلى تشبيه الترجى بالتمنى والتباب الخسران والهلاك كما مر فى قوله وما زادوهم غير تتبيب استدل كثير من المشبهة بالآية على أن الله فى السماء قالوا ان بديهة فرعون قد شهدت بأنه فى ذلك الصوب وأنه سمع من موسى أنه يصف الله بذلك والا لما رام بناء الصرح والجواب أن بديهة فرعون لا حجة فيها وسماعه ذلك من موسى ممنوع وقد يطعن بعض اليهود بل كلهم فى الآية بأن تواريخ بنى اسرائيل تدل على أن هامان لم يكن موجود فى زمان موسى وفرعون وانما ولد بعدهما بزمان طويل ولو كان مثل هذا الشخص موجودا فى عصرهما لنقل لتوفرت الدواعى على نقله والجواب أن الطعن بتاريخ اليهود المنقطع الوسط لكثرة زمان الفترة أولى من الطعن فى القرآن المعجز المتواتر أولا ووسطا وآخرا ثم عاد سبحانه الى حكاية قول المؤمن وأنه أجمل النصيحة أولا بقوله اتبعون أهدكم ثم استأنف مفصلا قائلا {انما هذه الحياة الدنيا متاع} يتمتع به أياما قلائل ثم يترك عند الموت ان لم يزل نعيمها قبل ذلك {وان الآخرة هى دار القرار} المنزل الذى يستقر فيه ثم بين أنه كيف تحصل المجازاة فى الآخرة وفيه اشارة الى أن جانب الرحمة أرجح ومعنى الرزق بغير حساب أنه لا نهاية لذلك الثواب أو أنه يعطى بعد الجزاء وذلك شيأ زائدا على سبيل التفضل غير مندرج تحت الحساب ثم صرح بأنهم يدعونه الى النار وهو يدعوهم الى الخلاص عنها وفسر هذه الجملة بقوله

(تدعونني لا كفر بالله) الآية ليعلم أن الشرك بالله أعظم موجبات النار والتوحيد ضده وفي قوله مالي ادعوكم من غير أن يقول مالكم مع أن الانكار يتوجه في الحقيقة الى دعائهم لا الى المجموع ولا الى دعائه سلوك (٤٧) لطريق الانصاف ووجه تخصيص العزيز الغفار

وذلك في القرآن في آل فرعون يعرضون عليها غدوا وعشيا وكذلك قال لأهل الجنة لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * وقيل عني بذلك أنهم يعرضون على منازلهم في النار تعذيبا لهم غدوا وعشيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة النار يعرضون عليها غدوا وعشيا قال يعرضون عليها صباحا ومساء يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله غدوا وعشيا قال ما كانت الدنيا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ما ذكرناه عن الهذيل ومن قال مثل قوله وأن يكون كما قال قتادة ولا خبر يوجب الحجة بأن ذلك المعنيّ به فلا في ذلك الا ما دل عليه ظاهر القرآن وهو أنهم يعرضون على النار غدوا وعشيا وأصل الغدو والعشي مصادر جعلت أوقاتا وكان بعض نحويي البصرة يقول في ذلك انما هو مصدر كما تقول أتيته ظلاما جعله ظرفا وهو مصدر قال ولو قلت موعدك غدوة أو موعدك ظلام فرفعته كما تقول موعدك يوم الجمعة لم يحسن لان هذه المصادر وما أشبهها من نحو سحر لا تجعل الا ظرفا قال والظرف كله ليس بمتمكن وقال نحويو الكوفة لم يسمع في هذه الاوقات وان كانت مصادر الا التعريب موعدك يوم موعدك صباح ورواح كما قال جل ثناؤه غدوها شهر ورواحها شهر فرفع وذكروا أنهم سمعوا انما الطيلسان شهران قالوا ولم يسمع في الاوقات النكرات الا الرفع الا قولهم انما سخاؤك أحيانا وقالوا انما جاز ذلك لانه بمعنى انما سخاؤك الحين بعد الحين فلما كان تأويله الاضافة نصب وقوله ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم وأبي عمرو ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون بفتح الألف من أدخلوا في الوصل والقطع بمعنى الامر بادخالهم النار واذا قرئ ذلك كذلك كان الآل نصبا بوقوع أدخلوا عليه وقرأ ذلك عاصم وأبو عمرو ويوم تقوم الساعة ادخلوا بوصل الالف وسقوطها في الوصل من اللفظ وبضمها اذا ابتدئ بعد الوقف على الساعة ومن قرأ ذلك كذلك كان الآل على قراءته نصبا بالنداء لان معنى الكلام على قراءته ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فمعنى الكلام اذا ويوم تقوم الساعة يقال لآل فرعون ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب فهذا على قراءة من وصل الالف من ادخلوا ولم يقطع ومعناه على القراءة الاخرى ويوم تقوم الساعة يقول الله لملائكته أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين واذ يتحاجون في النار يقول واذ يتخاصمون في النار وعني بذلك اذ يتخاصم الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذارهم من مشركي قومه في النار فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله انا كنا لكم تبعا تقول لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة انا كنا لكم في الدنيا تبعا على الكفر بالله فهل

بالمقام أنه غالب على من أشرك به غفور لمن تاب عن كفره قوله (لا جرم) لا ردّ لكلامهم وجرم بمعنى كسب أو وجب أو لا بد وقد سبق في هود والنحل ومعنى (ليس له دعوة) أنه لا يقدر في الدنيا على أن يدعو الناس الى نفسه لانه جماد ولا في الآخرة لانه اذا أنطقه الله فيها تبرأ من عابديه ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي ليس له استجابة دعوة كقوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء عن قتادة المسرفين هم المشركون ومجاهد السفاكون للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم وقيل الذين جاوزوا في المعصية حد الاعتدال كما بالدوام والاصرار وكيفا بالشناعة وخلع العذار (فستذكرون) أي في الدنيا عند حلول العذاب أو في الآخرة عند دخول النار (وأفوض أمري الى الله) قاله لأنهم توعدوه وفيه وفي قوله (فوقاه الله) دليل واضح على انه أظهر الايمان وقت هذه النصائح قال مقاتل لما تم هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه قوله (وحاق بآل فرعون) معناه أنه رجع وبال مكرهم عليهم فأغرقوا ثم أدخلوا نارا ولا يلزم منه أن يكونوا قد هموا بايصال مثل هذا السوء اليه ولئن سلم أن الجزاء يلزم فيه المماثلة لعل فرعون قد هم باغراقه أو باحراقه كما فعل نمرود قوله (يعرضون عليها) أي يحرقون بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقوله (غدوا وعشيا) اما للدوام كما مر في صفة أهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وإما لانه اكتفى في القبر بايصال العذاب اليهم في هذين الوقتين وفي سائر الاوقات اما أن يبقى أثر ذلك وألمه عليهم واما أن يكون فترة

واما ان يعذبوا بنوع آخر من العذاب الله اعلم بحالهم وفي الآية دلالة ظاهرة على اثبات عذاب القبر لان تعذيب يوم القيامة يجيء في قوله
ويوم تقوم الساعة قيل لم لا يجوز أن يكون المراد (٤٨) بعرض النار عرض النصائح عليهم في الدنيا لان سماع الحق مر طعمه قلنا عدول
عن الظاهر من غير دليل ولما انجر الكلام الى شرح أحوال أهل النار عقبه بذكر المناظرات التي تجرى فيما بين الرؤساء والأتباع والمعنى اذكر يا محمد وقت تحاجهم وقد مر نظير ذلك مرارا وفي قولهم (ان الله قد حكم بين العباد) أي قضى لكل فريق بما يستحقه اشارة الى الاقناط الكلي ولهذا رجعوا عن محاجة المتبوعين الى الالتماس من خزنة النار أن يدعوا الله بتخفيف العذاب عنهم زمانا قال المفسرون انما لم يقل لخزنتها لان جهنم اسم قعر النار فكأن لخزنتها قربا من الله وهم أعظم درجة من سائر الخزنة فلذلك خصوهم بالخطاب أما قول الخزنة لهم (فادعوا) ودعاء الكافر لا يسمع فالمراد به التوبيخ والتنبيه على اليأس كأنهم قالوا الشفاعة مشروطة بشيئين كون المشفوع له مؤمنا والشافع مأذونا له فيها والامران ههنا مفقودان على أن الحجة قد لزمتهم والبينة ألجأتهم ثم أكدوا ذلك بقولهم (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي لا أثر له البتة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر
ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر
الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها

أنتم مغنون عنا نصيبا من النار يعنون حظا فتخففونه عنا فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا ومن قبلكم أتينا لولا أنتم لكنا في الدنيا مؤمنين فلم يصبنا اليوم هذا البلاء والتبع يكون واحدا وجماعة في قول بعض نحويي البصرة وفي قول بعض نحويي الكوفة جمع لا واحد له لانه كالمصدر قال وان شئت كان واحده تابع فيكون مثل خائل وخول وغائب وغيب * والصواب من القول في ذلك عندي أنه جمع واحده تابع وقد يجوز أن يكون واحدا فيكون جمعه أتباع فأجابهم المتبوعون بما أخبر الله عنهم قال الذين استكبروا وهم الرؤساء المتبوعون على الضلالة في الدنيا انا أيها القوم وأنتم كلنا في هذه النار مخلدون لا خلاص لنا منها ان الله قد حكم بين العباد بفصل قضائه فأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون ولا هم مما هم فيه من النعيم منتقلون ورفع قوله كل بقوله فيها ولم ينصب على النعت وقد اختلف في جواز النصب في ذلك في الكلام وكان بعض نحويي البصرة يقول اذا لم يضف كل لم يجز الاتباع وكان بعض نحويي الكوفة يقول ذلك جائز في الحذف وغير الحذف لان أسماءها اذا حذفت اكتفى بها منها وقد بينا الصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال) يقول تعالى ذكره وقال أهل جهنم لخزنتها وقوامها استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجا ادعوا ربكم لنا يخفف عنا يوما واحدا يعني قدر يوم واحد من أيام الدنيا من العذاب الذي نحن فيه وانما قلنا معنى ذلك قدر يوم من أيام الدنيا لأن الآخرة يوم لا ليل فيه فيقال خفف عنهم يوما واحدا وقوله قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات يقول تعالى ذكره قالت خزنة جهنم لهم أولم تك تأتيكم في الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله فتوحدوه وتؤمنوا به وتتبرؤا مما تدعونه من الآلهة قالوا بلى قد أتتنا رسلنا بذلك وقوله قالوا فادعوا يقول جل ثناؤه قالت الخزنة لهم فادعوا اذا ربكم الذي أتتكم الرسل بالدعاء الى الايمان به وقوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال يقول قد دعوا وما دعاؤهم الا في ضلال لانه دعاء لا ينفعهم ولا يستجاب لهم بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) يقول القائل وما معنى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه ومثلوا به كشعياء ويحيى بن زكريا وأشباههما ومنهم من هم بقتله قومه فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجيا بنفسه كابراهيم الذي هاجر الى الشام من أرضه مفارقا لقومه وعيسى الذي رفع الى السماء اذ أراد قومه قتله فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله والمؤمنين به في الحياة الدنيا وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت وما نصروا على من نالهم بما نالهم به قيل ان لقوله انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا وجهين كلاهما صحيح معناه أحدهما أن يكون معناه انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا اما باعلائناهم على من كذبنا واظفارناهم بهم حتى يقهروهم غلبة ويذلوهم بالظفر ذلة كالذي فعل من ذلك بداود وسليمن فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر وكالذي فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم باظهاره على من كذبه من قومه واما بانتقامنا ممن حادهم
وشاقهم

ولكن أكثرالناس لايؤمنون وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين الله الذى
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن (٤٩) أكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم خالق

كل شئ لا اله الا هو فأنى تؤفكون
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله
يجحدون الله الذى جعل لكم
الارض قرارا والسماء بناء وصوركم
فأحسن صوركم ورزقكم من
الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله
رب العالمين هو الحى لا اله الا هو
فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله
رب العالمين قل انى نهيت أن أعبد
الذين تدعون من دون الله لما جاءنى
البينات من ربى وأمرت أن أسلم
لرب العالمين هو الذى خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم
ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى
من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم
تعقلون هو الذى يحيى ويميت
فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن
فيكون ألم تر الى الذين يجادلون
فى آيات الله أنى يصرفون الذين
كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا
فسوف يعلمون اذ الاغلال
فى أعناقهم والسلاسل يسحبون
فى الحميم ثم فى النار يسجرون ثم قيل
لهم أينما كنتم تشركون من دون الله
قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من
قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين
ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض
بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا
أبواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله
حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم
أو نتوفينك فالينا يرجعون ولقد
أرسلنا رسلا من قبلك منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقص

عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك
المبطلون الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون

وشاقهم باهلاكهم وانجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم كالذى فعل تعالى ذكره بنوح وقومه من تغريق قومه وانجائه منهم وكالذى فعل بموسى وفرعون وقومه اذ أهلكهم غرقا ونجى موسى ومن آمن به من بنى اسرائيل وغيرهم ونحو ذلك أو بانتقامنا فى الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم كالذى فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته وكفعلنا بقتلة يحيى من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتلته له وكانتصارنا لعيسى من مريدى قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم فهذا أحد وجهيه وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك الى هذا الوجه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون فى الدنيا وهم منصورون وذلك أن تلك الأمة التى تفعل ذلك بالانبياء والمؤمنين لاتذهب حتى يبعث الله قوما فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم والوجه الآخر أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين والمراد واحد فيكون تأويل الكلام حينئذ انا لننصر رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد كما بينا فيما مضى أن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع والمراد واحد اذا لم تنصب للخبر شخصا بعينه واختلفت القراء فى قراءة قوله ويوم يقوم الاشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ويوم يقوم بالياء وينفع أيضا بالياء وقرأ ذلك بعض أهل مكة وبعض قراء البصرة تقوم بالتاء وتنفع بالتاء ✧ والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد بينا فيما مضى أن العرب تذكر فعل جمع الرجال وتؤنث اذا تقدم بما أغنى عن اعادته وعنى بقوله ويوم يقوم الأشهاد يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والانبياء والمؤمنين على الامم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وأن الامم كذبتهم والأشهاد جمع شهيد كالأشراف جمع شريف ✧ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويوم يقوم الاشهاد من ملائكة الله وأنبيائه والمؤمنين به حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ويوم يقوم الاشهاد يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مجاهد فى قول الله ويوم يقوم الاشهاد قال الملائكة وقوله لاينفع الظالمين معذرتهم يقول تعالى ذكره ذلك يوم لاينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لايعتذرون ان اعتذروا الا بباطل وذلك أن الله قد أعذر اليهم فى الدنيا وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم فى الآخرة الا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولهم اللعنة يقول وللظالمين اللعنة وهى البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار يقول ولهم مع اللعنة من الله شر ما فى الدار الآخرة وهو العذاب الأليم ✧ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى البيان للحق الذى بعثناه به كما آتينا ذلك محمدا فكذب به فرعون وقومه كما كذبت قريش محمدا وأورثنا

و يريكم آياته فأى آيات الله تنكرون أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم واشد قوة وآثارا
فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٥٠) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا
سنة الله التى قد خلت فى عباده
وخسر هنالك الكافرون ﴿ القراآت
لا ينفع على التذكير نافع وحمزة وعلى
وخلف وعاصم تتذكرون بتاء
الخطاب عاصم وحمزة وعلى وخلف
ادعونى أستجب بفتح الياء ابن كثير
سيدخلون من الادخال مجهولا
ابن كثير و يزيد وعباس و رويس
وحماد وأبو بكر غير الشمونى شيوخا
بكسر الشين ابن كثير وابن عامر
وحمزة وعلى وهبيرة والأعشى و يحيى
وحماد ﴿ الوقوف الأشهاد ه لا
لأن يوم بدل من الاول الدار ه
الكتاب ه لا الألباب ه والابكار
ه أتاهم لا لأن ما بعده خبر ان ماهم
ببالغيه ج لاختلاف الجملتين
بالله ط البصير ه لا يعلمون ه
ولا المسىء ط تتذكرون ه
لا يؤمنون ه أستجب لكم ط
داخرين ه مبصرا ط لا يشكرون
ه شئ لا لئلا يوهم أن ما بعده
صفة شئ وخطؤه ظاهر الاهو ز
لابتداء الاستفهام و رجحان
الوصل لفاء التعقيب وتمام مقصود
الكلام تؤفكون ه يجحدون ه
الطيبات ط العالمين ه الدين ه
العالمين ه شيوخا ج لاختلاف
الجملتين تعقلون ه ويميت ج
لأجل الفاء مع الشرط فيكون ه
فى آيات الله ط لانتهاء الاستفهام
وابتداء آخر يصرفون ه ج
لاحتمال كون الذين بدلا من الضمير
فى يصرفون رسلنا قف ان لم تقف على يصرفون يعلمون ه لا لتعلق الظرف والسلاسل ط
لأن ما بعده مستأنف وقيل والسلاسل مبتدأ والعائد محذوف أى والسلاسل يجرون بها فى الحميم يسجرون ه ج للآية مع العطف

بنى اسرائيل الكتاب يقول وأورثنا بنى اسرائيل التوراة فعلمناهموها وأنزلناها اليهم هدى يعنى بيانا لأمر دينهم وما ألزمناهم من فرائضها وذكرى لأولى الألباب يقول وتذكيرا منا لأهل الحجا والعقول منهم بها وقوله فاصبر ان وعد الله حق يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر يا محمد لأمر ربك وانفذ لما أرسلك به من الرسالة و بلغ قومك ومن أمرت بابلاغه ما أنزل اليك وأيقن بحقيقة وعد الله الذى وعدك من نصرتك ونصرة من صدقك وآمن بك على من كذبك وأنكر ما جئته به من عند ربك ان وعد الله حق لا خلف له وهو منجز له واستغفر لذنبك يقول وسله غفران ذنبك وعفوه لك عنه وسبح بحمد ربك يقول وصل بالشكر منك لربك بالعشى وذلك من زوال الشمس الى الليل والابكار وذلك من طلوع الفجر الثانى الى طلوع الشمس وقد وجه قوم الابكار الى أنه من طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى وخروج وقت الضحى والمعروف عند العرب القول الاول واختلف أهل العربية فى وجه عطف الابكار والباء غير حسن دخولها فيه على العشى والباء تحسن فيه فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك وسبح بحمد ربك بالعشى وفى الابكار وقال قد يقال بالدار زيد يراد فى الدار زيد وقال غيره انما قيل ذلك كذلك لان معنى الكلام صل بالحمد بهذين الوقتين وفى هذين الوقتين فادخال الباء وفى واحد فيهما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يخاصمونك يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات بغير سلطان أتاهم يقول بغير حجة جاءتهم من عند الله بمخاصمتك فيها ان فى صدورهم إلا كبر يقول ما فى صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك وقبول الحق الذى أتيتهم به حسدا منهم على الفضل الذى آتاك الله والكرامة التى أكرمك بها من النبوة ماهم ببالغيه يقول الذى حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا نائليه لان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وليس بالأمر الذى يدرك بالأمانى وقد قيل ان معناه ان فى صدورهم إلا عظمة ماهم ببالغى تلك العظمة لان الله مذلهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان فى صدورهم إلا كبر قال عظمة * و بنحو الذى قلنا فى تأويل قوله ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم لم يأتهم بذلك سلطان وقوله فاستعذ بالله انه هو السميع البصير يقول تعالى ذكره فاستجر بالله يا محمد من شر هؤلاء الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان ومن الكبر أن يعرض فى قلبك منه شئ انه هو السميع البصير يقول ان الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون فى آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تعمله جوارحهم لا يخفى عليه شئ من ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لابتداع السموات والارض وانشاؤها من غير شئ أعظم أيها الناس عندكم ان كنتم مستعظمى خلق الناس وانشائهم من غير شئ من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا

الصالحات

من دون الله ط شيأ ط الكافرين ه تمرحون ه خالدين فيها ج المتكبرين ه حق ه للشرط مع الفاء يرجعون ه نقصص عليك ط باذن الله ج المبطلون ه تأكلون ه ز للآية مع العطف (٥١) وشدة اتصال المعنى تحملون ه ط لأن

الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ﴾ وما يستوى الاعمى الذى لا يبصر شيأ وهو مثل الكافر الذى لا يتأمل حجج الله بعينيه فيتدبرها و يعتبر بها فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شئ و يؤمن به و يصدق والبصير الذى يرى بعينيه ما شخص لهما و يبصره وذلك مثل للمؤمن الذى يرى بعينيه حجج الله فيتفكر فيها و يتعظ و يعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء يقول جل ثناؤه كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن والذين آمنوا وعملوا الصالحات يقول جل ثناؤه ولا يستوى أيضا كذلك المؤمنون بالله و رسوله المطيعون لربهم ولا المسيء وهو الكافر بربه العاصى له المخالف أمره قليلا ما تتذكرون يقول جل ثناؤه قليلا ما تتذكرون أيها الناس حجج الله فتعتبرون وتتعظون يقول لو تذكرتم آياته واعتبرتم لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من انكاركم قدرة الله على احيائه من فنى من خلقه من بعد الفناء واعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم وعلمتم قبح شركم من تشركون فى عبادة ربكم واختلفت القراء فى قراءة قوله تتذكرون فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة يتذكرون بالياء على وجه الخبر وقرأته عامة قراء الكوفة تتذكرون بالتاء على وجه الخطاب والقول فى ذلك أن القراءة بهما صواب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ يقول تعالى ذكره ان الساعة التى يحيى الله فيها الموتى للثواب والعقاب لجائية أيها الناس لا شك فى مجيئها يقول فأيقنوا بمجيئها وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم ومجازون بأعمالكم فتوبوا الى ربكم ولكن أكثر الناس لا يؤمنون يقول ولكن أكثر قريش لا يصدقون بمجيئها وقوله وقال ربكم ادعونى أستجب لكم يقول تعالى ذكره و يقول ربكم أيها الناس لكم ادعونى يقول اعبدونى وأخلصوا لى العبادة دون من تعبدون من دونى من الأوثان والأصنام وغير ذلك أستجب لكم يقول أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم ٭ و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ادعونى أستجب لكم يقول وحدونى أغفر لكم حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الله بن داود عن الأعمش عن ذر عن يسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور والأعمش عن ذر عن يسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الدعاء هو العبادة وقال ربكم ادعونى أستجب لكم الآية حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ذر عن يسيع قال أبو موسى هكذا قال غندر عن سعيد عن منصور عن ذر عن يسيع عن النعمان بن بشير قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة وقال ربكم ادعونى أستجب لكم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا شعبة عن منصور عن ذر عن يسيع عن النعمان ابن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا يوسف بن العرف الباهلى عن الحسن بن أبى جعفر عن محمد بن جحادة عن يسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبادتى دعائى ثم تلا هذه الآية وقال ربكم ادعونى

ما بعده مستأنف ولا وجه للعطف تنكرون ه من قبلهم ط للفصل بين الاستخبار والاخبار يكسبون ه يستهزؤن ه مشركين ه بأسنا الثانى ط فى عباده ج لان الفعل المعطوف عليه مضمر وهو سن الكافرون ه ۞ التفسير هذا من تمام قصة موسى وعود الى مقام انجر الكلام منه وذلك انه لما قيل فوقاه الله وكان المؤمن من أمة موسى علم منه ومما سلف مرارا أن موسى وسائر قومه قد نجوا وغلبوا على فرعون وقومه فلا جرم صرح بذلك فقال (انا لننصر رسلنا) الآية ونصرتهم فى الدنيا باظهار كلمة الحق وحصول الذكر الجميل واقتداء الناس بسيرتهم الى مدة ما شاء الله وقد ينصرون بعد موتهم كما أن يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون ألفا وأما نصرهم فى الآخرة فمن رفع الدرجات والتعظيم على رؤس الأشهاد من الحفظة والانبياء والمؤمنين وقد مر باقى تفسير الأشهاد فى أوائل هود ثم بين أن يوم القيامة لا اعتذار فيه لأهل الظلم والغواية وان فرض اعتذار فلا يقبل وسوء الدار عذاب الآخرة ثم أخبر عن اعطاء موسى التوراة وايراثها قومه بعده والمراد بكون الكتاب هدى أنه دليل فى نفسه و بكونه ذكرى أن يكون مذكرا للشئ المنسى وحين فرغ من قصة موسى وما تعلق بها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم مسليا له بقوله (فاصبر ان وعد الله) بالنصر واعلاء كلمة الحق (حق) كما قص عليك من حال موسى وغيره ثم أمره باستغفاره لذنبه وقد سبق البحث فى مثله مرارا والعشى والابكار صلاتا العصر والفجر أو المراد الدوام قوله (ان الذين يجادلون) عود الى ما انجر الكلام اليه من أول السورة الى ههنا وفيه بيان السبب الباعث لكفار

قريش على هذا الجدال وهو الكبر والحسد وحب الرياسة وأن يكون الناس تحت تصرفهم وتسخيرهم لا ان يكونوا تحت تصرف غيرهم فان النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن تكون الامة تحت أمره ونهيه وذلك تخيل فاسد لان الغلبة لدين الاسلام ولهذا

قال (ماهم ببالغيه) ثم أمره أن يستعيذ في دفع شرورهم بالله السميع لأقوالهم البصير بأحوالهم فيجازيهم على حسب ذلك ثم انهم كانوا أكثر ما يجادلون في أمر البعث فاحتج الله تعالى عليهم بقوله (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) ومن قدر على الأصعب في نظر المخالف وقياسه كان على الأسهل أقدر فظاهر أن هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا برهان بل لمجرد الحسد والكبر بل لا يعرفون ما البرهان وكيف طريق النظر والاستدلال ولهذا قال (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم نبه على الفرق بين الجدال المستند على العناد والتقليد وبين الجدال المستند الى الحجة والدليل قائلا (وما يستوى الاعمى والبصير) وحين بين التفاوت بين الجاهل والعالم أراد أن يبين التفاوت بين المحسن والمسيء ثم قال (قليلا ما تتذكرون) وفيه مزيد توبيخ وتقريع وفيه أن هذا التفاوت مما يعثر عليه المكلف بأدنى تأمل لو لم يكن معاندا مصرا ثم صرح بوجود القيامة قائلا (ان الساعة لآتية) أدخل اللام في الخبر بخلاف ما في طه لأن المخاطبين ههنا شاكون بخلاف المخاطب هناك وهو موسى وهذه الآية كالنتيجة لما قبلها ومعنى (لا يؤمنون) لا يصدقون بالبعث ثم انه كان من المعلوم أن الانسان لا ينتفع في يوم القيامة الا بالطاعة

أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي قال عن دعائي حدثنا علي بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا عمارة عن ثابت قال قلت لأنس يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة قال لا بل هي العبادة كلها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال أخبرنا منصور عن زر عن يسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ هذه الآية وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم عن الأشجعي قال قيل لسفيان ادع الله قال ان ترك الذنوب هو الدعاء وقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي يقول ان الذين يتعظمون عن افرادي بالعبادة وافراد الالوهة لي سيدخلون جهنم داخرين بمعنى صاغرين وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الدخر بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد قيل ان معنى قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي ان الذين يستكبرون عن دعائي ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين يستكبرون عن عبادتي قال عن دعائي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي داخرين قال صاغرين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي لا تصلح الألوهة الا له ولا تنبغي العبادة لغيره الذي صفته أنه جعل لكم أيها الناس الليل سكنا لتسكنوا فيه فتهدؤا من التصرف والاضطراب للمعاش والأسباب التي كنتم تتصرفون فيها في نهاركم والنهار مبصرا يقول وجعل النهار مبصرا من اضطرب فيه لمعاشه وطلب حاجاته نعمة منه بذلك عليكم ان الله لذو فضل على الناس يقول ان الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفء له من الفضل ولكن أكثر الناس لا يشكرون يقول ولكن أكثرهم لا يشكرونه بالطاعة له واخلاص الالوهة والعبادة له ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ يقول تعالى ذكره الذي فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس الله مالككم ومصلح أموركم وهو خالقكم وخالق كل شئ لا اله الا هو يقول لا معبود تصلح له العبادة غيره فأنى تؤفكون يقول فأى وجه تأخذون والى أين تذهبون عنه فتعبدون سواه وقوله كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون يقول كذهابكم عنه أيها القوم وانصرافكم عن الحق الى الباطل والرشد الى الضلال ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الامم بآيات الله يعني بحجج الله وأدلته يكذبون فلا يؤمنون يقول فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم وركبتم محجتهم في الضلال ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي له الالوهة خالصة أيها الناس الذي جعل لكم الارض التي أنتم على ظهرها سكان قرارا تستقرون عليها وتسكنون فوقها والسماء بناء بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم وقوام دنياكم الى بلوغ آجالكم وصوركم فأحسن صوركم يقول وخلقكم فأحسن خلقكم ورزقكم من الطيبات يقول ورزقكم من حلال الرزق ولذيذات المطاعم والمشارب وقوله ذلكم الله ربكم

يقول

فلا جرم أشار اليها بقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أكثر المفسرين على أن الدعاء ههنا بمعنى العبادة والاستجابة بمعنى الانابة بقوله سبحانه (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله ان يدعون من

يقول تعالى ذكره فالذى فعل هذه الافعال وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم هو الله الذى لا تنبغى الألوهة الاله وربكم الذى لا تصلح الربوبية لغيره لا الذى لا ينفع ولا يضر ولا يخلق ولا يرزق فتبارك الله رب العالمين يقول فتبارك الله مالك جميع الخلق جنهم وانسهم وسائر أجناس الخلق غيرهم هو الحى يقول هو الحى الذى لا يموت الدائم الحياة وكل شئ سواه فمنقطع الحياة غير دائمها لا اله الا هو يقول لا معبود بحق تجوز عبادته وتصلح الالوهة له الا الله الذى هذه الصفات صفاته فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين مخلصين له الطاعة مفردين له الالوهة لا تشركوا فى عبادته شيأ سواه من وثن وصنم ولا تجعلوا له نداولا عدلا الحمد لله رب العالمين يقول الشكر لله الذى هو مالك جميع أجناس الخلق من ملك وجن وانس وغيرهم لا للآلهة والأوثان التى لا تملك شيأ ولا تقدر على ضر ولا نفع بل هو مملوك ان ناله نائل بسوء لم يقدر له عن نفسه دفعا وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لا اله الا الله أن يتبع ذلك الحمد لله رب العالمين تأوّلا منهم هذه الآية بأنها أمر من الله بقيل ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن على بن الحسن ابن شقيق قال سمعت أبى قال أخبرنا الحسين بن واقد قال ثنا الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال اذا قال أحدكم لا اله الا الله وحده لا شريك له فليقل الحمد لله رب العالمين ثم قرأ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين حدثنى محمد بن عبد الرحمن قال ثنا محمد ابن بشر قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير أنه كان يستحب اذا قال لا اله الا الله يتبعها الحمد لله ثم قرأ هذه الآية هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن عامر عن سعيد بن جبير قال اذا قال أحدكم لا اله الا الله وحده فليقل باثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴿ القول فى قوله تعالى ﴿قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك من قريش انى نهيت أيها القوم أن أعبد الذين تدعون من دون الله من الآلهة والأوثان لما جاءنى البينات من ربى يقول لما جاءنى الآيات الواضحات من عند ربى وذلك آيات كتاب الله الذى أنزله وأمرت أن أسلم لرب العالمين يقول وأمرنى ربى أن أذل لرب كل شئ ومالك كل خلق بالخضوع وأخضع له بالطاعة دون غيره من الاشياء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدّكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره آمرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتنبيه مشركى قومه على حججه عليهم فى وحدانيته قل يا محمد لقومك أمرت أن أسلم لرب العالمين الذى صفته هذه الصفات وهى أنه خلق أباكم آدم من تراب ثم خلقكم من نطفة ثم من علقة بعد أن كنتم نطفا ثم يخرجكم طفلا من بطون أمهاتكم صغارا ثم لتبلغوا أشدكم فتتكامل قواكم ويتناهى شبابكم وتمام خلقكم شيوخا ومنكم من يتوفى من

وقد مرّ تحقيق الدعاء فى سورة البقرة فى قوله أجيب دعوة الداع اذا دعان وقد فسره ابن عباس بمعنى آخر قال وحدونى أغفر لكم وفى الدعاء قال جار الله وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد ومعنى (داخرين) صاغرين وقال أهل التحقيق كل من دعا الله وفى قلبه مثقال ذرة من المال والجاه وغير ذلك فدعاؤه لسانى لا قلبى ولهذا قد لا يستجاب لأنه اعتمد على غير الله وفيه بشارة هى أن دعاء المؤمن وقت حلول أجله يكون مستجابا البتة لانقطاع تعلقه وقتئذ عما سوى الله ثم انه تعالى ذكر نعمته على الخلائق بوجود الليل والنهار وقد مرّ نظير الآية مرارا ولا سيما فى أواخر يونس وأواسط البقرة وكرر ذكر الناس نعيا عليهم وتخصيصا لكفران النعمة بهم من بين سائر المخلوقات وأما وجه النظم فكأنه يقول انى أنعمت عليك بهذه النعم الجليلة قبل السؤال فكيف لا أنعم عليك بما هو أقل منه بعد السؤال ففيه تحريض على الدعاء وأيضا الاشتغال بالدعاء مسبوق بمعرفة المدعو فلذلك ذكر فى عدّة آيات دلائل باهرة من الآفاق والانفس على وحدانيته واتصافه بنعوت الكمال قوله (ذلكم الله) الى قوله لا هو قد مر فى الانعام قوله (كذلك يؤفك) أى كل من جحد بآيات الله ولم يكن طالبا للحق فانه مصروف عن الحق كما صرفوا قوله (فأحسن صوركم) كقوله ولقد كرمنا بنى آدم لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم قوله (الحمد لله رب العالمين) اما استئناف مدح من الله تعالى لنفسه واما بتقدير القول أى فادعوه مخلصين قائلين الحمد لله قوله (لما جاءنى البينات) شامل لأدلة العقل والنقل جميعا قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف

أى ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما قوله (ولتبلغوا أجلا مسمى) فمتعلق بفعل آخر تقديره ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى هو الموت أو القيامة ورجاء منكم أن تعقلوا ما فى ذلك من العبر وحيث انجر الكلام الى ذكر الأجل وصف نفسه بأن الاحياء والاماتة منه

قبل أن يبلغ الشيخوخة ولتبلغوا أجلا مسمى يقول ولتبلغوا ميقاتا مؤقتا لحياتكم وأجلا محدودا لا تجاوزونه ولا تتقدمون قبله ولعلكم تعقلون يقول وكى تعقلوا حجج الله عليكم بذلك وتتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا اله غيره فعل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد هو الذى يحيى ويميت يقول قل لهم ومن صفته جل ثناؤه أنه هو الذى يحيى من يشاء بعد مماته ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته واذا قضى أمرا يقول واذا قضى كون أمر من الامور التى يريد تكوينها فانما يقول له كن يعنى للذى يريد تكوينه كن فيكون ما أراد تكوينه موجودا بغير معاناة ولا كلفة مؤنة وقوله ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك الذين يخاصمونك فى حجج الله وآياته أنى يصرفون يقول أىّ وجه يصرفون عن الحق ويعدلون عن الرشد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أنى يصرفون أنى يكذبون ويعدلون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أنى يصرفون قال يصرفون عن الحق واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها أهل القدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن داود بن أبى هند عن محمد بن سيرين قال ان لم تكن هذه الآية نزلت فى القدرية فانى لا أدرى فيمن نزلت ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون الى قوله لم نكن ندعوا من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين حدثنى على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن سفيان عن داود بن أبى هند عن ابن سيرين قال ان لم يكن أهل القدر الذين يخوضون فى آيات الله فلا علم لنا به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى مالك بن أبى الخير الزيادى عن أبى قبيل قال أخبرنى عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيهلك من أمتى أهل الكتاب وأهل اللين فقال عقبة يا رسول الله وما أهل الكتاب قال قوم يتعلمون كتاب الله يجادلون الذين آمنوا فقال عقبة يا رسول الله وما أهل اللين قال قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات قال أبو قبيل لا أحسب المكذبين بالقدر الا الذين يجادلون الذين آمنوا وأما أهل اللين فلا أحسبهم الا أهل العمود ليس عليهم امام جماعة ولا يعرفون شهر رمضان * وقال آخرون بل عنى به أهل الشرك ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون قال هؤلاء المشركون والصواب من القول فى ذلك ما قاله ابن زيد وقد بين الله حقيقة ذلك بقوله الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بكتاب الله وهو هذا القرآن والذين الثانية فى موضع خفض ردّا لها على الذين الاولى على وجه النعت وبما أرسلنا به رسلنا يقول

ثم أشار بقوله (فاذا قضى) الخ الى نفاذ قدرته فى الكائنات من غير افتقار فى شئ ما الى آلة وعدّة وأشار الى أن الاحياء والاماتة ليسا من الأشياء التدريجية ولكنهما من الأمور الدفعية المتوقفة على أمر كن فقط وذلك أن الحياة تحصل بتعلق النفس الناطقة بالبدن والموت يحدث من قطع ذلك التعلق وكل من الأمرين يحصل فى آن واحد ويمكن أن يكون فيه اشارة الى خلق الانسان الاول وهو آدم كقوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ثم عاد الى ذم المجادلين وذكر وعيدهم قائلا ألم تر الآية والكتاب القرآن وما أرسل به الرسل سائر الكتب وقوله (فسوف يعلمون اذ الأغلال فى أعناقهم) ليس كقول القائل سوف أصوم أمس بناء على أن سوف للاستقبال واذ للمضى لان اذ ههنا بمعنى اذا لأنه ورد على عادة أخبار الله نحو وسيق ونادى وقال المبرد اذ صارت زمانا قبل سوف لأن العلم وقع منهم بعد ثبوت الأغلال والمعنى علموا من الاغلال الذى كانوا أوعدوه بعد أن حق بالوجود ومعنى (يسجرون) قال جار الله هو من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه أنهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بها مملوءة أجوافهم منها والحاصل أنهم يعذبون مرة بالماء الشديد الحرارة ومرة بالنار وقال مقاتل فى الحميم يعنى فى حر النار (ثم قيل لهم) على سبيل التوبيخ (أينما كنتم) ما موصولة مبتدأ وأين خبرها ومعنى (ضلوا) غابوا وضاعوا ولم يصل الينا ما كنا نرجوه من النفع والشفاعة وأكدوا هذا المعنى بقوله (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) يعتدّ به

كما تقول حسبت أن فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ أى ليس عنده خير ومن جوز الكذب على الكفار لم يحتج الى هذا التأويل وقال انهم أنكروا عبادة الاصنام ثم قال (كذلك يضل الله الكافرين) قالت الأشاعرة أى عن الحجة والايمان

يقول وكذبوا أيضا مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسلنا من اخلاص العبادة لله والبراءة مما يعبد من دونه من الآلهة والأنداد والاقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب وقوله فسوف يعلمون اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل وهذا تهديد من الله المشركين به يقول جل ثناؤه فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون فى آيات الله المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب حين تجعل الأغلال والسلاسل فى أعناقهم فى جهنم وقرأت قراء الأمصار والسلاسل برفعها عطفا بها على الاغلال على المعنى الذى بينت وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه والسلاسل يسحبون بنصب السلاسل فى الحميم وقد حكى أيضا عنه أنه كان يقول انما هو وهم فى السلاسل يسحبون ولا يجيز أهل العلم بالعربية خفض الاسم والخافض مضمر وكان بعضهم يقول فى ذلك لو أن متوهما قال انما المعنى اذ أعناقهم فى الاغلال وفى السلاسل يسحبون جاز الخفض فى السلاسل على هذا المذهب وقال مثله مما رد الى المعنى قول الشاعر

قد سالم الحيات منه القدما * الأفعوان والشجاع الأرقما

فنصب الشجاع والحيات قبل ذلك مرفوعة لان المعنى قد سالمت رجله الحيات وسالمتها فلما احتاج الى نصب القافية جعل الفعل من القدم واقعا على الحيات والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة عليه وهو رفع السلاسل عطفا بها على ما فى قوله فى أعناقهم من ذكر الاغلال وقوله يسحبون يقول يسحب هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا بالكتاب زبانية العذاب يوم القيامة فى الحميم وهو ما قد انتهى حره وبلغ غايته وقوله ثم فى النار يسجرون يقول ثم فى نار جهنم يحرقون يقول تسجر بهم جهنم أى توقد بهم * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يسجرون قال يوقد بهم النار **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ثم فى النار يسجرون قال يحرقون فى النار **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم فى النار يسجرون قال يسجرون فى النار يوقد عليهم فيها وقوله ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله يقول ثم قيل أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم اياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب فان المعبود يغيث من عبده وخدمه وانما يقال هذا لهم توبيخا وتقريعا على ما كان منهم فى الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا ضلوا عنا يقول عدلوا عنا فأخذوا غير طريقنا وتركونا فى هذا البلاء بل ما ضلوا عنا ولكنا لم نكن ندعو من قبل فى الدنيا شيأ أى لم نكن نعبد شيأ يقول الله تعالى ذكره كذلك يضل الله الكافرين يقول كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم فى جهنم ما كانوا يعبدون فى الدنيا من دون الله من الآلهة والاوثان آلهتهم وأوثانهم كذلك يضل الله أهل الكفر به عنه وعن رحمته وعبادته فلا يرحمهم فينجيهم من النار ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) يعنى تعالى ذكره

وقالت المعتزلة عن طريق الجنة بالخذلان وقال فى الكشاف أى مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يجد أحدهما الآخر واعترض عليه بأنهم مقرونون بآلهتهم فى النار لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم والجواب أن كون الجميع فى النار لا ينافى غيبة أحدهما عن الآخر وأجاب فى الكشاف باختلاف الزمان وبتفسير الضلال بعدم النفع (ذلكم) العذاب بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح أى النشاط (بغير الحق) وهو الشرك وعبادة الصنم ويجوز أن يكون القول محذوفا أى يقال لهم ادخلوا أبواب جهنم السبعة المقسومة لكل طائفة مقدرين الخلود فيها (فبئس مثوى المتكبرين) يعنى الذين مر ذكرهم فى قوله ان فى صدورهم الا كبر والمخصوص بالذم محذوف وهو مثواكم أو جهنم قال جار الله انما لم يقل فبئس مدخل المتكبرين حتى يكون مناسبا لقوله ادخلوا كقولك زر بيت الله فنعم المزار لان الدخول المؤقت بالخلود فى معنى الثواء وحين زيف طريقة المجادلين مرة بعد مرة أمر رسوله بالصبر على ايذائهم وايحاشهم الى انجاز الوعد بالنصرة قال (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) من عذاب الدنيا فذاك (أو نتوفينك فالينا يرجعون) هذا التقدير ذكره جار الله وقد مر فى يونس مثله وأقول لا بأس أن يعطف قوله أو نتوفينك على نرينك ويكون الرجوع الى الله جزاء لهما جميعا ومعناه انا نجازيهم على أعمالهم يوم القيامة سواء عذبوا فى الدنيا أو لم يعذبوا ثم سلاه بحال الانبياء السابقة ليقتدى بهم فى الصبر والتأسى فقال (ولقد أرسلنا) الآية

ذهب بعض المفسرين الى أن عدد الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وقيل ثمانية آلاف نصف ذلك من بني اسرائيل والباقي من سائر الناس ولعل الأصح أن عددهم لا يعلمه (٥٦) الا الله لقوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله لكن الايمان بالجميع واجب عن علي رضي الله عنه بعث الله نبيا أسود لم يقص علينا قصته ثم ان قريشا كانوا يقترحون آيات تعنتا كما مر في أواخر سبحان وأول الفرقان وغيرهما فلا جرم قال الله تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله) بعذاب الدنيا أو بالقيامة وقال ابن بحر امر الله الآية التي اقترحوها وذلك أنه يقع الاضطرار عندها (وخسر هنالك) أي في ذلك الوقت استعير المكان للزمان (المبطلون) وهم أهل الأديان الباطلة ثم عاد الى نوع آخر من دلائل التوحيد قال (الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا) قال جار الله ظاهر النظم يقتضي ادخال لام الغرض في القرائن الاربع أو خلو الكل عنها فيقال لتركبوا ولتأكلوا ولتصلوا الى منافع ولتبلغوا أو يقال منها تركبون ومنها تأكلون وتصلون وتبلغون لأنه ورد على ما ورد لأن الركوب قد يجب كما في الحج والغزو وكذلك السفر من بلد الى بلد لهجرة أو طلب علم لا أقل من الندب فصح أن يكونا غرضين وأما الأكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا تتعلق به ارادته كثير تعلق شرعا وانما قال (وعلى الفلك) ولم يقل وفي الفلك مع صحته اذ هي كالوعاء ازدواجا لقوله وعليها والحمل محمول على الظاهر وقيل هو من قول العرب حملت فلانا على الفرس اذا وهب له فرسا ثم وبخهم بقوله (ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون) ثم حرضهم وزادتوبيخهم بقوله (أفلم يسيروا) الآية وقد سبق وقوله (فما أغنى عنهم) ما نافية أو استفهامية ومحلها النصب وقوله (ما كانوا) مصدرية أو موصولة عبدا

بقوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق هذا الذي فعلنا بكم أيها القوم اليوم من تعذيبنا كم العذاب الذي أنتم فيه بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا بغير ما أذن الله لكم به من الباطل والمعاصي و بمرحكم فيها والمرح هو الأشر والبطر * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق الى فبئس مثوى المتكبرين قال الفرح والمرح الفخر والخيلاء والعمل في الارض بالخطيئة وكان ذلك في الشرك وهو مثل قوله لقارون اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وذلك في الشرك **حدثني** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق و بما كنتم تمرحون قال تبطرون وتأشرون **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله تمرحون قال تبطرون وقوله ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها يقول تعالى ذكره لهم ادخلوا أبواب جهنم السبعة من كل باب منها جزء مقسوم منكم فبئس مثوى المتكبرين يقول فبئس منزل المتكبرين في الدنيا على الله أن يوحدوه و يؤمنوا برسله اليوم جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون في آيات الله التي أنزلناها عليك وعلى تكذيبهم اياك فان الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم والعلو عليهم واحلال العقاب بهم كسنتنا في موسى بن عمران ومن كذبه فاما نرينك بعض الذي نعدهم يقول جل ثناؤه فاما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم أو نتوفينك قبل أن يحل ذلك بهم فالينا يرجعون يقول فالينا مصيرك ومصيرهم فنحكم عند ذلك بينك و بينهم بالحق بتخليدناهم في النار واكرامناك بجوارنا في جنات النعيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أرسلنا يا محمد رسلا من قبلك الى أممها منهم من قصصنا عليك يقول من أولئك الذين أرسلنا الى أممهم من قصصنا عليك نبأهم ومنهم من لم نقصص عليك نبأهم وذكر عن أنس أنهم ثمانية آلاف ذكر الرواية بذلك **حدثنا** علي بن شعيب السمسار قال ثنا معن بن عيسى قال ثنا ابراهيم بن المهاجر بن مسمار عن محمد ابن المنكدر عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثمانية آلاف من الانبياء منهم أربعة آلاف من بني اسرائيل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس عن عتبة بن عتيبة البصري العبدي عن أبي سهل عن وهب بن عبد الله بن كعب بن سور الازدي عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعث الله أربعة آلاف نبي **حدثني** أحمد بن الحسين الترمذي قال ثنا آدم بن أبي اياس قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في قوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال بعث الله

عبداحبشيا نبيافهو الذى لم نقصص عليك وقوله وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله يقول تعالى ذكره وما جعلنا الرسول ممن أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك والذين لم نقصصهم عليك الى أممها أن يأتى قومه بآية فاصلة بينه و بينهم الا باذن الله له بذلك فيأتيهم بها يقول جل ثناؤه لنبيه فلذلك لم يجعل لك أن تأتى قومك بما يسألونك من الآيات دون اذننا لك بذلك كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا الا أن نأذن له به فاذا جاء أمر الله قضى بالحق يعنى بالعدل وهو أن ينجى رسله والذين آمنوا معهم وخسر هنالك المبطلون يقول وهلك هنالك الذين أبطلوا فى قيلهم الكذب وافترائهم على الله وادعائهم له شريكا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون ﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى لا تصلح الألوهة الا له أيها المشركون به من قريش الذى جعل لكم الأنعام من الابل والبقر والغنم والخيل وغير ذلك من البهائم التى يقتنيها أهل الاسلام لمركب أو لمطعم لتركبوا منها يعنى الخيل والحمير ومنها تأكلون يعنى الابل والبقر والغنم وقال لتركبوا منها ومعناه لتركبوا منها بعضا ومنها بعضا تأكلون فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف وقوله ولكم فيها منافع وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم و يوم إقامتكم ومن أصوافها وأو بارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين وقوله ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم يقول ولتبلغوا بالحمولة على بعضها وذلك الابل حاجة فى صدوركم لم تكونوا بالغيها لولاهى الا بشق أنفسكم كما قال جل ثناؤه وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ﴿ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم يعنى الابل تحمل أثقالكم الى بلد **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم لحاجتكم ما كانت وقوله وعليها يعنى وعلى هذه الابل وما جانسها من الانعام المركوبة وعلى الفلك يعنى وعلى السفن تحملون يقول نحملكم على هذه فى البر وعلى هذه فى البحر ويريكم آياته يقول و يريكم حججه فأى آيات الله تنكرون يقول فأى حجج الله التى يريكم أيها الناس فى السماء والارض تنكرون صحتها فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله وتدعون من دونه الها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ يقول تعالى ذكره أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون فى آيات الله من مشركى قومك فى البلاد فانهم أهل سفر الى الشأم واليمن رحلتهم فى الشتاء والصيف فينظروا فيما وطؤا من البلاد الى وقائعنا بمن أوقعنا به من الامم قبلهم و يروا ما أحللنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا و جحودهم آياتنا كيف كان عقبى تكذيبهم كانوا أكثر منهم يقول كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذبين من قريش أكثر عددا من هؤلاء وأشد بطشا وأقوى قوة وأبقى فى الارض آثارا لانهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا و يتخذون مصانع وكان مجاهد يقول فى ذلك ما **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآثارا فى الارض المشى بأرجلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول فلما جاءهم بأسنا وسطوتنا لم يغن عنهم ما كانوا يعملون من البيوت فى الجبال ولم يدفع عنهم ذلك شيأ ولكنهم بادوا جميعا فهلكوا وقد قيل ان معنى قوله فما أغنى عنهم فأى شئ أغنى عنهم وعلى هذا التأويل يجب أن يكون ما الاولى فى موضع نصب والثانية فى موضع رفع

أى كسبهم أو الذى كسبوا قوله (فرحوا) لايخلو اما أن يكون الضمير عائدا الى الكفار أوالى الرسل وعلى الاول فيه وجوه منها أنه تهكم بعلمهم الذى يزعمون كقولهم وما أظن الساعة قائمة أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا فى خلق جديد ومنها أنه أراد بذلك شبهات الدهرية وبعض الفلاسفة كقولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وحقروا علم الأنبياء بالنسبة الى علمهم كما يحكى عن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام فقيل له لوهاجرت اليه فقال نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا الى من يهدينا و يروى أن جالينوس قال لعيسى عليه السلام بعثت لغيرنا ومنها أن يراد علمهم بظاهر المعاش كقوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرحوا به وأعرضوا عن علم الديانات وعلى الثانى يكون معناه أن الرسل لما رأوا جهل قومهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ووجه آخر وهو أن يكون ضمير فرحوا للكفار وضمير عندهم للرسل أى فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء ثم بين أن يمان البأس وهو حالة عيان العذاب أو أمارات نزول سلطان الموت غير نافع وقد مر مرارا ومعنى (فلم يك ينفعهم) لم يصح ولم يستقم لأن الالجاء ينافى التكليف وترادف الفاآت فى قوله فما أغنى فلما جاءتهم فلما رأوا فلم يك لترتيب الأخبار ولتعاقب المعانى من غير تراخ وقال جار الله

يقول فلهؤلاء المجادليك من قومك يامحمد فى أولئك معتبر ان اعتبروا ومتعظ ان اتعظوا وان بأسنا اذا حل بالقوم المجرمين لم يدفعه دافع ولم يمنعه مانع وهو بهم ان لم ينيبوا الى تصديقك واقع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاءت هؤلاء الامم الذين من قبل قريش المكذبة رسلها رسلهم الذين أرسلهم الله اليهم بالبينات يعنى بالواضحات من حجج الله عز وجل فرحوا بما عندهم من العلم يقول فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم وقالوا لن نبعث ولن يعذبنا الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فرحوا بما عندهم من العلم قال قولهم نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم وقوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وحاق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء به وسخرية * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ما جاءتهم به رسلهم من الحق ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ يقول تعالى ذكره فلما رأت هذه الامم المكذبة رسلها بأسنا يعنى عقاب الله الذى وعدتهم به رسلهم قد حل بهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فلما رأوا بأسنا قال النقمات التى نزلت بهم وقوله قالوا آمنا بالله وحده يقول قالوا أقررنا بتوحيد الله وصدقنا أنه لا اله غيره وكفرنا بما كنا به مشركين يقول جحدنا الآلهة التى كنا قبل وقتنا هذا نشركها فى عبادتنا الله ونعبدها معه ونتخذها آلهة فبرئنا منها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره فلم يك ينفعهم تصديقهم فى الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل وعذابه قد حل لانهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقا اذ كان قد مضى حكم الله فى السابق من علمه أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا لما رأوا عذاب الله فى الدنيا لم ينفعهم الايمان عند ذلك وقوله سنة الله التى قد خلت فى عباده يقول ترك الله تبارك وتعالى اقالتهم وقبول التوبة منهم ومراجعتهم الايمان بالله وتصديق رسلهم بعد معاينتهم بأسه قد نزل بهم سنته التى قد مضت فى خلقه فلذلك لم يقلهم ولم يقبل توبتهم فى تلك الحال كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنة الله التى قد خلت فى عباده يقول كذلك كانت سنة الله فى الذين خلوا من قبل اذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم ايمانهم عند ذلك وقوله وخسر هنالك الكافرون يقول وهلك عند مجىء بأس الله فغبنت صفقته ووضع فى بيعه الآخرة بالدنيا والمغفرة بالعذاب والايمان بالكفر الكافرون بربهم الجاحدون توحيد خالقهم المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم

آخر تفسير سورة حم المؤمن

فما أغنى نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وقوله فلما جاءتهم جار مجرى البيان والتفسير لقوله فما أغنى وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك تابع لايمانهم بعد البأس قال اهل البرهان وانما قال ههنا (وخسر هنالك الكافرون) وفيما قبل المبطلون لانه قال هنالك قضى بالحق ونقيض الحق الباطل وههنا ذكر أن ايمان البأس غير مجد ونقيضه الكفر والله أعلم

* (سورة السجدة وهى مكية حروفها ثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون كلمها سبعمائة وأربع وتسعون) *

* ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *

﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء

(تفسير سورة حم السجدة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآ ناعربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) قال أبو جعفر قد تقدم القول منا فيما مضى قبل فى معنى حم والقول فى هذا الموضع كالقول فى ذلك وقوله تنزيل من الرحمن الرحيم يقول تعالى ذكره هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم نزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كتاب فصلت آياته يقول كتاب بينت آياته كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله فصلت آياته قال بينت آياته وقوله قرآ ناعربيا يقول تعالى ذكره فصلت آياته هكذا وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب القرآن فقال بعض نحويى البصرة قوله كتاب فصلت الكتاب خبر المبتدا أخبر أن التنزيل كتاب ثم قال فصلت آياته قرآ ناعربيا شغل الفعل بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل فنصب القرآن وقال بشيرا ونذيرا على أنه صفة وان شئت جعلت نصبه على المدح كأنه حين ذكره أقبل فى مدحته فقال ذكرنا قرآ ناعربيا بشيرا ونذيرا وذكرناه قرآ ناعربيا وكان فيما مضى من ذكره دليل على ما أضمر وقال بعض نحويى الكوفة نصب قرآ ناعلى الفعل أى فصلت آياته كذلك قال وقد يكون النصب فيه على القطع لان الكلام تام عند قوله آياته قال ولو كان رفعا على أنه من نعت الكتاب كان صوابا كما قال فى موضع آخر كتاب أنزلناه اليك مبارك وقال وكذلك قوله بشيرا ونذيرا فيه ما فى قرآ ناعربيا وقوله لقوم يعلمون يقول فصلت آيات هذا الكتاب قرآ ناعربيا لقوم يعلمون اللسان العربى بشيرا لهم يبشرهم ان هم آمنوا به وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة ونذيرا يقول ومنذرا من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله فى عاجل الدنيا وخلود الأبد فى نار جهنم فى آجل الآخرة وقوله فأعرض أكثرهم يقول تعالى ذكره فاستكبر عن الاصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا وهم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم لا يسمعون يقول فهم لا يصغون له فيسمعوه اعراضا عنه واستكبارا القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون) يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركى قريش اذ دعاهم محمد نبى الله الى الاقرار بتوحيد الله وتصديق ما فى هذا القرآن من أمر الله ونهيه وسائر ما أنزل فيه قلوبنا فى أكنة يقول فى أغطية مما تدعونا يا محمد اليه من توحيد الله وتصديقك فيما جئتنا به لا نفقه ما تقول وفى آذاننا وقر وهو الثقل لا نسمع ما تدعونا اليه استثقالا لما يدعوا اليه وكراهة له وقد مضى البيان قبل عن معانى هذه الأحرف بشواهده وذكر ما قال أهل التأويل فيه فكرهنا اعادة ذلك فى هذا الموضع وقد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قلوبنا فى أكنة قال عليها أغطية كالجعبة للنبل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله وقالوا قلوبنا فى أكنة قال عليها أغطية وفى آذاننا وقر قال صمم وقوله ومن بيننا وبينك حجاب يقولون ومن بيننا و بينك يا محمد ساتر لا نجتمع من أجله نحن وأنت فيرى بعضنا بعضا وذلك الحجاب هو اختلافهم فى الدين لان دينهم كان عبادة الاوثان ودين محمد صلى الله عليه وسلم عبادة الله وحده لا شريك له فذلك هو

وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) القراآت سواء بالرفع يزيد وقرأ يعقوب بالجر الباقون بالنصب نحسات بسكون الحاء

الحجاب الذى زعموا أنه بينهم و بين نبى الله وذلك هو خلاف بعضهم بعضا فى الدين وقوله فاعمل اننا عاملون يقول قالوا له صلى الله عليه وسلم فاعمل يا محمد بدينك وما تقول انه الحق اننا عاملون بديننا وما نقول انه الحق ودع دعاءنا الى ما تدعونا اليه من دينك فانا ندع دعاءك الى ديننا وأدخلت من فى قوله ومن بيننا و بينك حجاب والمعنى و بيننا و بينك حجاب توكيدا للكلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك أيها القوم ما أنا الا بشر من بنى آدم مثلكم فى الجنس والصورة والهيئة لست بملك يوحى الى يقول يوحى الله الى أن لا معبود لكم تصلح عبادته الا معبود واحد فاستقيموا اليه يقول فاستقيموا اليه بالطاعة و وجهوا اليه وجوهكم بالرغبة والعبادة دون الآلهة والأوثان واستغفروه يقول وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التى سلفت منكم بالتوبة من شرككم يتب عليكم و يغفر لكم وقوله و ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون يقول تعالى ذكره وصديد أهل النار وما يسيل منهم للمدعين لله شريكا العابدين الاوثان دونه الذين لا يؤتون الزكاة اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معناه الذين لا يعطون الله الطاعة التى تطهرهم وتزكى أبدانهم ولا يوحدونه وذلك قول يذكر عن ابن عباس ذكر الرواية بذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال هم الذين لا يشهدون أن لا اله الا الله **حدثنى** سعد ابن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الذين لا يقولون لا اله الا الله * وقال آخرون بل معنى ذلك الذين لا يقرون بزكاة أموالهم التى فرضها الله فيها ولا يعطونها أهلها وقد ذكرنا أيضا قائلى ذلك قبل وقد **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال لا يقرون بها ولا يؤمنون بها وكان يقال ان الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقد كان أهل الردة بعد نبى الله قالوا أما الصلاة فنصلى وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا قال فقال أبو بكر والله لا أفرق بين شئ جمع الله بينه والله لو منعونى عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال لو زكوا وهم مشركون لم ينفعهم * والصواب من القول فى ذلك ما قاله الذين قالوا معناه لا يؤدون زكاة أموالهم وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة وأن فى قوله وهم بالآخرة هم كافرون دليلا على أن ذلك كذلك لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا اله الا الله فلو كان قوله الذين لا يؤتون الزكاة مرادا به الذين لا يشهدون أن لا اله الا الله لم يكن لقوله وهم بالآخرة هم كافرون معنى لانه معلوم أن من لا يشهد أن لا اله الا الله لا يؤمن بالآخرة وفى إتباع الله قوله وهم بالآخرة هم كافرون قوله الذين لا يؤتون الزكاة ما ينبئ عن أن الزكاة فى هذا الموضع معنى بها زكاة الاموال وقوله وهم بالآخرة هم كافرون يقول وهم بقيام الساعة و بعث الله خلقه أحياء من قبورهم من بعد بلائهم وفنائهم منكرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله وانتهوا عما نهاهم عنه وذلك هو الصالحات من

الاعمال

ابن كثير وابو عمرو ونافع وسهل و يعقوب وأما ثمود بالنصب المفضل نحشر بالنون أعداء بالنصب نافع و يعقوب الآخرون بالياء مجهولا أعداء مرفوعا ۞ الوقوف حم كوفى الرحيم ه ج لأن قوله كتاب يصلح أن يكون بدلا من تنزيل وأن يكون خبر مبتدإ محذوف أى هو كتاب و يجوز أن يكون تنزيل هو مع وصفه مبتدأ وكتاب خبره يعلمون ه ج لأن بشيرا صفة أخرى لقرآنا ونذيرا ه ج لاختلاف الجملتين لا يسمعون ه عاملون ه واستغفروه ج للمشركين ه لا كافرون ه ممنون ه وأندادا ط العالمين ه لا للآية مع العطف أيام ط لمن نصب سواء أو رفع ومن خفض لم يقف للسائلين ه كرها ط طائعين ه أمرها ج للعدول بمصابيح ج لحق المحذوف اى وحفظناها حفظا ولعل الوصل أولى لما يجىء وحفظا ه العليم ه وثمود ه بناء على أن اذ يتعلق بمحذوف هو اذكر أو بمعنى الفعل فى الصاعقة أى يصعقون اذ ذاك ولا يجوز أن يتعلق بأنذرتكم الا الله ط كافرون ه مناقوة ط منهم قوة ط للفصل بين الاخبار والاستخبار يجحدون ه الدنيا ج لا ينصرون ه يكسبون ه يتقون ه يوزعون ه يعملون ه علينا ط ترجعون ه تعملون ه الخاسرين ه مثوى لهم ط المعتبين ه ۞ التفسير حم قال بعضهم الحاء من الحكمة والميم من المنة أى من على عباده بتنزيل الحكمة من الرحمن فى الأزل الرحيم فى الأبد وهى (كتاب فصلت آياته) أى ميزت أمثالا ومواعظ وأحكاما وقصصا الى غير ذلك

الاعمال لهم أجر غير ممنون يقول لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يأجرهم عليه وقد اختلف فى تأويل ذلك اهل التأويل وقد بيناه فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لهم أجر غير ممنون قال بعضهم غير منقوص وقال بعضهم غير ممنون عليهم حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أجر غير ممنون يقول غير منقوص حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لهم أجر غير ممنون قال محسوب وقوله أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وذلك يوم الأحد ويوم الاثنين وبذلك جاءت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالته العلماء وقد ذكرنا كثيرا من ذلك فيما مضى قبل ونذكر بعض مالم نذكره قبل ان شاء الله ذكر بعض مالم نذكره فيما مضى من الاخبار بذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد قرأت سائر الحديث على أبى بكر ان اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض قال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة ثم قال ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين لمن سأل قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه فخلق فى أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حين يموت من مات وفى الثانية ألقى الآفة على كل شئ مما ينتفع به الناس وفى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا ثم استراح فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن غالب بن غلاب عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال ان الله خلق يوما واحدا فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس قال فخلق الارض فى يومين الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء فلذلك قول الناس هو يوم ثقيل وخلق مواضع الانهار والاشجار يوم الاربعاء وخلق الطير والوحوش والهوام والسباع يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة ففرغ من خلق كل شئ يوم الجمعة حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى خلق الارض فى يومين فى الأحد والاثنين وقد قيل غير ذلك وذلك ما حدثنى القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن على قالا ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبى هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر خلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وقوله وتجعلون له أندادا يقول وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أندادا وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم فى معاصى الله وقد بينا معنى الند بشواهده فيما مضى قبل وقوله ذلك رب العالمين يقول الذى فعل هذا الفعل وخلق

وقد مر فى أول هود وانتصب قرآنا على المدح والاختصاص أو على الحال الموطئة (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يفهمون معانيه يعنى بالاصالة وللباقين بعدهم وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم منهم فالدعوة تحصل أولا لهم والأظهر عندى انه كقوله هدى للمتقين وذلك أنه لا ينتفع بالقرآن الا أهل العلم به قال أهل السنة الصفات المذكورة ههنا للقرآن توجب شدة الاهتمام بمعرفته والوقوف على معانيه بيانه أن كونه نازلا من الرحمن الرحيم دليل على أن تنزيله رحمة للعالمين وفيه شفاء لأمراض القلوب وكونه كتابا والتركيب يدور على الجمع كما سبق فى أول الكتاب يدل على أن فيه علوم الاولين والآخرين وقوله فصلت آياته دليل على أنه فى غاية الكشف والبيان وكونه قرآنا عربيا ولغة العرب أفصح اللغات مما يوجب أن تتوفر عليه الرغبات ولاسيما للعرب ومن داناهم وكونه بشيرا ونذيرا يدل على أن الاحتياج اليه من أهم المهمات لأنه سعى فى معرفة ما يوصل الى الثواب الابدى ويخلص من العقاب السرمدى فاذا علم المخاطبون هذه الفوائد ثم أعرض أكثرهم عن القرآن ولم يسمعوه سماع قبول دل ذلك على أن المهدى من هداه الله ومن يضلله فلا هادى له ثم أكد بيان اعراضهم بقوله (وقالوا قلوبنا فى أكنة) ولا يخفى أنه سبحانه ذكر هذا فى معرض الذم فوجه الجمع بينه وبين قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا هو أن الذم انما يتوجه على اعتقادهم أنهم اذا كانوا كذلك لم يجز تكليفهم

الارض فى يومين مالك جميع الجن والانس وسائر أجناس الخلق وكل مادونه مملوك له فكيف
يجوز أن يكون له ندوهل يكون المملوك العاجز الذى لايقدر على شئ ندا لمالكه القادر عليه
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها
فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا
اوكرها قالتا أتينا طائعين﴾ يقول تعالى ذكره وجعل فى الارض التى خلق فى يومين جبالا رواسى
وهى الثوابت فى الارض من فوقها يعنى من فوق الأرض على ظهرها وقوله وبارك فيها يقول
وبارك فى الارض فجعلها دائمة الخير لأهلها وقد ذكر عن السدى فى ذلك ما حدثنا موسى
قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وبارك فيها قال أنبت شجرها وقدر فيها أقواتها
اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم وقدر فيها أقوات أهلها بمعنى أرزاقهم ومعايشهم
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن وقدر فيها
أقواتها قال أرزاقها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله وقدر
فيها أقواتها قال قدر فيها أرزاق العباد ذلك الأقوات حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا
أسباط عن السدى وقدر فيها أقواتها يقول أقواتها لأهلها * وقال آخرون بل معناه وقدر فيها
مايصلحها ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن
دعلج عن قتادة قوله وقدر فيها أقواتها قال صلاحها * وقال آخرون بل معنى ذلك وقدر فيها
جبالها وأنهارها وأشجارها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة وقدر فيها أقواتها خلق فيها جبالها وأنهارها وبحارها وشجرها وساكنها من الدواب
كلها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وقدر فيها أقواتها قال
جبالها ودوابها وأنهارها وبحارها * وقال آخرون بل معنى ذلك وقدر فيها أقواتها من المطر
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وقدر
فيها أقواتها قال من المطر * وقال آخرون بل معنى ذلك وقدر فى كل بلدة منها مالم يجعله فى الآخر
منها لمعاش بعضهم من بعض بالتجارة من بلدة الى بلدة ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين
ابن محمد الذارع قال ثنا أبو محصن قال ثنا حسين عن عكرمة فى قوله وقدر فيها أقواتها
قال اليمانى باليمن والسابرى بسابور حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا أبو محصن عن
حصين قال قال عكرمة وقدر فيها أقواتها اليمانية باليمن والسابرية بسابور وأشباه هذا حدثنا
أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت حصينا عن عكرمة فى قوله وقدر فيها اقواتها قال
فى كل أرض قوت لا يصلح فى غيرها اليمانى باليمن والسابرى بسابور حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله وقدر فيها أقواتها قال البلد يكون فيه القوت
أو الشئ لايكون لغيره ألا ترى أن السابرى انما يكون بسابور وأن العصب انما يكون باليمن
ونحو ذلك حدثنى اسمعيل بن سيف قال ثنا ابن عبد الواحد بن زياد عن خصيف عن
مجاهد فى قوله وقدر فيها أقواتها قال السابرى بسابور والطيالسة من الرى حدثنى اسمعيل قال
ثنا أبو النضر صاحب البصرى قال ثنا أبو عوانة عن مطرف عن الضحاك فى قوله وقدر
فيها أقواتها قال السابرى من سابور والطيالسة من الرى والحبر من اليمن * والصواب من القول
فى ذلك أن يقال ان الله تعالى أخبر أنه قدر فى الارض أقوات أهلها وذلك مايقوتهم من الغذاء

ولاخطابهم بالامر والنهى اوانهم
قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء
قال جار الله فائدة من فى قوله (ومن
بيننا وبينك حجاب) دون أن يقول
وبيننا هو أن العبارة الثانية تدل
على مطلق الحجاب ولكن العبارة
الواردة فى القرآن تفيد أن المسافة
التى بينهم وبين رسول الله مملوءة
من الحجاب لافراغ فيها كأنه قيل
ان الحجاب ابتدأ منا ومنك ثم حكى
عنهم ماقالوا على سبيل التهديد أو
التحلية (فاعمل) أى على دينك او
فى ابطال ديننا (اننا عاملون) على ديننا
أوفى ابطال أمرك ثم أمر رسوله
صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن
شبههم بقوله (انما أنا بشر مثلكم)
وتوجيه النظم انى لاأقدر أن
أحملكم على الايمان جبرا فانى بشر
مثلكم ولاامتياز الا أنى أوحى الى
التوحيد والأمر به فعلى البلاغ
وحده ثم ان قبلتم قولى أتاكم الله
والاعاقبكم قال فى الكشاف أراد
ان نبوتى صحت بالوحى واذا صحت
وجب اتباعى ومن جملة ذلك القول
بالتوحيد ثم بين أن خلاصة
الوحى ترجع الى أمرين الاستقامة
والاقامة على التوحيد المتوجهين
الى الله والاستغفار من تقصير قد
يقع فى الطاعة ثم هدد أهل الشرك
بقوله (وويل للمشركين) وقرن منع
الزكاة بالكفر بالله أولا وبالآخرة
ثانيا لأن المال شقيق الروح وبه
وببذله فى سبيل الله يعرف الموافق
من المنافق ففيه بعث شديد لأهل
الايمان على أداء الزكاة وفيه أن
الشفقة على خلق الله قرينة التعظيم
لأمر الله وقيل كانت قريش
يطعمون الحاج ولا يطعمون
المؤمنين فنزلت قاله الفراء وقيل

ويصلحهم

و يصلحهم من المعاش ولم يخصص جل ثناؤه بقوله وقدر فيها أقواتها أنه قدر فيها قوتا دون قوت
بل عم الخبر عن تقديره فيها جميع الاقوات ومما يقوت أهلها مالا يصلحهم غيره من الغذاء وذلك
لا يكون الا بالمطر والتصرف في البلاد لما خص به بعضا دون بعض ومما أخرج من الجبال من
الجواهر ومن البحر من المآكل والحلي ولا قول في ذلك أصح مما قال جل ثناؤه قدر في الارض
أقوات أهلها لما وصفنا من العلة وقال جل ثناؤه في أربعة أيام لما ذكرنا قبل من الخبر الذي
رويناعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فرغ من خلق الارض وجميع أسبابها
ومنافعها من الاشجار والماء والمدائن والعمران والخراب في أربعة أيام أولهن يوم الاحد
وآخرهن يوم الاربعاء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال
خلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وقال بعض
نحويي البصرة قال خلق الارض في يومين ثم قال في أربعة أيام لانه يعني أن هذا مع الاول أربعة
أيام كما تقول تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين واحداهما التي تزوجتها أمس وقوله سواء
للسائلين اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم تأويله سواء لمن سأل عن مبلغ الأجل
الذي خلق الله فيه الأرض وجعل فيها الرواسي من فوقها والبركة وقدر فيها الأقوات بأهلها وجده كما
أخبر الله أربعة أيام لا يزدن على ذلك ولا ينقصن منه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سواء للسائلين من سأل عن ذلك وجده كما قال الله حدثنا ابن
عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سواء للسائلين قال من سأل فهو كما قال الله
حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في أربعة أيام سواء
للسائلين يقول من سأل فهكذا الامر * وقال آخرون بل معنى ذلك سواء لمن سأل ربه شيأ مما به
الحاجة اليه من الرزق فان الله قد قدر له من الاقوات في الارض على قدر مسألة كل سائل منهم
لو سأله لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سواء للسائلين قال قدر ذلك على قدر مسائلهم يعلم ذلك أنه
لا يكون من مسائلهم شيء الا شيء قد علمه قبل أن يكون واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته
عامة قراء الأمصار غير أبي جعفر والحسن البصري سواء بالنصب وقرأه أبو جعفر القارئ سواء
بالرفع وقرأ الحسن سواء بالجر والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الامصار وذلك قراءته
بالنصب لاجماع الحجة من القراء عليه ولصحة معناه وذلك أن معنى الكلام وقدر فيها أقواتها سواء
لسائليها على ما بهم اليه الحاجة وعلى ما يصلحهم وقد ذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك
وقسم فيها أقواتها وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب سواء فقال بعض نحويي البصرة من
نصبه جعله مصدرا كأنه قال استواء قال وقد قرئ بالجر وجعل اسما للمستويات أي في أربعة
أيام تامة وقال بعض نحويي الكوفة من خفض سواء جعلها من نعت الايام وان شئت من
نعت الاربعة ومن نصبها جعلها متصلة بالاقوات قال وقد ترفع كأنه ابتداء كأنه قال ذلك
سواء للسائلين يقول لمن أراد علمه * والصواب من القول في ذلك أن يكون نصبه اذا نصب حالا
من الاقوات اذ كانت سواء قد شبهت بالاسماء النكرة فقيل مررت بقوم سواء فصارت تتبع
النكرات واذا تبعت النكرات انقطعت من المعارف فنصبت فقيل مررت باخوتك سواء وقد
يجوز أن يكون اذا لم يدخلها تثنية ولا جمع أن تشبه بالمصادر وأما اذا رفعت فانما ترفع ابتداء
ضمير ذلك ونحوه واذا جرت فعلى الاتباع للايام أو للاربعة وقوله ثم استوى الى السماء وهي

أراد بالزكاة ههنا الايمان لانه يزكي
النفس من درن الشرك ثم ذكر
جزاء المطيعين وهو ظاهر والممنون
المقطوع وقيل هو من المنة قال جمع
من المفسرين نزلت في المرضى
والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن
الطاعة كتب لهم الأجر كأصح
ما كانوا يعملون لما حكى بعض قبائح
المشركين وسائر الكفرة أراد أن يورد
دليلا على التوحيد فأمر رسوله
أن يوبخهم بقوله (أئنكم لتكفرون
بالذي) سمعتم ممن تصدقونهم من
أهل الكتاب غيركم أنه (خلق الارض
في يومين وتجعلون له أندادا) عمم
الكفر أولا ثم خصص بنوع الشرك
(وجعل فيها رواسي) ومعنى (من
فوقها) أي بالنسبة الى سكان
المعمورة تذكيرا لنعمة فوق نعمة
فان الجبال منافعها أكثر من أن
تحصى يعرف بعضها أهلها ولعلنا
قد عددنا في أول البقرة طرفا منها
(وبارك فيها) بوضع الخيرات الكثيرة
فيها قال ابن عباس يريد شق الأنهار
وخلق الجبال والاشجار والحيوانات
وكل ما يحتاج اليه (وقدر فيها أقواتها)
عن مجاهد يعني المطر فانه بمنزلة
الغذاء للارض به حياتها وعن محمد
ابن كعب أراد أقوات أهلها
ومعايشهم وما يصلحهم وقيل
لا حاجة الى الاضمار فان الاضافة
تحسن لأدنى ملابسة أي وقدر فيها
أقواتها التي يختص حدوثها بها
(في أربعة أيام) يعني مع اليومين
الاولين فيكون ايجاد نفس الارض
في يومين وايجاد هذه الأشياء
في يومين آخرين والمجموع أربعة
أيام وخلق السماء في تتمة ستة فتكون
هذه الآية موافقة لسائر الآيات وقد
سبق هذا المعنى في أول سورة البقرة

دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين يعني تعالى ذكره ثم استوى الى السماء ثم ارتفع الى السماء وقد بينا أقوال أهل العلم فى ذلك فيما مضى قبل وقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها يقول جل ثناؤه فقال الله للسماء والارض جيئا بما خلقت فيكما أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات وتشقق عن الانهار قالتا أتينا طائعين جئنا بما أحدثت فينا من خلقك مستجيبين لأمرك لانعصى أمرك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو هشام قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن سليمن بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين قال قال الله للسموات أطلعي شمسي وقمري وأطلعي نجومي وقال للارض شققي أنهارك وأخرجي ثمارك فقالتا أعطينا طائعين حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن سليمن الاحول عن طاوس عن ابن عباس فى قوله ائتيا أعطيا وفى قوله قالتا أتينا قالتا أعطينا وقيل قالتا أتينا طائعين ولم يقل طائعتين والسماء والارض مؤنثتان لان النون والالف اللتين هما كناية أسمائهما فى قوله أتينا نظيرة كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم فأجرى قوله طائعين على ما جرى به الخبر عن الرجال كذلك وقد كان بعض أهل العربية يقول ذهب به الى السموات والارض ومن فيهن * وقال آخرون منهم قيل ذلك كذلك لأنهما لما تكلمتا أشبهتا الذكور من بنى آدم ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ يقول تعالى ذكره ففرغ من خلقهن سبع سموات فى يومين وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال استوى الى السماء وهى دخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات فى يومين فى الخميس والجمعة وانما سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض وقوله وأوحى فى كل سماء أمرها يقول وألقى فى كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله وأوحى فى كل سماء أمرها قال ما أمر الله به وأراده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وأوحى فى كل سماء أمرها قال خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأوحى فى كل سماء أمرها خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها وقوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا يقول تعالى ذكره وزينا السماء الدنيا اليكم أيها الناس بالكواكب وهى المصابيح كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى زينا السماء الدنيا بمصابيح قال ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظا من الشياطين واختلف أهل العربية فى وجه نصبه قوله وحفظا فقال بعض نحويى البصرة نصب بمعنى وحفظناها حفظا كأنه قال ونحفظها حفظا لأنه حين قال زيناها بمصابيح قد أخبر أنه قد نظر فى أمرها وتعهدها فهذا يدل على الحفظ كأنه قال وحفظناها حفظا وكان بعض نحويى الكوفة يقول نصب ذلك على معنى وحفظناها زيناها لأن الواو لو سقطت لكان

من قرأ سواء بالرفع فعلى انه خبر مبتدا محذوف أى هى سواء ثم ان كان الضمير للاربعة فمعناه أن تلك الأيام مستوية فى الطول والقصر كأيام خط الاستواء أو هى تامة غير ناقصة بشئ فقد يطلق لفظ الكل على الأكثر وهذه احدى فوائد العدول عن العبارة الصريحة وهى أن لو قال فى يومين آخرين وقال بعضهم من فوائده أنه لا يجوز عطف قوله وجعل على خلق لان قوله وتجعلون معطوف على لتكفرون ولا يجوز أن يحال بين صلة الموصول وما يعطف عليه بأجنبى لا يقال جاءنى الذى يكتب وجلس ويقرأ فلا بد من اضمار فعل مثل الاول فتقدير الكلام ذلك أن رب العالمين خلق الارض وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام وهو كلام لا يرد عليه سؤال أصلا ومن قرأ بالجر فعلى وصف الاربعة بالاستواء والمعنى كما مر ومن قرأ بالنصب فعلى المصدر أى استوت استواء ثم ان كان الضمير للاربعة فالمعنى كما قلنا وان كان للاقوات وكذا فى قراءة الرفع احتمل أن يكون للسائلين متعلقا به أى الاقوات والارزاق سواء لمن سأل ولمن لم يسأل لما روى عن ابن عباس قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا رديفه يقول خلق الله الأرواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة سواء لمن سأل ولمن لم يسأل وأنا من الذين لم يسألوا الله الرزق ومن سأل فهو جهل منه واحتمل أن يكون قوله للسائلين متعلقا بقوله وقدر أى قدر فيها الاقوات

انا زينا السماء الدنيا حفظا وهذا القول الثانى أقرب عندنا للصحة من الاول وقد بينا العلة فى نظير ذلك فى غير موضع من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن اعادته وقوله ذلك تقدير العزيز العليم يقول تعالى ذكره هذا الذى وصفت لكم من خلق السماء والأرض وما فيهما وتزيينى السماء الدنيا بزينة الكواكب على ما بينت تقدير العزيز فى نقمته من أعدائه العليم بسرائر عباده وعلانيتهم وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لوشاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره فان أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التى بينتها لهم يا محمد ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقروا أن فاعل ذلك هو الله الذى لا اله غيره فقل لهم أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود وقد بينا فيما مضى أن معنى الصاعقة كل ما أفسد الشئ وغيره عن هيئته وقيل فى هذا الموضع عنى بها وقيعة من الله وعذاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قال يقول أنذرتكم وقيعة مثل وقيعة عاد وثمود قال عذاب مثل عذاب عاد وثمود وقوله اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم يقول فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود التى أهلكتهم اذ جاءت عادا وثمود الرسل من بين أيديهم فقوله اذ من صلة صاعقة وعنى بقوله من بين أيديهم الرسل التى أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين وعنى بقوله ومن خلفهم من خلف الرسل الذين بعثوا الى آبائهم رسلا اليهم وذلك أن الله بعث الى عاد هودا فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته الى آبائهم أيضا فكذبوهم فأهلكوا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فان أعرضوا الى قوله ومن خلفهم قال الرسل التى كانت قبل هود والرسل الذين كانوا بعده بعث الله قبله رسلا وبعث من بعده رسلا وقوله ألا تعبدوا الا الله يقول تعالى ذكره جاءتهم الرسل بأن لا تعبدوا الا الله وحده لا شريك له قالوا لوشاء ربنا لأنزل ملائكة يقول جل ثناؤه فقالوا لرسلهم اذ دعوهم الى الاقرار بتوحيد الله لوشاء ربنا أن نوحده ولا نعبد من دونه شيأ غيره لأنزل الينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا أنتم اليه ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا ولكنه رضى عبادتنا ما نعبد فلذلك لم يرسل الينا بالنهى عن ذلك ملائكة وقوله فانا بما أرسلتم به كافرون يقول قالوا لرسلهم فانا بالذى أرسلكم به ربكم الينا جاحدون غير مصدقين به ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ يقول تعالى ذكره فأما عاد قوم هود فاستكبروا على ربهم وتجبروا فى الارض تكبرا وعتوا بغير ما أذن الله لهم به وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق وشدة البطش هو أشد منهم قوة فيحذروا عقابه ويتقوا سطوته لكفرهم به وتكذيبهم رسله وكانوا بآياتنا يجحدون يقول وكانوا بأدلتنا وحججنا عليهم يجحدون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾ يقول تعالى ذكره فأرسلنا على عاد ريحا صرصرا واختلف أهل التأويل فى معنى الصرصر فقال بعضهم عنى بذلك أنها ريح شديدة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح

لأجل الطالبين لها المحتاجين اليها وهم فى الاحتياج سواء وقيل انه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر والبيان لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها لأن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله (ثم استوى الى السماء) أى توجه بداعى الحكمة بعد خلق الارض لادحوها الى خلق السماء وقدمر فى أول البقرة قوله وهى (دخان) ذكر أصحاب الأثر وجاء فى أول توراة اليهود أن عرش الله قبل خلق السموات والارض كان على الماء فأحدث فى ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان أما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق الله منه الأرض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات وزعم المتكلمون أن الله سبحانه خلق الأجزاء التى لا تتجزأ

عن مجاهد قوله ريحا صرصرا قال شديدة حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ريحا صرصرا شديدة السموم عليهم * وقال آخرون بل عنى بها أنها باردة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا قال الصرصر الباردة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله ريحا صرصرا قال باردة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا احمد قال ثنا أسباط عن السدى ريحا صرصرا قال باردة ذات الصوت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ريحا صرصرا يقول ريحا فيها برد شديد * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد وذلك أن قوله صرصرا انما هو صوت الريح اذا هبت بشدة فسمع لها كقول القائل صرر ثم جعل ذلك من أجل التضعيف الذى في الراء فقال ثم أبدلت احدى الرا آت صادا لكثرة الرا آت كما قيل في ردده ردرده وفي نهه نهنهه كما قال رؤبة

فاليوم قد نهنهني تنهنهى * وأولى حلم ليس بالمسفه

وكما قيل في كففه كفكفه كما قال النابغة

أكفكف عبرة غلبت عداتى * اذا نهنهتها عادت ذباحا

وقد قيل ان النهر الذى يسمى صرصرا انما سمى بذلك لصوت الماء الجارى فيه وانه (١) فعلل من صرر نظير الريح الصرصر وقوله في أيام نحسات اختلف أهل التأويل في تأويل النحسات فقال بعضهم عنى بها المتتابعات ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله في أيام نحسات قال أيام متتابعات أنزل الله فيهن العذاب * وقال آخرون عنى بذلك المشائيم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أيام نحسات قال مشائيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في أيام نحسات أيام والله كانت مشؤمات على القوم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال النحسات المشؤمات النكدات حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى في أيام نحسات قال أيام مشؤمات عليهم * وقال آخرون معنى ذلك أيام ذات شر ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أيام نحسات قال النحس الشر أرسل عليهم ريح شر ليس فيها من الخير شئ * وقال آخرون النحسات الشداد ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في أيام نحسات قال شداد * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بها أيام مشائيم ذات نحوس لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار غير نافع وأبي عمرو في أيام نحسات بكسر الحاء وقرأه نافع وأبو عمرو نحسات بسكون الحاء وكان أبو عمرو فيما ذكر لنا عنه يحتج لتسكينه الحاء بقوله يوم نحس مستمر وأن الحاء فيه ساكنة والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء علماء مع اتفاق معنييهما وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان يقال هذا يوم نحس ويوم نحس بكسر الحاء وسكونها قال الفراء أنشدني بعض العرب

أبلغ جذاما ولخما أن اخوتهم * طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

واما

فكانت مظلمة عديمة النور ثم ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمسا وقمرا وأحدث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستنيرة فصحت تسمية تلك الأجزاء قبل استنارتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا أنها أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور واعلم أن ظاهر قوله ثم استوى يدل على أن خلق السماء متأخر عن خلق الارض وقد جاء مثله في آيات أخر وفي الآثار الا أن الواحدى نقل في البسيط عن مقاتل أنه قال خلق الله السماء قبل الأرض فتأول الآية بان لفظة كان مضمرة اى ثم كان قد استوى كما في قوله تعالى ان يسرق فقد اى ان يكن يسرق وزيف بأن الجمع بين ثم الدال على التأخر وبين اضمار كان الدال على التقدم جمع بين النقيضين ويمكن ان يجاب بأن ثم ههنا الترتيب

(١) لعله فعل يعني بالتشديد مثل صرر ثم قلبت الراء من جنس الفاء تأمل كتبه مصححه

وأما من السكون فقول الله يوم نحس ومنه قول الراجز

يومين غيمين ويوما شمسا * نجمين بالسعد ونجما نحسا

فمن كان فى لغته يوم نحس قال فى أيام نحسات ومن كان فى لغته يوم نحس قال فى أيام نحسات وقد قال بعضهم النحس بسكون الحاء هو الشؤم نفسه وان اضافة اليوم الى النحس انما هو اضافة الى الشؤم وان النحس بكسر الحاء نعت لليوم بأنه مشؤم ولذلك قيل فى أيام نحسات لانها أيام مشائيم وقوله لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا يقول جل ثناؤه ولعذابنا اياهم فى الآخرة أخزى لهم وأشد اهانة واذلالا وهم لا ينصرون يقول وهم يعنى عادا لا ينصرهم من الله يوم القيامة اذا عذبهم ناصر فينقذهم منه أو ينتصر لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يقول تعالى ذكره فبينا لهم سبيل الحق وطريق الرشد كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأما ثمود فهديناهم أى بينا لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما ثمود فهديناهم بينا لهم سبيل الخير والشر حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأما ثمود فهديناهم بينا لهم حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأما ثمود فهديناهم قال أعلمناهم الهدى والضلالة ونهيناهم أن يتبعوا الضلالة وأمرناهم أن يتبعوا الهدى وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله ثمود فقرأته عامة القراء من الأمصار غير الأعمش وعبد الله بن أبى اسحق برفع ثمود وترك اجرائها على أنها اسم للامة التى تعرف بذلك وأما الأعمش فانه ذكر عنه أنه كان يجرى ذلك فى القرآن كله الا فى قوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فانه كان لا يجريه فى هذا الموضع خاصة من أجل أنه فى خط المصحف فى هذا الموضع بغير ألف وكان يوجه ثمود الى انه اسم رجل بعينه معروف أو اسم جيل معروف وأما ابن اسحق فانه كان يقرؤه نصبا وأما ثمود بغير اجراء وذلك وان كان له فى العربية وجه معروف فان أفصح منه وأصح فى الاعراب عند أهل العربية الرفع لطلب أما الأسماء وأن الافعال لا تليها وانما تعمل العرب الافعال التى بعد الاسماء فيها اذا حسن تقديمها قبلها والفعل فى أما لا يحسن تقديمه قبل الاسم ألا ترى أنه لا يقال وأما هدينا فثمود كما يقال وأما ثمود فهديناهم * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا الرفع وترك الاجراء أما الرفع فلما وصفت وأما ترك الاجراء فلأنه اسم للامة وقوله فاستحبوا العمى على الهدى يقول فاختاروا العمى على البيان الذى بينت لهم والهدى الذى عرفتهم بأخذهم طريق الضلال على الهدى يعنى على البيان الذى بينته لهم من توحيد الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فاستحبوا العمى على الهدى قال اختاروا الضلالة والعمى على الهدى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى قال أرسل الله اليهم الرسل بالهدى فاستحبوا العمى على الهدى حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاستحبوا العمى يقول بينا لهم فاستحبوا العمى على الهدى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاستحبوا العمى على الهدى قال استحبوا الضلالة على الهدى وقرأ وكذلك زينا لكل أمة عملهم الى آخر الآية قال فزين لثمود عملها القبيح وقرأ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء الى آخر الآية وقوله فأخذتهم

الاخبار وقال الامام فخر الدين الرازى المختار عندى أن تكوين السماء مقدم على تكوين الارض والخلق الوارد فى الآية بمعنى التقدير كقوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فان ايجاد الموجود محال فمعنى الآية أنه قضى بحدوث الارض فى يومين أى حكم بأنه سيحدث كذا فى مدة كذا قلت لو لم يكن قوله تعالى وجعل فيها رواسى من فوقها الى قوله أربعة أيام لكان هذا التأويل له وجه وقال بعض الصوفية خلق أرض البشرية فى يومى الهواء والطبيعة وهما من الأنداد وجعل لها رواسخ العقل من فوقها لتستقر بها وبارك فيها بالحواس الخمسة وقدر فيها أقواتها من سائر القوى البشرية فى تتمة أربعة أيام يعنى فى يومى الروح الحيوانى والطبيعى ثم استوى الى سماء القلب وهى دخان نار الروحانية

صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون يقول فأهلكتهم من العذاب المذل المهين لهم مهلكة اذلتهم وأخزتهم والهون هو الهوان كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى عذاب الهون قال الهوان وقوله بما كانوا يكسبون من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك وخلافهم اياه وتكذيبهم رسله وقوله ونجينا الذين آمنوا يقول ونجينا الذين آمنوا من العذاب الذى أخذهم بكفرهم بالله الذين وحدوا الله وصدقوا رسله وكانوا يتقون يقول وكانوا يخافون الله أن يحل بهم من العقوبة على كفرهم لو كفروا ما حل بالذين هلكوا منهم فآمنوا اتقاء الله وخوف وعيده وصدقوا رسله وخلعوا الآلهة والانداد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم يجمع هؤلاء المشركون أعداء الله الى النار الى نار جهنم فهم يحبس أولهم على آخرهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فهم يوزعون قال يحبس أولهم على آخرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهم يوزعون قال عليهم وزعة ترد أولاهم على أخراهم وقوله حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم يقول حتى اذا ما جاؤا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به فى الدنيا اليه ويستمعون له وأبصارهم بما كانوا يبصرون به وينظرون اليه فى الدنيا وجلودهم بما كانوا يعملون وقد قيل عنى بالجلود فى هذا الموضع الفروج ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن الحكم الثقفى رجل من آل أبى عقيل رفع الحديث وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا انما عنى فروجهم ولكن كنى عنها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حرملة أنه سمع عبيد الله بن أبى جعفر يقول حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم قال جلودهم الفروج وهذا القول الذى ذكرناه عمن ذكرنا عنه فى معنى الجلود وان كان معنى يحتمله التأويل فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشئ الأقرب الى غيره الا بحجة يجب التسليم لها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الذين يحشرون الى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم اذ شهدت عليهم بما كانوا فى الدنيا يعملون لم شهدتم علينا بما كنا نعمل فى الدنيا فأجابتهم جلودهم أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ فنطقنا وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله اياها عليهم اذا هم أنكروا الأفعال التى كانوا فعلوها فى الدنيا بما يسخط الله وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال أخبرنا على بن قادم الفزارى قال أخبرنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبى عن أنس قال ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجذه ثم قال ألا تسألونى مم ضحكت قالوا مم ضحكت يا رسول الله قال عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة قال يقول يا رب أليس وعدتنى أن لا تظلمنى قال فان لك ذلك قال فانى لا أقبل على شاهدا الا من نفسى قال أوليس كفى بى شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين قال فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل قال فيقول لهن بعدا لكن وسحقا عنكن كنت أجادل حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو عن الشعبى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا يحيى بن أبى بكر عن شبل قال سمعت أبا قزعة

فقضى سماء القلب أطوارا سبعة كقوله وقد خلقكم أطوارا أولها الوسوسة ثم الهواجس ثم الرؤية ما كذب الفؤاد ما رأى ثم الحكمة ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ثم ظهور المغيبات ثم المحبة ثم التجلى فى يومى الروح والالهام الربانى قوله (فقال لها وللارض ائتيا) الآية للمفسرين فيه قولان الاول اجراء الكلام على ظاهره فانه ليس بمستبعد من الله انطاق أى جسم فرض بل ايداع الحياة والفهم فيه ولهذا قال (طائعين) على لفظ جمع المذكر السالم فان جمع المؤنث السالم لا يختص بالعقلاء ووجه الجمع أن اقل الجمع اثنان أو لأن كل واحد منهما سبع ومن هؤلاء من قال نطق من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما بحذائها فجعل الله لها حرمة على سائر الارض وعلى هذا

يحدث عمرو بن دينار عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وأشار بيده الى الشأم قال ههنا الى ههنا تحشرون ركبانا ومشاة على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله وان أول ما يعرب من أحدكم فخذه حدثنا مجاهد ابن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تجيؤن يوم القيامة على أفواهكم الفدام وان أول ما يتكلم من الآدمى فخذه وكفه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى أمسك بحجزكم من النار ألا ان ربى داعى وانه سائلى هل بلغت عباده وانى قائل رب قد بلغتهم فيبلغ شاهدكم غائبكم ثم انكم مدعون مفدمة افواهكم بالفدام ثم ان أول ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه حدثنى محمد بن خلف قال ثنا الهيثم بن خارجة عن اسمعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أول عظم تكلم من الانسان يوم يختم على الافواه فخذه من الرجل الشمال وقوله وهو خلقكم أول مرة يقول تعالى ذكره والله خلقكم الخلق الاول ولم تكونوا شيأ واليه ترجعون يقول واليه مصيركم من بعد مماتكم وما كنتم تستترون فى الدنيا أن يشهد عليكم يوم القيامة سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم واختلف أهل التأويل فى معنى قوله وما كنتم تستترون فقال بعضهم معناه وما كنتم تستخفون ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وما كنتم تستترون أى تستخفون منها * وقال آخرون معناه وما كنتم تتقون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وما كنتم تستترون قال تتقون * وقال آخرون بل معنى ذلك وما كنتم تظنون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كنتم تستترون يقول وما كنتم تظنون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم حتى بلغ كثيرا مما كنتم (١) تعملون والله ان عليك يا ابن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله فى سر أمرك وعلانيتك فانه لا يخفى عليه خافية الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية فمن استطاع ان يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة الا بالله وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك وما كنتم تستخفون فتتركوا ركوب محارم الله فى الدنيا حذرا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لان المعروف من معانى الاستتار الاستخفاء فان قال قائل وكيف يستخفى الانسان عن نفسه مما يأتى قيل قد بينا أن معنى ذلك انما هو الأمانى وفى تركه اتيانه اخفاؤه عن نفسه وقوله ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما (٢) كنتم تعملون يقول جل ثناؤه ولكن حسبتم حين ركبتم فى الدنيا ما ركبتم من معاصى الله أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم فتتركوا ركوب ما حرم الله عليكم وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل نفر تداروا بينهم فى علم الله بما يقولونه و يتكلمون سرا ذكر الخبر بذلك حدثنى محمد ابن يحيى القطعى قال ثنا أبو داود قال ثنا قيس عن منصور عن مجاهد عن أبى معمر الازدى عن عبد الله بن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى كثير شحوم بطونهما قليل فقه قلوبهما فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم

(١) و (٢) التلاوة مما تعملون

القول لابد أن يكون هذا التخاطب بعد الوجود فقالوا معناه ائتيا بما خلقت فيكما أما أنت يا سماء فأطلعى الشمس والقمر والنجوم وأما انت يا أرض فأخرجى ما خلقت فيك من النبات فقالتا جئنا بما أحدثت فينا مستجيبين لأمرك ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما يقال أتى عمله مرضيا و يجوز أن يراد لتأت كل منكما صاحبتها الاتيان الذى تقتضيه الحكمة من كون الأرض قرارا والسماء سقفا لها وقوله طوعا أو كرها اظهار لكمال القدرة والتقدير أبيتما أو شئتما كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين أو كارهين والقول الثانى أن هذا تمثيل لنفوذ قدرته فيهما ولا قول ثمة وعلى هذا لا يبعد أن يكون المقصود ايجادهما

أترون أن الله يسمع ما نقول فقال الرجلان اذا رفعنا أصواتنا سمع واذا لم نرفع لم يسمع فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فنزلت هذه الآية وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم الى آخر الآية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنى الأعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود قال انى لمستتر بأستار الكعبة اذ دخل ثلاثة نفر ثقفى وختناه قرشيان قليل فقه قلوبهما كثير شحوم بطونهما فتحدثوا بينهم بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ما قلنا فقال الآخر انه يسمع اذا رفعنا ولا يسمع اذا خفضنا وقال الآخر اذا كان يسمع منه شيأ فهو يسمعه كله قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فنزلت هذه الآية وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم فقرأ حتى بلغ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنى منصور عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله بنحوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ يقول تعالى ذكره وهذا الذى كان منكم فى الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساويها هو ظنكم الذى ظننتم بربكم فى الدنيا أرداكم يعنى أهلككم يقال منه أردى فلانا كذا وكذا اذا أهلكه وردى هو اذا هلك فهو يردى ردى ومنه قول الاعشى

أفى الطوف خفت على الردى * وكم من رد أهله لم يرم

يعنى وكم من هالك أهله لم يرم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أرداكم قال أهلككم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال تلا الحسن وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فقال انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن بالله الظن فأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساآ الظن فأساآ العمل قال ربكم وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم حتى بلغ الخاسرين قال معمر وحدثنى رجل أنه يؤمر برجل الى النار فيلتفت فيقول يارب ما كان هذا ظنى بك قال وما كان ظنك بى قال كان ظنى أن تغفر لى ولا تعذبنى قال فانى عند ظنك بى حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الظن ظنان فظن منج وظن مرد قال الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم قال انى ظننت أنى ملاق حسابيه وهذا الظن المنجى ظنا يقينا وقال ههنا وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم هذا ظن مرد وقوله وقال الكافرون ان نظن الا ظنا ومانحن بمستيقنين وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول و يروى ذلك عن ربه عبدى عند ظنه بى وانا معه اذا دعانى وموضع قوله ذلكم رفع بقوله ظنكم واذا كان ذلك كذلك كان قوله أرداكم فى موضع نصب بمعنى مرديا لكم وقد يحتمل أن يكون فى موضع رفع بالاستئناف بمعنى مرد لكم كما قال تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة فى قراءة من قرأه بالرفع فمعنى الكلام هذا الظن الذى ظننتم بربكم من أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذى أهلككم لانكم من أجل هذا الظن اجترأتم على محارم الله فقدمتم عليها وركبتم مانهاكم الله عنه فأهلككم ذلك وأرداكم فأصبحتم من الخاسرين يقول فأصبحتم اليوم من الهالكين قد غبنتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ يقول تعالى ذكره فان يصبر هؤلاء الذين يحشرون الى النار على النار فالنار مسكن لهم ومنزل وان يستعتبوا يقول وان يسألوا العتبى وهى الرجعة لهم الى الذى يحبون بتخفيف العذاب عنهم فما هم من المعتبين يقول فليسوا

على وفق ارادته وهما فى حيز العدم وأن يكون المراد ما تقدم وقال بعضهم الطوع يرجع الى السماء لان أحوالها على نهج واحد لا يختلف وشبه مكلف مطيع والكره يعود الى الارض لانها مكان تغير الاحوال ومحل الحوادث والمكاره قلت لعل هذين الوصفين لها باعتبار سكانهما قوله (فقضاهن) قضاء الشئ اتمامه والفراغ منه مع الاتقان والضمير اما راجع الى السماء على المعنى لانها سموات سبع وانتصب (سبع سموات) على الحال واما مبهم مميز بما بعده يروى أنه خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات ومافيها فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وأسكنه الجنة

بالقوم الذين يرجع بهم الى الجنة فيخفف عنهم ماهم فيه من العذاب وذلك كقوله جل ثناؤه مخبرا عنهم قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا الى قوله ولا تكلمون وكقولهم لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب الى قوله وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وقيضنا لهم قرناء و بعثنا لهم نظراء من الشياطين فجعلناهم لهم قرناء قرناهم بهم يزينون لهم قبائح أعمالهم فزينوا لهم ذلك * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وقيضنا لهم قرناء قال الشيطان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقيضنا لهم قرناء قال شياطين وقوله فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم يقول فزين لهؤلاء الكفار قرناؤهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا فحسنوا ذلك لهم وحببوه اليهم حتى آثروه على أمر الآخرة وما خلفهم يقول وحسنوا لهم أيضا ما بعد مماتهم بأن دعوهم الى التكذيب بالمعاد وأن من هلك منهم فلن يبعث وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدقوهم على ذلك وسهل عليهم فعل كل ما يشتهونه و ركوب كل ما يلتذونه من الفواحش باستحسانهم ذلك لأنفسهم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة وقوله وحق عليهم القول يقول تعالى ذكره ووجب لهم العذاب بركوبهم ما ركبوا مما زين لهم قرناؤهم وهم من الشياطين كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وحق عليهم القول قال العذاب فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس يقول تعالى ذكره وحق على هؤلاء الذين قيضنا لهم قرناء من الشياطين فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم العذاب فى أمم قد مضت قبلهم من ضربائهم حق عليهم من عذابنا مثل الذى حق على هؤلاء بعضهم من الجن و بعضهم من الانس انهم كانوا خاسرين يقول ان تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجن والانس كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله ورسوله من مشركى قريش لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه يقول قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن اذا قرأه ولا تصغوا له ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون قال هذا قول المشركين قالوا لا تتبعوا هذا القرآن والهوا عنه وقوله والغوا فيه يقول الغطوا بالباطل من القول اذا سمعتم قارئه يقرؤه كيما لا تسمعوه ولا تفهموا ما فيه و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قول الله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه قال المكاء والتصفير وتخليط من القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ قريش تفعله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والغوا

وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة (وأوحى فى كل سماء أمرها) أى أمر أهلها من العبادة والتكليف الخاص بكل منهم فبعضهم وقوف و بعضهم ركوع و بعضهم سجود وعلى هذا احتمل أن يكون خلق الملائكة مع السموات وقبلها وقيل الايحاء ههنا التكوين والايجاد وأمرها شأنها وما يصلحها و زينا السماء الدنيا بمصابيح أى بالنيرات المضيئة كالمصباح وحفظناها حفظا من الشياطين المسترقة للسمع كما مر مرارا وجوز جار الله أن يكون حفظا مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (ذلك تقدير العزيز العليم) فلكمال عزته قدر على خلق ما خلق ولشمول علمه دبر ما دبر ثم قال لنبيه عليه السلام (فان أعرضوا) عن التوحيد بعد هذا البيان الباهر

فيه قال بالمكاء والتصفير والتخليط فى المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن قريش تفعله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه اى اجحدوا به وأنكروه وعادوه وقال هذا قول مشركى العرب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال بعضهم فى قوله والغوا فيه قال تحدثوا وصيحوا كيما لا تسمعوه وقوله لعلكم تغلبون يقول لعلكم بفعلكم ذلك تصدّون من أراد استماعه عن استماعه فلا يسمعه واذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا قال الله جل ثناؤه فلنذيقن الذين كفروا بالله من مشركى قريش الذين قالوا هذا القول عذابا شديدا فى الآخرة ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون يقول ولنثيبنهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ يقول تعالى ذكره هذا الجزاء الذى يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركى قريش جزاء أعداء الله ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء وما هو فقال هو النار فالنار بيان عن الجزاء وترجمة عنه وهى مرفوعة بالرد عليه ثم قال لهم فيها دار الخلد يعنى لهؤلاء المشركين بالله فى النار دار الخلد يعنى دار المكث واللبث الى غير نهاية ولا أمد والدار التى أخبر جل ثناؤه أنها لهم فى النار هى النار وحسن ذلك لاختلاف اللفظين كما يقال لك من بلدتك دار صالحة ومن الكوفة دار كريمة والدار هى الكوفة والبلدة فيحسن ذلك لاختلاف الالفاظ وقد ذكر لنا أنها فى قراءة ابن مسعود ذلك جزاء أعداء الله النار دار الخلد ففى ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل فى ذلك وذلك أنه ترجم بالدار عن النار وقوله جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون يقول فعلنا هذا الذى فعلنا بهؤلاء من مجازاتنا اياهم النار على فعلهم جزاء منا بجحودهم فى الدنيا بآياتنا التى احتججنا بها عليهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله و رسوله يوم القيامة بعدما أدخلوا جهنم يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك من جنهم وانسهم وقيل ان الذى هو من الجن ابليس والذى هو من الانس ابن آدم الذى قتل أخاه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ثابت الحداد عن (١) حبة العوفى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس قال ابليس الأبالسة وابن آدم الذى قتل أخاه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مالك بن حصين عن أبيه عن على رضى الله عنه فى قوله ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس قال ابليس وابن آدم الذى قتل أخاه حدثنا ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبى مالك وابن مالك عن أبيه عن على رضى الله عنه ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس قال ابن آدم الذى قتل أخاه وابليس الأبالسة حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس الآية فانهما ابن آدم القاتل وابليس الأبالسة فأما ابن آدم فيدعو به كل صاحب كبيرة دخل النار من أجل الدعوة وأما ابليس فيدعو به كل صاحب شرك يدعوانهما فى النار حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس هو الشيطان وابن آدم الذى قتل أخاه وقوله نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين يقول نجعل هذين اللذين أضلانا تحت اقدامنا لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله وعذاب أهله

والبرهان القاهر (فقل أنذرتكم صاعقة) لان الاصرار على الجهل بعد وضوح الحق عناد ولا علاج للعاند سوى التأديب بما يناسبه يروى أن أبا جهل قال فى ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة أنا ذاك فأتاه وقال أنت خير أم هاشم أنت خير ام عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا وعرض عليه الرياسة والنساء والاموال ان ترك ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فهال عتبة بذاك وناشده بالرحم ورجع ولم يأت قريشا فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا اليه

(١) الذى فى الخلاصة والقاموس حبة العرنى أى بالراء والنون فلعل ما فى الاصل تصحيف كتبه مصححه

أغلظ ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين قالوا ربنا الله وحده لا شريك له وبرؤا من الآلهة والأنداد ثم استقاموا على توحيد الله ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به وانتهوا الى طاعته فيما أمر ونهى * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاله أهل التأويل على اختلاف منهم في معنى قوله ثم استقاموا ذكر الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا عمرو ابن علي قال ثنا سالم بن قتيبة أبو قتيبة قال ثنا سهيل بن أبي حزم القطعي عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام * وقال بعضهم معناه ولم يشركوا به شيأ ولكن تموا على التوحيد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عامر بن سعد عن سعيد بن عمران قال قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين لم يشركوا بالله شيأ حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان باسناده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مثله * قال ثنا جرير بن عبد الحميد وعبد الله بن ادريس عن الشيباني عن أبي بكر بن أبي موسى عن الاسود بن هلال عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قالوا ربنا الله ثم عملوا بها قال لقد حملتموها على غير المحمل الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الذين لم يعدلوها بشرك ولا غيره حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا الشيباني عن أبي بكر ابن ابي موسى عن الاسود بن هلال المحاربي قال قال أبو بكر ما تقولون في هذه الآية ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال فقالوا ربنا الله ثم استقاموا من ذنب قال فقال أبو بكر لقد حملتم على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى اله غيره حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال أي على لا اله الا الله * قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال أسلموا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به * قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين قالوا ربنا الله ثم لم يشركوا به حتى لقوه * قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال مثل ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال تموا على ذلك حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله * وقال آخرون معنى ذلك ثم استقاموا على طاعته ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا يونس بن يزيد عن الزهري قال تلا عمر رضي الله عنه على المنبر إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا على طاعة الله وكان الحسن اذا تلاها قال اللهم فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الذين قالوا

فقال والله لقد كلمته فأجابني به والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا ... ولما بلغ صاعقة عاد وثمود ناشد بالرحم أن يكف ولقد علمتم أن ... اذا قال شيأ لم يكذب نخفت أن ... بكم العذاب فان قيل كيف ... هذا الانذار وقد أخبر الله سبحانه في قوله وما كان الله ليعذبهم وأ... فيهم وان هذه الامة آمنون العذاب قلنا الأنفال مدنية وه... مكية قوله (اذ جاءتهم الرسل بين أيديهم) قيل الضميران عائد الى الرسل أي جاءهم رسل ... الرسل وقيل من بين أيديهم أ... حذروهم الدنيا (ومن خلفهم الآخرة وقيل من بين أيدي...

ربنا الله ثم استقاموا يقول على أداء فرائضه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال على عبادة الله وعلى طاعته وقوله تتنزل عليهم الملائكة يقول تتهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد ابن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولا تحزنوا قال عند الموت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى تتنزل عليهم الملائكة قال عند الموت وقوله أن لاتخافوا ولا تحزنوا يقول تتنزل عليهم الملائكة بأن لاتخافوا ولا تحزنوا فأن في موضع نصب اذا كان ذلك معناه وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك تتنزل عليهم الملائكة لاتخافوا ولا تحزنوا بمعنى تتنزل عليهم قائلة لاتخافوا ولا تحزنوا وعنى بقوله لاتخافوا ماتقدمون عليه من بعد مماتكم ولا تحزنوا على ماتخلفونه وراءكم * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أن لاتخافوا ولا تحزنوا قال لاتخافوا ما أمامكم ولا تحزنوا على ما بعدكم حدثني يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا قال لاتخافوا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنيا كم من أهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله * وقيل ان ذلك في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة فذلك في الآخرة وقوله وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون يقول وسروا بأن لكم في الآخرة الجنة التى كنتم توعدونها في الدنيا على ايمانكم بالله واستقامتكم على طاعته كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون في الدنيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته التى تتنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم نحن أولياؤكم أيها القوم في الحياة الدنيا كنا نتولاكم فيها وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة وقوله وفي الآخرة يقول وفي الآخرة أيضا نحن أولياؤكم كما كنا لكم في الدنيا أولياء ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم يقول ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهى أنفسكم من اللذات والشهوات وقوله ولكم فيها ما تدعون يقول ولكم في الآخرة ما تدعون وقوله نزلا من غفور رحيم يقول أعطاكم ذلك ربكم نزلا لكم من رب غفور لذنوبكم رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم ونصب نزلا على المصدر من معنى قوله ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون لأن في ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما تشتهون من النعيم نزلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال ربنا الله ثم استقام على الايمان به والانتهاء

الى

الذين عاينوهم ومن خلفهم الذين وصل اليهم خبرهم وكتبهم وحقيقة بين يديه أن يستعمل للشئ الحاضر ومجازه أن يستعمل للشئ الماضى بزمان قريب وقال بعض المحققين معناه أتاهم الرسل من كل جهة وأعملوا في ارشادهم كل حيلة (أن لاتعبدوا) ويجوز أن تكون أن مفسرة أو مخففة وضمير الشأن مقدر والفاء في قوله (فانا) للجزاء كأنه قيل فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وقولهم ربنا وكذا بما أرسلتم أى على زعمكم أو أرادوا التهكم ثم فصل حال كل فريق قائلا (فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق) وهذا الخلال بالشفقة

الى أمره ونهيه ودعا عباد الله الى ماقال وعمل به من ذلك * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال تلا الحسن ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين قال هذا حبيب الله هذا ولىّ الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب الخلق الى الله أجاب الله فى دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا فى اجابته وقال اننى من المسلمين فهذا خليفة الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله الآية قال هذا عبد صدّق قوله عمله وموجله مخرجه وسره علانيته وشاهده مغيبه وان المنافق عبد خالف قوله عمله وموجله مخرجه وسره علانيته وشاهده مغيبه واختلف أهل العلم فى الذى اريد بهذه الصفة من الناس فقال بعضهم عنى بها نبى الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله قال محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا الى الاسلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون عنى به المؤذن ذكر من قال ذلك حدثنى داود بن سليمن بن يزيد المكتب البصرى قال ثنا عمرو بن جرير البجلى عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم فى قول الله ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله قال المؤذن وعمل صالحا قال الصلاة مابين الاذان الى الاقامة وقوله وقال اننى من المسلمين يقول وقال اننى ممن خضع لله بالطاعة وذل له بالعبودة وخشع له بالايمان بوحدانيته وقوله ولا تستوى الحسنة ولا السيئة يقول تعالى ذكره ولا تستوى حسنة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فأحسنوا فى قولهم واجابتهم ربهم الى مادعاهم اليه من طاعته ودعوا عباد الله الى مثل الذى أجابوا ربهم اليه وسيئة الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكذلك لا تستوى عند الله أحوالهم ومنازلهم ولكنها تختلف كما وصف جل ثناؤه أنه خالف بينهما وقال جل ثناؤه ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فكرر لا والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة لان كل ما كان غير مساو شيأ فالشئ الذى هو له غير مساو غير مساو به كما أن كل ما كان مساويا لشئ فالآخر الذى هو له مساو مساوله فيقال فلان مساو فلانا وفلان له مساو فكذلك فلان ليس مساويا لفلان ولا فلان مساويا له فلذلك كررت لا مع السيئة ولو لم تكن مكررة معها كان الكلام صحيحا وقد كان بعض نحويى البصرة يقول يجوز أن يقال الثانية زائدة يريد لا يستوى عبد الله وزيد فزيدت لا توكيدا كما قال لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون أى لأن يعلم وكما قال لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوّامة وقد كان بعضهم ينكر قوله هذا فى لئلا يعلم أهل الكتاب وفى قوله لا أقسم فيقول لا الثانية فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون ردّت الى موضعها لأن النفى انما لحق يقدرون لا العلم كما يقال لا أظن زيدا لا يقوم بمعنى أظن زيدا لا يقوم قال وربما استوثقوا فجاؤا به أولا وآخرا وربما اكتفوا بالاول من الثانى وحكى سماعا من العرب ما كأنى أعرفها أى كأنى لا أعرفها قال وأما لا فى قوله لا أقسم فانما هو جواب والقسم بعدها مستأنف ولا يكون حرف الجحد مبتدأ صلة وانما عنى بقوله ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ولا يستوى الايمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته وقوله ادفع بالتى هى أحسن يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك و بعفوك عمن أساء اليك اساءة المسىء

على الخلق (وقالوا من أشدّ منا قوة) وهذا اخلال بالتعظيم لامر الله ولهذا وبخهم بقوله (أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشدّ منهم قوة) لان الفاعل والعلة أقوى من القابل والمعلول والقوة فى الانسان نتيجة صحة البنية والاعتدال وحقيقتها زيادة القدرة فلذلك جاز ان يقال الله أقوى منهم كما صح ان يقال الله أقدر الله أكبر وان كان لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى وقوله (وكانوا بآياتنا يجحدون) معطوف على قوله فاستكبروا وقالوا ان التوبيخ المذكور وقع اعتراضا فى البين ثم أخبر عن أهلاكهم والصرصر الريح الباردة الشديدة

ويصبرك عليهم مكروه ماتجد منهم ويلقاك من قبلهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى تأويله ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ادفع بالتى هى أحسن قال أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولىّ حميم * وقال آخرون معنى ذلك ادفع بالسلام على من أساء اليك اساءته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن طلحة بن عمرو عن عطاء ادفع بالتى هى أحسن قال بالسلام حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد ادفع بالتى هى أحسن قال السلام عليك اذا لقيته وقوله فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم يقول تعالى ذكره افعل هذا الذى أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسىء اليك باحسانك الذى أمرتك به اليه فيصير المسىء اليك الذى بينك وبينه عداوة كأنه من ملاطفته اياك وبره لك ولىّ لك من بنى أعمامك قريب النسب بك والحميم هو القريب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كأنه ولىّ حميم أى كأنه ولىّ قريب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وامّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره وما يعطى دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا لله على المكاره والأمور الشاقة وقال وما يلقاها ولم يقل وما يلقاه لأن معنى الكلام وما يلق هذه الفعلة من دفع السيئة بالتى هى أحسن وقوله وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم يقول وما يلق هذه إلا ذو نصيب وجدّ له سابق فى المبرات عظيم كما حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ذو جدّ * وقيل ان ذلك الحظ الذى أخبر الله جل ثناؤه فى هذه الآية أنه لهؤلاء القوم هو الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما يلقاها الا الذين صبروا الآية والحظ العظيم الجنة ذكر لنا أن أبا بكر رضى الله عنه شتمه رجل ونبى الله صلى الله عليه وسلم شاهد فعفا عنه ساعة ثم ان أبا بكر جاش به الغضب فردّ عليه فقام النبى صلى الله عليه وسلم فاتبعه أبو بكر فقال يارسول الله شتمنى الرجل فعفوت وصفحت وأنت قاعد فلما أخذت أنتصر قمت يا نبى الله فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم انه كان يردّ عنك ملك من الملائكة فلما قربت تنتصر ذهب الملك وجاء الشيطان فوالله ما كنت لأجالس الشيطان يا أبا بكر حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم يقول الذين أعدّ الله لهم الجنة وقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية يقول تعالى ذكره واما يلقين الشيطان يا محمد فى نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسىء بالاساءة ودعائك الى مساءته فاستجر بالله واعتصم من خطواته ان الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك العليم بما ألقى فى نفسك من نزغاته وحدثتك به نفسك ومما يذهب ذلك من قلبك وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال وسوسة وحديث النفس فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال هذا الغضب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر

ضوعفت من الصر بالكسر وهو البرد الذى يصر أى يجمع ويقبض أو من صر الباب والتركيب يدور على الضم والجمع عن ابن عباس أن الله تعالى ما أرسل على عاد من الريح الاقدر خاتمى ومع ذلك أهلكت الكل والايام النحسات هى التى فسرها الله سبحانه فى الحاقة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والنحس بالسكون ضد السعد وهو اما مخفف نحس بالكسر أو هو أصل فى نفسه كضخم أو وصف لمصدر واستدل به بعض الاحكاميين على ان بعض الايام يصح وصفه بالسعادة وبعضها بضدها وأجاب بعض المتكلمين بأن المراد بالنحوسة

واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته وعظيم سلطانه اختلاف الليل والنهار ومعاقبة كل واحد منهما صاحبه والشمس والقمر لا الشمس تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر فانهما وان جريا فى الفلك بمنافعكم فانما يجريان به لكم باجراء الله اياهما لكم طائعين له فى جريهما ومسيرهما لا لأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجرى دون اجراء الله اياهما وتسييرهما أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرا وانما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم فله فاسجدوا واياه فاعبدوا دونهما فانه ان شاء طمس ضوءهما فترككم حيارى فى ظلمة لا تهتدون سبيلا ولا تبصرون شيأ وقيل واسجدوا الله الذى خلقهن بجمع بالهاء والنون لان المراد من الكلام واسجدوا الله الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر وذلك جمع وأنث كنايتهن وان كان من شأن العرب اذا جمعوا الذكر الى الانثى أن يخرجوا كنايتهما بلفظ كناية المذكر فيقولوا أخواك وأختاك كلمونى ولا يقولوا كلمننى لان من شأنهم أن يؤنثوا أخبار الذكور من غير بنى آدم فى الجمع فيقولوا رأيت مع عمرو أثوابا فأخذتهن منه وأعجبنى خواتيم لزيد فقبضتهن منه وقوله ان كنتم اياه تعبدون يقول ان كنتم تعبدون الله وتذلون له بالطاعة وان من طاعته أن تخلصوا له العبادة ولا تشركوا فى طاعتكم اياه وعبادتكموه شيأ سواه فان العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغى لشئ سواه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ يقول تعالى ذكره فان استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركى قريش وتعظموا عن أن يسجدوا الله الذى خلقهم وخلق الشمس والقمر فان الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك ولا يتعظمون عنه بل يسبحون له ويصلون ليلا ونهارا وهم لا يسأمون يقول وهم لا يفترون عن عبادته ولا يملون الصلاة له * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار قال يعنى محمدا يقول عبادى ملائكة صافون يسبحون ولا يستكبرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجج الله أيضا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها واعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا محمد ترى الارض دارسة غبراء لا نبات بها ولا زرع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة أى غبراء متهشمة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة قال يابسة متهشمة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت يقول تعالى ذكره فاذا أنزلنا من السماء غيثا على هذه الارض الخاشعة اهتزت بالنبات يقول تحركت به كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اهتزت قال بالنبات وربت يقول انتفخت كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وربت انتفخت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت يعرف الغيث فى سحتها وربوها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وربت للنبات

كونها ذات غبار وتراب و برد والانصاف أنه تكلف خارج عن قانون اللغة والاضافة فى قوله (عذاب الخزى) كهى فى قولك رجل صدق وقوله (ولعذاب الآخرة أخزى) من الاسناد المجازى فان الذل والهوان لصاحبه قوله (وأما ثمود) مرتفع على الابتداء قوله (فهديناهم) خبره قال سيبويه هذا أفصح لأن أما من مظان وقوع المبتدإ بعده وقرئ بالنصب اضمارا على شريطة التفسير واتفقوا على أن المراد بالهداية ههنا الدلالة المجردة لقوله بعده (فاستحبوا العمى) يعنى عمى البصيرة وهى الضلالة (على الهدى) الا أن المعتزلة تأولوه بأنه

قال ارتفعت قبل أن تنبت وقوله ان الذى أحياها لمحيى الموتى يقول تعالى ذكره ان الذى أحيا هذه الارض الدارسة فأخرج منها النبات وجعلها تهتز بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذى أنزل عليها القادر أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذى ينزل من السماء لاحيائهم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال كما يحيي الارض بالمطر كذلك يحيي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين يعني بذلك تأويل قوله ان الذى أحياها لمحيي الموتى وقوله انه على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد على احياء خلقه بعد مماتهم وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شئ أراده ولا يتعذر عليه فعل شئ شاءه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ان الذين يلحدون فى آياتنا ان الذين يميلون عن الحق فى حججنا وأدلتنا و يعدلون عنها تكذيبا بها وجحودا لها وقد بينت فيما مضى معنى اللحد بشواهده المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع وسنذكر بعض اختلاف المختلفين فى المراد به من معناه فى هذا الموضع اختلف أهل التأويل فى المراد به من معنى الالحاد فى هذا الموضع فقال بعضهم أريد به معارضة المشركين القرآن باللغط والصفير استهزاء به ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا قال المكاء وما ذكر معه * وقال بعضهم أريد به الخبر عن كذبهم فى آيات الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الذين يلحدون فى آياتنا قال يكذبون فى آياتنا * وقال آخرون أريد به يعاندون ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ان الذين يلحدون فى آياتنا قال يشاقون يعاندون * وقال آخرون أريد به الكفر والشرك ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا قال هؤلاء أهل الشرك وقال الالحاد الكفر والشرك * وقال آخرون أريد به الخبر عن تبديلهم معانى كتاب الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا قال هو أن يوضع الكلام على غير موضعه وكل هذه الاقوال التى ذكرناها فى تأويل ذلك قريبات المعانى وذلك أن اللحد والالحاد هو الميل وقد يكون ميلا عن آيات الله وعدولا عنها بالتكذيب بها ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية و يكون مفارقة لها وعنادا ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها ولا قول أولى بالصحة فى ذلك مما قلناه وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا فى آيات الله كما عم ذلك ربنا تبارك وتعالى وقوله لا يخفون علينا يقول تعالى ذكره نحن بهم عالمون لا يخفون علينا ونحن لهم بالمرصاد اذا وردوا علينا وذلك تهديد من الله جل ثناؤه لهم بقوله سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا ثم أخبر جل ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه فقال أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون فى آياتنا اليوم فى الدنيا يوم القيامة عذاب النار ثم قال الله أفهذا الذى يلقى فى النار خير أم الذى يأتى يوم القيامة آمنا من عذاب الله لايمانه بالله جل جلاله هذا الكافر انه ان آمن بآيات الله واتبع أمر الله ونهيه أمنه يوم القيامة مما حذره منه من عقابه ان ورد عليه

انما شاع استعماله فى الدلالة المجردة لانه مكنهم وأزاح علتهم فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها على أن المراد المعقولة ونقيضها وقدمر هذا البحث فى أول البقرة فى قوله هدى للمتقين وصاعقة العذاب داهيته وقارعته والهون مصدر بمعنى الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه وكسبهم شركهم وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة ثم بين أحوال الذين آمنوا واتقوا المعاصي بقوله (ونجينا) الآية وحين بين عقوبتهم فى الدنيا أخبر عن عذابهم وعذاب أمثالهم فى الآخرة فقال (و يوم يحشر) الآية والعامل فيه اذكر

عليه يومئذ به كافرا وقوله اعملوا ماشئتم وهذا أيضا وعيدلهم من الله خرج مخرج الامر وكذلك
كان مجاهد يقول حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد اعملوا ماشئتم قال هذا وعيد وقوله انه بما تعملون بصير يقول جل ثناؤه ان الله أيها
الناس بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها ولا من غيرها شئ ﴿ القول في تأويل
قوله تعالى ﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين جحدوا هذا القرآن وكذبوا به لما
جاءهم وعني بالذكر القرآن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان
الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا بالقرآن وقوله وانه لكتاب عزيز يقول تعالى ذكره وان هذا
الذكر لكتاب عزيز باعزاز الله اياه وحفظه من كل من أراد له تبديلا أو تحريفا أو تغييرا من انسي
وجني وشيطان مارد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانه لكتاب عزيز يقول أعزه الله لأنه
كلامه وحفظه من الباطل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط
عن السدي وانه لكتاب عزيز قال عزيز من الشيطان وقوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه
ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال النكير من بين يديه ولا من خلفه * وقال آخرون
معنى ذلك لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا قالوا والباطل هو الشيطان
وقوله من بين يديه من قبل الحق ولا من خلفه من قبل الباطل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الباطل ابليس
لا يستطيع أن ينقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا * وقال آخرون معناه أن الباطل لا يطيق
أن يزيد فيه شيأ من الحروف ولا ينقص منه شيأ منها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين
قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه قال الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه حرفا ولا ينقص * وأولى الاقوال في ذلك
عندنا بالصواب أن يقال معناه لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده وتبديل شئ من معانيه عما
هو به وذلك هو الاتيان من بين يديه ولا الحاق ما ليس منه فيه وذلك اتيانه من خلفه وقوله تنزيل
من حكيم حميد يقول تعالى ذكره هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده وصرفهم فيما فيه
مصالحهم حميد يقول محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذبو ما جئتهم به من عند ربك الا ما قد قاله
من قبلهم من الامم لرسلهم الذين كانوا من قبلك يقول له فاصبر على ما نالك من أذى منهم كما صبر
أولو العزم من الرسل ولا تكن كصاحب الحوت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما يقال لك الا ما قد
قيل للرسل من قبلك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون يقول كذلك ما أتى الذين من
قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن

محذوفا أو هو ظرف لما يدل عليه
يوزعون كأنه قيل يمنعون يوم يحشر
فيحبس أوائلهم حتى يلحق بهم
أواخرهم قال جار الله هو عبارة
عن كثرة أهل النار قلت وذلك
لان الايزاع لا يحتاج اليه الا عند
كثرة العدد كما مر في النحل
وما الابهامية في قوله (حتى اذا
ما جاؤها) تفيد التأكيد وهو أن عند
وقت مجيئهم لا بد أن تحصل هذه
الشهادة وشهادة الجلود بملامسة
ماهو محرم وعن ابن عباس
المراد شهادة الفروج فيكون كناية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أول ما يتكلم من الآدمي فخذه
وكفه وفيه وعيد شديد في فعل الزنا

السدى فى قوله ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك قال ما يقولون الا ما قد قال المشركون للرسل من قبلك وقوله ان ربك لذو مغفرة يقول ان ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين اليه من ذنوبهم بالصفح عنهم وذو عقاب أليم يقول وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصر على كفره وذنوبه فمات على الاصرار على ذلك قبل التوبة منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ يقول تعالى ذكره ولو جعلنا هذا القرآن الذى أنزلناه يا محمد أعجميا لقال قومك من قريش لولا فصلت آياته يعنى هلا بينت أدلته وما فيه من آية فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه أأعجمى يعنى أنهم كانوا يقولون انكارا له أأعجمى هذا القرآن ولسان الذى أنزل عليه عربى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قال لو كان هذا القرآن أعجميا لقالوا القرآن أعجمى ومحمد عربى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى محمد بن أبى عدى عن داود بن أبى هند عن جعفر بن أبى وحشية عن سعيد بن جبير فى هذه الآية لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قال الرسول عربى واللسان أعجمى حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن سعيد بن جبير فى قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قرآن أعجمى ولسان عربى حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبى موسى عن عبد الله بن مطيع بنحوه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لولا فصلت آياته فجعل عربيا أعجمى الكلام وعربى الرجل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته يقول بينت آياته أأعجمى وعربى نحن قوم عرب ما لنا وللعجمة * وقد خالف هذا القول الذى ذكرناه عن هؤلاء آخرون فقالوا معنى ذلك لولا فصلت آياته بعضها عربى وبعضها عجمى وهذا التأويل على تأويل من قرأ أعجمى بترك الاستفهام فيه وجعله خبرا من الله تعالى عن قيل المشركين ذلك يعنى هلا فصلت آياته منها عجمى تعرفه العجم ومنها عربى تفقهه العرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا فأنزل الله وقالوا لولا فصلت آياته أعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان فيه حجارة من سجيل قال فارسية أعربت سنك وكل وقرأت قراء الامصار أأعجمى وعربى على وجه الاستفهام وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك أعجمى بهمزة واحدة على غير مذهب الاستفهام على المعنى الذى ذكرناه عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا القراءة التى عليها قراء الامصار لاجماع الحجة عليها على مذهب الاستفهام وقوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم هو ويعنى بقوله هو القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بما جاءهم به من عند ربهم هدى يعنى بيان للحق وشفاء يعنى أنه شفاء من الجهل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال جعله الله نورا وبركة وشفاء للمؤمنين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال القرآن وقوله والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى يقول تعالى ذكره

لان مقدمته تحصل بالكف ونهايته تكون بمساعدة الفخذ قوله (أنطق كل شئ) من العمومات المخصوصة أى ممن يصح النطق منه والمراد أن القادر على خلقكم وانطاقكم فى المرة الاولى فى الدنيا ثم خلقكم وانطاقكم مرة أخرى وثالثة فى القبر وفى القيامة كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء وقد مر تمام البحث فى يس عن ابن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى فقال أحدهم أترون الله يسمع ما نقول فقال آخر اذا رفعنا أصواتنا يسمع والا لم يسمع وقال الآخر ان كان يسمع

والذين لا يؤمنون بالله ورسوله وما جاءهم به من عند الله فى آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن وصمم لا يستمعونه ولكنهم يعرضون عنه وهو عليهم عمى يقول وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذبين به عمى عنه فلا يبصرون حججه عليهم وما فيه من مواعظه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى عموا وصموا عن القرآن فلا ينتفعون به ولا يرغبون فيه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر قال صمم وهو عليهم عمى قال عميت قلوبهم عنه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهو عليهم عمى قال العمى الكفر وقرأت قراء الامصار وهو عليهم عمى بفتح الميم وذكر عن ابن عباس أنه قرأ وهو عليهم عم بكسر الميم على وجه النعت للقرآن والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وقوله أولئك ينادون من مكان بعيد اختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم معنى ذلك تشبيه من الله جل ثناؤه لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل فى القرآن من حججه ومواعظه ببعيد فهم سامع صوت من بعيد نودى فلم يفهم ما نودى كقول العرب للرجل القليل الفهم انك لتنادى من بعيد وكقولهم للفهم انك لتأخذ الامور من قريب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن بعض أصحابه عن مجاهد أولئك ينادون من مكان بعيد قال بعيد من قلوبهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك ينادون من مكان بعيد قال ضيعوا أن يقبلوا الامر من قريب يتوبون ويؤمنون فيقبل منهم فأبوا * وقال آخرون بل معنى ذلك انهم ينادون يوم القيامة من مكان بعيد منهم بأشنع أسمائهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أجلح عن الضحاك بن مزاحم أولئك ينادون من مكان بعيد قال ينادى الرجل بأشنع اسمه واختلف أهل العربية فى موضع تمام قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم فقال بعضهم تمامه أولئك ينادون من مكان بعيد وجعل قائلو هذا القول خبر ان الذين كفروا بالذكر أولئك ينادون من مكان بعيد وقال بعض نحويى البصرة يجوز ذلك ويجوز أن يكون على الأخبار التى فى القرآن يستغنى بها كما استغنت أشياء عن الخبر اذا طال الكلام وعرف المعنى نحو قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض وما أشبه ذلك قال وحدثنى شيخ من أهل العلم قال سمعت عيسى بن عمر يسأل عمرو بن عبيد ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم أين خبره فقال عمرو معناه فى التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وانه لكتاب عزيز فقال عيسى أجدت يا أبا عثمان وكان بعض نحويى الكوفة يقول ان شئت جعلت جواب ان الذين كفروا بالذكر أولئك ينادون من مكان بعيد وان شئت كان جوابه فى قوله وانه لكتاب عزيز فيكون جوابه معلوما فترك فيكون أعرب الوجهين وأشبهه بما جاء فى القرآن * وقال آخرون بل ذلك مما انصرف عن الخبر عما ابتدئ به الى الخبر عن الذى بعده من الذكر فعلى هذا القول ترك الخبر عن الذين كفروا بالذكر وجعل الخبر عن الذكر فتمامه على هذا القول وانه لكتاب عزيز فكان معنى الكلام عند قائل هذا القول ان الذكر الذى كفر به هؤلاء المشركون لما جاءهم وانه لكتاب عزيز وشبهه بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال هو مما ترك خبره اكتفاء بمعرفة السامعين بمعناه لما تطاول الكلام

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك

اذا رفعنا أصواتنا يسمع اذا خفضنا فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزل (وما كنتم تستترون) الآية وذلك أنهم كانوا يستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب القبائح فقيل لهم ما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم هذه لأن ذلك غير ممكن فانها متصلة بكم وهى أعوانكم ومع ذلك لم يكن استتاركم فى اعتقادكم أنها تشهد عليكم ولكنكم استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم وفيه رد على بعض الجهلة الذين يستخفون من الناس ولا يمكنهم الاستخفاء من الله وفيه تنبيه

لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى الكتاب يا محمد يعنى التوراة كما آتيناك الفرقان فاختلف فيه يقول فاختلف فى العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم يقول ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه أخر عذابهم الى يوم القيامة لقضى بينهم يقول لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاكه المبطلين منهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولولا كلمة سبقت من ربك قال أخروا الى يوم القيامة وقوله وانهم لفى شك منه مريب يقول وان الفريق المبطل منهم لفى شك مما قالوا فيه مريب يقول يريبهم قولهم فيه ماقالوا لأنهم قالوا بغير ثبت وانما قالوه ظنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ يقول تعالى ذكره من عمل بطاعة الله فى هذه الدنيا فأتمر لأمره وانتهى عما نهاه عنه فلنفسه يقول فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل لانه يجازى عليه جزاءه فيستوجب فى المعاد من الله الجنة والنجاة من النار ومن أساء فعليها يقول ومن عمل بمعاصى الله فيها فعلى نفسه جنى لانه أكسبها بذلك سخط الله والعقاب الأليم وما ربك بظلام للعبيد يقول تعالى ذكره وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه بل لا يعاقب أحدا الا على جرمه الذى اكتسبه فى الدنيا أو على سبب استحقه به منه
والله أعلم

على أن المؤمن يجب عليه أن يكون فى أوقات خلواته أهيب لربه وأوفر احتشاما ومراقبة ثم أخبر (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) ولا ينتج الصبر لهم فرجا وخلاصا (وان يستعتبوا) يطلبوا من الله الرضا عنهم (فما هم من المعتبين) أى من المرضيين والمراد أنهم باقون فى مكروههم أبدا سكتوا أو نطقوا قال الضعيف مؤلف الكتاب اذا كان هذا وعيد من ظن أنه يمكن اخفاء بعض الاعمال من الله بالاستتار والحجب فما ظنكم بوعيد من جزم انه سبحانه غير عالم بالجزئيات نعوذ بالله من هذا الاعتقاد
والله أعلم

﴿تم الجزء الرابع والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الخامس والعشرون اوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (اليه يرد علم الساعة)﴾

﴿ فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة

صحيفة

﴿ تم فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

(فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير)

صحيفة

صحيفة

(تم فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير النيسابورى)

(تنبيـــه)

وقع فى صلب صحيفة ٤٣ سطر ١٥ يديلننا وهو خطأ وصوابه يدلننا كتبه مصححه

الجزء الخامس والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٩ هجريه



الجزء الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اليه يرد علم الساعة وماتخرج من ثمرة من أكمامها وماتحمل من أنثى ولاتضع الابعلمه ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك مامنا من شهيد﴾ يقول تعالى ذكره الى الله يرد العالمون به علم الساعة فانه لايعلم ماقيامها غيره وماتخرج من ثمرة من أكمامها يقول وماتظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التى هى متغيبة فيها فتخرج منها بارزة وماتحمل من أنثى يقول وماتحمل من أنثى من حمل حين تحمله ولاتضع ولدها الابعلم من الله لايخفى عليه شئ من ذلك * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وماتخرج من ثمرة من أكمامها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من أكمامها قال حين تطلع حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وماتخرج من ثمرة من أكمامها قال من طلعها والأكمام جمع كمة وهو كل ظرف لماء أوغيره والعرب تدعو قشر الكفراة كما واختلفت القراء فى قراءة قوله من ثمرة فقرأت ذلك قراء المدينة من ثمرات على الجماع وقرأته قراء الكوفة من ثمرة على لفظ الواحدة وبأى القراءتين قرئ ذلك فهو عندنا صواب لتقارب معنييهما مع شهرتهما فى القراءة وقوله ويوم يناديهم أين شركائى يقول تعالى ذكره ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين به فى الدنيا الأوثان والأصنام أين شركائى الذين كنتم تشركونهم فى عبادتكم اياى قالوا آذناك يقول قالوا أعلمناك مامنا من شهيد يقول قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذ مامنا

﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم وحق عليهم القول فى أمم قدخلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ومايلقاها الاالذين صبروا ومايلقاها الاذوحظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت

من شهيد يشهد أن لك شريكا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله آذناك يقول
أعلمناك حدثني محمد قال ثنا أبو صالح قال ثنا أسباط عن السدي في قوله آذناك ما منا
من شهيد قالوا (١) أطعناك ما منا من شهيد على أن لك شريكا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه
الشر فيؤس قنوط﴾ يقول تعالى ذكره وضل عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التي كانوا
يعبدونها في الدنيا فأخذ بها طريق غير طريقهم فلم تنفعهم ولم تدفع عنهم شيأ من عذاب الله الذي
حل بهم وقوله وظنوا ما لهم من محيص يقول وأيقنوا حينئذ ما لهم من ملجا أي ليس لهم ملجأ
يلجؤن اليه من عذاب الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وظنوا ما لهم من محيص استيقنوا
أنه ليس لهم ملجأ واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله أبطل عمل الظن في هذا الموضع
فقال بعض أهل البصرة فعل ذلك لأن معنى قوله وظنوا استيقنوا قال وما ههنا حرف وليس باسم
والفعل لا يعمل في مثل هذا فلذلك جعل الفعل ملغى وقال بعضهم ليس يلغى الفعل وهو عامل
في المعنى الا لعلة قال والعلة أنه حكاية فاذا وقع على ما لم يعمل فيه كان حكاية وتمنيا واذا أعمل
فهو على أصله وقوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير يقول تعالى ذكره لا يمل الكافر بالله من
دعاء الخير يعني من دعائه بالخير ومسألته اياه ربه والخير في هذا الموضع المال وصحة الجسم
يقول لا يمل من طلب ذلك وان مسه الشر يقول وان ناله ضر في نفسه من سقم أو جهد في معيشته
أو احتباس من رزقه فيؤس قنوط يقول فانه ذو يأس من روح الله وفرجه قنوط من رحمته
ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي لا يسأم الانسان من دعاء
الخير يقول الكافر وان مسه الشر فيؤس قنوط قانط من الخير حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يسأم الانسان قال لا يمل وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله
لا يسأم الانسان من دعاء بالخير ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ يقول تعالى ذكره ولئن نحن كشفنا
عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه وضر وشدة في معيشته وجهد رحمة منا فوهبنا له العافية
في نفسه بعد السقم ورزقناه مالا فوسعنا عليه في معيشته من بعد الجهد والضر ليقولن هذا لي عند الله
لأن الله راض عني برضاه عملي وما أنا عليه مقيم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد ليقولن هذا لي أي بعملي أو أنا محقوق بهذا وما أظن الساعة قائمة يقول وما أحسب
القيامة قائمة يوم تقوم ولئن رجعت الى ربي يقول وان قامت أيضا القيامة ورددت الى الله حيا
بعد مماتي ان لي عنده للحسنى يقول ان لي عنده غنى ومالا كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال
ثنا أسباط عن السدي في قوله ان لي عنده للحسنى يقول غنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
يقول تعالى ذكره فلنخبرن هؤلاء الكفار بالله المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون اليه بما عملوا
في الدنيا من المعاصي واجترحوا من السيئات ثم لنجازين جميعهم على ذلك جزاءهم ولنذيقنهم

ان الذي أحياها لمحيي الموتى انه على
كل شئ قدير ان الذين يلحدون
في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى
في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة
اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة
وذو عقاب أليم ولو جعلناه قرآنا
أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
ءأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك
ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا
كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم
وانهم لفي شك منه مريب من عمل
صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها
وما ربك بظلام للعبيد ﴿اليه يرد علم
الساعة وما تخرج من ثمرات من
أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع
الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي
قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا
ما لهم من محيص لا يسأم الانسان
من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس
قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين
كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب
غليظ واذا أنعمنا على الانسان
أعرض ونأى بجانبه واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض قل أرأيتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به

(١) لعله أطلعناك ليكون فيه معنى العلم وحرر كتبه مصححه

من عذاب غليظ وذلك العذاب الغليظ تخليدهم فى نار جهنم لا يموتون فيها ولا يحيون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ يقول تعالى ذكره وإذا نحن أنعمنا على الكافر فكشفنا ما به من ضر ورزقناه غنى وسعة ووهبناله صحة جسم وعافية أعرض عما دعوناه اليه من طاعتنا وصدّ عنه ونأى بجانبه يقول وبعد من اجابتنا الى ما دعوناه اليه ويعنى بجانبه بناحيته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله أعرض ونأى بجانبه يقول أعرض صدّ بوجهه ونأى بجانبه يقول تباعد وقوله وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض يعنى بالعريض الكثير كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فذو دعاء عريض يقول كثير وذلك قول الناس أطال فلان الدعاء اذا أكثر وكذلك أعرض دعاءه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمكذبين بما جئتهم به من عند ربك من هذا القرآن أرأيتم أيها القوم ان كان هذا الذى تكذبون به من عند الله ثم كفرتم به ألستم فى فراق للحق وبعد من الصواب فجعل مكان التفريق الخبر فقال من أضل ممن هو فى شقاق بعيد اذ كان مفهوما معناه وقوله من أضل ممن هو فى شقاق بعيد يقول قل لهم من أشدّ ذهابا عن قصد السبيل وأسلك لغير طريق الصواب ممن هو فى فراق لأمر الله وخلاف له بعيد من الرشاد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد﴾ يقول تعالى ذكره سنرى هؤلاء المكذبين ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر آياتنا فى الآفاق واختلف أهل التأويل فى معنى الآيات التى وعد الله هؤلاء القوم أن يريهم فقال بعضهم عنى بالآيات فى الآفاق وقائع النبى صلى الله عليه وسلم بنواحى بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها وبقوله وفى أنفسهم فتح مكة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أبى قيس عن المنهال فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق قال ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على الناس حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى سنريهم آياتنا فى الآفاق يقول ما نفتح لك يا محمد من الآفاق وفى أنفسهم فى أهل مكة يقول نفتح لك مكة * وقال آخرون بل عنى بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره وشمس النهار وذلك ما وعدهم أنه يريهم فى الآفاق وقالوا عنى بالآفاق آفاق السماء وبقوله وفى أنفسهم سبيل الغائط والبول ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم قال آفاق السموات نجومها وشمسها وقمرها اللاتى يجرين وآيات فى أنفسهم أيضا * وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الاول وهو ما قاله السدى وذلك أن الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرى هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذبين آيات فى الآفاق وغير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم راؤه بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا رأوه قبل من ظهور نبى الله صلى الله عليه وسلم على أطراف بلدهم وعلى بلدهم فأما النجوم والشمس والقمر فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهدّدهم بأنه يريهم ذلك وقوله حتى يتبين لهم أنه الحق يقول جل ثناؤه أرى هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا الى محمد وأوحينا اليه من الوعد له بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديان كلها ولو كره

المشركون

من أضل ممن هو فى شقاق بعيد سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط ﴿ القراآت ربنا أرنا بسكون الراء ابن كثير وابن عامر وأبو بكر وحماد ورويس أبو عمرو بالاختلاس الآخرون بكسر الراء اللذين بتشديد النون ابن كثير يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء أعجمى بهمزة واحدة هشام وقرأ بتحقيق الهمزتين حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص الآخرون والباقون بالمد ثمرات على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر وحفص والمفضل شركاى مثل من وراى على وزن عصاى قدمر فى سورة مريم الى ربى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ونأى بجانبه قدمر فى سورة سبحان الذى أسرى ﴿ الوقوف والانس ج للابتداء بأن مع احتمال كونه جواب القسم فى حق خاسرين ٥ تغلبون ٥ يعملون ٥ النار ج لأن ما بعده يصلح مستأنفا وحالا أى كائنا لهم فيها دار الخلد ج يجحدون ٥ الأسفلين ٥ توعدون ٥ وفى الآخرة ج لانقطاع النظم بتقدير الجار مع اتحاد المقول تدعون ٥ ط لحق المحذوف أى أصبتم أووجدتم نزلا رحيم ٥ المسلمين ٥ السيئة ط حميم ٥ صبروا ج لاتفاق الجملتين مع تكرارها للتوكيد عظيم ٥ بالله ط العليم ٥ والقمر ط تعبدون ٥ يسأمون ٥ سجدة اهتزت وربت ط الموتى ط

المشركون وقوله أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد يقول تعالى ذكره أولم يكف بربك يا محمد
أنه شاهد على كل شئ مما يفعله خلقه لا يعزب عنه علم شئ منه وهو مجازيهم على أعمالهم المحسن
بالاحسان والمسئ جزاءه وفى قوله أنه وجهان أحدهما أن يكون فى موضع خفض على وجه
تكرير الباء فيكون معنى الكلام حينئذ أولم يكف بربك بأنه على كل شئ شهيد والآخر أن يكون
فى موضع رفع رفعا بقوله يكف فيكون معنى الكلام أولم يكف بربك شهادته على كل شئ
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط﴾ يقول
تعالى ذكره ألا إن هؤلاء المكذبين بآيات الله فى شك من لقاء ربهم يعنى أنهم فى شك من البعث بعد
الممات ومعادهم الى ربهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى
ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم يقول فى شك وقوله ألا إنه بكل شئ محيط يقول تعالى ذكره ألا ان
الله بكل شئ مما خلق محيط علما بجميعه وقدرة عليه لا يعزب عنه علم شئ منه أراده فيفوته ولكنه
المقتدر عليه العالم بمكانه

آخر تفسير سورة حم السجدة والحمد لله وحده

﴿تفسير سورة حمعسق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حمعسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز
الحكيم﴾ قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى معانى حروف الهجاء التى افتتحت بها أوائل ما افتتح
بها من سور القرآن وبينا الصواب من قولهم فى ذلك عندنا بشواهده المغنية عن اعادتها فى هذا
الموضع اذ كانت هذه الحروف نظيرة الماضية منها وقد ذكرنا عن حذيفة فى معنى هذه خاصة
قولا وهو ما حدثنا به أحمد بن زهير قال ثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى قال ثنا
أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الحمصى عن أرطاة بن المنذر قال جاء رجل الى ابن عباس فقال له
وعنده حذيفة بن اليمان أخبرنى عن تفسير قول الله حم عسق قال فأطرق ثم أعرض عنه ثم كرر
مقالته فأعرض فلم يجبه بشئ وكره مقالته ثم كررها الثالثة فلم يجبه شيأ فقال له حذيفة أنا أنبئك
بها قد عرفت بم كرهها نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبد الاله أو عبد الله ينزل على نهر من
أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فاذا أذن الله فى زوال ملكهم وانقطاع
دولتهم ومدتهم بعث الله على احداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت كأنها لم تكن
مكانها وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت فما هو الا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل
جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله حم عسق يعنى عزيمة من الله وفتنة
وقضاء حم عين يعنى عدلا منه سين يعنى سيكون وقاف يعنى واقع بهاتين المدينتين وذكر
عن ابن عباس أنه كان يقرؤه حم سق بغير عين ويقول ان السين عمر كل فرقة كائنة وان القاف
كل جماعة كائنة ويقول ان عليا انما كان يعلم العين بها وذكر أن ذلك فى مصحف عبد الله على
مثل الذى ذكر عن ابن عباس من قراءته من غير عين وقوله كذلك يوحى اليك والى الذين من
قبلك الله العزيز الحكيم يقول تعالى ذكره هكذا يوحى اليك يا محمد والى الذين من قبلك من أنبيائه

قدير ه علينا ط القيامة ط شئتم
ه لا ليكون ما بعده دالا على أنه
أمر تهديد بصير ه لما جاءهم ج
لأن خبر ان محذوف فيتقدر ههنا
أو بعد قوله من خلفه كما يجئ عزيز
ه لا لاتصال الصفة من خلفه ط
حميد ه من قبلك ط أليم ه آياته ط
وعربى ط وشفاء ط عمى ط
بعيد ه فيه ط بينهم ط مريب ه
فعليها ط للعبيد ه الساعة ط
بعلمه ط ج شركائى لا لان قالوا
عامل يوم آذناك لا لأنه فى معنى
القول وقع على الجملة بعده من شهيد
ه ج للآية مع العطف محيص ه
الخير ز لاختلاف الجملتين الا أن
مقصود الكلام يتم بهما قنوط ه
هذا لى لا تحرزا عما لا يقوله مسلم
قائمة كذلك للحسنى ه ج لابتداء
الامر بالتوكيد مع فاء التعقيب عملوا
ج امهالا للتذكر فى الحالتين مع
اتفاق الجملتين غليظ ه بجانبه ج
فصلا بين تناقض الحالين مع اتفاق
الجملتين عريض ه بعيد ه
الحق ط شهيد ه ربهم ج
محيط ه ۞ التفسير لما ذكر
وعيد الكفار أردفه بذكر السبب
الذى لأجله وقعوا فى ذلك الكفر
ومعنى (قيضنا) سببنا لهم من
حيث لا يحتسبون أو قدرنا أو سلطنا
وأصله من القيض وهو البدل
والمقايضة المعاوضة كأن القرينين
يصلح كل منهما أن يقوم مقام الآخر
والقرناء اخوانهم من الشياطين جمع
قرين (فزينوا لهم ما بين أيديهم) وهو
الدنيا وما فيها من الشهوات (وما
خلفهم) وهو الآخرة بأن لا جنة
ولا نار ولا بعث ولا حساب وقيل

وقيل ان حم عين سين ق أوحيت الى كل نبي بعث كما أوحيت الى نبينا صلى الله عليه وسلم
ولذلك قيل كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في
تدبيره خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿له ما في السموات وما في الارض وهو العليّ العظيم
تكاد السموات يتفطرن من فوقهنّ والملائكة يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون لمن في الارض
ألا ان الله هو الغفور الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره لله ملك ما في السموات وما في الارض من
الاشياء كلها وهو العليّ يقول وهو ذو علو وارتفاع على كل شئ والاشياء كلها دونه لانهم في
سلطانه جارية عليهم قدرته ماضية فيهم مشيئته العظيم الذي له العظمة والكبرياء والجبرية
وقوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهنّ يقول تعالى ذكره تكاد السموات يتشققن من فوق
الارضين من عظمة الرحمن وجلاله * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن
ابن عباس قوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهنّ قال يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك
وتعالى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تكاد السموات يتفطرن
من فوقهن أي من عظمة الله وجلاله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن
معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدّي تكاد
السموات يتفطرن قال يتشققن في قوله منفطر به قال منشق به حدثت عن الحسين قال
سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يتفطرن من فوقهن يقول
يتصدّعن من عظمة الله حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال ثنا حسين بن محمد عن
أبي معشر عن محمد بن قيس قال جاء رجل الى كعب فقال يا كعب أين ربنا فقال له الناس دق الله
تعالى أفتسأل عن هذا فقال كعب دعوه فان يك عالما ازداد وان يك جاهلا تعلم سألت أين ربنا
وهو على العرش العظيم متكئ واضع احدى رجليه على الأخرى ومسافة هذه الارض التي أنت
عليها خمسمائة سنة ومن الارض الى الارض مسيرة خمسمائة سنة وكثافتها خمسمائة سنة حتى تم سبع
أرضين ثم من الارض الى السماء مسيرة خمسمائة سنة وكثافتها خمسمائة سنة والله على العرش
متكئ ثم تفطر السموات ثم قال كعب اقرؤا ان شئتم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن الآية
وقوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم يقول تعالى ذكره والملائكة يصلون بطاعة ربهم وشكرهم له
من هيبة جلاله وعظمته كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا
أبي عن أبيه عن ابن عباس والملائكة يسبحون بحمد ربهم قال والملائكة يسبحون له من عظمته
وقوله و يستغفرون لمن في الارض يقول و يسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الارض من أهل
الايمان به كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله
و يستغفرون لمن في الارض قال للمؤمنين يقول الله عز وجل ألا ان الله هو الغفور لذنوب مؤمني
عباده الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا من
دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
والذين اتخذوا يا محمد من مشركي قومك من دون الله آلهة يتولونها و يعبدونها الله حفيظ عليهم
يحصي عليهم أفعالهم و يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم وما أنت عليهم بوكيل يقول
ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم وانما أنت منذر فبلغهم ما أرسلت به اليهم فانما
عليك البلاغ وعلينا الحساب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا

عربيا

ما بين أيديهم أعمالهم التي عملوها
وما خلفهم ما عزموا على فعله
وزينوا لهم فعل مفسدي زمانهم
والذين تقدم عصرهم والآية على
مذهب الاشاعرة واضحة وقالت
المعتزلة معناها أنه خذلهم ومنعهم
التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم
يبق لهم قرناء سوى الشياطين ومعنى
(في أمم) كائنين في جملة أمم وقدمر
في أوائل الاعراف كانوا يقولون
اذا سمعتم القرآن من محمد فارفعوا
أصواتكم باللغو وهو الساقط من
الكلام فترات (وقال الذين كفروا)
الآية يقال لغى بكسر الغين يلغى
بالفتح ولغا يلغو فلهذا قرئ بالضم
أيضا والمقصود أنهم علموا أن القرآن
كلام كامل لفظا ومعنى وكل من
سمعه ووقف على معانيه وأنصف
حكم بأنه واجب القبول فدبروا هذا
التدبير الفاسد وهو قول بعضهم
لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن)
اذا قرئ وتشاغلوا عن قراءته برفع
الصوت بالمكاء والهذيان والرجز
(لعلكم تغلبون) القارئ على قراءته
فلا يحصل غرضه من التفهيم
والارشاد وحين حكى حيلتهم ذكر
وعيدهم بقوله (فلنذيقن) الآية
والمضاف في قوله (أسوأ) محذوف
أي جزاء أسوأ الذي ولذلك أشار
اليه بقوله (ذلك جزاء أعداء الله)
وقوله (النار) بدل من الجزاء أو خبر
مبتدا مضمر و (دار الخلد) موضع
المقام قال الزجاج هو كما يقول لك
في هذه الدار دار السرور وأنت تعني
الدار بعينها وقد وضع قوله (بما كانوا
بآياتنا يجحدون) موضع أن لو قال
بما كانوا يلغون اقامة للسبب

عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ يقول تعالى ذكره وهكذا أوحينا اليك يا محمد قرآنا عربيا بلسان العرب لان الذين أرسلتك اليهم قوم عرب فأوحينا اليك هذا القرآن بألسنتهم ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره لانا لا نرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم لتنذر أم القرى وهي مكة ومن حولها يقول ومن حول أم القرى من سائر الناس * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله لتنذر أم القرى قال مكة وقوله وتنذر يوم الجمع يقول عز وجل وتنذر عقاب الله في يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض وقيل وتنذر يوم الجمع والمعنى وتنذرهم يوم الجمع كما قيل يخوف أولياءه والمعنى يخوفكم أولياءه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وتنذر يوم الجمع قال يوم القيامة وقوله لا ريب فيه يقول لا شك فيه وقوله فريق في الجنة وفريق في السعير يقول منهم فريق في الجنة وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وفريق في السعير يقول ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها وهم الذين كفروا بالله وخالفوا ما جاءهم به رسوله وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن أبي قبيل المعافري عن شفي الأصبحي عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال هل تدرون ما هذا فقلنا لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله قال هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد ولا ينقص منهم أبدا قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيم إذا نعمل ان كان هذا أمر قد فرغ منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وان عمل أي عمل وصاحب النار يختم له بعمل النار وان عمل أي عمل فرغ ربكم من العباد ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما فرغ ربكم من الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير قالوا سبحان الله فلم نعمل وننصب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل الى خواتمه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبي أسيد أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الله تعالى ذكره لما خلق آدم نفضه نفض المزود فأخرج منه كل ذرية فخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ثم قال شقي وسعيد ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير * قال أخبرني عمرو بن الحرث عن أبي شبويه حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى قال يا رب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا في الجنة وفريقا في السعير لو ما أدخلتهم كلهم الجنة قال يا موسى ارفع زرعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرفع فلم يترك شيأ قال يا رب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت إلا ما لا خير فيه قال كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه وقيل فريق في الجنة وفريق في السعير فرفع وقد تقدم الكلام قبل ذلك بقوله لتنذر أم القرى ومن حولها بالنصب لانه أريد به الابتداء كما يقال رأيت العسكر مقتول أو منهزم بمعنى منهم مقتول ومنهم منهزم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ﴾ يقول تعالى ذكره ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى ويجعلهم على ملة واحدة لفعل

مقام المسبب ثم حكى عنهم ما سيقولون في النار وهو قولهم (ربنا أرنا) أي بصرنا الشيطانين (اللذين أضلانا من الجن والانس) وذلك أن الشياطين ضربان جني وانسي وقد ورد في القرآن كثيرا وقيل هما ابليس الذي سن الكفر وقابيل الذي سن القتل ومن قرأ بسكون الراء فلثقل الكسرة وقد يقال معناه اذ ذاك أعطناه وحكوا عن الخليل أنك اذا قلت أرني ثوبك بالكسر فمعناه بصرنيه واذا قلت بالسكون فهو بمعنى الاعطاء ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء وأصله الاحضار (نجعلهما تحت أقدامنا) أي نطأهما اذلالا واهانة (ليكونا من الاسفلين) الأذلين وقيل في الدرك الاسفل وتأوله بعض حكماء الاسلام بأنهما الشهوة والغضب المشار اليهما في قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كأنهم سألوا توفيق أن يجعلوا القرينين تحت قدم النفس الناطقة وحين أطنب في الوعيد أردفه بالوعد على العادة المستمرة فقوله (ربنا الله) اشارة الى العلوم النظرية التي هذه المسألة رأسها وأصلها وقوله (ثم استقاموا) اشارة الى الحكمة العملية وجملتها الاستقامة على الوسط دون الميل الى أحد شقي الافراط والتفريط كما سبق تقرير ذلك في تفسير قوله اهدنا الصراط المستقيم ومعنى ثم تراخي الاستقامة في الرتبة عن الاقرار وفيه أن حصول العلوم النظرية بدون القسم العملي كشجرة بلا ثمرة وقال أهل العرفان قالوا ربنا الله يوم الميثاق

وجعلهم أمة واحدة يقول أهل ملة واحدة و جماعة مجتمعة على دين واحد ولكن يدخل من يشاء في رحمته يقول لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء من عباده في رحمته يعني أنه يدخله في رحمته بتوفيقه اياه للدخول في دينه الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والظالمون مالهم من ولي ولا نصير يقول والكافرون بالله مالهم من ولي يتولاهم يوم القيامة ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم فينقذهم من عذابه ويقتص لهم ممن عاقبهم وانما قيل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له عما كان يناله من الهم بتولية قومه عنه وأمر اله بترك ادخال المكروه على نفسه من أجل ادبار من أدبر عنه منهم فلم يستجب لما دعاه اليه من الحق واعلامه أن أمور عباده بيده وأنه الهادي الى الحق من شاء والمضل من أراد دونه ودون كل أحد سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب﴾ يقول تعالى ذكره أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله يتولونهم فالله هو الولي يقول فالله هو ولي أوليائه واياه فليتخذوا وليا لا الآلهة والأوثان ولا مالا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهو يحيي الموتى يقول والله يحيي الموتى من بعد مماتهم فيحشرهم يوم القيامة وهو على كل شيء قدير يقول والله القادر على احياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك انه ذو قدرة على كل شيء وقوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله يقول تعالى ذكره وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم فحكمه الى الله يقول فان الله هو الذي يقضي فيه بينكم و يفصل فيه الحكم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله قال ابن عمرو في حديثه فهو يحكم فيه وقال الحرث فالله يحكم فيه وقوله ذلكم الله ربي عليه توكلت يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفاته ربي لا آلهتكم التي تدعون من دونه التي لا تقدر على شيء عليه توكلت في أموري واليه فوضت أسبابي و به وثقت واليه أنيب يقول واليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ يقول تعالى ذكره فاطر السموات والارض خالق السموات السبع والارض كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله فاطر السموات والارض قال خالق وقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا يقول تعالى ذكره زوجكم ربكم من أنفسكم أزواجا وانما قال جل ثناؤه من أنفسكم لانه خلق حواء من ضلع آدم فهو من الرجال ومن الأنعام أزواجا يقول جل ثناؤه وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ذكورا واناثا ومن كل جنس من ذلك يذرؤكم فيه يقول يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم و يعيشكم فيما جعل لكم من الانعام وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله يذرؤكم فيه في هذا الموضع فقال بعضهم معنى ذلك يخلقكم فيه

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يذرؤكم فيه قال نسل بعد نسل من الناس والانعام حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله يذرؤكم قال يخلقكم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة

في عالم الارواح ثم استقاموا على ذلك في عالم الاشباح وعن أبي بكر الصديق معناه لم يلتفتوا الى اله غيره (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت أو عنده وفي القبر وفي القيامة وأن مفسرة أو مخففة ولقد فسرنا الخوف والحزن مرارا والابشار لازم قال الجوهري يقال بشرته بمولود فأبشر ابشارا وقوله (ألا تخافوا ولا تحزنوا) اشارة الى رفع المضار في المآل وفي الحال وقوله (وأبشروا) اخبار عن حصول المنافع وقوله (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) يقابل قوله وقيضنا لهم قرناء فللملائكة تأثيرات في الارواح بالالهامات الحسنة والخواطر الشريفة كما للشياطين تأثيرات بالقاء الوساوس والهواجس وقد تقدم في أول الكتاب في تفسير الاستعاذة واذا كانت هذه الولاية ثابتة في الدنيا بحكم المناسبة النورية كانت بعد الموت أقوى وأظهر لزوال العلائق الجسمانية وقيل في الحياة الدنيا بالاستغفار (وفي الآخرة) بالشفاعة وقيل كنا نحفظكم في الدنيا ولا نفارقكم في الآخرة حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) يعني الحظوظ الجسمانية (ولكم فيها ما تدعون) أي تمنون من المواهب الروحانية وقد مر في يس سائر الوجوه والنزل ما يهيأ للضيف وقد مر وفي ذكر الغفور الرحيم ههنا مناسبة لا تخفى قال أهل النظم ان القوم لما أتوا بأنواع السفاهة والايذاء كقولهم قلوبنا غلف لا تسمعوا لهذا القرآن حرض سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم على مواظبة التبليغ والدعوة

عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله يذرؤكم فيه قال نسلا بعد نسل من الناس والأنعام حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور أنه قال في هذه الآية يذرؤكم فيه قال يخلقكم * وقال آخرون بل معناه يعيشكم فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه يقول يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يذرؤكم فيه قال يعيشكم فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يذرؤكم فيه قال عيش من الله يعيشكم فيه وهذان القولان وان اختلفا في اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما الى معنى واحد وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه أراد بقوله ذلك يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه اياه ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا وقد بينت معنى ذرء الله الخلق فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادته وقوله ليس كمثله شئ فيه وجهان أحدهما أن يكون معناه ليس هو كشئ وأدخل المثل في الكلام توكيدا للكلام اذا اختلف اللفظ به وبالكاف وهما بمعنى واحد كما قيل * ما إن نديت بشئ أنت تكرهه *

فأدخل على ما وهي حرف جحد إن وهي أيضا حرف جحد لاختلاف اللفظ بهما وان اتفق معناهما توكيدا للكلام وكما قال أوس بن حجر

وقتلى كمثل جذوع النخيل * تغشاهم مسبل منهمر

ومعنى ذلك كجذوع النخيل وكما قال الآخر

سعد بن زيد اذا أبصرت فضلهم * ما ان كمثلهم في الناس من أحد

والآخر أن يكون معناه ليس مثله شئ وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام كقول الراجز

* وصاليات ككما يؤثفين *

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه وكما قال الآخر

تنفى الغياديق على الطريق * قلص عن كبيضة في نيق

فأدخل الكاف مع عن وقد بيناهذا في موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح فلذلك تجوزنا في البيان عنه في هذا الموضع وقوله وهو السميع البصير يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به وهو يعني نفسه السميع لما تنطق به خلقه من قول البصير لأعمالهم لا يخفى عليه من ذلك شئ ولا يعزب عنه علم شئ منه وهو محيط بجميعه محص صغيره وكبيره لتجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم﴾ يعني تعالى ذكره بقوله له مقاليد السموات والارض له مفاتيح خزائن السموات والارض وبيده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد له مقاليد السموات والارض قال مفاتيح بالفارسية حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة له مقاليد السموات والأرض قال مفاتيح السموات والارض وعن الحسن بمثل ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى له مقاليد السموات والارض قال خزائن السموات والارض وقوله يبسط

واحتمال أعباء الرسالة والتزام السيرة الفاضلة اظهار المزيته على الجهال وتحصيلا للغرض بالرفق واللطف ما أمكن فقال (ومن أحسن قولا) ووجه آخر في النظم وهو أنه لما مدح الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وذكر جزاءهم وهم أهل الكمال أراد أن يبين حال المشتغلين بتكميل الناقصين زعم بعض المفسرين أن المراد بهذا الدعاء الاذان والعمل الصالح الصلاة بين الأذان والاقامة ورفعوه الى عائشة والأصح أنه عام لجميع الائمة والدعاة الى طاعة الله وتوحيده ولا ريب أن مصطفاهم ومقتداهم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده العلماء بالله وهم الحكماء المتألهون وبعدهم العلماء بصفات الله وهم الاصوليون ثم العلماء بأحكام الله وهم الفقهاء ثم الملوك العادلون الذين يدعون الى الله بالسيف والسبب وفي الاستفهام الانكارى دلالة على أنه لا قول أحسن من الدعاء الى الله فمن زعم أنه الأذان ذهب الى أنه واجب والا لكان الواجب أحسن منه ونوقض بأنا نعلم بالدلائل اليقينية أن الدعوة الى الدين القويم بالحجة أو السيف أحسن من الاذان فلا يدخل الأذان تحت الآية قال جار الله ليس معنى قوله وقال انني من المسلمين أنه تكلم بهذا الكلام ولكن المراد أنه جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة وقال آخرون أراد به التلفظ به تفاخرا بالاسلام وتمدحا وزعموا أن فيه ابطال قول من جوز أنا مسلم ان شاء الله فانه لو كان ذلك معتبر الورد في الآية كذلك ولا يخفى ضعفه

الرزق لمن يشاء و يقدر يقول يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه و يبسط له و يكثر ماله و يغنيه و يقدر يقول و يقتر على من يشاء منهم فيضيقه و يفقره انه بكل شئ عليم يقول ان الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع وتقتيره على من يقتر ومن الذى يصلحه البسط عليه فى الرزق و يفسده من خلقه والذى يصلحه التقتير عليه و يفسده وغير ذلك من الامور ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره من صلاح تدبير خلقه يقول تعالى ذكره فالى من له مقاليد السموات والأرض الذى صفته ما وصفت لكم فى هذه الآيات أيها الناس فارغبوا واياه فاعبدوا مخلصين له الدين لا الأوثان والآلهة والأصنام التى لا تملك لكم ضرا ولا نفعا

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء و يهدى اليه من ينيب﴾ يقول تعالى ذكره شرع لكم ربكم أيها الناس من الدين ما وصى به نوحا أن يعمله والذى أوحينا اليك يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرع لكم من الدين الذى أوحينا اليك يا محمد فأمرناك به وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين يقول شرع لكم من الدين أن أقيموا الدين فأن اذ كان ذلك معنى الكلام فى موضع نصب على الترجمة بها عن ما التى فى قوله ما وصى به نوحا ويجوز أن تكون فى موضع خفض ردا على الهاء التى فى قوله به وتفسيرا عنها فيكون معنى الكلام حينئذ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وجائز أن تكون فى موضع رفع على الاستئناف فيكون معنى الكلام حينئذ شرع لكم من الدين ما وصى به وهو أن أقيموا الدين واذ كان معنى الكلام ما وصفت فمعلوم أن الذى أوصى به جميع هؤلاء الانبياء وصية واحدة وهى اقامة الدين الحق ولا تتفرقوا فيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما وصى به نوحا قال ما أوصاك به وأنبياءه كلهم دين واحد حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال هو الدين كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا بعث نوح حين بعث بالشريعة بتحليل الحلال وتحريم الحرام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال الحلال والحرام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى آخر الآية قال حسبك ما قيل لك وعنى بقوله أن أقيموا الدين أن اعملوا به على ما شرع لكم وفرض كما قد بينا فيما مضى قبل فى قوله أقيموا الصلاة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله أن أقيموا الدين قال اعملوا به وقوله ولا تتفرقوا فيه يقول ولا تختلفوا فى الدين الذى أمرتم بالقيام به كما اختلف الأحزاب من قبلكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تتفرقوا فيه تعلموا أن الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة وقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم اليه من اخلاص العبادة لله وافراده بالالوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر

فان التجوز غير الايجاب ثم صبر رسوله صلى الله عليه وسلم على سفاهة الكفار وعلمه الأدب الجميل فى باب الدعاء الى الدين بل فى مطلق أمور التمدن فقال (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) لا زائدة لتأكيد نفى الاستواء والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة قط ومثالها الايمان والشرك والحلم والغضب والطاعة والمعصية واللطف والعنف ثم ان سائلا كأنه سأل فكيف نصنع فأجيب (ادفع بالتى هى أحسن) فان الحسنة أحسن من السيئة كما يقال الصيف أحر من الشتاء وذهب صاحب الكشاف الى أن لا غير مزيدة والمعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة مثاله رجل أساء اليك فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته قال ومن جعل لا مزيدة فالقياس على تفسيره أن يقال ادفع بالتى هى حسنة ولكنه وضع أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها قال العارفون الحسنة التوجه الى الله بصدق الطلب والسيئة الالتفات الى غيره (فاذا الذى) اذا فعلت ذلك انقلب عدوك وليا مصافيا قال مقاتل نزلت فى ابى سفيان وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يتحاب بعد ذلك لما رأى من لطف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطفه ثم مدح هذه السيرة وأهلها بقوله (وما يلقاها الا الذين صبروا) أى لا يعمل بها

ذكرمن قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كبر على المشركين ماتدعوهم اليه قال أنكرها المشركون وكبر عليهم شهادة أن لا اله الا الله فصادمها ابليس وجنوده فأبى الله تبارك وتعالى الا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها وقوله الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب يقول الله يصطفى اليه من يشاء من خلقه ويختار لنفسه وولايته من أحب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكرمن قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب يقول ويوفق للعمل بطاعته واتباع مابعث به نبيه عليه السلام من الحق من أقبل الى طاعته وراجع التوبة من معاصيه كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ويهدى اليه من ينيب من يقبل الى طاعة الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب﴾ يقول تعالى ذكره وما تفرق المشركون بالله فى أديانهم فصاروا أحزابا إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الذى أمرهم الله به وبعث به نوحا هو إقامة الدين الحق وأن لا تتفرقوا فيه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم فقال اياكم والفرقة فانها هلكة بغيا بينهم يقول بغيا من بعضكم على بعض وحسدا وعداوة على طلب الدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى يقول جل ثناؤه ولولا قول سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب ولكنه أخر ذلك الى أجل مسمى وذلك الأجل المسمى فيما ذكر يوم القيامة ذكرمن قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى قال يوم القيامة وقوله لقضى بينهم يقول لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين فى الحق الذى بعث به نبيه نوحا من بعد علمهم به باهلاكه أهل الباطل منهم واظهاره أهل الحق عليهم وقوله وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم يقول وان الذين آتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين فى الحق كتابه التوراة والانجيل لفى شك منه مريب يقول لفى شك من الدين الذى وصى الله به نوحا وأوحاه اليك يا محمد وأمر كما باقامته مريب * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم قال أهل التأويل ذكرمن قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم قال اليهود والنصارى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير﴾ يقول تعالى ذكره فالى ذلك الدين الذى شرع لكم ووصى به نوحا وأوحاه اليك يا محمد فادع عباد الله واستقم على العمل به ولا تزغ عنه واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة وقيل فلذلك فادع والمعنى فالى ذلك فوضعت اللام موضع الى كما قيل بأن ربك أوحى لها وقد بينا ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك فى قوله فلذلك فادع الى معنى هذا ويقول معنى الكلام فالى هذا القرآن فادع واستقم والذى قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه غير أن الذى قلنا فى ذلك أولى بتأويل الكلام لأنه فى سياق خبر الله جل ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم باقامته ولم يأت من الكلام ما يدل على انصرافه عنه

الا كل صبار على تجرع المكاره (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لا يتأثر من الواردات الخارجية وقد يفسر الحظ العظيم بالثواب الجزيل وعن الحسن ما عظم حظ دون الجنة ثم ذكر طريقا آخر فى دفع الغضب والانتقام قائلا (وإما ينزغنك) وقد مر فى آخر الأعراف والمعنى ان صرفك الشيطان عما أمرت به فاستعذ بالله من شره وانما قال ههنا (انه هو السميع العليم) بالفصل وتعريف الخبر ليكون مناسبا لما تقدمه من قوله وما يلقاها مؤكدا بالتكرار وبالنفى والاثبات ولم يكن هذا المقتضى فى الأعراف فجاء على أصل الاسم معرفة والخبر نكرة وحين ذكر أن أحسن الأقوال هو الدعو الى الله بين الدلائل على وجوده فقال (ومن آياته) الخ والضمير فى (خلقهن) للآيات او الليل وما عطف عليه ولم يغلب المذكر لان ذلك قياس مع العقلاء وفى قوله (ان كنتم اياه تعبدون) تزييف لطريقة الصابئين وسائر عبدة الكواكب إجهلا منهم وزعما أنها الواسطة بين الخلق والاله فنهوا عن هذا التوسيط لان ذلك مظنة العبادة المستقلة لرفعة شأنها وارتفاع مكانها وهذا بخلاف التوجه فى الصلاة الى القبلة فان الحجر قلما يظن به أنه معبود بالحق والجزم حاصل بأنه لتوحيد متوجهات المصلين عند صلاتهم مع أن للبيت شرفا ظاهرا فى نفسه (فان استكبروا) عن قبول قولك يا محمد فى النهى عن السجود للشمس والقمر

الى غيره وقوله ولا تتبع أهواءهم يقول تعالى ذكره ولا تتبع يامحمد أهواء الذى شكوا فى الحق الذى شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم فتشك فيه كالذى شكوا فيه وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب يقول تعالى ذكره وقل لهم يامحمد صدّقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب توراة كان أو انجيلا أو زبورا أو صحف ابراهيم لا أكذب بشئ من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب وتصديقكم ببعض وقوله وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم يقول تعالى ذكره وقل لهم يامحمد وأمرنى ربى أن أعدل بينكم معشر الأحزاب فأسير فيكم جميعا بالحق الذى أمرنى به وبعثنى بالدعاء اليه كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأمرت لأعدل بينكم قال أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه والعدل ميزان الله فى الأرض به يأخذ للمظلوم من الظالم وللضعيف من الشديد وبالعدل يصدّق الله الصادق ويكذب الكاذب وبالعدل يردّ المعتدى ويوبخه ذكر لنا أن نبى الله داود عليه السلام كان يقول ثلاث من كنّ فيه أعجبنى جدّا القصد فى الفاقة والغنى والعدل فى الرضا والغضب والخشية فى السر والعلانية وثلاث من كنّ فيه أهلكته شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وأربع من أعطيهنّ فقد أعطى خير الدنيا والآخرة لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن صابر وزوجة مؤمنة * واختلف أهل العربية فى معنى اللام التى فى قوله وأمرت لأعدل بينكم فقال بعض نحويى البصرة معناها كى وأمرت كى أعدل وقال غيره معنى الكلام وأمرت بالعدل والامر واقع على ما بعده وليست اللام التى فى لأعدل بشرط قال وأمرت تقع على أن وعلى كى واللام أمرت أن أعبد وكى أعبد ولأعبد قال وكذلك كل ما طالب الاستقبال ففيه هذه الأوجه الثلاثة والصواب من القول فى ذلك عندى أن الأمر عامل فى معنى لأعدل لأن معناه وأمرت بالعدل بينكم وقوله الله ربنا وربكم يقول الله مالكنا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة والانجيل لنا أعمالنا ولكم أعمالكم يقول لنا ثواب ما اكتسبنا من الأعمال ولكم ثواب ما اكتسبتم منها وقوله لا حجة بيننا وبينكم يقول لا خصومة بيننا وبينكم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لا حجة بيننا وبينكم قال لا خصومة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله عز وجل لا حجة بيننا وبينكم لا خصومة بيننا وبينكم وقرأ ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الى آخر الآية وقوله الله يجمع بيننا يقول الله يجمع بيننا يوم القيامة فيقضى بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه واليه المصير يقول واليه المعاد والمرجع بعد مماتنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾ يقول تعالى ذكره والذين يخاصمون فى دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من بعد ما استجاب له الناس فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب حجتهم داحضة يقول خصومتهم التى يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند ربهم وعليهم غضب يقول وعليهم من الله غضب ولهم فى الآخرة عذاب شديد وهو عذاب النار وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دينهم وطمعوا أن يصدّوهم عنه ويردّوهم عن الاسلام الى الكفر ذكر الرواية عمن ذكر ذلك عنه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

(فالذين عند ربك) عندية بالشرف والرتبة وهم الملائكة المقربون (يسبحون له بالليل والنهار) أى على الدوام والاستمرار (وهم لا يسأمون) من السآمة والملالة والحاصل أنهم ان لم يمتثلوا ما أمروا به ونهوا عنه وأبوا الا الواسطة فدعهم وشأنهم فان ربك لا يعدم عابدا مخلصا ولما فرغ من تقرير الآيات السماوية شرع فى الدلائل الارضية فقال (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) وأصل الخشوع التذلل فاستعير للأرض التى لا خضرة بها ولا نفع فيها كما وصفها بالهمود وقد مرّ فى سورة الحج وذلك أنها اذا اهتزت وربت أى انتفخت حين يهم النبت بالخروج منها كانت بمنزلة المختال فى زيه وهى قبل ذلك كالفقير الكاسف البال المتلبس بثوب أطمار وبعد تقرير الدلائل الباهرة ذكر وعيد الملحدين فى آياته المنحرفين عن الجادّة والوعيد قوله (لا يخفون علينا) وكفى به وعيدا ثم أكده بالاستفهام على سبيل التقرير وهو قوله (أفمن يلقى) الخ وقوله (يوم القيامة) ظرف لآمنا أو ليأتى ثم هددهم بقوله (اعملوا ما شئتم) الخ ثم أبدل من قوله ان الذين كفروا بالذكر أى القرآن لانهم بكفرهم به طعنوا فيه وحرّفوا معانيه وعلى هذا فالخبر هو ما تقدم من قوله لا يخفون وانه كلام مستأنف وعلى هذا فاختلفوا فى خبر ان فالاكثرون على انه أولئك ينادون وما بينهما اعتراض من تتمة الذكر وقيل خبره ما يقال اذ التقدير ما يقولون لك وقيل هو محذوف ثم اختلفوا فقال قوم ان الذين كفروا بالذكر كفروا

قوله والذين يحاجون فى الله من بعـد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شـديد قال هم أهـل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين و يصـدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله وقال هم اهل الضلالة كان استجيب لهم على ضلالتهم وهم يتربصون بأن تأتيهم الجـاهلية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له قال طمع رجال بأن تعود الجاهليـة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمـد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له قال بعد ما دخل الناس فى الاسلام حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضـة عند ربهم قال هم اليهود والنصارى قالوا كتابنا قبـل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله والذين يحاجون فى الله من بعـد ما استجيب له حجتهم داحضـة الآية قال هـم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبى الله صـلى الله عليه وسـلم فقالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبـل نبيكم ونحن أولى بالله منكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يحاجون فى الله الى آخر الآية قال نهاه عن الخصومة ۞ القول فى تأويل قـوله تعالى ﴿ الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون أنهـا الحق ألا ان الذين يمـارون فى الساعة لفى ضـلال بعيد ﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى أنزل هذا الكتاب يعنى القرآن بالحق والميزان يقول وأنزل الميزان وهو العدل ليقضى بين الناس بالانصاف و يحكم فيهم بحكم الله الذى أمر به فى كتابه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهـل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمـد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أنزل الكتاب بالحق والميزان قال العـدل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنـا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان قال الميزان العـدل وقوله وما يدريك لعـل الساعة قريب يقول تعالى ذكره وأىّ شئ يدريك و يعلمك لعـل الساعة التى تقوم فيها القيامة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يقول يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها ظنا منهم أنها غير جائيـة والذين آمنوا مشفقون منها يقول والذين صـدّقوا بمجيئها ووعد الله اياهـم الحشر فيها مشفقون منها يقول وجلون من مجيئها خائفون من قيامها لأنهـم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيهـا و يعلمون أنهـا الحق يقول و يوقنون أن مجيئها الحق اليقين لا يمترون فى مجيئها ألا ان الذين يمـارون فى الساعة يقول تعالى ذكره ألا ان الذين يخاصمون فى قيام الساعة و يجادلون فيـه لفى ضلال بعيد يقول لفى جور عن طريق الهـدى و زيغ عن سبيل الحق والرشاد بعيد من الصواب ۞ القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوىّ العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيـا نؤته منها وماله فى الآخرة مـن نصيب ﴾ يقول تعالى ذكره الله ذو لطف بعباده يرزق من يشاء فيوسع عليـه و يقتر على من يشاء منهم وهو القوىّ الذى لا يغلبه ذو أيد لشـدّته ولا يمتنع عليه اذا أراد عقابه بقدرته العزيز فى انتقامه اذا انتقم من أهل معاصيه من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه يقول تعالى ذكره من كان يريد بعمله الآخرة

لمـا جاءهم وقال آخرون هلكوا أو يجازون بكفرهـم ونحو ذلك وهـذا يمكن تقديره بعـد قوله لمـا جاءهم و بعد قوله من خلفه و بعد قوله حميـد والعزيز معناه الغالب القاهر بقوة حجته على ما سواه من الكتب والمـراد أنه عديم النظير لأن الاولين والآخرين عجزوا عن معارضـته ثم أكد هـذا الوصف بقوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال جار الله هو تمثيل أى لا يتطرق البطلان اليه بجهة من الجهات فلا ينقص منه شئ ولا يزاد عليـه شئ وقيل أراد أنه لا تكذبه الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل ولن يجيء بعده ما يخالفه وقد يحتج أبو مسلم بالآية على عدم وقوع النسخ فى القرآن عمـا منه أن النسخ نوع من البطلان ولا يخفى ضعفه فان بيـان انتهاء حكم لا يقتضى ابطاله فانه حق فى نفسه ومأمور به فى وقته (تنزيل) اى هو منزل (من) الله (حكيم) فى جميع أفعاله (حميد) الى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه ثم سلى نبيه عليه السلام بقوله (ما يقال لك) وفيه وجهان أحدهما ما يقول لك كفار قريش الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من المطاعن فيهم وفى كتبهم (ان ربك لذو مغفرة) للمحقين (وذو عقاب أليم) للمبطلين ففوض الامر الى الله واشتغل بمـا أمرت به من الدعاء الى دينـه وثانيهما ما يقول لك الله الا مثـل ما قال لغيرك من الرسل من الصـبر على سفاهة الاقوام وايذائهم ويجوز أن يكون المقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب فمن حقـه أن يرجوه اهل طاعتـه و يخشاه

نزدله فى حرثه يقول نزدله فى عمله الحسن فنجعل له بالواحدة عشرا الى ماشاء ربنا من الزيادة ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها يقول ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لاللآخرة نؤته منها ماقسمناله منها وماله فى الآخرة من نصيب يقول وليس لمن طلب بعمله الدنيا ولم يردالله به فى ثواب الله لاهل الاعمال التى أرادوه بأعمالهم فى الدنيا حظ * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه الى وماله فى الآخرة من نصيب قال يقول من كان انما يعمل للدنيا نؤته منها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا الآية يقول من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبا فى الآخرة الا النار ولم نزده بذلك من الدنيا شيأ الا رزقا قد فرغ منه وقسم له حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه قال من كان يريد الآخرة وعملها نزدله فى عمله ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الى آخر الآية قال من أراد الدنيا وعملها آتيناه منها ولم نجعل له فى الآخرة من نصيب الحرث العمل من عمل للآخرة أعطاه الله ومن عمل للدنيا أعطاه الله حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه قال من كان يريد عمل الآخرة نزدله فى عمله وقوله وماله فى الآخرة من نصيب قال للكافر عذاب أليم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء فى شركهم وضلالتهم شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله يقول ابتدعوا لهم من الدين مالم يبح الله لهم ابتداعه ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم يقول تعالى ذكره ولولا السابق من الله فى أنه لا يعجل لهم العذاب فى الدنيا وأنه مضى من قيله أنهم مؤخرون بالعقوبة الى قيام الساعة لفرغ من الحكم بينكم و بينهم بتعجيلنا العذاب لهم فى الدنيا ولكن لهم فى الآخرة من العذاب الأليم كما قال جل ثناؤه وان الظالمين لهم عذاب أليم يقول وان الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة مشفقين مما كسبوا يقول وجلين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا فى الدنيا من أعمالهم الخبيثة وهو واقع بهم يقول والذى هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم وهم ذائقوه لامحالة وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى فى الدنيا فى روضات البساتين فى الآخرة و يعنى بالروضات جمع روضة وهى المكان الذى يكثر نبته ولا تقول العرب لمواضع الاشجار رياض ومنه قول أبى النجم

والنقص مثل الاجرب المدحل * حدائق الروض التى لم تحلل

يعنى بالروض جمع روضة وانما عنى جل ثناؤه بذلك الخبر عماهم فيه من السرور والنعيم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات الى آخر الآية قال فى رياض الجنة ونعيمها وقوله لهم مايشاؤن عند ربهم يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم فى الآخرة ماتشتهيه أنفسهم

أهل عصيانه كانوا يقولون لولا انزل القرآن بلغة العجم تعنتا منهم فأجابهم الله بقوله (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا) معترضين منكرين (لولا فصلت آياته) أى بينت بلسان نفهمه أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل اليه عربى وانما جاز هذا التقدير الثانى مع أن المرسل اليهم كثيرون وهم غير امة العرب لأن الغرض بيان تنافر حالتى القرآن والذين أنزل القرآن اليهم من العجمية والعربية لابيان أنهم جمع أو وحد كم تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل و اللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو أفضل ومن قرأ بغير همزة الاستفهام فعلى حذفها أو على الاخبار بأن القرآن أعجمى والرسول أو المرسل اليه عربى والغرض أنهم لعنادهم لاينفكون عن المراء والاعتراض سواء كان القرآن عربيا أو أعجميا وفيه الخام لهم وجواب عن قولهم قلوبنا فى أكنة فان القرآن اذا كان بلغتهم وهم فصحاء و بلغاء فكيف لايفهمونه الا اذا كان هنالك مانع اخى ولذلك قال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) لداء الجهل (والذين) أى وللذين (لا يؤمنون فى آذانهم وقر) وهذا التقدير عند من يجوز العطف على عاملين ومن لم يجوز زعم أن الرابط محذوف تقديره والذين لايؤمنون هو فى آذانهم وقر أو فى آذانهم منه وقر أو الذين لايؤمنون به الخ والحاصل أنهم لعدم انتفاعهم بالقرآن كأنهم صم عمى ثم أكد هذا المعنى بقوله (أولئك ينادون من مكان بعيد) فلهذا لايسمعون النداء

وتلذه أعينهم ذلك هو الفضل الكبير يقول تعالى ذكره هذا الذى أعطاهم الله من هذا النعيم وهذه الكرامة فى الآخرة هو الفضل من الله عليهم الكبير الذى يفضل كل نعيم وكرامة فى الدنيا من بعض أهلها على بعض ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى أخبرتكم أيها الناس أنى أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الآخرة من النعيم والكرامة البشرى التى يبشر الله عباده الذين آمنوا به فى الدنيا وعملوا بطاعته فيها قل لا أسألكم عليه أجرا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين يمارونك فى الساعة من مشركى قومك لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم الى ما أدعوكم اليه من الحق الذى جئتكم به والنصيحة التى أنصحكم ثوابا وجزاء وعوضا من أموالكم تعطونيه إلا المودّة فى القربى واختلف أهل التأويل فى معنى قوله إلا المودّة فى القربى فقال بعضهم معناه إلا أن تودّونى فى قرابتى منكم وتصلوا رحمى بينى وبينكم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن ابن عباس فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرابة فقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودّونى فى القرابة التى بينى وبينكم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال سئل عنها ابن عباس فقال ابن جبير هم قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة قال فنزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال إلا القرابة التى بينى وبينكم أن تصلوها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة فى جميع قريش فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال يا قوم اذ أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتى فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظى ونصرتى منكم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم قال لقريش لا أسألكم من أموالكم شيأ ولكن أسألكم أن لا تؤذونى لقرابة ما بينى وبينكم فانكم قومى وأحق من أطاعنى وأجابنى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عكرمة قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان واسطا فى قريش كان له فى كل بطن من قريش نسب فقال لا أسألكم على ما أدعوكم اليه إلا أن تحفظونى فى قرابتى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسط النسب من قريش ليس حى من أحياء قريش إلا وقد ولدوه قال فقال الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى إلا أن تودّونى لقرابتى منكم وتحفظونى حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية قل لا أسألكم عليه اجرا إلا المودّة فى القربى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وأمه من بنى زهرة وأم أبيه من بنى مخزوم فقال احفظونى فى قرابتى حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال تعرفون

أى مثلهم كمثل الشخص الذى ينادى من بعد فلا يسمع وان سمع لم يفهم ثم شبه حال القرآن بحال الكتب المتقدمة فى أنها اختلف فيها كما اختلف فيه الا أنه خص كتاب موسى بالذكر لكثرة أحكامه وعجيب قصته والكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وتأخر العذاب والقضاء بين المصدقين والمكذبين الى وقتئذ ثم ذكر أن جزاء كل أحد يختص به سواء كان له أو عليه وان الله لا يظلم أحدا ثم كان لسائل أن يسأل متى القيامة التى يتعلق بها الجزاء فقال (اليه) لا الى غيره (يرد علم الساعة) أى اذا سأل عنها قيل لا يعلمها الا هو ثم عمم بعد هذا التخصيص وذكر مثالين يعرف منهما ان علم جميع الحوادث المستقبلة فى أوقاتها المعينة ليس الا له سبحانه والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة ثم ذكر من أحوال القيامة طرفا آخر فقال (ويوم يناديهم أين شركائى) وهو نداء تهكم أو توبيخ كما مر مرارا (قالوا آذناك) قال ابن عباس أى أسمعناك من أذن بالكسر أذنا بالفتح اذا استمع وقال الكلبى أعلمناك قال الامام فخر الدين الرازى هو بعيد لأن أهل القيامة يعلمون أنه تعالى يعلم الاشياء علما واجبا فالاعلام فى حقه محال قلت لو أريد أظهرنا معلومك أين الاستبعاد والمعنى ظهر وحصل فى الواقع من جهة قولنا ما كان ثابتا فى علمك القديم أنا سنقوله كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا أى لم يحصل بعد معلومه فى الواقع وقدمر وقولهم آذناك ماض فى معنى المستقبل على عادة القرآن أو انشاء للايذان

قرابتى وتصدّقونى بما جئت به وتمنعونى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى وان الله تبارك وتعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجرا الا أن يصلوا ما بينه و بينهم من القرابة وكل بطون قريش قد ولدته و بينه و بينهم قرابة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله إلا المودّة فى القربى أن تتبعونى وتصدقونى وتصلوا رحمى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال لم يكن بطن من بطون قريش الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ولادة فقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودّونى لقرابتى منكم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى يعنى قريشا يقول انما أنا رجل منكم فأعينونى على عدوّى واحفظوا قرابتى وان الذى جئتكم به لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى أن تودّونى لقرابتى وتعينونى على عدوّى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال يقول إلا أن تودّونى لقرابتى كما تواذّون فى قرابتكم وتواصلون بها ليس هذا الذى جئت به يقطع ذلك عنى فلست أبتغى على الذى جئت به أجرا آخذه على ذلك منكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سعيد بن أبى أيوب عن عطاء بن دينار فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى يقول لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودّونى فى قرابتى منكم وتمنعونى من الناس حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال كل قريش كانت بينها و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة فقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودّونى بالقرابة التى بينى و بينكم * وقال آخرون بل معنى ذلك قل لمن تبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودّوا قرابتى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل ابن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المرى عن السدى عن أبى الديلم قال لما جىء بعلى بن الحسين رضى الله عنهما أسيرا فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشأم فقال الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرنى الفتنة فقال له على بن الحسين رضى الله عنه أقرأت القرآن قال نعم قال أقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال وانكم لأنتم هم قال نعم حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا عبد السلام قال ثنا يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا فكأنهم فخروا فقال ابن عباس أو العباس شك عبد السلام لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فى مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبونى قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدّقناك أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ولرسوله قال فنزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى حدثنى يعقوب قال ثنا مروان عن يحيى بن كثير عن أبى العالية عن سعيد بن جبير فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة

في

أو اخبار عما قيل لهم قبل ذلك فانه يمكن أن يعاد عليهم هذا الاستفهام مرات لمزيد التوبيخ ومعنى (ما منا من شهيد) ليس منا من يشهد اليوم بأنهم شركاؤك لأنا عرفنا عيانا أنه لا شريك لك أو هو كلام الشركاء أحياها الله وأنطقها فتبرأ مما أضيف اليها من الشركة ومعنى الضلال على هذا التفسير عدم النفع و يجوز أن يراد ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم غابوا عنا ومعنى (يدعون) يعبدون والظن بمعنى اليقين والمحيص المهرب وحين بين أن الكفار تبرؤا فى الآخرة من شركائهم بعد أن كانوا مصرين فى الدنيا على عبادتهم بين أن الكافر تبدّله فى حالاته كلى أو أكثرى ففى حالة الاقبال لا يسأم من طلب الجاه والمال وفى حالة الادبار يصير فى غاية اليأس والانكسار وان عاودته النعمة بعد يأسه فلا بدّ أن يقول هذا انما وجدته باستحقاق لى وهذا لا يزول عنى ويبقى علىّ وعلى عقبى وأنكر البعث وعلى فرض وجوده زعم بل جزم أن له عند الله الحالة الحسنى قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا ونظير الآية ما سبق فى سورة الكهف ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا فلا جرم خيب الله أمله وعكس ما تصوره بقوله (فلننبئن) وحين حكى قول الكافر أخبر عن أفعاله بقوله (واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) أى تعظم وتجبر وقد سلف فى سبحان واستعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وقد يستعار الطول لكثرة الدعاء ودوامه أيضا وان لم يكن الشئ ذا جرم كما استعير الغلظ لشدة العذاب فان قيل كيف قال أولا

فى القربى قال هى قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ومحمد ابن خلف قالا ثنا عبيدالله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى إسحق قال سألت عمرو بن شعيب عن قول الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال قربى النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل معنى ذلك قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودّدوا الى الله وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود ومحمد بن داود أخوه أيضا قالا ثنا عاصم بن على قال ثنا قزعة بن سويد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قل لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجرا إلا أن تودّدوا لله وتتقربوا اليه بطاعته حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال فى هذه الآية قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال القربى الى الله حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال الا التقرب الى الله والتودّد اليه بالعمل الصالح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قل لا أسألكم على ما جئتكم به وعلى هذا الكتاب أجرا إلا المودّة فى القربى الا أن تودّدوا الى الله بما يقربكم اليه وعمل بطاعته * قال بشر قال يزيد وحدثنيه يونس عن الحسن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى إلا أن تودّدوا الى الله فيما يقربكم اليه * وقال آخرون بل معنى ذلك الا أن تصلوا قرابتكم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عبدالله بن القاسم فى قوله إلا المودّة فى القربى قال أمرت أن تصل قرابتك * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال معناه قل لا أسألكم عليه أجرا يا معشر قريش إلا أن تودّونى فى قرابتى منكم وتصلوا الرحم التى بينى و بينكم وانما قلت هذا التأويل أولى بتأويل الآية لدخول فى فى قوله إلا المودّة فى القربى ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال الا أن تودّوا قرابتى أو تقربوا الى الله لم يكن لدخول فى فى الكلام فى هذا الموضع وجه معروف ولكان التنزيل إلا مودّة القربى ان عنى به الامر بمودّة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلا المودّة بالقربى أو ذا القربى ان عنى به التودّد والتقرب وفى دخول فى فى الكلام أوضح الدليل على أن معناه إلا مودّتى فى قرابتى منكم وأن الألف واللام فى المودّة أدخلتا بدلا من الاضافة كما قيل فان الجنة هى المأوى وقوله إلا فى هذا الموضع استثناء منقطع ومعنى الكلام قل لا أسألكم عليه أجرا لكنى أسألكم المودّة فى القربى فالمودّة منصوبة على المعنى الذى ذكرت وقد كان بعض نحويى البصرة يقول هى منصوبة بمضمر من الفعل بمعنى إلا أن أذكر مودّة قرابتى وقوله ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا يقول تعالى ذكره ومن يعمل حسنة وذلك أن يعمل عملا يطيع الله فيه من المؤمنين نزد له فيها حسنا يقول نضاعف عمله ذلك الحسن فنجعل له مكان الواحد عشرا الى ما شئنا من الجزاء والثواب * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله عز وجل ومن يقترف حسنة قال يعمل حسنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال من يعمل خيرا نزد له الاقتراف العمل وقوله ان الله غفور شكور يقول ان الله غفور لذنوب عباده شكور لحسناتهم وطاعتهم اياه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

فيؤس قنوط ثم قال (فذو دعاء عريض) قلنا أراد أنه يؤس بالقلب دعاء باللسان أو قنوط من الصنم دعاء لله أو الأول فى قوم والثانى فى آخرين ولماذا كرمرات فى السورة مبالغة الكفار فى العداوة والنفرة من اتباع الرسول والقرآن أرشدهم الى طريق أحوط مما هم فيه فقال (قل أرأيتم) الآية وتقريره أنكم كما سمعتم القرآن أعرضتم عنه ثم كفرتم به حتى قلتم قلوبنا فى أكنة لا تسمعوا لهذا القرآن ومن المعلوم أن هذا ليس ببديهى فقبل الدليل يحتمل أن يكون صحيحا وحينئذ يلزم أن يكون بعدم قبوله العقاب الابدى وقوله (ممن هو فى شقاق بعيد) من وضع الظاهر مقام المضمر وهو منكم بيانا لبعد شوطهم فى الشقاق والخلاف قاله فى الكشاف وأقول جواب الشرط بالحقيقة محذوف وهو قوله مثلا فمن أضل منكم وانما قال فى الأحقاف وكفرتم بالواو لان معناه فى السورة كان عاقبة أمركم بعد الامهال للنظر الكفر فحسن دخول ثم مع أنها تفيد التراخى فى الرتبة وهناك عطف عليه قوله وشهد شاهد فلم يحسن الا الواو ثم بين أن الاسلام يعلو ولا يعلى وأن الغلبة والنصرة تكون لذويه فقال (سنريهم آياتنا فى الآفاق) وهى الفتوح الواقعة على ايدى الخلفاء الراشدين والتى ستقع على أيدى أنصار دينه الى يوم القيامة (وفى أنفسهم) وهى فتح مكة وسائر الفتوح التى وجدت فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم (حتى يتبين لهم أنه) أى محمدا أو القرآن أو الدين (الحق) ووجه التبين أن هذا اخبار

سعيد عن قتادة ان الله غفور للذنوب شكور للحسنات يضاعفها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الله غفور شكور قال غفر لهم الذنوب وشكر لهم نعماهو أعطاهم اياها وجعلها فيهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك و يمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور﴾ يقول تعالى ذكره أم يقول هؤلاء المشركون بالله افترى محمد على الله كذبا فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلاقا من قبل نفسه وقوله فان يشأ الله يا محمد يطبع على قلبك فتنس هذا القرآن الذي أنزل اليك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك فينسيك القرآن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله فان يشأ الله يختم على قلبك قال ان يشأ أنساك ما قد أتاك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى في قول الله عز وجل فان يشأ الله يختم على قلبك قال يطبع وقوله و يمح الله الباطل يقول و يذهب الله بالباطل فيمحقه و يحق الحق بكلماته التي أنزلها اليك يا محمد فيثبته وقوله و يمح الله الباطل في موضع رفع بالابتداء ولكنه حذفت منه الواو في المصحف كما حذفت من قوله سندع الزبانية ومن قوله و يدع الانسان بالشر وليس بجزم على العطف على يختم وقوله انه عليم بذات الصدور يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما في صدور خلقه وما تنطوي عليه ضمائرهم لا يخفى عليه من أمورهم شئ يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم لو حدثت نفسك أن تفترى على الله كذبا لطبعت على قلبك وأذهبت الذي آتيتك من وحيى لاني أمحو الباطل فأذهبه وأحق الحق وانما هذا اخبار من الله الكافرين به الزاعمين أن محمدا افترى هذا القرآن من قبل نفسه فأخبرهم أنه ان فعل لفعل به ما أخبر به في هذه الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعفوا عن السيئات و يعلم ما تفعلون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذي يقبل مراجعة العبد اذا راجع توحيد الله وطاعته من بعد كفره و يعفو عن السيئات يقول و يعفو له أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال وهى معاصيه التي تاب منها و يعلم ما تفعلون اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة يفعلون بالياء بمعنى و يعلم ما يفعل عباده وقرأته عامة قراء الكوفة تفعلون بالتاء على وجه الخطاب * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الياء أعجب الى لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر وذلك قوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعني جل ثناؤه بقوله و يعلم ما يفعلون و يعلم ربكم أيها الناس ما تفعلون من خير وشر لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو مجازيكم على كل ذلك جزاءه فاتقوا الله في أنفسكم واحذروا أن تركبوا ما تستحقون به منه العقوبة حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعي عن همام بن الحرث قال أتينا عبد الله نسأله عن هذه الآية وهو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات و يعلم ما تفعلون قال فوجدنا عنده أناسا أو رجالا يسألونه عن رجل أصاب من امرأة حراما ثم تزوجها فتلا هذه الآية وهو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات و يعلم ما تفعلون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿و يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات و يزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد﴾ يقول تعالى ذكره و يجيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم عنه لبعضهم دعاء بعض * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

عن الغيب فاذا وقع مطابقا دل على صدق المخبر بل اعجازه وواحد الآفاق أفق وهو الناحية من نواحي الارض والسماء وعند المحققين الآيات الآفاقية هي الخارجة عن حقيقة الانسان و بدنه كالأفلاك والكواكب والظلم والانوار والعناصر والمواليد سواه ولا ريب أن العجائب المودعة في هذه الأشياء مما لا نهاية لها وانما يوقف عليها حينا بعد حين وقد أكثر الله تعالى من تقرير تلك الدلائل في القرآن بعضها في السور المكيات وكثير منها في المدنيات والآيات النفسية هي التي أودعها في تركيب الانسان وفي ربط روحه العلوى ببدنه السفلى كقوله وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي قوله سنريهم دلالة على أن رؤية الأدلة انما تكون باراءة الله قال جار الله معنى قوله (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) هو أن هذه الآيات الموعودة تكفيهم دلالة على أن القرآن منزل من عالم الغيب المطلع على كل شئ وقال حكماء الاسلام أراد بقوله أولم يكف توبيخ من ليس له رتبة الاستدلال بنفس الوجود على واجب الوجود فان هذا هو طريقة الصديقين وأما غيرهم فانهم يستدلون بالممكن على الواجب فيفتقرون الى النظر في الآفاق وقال أهل المعرفة النظر في الآفاق لأجل العوام والانفس للخواص وقوله أولم يكف لخواص الخواص وقيل أولم يكف الانسان من الزاجر والرادع عن المعاصي كون الله شهيدا عليهم وقيل أراد أنه لا يخلف ما وعد لاطلاعه على الاشياء كلها ثم ختم السورة

ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام قال ثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة
عن سلمة بن سبرة قال خطبنا معاذ فقال أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة والله انى لأرجو أن من
تصيبون من فارس والروم يدخلون الجنة ذلك بأن أحدهم اذا عمل لأحدكم العمل قال أحسنت
رحمك الله أحسنت غفر الله لك ثم قرأ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من
فضله وقوله ويزيدهم من فضله يقول تعالى ذكره ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع اجابته
اياهم دعاءهم واعطائه اياهم مسئلتهم من فضله على مسئلتهم اياه بأن يعطيهم مالم يسألوه وقيل ان
ذلك الفضل الذى ضمن جل ثناؤه أن يزيدهموه هو أن يشفعهم فى اخوان اخوانهم اذا هم شفعوا
فى اخوانهم فشفعوا فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابى قال ثنا عمرو
ابن أبى سلمة عن سعيد بن بشير عن قتادة عن ابراهيم النخعى فى قول الله عز وجل ويستجيب
الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال يشفعون فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال يشفعون فى اخوان
اخوانهم وقوله والكافرون لهم عذاب شديد يقول جل ثناؤه والكافرون بالله لهم يوم القيامة عذاب
شديد على كفرهم به واختلف أهل العربية فى معنى قوله ويستجيب الذين آمنوا فقال بعضهم
أى استجاب فجعلهم هم الفاعلين فالذين فى قوله رفع والفعل لهم وتأويل الكلام على هذا المذهب
واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم الى الايمان به والعمل بطاعته اذ دعاهم الى ذلك
* وقال آخر منهم بل معنى ذلك ويجيب الذين آمنوا وهذا القول يحتمل وجهين أحدهما الرفع
بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا والآخر ما قاله صاحب القول الذى ذكرنا وقال بعض نحويى
الكوفة ويستجيب الذين آمنوا يكون الذين فى موضع نصب بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا وقد
جاء فى التنزيل فاستجاب لهم ربهم والمعنى فأجاب لهم ربهم الا أنك اذا قلت استجاب أدخلت
اللام فى المفعول واذا قلت أجاب حذفت اللام ويكون استجابهم بمعنى استجاب لهم كما قال
جل ثناؤه واذا كالوهم أو وزنوهم والمعنى والله أعلم واذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون قال ويكون
الذين فى موضع رفع ان يجعل الفعل لهم أى الذين آمنوا يستجيبون لله ويزيدهم على اجابتهم
والتصديق به من فضله وقد بينا الصواب فى ذلك من القول على ما تأوله معاذ ومن ذكرنا قوله
فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل
بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من
المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى فقال جل ثناؤه ولو بسط الله الرزق لعباده فوسعه وكثره عندهم
لبغوا فتجاوزوا الحد الذى حده الله لهم الى غير الذى حده لهم فى بلاده بركوبهم فى الارض ما حظره
عليهم ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذى يشاء منه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو هانئ سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون انما أنزلت هذه الآية
فى أصحاب الصفة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ذلك بأنهم
قالوا لو أن لنا فتمنوا حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو عبد الرحمن المقرى قال ثنا
حيوة قال أخبرنى أبو هانئ أنه سمع عمرو بن حريث يقول انما نزلت هذه الآية ثم ذكر مثله
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى
الأرض الآية قال كان يقال خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه
وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتى زهرة الدنيا وكثرتها فقال له قائل يا نبى الله هل يأتى الخير بالشر
فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل يأتى الخير بالشر فأنزل الله عليه عند ذلك وكان اذا نزل عليه كرب

بتوبيخ الشاكين فى أمر البعث وبالنعى عليهم وأوعدهم بأنه عالم بكل شئ فيجازى كلا على حسب ما يستحقه والله أعلم

﴿سورة حم عسق وهى مكية الا أربع آيات قل لا أسألكم عليه أجرا الى آخرهن حروفها ثلاثة آلاف وثمانية وثمانون كلمها ثمانمائة وست وستون آياتها ثلاث وخمسون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا

لذلك وتربد وجهه حتى اذا سرّى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال هل يأتى الخير بالشر يقولها
ثلاثا ان الخير لا يأتى الا بالخير يقولها ثلاثا وكان صلى الله عليه وسلم وتر الكلام ولكنه والله
ما كان ربيع قط الا أحبط أو ألم فأما عبد أعطاه الله مالا فوضعه فى سبيل الله التى افترض
وارتضى فذلك عبد أريد به خير وعزم له على الخير وأما عبد أعطاه الله مالا فوضعه فى شهواته
ولذاته وعدل عن حق الله عليه فذلك عبد أريد به شر وعزم له على شر وقوله انه بعباده خبير بصير
يقول تعالى ذكره ان الله بما يصلح عباده و يفسدهم من غنى وفقر وسعة واقتار وغير ذلك من
مصالحهم ومضارهم ذو خبرة وعلم بصير بتدبيرهم وصرفهم فيما فيه صلاحهم ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا و ينشر رحمته وهو الولىّ الحميد﴾ يقول
تعالى ذكره والله الذى ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس من بعد ما قنطوا يقول من بعد
ما يئس من نزوله ومجيئه و ينشر رحمته يقول و ينشر فى خلقه رحمته و يعنى بالرحمة الغيث الذى
ينزله من السماء * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه
أجدبت الأرض وقنط الناس قال مطروا اذا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد قوله من بعد ما قنطوا قال يئسوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين قحط المطر
وقنط الناس قال مطرتم وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا و ينشر رحمته وقوله وهو الولىّ
الحميد يقول وهو الذى يليكم باحسانه وفضله الحميد بأياديه عندكم ونعمه عليكم فى خلقه ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم
اذا يشاء قدير﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على احيائكم بعد فنائكم
و بعثكم من قبوركم من بعد بلائكم خلقه السموات والارض وما بث فيهما من دابة يعنى وما فرق
فى السموات والأرض من دابة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله
وما بث فيهما من دابة قال الناس والملائكة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يقول وهو على جمع
ما بث فيهما من دابة اذا شاء جمعه ذو قدرة لا يتعذر عليه كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه يقول تعالى
ذكره فكذلك هو القادر على جمع خلقه لحشر يوم القيامة بعد تفرق أوصالهم فى القبور ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير وما أنتم بمعجزين
فى الارض وما لكم من دون الله من ولىّ ولا نصير﴾ يقول تعالى ذكره وما يصيبكم أيها الناس من
مصيبة فى الدنيا فى أنفسكم وأهليكم وأموالكم فبما كسبت أيديكم يقول فانما يصيبكم ذلك عقوبة
من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم و بين ربكم و يعفو لكم ربكم عن كثير من أجرامكم فلا
يعاقبكم بها و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب
ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب قال قرأت فى كتاب أبى قلابة قال نزلت فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وأبو بكر رضى الله عنه يأكل فأمسك فقال
يا رسول الله انى لراء ما عملت من خير أو شر فقال أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر
وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة قال قال أبو ادريس فأرى مصداقها فى كتاب الله

والذى أوحينا اليك وما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه
من يشاء ويهدى اليه من ينيب
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من
ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم
وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم
لفى شك منه مريب فلذلك فادع
واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم
وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب
وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا
وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم
لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا
واليه المصير والذين يحاجون فى الله
من بعد ما استجيب له حجتهم
داحضة عند ربهم وعليهم غضب
ولهم عذاب شديد الله الذى أنزل
الكتاب بالحق والميزان وما يدريك
لعل الساعة قريب يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا
مشفقون منها ويعلمون أنها الحق
ألا ان الذين يمارون فى الساعة
لفى ضلال بعيد الله لطيف بعباده
يرزق من يشاء وهو القوىّ العزيز
من كان يريد حرث الآخرة نزد له
فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل
لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب
أليم ترى الظالمين مشفقين مما
كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا
وعملوا الصالحات فى روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك
هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله
عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات

قال وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير * قال أبو جعفر حدث هذا الحديث الهيثم بن الربيع فقال فيه أيوب عن أبي قلابة عن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وهو غلط والصواب عن أبي ادريس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو عنه أكثر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت الآية قال يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ولا يؤاخذون بها في الآخرة * وقال آخرون بل عنى بذلك وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحد حددتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم يقول فبما عملتم من معصية الله ويعفو عن كثير فلا يوجب عليكم فيها حدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن وما أصابكم من مصيبة الآية قال هذا في الحدود وقال قتادة بلغنا أنه ما من رجل يصيبه عثرة قدم ولا خدش عود أو كذا وكذا الا بذنب أو يعفو وما يعفو أكثر وقوله وما أنتم بمعجزين في الأرض يقول وما أنتم أيها الناس بمفيتي ربكم بأنفسكم اذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أذنبتموها ومعصيتكم اياه التي ركبتموها هاربا في الأرض فمعجزيه حتى لا يقدر عليكم ولكنكم حيث كنتم في سلطانه وقبضته جارية فيكم مشيئته وما لكم من دون الله من ولي يليكم بالدفاع عنكم اذا أراد عقوبتكم على معصيتكم اياه ولا نصير يقول ولا لكم من دونه نصير ينصركم اذا هو عاقبكم فينتصر لكم منه فاحذروا أيها الناس معاصيه واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم فانه لا دافع لعقوبته عمن أحلها به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء وأنه لا يتعذر عليه فعل شيء أراده السفن الجارية في البحر والجواري جمع جارية وهي السائرة في البحر كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الجوارى في البحر قال السفن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ومن آياته الجوارى في البحر قال الجوارى السفن وقوله كالأعلام يعني كالجبال واحدها علم ومنه قول الشاعر

* كأنه علم في رأسه نار * يعني جبل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كالأعلام قال كالجبال حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال الأعلام الجبال وقوله ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره يقول تعالى ذكره ان يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجرى فيه أسكن الريح التي تجرى بها فيه فثبتن في موضع واحد ووقفن على ظهر الماء لا تجرى فتتقدم ولا تتأخر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن آياته الجوارى في البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره سفن هذا البحر تجرى بالريح فاذا أمسكت عنها الريح ركدت قال الله عز وجل ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور حدثنا محمد قال ثنا أحمد

قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور﴾ ۞ القراآت يوحى على البناء للمفعول ابن كثير وعباس يكاد بالياء التحتانية نافع وعلي تنفطرن بالنون أبو عمرو وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد والمفضل ابراهام كنظائره يبشر الله مخففا من البشارة ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعلي ۞ الوقوف حم عسق كوفي من قبلك ط لمن قرأ يوحى مجهولا كأنه قيل من الموحى فقال الله أي هو الله الحكيم ٥ في الأرض ط العظيم ٥ لمن في الأرض ط الرحيم ٥ عليهم ز والوصل أوجه لأن نفي ما بعده تقرير لاثبات ما قبله بوكيل ٥ لا ريب فيه ط السعير ٥ رحمته ط نصير ٥ أولياء ج للفصل بين الاستخبار والاخبار مع دخول الفاء الموتى ط فصلا بين المقدور المخصوص وبين القدرة على العموم مع اتفاق الجملتين قدير ٥ الى الله ط أنيب ٥ والأرض ط ازواجا الثاني ط لان ضمير فيه يحتمل أن يعود الى الازدواج الذي في مدلول الأزواج أو الى التدبير وان لم يسبق ذكره فيه ط شيء ج لعطف الجملتين المختلفتين البصير ٥ والأرض ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال والعامل معنى الفعل في له أو في الملك ويقدر ط عليم ٥ فيه ط اليه ط ينيب ٥ بينهم ط كذلك ما بعده ط مريب ٥ فادع ج كما أمرت ج أهواءهم ج كتاب ج كل ذلك للترتيل في القراءة وان اتفقت الجملتان بينكم ط وربكم ط أعمالكم ط وبينكم ط بيننا ج

قال ثنا أسباط عن السدى إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره لا تجرى حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فيظللن رواكد على ظهره يقول وقوفا وقوله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول ان فى جرى هذه الجوارى فى البحر بقدرة الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قدرة الله على ما يشاء لكل ذى صبر على طاعة الله شكور لنعمه وأياديه عنده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره أو يوبق هذه الجوارى فى البحر بما كسبت ركبانها من الذنوب واجترموا من الآثام وجزم يوبقهن عطفا على يسكن الريح ومعنى الكلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره أو يوبقهن ويعنى بقوله أو يوبقهن أو يهلكهن بالغرق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو يوبقهن يقول يهلكهن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أو يوبقهن أو يهلكهن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أو يوبقهن قال يغرقهن بما كسبوا * وبنحو الذى قلنا فى قوله بما كسبوا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يوبقهن بما كسبوا أى بذنوب أهلها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أو يوبقهن بما كسبوا قال بذنوب أهلها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يوبقهن بما كسبوا قال يوبقهن بما كسبت أصحابهن وقوله ويعف عن كثير يقول ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها وقوله ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا يقول جل ثناؤه ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من المشركين فى آياته وعبره وأدلته على توحيده واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة ويعلم الذين رفعا على الاستئناف كما قال فى سورة براءة ويتوب الله على من يشاء وقرأته قراء الكوفة والبصرة ويعلم الذين نصبا كما قال فى سورة آل عمران ويعلم الصابرين على الصرف وكما قال النابغة

فان يهلك أبو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام

ونمسك بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله مالهم من محيص يقول تعالى ذكره مالهم من محيد من عقاب الله اذا عاقبهم على ذنوبهم وكفرهم به ولا لهم منه ملجأ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله مالهم من محيص مالهم من ملجا وقوله فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره فما أعطيتم أيها الناس من شئ من رياش الدنيا من المال والبنين فمتاع الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره فهو متاع لكم تتمتعون به فى الحياة الدنيا وليس من دار الآخرة ولا مما ينفعكم فى معادكم وما عند الله خير وأبقى يقول تعالى ذكره والذى عند الله لأهل طاعته والايمان به فى الآخرة خير مما أوتيتموه فى الدنيا من متاعها وأبقى لأن ما أوتيتم فى الدنيا فان نافد وما عند الله من النعيم فى جنانه لأهل طاعته باق غير

المصير ٥ شديد ٥ والميزان ط قريب ٥ بهاج لعطف الجملتين المختلفتين منهاج للعطف أو الحال الحق ط بعيد ٥ من يشاء ج لاحتمال عطف وهو على جملة قوله الله لطيف وهما متفقتان العزيز ٥ فى حرثه ج لعطف جملتى الشرط نصيب ٥ به الله ط بينهم ط أليم ٥ بهم ط الجنات ط لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال ربهم ط الكبير ٥ الصالحات ط فى القربى ط حسنا ط شكور ٥ ۞ التفسير الكلام فى حم كما سبق وأما عسق فقد قيل انه مع حم اسم للسورة وقيل رموز الى فتن كان على يعرفها وقيل الحاء حكم الله والميم ملكه والعين علمه والسين سناؤه والقاف قدرته وقيل الحاء حرب على ومعاوية والميم ولاية المروانية والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفيانية والقاف قدرة المهدى وهذه الأقاويل مما لا معول عليها وقال أهل التصوف حاء حبه وميم محبوبية محمد وعين عشقه وقاف قربه الى سيده أقسم أنه يوحى اليه والى سائر الأنبياء من قبله أنه محبوبه فى الأزل وبتبعيته خلق الكائنات والأولى تفويض علمها الى الله كسائر الفواتح وانما فصل حم من عسق حتى عدا آيتين خلاف كهيعص لتقدم حم قبله واستقلالها بنفسها ولأن جميعها ذكر الكتاب بعدها صريحا الا هذه فانها دلت عليه دلالة التضمن بذكر الوحى الذى يرجع الى الكتاب روى عن ابن عباس أنه لا نبى صاحب كتاب الا أوحى الله اليه حم عسق والله أعلم بصحة هذه الرواية والأظهر أن يقال

نافد للذين آمنوا يقول وماعندالله للذين آمنوا به وعليه يتوكلون فى أمورهم واليه يقومون فى أسبابهم وبه يثقون خيرٌ وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ يقول تعالى ذكره وماعندالله للذين آمنوا والذين يجتنبون كبائر الاثم وكبائر فواحش الاثم قد بينا اختلاف أهل التأويل فيها وبينا الصواب من القول عندنا فيها فى سورة النساء فأغنى ذلك عن اعادته ههنا والفواحش قيل انها الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى والفواحش قال الفواحش الزنا * واختلفت القراء فى قراءة قوله كبائر الاثم فقرأته عامة قراء المدينة على الجماع كذلك فى النجم وقرأته عامة قراء الكوفة كبير الاثم على التوحيد فيهما جميعا وكأن من قرأ ذلك كذلك عنى بكبير الاثم الشرك كما كان الفراء يقول كأنى أستحب لمن قرأ كبائر الاثم أن يخفض الفواحش لتكون الكبائر مضافة الى مجموع اذ كانت جمعا وقال ماسمعت أحدا من القراء خفض الفواحش والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء على تقارب معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله واذا ماغضبوا هم يغفرون يقول تعالى ذكره واذا ماغضبوا على من اجترم اليهم جرما هم يغفرون لمن أجرم اليهم الجرم ذنبه و يصفحون عنه عفو بة ذنبه وقوله والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة يقول تعالى ذكره والذين أجابوا لربهم حين دعاهم الى توحيده والاقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها فى أوقاتها وأمرهم شورى بينهم يقول واذا حزبهم أمر تشاوروا بينهم ومما رزقناهم ينفقون يقول ومن الأموال التى رزقناهم ينفقون فى سبيل الله و يؤدون مافرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليه نفقته وكان ابن زيد يقول عنى بقوله والذين استجابوا لربهم الآية الأنصار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون قال فبدأ بهم والذين استجابوا لربهم الانصار وأقاموا الصلاة وليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم شورى بينهم ليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله انه لايحب الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره والذين اذا بغى عليهم باغ واعتدى عليهم هم ينتصرون ثم اختلف أهل التأويل فى الباغى الذى حمد تعالى ذكره المنتصر منه بعد بغيه عليه فقال بعضهم هو المشرك اذا بغى على المسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنى ابن وهب قال قال ابن زيد ذكر المهاجرين صنفين صنفا عفا وصنفا انتصر وقرأ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون قال فبدأ بهم والذين استجابوا لربهم الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وهم الانصار ثم ذكر الصنف الثالث فقال والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون من المشركين * وقال آخرون بل هو كل باغ بغى فحمد المنتصر منه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدّى فى قوله والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون قال ينتصرون ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا وهذا القول الثانى أولى فى ذلك بالصواب لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى بل حمد كل منتصر بحق ممن بغى عليه فان قال قائل وما فى الانتصار من المدح قيل ان فى اقامة الظالم على سبيل الحق وعقوبته بما هو له أهل تقويم له

مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحى الله اليك والى الأنبياء قبلك والمراد المماثلة فى أصول الدين كالتوحيد والعدل والنبوة والمعاد وتقبيح أحوال الدنيا والترغيب فى الآخرة كقوله ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى وفى ورود لفظ يوحى مستقبلا لاماضيا اشارة الى أن ايحاء مثله عادته ثم بين سعة ملكه وأخبر عن غاية جلاله بقوله (له مافى السموات) الخ ثم أخبر عن فظاعة ماارتكبه أهل الشرك فقال (تكاد السموات يتفطرن) وقد سبق فى آخر سورة مريم ومعنى (من فوقهن) أن الانفطار يبتدئ من أعلى السموات أو مافوقها من العرش والكرسى الى أن ينتهى الى السفلى وفى الابتداء من جهة الفوق زيادة تفظيع وتهويل قال جارالله كأنه قيل يتفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل معناه من الجهة التى حصلت هذه السموات فيها وفيه ضعف لانه كقول القائل السماء فوقنا وقيل الضمير للارض وقد تقدم ذكرها أى من فوق الأرضين وروى عكرمة عن ابن عباس يتفطرن من ثقل الرحمن فان صحت الرواية كان فى الظاهر دليل المجسمة ولأهل السنة أن يتأولوا الثقل بالهيبة والجلال أو يقدروا مضافا محذوفا أى من ثقل ملائكة الرحمن كقوله صلى الله عليه وسلم أطت السماء أطا وحق لها أن تئط مافيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد ثم انتقل من وصف الجسمانيات الى ذكر الروحانيات وأنهم بالوجه الذى لهم الى عالم الأرواح يسبحون

وفى ذلك أعظم المدح وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقد بينا فيما مضى معنى ذلك وأن معناه وجزاء سيئة المسىء عقوبته بما أوجبه الله عليه فهى وان كانت عقوبة من الله أوجبها عليه فهى مساءة له والسيئة انما هى الفعلة من السوء وذلك نظير قول الله عز وجل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقد قيل ان معنى ذلك أن يجاب القائل الكلمة القزعة بمثلها ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال قال لى أبو بشر سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قال يقول أخزاه الله فيقول أخزاه الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قال اذا شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها من غير أن تعتدى وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون من المشركين وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح الآية ليس أمركم أن تعفوا عنهم لانه أحبهم ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ثم نسخ هذا كله وأمره بالجهاد فعلى قول ابن زيد هذا تأويل الكلام وجزاء سيئة من المشركين اليكم سيئة مثلها منكم اليهم وان عفوتم وأصلحتم فى العفو فأجركم فى عفوكم عنهم الى الله انه لا يحب الكافرين وهذا على قوله كقول الله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله وللذى قال من ذلك وجه غير أن الصواب عندنا أن تحمل الآية على الظاهر ما لم ينقله الى الباطن ما يجب التسليم له وأن لا يحكم لحكم فى آية بالنسخ الا بخبر يقطع العذر أو حجة يجب التسليم لها ولم تثبت حجة فى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أنه مراد به المشركون دون المسلمين ولا بأن هذه الآية منسوخة فنسلم لها بأن ذلك كذلك وقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله يقول جل ثناؤه فمن عفا عمن أساء اليه اساءته اليه فغفرها له ولم يعاقبه بها وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله فأجر عفوه ذلك على الله والله مثيبه عليه ثوابه انه لا يحب الظالمين يقول ان الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدون على الناس فيسيئون اليهم بغير ما أذن الله لهم فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه اياه فأولئك ما عليهم من سبيل يقول فأولئك المنتصرون منهم لا سبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى لانهم انتصروا منهم بحق ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه ولم يتعد لم يظلم فيكون عليه سبيل وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك فقال بعضهم عنى به كل منتصر ممن أساء اليه مسلما كان المسىء أو كافرا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا معاذ قال ثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار ولمن انتصر بعد ظلمه الآية فحدثنى على ابن زيد بن جدعان عن أم محمد امرأة أبيه قال ابن عون زعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين قالت قالت أم المؤمنين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش فجعل يصنع بيده شيأ ولم يفطن لها فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك وأقبلت زينب تقحم لعائشة فنهاها فأبت أن تنتهى فقال لعائشة سبيها فسبتها وغلبتها وانطلقت زينب فأتت عليا فقالت ان عائشة تقع بكم وتفعل بكم فجاءت فاطمة فقال لها انها حبة أبيك ورب الكعبة فانصرفت وقالت لعلى انى قلت له كذا وكذا فقال كذا وكذا قال وجاء على الى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فى ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولمن انتصر بعد ظلمه الآية قال هذا فى الخمش يكون بين الناس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله

ولمن

وبالوجه الذى لهم الى عالم الأجسام يستغفرون فقال (والملائكة) قيل هو عام وقيل حملة العرش كما مر فى أول سورة المؤمن الا أنه عمم ههنا فقال (لمن فى الأرض) أى يطلبون أن لا يعاجل الله أهل الأرض بالعذاب طمعا فى توبة الكفار والفساق منهم وقيل هو مخصوص بما مر أى يستغفرون للمؤمنين منهم ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن المشركين انما يحاسبهم الله وما عليك الا البلاغ قوله (وكذلك أوحينا) قال ابن بحر هو الكلام الأول أعيد لما اعترض بين الكلامين ما اعترض وقال جار الله الكاف مفعول به لأوحينا وذلك اشارة الى المذكور قبله من أن الله هو عليهم الرقيب وما أنت عليهم برقيب وقد كرر الله هذا المعنى فى كتابه فى مواضع و(قرآنا عربيا) حال والمعنى مثل ذلك المذكور أوحينا اليك وهو قرآن عربى بين لا لبس فيه ليفهم معناه ولا يتجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى الايحاء أى كما أوحينا الى الرسل قبلك أوحينا اليك فيجوز أن تكون المماثلة بالحروف المفردة وأن تكون بأصول الدين كما مر قال أهل اللغة يقال أنذرته كذا وبكذا فمن الاستعمال الثانى قوله (لتنذر أم القرى) أى أهل مكة على حذف المضاف والمفعول الثانى وهو القرآن محذوف ومن الاستعمال الاول قوله (وتنذر يوم الجمع) والمفعول الاول محذوف وتنذر الناس يوما تجمع فيه الخلائق أو يجمع فيه بين الارواح والاجساد أو بين كل عامل وعمله قلت ومن الجائز أن يكون الكل من الاستعمال

ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل قال هذا فيما يكون بين الناس من القصاص فأما لو ظلمك رجل لم يحل لك أن تظلمه * وقال آخرون بل عنى به الانتصار من أهل الشرك وقال هذا منسوخ ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل قال لمن انتصر بعد ظلمه من المؤمنين انتصر من المشركين وهذا قد نسخ وليس هذا فى أهل الاسلام ولكن فى أهل الاسلام الذى قال الله تبارك وتعالى ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولىّ حميم * والصواب من القول أن يقال انه معنىّ به كل منتصر من ظالمه وأن الآية محكمة غير منسوخة للعلة التى بينت فى الآية قبلها وقوله انما السبيل على الذين يظلمون الناس يقول تبارك وتعالى انما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدّون على الناس ظلما وعدوانا بأن يعاقبوهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه فأخذ منه حقه وقوله و يبغون فى الارض بغير الحق يقول و يتجاوزون فى أرض الله الحدّ الذى أباح لهم ربهم الى مالم يأذن لهم فيه فيفسدون فيها بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم يقول فهؤلاء الذين يظلمون الناس و يبغون فى الارض بغير الحق لهم عذاب من الله يوم القيامة فى جهنم مؤلم موجع

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله فماله من ولىّ من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مردّ من سبيل﴾ يقول تعالى ذكره ولمن صبر على اساءة من أساء اليه وغفر للمسىء اليه جرمه اليه فلم ينتصر منه وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله و جزيل ثوابه ان ذلك لمن عزم الامور يقول ان صبره ذلك وغفرانه ذنب المسىء اليه لمن عزم الامور التى ندب اليها عباده وعزم عليهم العمل به ومن يضلل الله فماله من ولىّ من بعده يقول ومن خذله الله عن الرشاد فليس له من ولىّ يليه فيهديه لسبيل الصواب و يسدده من بعد اضلال الله اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وترى الكافرين بالله يامحمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم هل لنا يارب الى مردّ من سبيل وذلك كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا الآية استعتب المساكين فى غير حين الاستعتاب * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله هل الى مردّ من سبيل يقول الى الدنيا واختلف أهل العربية فى وجه دخول ان فى قوله ان ذلك لمن عزم الامور مع دخول اللام فى قوله ولمن صبر وغفر فكان نحوىّ أهل البصرة يقول فى ذلك أما اللام التى فى قوله ولمن صبر وغفر فلام الابتداء وأما ان ذلك فمعناه والله أعلم ان ذلك منه من عزم الامور وقال قد تقول مررت بالدار الذراع بدرهم أى الذراع منها بدرهم ومررت ببر قفيز بدرهم أى قفيز منه بدرهم قال وأما ابتداء ان فى هذا الموضع فمثل قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم يجوز ابتداء الكلام وهذا اذا طال الكلام فى هذا الموضع وكان بعضهم يستخطئ هذا القول و يقول ان العرب اذا أدخلت اللام فى أوائل الجزاء أجابته بجوابات الأيمان بما ولا وإن واللام قال وهذا من ذاك كما قال لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ثم لاينصرون فجاء بلا و باللام جوابا للام الاولى قال ولو قال لئن قمت انى لقائم لجاز ولا حاجة به الى العائد لان الجواب فى اليمين قد يكون فيه العائد وقد لايكون ألا ترى أنك تقول لئن قمت لأقومنّ ولا أقوم وانى لقائم فلا تأتى بعائد قال وأما قولهم مررت بدار الذراع بدرهم و ببر قفيز بدرهم فلابدّ من أن يتصل بالاول بالعائد وانما يحذف العائد فيه لان الثانى تبعيض للاول مررت

الاول ولا حذف الا أن قوله وتنذر يكون مكررا للمبالغة والتقدير الاصلى لتنذر أم القرى يوم الجمع وقدمر فى القصص فى قوله حتى يبعث فى أمها أن مكة لم سميت أم القرى وقوله (ومن حولها) يحتمل عموم أطراف الارض لأن مكة فى وسطها و يحتمل أن يكون المراد به سائر جزيرة العرب و يدخل باقى الامم بالتبعية أو بنص آخر كقوله وما أرسلناك الا كافة للناس وقوله (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له أو صفة للجمع بناء على أن التعريف الجنسى قريب من النكرة وقوله (فريق) مبتدأ محذوف الخبر أى منهم فريق كذا ومنهم فريق كذا أى هذا مآل حالهم بعد الحشر والاجتماع ثم بين بقوله (ولو شاء الله) الخ أن السعادة والشقاوة والهداية والضلالة متعلق بمشيئته وارادته وهذا على مذهب أهل السنة ظاهر وتأوله المعتزلة بمشيئة القسر والالجاء وقدمر نظائره مرارا والظاهر أن المراد بكونهم أمة واحدة أن يكونوا مسلمين كلهم وقيل أن يكونوا أهل ضلالة قياسا على قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ثم أنكر على أهل الشرك بأم المنقطعة قائلا (أم اتخذوا من دونه أولياء) ان أرادوا أولياء بحق (فالله هو الولىّ) الذى يجب أن يعتقد أنه المولى والسيد لا ولى سواه ومن شأنه أنه (يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) وهو الحقيق بأن يتخذ وليا وحين منع الرسول صلى الله عليه وسلم من التحزن على من كفر أراد أن يمنع المؤمنين من الاختلاف والتنازع فقال (وما اختلفتم) والتقدير قل يامحمد كذا

بير بعضه بدرهم و بعضه بدرهم فلما كان المعنى التبعيض حذف العائد قال وأما ابتداء ان فى كل موضع اذا طال الكلام فلا يجوز أن تبتدئ الا بمعنى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه جواب للجزاء كأنه قال مافررتم منه من الموت فهو ملاقيكم وهذا القول الثانى عندى أولى فى ذلك بالصواب للعلل التى ذكرناها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم ﴾ يقول تعالى ذكره وترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار خاشعين من الذل يقول خاضعين متذللين كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الخشوع الخوف والخشية لله عز وجل وقرأ قول الله عز وجل لما رأوا العذاب الى قوله خاشعين من الذل قال قد أذلهم الخوف الذى نزل بهم وخشعوا له حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله خاشعين قال خاضعين من الذل وقوله ينظرون من طرف خفى يقول ينظر هؤلاء الظالمون الى النار حين يعرضون عليها من طرف خفى واختلف أهل التأويل فى معنى قوله من طرف خفى فقال بعضهم معناه من طرف ذليل وكأن معنى الكلام من طرف قد خفى من ذله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل الى قوله من طرف خفى يعنى بالخفى الذليل حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله عز وجل من طرف خفى قال ذليل * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يسارقون النظر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ينظرون من طرف خفى قال يسارقون النظر حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى من طرف خفى قال يسارقون النظر واختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعض نحويى البصرة فى ذلك جعل الطرف العين كأنه قال ونظرهم من عين ضعيفة والله أعلم قال وقال يونس ان من طرف مثل بطرف كما تقول العرب ضربته فى السيف وضربته بالسيف * وقال آخر منهم انما قيل من طرف خفى لانه لا يفتح عينيه انما ينظر ببعضها * وقال آخرون منهم انما قيل من طرف خفى لانهم ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والصواب من القول فى ذلك القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد وهو أن معناه أنهم ينظرون الى النار من طرف ذليل وصفه الله جل ثناؤه بالخفاء للذلة التى قد ركبتهم حتى كادت أعينهم أن تغور فتذهب وقوله وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة يقول تعالى ذكره وقال الذين آمنوا بالله ورسوله ان المغبونين الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة فى الجنة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة قال غبنوا أنفسهم وأهليهم فى الجنة وقوله ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم يقول تعالى ذكره ألا ان الكافرين يوم القيامة فى عذاب لهم من الله مقيم عليهم ثابت لا يزول عنهم ولا يبيد ولا يخف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله مالكم من ملجإ يومئذ ومالكم من نكير ﴾ يقول تعالى ذكره ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على ما نالهم به من العذاب من دون الله ومن يضلل الله فماله

بدليل قوله (ذلكم الله ربى) الآية والمراد أن الذى اختلفتم أنتم والكفرة فيه من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين وقيل وما اختلفتم فيه فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من الآيات المتشابهات فارجعوا فى بيانه الى المحكمات أو الى الظاهر من السنة وقيل ما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بالتكاليف فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره قال فى الكشاف ولا يندرج فيه اختلاف المجتهدين لأن الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم قلت ان لم يجز بحضرته فانه جائز بعده وقوله وما اختلفتم شامل لجميع الامة الى يوم القيامة مثل يا أيها الناس ومثل أقيموا الصلاة والأظهر أن اختلافهم يدخل فيه وأن المراد بحكمه تعريفه من بيان الله سواء كان ذلك البيان بالنص أو بالقياس أو بالاجتهاد فان قيل المقصود من التحاكم قطع الاختلاف ولا قطع مع القياس ولا مع الاجتهاد قلنا اذا كان القياس مأمورا به وكذا الاجتهاد بل يكون كل مجتهد مصيبا كانت المخالفة فى حكم الموافقة ولهذا قال اختلاف أمتى رحمة ثم وصف نفسه بأوصاف الكمال ونعوت الجلال تأكيدا لصحة أحكامه فقال (فاطر السموات والأرض) وهو أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدإ محذوف ومعنى (ومن الانعام أزواجا) أنه خلق للانعام أيضا

من سبيل يقول ومن يخذله عن طريق الحق فماله من طريق الى الوصول اليه لان الهداية والاضلال بيده دون كل أحد سواه وقوله استجيبوا لربكم يقول تعالى ذكره للكافرين به أجيبوا ايها الناس داعى الله وآمنوا به واتبعوه على ماجاءكم به من عند ربكم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله يقول لاشئ يرد مجيئه اذا جاء الله به وذلك يوم القيامة مالكم من ملجأ يومئذ يقول جل ثناؤه مالكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه وتلجؤن اليه فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به كان فى الدنيا ومالكم من نكير يقول ولا أنتم تقدرون لما يحل بكم من عقابه يومئذ على تغييره ولا على انتصار منه اذا عاقبكم بما عاقبكم به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مالكم من ملجأ قال من محرز وقوله من نكير قال ناصر ينصركم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى مالكم من ملجأ يومئذ تلجؤن اليه ومالكم من نكير يقول من عز تعتزون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور﴾ يقول تعالى ذكره فان أعرض هؤلاء المشركون يامحمد عما أتيتهم به من الحق ودعوتهم اليه من الرشد فلم يستجيبوا لك وأبوا قبوله منك فدعهم فانا لن نرسلك اليهم رقيبا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها إن عليك إلا البلاغ يقول ماعليك يامحمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به اليهم من الرسالة فاذا بلغتهم ذلك فقد قضيت ماعليك وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها يقول تعالى ذكره فانا اذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة وذلك هو الرحمة التى ذكرها جل ثناؤه فرح بها يقول سر بما أعطيناه من الغنى ورزقناه من السعة وكثرة المال وان تصبهم سيئة يقول وان أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش بما قدمت أيديهم يقول بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته اياه جحد نعمة الله وأيس من الخير فان الانسان كفور يقول تعالى ذكره فان الانسان جحود نعم ربه يعدد المصائب ويجحد النعم وانما قال وان تصبهم سيئة فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور وقد ذكر الانسان قبل ذلك بمعنى الواحد لانه بمعنى الجمع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير﴾ يقول تعالى ذكره لله سلطان السموات السبع والأرضين يفعل فى سلطانه مايشاء ويخلق مايحب خلقه يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الاناث دون الذكور بأن يجعل كل ماحملت زوجته من حمل منه أنثى ويهب لمن يشاء الذكور يقول ويهب لمن يشاء منهم الذكور بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكرا لا أنثى فيهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو يزوجهم ذكرانا وإناثا قال يخلط بينهم يقول التزويج أن تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور قادر والله ربنا على ذلك أن يهب للرجل ذكورا ليست معهم أنثى وأن يهب للرجل ذكرانا وإناثا فيجمعهم له جميعا ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله عز وجل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ليست معهم

من أنفسها أزواجا (يذرؤكم فيه) يكثركم فى هذا التدبير وهو أن جعل للناس والانعام أزواجا حتى حصل بين الذكور والاناث التوالد والتناسل والضمير فى يذرؤكم راجع الى المخاطبين والى الانعام وهو من الاحكام ذوات العلتين وذلك أن فيه تغليبين تغليب المخاطبين على الغائبين وهم من سيوجد الى يوم القيامة وتغليب العقلاء على غيرهم وعلة الاول الخطاب وعلة الثانى العقل وانما قال يذرؤكم فيه ولم يقل به لأنه جعل التدبير منبعا ومعدنا للتكثير كقوله ولكم فى القصاص حياة أولأن حروف الجر يقام بعضها مقام البعض ومعنى (ليس كمثله شئ) نفى المثلية عنه بطريق الالتزام وذلك أنه لوكان له مثل والله تعالى شئ لكان مثل مثله شئ وهو خلاف نص الخبر الصادق وهذا المحال انما لزم من فرض وجود المثل له فوجود المثل محال وهو المطلوب ولعل هذا التقرير مختص بنا قال فى الكشاف انه من باب الكناية كقولهم مثلك لايبخل يعنون أنت لاتبخل وكذا ههنا يريد ليس كالله شئ وجوز أن يكون تكرير حرف التشبيه للتأكيد وقد يستدل بالآية على نفى الجسمية واوازمها عنه تعالى لأن الاجسام متماثلة فى حقيقة الجسمانية قوله (له مقاليد السموات والارض) أى له مفاتيح خزائنها وقد مر فى الزمر والباقى واضح وقد سبق أيضا وحين عظم وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحى اليك الى آخره ذكر تفصيل ذلك فقال (شرع لكم) أى أوجب وبين لأجلكم (من الدين ماوصى به نوحا)

إناث أو يزوجهم ذكرانا وإناثا قال يهب لهم إناثا وذكرانا ويجعل من يشاء عقيما الا يولد له حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويجعل من يشاء عقيما يقول لا يلقح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويجعل من يشاء عقيما لا يلد واحدا ولا اثنين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ليس فيهم أنثى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا تلد المرأة ذكرا مرة وأنثى مرة ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له وقال ابن زيد في معنى قوله أو يزوجهم ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا قال أو يجعل في الواحد ذكرا وأنثى توأما هذا قوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا وقوله انه عليم قدير يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما يخلق وقدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شئ من خلقه ولا يعجزه شئ أراد خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم﴾ يقول تعالى ذكره وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحيا يوحي الله اليه كيف شاء(١) أو إلهاما واما غيره أو من وراء حجاب يقول أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى نبيه صلى الله عليه وسلم أو يرسل رسولا يقول أو يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبرائيل واما غيره فيوحي باذنه ما يشاء يقول فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن ربه ما يشاء يعني ما يشاء ربه أن يوحيه اليه من أمر ونهي وغير ذلك من الرسالة والوحي * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله عز وجل وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا يوحي اليه أو من وراء حجاب موسى كلمه الله من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء قال جبرائيل يأتي بالوحي واختلفت القراء في قراءة قوله أو يرسل رسولا فيوحي فقرأته عامة قراء الامصار فيوحي بنصب الياء عطفا على يرسل ونصبوا يرسل عطفا بها على موضع الوحي ومعناه لان معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله الا أن يوحي اليه أو يرسل اليه رسولا فيوحي باذنه ما يشاء وقرأ ذلك نافع المدني فيوحي بارسال الياء بمعنى الرفع عطفا به على يرسل وبرفع يرسل على الابتداء وقوله انه علي حكيم يقول تعالى ذكره انه يعني نفسه جل ثناؤه ذو علو على كل شئ وارتفاع عليه واقتدار حكيم يقول ذو حكمة في تدبيره خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الأمور﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وكما كنا نوحي في سائر رسلنا كذلك أوحينا اليك يا محمد هذا القرآن روحا من أمرنا يقول وحيا ورحمة من أمرنا واختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع فقال بعضهم عني به الرحمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن في قوله روحا من أمرنا قال رحمة من أمرنا * وقال آخرون معناه وحيا من أمرنا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا قال وحيا من أمرنا وقد بينا معنى الروح فيما مضى بذكر اختلاف أهل التأويل فيها بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان

يقول

وهو أقدم الاديان بعد الطوفان (والذي أوحينا اليك) وهو ختمها (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) وهي الملل المعتبرة المتوسطة ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاكابر من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين) الحنيفي ومحله نصب بدلا من مفعول شرع أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين يعني اقامة أصوله من التوحيد والنبوة والمعاد ونحو ذلك دون الفروع التي تختلف بحسب الاوقات لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وفي بناء الكلام على الغيبة ثم الالتفات الى التكلم في أوحينا والخطاب في اليك تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حكى حسد أهل الشرك بقوله (كبر على المشركين) أي شق وعظم عليهم ما تدعوهم اليه من الدين المبرا من عبادة غير الله ثم أجاب عن شبهتهم بأن الاجتباء والاصطفاء يتعلق بمشيئة الله لا بتمني كل واحد ولا بكثرة المال والجاه يقال اجتباه اليه أي اصطفاه لنفسه والتركيب يدل على الجمع والضم ويحتمل أن يراد يجتبي الى الدين ثم أخبر عن وقت تفرق كلمة أهل الكتاب وعن سبب ذلك فقال (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم) ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته كقوله في آل عمران وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل وما تفرق الأمم الذين تقدم ذكرهم الا بعد العلم بصحة ما أمروا به قال أهل البرهان لما ذكر مبدأ كفرهم وهو قوله

(١) كذا في الخط ولعله إما إلقاء أو إلهاما الخ تأمل كتبه مصححه

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما كنت تدرى يا محمد أى شئ الكتاب ولا الايمان اللذين أعطيناكهما ولكن جعلناه نورا يقول ولكن جعلنا هذا القرآن وهو الكتاب نورا يعنى ضياء للناس يستضيئون بضوئه الذى بين الله فيه وهو بيانه الذى بين فيه مما لهم فيه فى العمل به الرشاد ومن النار النجاة نهدى به من نشاء من عبادنا يقول نهدى بهذا القرآن فالهاء فى قوله به من ذكر الكتاب ويعنى بقوله نهدى به من نشاء نسدد الى سبيل الصواب وذلك الايمان بالله من نشاء من عبادنا يقول نهدى به من نشاء هدايته الى الطريق المستقيم من عبادنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا يعنى بالقرآن وقال جل ثناؤه ولكن جعلناه فوحد الهاء وقد ذكر قبل الكتاب والايمان لانه قصد به الخبر عن الكتاب وقال بعضهم عنى به الايمان والكتاب ولكن وحد الهاء لان أسماء الافعال يجمع جميعها الفعل كما يقال اقبالك وادبارك يعجبنى فيوحد وهما اثنان وقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك يا محمد لتهدى الى صراط مستقيم عبادنا بالدعاء الى الله والبيان لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم قال تبارك وتعالى ولكل قوم هاد داع يدعوهم الى الله عز وجل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وانك لتهدى الى صراط مستقيم قال لكل قوم هاد حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وانك لتهدى الى صراط مستقيم يقول تدعو الى دين مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض يقول جل ثناؤه وانك لتهدى الى صراط مستقيم وهو الاسلام طريق الله الذى دعا اليه عباده الذى له ملك جميع ما فى السموات وما فى الارض لاشريك له فى ذلك والصراط الثانى ترجمة عن الصراط الاول وقوله جل ثناؤه ألا الى الله تصير الأمور يقول جل ثناؤه ألا الى الله أيها الناس تصير أموركم فى الآخرة فيقضى بينكم بالعدل فان قال قائل أوليست أمورهم فى الدنيا اليه قيل هى وان كان اليه تدبير جميع ذلك فان لهم حكاما وولاة ينظرون بينهم وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره فلذلك قيل اليه تصير الامور هنالك وان كانت الامور كلها اليه وبيده قضاؤها وتدبيرها فى كل حال

آخر تفسير سورة حم عسق

﴿ تفسير سورة الزخرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ حم والكتاب المبين اناجعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ قد بينا فيما مضى قوله حم بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله والكتاب المبين قسم من الله تعالى اقسم بهذا الكتاب الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال والكتاب المبين لمن تدبره وفكر فى عبره وعظاته هداه ورشده وأدلته على حقيته وأنه تنزيل من حكيم حميد لا اختلاق من محمد صلى الله عليه وسلم ولا افتراء من أحد إنا جعلناه قرآنا عربيا يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا

الامن بعدما جاءهم العلم حسن ذكر نهاية إمهالهم وهو قوله الى أجل مسمى ليكون محدودا من الطرفين وانما ترك ذكر النهاية فى السورة المتقدمة لعدم ذكر البداية (وان الذين أورثوا الكتاب) هم العرب ورثوا القرآن من بعدما أورث أهل الكتابين كتابهم أوهم أهل الكتاب المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل جاءهم أسباب العلم فلم ينظروا فيها لانه حكم عليهم فى آخر الآية بانهم فى شك من كتابهم وهو مع العلم غير مجتمعين (فلذلك) أى فلاجل تشعب الملل وتفرق الكلم (فادع) الى الملة الحنيفية وقيل اللام بمعنى الى والاشارة الى القرآن (واستقم) عليها كما أمرت (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة (وقل آمنت بما أنزل الله من) أى (كتاب) كان (وأمرت لأعدل بينكم) أى فى التبليغ أو اذا تحاكمتم الى حتى لا أفرق بين نفسى ونفس غيرى ثم أشار الى ماهو أصل فى الدين فقال (الله ربنا وربكم لنا) جزاء (أعمالنا ولكم) جزاء (أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم) وليس المراد منه تحريم المحاجة فانه لولا الأدلة لما توجه التكليف بل المراد أنهم بعد أن وقفوا على الحجج الباهرة والدلائل الظاهرة على حقية دين الاسلام لم يبق معهم حجة لسانية وانما بقى السيف وقيل انه منسوخ بآية القتال وقوله (الله يجمع بيننا) اشارة الى المهاجرة التى اقتضاها اصرارهم على الباطل وتفويض للامر الى المجازى المنتقم ثم أخبر عن وعيد المخاصمين فى أمر دين الله (من بعد ما استجيب له)

بلسان العرب اذ كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد صلى الله عليه وسلم عربا لعلكم تعقلون يقول لتعقلوا معانيه وما فيه من مواعظه ولم ينزله بلسان العجم فيجعله أعجميا فتقولوا نحن عرب وهذا كلام أعجمي لا نفقه معانيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي حم والكتاب المبين هو هذا الكتاب المبين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حم والكتاب المبين مبين والله بركته وهداه ورشده ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ يقول تعالى ذكره وان هذا الكتاب في أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعلي يقول لذو علو ورفعة حكيم قد أحكمت آياته ثم فصلت فهو ذو حكمة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي عن القاسم بن أبي بزة قال ثنا عروة بن عامر أنه سمع ابن عباس يقول أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق قال والكتاب عنده قال وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي عن عطية بن سعد في قول الله تبارك وتعالى وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم يعني القرآن في أم الكتاب الذي عند الله منه نسخ حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت مالكا يروي عن عمران عن عكرمة وانه في أم الكتاب لدينا قال أم الكتاب القرآن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وانه في أم الكتاب لدينا قال أم الكتاب أصل الكتاب وجملته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانه في أم الكتاب أي جملة الكتاب أي أصل الكتاب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وانه في أم الكتاب يقول في الكتاب الذي عند الله في الاصل وقوله لدينا لعلي حكيم وقد ذكرنا معناه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لدينا لعلي حكيم يخبر عن منزلته وفضله وشرفه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أفنضرب عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال تكذبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال بالعذاب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال أفنضرب عنكم العذاب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين يقول أحسبتم أن نصفح عنكم ولما تفعلوا ما أمرتم به * وقال آخرون بل معنى ذلك أفنترك تذكيركم بهذا القرآن ولا نذكركم به لأن كنتم قوما مسرفين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين أي مشركين والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا فدعاهم اليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى

قال

أي من بعد ما استجاب له الناس وقبلوا دينه أو بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر (حجتهم داحضة) أي باطلة زائلة (عند ربهم) وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فأنتم أولى باتباعنا وأيضا أنتم تقولون الاخذ بالمتفق عليه أولى من الاخذ بالمختلف فيه ونبوة موسى وحقية التوراة متفق عليها ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم مختلف فيها والجواب أن نبوة موسى انما صحت بالمعجزة فان كانت المعجزة في حقه مصححة للنبوة ففي حق محمد صلى الله عليه وسلم كذلك والا فأنتم القادحون في نبوة نبيكم أيضا ثم حث على سلوك طريقة العدل حذرا من عقاب يوم القيامة فقال (الله الذي أنزل الكتاب) أي جنسه متلبسا بالغرض الصحيح (والميزان) أي أنزل العدل والسوية في كتبه أو ألهم اتخاذ الميزان وقيل هو العقل وقيل الميزان نفسه وذلك في زمن نوح وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم يقضي بينهم بالكتاب (وما يدريك) يا محمد أو أيها المكلف (لعل الساعة) أي مجيئها (قريب) أو ذكر بتأويل البعث أو الحشر ونحوه أو أراد شيء قريب ومتى كان الامر كذلك وجب على العاقل أن يجتهد في أداء ما عليه من التكاليف ولا يتأنى في سلوك سبيل الانصاف مع الخالق والخلق فانه لا يعلم أن القيامة متى تفاجئه ثم قبح طريقة منكري الساعة فقال (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) يقولون على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى تظهر لنا جلية الحال

قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال لو أن هذه الأمة لم يؤمنوا
لضرب عنهم الذكر صفحا قال الذكر ما أنزل عليهم مما أمرهم الله به ونهاهم صفحا لا يذكر لكم منه شيأ
* وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض
عنكم لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لأن الله تبارك
تعالى أتبع ذلك خبره عن الامم السالفة قبل الامم التى توعدها بهذه الآية فى تكذيبها رسلها وما أحل
بها من نقمته ففى ذلك دليل على أن قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا وعيد منه للمخاطبين به من
أهل الشرك اذ سلكوا فى التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم واختلفت
القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ان كنتم بكسر الالف من إن بمعنى أفنضرب
عنكم الذكر صفحا اذ كنتم قوما مسرفين وقرأه بعض قراء أهل مكة والكوفة وعامة قراء البصرة
أن بفتح الألف من أن بمعنى لأن كنتم واختلف أهل العربية فى وجه فتح الالف من أن فى هذا
الموضع فقال بعض نحويى البصرة فتحت لأن معنى الكلام لأن كنتم وقال بعض نحويى الكوفة
من فتحها فكأنه أراد شيأ ماضيا فقال وأنت تقول فى الكلام أتيت أن حرمتنى تريد اذ حرمتنى
ويكسر اذا اردت أتيت إن تحرمنى ومثله لا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم وان صدوكم بكسر
وبفتح وقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا قال والعرب تنشد
قول الفرزدق

أتجزع ان أذنا قتيبة حزتا * جهارا ولم تجزع لقتل ابن حازم

قال وينشد

أتجزع ان بان الخليط المودع * وحبل الصفا من عزة المتقطع

قال وفى كل واحد من البيتين ما فى صاحبه من الكسر والفتح * والصواب من القول فى ذلك
عندنا أن الكسر والفتح فى الالف فى هذا الموضع قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار صحيحتا
المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن العرب اذا تقدم ان وهى بمعنى الجزاء فعل مستقبل
كسروا ألفها أحيانا فمحضوا لها الجزاء فقالوا أقوم ان قمت وفتحوها أحيانا وهم ينوون ذلك المعنى
فقالوا أقوم أن قمت بتأويل لأن قمت فاذا كان الذى تقدمها من الفعل ماضيا لم يتكلموا الا بفتح
الالف من أن فقالوا قمت أن قمت وبذلك جاء التنزيل وتتابع شعر الشعراء ۞ القول فى تأويل قوله
تعالى (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزؤن) يقول تعالى ذكره
وكم أرسلنا من نبى يا محمد فى القرون الاولين الذين مضوا قبل قرنك الذى بعثت فيه كما أرسلناك
فى قومك من قريش وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزؤن يقول وما كان يأتى قرنا من أولئك القرون
وأمة من أولئك الامم الاولين لنا من نبى يدعوهم الى الهدى وطريق الحق الا كان الذين يأتيهم ذلك
من تلك الامم نبيهم الذى أرسله اليهم يستهزؤن سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يا محمد يقول
فلا يعظمن عليك ما يفعل بك قومك ولا يشقن عليك فانهم انما سلكوا فى استهزائهم بك مسلك
أسلافهم ومنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فأهلكنا
أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين) يقول تعالى ذكره فأهلكنا أشد من هؤلاء المستهزئين
بأنبيائهم بطشا اذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدة بطشهم ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا
اذا أتاهم فالذين هم أضعف منهم قوة أحرى أن لا يقدروا على الامتناع من نقمنا اذا حلت بهم
ومضى مثل الاولين يقول جل ثناؤه ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم

ثم مدح المقربين بأنهم يخافون القيامة
هيبة من الله واجلالا له أو حذرا
من تقصير وخلل وقع فى العمل
الا أن خوفهم يجب أن يكون ممتزجا
بالرجاء وقد مر تحقيقه مرارا ثم هدد
الشاكين المجادلين فى أمر البعث
بقوله (ألا ان الذين يمارون) وأصله
من المرية الشك (لفى ضلال بعيد)
عن الصواب لأن استيفاء حق
المظلوم من الظالم واجب على
فضله أو فى حكمه ولان فى انكاره
نسبة الله سبحانه الى ضد العلم
والقدرة ثم انه لا ريب فى أن انزال
الكتاب والميزان لطف من الله على
خلقه فلذلك قال (الله لطيف
بعباده) عمم البر ثم خصص بقوله
(يرزق من يشاء) يعنى الزائد على
مقدار الضرورة فكم من انسان فاق
أقرانه فى المال أو الجاه أو الاولاد
أو فى العلم أو فى سائر أسباب المزية
الا أن أحدا منهم لا يخلو من بره
الذى يتعيش به كقوله أعطى كل
شئ خلقه ثم هدى وقيل معنى
لطيف يرزقهم من حيث لا يعلمون
أو يلطف بهم فلا يعاجلهم بالعقوبة
ليتوبوا وقد مر معناه فى الانعام
بوجه آخر فى قوله وهو اللطيف
الخبير وأما قوله (القوى العزيز)
ففيه اشارة الى أن لطفه مقرون
بقهره وحين ذكر أنه يرزق من يشاء
الزائد على مقدار كفايته وكان فيه
كسر قلوب أرباب الضنك
والضيق جبر كسرهم بقوله (من كان
يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه)
سماه حرثا تشبيها للعامل الطالب
لثواب الآخرة أضعافا مضاعفة
بالزارع الذى يلقى البذر فى الارض
طلبا للزيادة والنماء ومن فضائل

مثلنا الذى مثلناه لهم فى أمثالهم من مكذبى رسلنا الذين أهلكناهم يقول فليتوقع هؤلاء الذين يستهزؤن بك يا محمد من عقوبتنا مثل الذى أحللناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومضى مثل الاولين قال عقوبة الأولين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مثل الاولين قال سنتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك من خلق السموات السبع والارضين فأحدثهنّ وأنشأهن ليقولنّ خلقهنّ العزيز فى سلطانه وانتقامه من أعدائه العليم بهنّ ومافيهنّ من الاشياء لايخفى عليه شئ الذى جعل لكم الأرض مهادا يقول الذى مهد لكم الارض فجعلها لكم وطاء توطؤنها بأقدامكم وتمشون عليها بأرجلكم وجعل لكم فيها سبلا يقول وسهل لكم فيها طرقا تتطرقونها من بلدة الى بلدة لمعايشكم ومتاجركم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل لكم فيها سبلا أى طرقا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى الذى جعل لكم الارض مهادا قال بساطا وجعل لكم فيها سبلا قال الطرق لعلكم تهتدون يقول لكى تهتدوا بتلك السبل الى حيث أردتم من البلدان والقرى والامصار لولا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكم ودورکم ولكنها نعمة أنعم بها عليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ يقول تعالى ذكره والذى نزل من السماء ماء بقدر يعنى ما نزل جل ثناؤه من الامطار من السماء بقدر يقول بمقدار حاجتكم اليه فلم يجعله كالطوفان فيكون عذابا كالذى أنزل على قوم نوح ولا جعله قليلا لاينبت به النبات والزرع من قلته ولكنه جعله غيثا مغيثا وحيًا للارض الميتة محييا فأنشرنا به بلدة ميتا يقول جل ثناؤه فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتا يعنى مجدبة لانبات بها ولا زرع قد درست من الجدوب وتعفت من القحوط كذلك تخرجون يقول تعالى ذكره كما أخرجنا بهذا الماء الذى نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم ومصيركم فى الارض رفاتا بالماء الذى أنزله اليها لاحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التى كنتم بها قبل مماتكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذى نزل من السماء ماء بقدر الآية كما أحيا الله هذه الارض الميتة بهذا الماء كذلك تبعثون يوم القيامة وقيل أنشرنا به لأن معناه أحيينا به ولو وصفت الارض بأنها أحييت قيل نشرت الارض كما قال الاعشى

حتى يقول الناس مما رأوا * ياعجبا للميت الناشر

وقوله والذى خلق الأزواج كلها يقول تعالى ذكره والذى خلق كل شئ فزوجه أن خلق الذكور من الاناث أزواجا والاناث من الذكور أزواجا وجعل لكم من الفلك وهى السفن والأنعام وهى البهائم ما تركبون يقول جعل لكم من السفن ما تركبونه فى البحار الى حيث قصدتم واعتمدتم فى سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم ومن الانعام ما تركبونه فى البر الى حيث أردتم من البلدان كالابل والخيل والبغال والحمير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة

حرث الآخرة ان طالبها قد يحصل له الدنيا بالتبعية و يرى ثواب عمله أضعافا مضاعفة وطالب الدنيا لايحصل له المطالب بأسرها ولهذا قال (نؤته منها) أى بعض ذلك (وماله فى الآخرة من نصيب) قط وفى زيادة لفظ الحرث فائدة أخرى وهى أن يعلم أن شيأ من القسمين لايحصل الا بتحمل المتاعب والمشاق عن النبى صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة هذا لفظه أو لفظ هذا معناه وعن قتادة ان الله يعطى الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا وفى ظاهر اللفظ دلالة على أن من صلى لطلب الثواب أو لدفع العقاب فانه تصح صلاته لانه صلى لأجل ما يتعلق بالآخرة قال بعض أصحاب الشافعى اذا توضأ بغير نية لم يصح لأن هذا الانسان غفل عن الآخرة وعن ذكر الله والخروج عن عهدة الصلاة من باب منافع الآخرة فلا يحصل بالوضوء العارى عن النية وحيث بين القانون الاعظم والقسطاس الأقوم فى أعمال الدارين نبه على أحوال الضلال بقوله (أم لهم شركاء) وهى المنقطعة عند بعضهم وقال آخرون هى المعادلة لألف الاستفهام تقديره أفيقبلون ماشرع الله لهم من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) أى لم يأمرهم به أو لم يعلمه كقوله أتنبؤن الله بما لا يعلم والأذن بالفتح العلم بالمسموعات وتحقيقه شرعوا ماليس بشريعة اذ لو كان شريعة

ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ يقول تعالى ذكره كى تستووا على ظهور ما تركبون واختلف أهل العربية فى وجه توحيد الهاء فى قوله على ظهوره وتذكيرها فقال بعض نحويى البصرة تذكيره يعود على ما تركبون وما هو مذكر كما يقال عندى من النساء من يوافقك ويسرك وقد تذكر الأنعام وتؤنث وقد قال فى موضع آخر مما فى بطونه وقال فى موضع آخر بطونها وقال بعض نحويى الكوفة أضيفت الظهور الى الواحد لأن ذلك الواحد فى معنى جمع بمنزلة الجند والجيش قال فان قيل فهلا قلت لتستووا على ظهره فجعلت الظهر واحدا اذا أضفته الى واحد قلت ان الواحد فيه معنى الجمع فردت الظهور الى المعنى ولم يقل ظهره فيكون كالواحد الذى معناه ولفظه واحد وكذلك تقول قد كثر نساء الجند وقلت ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه قال وكذلك كل ما أضفت اليه من الاسماء الموصوفة فأخرجها على الجمع واذا أضفت اليه اسما فى معنى فعل جاز جمعه وتوحيده مثل قولك رفع العسكر صوته وأصواته أجود وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له فى الاثنين الا الصورة فى الواحد * وقال آخر منهم قيل لتستووا على ظهوره لأنه وصف للفلك ولكنه وحد الهاء لان الفلك بتأويل جمع فجمع الظهور ووحد الهاء لأن أفعال كل واحد تأويله الجمع توحد وتجمع مثل الجند منهزم ومنهزمون فاذا جاءت الاسماء خرج على الاسماء لا غير فقلت الجند رجال فلذلك جمعت الظهور ووحدت الهاء ولو كان مثل الصوت وأشباهه جاز الجند رافع صوته وأصواته قوله ثم تذكروا نعمة ربكم يقول تعالى ذكره ثم تذكروا نعمة ربكم التى أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب فى البر والبحر اذا استويتم عليه فتعظموه وتمجدوه وتقولوا تنزيها لله الذى سخر لنا هذا الذى ركبناه من هذه الفلك والانعام مما يصفه به المشركون وتشرك معه فى العبادة من الأوثان والأصنام وما كنا له مقرنين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وعبيد بن اسمعيل الهبارى قالا ثنا المحاربى عن عاصم الأحول عن أبى هاشم عن أبى مجلز قال ركبت دابة فقلت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فسمعنى رجل من أهل البيت قال أبو كريب والهبارى قال المحاربى فسمعت سفيان يقول هو الحسن بن على رضوان الله تعالى عليهما فقال أهكذا أمرت قال قلت كيف أقول قال تقول الحمد لله الذى هدانا للاسلام الحمد لله الذى منّ علينا بمحمد عليه السلام الحمد لله الذى جعلنا فى خير أمة أخرجت للناس فاذا أنت قد ذكرت نعما عظاما ثم تقول بعد ذلك سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا الى ربنا لمنقلبون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن أبى مجلز أن الحسن بن على رضى الله عنه رأى رجلا ركب دابة فقال الحمد لله الذى سخر لنا هذا ثم ذكر نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه يعلمكم كيف تقولون اذا ركبتم فى الفلك تقولون بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم واذا ركبتم الابل قلتم سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون و يعلمكم ما تقولون اذا نزلتم من الفلك والانعام جميعا تقولون اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه أنه كان اذا ركب قال اللهم هذا من منك وفضلك ثم يقول سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وقوله وما كنا له مقرنين وما كنا له مطيقين ولا ضابطين من قولهم قد أقرنت لهذا اذا صرت له قرنا وأطقته وفلان مقرن لفلان أى ضابط له مطيق

لعلمها الله (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء (لقضى بينهم) والضمير للمؤمنين والكافرين أو المشركين والشركاء (ترى الظالمين) فى القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من الجرائم (وهو) أى وبال ذلك (واقع بهم) واصل اليهم لا محالة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) أى متنزهاتها قالت الاشاعرة فيه دليل على أن غيرها من الاماكن فى الجنة لغير المذكورين وغيرهم ليس الا الذى آمن ولم يعمل صالحا وهو الفاسق ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون اضافة الروضات الى الجنات من اضافة العام الى الخاص فيكون الجنات كلها روضات ولكن الروضات قد لا تكون فى الجنة لثبوتها فى الدنيا والفضل الكبير قد تقدم فى فاطر (ذلك) المذكور أو الثواب أو التبشير هو (الذى يبشر الله) به (عباده) ثم حذف الجار ثم الراجع الى الموصول ثم أمر رسوله بأن يقول (لا أسألكم عليه) على هذا التبليغ (أجرا الا المودة) الكائنة (فى القربى) جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها ولهذا لم يقل مودة القربى أو المودة للقربى وهى مصدر بمعنى القرابة أى فى أهل القربى وفى حقهم فان قيل استثناء المودة من الاجر دليل على أنه طلب الاجر على تبليغ الوحى وذلك غير جائز كما جاء فى قصص سائر الانبياء ولا سيما فى الشعراء وقد جاء فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم أيضا قل ما سألتكم من أجر فهو لكم وقل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين والمعقول منه أن التبليغ واجب عليه

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح
قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وما كنا له مقرنين يقول مطيقين حدثني محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل مقرنين قال الابل والخيل والبغال
والحمير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كنا له مقرنين أي مطيقين
لا والله لا في الأيدي ولا في القوة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر
عن قتادة في قوله وما كنا له مقرنين قال في القوة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط
عن السدي وما كنا له مقرنين قال مطيقين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد في قول الله جل ثناؤه سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال لسنا له مطيقين قال
لا نطيقها الابل لولا أنت ما قوينا عليها ولا أطقناها وقوله وانا الى ربنا لمنقلبون يقول جل ثناؤه
وليقولوا أيضا وانا الى ربنا من بعد مماتنا لصائرون اليه راجعون ۞ القول في تأويل قوله تعالى
﴿وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين
واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ يقول تعالى ذكره وجعل
هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيبا وذلك قولهم للملائكة هم بنات الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز
وجل وجعلوا له من عباده جزأ قال ولدا وبنات من الملائكة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا
أسباط عن السدي وجعلوا له من عباده جزأ قال البنات * وقال آخرون عني بالجزء ههنا العدل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلوا له من عباده
جزأ أي عدلا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وجعلوا له
من عباده جزأ أي عدلا وانما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك
قوله أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين توبيخا لهم على قولهم ذلك فكان معلوما أن توبيخه اياهم
بذلك انما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في اضافة البنات الى الله جل ثناؤه وقوله ان الانسان
لكفور مبين يقول تعالى ذكره ان الانسان لذو جحد لنعم ربه التي أنعمها عليه مبين يقول يبين
كفرانه نعمه عليه لمن تأمله بفكر قلبه وتدبر حاله وقوله أم اتخذ مما يخلق بنات يقول جل ثناؤه
موبخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته أتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات
وأنتم لا ترضونها لأنفسكم وأصفاكم بالبنين يقول وأخلصكم بالبنين فجعلهم لكم واذا بشر أحدهم بما
ضرب للرحمن مثلا يقول تعالى ذكره واذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده جزأ بما
ضرب للرحمن مثلا يقول بما مثل لله فشبهه شبها وذلك ما وصفه به من أن له بنات كما حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال
ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بما ضرب للرحمن مثلا قال ولدا حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بما ضرب للرحمن مثلا بما جعل لله وقوله
ظل وجهه مسودا يقول تعالى ذكره ظل وجه هذا الذي بشر بما ضرب للرحمن مثلا من البنات
مسودا من سوء ما بشر به وهو كظيم يقول وهو حزين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة وهو كظيم أي حزين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أومن ينشأ في الحلية وهو

وطلب الاجر على أداء الواجب
لا يليق بالمروءة وأيضا انه يوجب
التهمة ونقصان الحشمة قلنا ان من
جعل الآية منسوخة باللتين
لا استثناء فيهما فلا اشكال عليه
وأما الآخرون فمنهم من قال
الاستثناء متصل ولكنه من قبيل
تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى لا أطلب منكم أجرا الا هذا
وهو في الحقيقة ليس أجرا لان
حصول المودة بين المسلمين أمر
واجب ولا سيما في حق الاقارب
كما قال عز من قائل والذين يصلون
ما أمر الله به أن يوصل ومنهم من
قال الاستثناء منقطع أي لا أسألكم
عليه أجرا البتة ولكن أذكركم المودة
في القربى وفي تفسير المودة في القربى
أربعة أقوال الاول قال الشعبي
أكثر الناس علينا في هذه الآية
فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن
ذلك فأجاب بأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان واسطة النسب
في قريش ليس بطن من بطونهم الا
وقد كان بينهم وبينه قرابة فقال الله
قل لا أسألكم على ما أدعوكم اليه أجرا
الا أن تودوني لقرابتي منكم يعني انكم
قومي وأحق من أجابني وأطاعني
فاذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق
القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي
القول الثاني روى الكلبي عن ابن
عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم
كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس
في يده سعة فقال الانصار ان هذا
الرجل قد هداكم الله على يده وهو
ابن أختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا
له طائفة من أموالكم ففعلوا ثم أتوه

في الخصام غير مبين﴾ يقول تعالى ذكره أومن ينبت في الحلية ويزين بها وهو في الخصام يقول وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين من خصمه ببرهان وحجة لعجزه وضعفه جعلتموه جزأ لله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكرنا منه وهو ما ذكرت واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقال بعضهم عني بذلك الجواري والنساء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين قال يعني المرأة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علقمة عن مرثد عن مجاهد قال رخص للنساء في الحرير والذهب وقرأ أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين قال يعني المرأة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين قال الجواري جعلتموهن للرحمن ولدا كيف تحكمون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين قال الجواري يسفههن بذلك غير مبين بضعفهن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أومن ينشأ في الحلية يقول جعلوا له البنات وهم اذا بشر أحدهم بهن ظل وجهه مسودا وهو كظيم قال وأما قوله وهو في الخصام غير مبين يقول قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين قال النساء * وقال آخرون عني بذلك أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أومن ينشأ في الحلية الآية قال هذه تماثيلهم التي يضربونها من فضة وذهب يعبدونها هم الذين أنشؤها ضربوها من تلك الحلية ثم عبدوها وهو في الخصام غير مبين قال لا يتكلم وقرأ فاذا هو خصيم مبين . وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك الجواري والنساء لأن ذلك عقيب خبر الله عن اضافة المشركين اليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات وقلة معرفتهم بحقه وتحليتهم اياه من الصفات والبخل وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم والمنعم عليهم النعم التي عددها في أول هذه السورة ما لا يرضونه لأنفسهم فاتباع ذلك من الكلام ما كان نظيرا له أشبه وأولى من إتباعه ما لم يجر له ذكر واختلفت القراء في قراءة قوله أومن ينشأ في الحلية فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين أومن ينشأ بفتح الياء والتخفيف من نشأ ينشأ وقرأته عامة قراء الكوفة ينشأ بضم الياء وتشديد الشين من نشأته فهو ينشأ والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان معروفتان في قرأة الامصار متقاربتا المعنى لأن المنشأ من الانشاء ناشئ والناشئ منشأ فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله أومن لا ينشأ الا في الحلية وفي من وجوه من الاعراب الرفع على الاستئناف والنصب على اضمار يجعلون كأنه قيل أومن ينشأ في الحلية يجعلون بنات الله وقد يجوز النصب فيه أيضا على الرد على قوله أم اتخذ مما يخلق بنات أومن ينشأ في الحلية فيرد من على البنات والخفض على الرد على ما التي في قوله واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن واختلفت القراء

فرده عليهم ونزلت الآية بحثهم على مودة أقاربهم وصلة أرحامهم القول الثالث عن الحسن الآن تودّدوا الى الله وتتقربوا اليه بالطاعة والعمل الصالح الرابع عن سعيد ابن جبير لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم لقرابتك فقال علي وفاطمة وابناهما ولا ريب أن هذا فخر عظيم وشرف تام ويؤيده ما روى أن عليا رضي الله عنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس فيه فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف أزواجنا وعنه صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا أجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وكان يقول فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر أنه كان يحب عليا والحسن والحسين واذا كان ذلك وجب علينا محبتهم لقوله فاتبعوه وكفى شرفا لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخرا ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم في كل صلاة قال بعض المذكرين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق وعنه صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم فنحن نركب سفينة حب آل محمد صلى الله عليه وسلم ونضع أبصارنا على الكواكب النيرة أعني آثار

فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة الذين هم عند الرحمن بالنون فكأنهم تأولوا فى ذلك قول الله جل ثناؤه ان الذين عند ربك لا يستكبرون فتأويل الكلام على هذه القراءة وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه و يقدسونه اناثا فقالوا هم بنات الله جهلا منهم بحق الله وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بمعنى جمع عبد فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقه وعباده بنات الله فأنثوهم بوصفهم اياهم بانهم اناث والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الملائكة عباد الله وعنده واختلفوا أيضا فى قراءة قوله أشهدوا خلقهم فقرأ ذلك بعض قراء المدينة أشهدوا خلقهم بضم الالف على وجه ما لم يسم فاعله بمعنى أأشهد الله هؤلاء المشركين الجاعلين ملائكة الله اناثا خلق ملائكته الذين هم عنده فعلموا ماهم وأنهم اناث فوصفوهم بذلك لعلمهم بهم و برؤيتهم اياهم ثم ردّ ذلك الى ما لم يسم فاعله وقرئ بفتح الالف بمعنى أشهدوا هم ذلك فعلموه والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ستكتب شهادتهم يقول تعالى ذكره ستكتب شهادة هؤلاء القائلين الملائكة بنات الله فى الدنيا بما شهدوا به عليهم و يسئلون عن شهادتهم تلك فى الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها ولن يجدوا الى ذلك سبيلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون من قريش لو شاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التى نعبدها من دونه وانما لم يحل بنا عقوبة على عبادتنا اياها لرضاه منا بعبادتناها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لو شاء الرحمن ما عبدناهم للاوثان يقول الله عز وجل ما لهم بذلك من علم يقول ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم وانما يقولونه تخرصا وتكذبا لأنهم لا خبر عندهم منى بذلك ولا برهان وانما يقولونه ظنا وحسبانا ان هم الا يخرصون يقول ما هم الا متخرصون هذا القول الذى قالوه وذلك قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان هم الا يخرصون ما يعلمون قدرة الله على ذلك وقوله أم آتيناهم كتابا من قبله يقول تعالى ذكره آتينا هؤلاء المتخرصين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك من قبل هذا القرآن الذى أنزلناه اليك يا محمد فهم به مستمسكون يقول فهم بذلك الكتاب الذى جاءهم من عندى من قبل هذا القرآن مستمسكون يعملون به و يدينون بما فيه ويحتجون به عليك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون﴾ يقول تعالى ذكره ما آتينا هؤلاء القائلين لو شاء الرحمن ما عبدناهم هؤلاء الأوثان بالامر بعبادتها كتابا من عندنا ولكنهم قالوا وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها وعنى جل ثناؤه بقوله بل وجدنا آباءنا على أمة بل وجدنا آباءنا على دين وملة وذلك هو عبادتهم الأوثان * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو

الصحابة لنتخلص من بحر التكليف وظلمة الجهالة ومن أمواج الشبه والضلالة ثم أكد ايصال الثواب على المودّة بقوله (ومن يقترف حسنة) أى يكتسب طاعة قال بعض أهل اللغة الاقتراف مستعمل فى الشرّ فاستعاره ههنا للخير عن السدى أنها المودّة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر الصدّيق ومودّته فيهم والظاهر العموم فى كل حسنة ولا شك أن هذه مرادة قصدا أوليا لذكرها عقيبها ومعنى زيادة حسنها تضعيف ثوابها (ان الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن أطاع الله والله أعلم ﴿أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل و يحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون و يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولىّ الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وما أنتم بمعجزين فى الارض وما لكم من دون الله من ولىّ ولا نصير ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره

قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على أمة ملة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انا وجدنا آباءنا على أمة يقول وجدنا آباءنا على دين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا وجدنا آباءنا على أمة قال قد قال ذلك مشركو قريش انا وجدنا آباءنا على دين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة قال على دين واختلفت القراء في قراءة قوله على أمة فقرأته عامة قراء الأمصار على أمة بضم الألف بالمعنى الذى وصفت من الدين والملة والسنة وذكر عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز أنهما قرآه على إمة بكسر الألف وقد اختلف في معناها اذا كسرت ألفها فكان بعضهم يوجه تأويلها اذا كسرت على أنها الطريقة وأنها مصدر من قول القائل أممت القوم فأنا أؤمهم إمة وذكر عن العرب سماعا ما أحسن عمته وإمته وجلسته اذا كان مصدرا ووجهه بعضهم اذا كسرت ألفها الى أنها الامة التى بمعنى النعيم والملك كما قال عدى ابن زيد

ثم بعد الفلاح والملك والامـ ـة وارتهم هناك القبور

وقال أراد امامة الملك ونعيمه وقال بعضهم الأمة بالضم والامة بالكسر بمعنى واحد * والصواب من القراءة في ذلك الذى لا أستجيز غيره الضم في الألف لاجماع الحجة من قراء الأمصار عليه وأما الذين كسروها فانى لا أراهم قصدوا بكسرها الا معنى الطريقة والمنهاج على ما ذكرناه قبل لا النعمة والملك لانه لا وجه لأن يقال انا وجدنا آباءنا على نعمة ونحن لهم متبعون في ذلك لان الاتباع انما يكون في الملل والأديان وما أشبه ذلك لا في الملك والنعمة لأن الاتباع في الملك ليس بالأمر الذى يصل اليه كل من أراده وقوله وانا على آثارهم مهتدون يقول وانا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون يعنى لهم متبعون على منهاجهم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وانا على آثارهم مهتدون يقول وانا على دينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانا على آثارهم مهتدون يقول وانا متبعوهم على ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ يقول تعالى ذكره وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله وقالوا مثل قولهم لم نرسل من قبلك يا محمد في قرية يعنى الى أهلها رسلا تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذروهم سخطنا وحلول عقوبتنا بهم الا قال مترفوها وهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله الا قال مترفوها قال رؤساؤهم وأشرافهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها قادتهم ورؤسهم في الشرك وقوله انا وجدنا آباءنا على أمة يقول قالوا انا وجدنا آباءنا على ملة ودين وانا على آثارهم يعنى وانا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفعل كالذى فعلوا ونعبد ما كانوا يعبدون يقول جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من اخوانهم من أهل الشرك بالله في اجابتهم اياك بما أجابوك به وردهم ما ردوا عليك من النصيحة واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال

ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض

ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وانا على آثارهم مقتدون قال بفعلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانا على آثارهم مقتدون فاتبعوهم على ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك القائلين انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون أولو جئتكم أيها القوم من عند ربكم بأهدى الى طريق الحق وأدل لكم على سبيل الرشاد مما وجدتم أنتم عليه آباءكم من الدين والملة قالوا انا بما أرسلتم به كافرون يقول فقال ذلك لهم فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لانبيائها انا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون يعني جاحدون منكرون وقرأ ذلك قراء الأمصار سوى أبي جعفر قل أولو جئتكم بالتاء وذكر عن أبي جعفر القارئ أنه قرأه قل أولو جئناكم بالنون والالف والقراءة عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يقول تعالى ذكره فانتقمنا من هؤلاء المكذبة رسلها من الأمم الكافرة بربها باحلالنا العقوبة بهم فانظر يا محمد كيف كان عقبى أمرهم اذ كذبوا بآيات الله ويعني بقوله عاقبة المكذبين آخر أمر الذين كذبوا رسل الله إلام صار يقول ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قال شر والله أخذهم بخسف وغرق ثم أهلكهم فأدخلهم النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد إنني براء مما تعبدون من دون الله فكذبوه فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وقيل انني براء مما تعبدون فوضع البراء وهو مصدر موضع النعت والعرب لا تثني البراء ولا تجمع ولا تؤنث فتقول نحن البراء والخلاء لما ذكرت أنه مصدر واذا قالوا هو بريء منك ثنوا وجمعوا وأنثوا فقالوا هما بريئان منك وهم بريئون منك وذكر أنها في قراءة عبد الله انني بريء بالياء وقد يجمع بريء براء وأبراء الا الذي فطرني يقول اني بريء مما تعبدون من شيء الا من الذي فطرني يعني الذي خلقني فانه سيهدين يقول فانه سيقومني للدين الحق ويوفقني لاتباع سبيل الرشد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه الآية قال كايدهم كانوا يقولون ان الله ربنا ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يبرأ من ربه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله انني براء مما تعبدون يقول انني بريء مما تعبدون الا الذي خلقني حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي الا الذي فطرني قال خلقني وقوله وجعلها كلمة باقية في عقبه يقول تعالى ذكره وجعل قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وهو قول لا اله الا الله كلمة باقية في عقبه وهم ذريته فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده. واختلف أهل التأويل في معنى الكلمة التي جعلها خليل الرحمن باقية في عقبه فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد وجعلها كلمة باقية في عقبه قال لا اله الا الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلها

كلمة

يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الأمور ۞ القرآت ما تفعلون على الخطاب حمزة وعلي وحفص ينزل الغيث بالتشديد أبو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتخفيف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بما كسبت بدون فاء الجزاء أبو جعفر ونافع وابن عامر الباقون فبما كسبت بالفاء الجواري بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو جعفر ونافع وأبو عمرو في الوصل وقرأ قتيبة ونصير وأبو عمرو بالامالة الرياح على الجمع أبو جعفر ونافع ويعلم الذين بالرفع ابن عامر وأبو جعفر ونافع الباقون بالنصب كبير الاثم على التوحيد حمزة وعلي وخلف أو يرسل بالرفع فيوحي بالاسكان نافع وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالنصب فيهما ۞ الوقوف كذبا ج للشرط مع فاء التعقيب قلبك ط لان ما بعده مستأنف بكلماته ط الصدور ه تفعلون ه لا فضله ط شديد ه يشاء ط بصير ه رحمته ط الحميد ه دابة ط قدير ه كثير ه في الارض. ط ولا نصير ه

كلمة باقيــة قال شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لم يزل فى ذرّيته من يقولهـا من بعده حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وجعلها كلمة باقية فى عقبه قال التوحيد والاخلاص ولا يزال فى ذرّيته من يوحّد الله ويعبده حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسـباط عن السدى وجعلها كلمة باقيــة فى عقبه قال لا اله الا الله * وقال آخرون الكلمة التى جعلها الله فى عقبه اسم الاسـلام ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلها كلمة باقيــة فى عقبه فقرأ اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين قال جعل هذه باقية فى عقبه قال الاسلام وقرأ هو سماكم المسلمين من قبل فقرأوا جعلنا مسلمين لك * وبنحو ما قلنا فى معنى العقب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنـا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى عقبه قال ولده حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيــه عن ابن عباس قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه قال يعنى من خلفه حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدّى فى عقبه قال فى عقب ابراهيم آل محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عبد الله بن عبـد الحكم قال ثنا ابن أبى فديك قال ثنا ابن أبى ذئب عن ابن شهاب أنه كان يقول العقب الولد وولد الولد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى عقبه قال عقبه ذرّيته وقوله لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا الى طاعة ربهـم ويثوبوا الى عبادته ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهـل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلهم يرجعون أى يتوبون أو يذكرون ۞ القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولمـا جاءهم الحق قالوا هـذا سحر وانا به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره بل متعت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم من قبلهم بالحياة فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق يعنى جل ثناؤه بالحق هـذا القرآن يقول لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب وبعثت فيهم رسـولا مبينا يعنى بقوله ورسول مبين محمدا صلى الله عليه وسـلم وبالمبين أنه يبين لهـم بالحجج التى يحتج بها عليهـم أنه لله رسول محق فيما يقول ولما جاءهم الحق يقول جل ثناؤه ولمـا جاء هؤلاء المشركين القرآن من عند الله ورسول من الله أرسله اليهم بالدعاء اليه قالوا هذا سحر يقول هذا الذى جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به ليس بوحى من الله وانا به كافرون يقول قالوا وانا به جاحدون ننكر أن يكون هـذا من الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولمـا جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون قال هؤلاء قريش قالوا للقرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليــه وسلم هذا سحر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمــة ربك نحن قسمنا بينهـم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير ممـا يجمعون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش لمـا جاءهم القرآن من عند الله هـذا سحر فان كان حقا فهلا نزل على رجل عظيم من احدى هاتين القريتـين مكة أو الطائف واختلف فى الرجل الذى وصفوه بأنه عظيم فقالوا هلا نزل عليه هـذا القرآن فقال بعضهم هلا نزل على الوليـد بن المغيرة المخزومى من أهل مكة أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى من أهـل الطائف

كالأعلام ه ط على ظهـره ط شكور ه لا كثير ه لا لمن رفع ويعلم ومن نصب فوقفه مجوز آياتنا ط محيص ه الدنيا ج لعطف جملتى الشرط ويحتمل أن يكون الوقف مطلقا بنـاء على أن الثانية اخبار مسـتأنف يتوكلون ه ط يغفرون ه ج الصلاة ص لانقطاع النظم واتصال المعـنى واتحاد المقول بينهـم ص لذلك ينفقون ه ج ينتصرون ه مثلها ج على الله ط الظالمين ه سبيل ه ط الحق ط أليم ه الامور ه بعده ط من سبيل ه ج للآية مع العطف خفى ط القيامة ط مقيم ه من دون الله ط سبيل ط من الله ط نكير ه حفيظا ط البلاغ ط بهـا ج كفور ه والارض ط ما يشاء ط الذكور ه لا واناثا ج لاحتمال ما بعده العطف والاسـتئناف أى وهو يجعل عقيما ه قدير ه ما يشاء ط حكيم ه أمرنا ط عبادنا ط مسـتقيم ه وما فى الارض ط الامور ه ۞ التفسـير لمـا ذكر فى أول السورة أن هذا القرآن انمـا حصل بوحى الله وانجر الكلام الى ههنا حكى شبهة القوم وهى زعمهم أنه مفـترى وليس بوحى فقـال (أم يقولون افترى) قال جار الله أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى أعظم أنواع الفرية وهو الافتراء على الله ثم أجابهم بقوله (فان يشا الله يختم على قلبك) أى يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان فى مثل حالهم والغرض المبالغة فى استبعاد

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال يعني بالعظيم الوليد بن المغيرة القرشي أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي و بالقريتين مكة والطائف * وقال آخرون بل عني به عتبة بن ربيعة من أهل مكة وابن عبد ياليل من أهل الطائف ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد على رجل من القريتين عظيم قال عتبة بن ربيعة من أهل مكة وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف * وقال آخرون بل عني به من أهل مكة الوليد ابن المغيرة ومن أهل الطائف ابن مسعود ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله رجل من القريتين عظيم قال الرجل الوليد بن المغيرة قال لو كان ما يقول محمد حقا أنزل على هذا أو على ابن مسعود الثقفي والقريتان الطائف ومكة وابن مسعود الثقفي من الطائف اسمه عروة بن مسعود حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والقريتان مكة والطائف قال قد قال ذلك مشركو قريش قال بلغنا أنه ليس فخذ من قريش الا قد ادّعته وقالوا هو منا فكنا نحدّث أن الرجلين الوليد بن المغيرة وعروة الثقفي أبو مسعود يقولون هلا كان أنزل على أحد هذين الرجلين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال كان أحد العظيمين عروة بن مسعود الثقفي كان عظيم أهل الطائف * وقال آخرون بل عني به من أهل مكة الوليد بن المغيرة ومن أهل الطائف كنانة بن عبد بن عمرو ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال الوليد بن المغيرة القرشي وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير عظيم أهل الطائف * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه مخبرا عن هؤلاء المشركين وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والاختلاف فيه موجود على ما بينت وقوله أهم يقسمون رحمة ربك يقول تعالى ذكره أهؤلاء القائلون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد يقسمون رحمة ربك بين خلقه فيجعلون كرامته لمن شاؤا وفضله لمن أرادوا أم الله الذي يقسم ذلك فيعطيه من أحب ويحرمه من شاء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد قال فأنزل الله عز وجل أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر يعني أهل الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة فان كانوا ملائكة أتتكم وان كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا قال ثم قال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم قال فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا واذ كان بشرا فغير محمد كان أحق بالرسالة فلولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يقولون أشرف من محمد صلى الله عليه وسلم يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى ريحانة قريش هذا من مكة ومسعود بن

عمرو

الافتراء من مثله والتعريض بأن من ينسبه الى الافتراء فهو مختوم على قلبه وقيل لأنساك ما أتاك من القرآن ولكنه لم يشأ فأثبته فيه وقيل لأماتك فان قلب الميت كالمختوم عليه ومثله لقطعنا منه الوتين قاله قتادة وقال مجاهد ومقاتل يربط على قلبك بالصبر على أذاهم فلا يدخل قلبك حزن مما قالوه ثم استأنف فقال ويمح الله الباطل أي من عادته ذلك فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم مبطلا لفضحه وكشف عن باطله وحذف الواو من الخط لا للجزم كما في قوله ويدع الانسان سندع الزبانية وفي تفسير الجبائي أن الواو حذف للجزم والمعنى ان افتريت ختم على قلبك ومحا الباطل المفترى فالاستئناف على هذا من قوله ويحق الحق بكلماته أي يثبت ما هو الحق في نفسه بوحيه أو بقضائه ويجوز أن يكون وعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويظهر الحق الذي أنت عليه وهو القرآن بحكمه السابق وبعلمه القديم (انه عليم بذات الصدور) فيجازي المبطل والمحق على حسب حاليهما وحين وبخهم على البهت والتكذيب ندبهم الى التوبة وعرفهم أنه يقبلها من كل مسيء والآية واضحة مما سلف تارات ولاسيما في أوائل البقرة في توبة آدم أما الضمير في قوله (ويستجيب) فعائد الى الله سبحانه وأصله ويستجيب لهم فحذف الجار والمراد أنه اذا دعوه استجاب لهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم تفضلا وقيل لا ضمير فيه وانما الظاهر بعده فاعله قال سعيد

عمرو بن عبيد الله الثقفى من أهل الطائف قال يقول الله عز وجل ردًا عليهم أهم يقسمون رحمة ربك أنا أفعل ما شئت وقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا فنجعل من شئنا رسولا ومن أردنا صديقا ونتخذ من أردنا خليلا كما قسمنا بينهم معيشتهم التى يعيشون بها فى حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة بل جعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا ملكا وهذا مملوكا ليتخذ بعضهم بعضا سخريا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله تبارك وتعالى أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا فتلقاه ضعيف الحيلة عيى اللسان وهو مبسوط له فى الرزق وتلقاه شديد الحيلة سليط اللسان وهو مقتور عليه قال الله جل ثناؤه نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى وقوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يقول ليستسخر هذا هذا فى خدمته اياه وفى عود هذا على هذا بما فى يديه من فضل يقول جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا فى المعاش فى الدنيا وقد اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فقال بعضهم معناه ما قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال يستخدم بعضهم بعضا فى السخرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال هم بنو آدم جميعا قال وهذا عبد هذا و رفع هذا على هذا درجة فهو يسخره بالعمل يستعمله به كما يقال سخر فلان فلانا * وقال بعضهم بل عنى بذلك ليملك بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك فى قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يعنى بذلك العبيد والخدم سخر لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ملكة وقوله ورحمة ربك خير مما يجمعون يقول تعالى ذكره ورحمة ربك يا محمد بادخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال فى الدنيا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ورحمة ربك خير مما يجمعون يعنى الجنة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ورحمة ربك يقول الجنة خير مما يجمعون فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ يقول تعالى ذكره ولولا أن يكون الناس أمة جماعة واحدة ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى لم يؤمن اجتماعهم عليه لو فعل ما قال جل ثناؤه وما به لم يفعله من أجله فقال بعضهم ذلك اجتماعهم على الكفر وقال معنى الكلام ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على الكفر فيصير جميعهم كفارا لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة يقول الله سبحانه لولا أن أجعل الناس كلهم كفارا لجعلت للكفار لبيوتهم سقفا من فضة حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة قال لولا أن يكون الناس كفارا أجمعون يميلون الى الدنيا لجعل الله تبارك وتعالى الذى قال ثم قال والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

ابن جبير أراد أن المؤمنين يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه قيل ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه وقرأ والله يدعوا الى دار السلام و يستجيب الذين آمنوا وحيث وعد الاستجابة للمؤمنين كان لسائل أن يقول انا نرى المؤمن فى شدة و بلية وفقر ثم انه يدعو الله فلا يشاهد أثر الاجابة فلا جرم قال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) أى ظلم بعضهم بعضا وعصوا الله وهذه ليست بقضية كلية دائمة ولكنها أكثرية فان المال معين قوى على تحصيل المطالب ودفع ما لا يلائم النفس واذا كانت الآلة موجودة وداعية الشر فى طبع الانسان مجبولة فقلما لا يقع مقتضاه فى الخارج وأيضا ان أكثر الناس انما يخدم مثله و يتسخره طمعا فى ماله أو جاهه التابع للمال غالبا فلو تساويا فى المال استنكف كل منهما من الانقياد لصاحبه فارتفعت رابطة التعاون وانقطعت سلسلة التمدن وقيل ان الآية نزلت فى العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا وأغار بعضهم على بعض ولبعضهم شعر

قوم اذا نبت الربيع بأرضهم
نبتت عداوتهم مع البقل

وقال محمد بن جرير نزلت فى أصحاب الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى وقوله (بقدر) أى على قدر المصلحة ووفق حال الشخص كقوله وما ننزله الا بقدر معلوم وحين بين أن حكمته اقتضت عدم توسيع الرزق على كل الخلق أراد أن يبين أنه لا يترك ما يحتاجون اليه وان بلغ أمرهم الى حد اليأس والقنوط فقال (وهو

سعيد عن قتادة قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أى كفارا كلهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ولولا أن يكون الناس أمة واحدة قال لولا أن يكون الناس كفارا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة يقول كفارا على دين واحد * وقال آخرون اجتماعهم على طلب الدنيا وترك طلب الآخرة وقال معنى الكلام ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ورفض الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة قال لولا أن يختار الناس دنياهم على دينهم لجعلنا هذا لأهل الكفر وقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة يقول تعالى ذكره لجعلنا لمن يكفر بالرحمن فى الدنيا سقفا يعنى أعالى بيوتهم وهى السطوح فضة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لبيوتهم سقفا من فضة السقف أعلى البيوت واختلف أهل العربية فى تكرير اللام التى فى قوله لمن يكفر وفى قوله لبيوتهم فكان بعض نحويى البصرة يزعم أنها أدخلت فى البيوت على البدل وكان بعض نحويى الكوفة يقول ان شئت جعلتها فى لبيوتهم مكررة كما فى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه وان شئت جعلت اللامين مختلفتين كأن الثانية فى معنى على كأنه قال جعلنا لهم على بيوتهم سقفا قال وتقول العرب للرجل فى وجهه جعلت لك لقومك الأعطية أى جعلته من أجلك لهم واختلفت القراء فى قراءة قوله سقفا فقرأته عامة قراء أهل مكة وبعض المدنيين وعامة البصريين سقفا بفتح السين وسكون القاف اعتبارا منهم ذلك بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم وتوجيها منهم ذلك الى أنه بلفظ واحد معناه الجمع وقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة سقفا بضم السين والقاف ووجهوها الى أنها جمع سقيفة أو سقوف واذا وجهت الى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع لان السقوف جمع سقف ثم تجمع السقوف سقفا فيكون ذلك نظير قراءة من قرأه فرهن مقبوضة بضم الراء والهاء وهى الجمع واحدها رهان ورهون وواحد الرهون والرهان رهن وكذلك قراءة من قرأ كلوا من ثمره بضم وكذلك قراءة من قرأ كلوا من ثمره بضم الثاء والميم ونظير قول الراجز * حتى اذا بلت حلاقيم الحلق * وقد زعم بعضهم أن السقف بضم السين والقاف جمع سقف والرهن بضم الراء والهاء جمع رهن فأغفل وجه الصواب فى ذلك وذلك أنه غير موجود فى كلام العرب اسم على تقدير فعل بفتح الفاء وسكون العين مجموعا على فعل فيجعل السقف والرهن مثله * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى معروفتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ومعارج عليها يظهرون يقول ومراقى ودرجا عليها يصعدون فيظهرون على السقف والمعارج هى الدرج نفسها كما قال المثنى بن جندل * يارب قرب البيت ذى المعارج * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ومعارج قال معارج من فضة وهى درج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومعارج عليها يظهرون أى درجا عليها يصعدون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ومعارج عليها يظهرون قال المعارج المراقى حدثنا محمد قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ومعارج عليها يظهرون قال درج عليها يرفعون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومعارج عليها يظهرون قال درج عليها يصعدون الى الغرف

الذى ينزل الغيث) الآية ونشر الرحمة عموم المطر الارض أو هى عامة فى كل رحمة سوى المطر (وهو الولى) الذى يتولى أمور عباده (الحميد) على كل ما يفعله ولا ريب أن هذه من جملة دلائل القدرة فلذلك عطف عليها قوله (ومن آياته خلق السموات والارض) ومحل قوله (وما بث) اما مجرور عطفا على السموات أو مرفوع عطفا على خلق وانما قال (فيهما من دابة) مع أن الدواب فى الارض وحدها لان الشئ قد ينسب الى جميع المذكور وان كان متلبسا ببعضه كما يقال بنو فلان فعلوا كذا ولعله قد فعله واحد منهم فقط ويجوز أن يكون للملائكة مع الطيران مشى فيتصفوا بالدبيب كالانسان أو يكون فى السموات أنواع أخر من الخلائق يدبون كما يدب الحيوان فى الارض (وهو على جمعهم) أى احيائهم بعد الموت (اذا يشاء قدير) واذا يدخل على الماضى ومعنى الاستقبال فى يشاء يعود الى تعلق المشيئة لا الى نفس المشيئة القديمة ثم بين حال المكلفين وأن ما يصيبهم من ألم ومكروه وبلاء فهو عقوبة للمعاصى التى اكتسبوها وأن الله يعفو عن كثير من الذنوب أو الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة رحمة أو استدراجا قال الحسن أراد اقامة الحدود على المعاصى وأنه لم يجعل لبعض الذنوب حدا وقيل ان هذا فى يوم القيامة فان الدنيا دار تكليف لا دار جزاء ولقائل أن يقول كون الجزاء الأوفى على الاثم مخصوصا بالقيامة لا ينافى وصول بعض الجزاء الى المكلف فى الدنيا ولهذا قال على رضى الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين فى كتاب الله

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومعارج عليها يظهرون قال المعارج درج من فضة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا لبيوتهم أبوابا من فضة وسررا من فضة كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وسررا قال سرر فضة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن قال الابواب من فضة والسرر من فضة عليها يتكؤن يقول على السرر يتكؤن وقوله وزخرفا يقول ولجعلنا لهم مع ذلك زخرفا وهو الذهب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وزخرفا وهو الذهب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وزخرفا قال الذهب وقال الحسن بيت من زخرف قال ذهب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وزخرفا والزخرف الذهب قال قد والله كانت تكره ثياب الشهرة وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اياكم والحمرة فانها من أحب الزينة الى الشيطان حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وزخرفا قال الذهب حدثنا (١) أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وزخرفا قال الذهب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وزخرفا لجعلنا هذا لأهل الكفر يعني لبيوتهم سقفا من فضة وما ذكر معها قال والزخرف سمي هذا الذي سمي السقف والمعارج والابواب والسرر من الاثاث والفرش والمتاع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وزخرفا يقول ذهبا والزخرف على قول ابن زيد هذا هو ما تتخذه الناس في منازلهم من الفرش والامتعة والآلات وفي نصب الزخرف وجهان أحدهما أن يكون معناه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف فلما لم يكرر عليه من نصب على اعمال الفعل فيه ذلك والمعنى فيه فكأنه قيل وزخرفا يجعل ذلك لهم منه والوجه الثاني أن يكون معطوفا على السرر فيكون معناه لجعلنا لهم هذه الاشياء من فضة وجعلنا لهم مع ذلك ذهبا يكون لهم غنى يستغنون بها ولو كان التنزيل جاء بخفض الزخرف لكان لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف فكان الزخرف يكون معطوفا على الفضة وأما المعارج فانها جمعت على مفاعل وواحدها معراج على جمع معرج كما يجمع المفتاح مفاتح على جمع مفتح لانهما لغتان معرج ومفتح ولو جمع معاريج كان صوابا كما يجمع المفتاح مفاتيح اذ كان واحده معراج وقوله وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره وما كل هذه الاشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والابواب والسرر من الفضة والزخرف إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين يقول تعالى ذكره وزين الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين الذين اتقوا الله فخافوا عقابه فجدوا في طاعته وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والآخرة عند ربك للمتقين خصوصا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾ يقول تعالى ذكره ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته ولم يخش عقابه نقيض له شيطانا فهو له قرين يقول نجعل له شيطانا يغويه فهو له قرين يقول فهو للشيطان قرين أي يصير كذلك وأصل العشو النظر بغير ثبت لعلة

وذلك أنه تعالى قسم ذنوب المؤمنين صنفين صنف يكفره عنهم بالمصائب وصنف يعفو عنه وهو كريم لا يرجع في عفوه نعم لو عكست القضية وقيل ما كسبت أيديكم فانه يصيبكم به ألم وعذاب في الدنيا لكان هذا منافيا لكون الجزاء في الآخرة ولحصول العفو أيضا روى عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال ما عفا الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود اليه في الآخرة وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد عليه العذاب في الآخرة قال أهل التناسخ لولا أن الأطفال والبهائم لهم حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة ما كانوا ليتألموا فانهم لا ذنوب لهم الآن وأجيب بالتزام أنهم لا يتألمون من المصائب والآلام وفيه بعد وبأن الخطاب في الآية لذوي العقول البالغين وبأنها في البالغين عقوبة أو زيادة درجة وفي الاطفال مثوبة لهم أو لوالديهم ثم خاطب المشركين بقوله (وما أنتم بمعجزين) الآية ثم ذكر دليلا آخر قائلا (ومن آياته الجوار) أي السفن الجواري (في البحر كالأعلام) أي كالجبال في العظم ولا شك أن جريانها بواسطة هبوب الرياح فلذلك قال (ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) أي فيصرن واقفة على ظهر ماء البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على البلاء (شكور) على الآلاء أو صبار في السفينة شكور اذا خرج منها (أو) ان يشأ (يوبقهن) أي يهلك السفينة بما فيها بالغرق أو الكسر لعصوف الريح وغيره (بما كسبوا) من كفران نعم الله وعصيانه

(١) يظهر أن هذا مكرر فليحرر كتبه مصححه

في العين يقال منه عشا فلان يعشو عشوا وعشوّا اذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأن عليه غشاوة كما قال الشاعر

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

يعني متى تفتقر فتأته يعنك وأما اذا ذهب البصر ولم يبصر فانه يقال فيه عشي فلان يعشى عشي منقوص ومنه قول الاعشى

رأت رجلا غائب الوافديـ * ـن مختلف الخلق أعشى ضريرا

يقال منه رجل أعشى وامرأة عشواء وانما معنى الكلام ومن لا ينظر في حجج الله بالاعراض منه عنه الا نظرا ضعيفا كنظر من قد عشي بصره نقيض له شيطانا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا يقول اذا أعرض عن ذكر الله نقيض له شيطانا فهو له قرين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن قال يعرض وقد تأوله بعضهم بمعنى ومن يعم ومن تأول ذلك كذلك فيجب أن تكون قراءته ومن يعش بفتح الشين على ما بينت قبل ذكر من تأوله كذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن قال من يعم عن ذكر الرحمن وقوله وانهم ليصدّونهم عن السبيل يقول تعالى ذكره وان الشياطين ليصدّون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله عن سبيل الحق فيزينون لهم الضلالة ويكرهون اليهم الايمان بالله والعمل بطاعته ويحسبون أنهم مهتدون يقول ويظن المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة أنهم على الحق والصواب يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذي هم عليه من الشرك على شك وعلى غير بصيرة وقال جل ثناؤه وانهم ليصدّونهم عن السبيل فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع وانما ذكر قبل واحدا فقال نقيض له شيطانا لأن الشيطان وان كان لفظه واحدا ففي معنى جمع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله حتى اذا جاءنا فقرأته عامة قراء الحجاز سوى ابن محيصن وبعض الكوفيين وبعض الشاميين حتى اذا جاآنا على التثنية بمعنى حتى اذا جاءنا هذا الذي عشي عن ذكر الرحمن وقرينه الذي قيض له من الشياطين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وابن محيصن حتى اذا جاءنا على التوحيد بمعنى حتى اذا جاءنا هذا العاشي من بني آدم عن ذكر الرحمن * والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أن في خبر الله تبارك وتعالى عن حال أحد الفريقين عند مقدمه عليه فيما أقرنا فيه في الدنيا الكفاية للسامع عن خبر الآخر اذ كان الخبر عن حال أحدهما معلوما به خبر حال الآخر وهما مع ذلك قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا جاآنا هو وقرينه جميعا وقوله ياليت بيني وبينك بعد المشرقين يقول تعالى ذكره قال أحد هذين القرينين لصاحبه الآخر وددت أن بيني وبينك بعد المشرقين أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما قيل شبه القمرين وكما قال الشاعر

أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

وكما

(ويعف عن كثير) من الذنوب فلا يجازي عليها في الدنيا ولا في الآخرة والحاصل أنه ان يشأ يسكن الريح فتبق الجواري واقفة على متن البحر أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم من رفع (ويعلم) فعلى الاستئناف ومن نصب فللعطف على تعليل محذوف أي لينتقم منهم ويعلم قاله في الكشاف وقال الكوفيون ومنهم الزجاج النصب باضمار أن لأن قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع وأكرمك ووجهه أن هذا في تأويل المصدر معطوف على مصدر أصنع مقدرا ثم استأنف قوله (مالهم من محيص) أي لا مهرب للمجادلين عن عقابه ثم رغب المكلفين عن الدنيا وفي الدنيا وفي الآخرة وقد مر نظيره في القصص الا أنه ذكرههنا أن هذه الخيرية تحصل للموصوفين بصفات احداها الايمان والثانية التوكل على الرب والثالثة الاجتناب عن الكبائر والفواحش كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه انما حرم ربي الفواحش ومن قرأ كبير على التوحيد فللجنس وفسره ابن عباس بالشرك الرابعة الغفران عند الغضب وهم تأكيد للضمير أو مبتدأ ما بعده خبره قال بعض العلماء يحتمل ان يراد بالكبائر ما يتعلق بالبدع والعقائد الفاسدة وهي من فساد القوة العقلية وبالفواحش فساد القوة الشهوية وبالأخيرة ما يتعلق بالقوة الغضبية قال المفسرون نزل قوله (والذين استجابوا لربهم) في الانصار دعاهم الله ورسوله الى التوحيد فأطاعوا ورضوا بقضائه وواظبوا على الصلوات الخمس وكانوا اقبل

وكما قال الآخر

و بصرة الأزد منا والعراق لنا * والموصلان ومنا مصر والحرم

يعني الموصل والجزيرة فقال الموصلان فغلب الموصل وقد قيل عني بقوله بعد المشرقين مشرق الشتاء ومشرق الصيف وذلك أن الشمس تطلع في الشتاء من مشرق وفي الصيف من مشرق غيره وكذلك المغرب تغرب في مغربين مختلفين كما قال جل ثناؤه رب المشرقين ورب المغربين وذكر أن هذا قول أحدهما لصاحبه عند لزوم كل واحد منهما صاحبه حتى يورده جهنم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن سعيد الجريري قال بلغني أن الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره سفع بيده الشيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار فذلك حين يقول ياليت بيني و بينك بعد المشرقين فبئس القرين وأما المؤمن فيوكل به ملك فهو معه حتى قال اما يفصل بين الناس أو نصير الى ماشاء الله وقوله ولن ينفعكم اليوم أيها العاشون عن ذكر الله في الدنيا اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون يقول لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه لأن لكل واحد منكم نصيبه منه وأن من قوله أنكم في موضع رفع لما ذكرت أن معناه لن ينفعكم اشتراككم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفأنت تسمع الصم من قد سلبه الله استماع حججه التي احتج بها في هذا الكتاب فأصمه عنه أو تهدي الى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن ابصاره واستحوذ عليه الشيطان فزين له الردى ومن كان في ضلال مبين يقول أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل سالك غير سبيل الحق قد أبان ضلاله أنه عن الحق زائل وعن قصد السبيل جائر يقول جل ثناؤه ليس ذلك اليك انما ذلك الى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء وانما أنت منذر فبلغهم النذارة وقوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الوعيد فقال بعضهم عني به أهل الاسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثني أبي عن أبي الاشهب عن الحسن في قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون قال لقد كانت بعد نبي الله نقمة شديدة فأكرم الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يريه في أمته ما كان من النقمة بعده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون فذهب الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ولم ير في أمته الا الذي تقر به عينه وأبقى الله النقمة بعده وليس من نبي الا وقد رأى في أمته العقوبة أو قال ما لا يشتهي ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أري الذي لقيت أمته بعده فما زال منقبضا ما انبسط ضاحكا حتى لقي الله تبارك وتعالى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال تلا قتادة فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون فقال ذهب النبي صلى الله عليه وسلم و بقيت النقمة ولم ير الله نبيه صلى الله عليه وسلم في أمته شيأ يكرهه حتى مضى ولم يكن نبي قط الا رأى العقوبة في أمته الا نبيكم صلى الله عليه وسلم قال وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أري ما يصيب أمته بعده فما رؤي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله * وقال آخرون بل عني به أهل الشرك من قريش وقالوا قد أرى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون كما انتقمنا من الامم الماضية أو نرينك الذي وعدناهم فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه وهذا القول الثاني

الاسلام متشاورين في كل أمر دهمهم غير منفردين برأي والشورى مصدر كالفتيا والمضاف محذوف أي ذو التشاور وليس بين قوله هم ينتصرون أي ينتقمون و بين قوله يغفرون منافاة فان هذه أخص من الاولى اذ البغي هو الذي يؤدي الى الفساد ولا يصير عفوه سببا لتسكين ثائرة الفتنة ولرجوع الجاني عن جنايته ويجوز أن يتوجه المدح في الانتصار الى كون المظلوم بحيث يراعي حد الشرع ولا يتجاوزه حتى لو زاد عليه لم يكن منتصرا ولا يستحق المدح فهذه خمس صفات أخرى للراغبين في الدار الآخرة ثم بين أن شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) حتى لو قال اخزاه الله لا يزيد في الجواب عليه شيأ وسمى الثانية سيئة ازدواجا للكلام أولأن السيئة هي التي يكرهها الانسان طبعا كالقصاص والقطع وسائر الحدود وقد لا يمكن رعاية المماثلة كما في قتل الانفس بنفس واحدة أو كقطع الايدي بواحدة اذا تعاونوا على قطعها وتعديد ذلك في الفقه وانما عرف ذلك بنص آخر أو بقياس جلي ثم حث مع ذلك على العفو والصبر قائلا (فمن عفى وأصلح) ما بينه و بين خصمه بالاغضاء والعفو (فأجره على الله) فان الانتصار حسن في نفسه ولاسيما اذا كان فيه مصلحة دينية كزجر وارتداع الا أن العفو أحسن لانه لا يكاد يؤمن في الانتصار التجاوز عن حد الاعتدال ولهذا حذر منه بقوله (انه لا يحب الظالمين) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له أجر

أولى التأويلين فى ذلك بالصواب وذلك أن ذلك فى سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهـديدا لهم أولى من أن يكون وعيدا لمن لم يجر له ذكر فمعنى الكلام اذ كان ذلك كذلك فان نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين فنخرجك من بينهـم فانا منهم منتقمون كما فعلنا ذلك بغيرهم من الامم المكذبة رسلها أو نرينك الذى وعدناهم يا محمد من الظفر بهـم واعلائك عليهم فانا عليهـم مقتدرون أن نظهرك عليهـم ونخزيهم بيدك وأيدى المؤمنين بك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مسـتقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتمسك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذى أوحاه اليك ربك انك على صراط مستقيم ومنهاج سديد وذلك هو دين الله الذى أمر به وهو الاسـلام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم أى الاسلام حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فاستمسك بالذى أوحى اليك بالقرآن انك على صراط مستقيم وقوله وانه لذكر لك ولقومك يقول تعالى ذكره وان هـذا القـرآن الذى أوحى اليك يا محمد الذى أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش وسوف تسئلون يقول وسوف يسألك ربك واياهم عما عملتم فيه وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه ٭ وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معـاوية عن على عن ابن عباس قوله وانه لذكر لك ولقومك يقول ان القرآن شرف لك حدثنى عمرو ابن مالك قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد فى قوله وانه لذكر لك ولقومك قال يقال للرجل من أنت فيقول من العرب فيقال من أى العرب فيقول من قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانه لذكر لك ولقومك وهو هذا القرآن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وانه لذكر لك ولقومك قال شرف لك ولقومك يعنى القرآن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانه لذكر لك ولقومك قال أولم تكن النبوة والقـرآن الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه وسـلم ذكرا له ولقومه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾

اختلف اهل التأويل فى معنى قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا ومن الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسألتهم ذلك فقال بعضهم الذين أمر بمسألتهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنو أهل الكتابين التوراة والانجيل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الأعلى بن واصل قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال فى قراءة عبد الله بن مسعود واسأل الذين أرسلنا اليهـم قبلك رسلنا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا انها قراءة عبد الله سل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا حدثنا بشر قال ثنـا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا يقول سل أهل التوراة والانجيل هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيـد أن يوحدوا الله وحده قال وفى بعض القراءة واسأل الذين أرسلنا اليهم رسلنا قبلك أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى بعض الحروف واسأل الذين أرسلنا اليهم قبلك من رسلنا سل أهل الكتاب أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد أما كانت تأتى بالاخلاص حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنـا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله

على الله فليقم فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله ثم كرر أن الانتصار لا يؤاخذ به ولا سبيل للوم اليه لئلا يظن أن وعد الأجر على العفو يقتضى قبح الانتصار فى نفسه فقال (ولمن انتصر) الآية وقوله (بعد ظلمه) من اضافة المصدر الى المفعول والباقى واضح الى قوله الامور وانما أدخل اللام فى الخبر خلاف ما فى تلهان لأن الصبر على المكروه الذى هو ظلم أشد من الصبر على الذى ليس بظلم وتكريرا الحث على الصبر لمزيد التأكيد أيضا ثم ذكر أن الاضلال والهداية التى هى نقيضه انما تتعلق بمشيئته والمعتزلة يتأولون الاضلال بالخذلان أو بالاضلال عن طريق الجنة ثم حكى أن الكفار عند معاينة عذاب النار يتمنون الرجعـة الى الدنيـا ثم عقبه بذكر حالهم حين يعرضون على النـار الخشوع بمعنى الهوان ولهـذا علق بقوله من الذل وقد يعلق بينظرون أى لهذا السبب يبتدئ نظرهم من تحريك أجفانهم وهو ضعيف فان النـاظر الى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليهـا وقد يفسر الطرف الخفى بمعنى البصـيرة بناء على أن الكفار يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم والاكثرون أجابوا عنه فقـالوا لعلهم يكونون فى الابتـداء هكذا ثم يجعلون عميا أو لعل هـذا فى قوم وذاك فى قوم ثم حكى قول المؤمنين فيهم و (يوم القيامة) ظرف لخسروا كما فى الزمر فيحتمل أن يكون قول المؤمنين فيه أو فى الدنيا وجوز فى الكشاف أن يكون ظرفا

واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا فى قراءة ابن مسعود سل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك يعنى مؤمنى أهل الكتاب * وقال آخرون بل الذين أمر بمسئلتهم ذلك الانبياء الذين جمعوا له ليلة أسرى به ببيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واسئل من أرسلنا من قبلك الآية قال جمعوا له ليلة أسرى به ببيت المقدس فأمهم وصلى بهم فقال الله له سلهم قال فكان أشد ايمانا و يقينا بالله و بما جاءه من الله من أن يسألهم وقرأ فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال فلم يكن فى شك ولم يسأل الانبياء ولا الذين يقرؤن الكتاب قال ونادى جبرائيل صلى الله عليه وسلم فقلت فى نفسى الآن يؤمنا أبونا ابراهيم قال فدفع جبرائيل فى ظهرى قال تقدم يا محمد فصل وقرأ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام حتى بلغ لنريه من آياتنا * وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال عنى به سل مؤمنى أهل الكتابين فان قال قائل وكيف يجوز أن يقال سل الرسل فيكون معناه سل المؤمنين بهم و بكتابهم قيل جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم و بكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم فالخبر عنهم وعما جاؤا به من ربهم اذا صح بمعنى خبرهم والمسئلة عما جاؤا به بمعنى مسألتهم اذا كان المسؤل من أهل العلم بهم والصدق عليهم وذلك نظير أمر الله جل ثناؤه ايانا برد ما تنازعنا فيه الى الله والى الرسول يقول فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والى الرسول ومعلوم أن معنى ذلك فردوه الى كتاب الله وسنة رسوله لأن الرد الى ذلك رد الى الله والرسول وكذلك قوله واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا انما معناه فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل فانك تعلم صحة ذلك من قبلها فاستغنى بذكر الرسل من ذكر الكتب اذ كان معلوما ما معناه وقوله أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون يقول أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله فيما جاؤهم به أو أتوهم بالامر بذلك من عندنا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون أتتهم الرسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الله وقيل آلهة يعبدون فأخرج الخبر عن الآلهة مخرج الخبر عن ذكور بنى آدم ولم يقل تعبد ولا يعبدن فتؤنث وهى حجارة أو بعض الجماد كما يفعل فى الخبر عن بعض الجماد وانما فعل ذلك كذلك اذ كانت تعبد وتعظم تعظيم الناس ملوكهم وسراتهم فأجرى الخبر عنها مجرى الخبر عن الملوك والاشراف من بنى آدم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا الى فرعون وأشراف قومه كما أرسلناك الى هؤلاء المشركين من قومك فقال لهم موسى انى رسول رب العالمين كما قلت أنت لقومك من قريش انى رسول الله اليكم فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون يقول فلما جاء موسى فرعون وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله فيما يدعوهم اليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة اذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعبر يسخرون وهذا تسلية من الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مشركى قومه واعلام منه له أن قومه من أهل الشرك لن يعدوا أن يكونوا كسائر الامم الذين كانوا على منهاجهم فى الكفر بالله وتكذيب رسله وندب منه نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاستنان فى الصبر عليهم بسنن أولى العزم من الرسل واخبار منه له أن عقبى مردتهم الى البوار والهلاك كسنته فى المتمردين عليه قبلهم واظفاره بهم واعلائه أمره كالذى فعل بموسى عليه

لقال والنكير الانكار اى مالكم من مخلص ولا من قدرة أن تنكروا شيأ مما دون فى صحائف أعمالكم أو مالكم من ينكر علينا حتى يغير شيأ من أحوالكم ثم سلى نبيه بقوله فان أعرضوا ثم ذكر سبب اصرارهم على عقائدهم الفاسدة وهو الضعف الذى جبل عليه الانسان من البطر عند الغنى والفراغ فى زمن الصحة والأمن فى زمن الكفران ونسيان نعم الله عند البلاء وانما جمع قوله وان تصبهم لأن الانسان جنس يشمل أهل الغفلة كلهم وقوله (فان الانسان) من وضع الظاهر موضع الضمير وفائدته التسجيل على أن هذا الجنس من شأنه ذلك الا اذا أدب النفس وراضها ثم بين كمال قدرته بقوله (لله ملك السموات والارض) الآية والمقصود أن الانسان لا يغتر بما يملكه من الجاه والمال ولا يعتقد أنه حصل بجد أوجده فيعجب به و يعرض عن طاعة ربه ثم ذكر من أقسام تصرفه فى ملكه أنه يخص البعض من الحيوان بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بالصنفين والبعض يجعله عديم الولد وقدم ذكر الاناث تطييبا لقلوب آبائهن أو لأنهن مكروهات عند العرب فناسب أن يقرن اللفظ الدال عليهن باللفظ الدال على البلاء أو لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الانسان فكان ذكر الاناث التى هى من جملة ما لا يشاء الانسان أهم وفيه نقل الانسان من الغم الى الفرح ولا ريب أن هذا أولى من العكس وفيه أن الانسان اذا رضى بالانثى فاذا أعطاه الذكر علم

السـلام وقومه الذين آمنوا به من اظهارهم على فرعون وملئه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومانريهم من آية الاهى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ﴾ يقول تعالى ذكره وما نرى فرعون وملأه آية يعنى حجة لنا عليه بحقيقة مايدعوه اليه رسولنا موسى إلاهى أكبر من أختها يقول الاالتى نريه من ذلك أعظم فى الحجة عليهم وأوكد من التى مضت قبلها من الآيات وأدل على صحة مايأمره به موسى من توحيد الله وقوله وأخذناهم بالعذاب يقول وأنزلنا بهم العذاب وذلك كأخذه تعالى ذكره اياهم بالسنين ونقص من الثمرات و بالجراد والقمل والضفادع والدم وقوله لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا عن كفرهم بالله الى توحيده وطاعته والتوبة مماهم عليه مقيمون من معاصيهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون أى يتوبون أو يذكرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا ياأيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون وملؤه لموسى ياأيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك وعنوا بقولهم بما عهد عندك بعهده الذى عهد اليك أنا ان آمنا بك واتبعناك كشف عنا الرجز كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل بما عهد عندك قال لئن آمنا ليكشفن عنا العذاب ان قال لنا قائل وما وجه قيلهم ياأيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك وكيف سموه ساحرا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب قيل ان الساحر كان عندهم معناه العالم ولم يكن السحر عندهم ذما وانما دعوه بهذا الاسم لان معناه عندهم كان ياأيها العالم وقوله اننا لمهتدون يقول قالوا انا لمتبعوك فمصدقوك فيما جئتنا به وموحدو الله فمبصرو سبيل الرشاد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ياأيها الساحر ادع لنا ربك اننا لمهتدون قال قالوا ياموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون يقول تعالى ذكره فلما رفعنا عنهم العذاب الذى أنزلناه بهم الذى وعدوا أنهم ان كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحق اذاهم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذى عاهدونا يقول يغدرون ويصرون على ضلالهم ويتمادون فى غيهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذاهم ينكثون أى يغدرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره ونادى فرعون فى قومه من القبط فقال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون يعنى بقوله من تحتى من بين يدى فى الجنان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهذه الانهار تجرى من تحتى قال كانت لهم جنات وأنهار ماء وقوله أفلا تبصرون يقول أفلا تبصرون أيها القوم ماأنا فيه من النعيم والخير وما فيه موسى من الفقر وعىّ اللسان افتخر بملكه مصر عدو الله وما قد مكن له من الدنيا استدراجا من الله له وحسب أن الذى هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله وأن موسى انما لم يصل الى الذى يصفه فنسبه من أجل ذلك الى المهانة محتجا على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محقا فيما يأتى به من الآيات والعبر ولم يكن ذلك سحرا لأكسب نفسه من الملك والنعمة مثل الذى هو فيه من ذلك جهلا بالله واغترارا منه باملائه اياه ﴿ القول

أنه فضل من الله وفيه أن العجز كلما كان أتم كانت عناية الله بحاله أوفر ثم أراد أن يتدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم فعرف الذكور لانه مع رعاية الفاصلة تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام ثم قال (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) فأعطى كلا الجنسين حقه ونصبهما على الحال والضمير للاولاد أو على المفعولية والضمير لمن يشاء أى يجمع لهم كلا الصنفين سواء كانا متساويين فى العدد أم لا وقيل معناه أن تلد أولا غلاما ثم جارية ثم غلاما ثم جارية وهكذا قاله مجاهد وقيل أن تلد ذكرا وأنثى فى بطن واحد قاله ابن الحنفية وعن ابن عباس أن الآية نزلت فى الانبياء وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم عليه السلام ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا وهم القاسم والطاهر وعبد الله وابراهيم واناثا هنّ فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وجعل يحيى وعيسى عقيما والحق أن هذا التقسيم وان كان مطابقا لحال هؤلاء الانبياء الاأن فى التخصيص ضيق عطن وان صحت الرواية عن ابن عباس فالعبرة بعموم اللفظ والمعنى لا بخصوص السبب وحمل بعض أهل التأويل الاناث على أمور الدنيا والذكور على أمور الآخرة وتزويج الصنفين على الجامع بين الامرين والعقيم على من لادين له ولادنيا ثم أكد كمال القدرة بقوله (وما كان لبشر) أى وما صح لأحد (أن يكلمه الله الا) على أحد ثلاثة أنحاء الاول الوحى وهو الالهام أو المنام كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليه السلام

فى تأويل قوله تعالى ﴿أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه وبيان لسانه وتمام خلقه وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التى وصف بها نفسه وموسى أنا خير أيها القوم وصفتى هذه الصفة التى وصفت لكم أم هذا الذى هو مهين لا شئ له من الملك والأموال مع العلة التى فى جسده والآفة التى بلسانه فلا يكاد من أجلها يبين كلامه وقد اختلف فى معنى قوله أم فى هذا الموضع فقال بعضهم معناها بل أنا خير وقالوا ذلك خبر لا استفهام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين قال بل أنا خير من هذا * وبنحو ذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة وقال بعض نحويى الكوفة هو من الاستفهام الذى جعل بأم لاتصاله بكلام قبله قال وان شئت رددته على قوله أليس لى ملك مصر واذا وجه الكلام الى أنه استفهام وجب أن يكون فى الكلام محذوف استغنى بذكر ما ذكر مما ترك ذكره ويكون معنى الكلام حينئذ أنا خير أيها القوم من هذا الذى هو مهين أم هو وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك أما أنا خير حدثت بذلك عن الفراء قال أخبرنى بعض المشيخة أنه بلغه أن بعض القراء قرأ كذلك ولو كانت هذه القراءة قراءة مستفيضة فى قرأة الامصار لكانت صحيحة وكان معناها حسنا غير أنها خلاف ما عليه قراء الامصار فلا أستجيز القراءة بها وعلى هذه القراءة لو صحت لا كلفة له فى معناها ولا مؤنة * والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار وأولى التأويلات بالكلام اذ كان ذلك كذلك تأويل من جعل أم أنا خير من الاستفهام الذى جعل بأم لاتصاله بما قبله من الكلام ووجهه الى أنه بمعنى أأنا خير من هذا الذى هو مهين أم هو ثم ترك ذكر أم هو لما فى الكلام من الدليل عليه وعنى بقوله من هذا الذى هو مهين من هذا الذى هو ضعيف لقلة ماله وأنه ليس له من الملك والسلطان ماله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم أنا خير من هذا الذى هو مهين قال ضعيف حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى من هذا الذى هو مهين قال المهين الضعيف وقوله ولا يكاد يبين يقول ولا يكاد يبين الكلام من عىّ لسانه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يكاد يبين أى عىّ اللسان حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولا يكاد يبين الكلام وقوله فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب يقول فهلا ألقى على موسى ان كان صادقا أنه رسول رب العالمين أسورة من ذهب وهو جمع سوار وهو القلب الذى يجعل فى اليد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أسورة من ذهب يقول أقلبة من ذهب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أسورة من ذهب أى أقلبة من ذهب واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة فلولا ألقى عليه أساورة من ذهب وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه أسورة من ذهب وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى ما عليه قرأة الامصار وان كانت الاخرى صحيحة المعنى واختلف أهل العربية فى واحد الاساورة والأسورة فقال بعض نحويى البصرة الاسورة جمع إسوار وقال والاساورة جمع الاسورة وقال ومن قرأ ذلك أساورة فانه أراد أساوير والله أعلم فجعل الهاء عوضا

فى ذبح ولده وعن مجاهد أن داود عليه السلام ألهمه الزبور فكتبه حفظا الثانى التكليم بلا واسطة ولكن من وراء حجاب والمجسمة استدلوا به على أنه تعالى فى جهة فان الاحتجاب لا يصح الا من ذى جهة ومكان وأجيب بأن هذا مثل لأنه اذا سمع الصوت ولا يرى الشخص كان بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب كما كلم موسى ويكلم الملائكة وقيل حجاب عن ادراك ذلك الكلام لا المتكلم وقيل حجاب لموضع الكلام الثالث أن يرسل رسولا كجبرائيل فيوحى الملك باذن الله الى النبى ما يشاؤه الله والأقسام الثلاثة كلها من قبيل الوحى ولكنه سبحانه جعل الوحى فى الآية خاصا بالاول وتقدير الكلام وما صح أن يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا أو الا وحيا أو اسماعا أو ارسالا أو الا أن يوحى أو يسمع أو يرسل ومن قرأ بالرفع فعلى الاستئناف بمعنى أو هو يرسل أو على الحال بمعنى مرسلا عطفا على وحيا بمعنى موحيا وقيل الوحى هو الوحى الى الرسل بواسطة الملائكة وارسال الرسل ارسال الانبياء الى الامم فان الصحيح عند أهل الحق أن الشيطان لا يقدر على القاء الباطل فى أثناء الوحى وقد يقال ان توجيه التكليف الى العبد لا يتم الا بثلاث مراتب من المعجزات وذلك أن التسلسل محال فلا بد من سماع الملك كلام الله بلا واسطة فالملك يحتاج الى معجزة تدل على أن ذلك الكلام كلام الله واذا بلغ الملك ذلك الكلام الى النبى فلا بد للنبي من مشاهدة معجزة تدل على

من الياء مثل الزنادقة صارت الهاء فيها عوضا من الياء التى فى زناديق وقال بعض نحويى الكوفة من قرأ أساورة جعل واحدها إسوار ومن قرأ أسورة جعل واحدها سوار وقال قد تكون الاساورة جمع أسورة كما يقال فى جمع الاسقية الاساقى وفى جمع الأكرع الأكارع وقال آخر منهم قد قيل فى سوار اليد يجوز فيه أسوار و إسوار قال فيجوز على هذه اللغة أن يكون أساورة جمعه وحكى عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول واحد الاساورة إسوار قال وتصديقه فى قراءة أبى بن كعب فلولا ألقى عليه أساورة من ذهب فان كان ما حكى من الرواية من أنه يجوز أن يقال فى سوار اليد إسوار فلا مؤنة فى جمعه أساورة ولست أعلم ذلك صحيحا عن العرب برواية عنها وذلك أن المعروف فى كلامهم من معنى الاسوار الرجل الرامى الحاذق بالرمى من رجال العجم وأما الذى يلبس فى اليد فان المعروف من أسمائه عندهم سوار فاذا كان ذلك كذلك فالذى هو أولى بالأساورة أن يكون جمع أسورة على ما قاله الذى ذكرنا قوله فى ذلك وقوله أوجاء معه الملائكة مقترنين يقول أوهلا ان كان صادقا جاء معه الملائكة مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض فتتابعوا يشهدون له بأنه لله رسول اليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى العبارة على تأويله فقال بعضهم يمشون معا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الملائكة مقترنين قال يمشون معا * وقال آخرون متتابعين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أوجاء معه الملائكة مقترنين أى متتابعين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون يقارن بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أوجاء معه الملائكة مقترنين قال يقارن بعضهم بعضا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ يقول تعالى ذكره فاستخف فرعون خلقا من قومه من القبط بقوله الذى أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قاله لهم فقبلوا ذلك منه فأطاعوه وكذبوا موسى قال الله وانما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم اليه عدو الله من تصديقه وتكذيب موسى لأنهم كانوا قوما عن طاعة الله خارجين بخذلانه اياهم وطبعه على قلوبهم يقول الله تبارك وتعالى فلما آسفونا يعنى بقوله آسفونا أغضبونا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فلما آسفونا يقول أسخطونا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فلما آسفونا يقول لما أغضبونا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما آسفونا أغضبونا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما آسفونا قال أغضبوا ربهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فلما آسفونا قال أغضبونا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فلما آسفونا قال أغضبونا وهو على قول يعقوب يا أسفى على يوسف قال يا حزنى على يوسف حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلما آسفونا انتقمنا منهم قال أغضبونا وقوله انتقمنا منهم يقول انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذى عجلناه لهم فأغرقناهم جميعا فى البحر ۞ القول فى تأويل

صدقه واذا بلغ الرسول لأمته فالامر كذلك وهذا الثالث مشهور متفق عليه وأما الاولان فلعلهما يعرفان بنور الباطن ولا يفتقر الى المعجزة لا فى أول الامر ولا كل مرة قال أهل التصديق ان الاقسام الثلاثة اجتمعت لنبينا صلى الله عليه وسلم لأنه فى بدء الاسلام كان يرى الرؤيا الصادقة كفلق الصبح وسمع الكلام من وراء الحجاب ليلة المعراج وكان يأتيه جبرائيل الى آخر عمره فلهذا قال عز من قائل (وكذلك أوحينا اليك) ويحتمل أن يراد كما أوحينا الى سائر الانبياء أوحينا اليك يعنى بالطريق الاكثرى وهو القسم الثالث ومعنى (روحا من أمرنا) قرآنا من عندنا أو من عالم أمرنا كقوله يلقى الروح من أمره و(ما كنت تدرى) فى المهد أو قبل البلوغ أو قبل الوحى (ما الكتاب ولا الايمان) يعنى ما يتعلق بكمال الايمان مما لا يكفى فى معرفته مجرد العقل والنظر ويتوقف على النقل واذن الشرع وقيل أراد أهل الايمان يعنى من الذى يؤمن ومن الذى لا يؤمن والضمير فى جعلناه للقرآن أو الايمان أولهما جميعا ووحد كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وهداية الله خاصة وهداية النبى عامة وهى الدعوة وصراط الله دينه ومصير الكل اليه عبارة عن رجوعهم الى حيث لا حكم لأحد سواه والله أعلم

* (سورة الزخرف وهى مكية حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة كلمها ثمانمائة وثلاث وثلاثون آياتها تسع وثمانون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ حم والكتاب المبين انا جعلناه

قوله تعالى ﴿فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدّون﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم فجعلناهم سلفا بضم السين واللام توجيها ذلك منهم الى جمع سليف من الناس وهو المتقدم أمام القوم وحكى الفراء أنه سمع القاسم ابن معن يذكر أنه سمع العرب تقول مضى سليف من الناس وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم فجعلناهم سلفا بفتح السين واللام واذا قرئ كذلك احتمل أن يكون مرادا به الجماعة والواحد والذكر والانثى لانه يقال للقوم أنتم لنا سلف وقد يجمع فيقال هم أسلاف ومنه الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يذهب الصالحون أسلافا وكان حميد الأعرج يقرأ ذلك فجعلناهم سلفا بضم السين وفتح اللام توجيها منه ذلك الى جمع سلفة من الناس مثل أمة منهم وقطعة * وأولى القراآت فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه بفتح السين واللام لانها اللغة الجوداء والكلام المعروف عند العرب وأحق اللغات أن يقرأ بها كتاب الله من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم فتأويل الكلام اذا فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون فى البحر مقدمة يتقدمون الى النار كفار قومك يا محمد من قريش وكفار قومك لهم بالأثر * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابى أبى نجيح عن مجاهد قوله فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين قال قوم فرعون كفارهم سلفا لكفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فجعلناهم سلفا فى النار حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر فجعلناهم سلفا قال سلفا الى النار وقوله ومثلا للآخرين يقول وعبرة وعظة يتعظ بهم من بعدهم من الأمم فينتهوا عن الكفر بالله و بمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومثلا للآخرين قال عبرة لمن بعدهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ومثلا للآخرين أى عظة للآخرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومثلا للآخرين أى عظة لمن بعدهم حدثنا محمد قال ثنا احمد قال ثنا أسباط عن السدى فجعلناهم سلفا ومثلا قال عبرة وقوله ولما ضرب ابن مريم مثلا يقول تعالى ذكره ولما شبه الله عيسى فى احداثه وانشائه اياه من غير فحل بآدم فمثله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل اذا قومك يا محمد من ذلك يضجون و يقولون ما يريد محمد منا الا أن نتخذه الها نعبده كما عبدت النصارى المسيح واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل اذا قومك منه يصدّون قال يضجون قال قالت قريش انما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال لما ذكر عيسى بن مريم جزعت قريش من ذلك وقالوا يا محمد ما ذكرت عيسى بن مريم وقالوا ما يريد محمد الا أن نصنع به كما صنعت النصارى بعيسى بن مريم فقال الله عز وجل ما ضربوه لك الا جدلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما ذكر عيسى فى القرآن قال مشركو قريش يا محمد ما أردت الى ذكر عيسى قال وقالوا انما يريد أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى * وقال آخرون بل عنى بذلك قول الله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبى فى الأولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودّا وهو كظيم أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم و يسئلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون

أنتم لها واردون وقيل المشركين عند نزولها قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة لان كل هؤلاء مما يعبد من دون الله قال الله عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدّون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدّون قال يعني قريشا لما قيل لهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فقالت له قريش فما ابن مريم قال ذاك عبد الله ورسوله فقالوا والله ما يريد هذا الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فقال الله عز وجل ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون واختلفت القراء في قراءة قوله يصدّون فقرأته عامة قراء المدينة وجماعة من قراء الكوفة يصدّون بضم الصاد وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة يصدّون بكسر الصاد واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين ذلك اذا قرئ بضم الصاد واذا قرئ بكسرها فقال بعض نحويي البصرة ووافقه عليه بعض الكوفيين هما لغتان بمعنى واحد مثل يشدّ ويشدّ وينم وينم من النميمة وقال آخر منهم من كسر الصاد فمجازها يضجون ومن ضمها فمجازها يعدلون وقال بعض من كسرها فانه أراد يضجون ومن ضمها فانه أراد الصدود عن الحق وحدثت عن الفراء قال ثنى أبو بكر بن عياش أن عاصما ترك يصدون من قراءة أبي عبد الرحمن وقرأ يصدّون قال قال أبو بكر حدثني عاصم عن أبي رزين عن أبي يحيى أن ابن عباس لقي ابن أخي عبيد بن عمير فقال ان عمك لعربي فماله يلحن في قوله اذا قومك منه يصدون وانما هي يصدّون * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ولغتان مشهورتان بمعنى واحد ولم نجد أهل التأويل فرقوا بين معنى ذلك اذا قرئ بالضم والكسر ولو كان مختلفا معناه لقد كان الاختلاف في تأويله بين أهله موجودا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله يضجون ويجزعون فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب ذكر ما قلنا في تأويل ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اذا قومك منه يصدّون قال يضجون حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس اذا قومك منه يصدّون يقول يضجون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن المغيرة الضبي عن الصعب بن عثمان قال كان ابن عباس يقرأ اذا قومك منه يصدون وكان يفسرها يقول يضجون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس اذا قومك منه يصدون قال يضجون حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس بمثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل اذا قومك منه يصدون قال يضجون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذا قومك منه يصدون أي يجزعون ويضجون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قرأها يصدون أي يضجون وقرأ علي رضي الله عنه يصدون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذا قومك منه يصدون قال يضجون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي اذا قومك منه يصدون قال يضجون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه

وجعلناه

فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون ﴾ ۞ القراآت في إم الكتاب بكسر الهمزة حمزة وعلي إن كنتم بالكسر أبو جعفر ونافع وعلي وحمزة وخلف الآخرون بالفتح أي لأن كنتم مهدا عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الباقون مهادا مينا بالتشديد يزيد يخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وابن ذكوان الآخرون من الاخراج ينشأ من باب التفعيل حمزة وعلي وخلف وحفص الباقون بالتخفيف والياء مفتوحة والنون ساكنة عباد الرحمن جمع عبد أو عابد أبو عمرو وعاصم وحمزة وعلي وخلف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن بالنون كقوله فالذين عند ربك الآخرون عبيد الرحمن اوشهدوا بقلب همزة الاشهاد واوا مضمومة ورش واسمعيل وقرأ يزيد وقالون مثله ولكن بالمد وقرأ المفضل بتحقيق الهمزتين الباقون بهمزة واحدة للاستفهام والشين مفتوحة قال أولو بالألف ابن عامر وحفص والمفضل جئتنا كم يزيد ۞ الوقوف حم ه كوفي المبين ه لا ومن لم يقف على حم وقف على المبين لأن القسم متعلق بما قبله وهو هذه حم تعقلون ه ج حكيم ه ط مسرفين ه الاولين ه يستهزؤن ه الاولين ه العليم ه لا بناء على

وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون﴾ يقول تعالى ذكره وقال مشركو قومك يا محمد آلهتنا التى نعبدها خير أم محمد فنعبد محمدا ونترك آلهتنا وذكر أن ذلك فى قراءة أبى بن كعب أآلهتنا خير أم هذا ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن فى حرف أبى بن كعب وقالوا أآلهتنا خير أم هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل عنى بذلك آلهتنا خير أم عيسى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وقالوا أآلهتنا خير أم هو ماضر بوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون قال خاصموه فقالوا يزعم أن كل من عبد من دون الله فى النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة هؤلاء قد عبدوا من دون الله قال فأنزل الله براءة عيسى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أآلهتنا خير قال عبد هؤلاء عيسى ونحن نعبد الملائكة وقوله ماضر بوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون الى فى الارض يخلفون وقوله تعالى ذكره ماضر بوه لك الاجدلا يقول تعالى ذكره ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ولا قالوا لك هذا القول الاجدلا وخصومة يخاصمونك به بل هم قوم خصمون يقول جل ثناؤه ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين فى محاجتهم اياك بما يحاجونك به طلب الحق بل هم قوم خصمون يلتمسون الخصومة بالباطل وذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ماضل قوم عن الحق الاأوتوا الجدل ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يعلى قال ثنا الحجاج بن دينار عن أبى غالب عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الاأوتوا الجدل ثم قرأ ماضر بوه لك الاجدلا الآية حدثنى موسى بن عبد الرحمن الكندى وأبو كريب قالا ثنا محمد بن بشر قال ثنا حجاج بن دينار عن أبى غالب عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عباد بن عباد عن جعفر بن القاسم عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يتنازعون فى القرآن فغضب غضبا شديدا حتى كأنما صب على وجهه الخل ثم قال صلى الله عليه وسلم لاتضربوا كتاب الله بعضه ببعض فانه ماضل قوم قط الاأوتوا الجدل ثم تلا ماضر بوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون وقوله ان هو الاعبد أنعمنا عليه يقول تعالى ذكره فما عيسى الاعبد من عبادنا أنعمنا عليه بالتوفيق والايمان وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل يقول وجعلناه آية لبنى اسرائيل وحجة لنا عليهم بارسالناه اليهم بالدعاء الينا وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى تعالى الله عن ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان هو الاعبد أنعمنا عليه يعنى بذلك عيسى بن مريم ما عدا ذلك عيسى ابن مريم ان كان الاعبدا أنعم الله عليه وبنحو الذى قلنا أيضا فى قوله وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل قالوا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن قتادة مثلا لبنى اسرائيل أحسبه قال آية لبنى اسرائيل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل أى آية قوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون يقول تعالى ذكره ولو نشاء معشر بنى آدم أهلكناكم فأفنينا جميعكم وجعلنا بدلا منكم فى الارض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدوننى وذلك نحو قوله تعالى ذكره ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا وكما قال ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل غير أن منهم من قال معناه يخلف بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى

أن ما بعده وصف ولو كان نصبا او رفعا على المدح فالوقف تهتدون ٥ بقدر ج للالتفات مع الفاء ميتا ج لانقطاع النظم مع تعلق التشبيه تخرجون ٥ تركبون ٥ لا مقرنين ٥ لا لأن ما بعده من تمام المقول لمنقلبون ٥ جزا ط مبين ٥ ط بالبنين ٥ كظيم ٥ مبين ٥ اناثا ط خلقهم ط ويسئلون ٥ ماعبدناهم ط يخرصون ٥ ط مستمسكون ٥ مهتدون ٥ مقتدون ٥ آباءكم ط كافرون ٥ المكذبين ٥ تعبدون ٥ لا سيهدين ٥ يرجعون ٥ مبين ٥ كافرون ٥ ﴿التفسير﴾ أقسم بجنس الكتاب أو بالقرآن الظاهر الاعجاز أو المفصح عن كل حكم يحتاج المكلف اليه أنه جعل القرآن بلغة العرب ليعقلوه وفى نسبة الجعل الى نفسه اشارة الى أنه ليس بمفترى كما زعمه الكفرة وقيل أراد ورب الكتاب وقيل الكتاب اللوح المحفوظ وقال ابن بحر هو الخط اقسم به تعظيما لنعمته فيه وقال ابن عيسى البيان ما يظهر به المعنى للنفس عند الادراك بالبصر والسمع وذلك على خمسة أوجه لفظ وخط واشارة وعقد وهيئة كالاعراض وتكليح الوجه وأم الكتاب بكسر الهمزة وبضمها اللوح المحفوظ لانه أصل كل كتاب والتقدير وانه لعلى حكيم فى أم الكتاب لدينا والعلو علو الشأن فى البلاغة والارشاد وغير ذلك والحكيم المشتمل على الحكمة ثم أنكر على مشركى قريش بقوله (أفنضرب) قال جار الله أراد أنهملكم فنضرب (عنكم الذكر) يقال ضرب عنه الذكر اذا أمسك عنه وأعرض عن ذكره

معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون يقول يخلف بعضهم بعضا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون قال يعمرون الارض بدلا منكم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله ملائكة في الارض يخلفون قال يخلف بعضهم بعضا مكان بني آدم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون لو شاء الله لجعل في الارض ملائكة يخلف بعضهم بعضا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون قال خلفا منكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ﴾ اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله وانه وما المعني بها ومن ذكر ماهي فقال بعضهم هي من ذكر عيسى وهي عائدة عليه وقالوا معنى الكلام وان عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة لان ظهوره من أشراطها ونزوله الى الارض دليل على فناء الدنيا واقبال الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن يحيى عن ابن عباس وانه لعلم للساعة قال خروج عيسى بن مريم حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس بمثله الا أنه قال نزول عيسى بن مريم حدثني محمد بن اسمعيل الأحمسي قال ثنا غالب بن قائد قال ثنا قيس عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس أنه كان يقرأ وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن فضيل بن مرزوق عن جابر قال كان ابن عباس يقول ما أدري علم الناس بتفسير هذه الآية أم لم يفطنوا لها وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى ابن مريم حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك وعوف عن الحسن أنهما قالا في قوله وانه لعلم للساعة قالا نزول عيسى بن مريم وقرأها أحدهما وانه لعلم للساعة حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وانه لعلم للساعة قال آية للساعة خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة القيامة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وانه لعلم للساعة قال خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وانه لعلم للساعة يعني خروج عيسى بن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة حين ينزل * وقال آخرون الهاء التي في قوله وانه من ذكر القرآن وقالوا معنى الكلام وان هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامها ويخبركم عنها وعن أهوالها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول وانه لعلم للساعة هذا القرآن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال كان ناس يقولون القرآن علم للساعة واجتمعت قراء الامصار

من ضرب في الارض اذا أبعد و(صفحا) مصدر من غير لفظ الفعل والاصل فيه أن تولي الشئ صفحة عنقك وجوز جار الله أن يكون بمعنى جانبا من قولهم نظر اليه بصفح وجهه فينتصب على الظرف ويكون الذكر بمعنى الوعظ والقرآن والفحوى أفننحيه عنكم وقيل ضرب الذكر رفع القرآن عن الارض أي افنرفع القرآن عن الارض أي أفنرفع القرآن من بين أظهركم لاشراككم مع علمنا بأنه سيأتي من يقبله ويعمل به قال السدي أفنترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم وهو قريب من الاول وقيل الذكر هو ان يذكروا بالعقاب ولا يخلو من مناسبة لقوله فأهلكنا أشد منهم بطشا من قرأ (ان كنتم) بالكسر فكقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي يخيل في كلامه أن تفريطه في الخروج عن عهدة الاجر فعل من يشذ في الاستحقاق مع تحققه في الخارج ثم سلى نبيه بقوله (وكم أرسلنا) الآيتين قوله (أشد منهم) قيل من زائدة والمراد أشدهم (بطشا) كعاد وثمود وقيل الضمير لقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصله أشد منكم الا أنه ورد على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم قوله (ومضى مثل الاولين) أي سلف ذكرهم وقصتهم العجيبة في القرآن غير مرة ويحتمل أن يكون معناه كقوله وقد خلت سنة الاولين ثم بين بقوله (ولئن سألتهم) أن كفرهم كفر عناد ولجاج لانهم يعرفون الله ثم ينكرون رسوله وكتابه وقدرته على البعث وهذه الاوصاف من كلام

في قراءة قوله وانه لعلم للساعة على كسر العين من العلم وروى عن ابن عباس ماذكرت عنه في فتحها وعن قتادة والضحاك * والصواب من القراءة في ذلك الكسر في العين لاجماع الحجة من القراء عليه وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي وانه لذكر للساعة فذلك مصحح قراءة الذين قرؤا بكسر العين من قوله لعلم وقوله فلا تمترن بها يقول فلا تشكن فيها وفي مجيئها أيها الناس كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فلا تمترن بها قال تشكون فيها وقوله واتبعون يقول تعالى ذكره وأطيعون فاعملوا بما أمرتكم به وانتهوا عما نهيتكم عنه هذا صراط مستقيم يقول اتباعكم اياي أيها الناس في أمري ونهيي صراط مستقيم يقول طريق لا اعوجاج فيه بل هو قويم وقوله ولا يصدنكم الشيطان يقول جل ثناؤه ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما آمركم وأنهاكم فتخالفوه الى غيره وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا إنه لكم عدو مبين يقول ان الشيطان لكم عدو يدعوكم الى ما فيه هلاككم ويصدكم عن قصد السبيل ليوردكم المهالك مبين قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود لأبيكم آدم وادلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسدا وبغيا القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاء عيسى بني اسرائيل بالبينات يعني بالواضحات من الأدلة وقيل عني بالبينات الانجيل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولما جاء عيسى بالبينات أي بالانجيل وقوله قال قد جئتكم بالحكمة قيل عني بالحكمة في هذا الموضع النبوة ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال قد جئتكم بالحكمة قال النبوة وقد بينت معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده وذكرت اختلاف المختلفين في تأويله فأغنى ذلك عن اعادته وقوله ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه يقول ولأبين لكم معشر بني اسرائيل بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه قال من تبديل التوراة وقد قيل معنى البعض في هذا الموضع بمعنى الكل وجعلوا ذلك نظير قول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها * أو يعتلق بعض النفوس حمامها

قالوا الموت لا يعتلق بعض النفوس وانما المعنى أو يعتلق النفوس حمامها وليس لما قال هذا القائل كبير معنى لان عيسى انما قال لهم ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه لانه قد كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم فقال لهم أبين لكم بعض ذلك وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم فلذلك خص ما أخبرهم أنه يبينه لهم وأما قول لبيد أو يعتلق بعض النفوس فانه انما قال ذلك أيضا كذلك لانه أراد أو يعتلق نفسه حمامها فنفسه من بين النفوس لا شك أنها بعض لا كل وقوله فاتقوا الله وأطيعون يقول فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته وخافوه باجتناب معاصيه وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره وقبول نصيحتي لكم وقوله ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه يقول ان الله الذي يستوجب علينا افراده بالالوهية واخلاص الطاعة له ربي وربكم جميعا فاعبدوه وحده لا تشركوا معه في عبادته شيأ فانه لا يصلح ولا ينبغي أن يعبد شيء سواه وقوله هذا صراط مستقيم يقول هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي وافراد الله بالالوهة هو الطريق

الا من قول الكفار بدليل قوله لكم ولم يقل لنا ولقوله فأنشرنا والمراد لينسبن خلقها الى الذي هذه أوصافه وقد مر في طه مثله وقوله (تهتدون) أي في الاسفار أو الى الايمان بالنظر والاعتبار وقوله (بقدر) أي بمقدار الحاجة لا مخربا مغرقا كما في الطوفان وقوله (ميتا) تذكيره بتأويل المكان والازواج الاصناف وقد مر في قوله سبحان الذي خلق الازواج والعائد الى ما في قوله ما تركبون محذوف فلك أن تقدره مؤنثا أو مذكرا باعتبارين قال في الكشاف يقال ركبت الانعام وركبت في الفلك الا أنه غلب المتعدي بغير واسطة على المتعدي بواسطة قلت يجوز أن يكون كقوله ويوم شهدناه والضمير في ظهوره عائد الى ما والاستواء في الآية بمعنى التمكن والاستقرار وذكر النعمة بالقلب ويحتمل كونه باللسان وهو تقديم الحمد لله يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله في الركاب قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا واذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ومعنى (مقرنين) مطيقين أو ضابطين مع صعوبة خلقه وخلقه وقيل لا يطيق أن يقرن بعضها ببعض حتى يسيرها الى حيث يريد (وانا الى ربنا لمنقلبون) أي في آخر عمرنا كأنه يتذكر ركوب الجنازة أو عثور الدابة أو انكسار السفينة فليستعد للقاء الله عز وجل بخلاف من يركب الخيول والزوارق لأجل التنزه والاشتغال بالملاهي والمناهي

المستقيم وهودين الله الذى لا يقبل من أحد من عباده غيره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنيين بالاحزاب الذين ذكرهم الله فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بذلك الجماعة التى تناظرت فى أمر عيسى واختلفت فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم قال هم الاربعة الذين أخرجهم بنواسرائيل يقولون فى عيسى * وقال آخرون بل هم اليهود والنصارى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم قال اليهود والنصارى * والصواب من القول فى ذلك أن يقال معنى ذلك فاختلف الفرق المختلفون فى عيسى بن مريم من بين من دعاهم عيسى الى مادعاهم اليه من اتقاء الله والعمل بطاعته وهم اليهود والنصارى ومن اختلف فيه من النصارى لأن جميعهم كانوا أحزابا مبتسلين مختلفى الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه وقوله لهم ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم وقوله فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم يقول تعالى ذكره فالوادى السائل من القيح والصديد فى جهنم للذين كفروا بالله الذين قالوا فى عيسى بن مريم بخلاف ماوصف عيسى به نفسه فى هذه الآية من عذاب يوم أليم يقول من عذاب يوم مؤلم ووصف اليوم بالايلام اذ كان العذاب الذى يؤلمهم فيه وذلك يوم القيامة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى من عذاب يوم أليم قال من عذاب يوم القيامة وقوله هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة يقول هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون فى عيسى بن مريم القائلون فيه الباطل من القول الا الساعة التى فيها تقوم القيامة فجأة وهم لا يشعرون يقول وهم لا يعلمون بمجيئها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ يقول تعالى ذكره المتخالون يوم القيامة على معاصى الله فى الدنيا بعضهم لبعض عدو يتبرأ بعضهم من بعض الا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فكل خلة على معصية الله فى الدنيا متعادون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فكل خلة هى عداوة الا خلة المتقين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن أبى اسحق أن عليا رضى الله عنه قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن أحدكما على صاحبه فيقول يارب انه كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك فيقول نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول يارب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى أنى غير ملاقيك فيقول بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب وقوله ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وفى هذا الكلام محذوف

فيكون غافلا عن المبدا والمعاد عن بعضهم أنه أدخل اللام فى الخبرههنا خلاف مافى الشعراء لان ركوب الدابة أوالسفينة أوالجنازة عام لكل أحد ومافى الشعراء خاص بالسحرة ثم عاد الى ماانجر الكلام منه وهو قوله (ولئن سألتهم) والمقصود التنبيه على سخافة عقولهم وقلة محصولهم فانهم مع الاقرار بأن خالق السموات والارض هوالله جعلواله من عباده جزأ أى أثبتواله ولدا وذلك أن ولد الرجل جزء منه قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى يؤذينى مايؤذيها وفى قوله (من عباده) اشارة الى أن ماعداه ممكن الوجود فان الولد متأخر فى الوجود عن الاب والمتأخر عن الواجب ممكن والممكن مفتقر الى الواجب فى الوجود والبقاء والذات والصفات وقيل هوانكار على مثبتى الشركاء لأنهم جعلوا بعض العبادة لغيرالله وفيه نوع تكلف والكفور البليغ الكفران لانه يجحد ربه وخالقه ولا يجتهد فى تنزيهه وتقديسه وحين وبخهم على اثبات الولد زاد فى توبيخهم وتجهيلهم والتعجيب من حالهم حيث جعلوا ذلك الولد بنتا مع أنها مكروهة عندهم فقال (أم اتخذ مما يخلق) وفائدة تنكير (بنات) وتعريف البنين كما مر فى آخر السورة المتقدمة فى تنكير اناثا وتعريف الذكور وقوله (بما ضرب للرحمن مثلا) اى بالجنس الذى جعله شبها لله لأن الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمراد أنه اذا بشر بالانثى كما سبق فى النحل اغتم ويسود وجهه ويملئ غيظا وكربا ثم زاد فى الانكار بتعديد طرف

استغنى بدلالة ماذكر عليه ومعنى الكلام الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فانهم يقال لهم ياعبادى لاخوف عليكم اليوم من عقابى فانى قد أمنتكم منـه برضاى عنكم ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيـا فان الذى قدمتم عليه خير لكم ممـا فارقتموه منها وذكر أن الناس ينادون هذا النداء يوم القيامة فيطمع فيها من ليس من أهلها حتى يسمع قوله الذين آمنوا بآياتنـا وكانوا مسلمين فييئس منها عند ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال ثنا المعتمر عن أبيه قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد الا فزع فينادى مناد ياعباد الله لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم قال فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قال فييئس الناس منها غير المسلمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنـة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ وقوله الذين آمنوا بآياتنـا يقول تعالى ذكره ياعبادى الذين آمنوا وهم الذين صدقوا بكتاب الله ورسله وعملوا بمـا جاءتهم به رسلهم وكانوا مسلمين يقول وكانوا أهـل خضوع لله بقلوبهم وقبول منهم لمـا جاءتهم به رسلهم عن ربهم على دين ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسـلم حنفاء لايهود ولا نصارى ولا أهل أوثان وقوله ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يقول جل ثنـاؤه ادخلوا الجنـة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله مسرورين بمـا أعطاكم اليوم ربكم وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تحبرون وقد ذكرنا ماقد قيل فى ذلك فيما مضى وبينا الصحيح من القول فيه عندنا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع غير أنا نذكر بعض مالم يذكر هنالك من أقوال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون أى تنعمون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله تحبرون قال تنعمون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله تحبرون قال تكرمون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أنتم وأزواجكم تحبرون قال تنعمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيهـا ماتشتهيه الانفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته فى الدنيا اذا دخلوا الجنة فى الآخرة بصحاف من ذهب وهى جمع للكثير من الصحفة والصحفة القصعة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا احمد قال ثنا أسباط عن السدى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال القصاع حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمـان عن أشعث ابن اسحق عن جعفر عن شعبة قال ان أدنى أهل الجنـة منزلة من له قصر فيـه سبعون ألف خادم فى يد كل خادم صحفة سوى مافى يد صاحبها لو فتح بابه فضافه أهل الدنيا لأوسعهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد قال ان أخس أهل الجنة منزلا من له سبعون ألف خادم مع كل خادم صحفـة من ذهب لو نزل به جميع أهل الارض لاوسعهم لايستعين عليهم بشئ من غيره وذلك فى قول الله تبارك وتعـالى لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد ولهم فيها ماتشـتهيه الانفس وتلذ الأعين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى أيوب الازدى عن عبـد الله بن عمرو قال ماأحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام كل غلام على عمل ماعليه صاحبـه وقوله وأكواب وهى جمع كوب والكوب الابريق المستدير الرأس الذى لا أذن له ولا خرطوم وإياه عنى الاعشى بقوله

صريفية طيب طعمها * لها زبد بين كوب ودن

من نقصان الاناث قائلا (أومن ينشأ) والتقدير أهو كضـده قال جار الله تقـديره أو يجعل للرحمن من الولد من له هذه الصفة الدنيئة الذميمـة وهى أنه يربى أو يتربى فى الزينـة والنعومة وهو اذا احتاج الى المخاصمة لايبين ولا يعرب عمـا فى ضميره لعجزه عن البيان ولقـلة عقله قالت العقلاء قلمـا تكلمت امرأة فأرادت أن تعرب عن حجتها الا نطقت بمـا هو حجة عليها وفيه أن النشء فى الزينة والامعان فى التنعم من خصـائص ربات الحجال لا من خواص الرجال وانما ينبغى أن يكون تلبسهم بلباس التقوى وتزينهم باستعداد الزاد للدار الأخرى ثم خصص أن البنات التى نسبن اليه تعالى من أى جنس من بعد ماعمم فى قوله ممايخلق فقال (وجعلوا) أى سموا (الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) وفى اثبـات العبودية لهم نفى الجزئية عنهم كما مر آنفا وقوله (أشهدوا خلقهم) كقوله ماأشهـدتهم خلق السموات والارض وفيه تهكم بهم لأنه لم يدل على ذلك عقل ولا نقـل صحيح فلم يبق الا الاخبار عن المشاهدة يعنى مشاهـدتهم خلق الله اياهـم أو مشاهدة صور الملائكة ثم أوعدهم بقوله (ستكتب شهادتهـم) على أنوثية الملائكة (ويسئلون) ثم حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهاتهـم وهو أنهم (قالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم) أى الملائكة والاصنام نظير مامر فى آخر الانعام سيقول الذين أشركوا الآية واسـتدلال المعـتزلة به ظاهر لانه ذمهم بقوله (مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون)

أجاب الزجاج عنه بأن قوله مالهم بذلك من علم عائد الى قولهم الملائكة بنات الله والمراد لوشاء الرحمن ما أمرنا بعبادتهم كقولهم والله أمرنا بها فلهذا أنكر الله عليهم قاله الواحدى فى بسيطه وقيل قالوها استهزاء وزيفه جار الله بأنه لا يتمشى فى أقوالهم المتقدمة والا كانوا صادقين مؤمنين وجعل هذا الأخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ماقبله تعويج لكتاب الله وتمام البحث بين الفريقين مذكور فى الانعام وانما قال فى الجاثية انهم الا يظنون لان هذا كذب محض وهناك خلطوا الصدق بالكذب صدقوا فى قولهم نموت ونحيي وكذبوا فى قولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا شاكين فى أمر البعث ثم زاد فى الانكار عليهم بقوله (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن أو الرسول (فهم به مستمسكون) ثم أضرب عن ذلك وأخبر أنه لا مستند لهم فى عقائدهم وأقوالهم الفاسدة الا التقليد والامة الدين والطريقة التى تؤم أى تقصد ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن هذا دأب أسلافهم وداء قديم فى جهال بنى آدم وانما قال أولا مهتدون وبعده مقتدون لان العرب كانوا يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعمون الاهتداء ولعل الأمم قبلهم لم يزعموا الا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء ثم أخبر أن النذير (قال) أو أمر النذير أو محمدا أن يقول (أولو جئتكم) أى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم فاصروا على التكذيب ولم يقبلوا فانتقم الله منهم

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأكواب قال الأكواب التى ليست لها آذان ومعنى الكلام يطاف عليهم فيها بالطعام فى صحاف من ذهب وبالشراب فى أكواب من ذهب فاستغنى بذكر الصحاف والاكواب من ذكر الطعام والشراب الذى يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين يقول تعالى ذكره لكم فى الجنة ماتشتهى نفوسكم أيها المؤمنون وتلذ أعينكم وأنتم فيها خالدون يقول وأنتم فيها ماكثون لا تخرجون منها أبدا كما حدثنا بشر قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن ابن سابط أن رجلا قال يارسول الله انى أحب الخيل فهل فى الجنة خيل فقال ان يدخلك الجنة ان شاء فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك فى أى الجنة شئت الا فعلت فقال أعرابى يارسول الله انى أحب الابل فهل فى الجنة إبل فقال يا أعرابى ان يدخلك الله الجنة ان شاء الله ففيها مااشتهت نفسك ولذت عيناك حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار عن محمد بن سعد الانصارى عن أبى ظبية السلفى قال ان السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة قال فتقول ما أمطركم قال فما يدعو داع من القوم بشئ الا أمطرتهم حتى ان القائل منهم ليقول أمطرينا كواعب أترابا حدثنا ابن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية عن على بن أبى الوليد قال قيل لمجاهد فى الجنة سماع قال ان فيها لشجرا يقال له العيص له سماع لم يسمع السامعون الى مثله حدثنى موسى بن عبد الرحمن قال ثنا زيد ابن حباب قال أخبرنا معاوية بن صالح قال ثنى سليمن بن عامر قال سمعت أبا أمامة يقول ان الرجل من أهل الجنة ليشتهى الطائر وهو يطير فيقع متفلقا نضيجا فى كفه فيأكل منه حتى تنتهى نفسه ثم يطير ويشتهى الشراب فيقع الابريق فى يده ويشرب منه مايريد ثم يرجع الى مكانه واختلفت القراء فى قراءة قوله وفيها ماتشتهيه الانفس فقرأته عامة قراء المدينة والشام ماتشتهيه بزيادة هاء وكذلك ذلك فى مصاحفهم وقرأ ذلك عامة قراء العراق تشتهى بغير هاء وكذلك هو فى مصاحفهم * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهم وهذه الجنة التى أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما كنتم فى الدنيا تعملون من الخيرات لكم فيها يقول لكم فى الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع منها منها تأكلون يقول من الفاكهة تأكلون مااشتهيتم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وماظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ان المجرمين وهم الذين اجترموا فى الدنيا الكفر بالله فاجترموا به فى الآخرة فى عذاب جهنم خالدون يقول هم فيه ماكثون لا يفتر عنهم يقول لا يخفف عنهم العذاب وأصل الفتور الضعف وهم فيه مبلسون يقول وهم فى عذاب جهنم مبلسون والهاء فى فيه من ذكر العذاب ويذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وهم فيها مبلسون والمعنى وهم فى جهنم مبلسون والمبلس فى هذا الموضع هو الآيس من النجاة الذى قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهم فيه مبلسون أى مستسلمون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله وهم فيه مبلسون قال آيسون * وقال آخرون بما حدثنا محمد قال ثنا أحمد

قال

قال ثنا أسباط عن السدى وهم فيه مبلسون متغير حالهم وقد بينا فيما مضى معنى الابلاس
بشواهده وذكر المختلفين فيه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا
هم الظالمين يقول تعالى ذكره وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم
من التعذيب بعذاب جهنم ولكن كانوا هم الظالمين بعبادتهم فى الدنيا غير من كان عليهم عبادته
وكفرهم بالله وجحودهم توحيده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون) يقول تعالى ذكره ونادى
هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم فنالهم فيها من البلاء ما نالهم مالكا خازن جهنم يا مالك ليقض
علينا ربك قال ليمتنا ربك فيفرغ من اماتتنا فذكر أن مالكا لا يجيبهم فى وقت قيلهم له ذلك ويدعهم
ألف عام بعد ذلك ثم يجيبهم فيقول لهم انكم ماكثون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا
عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى الحسن عن ابن عباس ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك فأجابهم بعد ألف سنة انكم ماكثون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء
ابن السائب عن رجل من جيرانه يقال له الحسن عن نوف فى قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
قال يتركهم مائة سنة مما تعدون ثم يناديهم فيقول يا أهل النار انكم ماكثون حدثنا محمد بن بشار
قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
قال نخلى عنهم أربعين عاما لا يجيبهم ثم أجابهم انكم ماكثون قالوا ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
نخلى عنهم مثلى الدنيا ثم أجابهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة ان كان
الا الزفير والشهيق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى أيوب الازدى
عن عبد الله بن عمرو قال ان أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاما فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون
ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم أو يخلى عنهم مثل الدنيا ثم يرد عليهم
اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق فى نار جهنم
حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحسن عن نوف ونادوا يا مالك ليقض
علينا ربك قال يتركهم مائة سنة مما تعدون ثم ناداهم فاستجابوا له فقال انكم ماكثون حدثنا محمد
قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال مالك
خازن النار قال فمكثوا ألف سنة مما تعدون قال فأجابهم بعد ألف عام انكم ماكثون حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى ذكره ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
قال يميتنا القضاء ههنا الموت فأجابهم انكم ماكثون وقوله لقد جئناكم بالحق يقول لقد أرسلنا اليكم
يا معشر قريش رسولنا محمدا بالحق كما حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى
لقد جئناكم بالحق قال الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولكن أكثركم للحق كارهون يقول تعالى
ذكره ولكن أكثركم لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق كارهون ۞ القول فى تأويل قوله
تعالى (أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)
يقول تعالى ذكره أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمرا فأحكموه يكيدون به الحق الذى جئناهم
به فانا محكمون لهم ما يخزيهم ويذلهم من النكال وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال مجمعون
ان كادوا شرا كدنا مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله

ثم بين بقصة ابراهيم عليه السلام
أن القول بالتقليد يوجب المنع من
التقليد وذلك أن ابراهيم عليه السلام
كان أشرف آباء العرب وأنه ترك
دين الآباء لأجل الدليل فلو كانوا
مقلدين لآبائهم وجب أن يتبعوه
فى الاعتماد على الدليل لا على مجرد
التقليد والبراء بالفتح مصدر أى
ذو براء وقوله (الا الذى فطرنى)
قيل متصل وكان فيهم من يعبد الله
مع الاصنام وقيل منقطع بمعنى
لكن ويحتمل أن يكون مجرورا
بدلا من ما أى الا من الذى وجوز
فى الكشاف أن تكون الا صفة بمعنى
غير وما موصوفة تقديره اننى براء من
آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى (فانه
سيهدين) أى يثبتنى على الهداية أو
يرشدنى الى طريق الجنة ولا ريب
أن قوله اننى براء مما تعبدون بمنزلة
لا اله وقوله الا الذى فطرنى بمثابة
الا الله وهى كلمة التوحيد فلذلك
أنث الضمير فى قوله (وجعلها) أى
وجعل ابراهيم أو الله (كلمة) التوحيد
(باقية فى عقبه) فلا يزال فى ذريته
من يوحد الله عز وجل ويدعو الى
توحيده نظيره ووصى بها ابراهيم
بنيه ويعقوب (لعلهم) أى لعل من
أشرك منهم يرجع الى التوحيد
أو عن الشرك بدعاء الموحدين منهم
ثم أضرب عن رجاء الرجوع منهم
الى أن تمتيعهم بالعمر وسعة الرزق
صار سببا لعظم كفرهم وشدة
عنادهم قال جار الله أراد بل اشتغلوا
عن التوحيد (حتى جاءهم الحق)
وهو القرآن (ورسول مبين) الرسالة
واضحها فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا
عندها من غفلتهم لاقتضائها التنبيه
ثم ابتدأ قصتهم عند مجىء الحق قائلا

(ولما جاءهم الحق) جاؤابما هوشر من غفلتهم وهو أن ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول وانكار القرآن والله أعلم ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصم أوتهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون وما نريهم من آية الاهي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا ياأيه الساحر

أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال أم أجمعوا أمرا فانا مجمعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال أم أحكموا أمرا فانا محكمون لأمرنا وقوله أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم يقول أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لانسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا وقوله بلى ورسلنا لديهم يكتبون يقول تعالى ذكره بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم وأخفوه عن الناس من سر كلامهم وحفظتنا لديهم يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق وتكلموا به من كلامهم وذكر أن هذه الآية نزلت في نفر ثلاثة تدارؤا في سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده ذكر من قال ذلك حدثني عمرو بن سعيد بن يسار القرشي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا عاصم بن محمد العمري عن محمد بن كعب القرظي قال بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال واحد من الثلاثة أترون الله يسمع كلامنا فقال الاول اذا جهرتم سمع واذا أسررتم لم يسمع قال الثاني ان كان يسمع اذا أعلنتم فانه يسمع اذا أسررتم قال فنزلت أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون وبنحو الذي قلنا في معنى قوله بلى ورسلنا لديهم يكتبون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي بلى ورسلنا لديهم يكتبون قال الحفظة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بلى ورسلنا لديهم يكتبون أي عندهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين فقال بعضهم معنى ذلك قل يا محمد ان كان للرحمن ولد في قولكم وزعمكم أيها المشركون فأنا أول المؤمنين بالله في تكذيبكم والجاحدين ما قلتم من أن له ولدا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قل ان كان للرحمن ولد كما تقولون فأنا أول العابدين المؤمنين بالله فقولوا ما شئتم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فأنا أول العابدين قال قل ان كان لله ولد في قولكم فأنا أول من عبد الله ووحده وكذبكم * وقال آخرون بل معنى ذلك قل ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين له بذلك ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين يقول لم يكن للرحمن ولد فأنا أول الشاهدين * وقال آخرون بل معنى ذلك نفي ومعنى ان الجحد وتأويل ذلك ما كان ذلك ولا ينبغي أن يكون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين قال قتادة وهذه كلمة من كلام العرب ان كان للرحمن ولد أي ان ذلك لم يكن ولا ينبغي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين قال هذا الانكاف ما كان للرحمن ولد نكف الله أن يكون له ولد وان مثل ما انما هي ما كان للرحمن ولد ليس للرحمن ولد مثل قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال انما هي ما كان مكرهم لتزول منه الجبال فالذي أنزل الله من كتابه وقضاه من قضائه أثبت من الجبال وان هي ما ان كان ما كان تقول العرب ان كان وما كان الذي تقول وفي قوله فأنا أول العابدين أول من يعبد الله بالايمان والتصديق أنه ليس للرحمن ولد على هذا أعبد الله حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سألت ابن محمد عن قول الله ان كان للرحمن ولد قال ما كان

ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أوجاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ۞ القراآت سقفا بالفتح فالسكون ابن كثير وأبو عمرو ويزيد والباقون بضمتين على الجمع كرهن ورهن قال أبو عبيدة لا ثالث لهما لما بالتشديد عاصم وحمزة بمعنى الا فان نافية الآخرون بالتخفيف فان مخففة واللام فارقة كما مر فى آخر هود يقيض على الغيبة والضمير للرحمن يعقوب وحماد الآخرون بالنون جاءنا على الوحدة والضمير للعاشى حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد ويعقوب الباقون بألف التثنية والضمير للعاشى والقرين انكم فى العذاب بالكسر ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان أيه الساحر بضم الهاء مثل أيه المؤمنون وقد مر فى النور تحتى بفتح الياء أبو عمرو وابن كثير ونافع وأبو جعفر أسورة كأجربة حفص وسهل ويعقوب الآخرون أساورة كأشاعرة وهو جمع اسوار بمعنى السوار وأصله أساوير الا أنه عوض من الياء هاء فى آخره سلفا بضمتين حمزة وعلى وهو جمع سليف الباقون بفتحتين جمع سالف كخادم وخدم ۞ الوقوف

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى قال ثنا عمرو قال سألت زيد بن أسلم عن قول الله قل ان كان للرحمن ولد قال هذا قول العرب معروف ان كان ما كان ان كان هذا الأمر قط ثم قال وقوله وان كان ما كان * وقال آخرون معنى ان فى هذا الموضع معنى المجازاة قالوا وتأويل الكلام لو كان للرحمن ولد كنت أول من عبده بذلك ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين قال لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له * وقال آخرون معنى ذلك قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين ذلك ووجهوا معنى العابدين الى المنكرين الآبين من قول العرب قد عبد فلان من هذا الأمر اذا أنف منه وغضب وأباه فهو يعبد عبدا كما قال الشاعر

ألا هويت أم الوليد وأصبحت * لما أبصرت فى الرأس منى تعبد

وكما قال الآخر

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله * ويعبد عليه لا محالة ظالما

وقد **حدثنى** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن أبى ذئب عن أبى قسيط عن بعجة بن زيد الجهنى أن امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم ايضا فولدت له فى ستة أشهر فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بها أن ترجم فدخل عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ان الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال وفصاله فى عامين قال فوالله ما عبد عثمان ان بعث اليها ترد قال يونس قال ابن وهب عبد استنكف * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال معنى ان الشرط الذى يقتضى الجزاء على ماذكرناه عن السدى وذلك أن ان لا تعدو فى هذا الموضع أحد معنيين اما أن تكون الحرف الذى هو بمعنى الشرط الذى يطلب الجزاء أو تكون بمعنى الجحد وهى اذا وجهت الى الجحد لم يكن للكلام كبير معنى لانه يصير بمعنى قل ما كان للرحمن ولد واذا صار بذلك المعنى أوهم أهل الجهل من أهل الشرك بالله أنه انما نفى بذلك عن الله عز وجل أن يكون له ولد قبل بعض الأوقات ثم أحدث له الولد بعد أن لم يكن مع أنه لو كان ذلك معناه لقدر الذين أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أن يقولوا له صدقت وهو كما قلت ونحن لم نزعم أنه لم يزل له ولد وانما قلنا لم يكن له ولد ثم خلق الجن فصاهرهم فحدث له منهم ولد كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه ولم يكن الله تعالى ذكره ليحتج لنبيه صلى الله عليه وسلم وعلى مكذبيه من الحجة بما يقدرون على الطعن فيه واذ كان فى توجيهنا ان الى معنى الجحد ماذكرنا فالذى هو أشبه المعنيين بها الشرط واذ كان ذلك كذلك فبينة صحة ما نقول من أن معنى الكلام قل يا محمد لمشركى قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله ان كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم ولكنه لا ولد له فأنا أعبده بأنه لا ولد له ولا ينبغى أن يكون له واذا وجه الكلام الى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشك ولكن على وجه الالطاف فى الكلام وحسن الخطاب كما قال جل ثناؤه قل الله وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وقد علم أن الحق معه وأن مخالفيه فى الضلال المبين وقوله سبحان رب السموات والأرض يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيها لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله وما فى ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب ويضيفون اليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التى لا ينبغى أن تضاف اليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

قوله رب العرش عما يصفون أى يكذبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فذرهم يخوضوا و يلعبوا
حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم العليم﴾
يقول تعالى ذكره فذر يا محمد هؤلاء المفترين على الله الواصفيه بأن له ولدا يخوضوا فى باطلهم و يلعبوا
فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وذلك يوم يصليهم الله بفريتهم عليه جهنم وهو
يوم القيامة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى حتى يلاقوا يومهم الذى
يوعدون قال يوم القيامة وقوله وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله يقول تعالى ذكره والله الذى
له الالوهة فى السماء معبود وفى الأرض معبود كما هو فى السماء معبود لاشئ سواه تصلح عبادته يقول
تعالى ذكره فأفردوا لمن هذه صفته العبادة ولا تشركوا به شيأ غيره * و بنحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة
فى قوله وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله قال يعبد فى السماء و يعبد فى الأرض حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله أى يعبد فى السماء وفى
الأرض وقوله وهو الحكيم العليم يقول وهو الحكيم فى تدبير خلقه وتسخيرهم لما يشاء العليم بمصالحهم
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده
علم الساعة واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره وتبارك الذى له سلطان السموات السبع والأرض
وما بينهما من الأشياء كلها جار على جميع ذلك حكمه ماض فيهم قضاؤه يقول فكيف يكون له شريكا
من كان فى سلطانه وحكمه فيه نافذ وعنده علم الساعة يقول وعنده علم الساعة التى تقوم فيها القيامة
و يحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب قوله واليه ترجعون يقول واليه أيها الناس تردون
من بعد مماتكم فتصيرون اليه فيجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته ۞ القول فى تأويل قوله
تعالى ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ اختلف أهل
التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الذين يعبدهم
هؤلاء المشركون بالساعة الشفاعة عند الله لأحد الا من شهد بالحق فوحد الله وأطاعه علم منه
بتوحيد وصحة بما جاءت به رسله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
قوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قال عيسى وعزير والملائكة قوله الا من شهد بالحق
قال كلمة الاخلاص وهم يعلمون أن الله حق وعيسى وعزير والملائكة يقول لا يشفع عيسى وعزير
والملائكة إلا من شهد بالحق وهو يعلم الحق * وقال آخرون عنى بذلك ولا تملك الآلهة التى يدعوها
المشركون و يعبدونها من دون الله الشفاعة الا عيسى وعزير وذووهما والملائكة الذين شهدوا بالحق
فأقروا به وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون الملائكة
وعيسى وعزير قد عبدوا من دون الله ولهم شفاعة عند الله ومنزلة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا
ابن ثور عن معمر عن قتادة الا من شهد بالحق قال الملائكة وعيسى بن مريم وعزير فان لهم عند الله
شهادة * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين
يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد الا من شهد بالحق وشهادته بالحق هو اقراره
بتوحيد الله يعنى بذلك الا من آمن بالله وهم يعلمون حقيقة توحيده ولم يخصص بأن الذى لا يملك
ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله

عظيم ه رحمت ربك ط سخريا
ط يجمعون ه يظهرون ه لا
يتكئون ه لا وزخرفا ط الدنيا
ط للمتقين ه قرين ه مهتدون ه
القرين ه مشتركون ه مبين ه
منتقمون ه لا مقتدرون ه
اليك ط لاحتمال التعليل مستقيم
ه ولقومك ج للتعليق مع سين
التهديد تسئلون ه يعبدون ه
العالمين ه يضحكون ه من
أختها ز لنوع عدول يرجعون ه
لمهتدون ه ينكثون ه تحتى ج
للاستفهام مع اتحاد الكلام تبصرون
ه لان أم منقطعة مقترنين ه
فأطاعوه ط فاسقين ه أجمعين
ه للآخرين ه ۞ التفسير هذه
حكاية شبهة لكفار قريش وذلك
أنهم ظنوا أن الفضيلة فى المال والجاه
الدنيوى فقالوا (لولا نزل هذا
القرآن) وفى الاشارة ههنا نوع
استخفاف منهم لكتاب الله (على
رجل من القريتين) اى من
احداهما يعنون مكة أو الطائف
قال المفسرون الذى بمكة هو الوليد
ابن المغيرة والذى بالطائف هو
عروة بن مسعود الثقفى ومنهم من
قال غير ذلك وأرادوا بعظم الرجل
رياسته وتقدمه فى الدنيا فألزمهم
الله تعالى بأجوبة أولها قوله على
سبيل الانكار (أهم يقسمون
رحمة ربك) أى النبوة فيضعوها
حيث شاؤا (نحن قسمنا بينهم
معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا) أى خدما
وتابعا ومملوكا واللام لام العاقبة فان
الانسان خلق مدنيا بالطبع وقالت
المعتزلة للغرض واذا كانت المعايش

يوم نزلت هـذه الآية وغيرهم وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم فجميع أولئك داخلون فى قوله ولا يملك الذين يدعو قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله ثم استثنى جل ثناؤه بقوله الا من شهد بالحق وهم يعلمون وهم الذين يشهدون شهادة الحق فيوحدون الله ويخلصون له الوحدانية على علم منهم ويقين بذلك أنهم يملكون الشفاعة عنده باذنه لهم بها كما قال جل ثناؤه ولا يشفعون الا لمن ارتضى فأثبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعزير ملكهم من الشفاعة مانفاه عن الآلهة والاوثان باستثنائه الذى استثناه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من خلقهم ليقولن الله خلقنا فأنى يؤفكون فأى وجه يصرفون عن عبادة الذى خلقهم ويحرمون اصابة الحق فى عبادته وقوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون اختلفت القراء فى قراءة قوله وقيله فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وقيله بالنصب واذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان فى التأويل أحدهما العطف على قوله أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ونسمع قيله يارب والثانى أن يضمر له ناصب فيكون معناه حينئذ وقال قوله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وشكى محمد شكواه الى ربه وقرأته عامة قراء الكوفة وقيله بالخفض على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فتأويل الكلام اذا وقال محمد قيله شاكيا الى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذبوه وما يلقى منهم يارب ان هؤلاء الذين أمرتنى بانذارهم وأرسلتنى اليهم لدعائهم اليك قوم لا يؤمنون كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال فأبر الله عزوجل قول محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال هذا قول نبيكم عليه السلام يشكو قومه الى ربه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وقيله يارب قال هو قول النبى صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم جوابا له عن دعائه اياه اذ قال يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم يا محمد وأعرض عن أذاهم وقل لهم سلام عليكم ورفع سلام بضمير عليكم أولكم واختلفت القراء فى قراءة قوله فسوف يعلمون فقرأ ذلك عامة قراء المدينة فسوف تعلمون بالتاء على وجه الخطاب بمعنى أمر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك للمشركين مع قوله سلام وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض قراء مكة فسوف يعلمون بالياء على وجه الخبر وانه وعيد من الله للمشركين فتأويله على هذه القراءة فاصفح عنهم يا محمد وقل سلام ثم ابتدأ تعالى ذكره الوعيد لهم فقال فسوف يعلمون ما يلقون من البلاء والنكال والعذاب على كفرهم ثم نسخ الله جل ثناؤه هذه الآية وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاصفح عنهم وقل سلام قال اصفح عنهم ثم أمره بقتالهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله تبارك وتعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون

آخر تفسير سورة الزخرف

الدنيوية مع حقارتها وخساستها مفوضة الى تدبير الله وتسخيره وتقديره دون أحد من خلقه فالأمور الدينية والمناصب الحقيقية الأخروية اولى بذلك وقيل الرحمة الرزق ومعنى الآية انكار أن الرزق منهم فكيف تكون النبوة منهم واستدلال السنى بالآية ظاهر فى أن كل الأرزاق من الله حلالا كانت أو حراما وقالت المعتزلة الله تعالى قاسم ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تنا ولهم والجواب أنه كما قسم الرزق عين الجهة التى بها يصل الرزق اليه فكل بقدره وثانيها قوله (ورحمة ربك خير مما يجمعون) لأن الدنيا منقضية فانية ودين الله وما يتبعه من السعادات باق لا يزول فكيف يجعل العاقل ماهو الأخس أفضل مما هو الأشرف وثالثها قوله (ولولا) كراهة (أن يكون الناس أمة واحدة) مجتمعين على الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم) هو بدل اشتمال وقيل هما كقولك وهبت له ثوبا لقميصه فى أن اللام للغرض والمعارج المصاعد أو المراقى جمع معرج كمخلب (عليها) أى على المعارج (يظهرون) يعلون السطوح والزخرف الزينة أى جعلنا لهم زينة عظيمة فى كل باب وقيل الذهب أى جعلنا لهم مع ذلك ذهبا كثيرا أو وجه آخر على هذا التفسير وهو أن يكون معطوفا على قوله من فضة الا أنه نصب بنزع الخافض أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب والحاصل أنه سبحانه ان وسع على الكافرين كل التوسعة أطبق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم

﴿ تفسير سورة الدخان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم﴾ قد تقدم بياننا فى معنى قوله حم والكتاب المبين وقوله انا أنزلناه فى ليلة مباركة أقسم جل ثناؤه بهذا الكتاب أنه أنزله فى ليلة مباركة واختلف أهل التأويل فى تلك الليلة أى ليلة من ليالى السنة هى فقال بعضهم هى ليلة القدر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا أنزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر ونزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان ونزلت التوراة لست ليال مضت من رمضان ونزل الزبور لست عشرة مضت من رمضان ونزل الانجيل لثمان عشرة مضت من رمضان ونزل الفرقان لاربع وعشرين مضت من رمضان حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فى ليلة مباركة قال هى ليلة القدر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله عز وجل انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين قال تلك الليلة ليلة القدر أنزل الله هذا القرآن من أم الكتاب فى ليلة القدر ثم أنزله (١) على الانبياء فى الليالى والايام وفى غير ليلة القدر * وقال آخرون بل هى ليلة النصف من شعبان * والصواب من القول فى ذلك قول من قال عنى بها ليلة القدر لان الله جل ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك لقوله تعالى انا كنا منذرين خلقنا بهذا الكتاب الذى أنزلناه فى الليلة المباركة عقوبتنا أن تحل بمن كفر منهم فلم ينب الى توحيدنا وافراد الالوهة لنا وقوله فيها يفرق كل أمر حكيم اختلف أهل التأويل فى هذه الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم نحو اختلافهم فى الليلة المباركة وذلك أن الهاء التى فى قوله فيها عائدة على الليلة المباركة فقال بعضهم هى ليلة القدر يقضى فيها أمر السنة كلها من يموت ومن يولد ومن يعز ومن يذل وسائر أمور السنة ذكر من قال ذلك حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا ربيعة بن كلثوم قال كنت عند الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد ليلة القدر فى كل رمضان هى قال إى والله انها لفى كل رمضان وانها الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضى الله كل أجل وأمل ورزق الى مثلها حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال قال رجل للحسن وأنا أسمع أرأيت ليلة القدر أفى كل رمضان هى قال نعم والله الذى لا اله الا هو إنها لفى كل رمضان وانها الليلة يفرق فيها كل أمر حكيم يقضى الله كل أجل وخلق ورزق الى مثلها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الحميد بن سالم عن عمر مولى غفرة قال يقال ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر الى مثلها وذلك لأن الله عز وجل يقول انا أنزلناه فى ليلة مباركة وقال فيها يفرق كل أمر حكيم قال فتجد الرجل ينكح النساء ويغرس الغرس واسمه فى الاموات حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن أبى مالك فى قوله فيها يفرق كل أمر حكيم قال أمر السنة الى السنة ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة أو نحو هذا * قال ثنا سفيان عن حبيب عن هلال بن يساف قال كان يقال انتظروا القضاء فى شهر رمضان حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن فى قوله فيها يفرق كل أمر حكيم قال يدبر أمر السنة

عليها مع حقارة الدنيا عند الله تعالى وفى معناه قول نبينا صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وانما لم يوسع على المسلمين كلهم لتكون رغبة الناس فى الاسلام لمحض الاخلاص لا لأجل الدنيا ثم بشر المؤمنين بقوله (وان كل ذلك) الى آخره قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن اللطف من الله تعالى واجب وفيه أنه تعالى لما لم يفعل بالناس التوسعة لئلا يجتمعوا على الكفر فلأن لا يخلق فيهم الكفر أولى والجواب أن وقوع كل الناس فى طريق القهر محذور وأما وقوع البعض فضرورى كما مر فى أول البقرة فشتان بين الممتنع الوجود والضرورى الوجود فكيف يقاس أحدهما على الآخر ثم بين أن مادة كل الآفات وأصل جميع البليات هو السكون الى الدنيا والركون الى أهلها فان ذلك بمنزلة الرمد للبصر ويصير بالتدريج كالعشى ثم كالعمى فقال (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أى عن القرآن أى يعرف أنه الحق ولكنه يتجاهل قال جار الله قرئ بفتح الشين أيضا والفرق أنه اذا حصلت آفة فى بصره يقال عشى بالكسر أى عمى يعشى بالفتح واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا اى تعامى وفيه معنى الاعراض فلهذا عدى بعن ومعنى (نقيض) نقدر كما مر فى حم السجدة (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) أى العشى عن دين الله (ويحسبون) أى الكفار أن الشياطين والكافرين (مهتدون) وانما جمع الضميرين لان من عام وشيطانا تابع له ولا شك أن

(١) لعله على الأشياء والأنبياء تحرر

السنة فى ليلة القدر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فيها يفرق كل أمر حكيم قال فى ليلة القدر كل أمر يكون فى السنة الى السنة الحياة والموت يقدر فيها المعايش والمصائب كلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا أنزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر فيها يفرق كل أمر حكيم كنا نحدث أنه يفرق فيها أمر السنة الى السنة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال هى ليلة القدر فيها يقضى ما يكون من السنة الى السنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال سألت مجاهدا فقلت أرأيت دعاء أحدنا يقول اللهم ان كان اسمى فى السعداء فأثبته فيهم وان كان فى الأشقياء فامحه منهم واجعله بالسعداء فقال حسن ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك فسألته عن هذا الدعاء قال انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم قال يقضى فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو مصيبة ثم يقدم ما يشاء و يؤخر ما يشاء فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يغير * وقال آخرون بل هى ليلة النصف من شعبان ذكر من قال ذلك حدثنا الفضل بن الصباح والحسن بن عرفة قالا ثنا الحسن بن اسمعيل البجلى عن محمد بن سوقة عن عكرمة فى قول الله تبارك وتعالى فيها يفرق كل أمر حكيم قال فى ليلة النصف من شعبان يبرم فيه أمر السنة وتنسخ الأحياء من الاموات و يكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد حدثنى عبيد بن آدم بن أبى اياس قال ثنا أبى قال ثنا الليث عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح و يولد له وقد خرج اسمه فى الموتى حدثنى محمد ابن معمر قال ثنا أبو هشام قال ثنا عبد الواحد قال ثنا عثمان بن حكيم قال ثنا سعيد ابن جبير قال قال ابن عباس ان الرجل ليمشى فى الناس وقد رفع فى الاموات قال ثم قرأ هذه الآية انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم قال ثم قال يفرق فيها أمر الدنيا من السنة الى السنة * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك ليلة القدر لما قد تقدم من بياننا عن أن المعنى بقوله انا أنزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر والهاء فى قوله فيها من ذكر الليلة المباركة وعنى بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم فى هذه الليلة المباركة يقضى و يفصل كل أمر أحكمه الله تعالى فى تلك السنة الى مثلها من السنة الأخرى و وضع حكيم موضع محكم كما قال الم تلك آيات الكتاب الحكيم يعنى المحكم وقوله أمرا من عندنا انا كنا مرسلين يقول تعالى ذكره فى هذه الليلة المباركة يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله أمرا فقال بعض نحويى الكوفة نصب على انا أنزلناه أمرا ورحمة على الحال وقال بعض نحويى البصرة نصب على معنى يفرق كل أمر فرقا وأمرا قال وكذلك قوله رحمة من ربك قال و يجوز أن تنصب الرحمة بوقوع مرسلين عليها فجعل الرحمة للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله انا كنا مرسلين يقول تعالى ذكره انا كنا مرسلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الى عبادنا رحمة من ربك يا محمد انه هو السميع العليم يقول ان الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا وأرسلنا من رسلنا اليهم وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم العليم بما تنطوى عليه ضمائرهم وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيى و يميت ربكم و رب آبائكم الأولين بل هم فى شك

هذا القرين ملازم له فى الآخرة لقوله حتى اذا جاءنا الآية وأما فى الدنيا فمحتمل بل لازم لقوله صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون و يروى أن الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره أخذ شيطان بيده ولم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار فذلك حيث يقول (ياليت بينى و بينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب كالقمرين وقيل المغرب أيضا مشرق بالنسبة الى الحركة الثانية وهذا قول أهل السنة وقيل مشرق الصيف ومشرق الشتاء وفيه ضعف لأنه لا يفيد مبالغة فبين الله تعالى أن ذلك التمنى لا ينفعهم وعلله بقوله (انكم) من قرأ بالكسر فظاهر ومن قرأ بالفتح فعلى حذف اللام أى لن ينفعكم تمنيكم لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه وهو الكفر و يحتمل أن يكون أن فى قراءة الفتح فاعل ينفع أى لن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب وان قيل المصيبة اذا عمت طابت وذلك أن كل أحد مشغول فى ذلك اليوم عن حال غيره بحال نفسه و (اذ) بدل من اليوم ومعناه اذ ظلمكم تبين و وضح لكل أحد ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يحزن على فقد الايمان منهم فسلاه بقوله (أفأنت) الى آخره وقوله (فاما نذهبن بك) أراد به قبض روحه كقوله فى يونس وفى المؤمن فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك والانتقام اما فى الآخرة وهو قول الجمهور أو فى الدنيا عن جابر أنه قال لما نزلت فانا منهم منتقمون قال النبى صلى الله عليه

يلعبون﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله رب السموات والارض فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة رب السموات بالرفع على إتباع اعراب الرب اعراب السميع العليم وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض المكيين رب السموات خفضا ردا على الرب في قوله جل جلاله رحمة من ربك * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ويعني بقوله رب السموات والارض وما بينهما يقول تعالى ذكره الذي أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك وأرسلك الى هؤلاء المشركين رحمة من ربك مالك السموات السبع والارض وما بينهما من الاشياء كلها وقوله ان كنتم موقنين يقول ان كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم رب السموات والارض فان الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته وأن هذا القرآن تنزيله ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حق يقين فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الاشياء غيره وقوله لا اله الا هو يقول لا معبود لكم أيها الناس غير رب السموات والارض وما بينهما فلا تعبدوا غيره فانه لا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغي لشئ سواه يحيي ويميت يقول هو الذي يحيي ما يشاء ويميت ما يشاء مما كان حيا وقوله ربكم ورب آبائكم الاولين يقول هو مالككم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأولين يقول فهذا الذي هذه صفته هو الرب فاعبدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع وقوله بل هم في شك يلعبون يقول تعالى ذكره ماهم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الاخبار يعني بذلك مشركي قريش ولكنهم في شك منه فهم يلهون بشكهم في الذي يخبرون به من ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فارتقب فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم في شك يلعبون وانما هو افتعل من رقبته اذا انتظرته وحرسته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فارتقب أي فانتظر وقوله يوم تأتي السماء بدخان مبين اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين أي يوم هو ومتى هو وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع فقال بعضهم ذلك حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف فأخذوا بالمجاعة قالوا وعني بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان ذكر من قال ذلك حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال دخلنا المسجد فاذا رجل يقص على أصحابه ويقول يوم تأتي السماء بدخان مبين تدرون ما ذلك الدخان ذلك دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ أسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام قال فأتينا ابن مسعود فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا ففزع فقعد فقال ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك ان قريشا لما أبطأت عن الاسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم الى السماء فلا يرون الا الدخان قال الله تبارك وتعالى يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون قال الله جل ثناؤه انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون

قال

وسلم بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أورده في تفسير اللباب وقيل فاما نذهبن بك من مكة فانا منهم منتقمون يوم بدر والحاصل أنه تعالى توعد الكفار بعذاب الدنيا والآخرة جميعا ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم سواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرناه الى الآخرة فكن متمسكا بما أوحينا اليك فانه الدين الذي لا عوج له وانه لشرف لك ولقومك أي لجميع أمتك أو لقريش وسوف تسئلون هل أديتم شكر هذه النعمة أم لا قال أهل التحقيق في الآية دلالة على أن الذكر الجميل أمر مرغوب فيه لعموم أثره وشموله كل مكان وكل زمان خلاف الحياة المستعارة فان أثرها لا يجاوز مسكن الحي قلت الذكر الجميل جميل ولكن الذكر الحاصل من القرآن أجمل رزقنا الله طرفا من ذلك بعميم فضله ثم ان السبب الأقوى في بغض الكفار وعداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم انكاره لاصنامهم فبين تعالى انه غير مخصوص بهذه الدعوة وهذا الانكار ولكنه دين أطبق كل الانبياء على الدعاء اليه وفي الآية أقوال أحدها أن المضاف محذوف تقديره واسأل يا محمد أمم من أرسلنا وقال القفال المحذوف صلة التقدير واسأل من أرسلنا اليهم من قبلك رسولا من رسلنا والمراد أهل الكتابين لأنهم كانوا يرجعون اليهم في كثير من أمورهم نظيره فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ثانيها أن حقيقة السؤال ههنا ممتنعة ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم

قال فعادوا يوم بدر فانتقم الله منهم حدثني عبد الله بن محمد الزهري قال ثنا مالك بن سعير
قال ثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق قال كان في المسجد رجل يذكر الناس فذكر نحو حديث
عيسى عن يحيى بن عيسى الا أنه قال فانتقم يوم بدر فهي البطشة الكبرى حدثنا ابن حميد وعمرو
ابن عبد الحميد قالا ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن مسروق قال كنا
عند عبد الله بن مسعود جلوسا وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند
ابواب كندة يقص و يزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار و يأخذ المؤمنين منه كهيئة
الزكام فقام عبد الله و جلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله فمن علم شيأ فليقل بما يعلم ومن لا
يعلم فليقل الله أعلم وقال عمرو فانه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم وما على أحدكم أن يقول لما
لا يعلم لا أعلم فان الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من
المتكلفين ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف
فأخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ينظر أحدهم الى السماء فيرى
دخانا من الجوع فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال يا محمد انك جئت تأمر بالطاعة و بصلة الرحم وان
قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الى قوله انكم
عائدون قال فكشف عنهم يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وقد مضت
آية الروم و آية الدخان والبطشة واللزام حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش
عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم
حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال شهدت جنازة فيها زيد بن علي فأنشأ
يحدث يومئذ فقال ان الدخان يجيء قبل يوم القيامة فيأخذ بأنف المؤمن الزكام و يأخذ بمسامع
الكافر قال قلت رحمك الله ان صاحبنا عبد الله قد قال غير هذا قال ان الدخان قد مضى وقرأ هذه الآية
فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم قال أصاب الناس جهد حتى
جعل الرجل يرى ما بينه و بين السماء دخانا فذلك قوله فارتقب وكذا قرأ عبد الله الى قوله مؤمنون
قال انا كاشفو العذاب قليلا قلت لزيد فعادوا فأعاد الله عليهم بدرا فذلك قوله وان عدتم عدنا فذلك
يوم بدر قال فقبل والله قال عاصم فقال رجل يرد عليه فقال زيد رحمة الله عليه أما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد قال انكم سيجيئكم رواة فما وافق القرآن فخذوا به وما كان غير ذلك فدعوه حدثنا
ابن المثنى قال ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود أنه قال البطشة الكبرى
يوم بدر وقد مضى الدخان حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف قال سمعت
أبا العالية يقول ان الدخان قد مضى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمرو عن مغيرة عن
ابراهيم قال مضى الدخان لسنين أصابتهم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال
ثنا أيوب عن محمد قال نبئت أن ابن مسعود كان يقول قد مضى الدخان كان سنين كسني يوسف
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يوم تأتي السماء بدخان مبين قال
الجدب وامساك المطر عن كفار قريش الى قوله انا مؤمنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة يوم تأتي السماء بدخان مبين قال كان ابن مسعود يقول قد مضى الدخان وكان
سنين كسني يوسف يغشى الناس هذا عذاب أليم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ

وثالثها أن التقدير واسأل جبرائيل
عمن أرسلنا ورابعها أن النبي صلى
الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة
المعراج في السماء أو في بيت المقدس
فأمهم وقيل له صلى الله عليه وسلم
سلهم فلم يسأل وقد قال صلى الله
عليه وسلم اني لا أشك في ذلك قاله
ابن عباس وعن ابن مسعود أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني
ملك فقال يا محمد سل من أرسلنا
من قبلك من رسلنا علام بعثوا قال
قلت علام بعثوا قال على ولايتك
وولاية علي بن أبي طالب رضي الله
عنه رواه الثعلبي ولكنه لا يطابق
قوله سبحانه أجعلنا الآية وجوز
بعضهم أن يكون من مبتدأ
والاستفهامية خبره والعائد محذوف
أي على ألسنتهم ومعنى الجعل
التسمية والحكم واعلم أن كفار
قريش انما طعنوا في نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم من جهة كونه فقيرا
خاملا وكان فرعون اللعين قد طعن
في موسى بمثل ذلك حيث قال
أليس لي ملك مصر الى قوله مهين
فلا جرم أورد قصة موسى ههنا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله
(فلما جاءهم) معطوف على محذوف
تقديره فقال اني رسول رب العالمين
فطالبوه اقامة البينة على دعواه فلما
جاءهم الى آخره قال جار الله فعل
المفاجأة مع اذا مقدر وهو عامل
النصب في محلها كأنه قيل فلما
جاءهم بآياتنا فاجأوقت ضحكهم
استهزاء أو سخرية قوله (وما نريهم)
حكاية حال ماضية وفي قوله (هي
أكبر من أختها) وجهان أحدهما أن
كلا منها مثل شبيهتها التي تقدمت
وكل من رأى واحدة منها حكم بأنها

يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يوم تأتي السماء بدخان مبين قد مضى شأن
الدخان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله يوم نبطش البطشة
الكبرى قال يوم بدر * وقال آخرون الدخان آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة
فيدخل في أسماع أهل الكفر به ويعتري أهل الايمان به كهيئة الزكام قالوا ولم يأت بعد وهو آت
ذكر من قال ذلك حدثني واصل بن عبد الأعلى قال ثنا ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن
عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن البيلمان عن ابن عمر قال يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة
الزكمة ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ حدثني يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال غدوت على ابن عباس ذات يوم
فقال ما نمت الليلة حتى أصبحت قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون
الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت حدثنا محمد بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن
عوف قال قال الحسن ان الدخان قد بقي من الآيات فاذا جاء الدخان نفخ الكافر حتى يخرج من كل
سمع من مسامعه ويأخذ المؤمن كزكمة حدثنا ابن بشار قال ثنا عثمان يعني ابن الهيثم قال
ثنا عوف عن الحسن بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن
الحسن عن أبي سعيد قال يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه منه كهيئة الزكمة وأما الكافر
فيهيجه حتى يخرج من كل مسمع منه قال وكان بعض أهل العلم يقول فما مثل الارض يومئذ إلا
كمثل بيت أوقد فيه ليس فيه خصاصة حدثني عصام بن رواد بن الجراح قال ثني أبي
قال ثنا سفيان بن سعيد الثوري قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت
حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدجال ونزول عيسى بن
مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا والدخان قال حذيفة
يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى
الناس هذا عذاب أليم يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه
كهيئة الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره حدثني محمد بن
عوف قال ثنا محمد بن اسمعيل بن عياش قال ثني أبي قال ثني ضمضم بن زرعة عن شريح
ابن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم أنذركم ثلاثا
الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية
الدابة والثالثة الدجال * وأولى القولين بالصواب في ذلك ما روي عن ابن مسعود من أن الدخان
الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم على
ما وصفه ابن مسعود من ذلك ان لم يكن خبر حذيفة الذي ذكرناه عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم صحيحا وان كان صحيحا فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه وليس لأحد مع
قوله الذي يصح عنه قول وانما لم أشهد له بالصحة لان محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل
روادا عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان فقال له لا فقلت له فقرأته عليه فقال لا فقلت له فقرئ
عليه وأنت حاضر فأقر به فقال لا فقلت له فمن أين جئت به قال جاءني به قوم فعرضوه علي وقالوا
لي اسمعه منا فقرؤه علي ثم ذهبوا فحدثوا به عني أو كما قال فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة
وانما قلت القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية لأن الله جل ثناؤه توعد
بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين

حكم كبراها التكافؤ كل منها في الكبر
واذا كان هذا الحكم صادقا على
كل منها فكلها كبار كما قال الحماسي
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم *
مثل النجوم التي يسري بها الساري
وثانيها أن يقال ان الآية الاولى كبيرة
والتي تليها أكبر من الأولى والثالثة
أكبر من الثانية وكذلك ما بعدها
هذا القدر مستفاد من الآية
وأما تفصيل هذا التفصيل فلعله
لا يطلع عليه الا خالقها ومظهرها
(وأخذناهم بالعذاب) السنين
ونقص من الثمرات الى سائر ما ابتلوا
به قالت المعتزلة (لعلهم يرجعون)
أي أراد أن يرجعوا فورد عليهم أنه
لو أراد رجوعهم لكان وأجابوا
بأنه لو أراد قسرا لكان ولكنه أراد
مختارا وزيف بأنه لو أراد أن يقع
طريق الاختيار لزم أن يقع أيضا
مختارا أما الفرق فالصواب أن
يقال لعل للترجي ولكن بالنسبة
الى المكلف كما مر مرارا (وقالوا
يا أيه الساحر) أي العالم الماهر
ولم يكن السحر عندهم ذما بل
كانوا يستعظمونه ولهذا قالوا اننا
لمهتدون وقيل كانوا بعد على كفرهم
فلهذا سموه ساحرا وقولهم (اننا
لمهتدون) وعد منوي اخلافه وقولهم
(ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي
بعهده عندك من أن دعوتك
مستجابة وقد مر في الأعراف
(ونادى فرعون) أي أمر بالنداء
(في) مجامع (قومه) أو رفع صوته
بذلك فيما بين خواصه فانتشر
في غيرهم والأنهار أنهار النيل قال
المفسرون كانت ثلثمائة وستين نهرا
ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر
طالوت ونهر دمياط ونهر منفيس

فى سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه اياهم بشركهم بقوله لا اله الا هو يحيى ويميت
ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم فى شك يلعبون ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه السلام فارتقب
يوم تأتى السماء بدخان مبين أمرا منه له بالصبر الى أن يأتيهم بأسه وتهديدا للمشركين فهو بأن يكون
اذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم وبعد فانه غير منكر أن يكون
أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم ويكون محلا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا
على ما جاءت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك لان الاخبار عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت بان ذلك كائن فانه قد كان ما روى عنه عبد الله
ابن مسعود فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح وان كان تأويل
الآية فى هذا الموضع ما قلنا فاذ كان الذى قلنا فى ذلك أولى التأويلين فبين أن معناه فانتظر يا محمد
لمشركى قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذى يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله
أنه دخان يغشى الناس يقول يغشى أبصارهم من الجهد الذى يصيبهم هذا عذاب أليم يعنى أنهم
يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد هذا عذاب أليم وهو الموجع وترك من الكلام يقولون
استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها وقوله ربنا اكشف عنا العذاب يعنى أن الكافرين
الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون الى ربهم بمسئلتهم اياه كشف ذلك الجهد عنهم ويقولون
انك ان كشفته عنا آمنا بك وعبدناك من دون كل معبود سواك كما أخبر عنهم جل ثناؤه
ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أنى لهم الذكرى وقد
جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون﴾
يقول تعالى ذكره من أى وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم وقد تولوا عن رسولنا
حين جاءهم مدبرين عنه لا يتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا ولا يتعظون بما يعظهم به من
حججنا و يقولون انما هو مجنون(١) على هذا الكلام * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله أنى لهم
الذكرى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى
معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله أنى لهم الذكرى يقول كيف لهم حدثنى محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أنى لهم الذكرى بعد وقوع هذا البلاء * وبنحو الذى قلنا أيضا
فى قوله ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال تولوا عن محمد عليه السلام
وقالوا معلم مجنون وقوله انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين
الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحال بهم من الجهد وأخبر عنهم
أنهم يعاهدونه أنه ان كشف العذاب عنهم آمنوا انا كاشفو العذاب يعنى الضر النازل بهم
بالخصب الذى نحدثه لهم قليلا انكم عائدون يقول انكم أيها المشركون اذا كشفت عنكم ما بكم
من ضر لم تفوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الايمان ولكنكم تعودون فى ضلالتكم
وغيكم وما كنتم قبل أن يكشف عنكم وكان قتادة يقول معناه انكم عائدون فى عذاب الله حدثنا
بذلك ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عنه وأما الذين قالوا عنى بقوله يوم تأتى السماء

كانت تجرى تحت قصره وقيل تحت
سريره لارتفاعه وقيل بين يدى
فى جناتى وبساتينى وعن عبد الله
ابن المبارك الدينورى فى تفسيره
أنه أراد بالانهار الجياد من الخيل
وهو موافق لما جاء فى الحديث
فى فرس أبى طلحة وان وجدناه لبحرا
وقال الضحاك معناه وهذه القوّاد
والجبابرة تحت لوائى قال النحويون
اما أن تكون الواو عاطفة للانهار على
ملك مصر وتجرى نصب على الحال
أو الواو للحال وما بعده جملة محلها
نصب وفى أم أقوال منها قول سيبويه
انها متصلة تقديره أفلا تبصرون
أم تبصرون الا أنه وضع قوله أنا خير
موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له
أنت خير فهم عنده بصراء فهذا من
انزال السبب منزلة المسبب لان
الابصار سبب لهذا القول بزعمه
ومنها أنها منقطعة لأنه عدد عليهم
أسباب الفضل ثم أضرب عن
ذلك ثانيا أثبت عندكم أنى خير
ومنها أن التقدير أفلا تبصرون
أنى خير أم أبصرتم ثم استأنف فقال
أنا خير والمهين من المهانة أى الحقارة
والضعف أراد أنه فقير ولا عدد معه
ولا عدد (ولا يكاد يبين) الكلام لان
عقدته لم تزل بالكلية كما شرحنا
فى طه والقاء الاسورة عليه عبارة
عن تفويض مقاليد الملك اليه كانوا
اذا أرادوا تشريف الرجل سوّروه
بسوار وطوّقوه بطوق من ذهب
وغيره أى ليس معه آلات الملك
والسياسة أو ليس معه حلية وزى
حسن كما أن الملوك يشهرون رسلهم
بالخلع والمكرمات وبأشخاص
يتبعونهم فلذلك قالوا (أو جاء معه
الملائكة مقترنين) به أو يقترن

(١) لعله علم هذا تأمل

بدخان مبين الدخان نفسه فانهم قالوا فى هذا الموضع عنى بالعذاب الذى قال انا كاشفو العذاب
الدخان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا كاشفو
العذاب قليلا يعنى الدخان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله
انا كاشفو العذاب قليلا قال قد فعل كشف الدخان حين كان قوله انكم عائدون قال كشف
عنهم فعادوا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة انكم عائدون
الى عذاب الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الى عباد الله انى لكم رسول أمين﴾
يقول تعالى ذكره انكم أيها المشركون ان كشفت عنكم العذاب النازل بكم والضر الحال بكم ثم عدتم
فى كفركم ونقضتم عهدكم الذى عاهدتم ربكم انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتى الكبرى
فى عاجل الدنيا فأهلككم وكشف الله عنهم فعادوا فبطش بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى
فى الدنيا فأهلكهم قتلا بالسيف وقد اختلف أهل التأويل فى البطشة الكبرى فقال بعضهم
هى بطشة الله بمشركى قريش يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنى
ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود أنه قال البطشة الكبرى يوم بدر
حدثنى عبد الله بن محمد الزهرى قال ثنا مالك بن سعير قال ثنا الأعمش عن مسلم
عن مسروق قال قال يوم بدر البطشة الكبرى حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا
أيوب عن محمد قال نبئت أن ابن مسعود كان يقول يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر حدثنى
يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد يوم نبطش البطشة الكبرى قال يوم بدر
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم نبطش البطشة الكبرى
قال يوم بدر حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف قال سمعت أبا العالية فى هذه
الآية يوم نبطش البطشة الكبرى قال يوم بدر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون
قال يعنى يوم بدر حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن على عن الأعمش عن ابراهيم قال قلت
ما البطشة الكبرى فقال يوم القيامة فقلت ان عبد الله كان يقول يوم بدر قال فبلغنى أنه سئل
بعد ذلك فقال يوم بدر حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الأعمش
عن ابراهيم بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى الخليل عن مجاهد
عن أبى بن كعب قال يوم بدر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد
قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر حدثنى يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى قال هذا يوم بدر * وقال
آخرون بل هى بطشة الله بأعدائه يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا ابن علية قال ثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال قال ابن عباس قال ابن مسعود البطشة
الكبرى يوم بدر وأنا أقول هى يوم القيامة حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا
ابن ادريس قال ثنا الأعمش عن ابراهيم قال مر بى عكرمة فسألته عن البطشة الكبرى فقال
يوم القيامة قال قلت ان عبد الله بن مسعود كان يقول يوم بدر وأخبرنى من سأله بعد ذلك فقال

بعضهم ببعض (فاستخف قومه)
أى حملهم على أن يخفوا له فى الطاعة
اواستخف عقولهم واستجهلهم
(فأطاعوه) وهذه من عادة اللئام
كما قيل العبد لا يردعه الا العصا
* وان أنت أكرمت اللئيم تمردا *
ومعنى (آسفونا) أغضبونا أو أغضبوا
رسلنا (فجعلناهم سلفا) أى متقدمين
وعبرة للمتأخرين ليعتبروا من حالهم
فلا يقدموا على مثل أفعالهم واليه
المآب ﴿ولما ضرب ابن مريم
مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا
أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا
جدلا بل هم قوم خصمون ان هو
الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا
لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم
ملائكة فى الأرض يخلفون وانه
لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون
هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم
الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء
عيسى بالبينات قال قد جئتكم
بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى
تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون
ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم فاختلف
الاحزاب من بينهم فويل للذين
ظلموا من عذاب يوم أليم هل
ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة
وهم لا يشعرون الأخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين
يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا
مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم
تحبرون يطاف عليهم بصحاف من
ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه
الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها
خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها
بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة

يوم بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله يوم نبطش البطشة الكبرى قال قتادة عن الحسن انه يوم القيامة * وقد بينا الصواب في ذلك فيما مضى والعلة التي من أجلها اخترنا ما اخترنا من القول فيه وقوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون يعني تعالى ذكره ولقد اختبرنا وابتلينا يا محمد قبل مشركي قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط وجاءهم رسول كريم يقول وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه اليهم وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم يعني موسى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله رسول كريم قال موسى عليه السلام ووصفه جل ثناؤه بالكرم لانه كان كريما عليه رفيعا عنده مكانه وقد يجوز أن يكون وصفه بذلك لأنه كان في قومه شريفا وسيطا وقوله أن أدوا الىّ عباد الله يقول تعالى ذكره وجاء قوم فرعون رسول من الله كريم عليه بأن ادفعوا الىّ ومعنى أدوا ادفعوا الىّ فأرسلوا معي واتبعون وهو نحو قوله أن أرسل معي بني اسرائيل فأن في قوله أن أدوا الىّ نصب وعباد الله نصب بقوله أدوا وقد تأوله قوم أن أدوا الىّ يا عباد الله فعلى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء * وبنحو الذي قلنا في تأويل أن أدوا الىّ قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الىّ عباد الله اني لكم رسول أمين قال يقول اتبعوني الى ما أدعوكم اليه من الحق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أن أدوا الىّ عباد الله قال أرسلوا معي بني اسرائيل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن أدوا الىّ عباد الله قال بني اسرائيل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن أدوا الىّ عباد الله يعني به بني اسرائيل قال لفرعون علام تحبس هؤلاء القوم قوما أحرارا اتخذتهم عبيدا خل سبيلهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن أدوا الىّ عباد الله قال يقول أرسل عباد الله معي يعني بني اسرائيل وقرأ فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قال ذلك قوله أن أدوا الىّ عباد الله قال ردهم الينا وقوله اني لكم رسول أمين يقول اني لكم أيها القوم رسول من الله أرسلني اليكم لايدركم بأسه على كفركم به أمين يقول أمين على وحيه ورسالته التي أوعدنيها اليكم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأن لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ يقول تعالى ذكره وجاءهم رسول كريم أن أدوا الىّ عباد الله وبأن لا تعلوا على الله وعنى بقوله أن لا تعلوا على الله أن لا تطغوا وتبغوا على ربكم فتكفروا به وتعصوه فتخالفوا أمره اني آتيكم بسلطان مبين يقول اني آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم اليه وبرهان على صحته مبين لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لي على صحة ما أقول لكم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأن لا تعلوا على الله أي لا تبغوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين أي بعذر مبين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأن لا تعلوا على الله يقول لا تفتروا على الله وقوله واني عذت بربي وربكم أن ترجمون يقول واني اعتصمت بربي

منهاتأكلون ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾

﴿ القراآت يا عبادي بالياء في الحالين أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وقرأ حماد وأبو بكر بفتح الياء الباقون بغير ياء في الحالين تشتهيه بهاء الضمير نافع وأبو جعفر وابن عامر وحفص الآخرون بحذفها واليه يرجعون بياء الغيبة ابن كثير وحمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب وقيله بالكسرة حمزة وعاصم غير المفضل الآخرون بالنصب تعلمون على الخطاب أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿ الوقوف يصدون ه أم هو ط جدلا ط خصمون ه اسرائيل ه ط يخلفون ه

وربكم واستجرت به منكم أن ترجمون واختلف أهل التأويل في معنى الرجم الذي استعاذ موسى نبي الله عليه السلام بربه منه فقال بعضهم هو الشتم باللسان ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وانى عذت بربي وربكم أن ترجمون قال يعني رجم القول حدثني ابن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر بن فارس قال ثنا شعبة عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله وانى عذت بربي وربكم أن ترجمون قال الرجم بالقول حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح وانى عذت بربي وربكم أن ترجمون قال أن تقولوا هو ساحر * وقال آخرون بل هو الرجم بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانى عذت بربي وربكم أن ترجمون أي أن ترجمون بالحجارة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن ترجمون قال أن ترجمون بالحجارة * وقال آخرون بل عنى بقوله أن ترجمون أن تقتلوني * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ما دل عليه ظاهر الكلام وهو أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرجمه فرعون وقومه والرجم قد يكون قولا باللسان وفعلا باليد والصواب أن يقال استعاذ موسى بربه من كل معاني رجمهم الذي يصل منه الى المرجوم أذى ومكروه شتما كان ذلك باللسان أو رجما بالحجارة باليد وقوله وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى عليه السلام لفرعون وقومه وان أنتم أيها القوم لم تصدقوني على ما جئتكم به من عند ربي فاعتزلون يقول فخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان ولا باليد كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون أي فخلوا سبيلي ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون﴾ يقول تعالى ذكره فدعا موسى ربه اذ كذبوه ولم يؤمنوا به ولم يؤدوا اليه عباد الله وهموا بقتله بأن هؤلاء يعني فرعون وقومه قوم مجرمون يعني أنهم مشركون بالله كافرون وقوله فأسر بعبادي وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه منه وهو فأجابه ربه بأن قال له فأسر اذ كان الأمر كذلك بعبادي وهم بنو اسرائيل وانما معنى الكلام فأسر بعبادي الذين صدقوك وآمنوا بك واتبعوك دون الذين كذبوك منهم وأبوا قبول ما جئتهم به من النصيحة منك وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذ بني اسرائيل وقال فأسر بعبادي ليلا لأن معنى ذلك سربهم بليل قبل الصباح وقوله انكم متبعون يقول ان فرعون وقومه من القبط متبعوكم اذا شخصتم عن بلدهم وأرضهم في آثاركم وقوله واترك البحر رهوا يقول واذا قطعت البحر أنت وأصحابك فاتركه ساكنا على حاله التي كان عليها حين دخلته وقيل ان الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر بني اسرائيل فاذ كان ذلك كذلك ففي الكلام محذوف وهو فسرى موسى بعبادي ليلا وقطع بهم البحر فقلنا له بعد ما قطعه وأراد رد البحر الى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه اتركه رهوا ذكر من قال ما ذكرنا من أن الله عز وجل قال لموسى صلى الله عليه وسلم هذا القول بعد ما قطع البحر بقومه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون حتى بلغ انهم جند مغرقون قال لما خرج آخر بني اسرائيل أراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب البحر بعصاه حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم فقيل له اترك البحر رهوا انهم جند مغرقون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال لما قطع البحر

واتبعون ط مستقيم ه الشيطان ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مبين ه فيه ج لعطف الجملتين مع الفاء وأطيعون ه فاعبدوه ط مستقيم ه من بينهم ج للابتداء مع الفاء أليم ه لا يشعرون ه المتقين ه تحزنون ه ج لاحتمال كون ما بعده وصفا مسلمين ه ج لاحتمال أن يكون الذين الى آخر الآية مبتدأ وقوله ادخلوا الى آخره خبرا والقول محذوف لا محالة تحبرون ه وأكواب ج الأعين ج للعدول مع العطف خالدون ه تعملون ه تأكلون ه خالدون ه ج لاحتمال ما بعده صفة أو حالا له لا مستأنفا مبلسون ه ج لاحتمال أن يكون ما بعده مستأنفا أو حالا الظالمين ه ربك ط ماكثون ه ج كارهون ه مبرمون ه ج لأن أم يصلح جواب الاولى ويصلح استفهاما آخر ونجواهم ط يكتبون ه العابدين ه يصفون ه يوعدون ه وفي الارض اله ط العليم ه بينهما ج الساعة ج ترجعون ه يعلمون ه يؤفكون ه ج فالوقف بناء على قراءة النصب والوصل بناء على قراءة الجر وسيأتي تمام البحث عن اعرابها لا يؤمنون ه لئلا يوهم أن ما بعده من قيل الرسول سلام ط للابتداء بالتهديد قال السجاوندي من قرأ تعلمون على الخطاب فوقفه لازم لئلا يصير التهديد داخلا في الامر بقوله قل قلت لا محذور فيه لان السلام سلام توديع لا تعظيم ﴿ التفسير هذا نوع آخر من قبائح أقوال كفرة قريش وفي تفسير المثل وجوه للمفسرين أحدها أن الكفار

عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده فقيل له اترك البحر رهوا كما هوا انهم جند مغرقون واختلف أهل التأويل في معنى الرهو فقال بعضهم معناه اتركه على هيئته وحاله التى كان عليها ذكر من قال ذلك حدثني عليّ قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن عليّ عن ابن عباس قوله واترك البحر رهوا يقول سمتا حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون قال الرهو أن يترك كما كان فانهم لن يخلصوا من ورائه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا حميد عن اسحق عن عبد الله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قول الله واترك البحر رهوا قال طريقا * وقال آخرون بل معناه اتركه سهلا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع قوله واترك البحر رهوا قال سهلا حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واترك البحر رهوا قال يقال الرهو السهل حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرميّ بن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرني عمارة عن الضحاك بن مزاحم في قول الله عزوجل واترك البحر رهوا قال دمثا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله واترك البحر رهوا قال سهلا دمثا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واترك البحر رهوا قال هو السهل * وقال آخرون بل معناه واتركه يبسا جددا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى عبيد الله بن معاذ قال ثنى أبي عن شعبة عن سماك عن عكرمة في قوله واترك البحر رهوا قال جددا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى عبيد الله بن معاذ قال ثنا أبي عن شعبة عن سماك عن عكرمة في قوله واترك البحر رهوا قال يابسا كهيئته بعد أن ضربه يقول لا تأمره يرجع اتركه حتى يدخل آخرهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله رهوا قال طريقا يبسا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة واترك البحر رهوا كما هو طريقا يابسا * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه اتركه على هيئته كما هو على الحال التى كان عليها حين سلكته وذلك أن الرهو في كلام العرب السكون كما قال الشاعر

كأنما أهل حجر ينظرون متى * يرونني خارجا طير يناديد
طيرا رأت بازيا نضح الدماء به * وأمه خرجت رهوا الى عيد

يعني على سكون واذا كان ذلك معناه كان لاشك أنه متروك سهلا دمثا وطريقا يبسا لأن بني اسرائيل قطعوه حين قطعوه وهو كذلك فاذا ترك البحر رهوا كما كان حين قطعه موسى ساكنا لم يهج كان لاشك أنه بالصفة التي وصفت وقوله انهم جند مغرقون يقول ان فرعون وقومه جند الله مغرقهم في البحر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾ يقول تعالى ذكره كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله اياهم من بساتين أشجار وهي الجنات وعيون يعني ومنابع ما كان ينفجر في جنانهم وزروع قائمة في مزارعهم ومقام كريم يقول وموضع كانوا يقومونه شريف كريم ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم فقال بعضهم وصفه بذلك لشرفه وذلك أنه مقام الملوك والامراء قالوا وانما أريد به المنابر ذكر من قال ذلك حدثني جعفر بن ابنة اسحق الازرق قال ثنا سعيد بن محمد الثقفي قال ثنا اسمعيل

لما سمعوا أن النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا جاز أن يكون عيسى ابن الله جاز أن تكون الملائكة بنات الله وانتصب مثلا على أنه مفعول ثان لضرب أي جعل مثلا فالضارب للمثل كافرو (اذا قومك) أي المؤمنون (منه) أي من المثل أو من ضربه (يصدّون) أي يجزعون و يضجون (وقالوا) أي الكفار أهذا خير أم هو يعنون الملائكة خير من عيسى وثانيها مامر في آخر الانبياء أنه حين نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعري للنبي صلى الله عليه وسلم قد علمت أن النصارى يعبدون عيسى وأمه وعزيرا فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وخرج القوم وضحكوا وصيحوا فأنزل الله تعالى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية أيضا والمعنى ولما ضرب ابن الزبعري عيسى ابن مريم مثلا اذا قومك قريش من هذا المثل يصدّون بالكسر والضم أي يرتفع لهم جلبة وصياح فرحا وسرورا بما رأوا من سكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العادة قد جرت بأن أحد الخصمين اذا انقطع أظهر الخصم الآخر الفرح (وقالوا أآلهتنا) وهي الاصنام (خير أم) عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا أهون وقيل من قرأ بالضم فمن الصدود أي من أجل هذا المثل يعنون عن الحق وثالثها أنه صلى الله عليه وسلم لما حكى أن النصارى عبدوا المسيح الها وأن مثله عند الله كمثل آدم قال كفار مكة ان محمدا يريد أن نتخذه الها كما اتخذ

ابن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهد في قوله ومقام كريم قال المنابر حدثني زكريا بن يحيى ابن أبي زائدة قال ثنا عبد الله بن داود الواسطي قال ثنا شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في قوله ومقام كريم قال المنابر * وقال آخرون وصف ذلك المقام بالكرم لحسنه وبهجته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومقام كريم أي حسن وقوله ونعمة كانوا فيها فاكهين يقول تعالى ذكره وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين متفكهين ناعمين واختلفت القراء في قراءة قوله فاكهين فقرأته عامة قراء الأمصار خلا أبي جعفر القاري فاكهين على المعنى الذي وصفت وقرأه أبو رجاء العطاردي والحسن وأبو جعفر المدني فكهين بمعنى أشرين بطرين والصواب من القراءة عندي في ذلك القراءة التي عليها قراء الامصار وهي فاكهين بالألف بمعنى ناعمين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونعمة كانوا فيها فاكهين ناعمين قال إي والله أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه حتى ورّطه في البحر وقوله كذلك وأورثناها قوما آخرين يقول تعالى ذكره هكذا كما وصفت لكم أيها الناس فعلنا بهؤلاء الذين ذكرت لكم أمرهم الذين كذبوا رسولنا موسى صلى الله عليه وسلم وقوله وأورثناها قوما آخرين يقول تعالى ذكره وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم وما كانوا فيه من النعمة عنهم قوما آخرين بعد مهلكهم وقيل عني بالقوم الآخرين بنو اسرائيل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلك وأورثناها قوما آخرين يعني بني اسرائيل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين﴾ يقول تعالى ذكره فما بكت على هؤلاء الذين غرقهم الله في البحر وهم فرعون وقومه السماء والأرض وقيل ان بكاء السماء حمرة أطرافها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن اسمعيل الاحمسي قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد عن الحكم بن ظهير عن السدي قال لما قتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها حدثني علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء في قوله فما بكت عليهم السماء والارض قال بكاؤها حمرة أطرافها وقيل انما قيل فما بكت عليهم السماء والارض لان المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا ولم تبكيا على فرعون وقومه لأنه لم يكن لهم عمل يصعد الى الله صالح فتبكي عليهم السماء ولا مسجد في الارض فتبكي عليهم الارض وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير قال أتى ابن عباس رجل فقال يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين فهل تبكي السماء والارض على أحد قال نعم انه ليس أحد من الخلائق الا له باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فاذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد عمله وينزل منه رزقه بكى عليه واذا فقده مصلاه من الارض التي كان يصلي فيها ويذكر الله فيها بكت عليه وان قوم فرعون لم يكن لهم في الارض آثار صالحة ولم يكن يصعد الى السماء منهم خير قال فلم تبك عليهم السماء والارض حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كان يقال تبكي الارض على المؤمن أربعين صباحا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي يحيى القتات عن مجاهد

عن

النصارى المسيح الها وضجروا وضجوا وقالوا أآلهتنا خير أم هو يعنون محمدا وغرضهم أن آلهتهم خير لانها مما عبدها آباؤهم وأطبقوا عليها فأبطل الله تعالى كلامهم بقوله (ماضربوه لك الا جدلا) أي لم يضربوا هذا المثل لاجلك الا للجدال والغلبة دون البحث عن الحق (بل هم قوم) من عادتهم الخصومة واللدد ثم قرر أمر عيسى عليه السلام بقوله (ان هو الا عبد أنعمنا عليه) بأن خلقناه من غير أب وصيرناه عبرة وحاله عجيبة (ولو نشاء لجعلنا منكم) أي بدلا منكم (ملائكة في الارض يخلفون) يقومون مقامكم وقيل أراد لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم أولادكم والغرض بيان كمال القدرة وأن كون الملائكة في السموات لا يوجب لهم الالهية ولا نسبا من الله ثم بين مآل حال عيسى عليه السلام بقوله (وانه) يعني عيسى (لعلم للساعة) لعلامة من علامات القيامة كما جاء في الحديث أنا أولى الناس بعيسى ليس بيني وبينه نبي وانه أول نازل يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الاسلام وقيل اذا نزل عيسى رفع التكليف وقيل ان عيسى كان يحيي الموتى فعلم بالساعة والبعث وقيل الضمير في وانه للقرآن أي القرآن يعلم منه وفيه ثبوت الساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها (واتبعوني) هذه حكاية قول النبي صلى الله عليه وسلم أو المراد واتبعوا رسولي وشرعي والباقي واضح الى قوله هل ينظرون وقد مر في آل عمران وفي مريم وقوله (أن تأتيهم) بدل من الساعة و(الاخلاء)

عن ابن عباس بمثله حدثني يحيى بن طلحة قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد قال حدثت أن المؤمن اذا مات بكت عليه الارض أربعين صباحا حدثنا ابن بشار قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمي قال ثنا بكير بن أبي السميط قال ثنا قتادة عن سعيد ابن جبير أنه كان يقول ان بقاع الارض التي كان يصعد عمله منها الى السماء تبكي عليه بعد موته يعني المؤمن حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فما بكت عليهم السماء والارض قال انه ليس أحد الا له باب في السماء ينزل فيه رزقه ويصعد فيه عمله فاذا فقد بكت عليه مواضعه التي كان يسجد عليها وان قوم فرعون لم يكن لهم في الارض عمل صالح يقبل منهم فيصعد الى الله عز وجل فقال مجاهد تبكي الارض على المؤمن أربعين صباحا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كان يقال ان المؤمن اذا مات بكت عليه الارض أربعين صباحا حدثنا يحيى بن طلحة قال ثنا عيسى بن يونس عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا ألا لا غربة على المؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء والارض ثم قال انهما لا يبكيان على الكافر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فما بكت عليهم السماء والارض الآية قال ذلك أنه ليس على الارض مؤمن يموت الا بكى عليه ما كان يصلي فيه من المساجد حين يفقده والا بكى عليه من السماء الموضع الذي كان يرفع منه كلامه فذلك قوله لأهل معصيته فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين لانهما يبكيان على أولياء الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما بكت عليهم السماء والارض (١) حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فما بكت عليهم السماء والارض يقول لا تبكي السماء والارض على الكافر وتبكي على المؤمن الصالح معالمه من الارض ومقر عمله من السماء حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله فما بكت عليهم السماء والارض قال بقاع المؤمن التي كان يصلي عليها من الارض تبكي عليه اذا مات وبقاعه من السماء التي كان يرفع فيها عمله وحدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس هل تبكي السماء والارض على أحد فقال نعم انه ليس أحد من الخلق الا له باب في السماء يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه فاذا مات بكى عليه مكانه من الارض الذي كان يذكر الله فيه يصلي فيه وبكى عليه بابه الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه وأما قوم فرعون فلم يكن لهم آثار صالحة ولم يصعد الى السماء منهم خير فلم تبك عليهم السماء والارض وقوله وما كانوا منظرين يقول وما كانوا مؤخرين بالعقوبة التي حلت بهم ولكنهم عوجلوا بها اذ أسخطوا ربهم عز وجل عليهم ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين يقول تعالى ذكره ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب الذي كان فرعون وقومه يعذبونهم به المهين يعني المذل لهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وقوله من فرعون انه كان عاليا من المسرفين يقول تعالى ذكره ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب من فرعون فقوله من فرعون مكررة على قوله من العذاب المهين مبدلة

لأن المحبة في الله لا تزول ومعنى (تحبرون) تسرون والحبور السرور والصحاف جمع صحفة وهي القصعة فيها طعام والاكواب جمع كوب وهو الابريق لا عروة له وقد يدور في الخلد أن العروة للكوز أمر زائد على مصلحة الشرب وانما هو لدفع حاجة كتعليق وتعلق وأهل الجنة فيها براء من أمثال ذلك فلهذا كانت أكوازها أكوابا والله أعلم بأسراره (وفيها) أي في الجنة قال القفال جمع بهاتين اللفظتين مالو اجتمع الخلق كلهم على تفصيله لم يخرجوا عنه ثم يقال لهم (وأنتم فيها خالدون) الى آخره ثم وصف حال أهل الجرائم من الكفار أو منهم ومن الفساق على اختلاف بين السني والمعتزلي ومعنى (لا يفتر) لا يخفف من الفتور ومبلسون آيسون ساكتون تحيرا ودهشا ولما أيسوا من فتور العذاب (نادوا يامالك) وهو اسم خازن النار (ليقض علينا ربك) أي ليمتنا كقوله فقضى عليه قال مالك بعد أربعين عاما أو بعد مائة أو ألف أو قال الله بدليل قوله ولقد جئناكم فانه ظاهر من كلام الله وان كان يحتمل أن يكون قول الملائكة قال أهل التحقيق سمي خازن النار مالكا لان الملك علقة والتعلق من أسباب دخول النار كما سمي خازن الجنة رضوانا لان الرضا بحكم الله سبب كل راحة وسعادة وصلاح وفلاح ثم عاد الى توبيخ قريش وتجهيلهم والتعجيب من حالهم فقال (أم أبرموا أمرا) والابرام الاحكام والمعنى انهم كلما

(١) لم يذكر لهذا السند تفسيرا عن قتادة والذي في الدر المنثور عنه قال هم كانوا أهون على الله من ذلك قال وكنا نحدث أن المؤمن تبكي عليه بقاعه التي كان يصلي فيها من الأرض ومصعد عمله من السماء اهـ مصححه

من من الأولى و يعني بقوله انه كان عاليا من المسرفين انه كان جبارا مستعليا مستكبرا على ربه من المسرفين يعني من المتجاوزين ماليس لهم تجاوزه وانما يعني جل ثناؤه أنه كان ذا اعتداء فى كفره واستكبار على ربه جل ثناؤه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد اخترنا بنى اسرائيل على علم منا بهم على عالمى أهل زمانهم يومئذ وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد اخترناهم على علم على العالمين أى اختيروا على أهل زمانهم ذلك ولكل زمان عالم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين قال عالم ذلك الزمان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين قال على من هم بين ظهرانيه قوله وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين يقول تعالى ذكره وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به واختلف أهل التأويل فى ذلك البلاء فقال بعضهم ابتلاهم بنعمه عندهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين أنجاهم الله من عدوهم ثم أقطعهم البحر وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى * وقال آخرون بل ابتلاهم بالرخاء والشدة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين وقرأ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقال بلاء مبين لمن آمن بها وكفر بها بلوى نبتليهم بها نمحصهم بلوى اختبار نختبرهم بالخير والشر نختبرهم لننظر فيما آتاهم من الآيات من يؤمن بها وينتفع بها ويضيعها * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه آتى بنى اسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء ويكون بالشدة ولم يضع لنا دليلا من خبر ولا عقل أنه عنى بعض ذلك دون بعض وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا وجائز أن يكون عنى اختباره اياهم بهما فاذا كان الامر على ما وصفنا فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جل ثناؤه انه اختبرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل مشركى قريش لنبى الله صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء المشركين من قومك يا محمد ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى التى نموتها وهى الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بعد مماتنا ولا بمبعوثين تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين قال قد قال مشركو العرب وما نحن بمنشرين أى بمبعوثين وقوله فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين يقول تعالى ذكره قالوا لمحمد عليه السلام فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا ان كنتم صادقين أن الله باعثنا من بعد بلانا فى قبورنا ومحيينا من بعد مماتنا وخوطب صلى الله عليه وسلم هو وحده خطاب الجميع كما قيل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وكما قال رب ارجعون وقد بينت ذلك فى غير موضع من كتابنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أهم خير

أحكموا أمرا فى المكر بمحمد صلى الله عليه وسلم فانا محكم أمرا فى مجازاتهم وقال قتادة أجمعوا على التكذيب وأجمعنا على التعذيب وذلك أنهم اجتمعوا فى دار الندوة وأطبقوا على الاغتيال بمحمد صلى الله عليه وسلم وتناجوا فى ذلك فكف عنه شرهم وأوعدهم عليه بأنه يعلم سرهم وهو ماحدث به الرجل نفسه أو غيره فى مكان خال ونجواهم وهى ماتكلموا به فيما بينهم على سبيل الخفية أيضا ثم أكد علمه بأن حفظة الأعمال يكتبونه ثم برهن على نفى الولد عن نفسه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وهذه قضية شرطية جزآها ممتنعان الا أن الملازمة صادقة نظيره قولك ان كانت الخمسة زوجا فهى منقسمة بمتساويين وهذا على سبيل الفرض والتقدير وبيان الملازمة أن الولد يجب محبته وخدمته لرضا الوالد وتعظيمه فلو كان المقدم حاصلا فى الواقع لزم وقوع التالى عادة وانما ادعى أوليته فى العبادة لأن النبى متقدم فى كل حكم على أمته خصوصا فيما يتعلق بالاصول كتعظيم المعبود وتنزيهه لكن التالى غير واقع فكذا المقدم وهذا الكلام ظاهر الالزام واضح الافحام قريب من الأفهام لا حاجة فيه الى تقريب المرام وأما المفسرون الظاهريون لا دراية لهم بالمعقول فقد ذكروا فيه وجوها متكلفة منها ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول الموحدين لله ومنها ان كان له ولد فى زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد يقال عبد بالكسر يعبد بالفتح اذا اشتد أنفه ومنها جعل

أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير أم قوم تبع يعنى تبعا الحميرى كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل أهم خير أم قوم تبع قال الحميرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أهم خير أم قوم تبع ذكر لنا أن تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيوش حتى حير الحيرة ثم أتى سمرقند فهدمها وذكر لنا أنه كان اذا كتب كتب باسم الذى تسمى وملك برا وبحرا وضحا وريحا وذكر لنا أن كعبا كان يقول نعت نعت الرجل الصالح ذم الله قومه ولم يذمه وكانت عائشة تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قالت عائشة كان تبع رجلا صالحا وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن تميم بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير أن تبعا كسا البيت ونهى سعيد عن سبه وقوله والذين من قبلهم يقول تعالى ذكره أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبع والذين من قبلهم من الامم الكافرة بربها يقول فليس هؤلاء بخير من أولئك فنصفح عنهم ولا نهلكهم وهم بالله كافرون كما كان الذين أهلكناهم من الامم قبلهم كفارا وقوله انهم كانوا مجرمين يقول ان قوم تبع والذين من قبلهم من الامم الذين أهلكناهم انما أهلكناهم لاجرامهم وكفرهم بربهم وقيل انهم كانوا مجرمين فكسرت ألف ان على وجه الابتداء وفيها معنى الشرط استغناء بدلالة الكلام على معناها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون} يقول تعالى ذكره وما خلقنا السموات السبع والارضين وما بينهما من الخلق لعبا وقوله ما خلقناهما الا بالحق يقول ما خلقنا السموات والارض الا بالحق الذى لا يصلح التدبير الا به وانما يعنى بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة يقول تعالى ذكره لم نخلق الخلق عبثا بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والامر والنهى وغير مجازاة المطيع على طاعته والعاصى على المعصية ولكنا خلقنا ذلك لنبتلى من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه من الامر والنهى ولنجزى الذين أساؤا بما عملوا ولنجزى الذين أحسنوا بالحسنى ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة ولا يرجون على خير ان فعلوه ثوابا لتكذيبهم بالمعاد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم} يقول تعالى ذكره ان يوم فصل الله القضاء بين خلقه بما أسلفوا فى دنياهم من خير أو شر يجزى به المحسن بالاحسان والمسىء بالاساءة ميقاتهم أجمعين يقول ميقات اجتماعهم أجمعين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم وقوله يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ يقول لا يدفع ابن عم عن ابن عم ولا صاحب عن صاحبه شيأ من عقوبة الله التى حلت بهم من الله ولا هم ينصرون يقول ولا ينصر بعضهم بعضا فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه فى الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ الآية انقطعت الاسباب يومئذ يا ابن آدم وصار الناس الى أعمالهم فمن أصاب يومئذ خيرا سعد به آخر ما عليه ومن أصاب يومئذ شرا شقى به آخر ما عليه وقوله إلا

ان نافية أى ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك ووحده ثم نزه نفسه عما لا يليق بذاته ثم أمر نبيه أن يتركهم فى باطلهم واللعب بدنياهم حتى يلاقوا القيامة ثم مدح ذاته بقوله (وهو الذى فى السماء اله) أى معبود كما مر فى قوله وهو الله فى السموات وفى الارض والتقدير وهو الذى هو فى السماء اله الا أنه حذف الراجع لطول الكلام ثم أبطل قول الكفرة ان الاصنام تنفعهم وقوله (الا من شهد) استثناء منقطع أى لكن من شهد بالتوحيد عن علم وبصيرة هو الذى يملك الشفاعة ويجوز أن يكون متصلا لأن من جملة من يدعونهم الملائكة وعيسى وعزيرا ويجوز أن تكون اللام محذوفة لان الشفاعة تقتضى مشفوعا له أى لمن شهد بالحق وهم المؤمنون قال بعض العلماء (وهم يعلمون) دلالة على أن ايمان المقلد وشهادته غير معتبر ثم كرر ما ذكر فى أول السورة قائلا (ولئن سألتهم) والغرض التعجيب من حالهم انهم يعترفون بالصانع ثم يجعلون له أندادا وقيل الضمير فى سألتهم للمعبودين من قرأ (وقيله) بالنصب فعن الاخفش أنه معطوف على سرهم ونجواهم أو المراد وقال قيله أى قوله والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره بالكناية فى قوله قل ان كان وعن أبى على أنه يعود الى عيسى وفيه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون النصب بالعطف على محل الساعة أى وعنده علم الساعة وعلم قيله كقراءة من قرأ بالجر ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بإعمال الخلق الحسن

معهم الى أوان النصر وهو ظاهر والله أعلم بالتوفيق

* (سورة الدخان مكية حروفها ألف وأربعمائة وأربعون كلماتها ثلثمائة وأربعون آياتها تسع وخمسون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا إله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم فى شك يلعبون فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الى عباد الله انى لكم رسول أمين وأن لا تعلوا على الله انى آتيكم بسلطان مبين وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من

من رحم الله اختلف أهل العربية فى موضع من فى قوله إلا من رحم الله فقال بعض نحويى البصرة إلا من رحم الله فجعله بدلا من الاسم المضمر فى ينصرون وان شئت جعلته مبتدأ وأضمرت خبره يريد به الا من رحم الله فيغنى عنه وقال بعض نحويى الكوفة قوله الا من رحم الله قال المؤمنون يشفع بعضهم فى بعض فان شئت فاجعل من فى موضع رفع كأنك قلت لا يقوم أحد إلا فلان وان شئت جعلته نصبا على الاستثناء والانقطاع عن أول الكلام يريد اللهم إلا من رحم الله * وقال آخرون منهم معناه لا يغنى مولى عن مولى شيأ الا من أذن الله له أن يشفع قال لا يكون بدلا مما فى ينصرون لأن إلا محقق والاول منفى والبدل لا يكون إلا بمعنى الاول قال وكذلك لا يجوز أن يكون مستأنفا لأنه لا يستأنف بالاستثناء * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يكون فى موضع رفع بمعنى يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ إلا من رحم الله منهم فانه يغنى عنه بأن يشفع له عند ربه وقوله انه هو العزيز الرحيم يقول جل ثناؤه واصفا نفسه ان الله هو العزيز فى انتقامه من أعدائه الرحيم بأوليائه وأهل طاعته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان شجرت الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم) يقول تعالى ذكره ان شجرة الزقوم التى أخبر أنها تنبت فى أصل الجحيم التى جعلها طعاما لأهل الجحيم ثمرها فى الجحيم طعام الآثم فى الدنيا بربه والاثيم ذو الاثم والاثم من أثم يأثم فهو أثيم وعنى به فى هذا الموضع الذى اثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام وقد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن همام بن الحرث أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فقال طعام اليتيم فقال أبو الدرداء قل ان شجرة الزقوم طعام الفاجر حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن همام قال كان أبو الدرداء يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم طعام الأثيم قال فجعل الرجل يقول ان شجرة الزقوم طعام اليتيم قال فلما أكثر عليه أبو الدرداء فرآه لا يفهم قال ان شجرة الزقوم طعام الفاجر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قال أبو جهل وقوله كالمهل يغلى فى البطون يقول تعالى ذكره ان شجرة الزقوم التى جعل ثمرتها طعام الكافر فى جهنم كالرصاص أو الفضة أو ما يذاب فى النار اذا أذيب بها فتناهت حرارته وشدت حميته فى شدة السواد وقد بينا معنى المهل فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع من الشواهد وذكر اختلاف أهل التأويل فيه غير أنا نذكر من أقوال أهل العلم فى هذا الموضع ما لم نذكره هنالك حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه قال سألت ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه كالمهل قال كدردى الزيت حدثنى على بن سهل قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كالمهل يغلى فى البطون يقول أسود كمهل الزيت حدثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب بن ابراهيم قالوا ثنا ابن ادريس قال سمعت مطرفا عن عطية بن سعد عن ابن عباس فى قوله كالمهل ماء غليظ كدردى الزيت حدثنى يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن مطرف عن رجل عن ابن عباس فى قوله كالمهل قال كدردى الزيت حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا خليد عن الحسن عن ابن عباس أنه رأى فضة قد أذيبت فقال هذا المهل حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية قال ثنا عمرو بن ميمون عن أبيه عن عبد الله فى قوله كالمهل يشوى الوجوه قال دخل

فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى ومانحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وماخلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ ولاهم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرت الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون ﴿ القراآت رب السموات بالجر على البدل من ربك عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالرفع انى آتيكم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ترجمونى فاعتزلونى بالياء فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل لى بالفتح ورش فكهين بغير الألف يزيد يغلى على التذكير والضمير للطعام ابن كثير وحفص

عبدالله بيت المال فأخرج بقايا كانت فيه فأوقد عليها النار حتى تلألأت قال أين السائل عن المهل هذا المهل حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وحدثنا محمد بن المثنى قال ثنا خالد ابن الحرث عن عوف عن الحسن قال بلغنى أن ابن مسعود سئل عن المهل الذى يقولون يوم القيامة شراب أهل النار وهو على بيت المال قال فدعا بذهب وفضة فأذابهما فقال هذا أشبه شئ فى الدنيا بالمهل الذى هو لون السماء يوم القيامة وشراب أهل النار غير أن ذلك هو أشد حرا من هذا لفظ الحديث لابن بشار وحديث ابن المثنى نحوه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الحسن قال كان من كلامه ان عبدالله بن مسعود رجل أكرمه الله بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم فان عمر رضى الله عنه استعمله على بيت المال قال فعمد الى فضة كثيرة مكسرة فخدلها أخدودا ثم أمر بحطب جزل فأوقد عليها حتى اذا اماعت وتزبدت وعادت ألوانا قال انظروا من بالباب فأدخل القوم فقال لهم هذا أشبه مارأينا فى الدنيا بالمهل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الآية ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت له سقاية من ذهب وفضة فأمر بأخدود فخدت فى الارض ثم قذف فيها من جزل الحطب ثم قذفت فيها تلك السقاية حتى اذا أزبدت وانماعت قال لغلامه ادع من بحضرتنا من أهل الكوفة فدعا رهطا فلما دخلوا قال أترون هذا قالوا نعم قال مارأينا فى الدنيا شبيها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة حين أزبدوانماع حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن الأعمش عن عبدالله بن سفيان الأسدى قال أذاب عبدالله ابن مسعود فضة ثم قال من أراد أن ينظر الى المهل فلينظر الى هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس فى قوله يوم تكون السماء كالمهل قال كدردى الزيت حدثنى يحيى ابن طلحة قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد كالمهل قال كدردى الزيت حدثنا ابن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال ثنا ابن المبارك قال ثنا أبو الصباح قال سمعت يزيد بن أبى سمية يقول سمعت ابن عمر يقول هل تدرون ما المهل المهل مهل الزيت يعنى آخره * قال ثنا ابراهيم أبو اسحق الطالقانى قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا أبو الصباح الايلى عن يزيد بن أبى سمية عن ابن عمر بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله بماء كالمهل كعكر الزيت فاذا قربه الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه * قال ثنا محمد بن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد قال ثنى عمرو بن الحرث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله وقوله فى البطون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة تغلى بالتاء بمعنى أن شجرة الزقوم تغلى فى بطونهم فأنثوا تغلى لتأنيث الشجرة وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة يغلى بالياء بمعنى طعام الاثيم يغلى أو المهل يغلى فذكره بعضهم لتذكير الطعام ووجه معناه الى أن الطعام هو الذى يغلى فى بطونهم وبعضهم لتذكير المهل ووجهه الى أنه صفة للمهل الذى يغلى * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب كغلى الحميم يقول يغلى ذلك فى بطون هؤلاء الاشقياء كغلى الماء المحموم وهو المسخن الذى قد أوقد عليه حتى تناهت شدة حره وقيل حميم وهو محموم لانه مصروف من مفعول الى فعيل كما يقال قتيل من مقتول

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب

الجحيم﴾ يقول تعالى ذكره خذوه يعنى هذا الاثيم بربه الذى أخبر جل ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام فاعتلوه يقول تعالى ذكره فادفعوه وسوقوه يقال منه عتله يعتله عتلا اذا ساقه بالدفع والجذب ومنه قول الفرزدق ليس الكرام بناحليك أباهم * حتى تردّ الى عطية تعتل

أى تساق دفعا وسحبا وقوله الى سواء الجحيم الى وسط الجحيم ومعنى الكلام يقال يوم القيامة خذوا هذا الاثيم فسوقوه دفعا فى ظهره وسحبا الى وسط النار * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله فاعتلوه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم قال خذوه فادفعوه وفى قوله فاعتلوه لغتان كسر التاء وهى قراءة بعض قراء أهل المدينة وبعض أهل مكة (١) * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا أنهما لغتان معروفتان فى العرب يقال منه عتل يعتل ويعتل فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى سواء الجحيم الى وسط النار وقوله ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم يقول تعالى ذكره ثم صبوا على رأس هذا الاثيم من عذاب الحميم يعنى من الماء المسخن الذى وصفنا صفته وهو الماء الذى قال الله يصهر به ما فى بطونهم والجلود وقد بينت صفته هنالك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهذا الاثيم الشقى ذق هذا العذاب الذى تعذب به اليوم انك أنت العزيز فى قومك الكريم عليهم وذكر أن هذه الآيات نزلت فى أبى جهل بن هشام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم نزلت فى عدوّ الله أبى جهل لقى النبى صلى الله عليه وسلم فأخذه فهزه ثم قال أولى لك يا أبا جهل فأولى ثم أولى لك فأولى ذق انك أنت العزيز الكريم وذلك أنه قال أيوعدنى محمد والله لأنا أعز من مشى بين جبليها وفيه نزلت ولا تطع منهم آثما أو كفورا وفيه نزلت كلا لا تطعه واسجد واقترب وقال قتادة نزلت فى أبى جهل وأصحابه الذين قتل الله تبارك وتعالى يوم بدر ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال نزلت فى أبى جهل خذوه فاعتلوه قال قتادة قال أبو جهل ما بين جبليها رجل أعز ولا أكرم منى فقال الله عز وجل ذق انك أنت العزيز الكريم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم قال هذا لابى جهل فان قال قائل وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذى ذكره الله ويذل بالعتل الى سواء الجحيم انك انت العزيز الكريم قيل ان قوله انك أنت العزيز الكريم غير وصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه فى الدنيا وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية لأنه كان فى الدنيا يقول انك أنت العزيز الكريم فقيل له فى الآخرة اذ عذب بما عذب به فى النار ذق هذا الهوان اليوم فانك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم وانك أنت الذليل المهين فأين الذى كنت تقول وتدعى من العز والكرم هلا تمتنع من العذاب بعزتك حدثنا ابن بشار قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا ابن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال كعب لله ثلاثة أثواب اتزر بالعز وتسربل الرحمة وارتدى الكبرياء تعالى ذكره فمن تعزز بغير ما أعزه الله فذاك الذى يقال ذق انك أنت العزيز الكريم ومن رحم الناس فذاك الذى سربل الله سرباله الذى ينبغى له ومن تكبر فذاك الذى نازع الله رداءه

(١) لم يذكر الثانية وهى ضم التاء وبها قرئ ولعلها سقطت من قلم الناسخ وحرر كتبه مصححه

والمفضل ورويس وابن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بتاء التأنيث والضمير للشجرة فاعتلوه بضم التاء ابن كثير ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب الآخرون بالكسر ذق أنك بفتح الهمزة على حذف لام التعليل فى مقام بضم الميم من الاقامة أبو جعفر ونافع وابن عامر ۞ الوقوف حم كوفى ٥ المبين ٥ لا ومن لم يقف على حم وقف على المبين منذرين ٥ حكيم ٥ ط بناء على أن التقدير أمرنا أمرا من عندنا ط مرسلين ٥ ج لاحتمال أن رحمة مفعول له أو به أو التقدير رحمنا رحمة من ربك ط العليم ٥ لا لمن خفض رب بينهما ط موقنين ٥ ويميت ط الاولين ٥ يلعبون ٥ مبين ٥ ط الناس ط أليم ٥ مؤمنون ٥ مبين ٥ لا للعطف مجنون ٥ م لئلا يوهم أن ما بعده من قول الكفار عائدون ٥ م لئلا يظن أن ما بعده ظرف للعود الكبرى ج لاحتمال التعليل منتقمون ٥ كريم ٥ لا عباد الله ط أمين ٥ على الله ج مبين ٥ ج ترجمون ٥ فاعتزلون ٥ مجرمون ٥ متبعون ٥ لا رهوا ط مغرقون ٥ وعيون ٥ لا كريم ٥ لا فاكهين ٥ لا لان المعنى تركوها مهيأة كما كانت آخرين ٥ منظرين ٥ المهين ٥ لا من فرعون ط المسرفين ٥ العالمين ٥ ج مبين ٥ ليقولون ٥ لا بمنشرين ٥ صادقين ٥ تبع لا للعطف من قبلهم ط لتناهى الاستفهام الى ابتداء الاخبار أهلكناهم ج لأن التعليل أوضح مجرمين ٥ لاعبين ٥ لا يعلمون ٥ أجمعين ٥ لا لأن ما بعده بدل

ان

ولاهم ينصرون ٥ لا رحم الله ط الرحيم ٥ الاثيم ٥ ج لاحتمال أن يكون كالمهل خبرا بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف فى البطون لا
الحميم ٥ الجحيم ٥ الحميم ٥ ط لأن التقدير قولوا أو يقال له ذق الكريم ٥ تمترون ٥ أمين ٥ لا وعيون ٥ ج

ان الله تعالى ذكره يقول لا ينبغى لمن نازعنى ردائى أن أدخله الجنة جل وعز وأجمعت قراء الامصار جميعا على كسر الالف من قوله ذق انك على وجه الابتداء وحكاية قول هذا القائل انى أنا العزيز الكريم وقرأ ذلك بعض المتأخرين ذق أنك بفتح الالف على إعمال قوله ذق فى قوله أنك كأن معنى الكلام عنده ذق هذا القول الذى قلته فى الدنيا * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا كسر الألف من انك على المعنى الذى ذكرت لقارئه لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وكفى دليلا على خطا قراءة خلافها ما مضت عليه الأئمة من المتقدمين والمتأخرين مع بعدها من الصحة فى المعنى وفراقها تأويل أهل التأويل وقوله ان هذا ما كنتم به تمترون يقول تعالى ذكره يقال له ان هذا العذاب الذى تعذب به اليوم هو العذاب الذى كنتم فى الدنيا تشكون فتختصمون فيه ولا توقنون به فقد لقيتموه فذوقوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله بأداء طاعته واجتناب معاصيه فى موضع اقامة آمنين فى ذلك الموضع مما كان يخاف منه فى مقامات الدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان واختلفت القراء فى قراءة قوله فى مقام أمين فقرأته عامة قراء المدينة فى مقام أمين بضم الميم بمعنى فى اقامة أمين من الظعن وقرأته عامة قراء المصرين الكوفة والبصرة فى مقام بفتح الميم على المعنى الذى وصفنا وتوجيها الى أنهم فى مكان وموضع أمين * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان المتقين فى مقام أمين إى والله أمين من الشيطان والأنصاب والأحزان وقوله فى جنات وعيون فالجنات والعيون ترجمة عن المقام الأمين والمقام الأمين هو الجنات والعيون والجنات البساتين والعيون عيون الماء المطرد فى أصول أشجار الجنات وقوله يلبسون من سندس يقول يلبس هؤلاء المتقون فى هذه الجنات من سندس وهو مارق من الديباج وإستبرق وهو ما غلظ من الديباج كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة فى قوله من سندس وإستبرق قال الاستبرق الديباج الغليظ وقيل يلبسون من سندس وإستبرق ولم يقل لباسا استغناء بدلالة الكلام على معناه وقوله متقابلين يعنى أنهم فى الجنة يقابل بعضهم بعضا بالوجوه ولا ينظر بعضهم فى قفا بعض وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى فأغنى ذلك عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره كما أعطينا هؤلاء المتقين فى الآخرة من الكرامة بادخالناهم الجنات والباسناهم فيها السندس والاستبرق كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم أيضا فيها حورا من النساء وهن النقيات البياض واحدتهن حوراء وكان مجاهد يقول فى معنى الحور ما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وزوجناهم بحور عين قال أنكحناهم حورا قال والحور اللاتى يحار فيهن الطرف بادمخ سوقهن من وراء

لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال متقابلين ٥ ج لاحتمال أن يراد كما ذكرنا من حالهم قبل أو يكون التقدير الامر كذلك عين ٥ ج لئلا يوهم ان ما بعده صفة للحور آمنين ٥ لا لان ما بعده صفة فان الأمن لا يتم الا به الاولى ج لأن ما بعده يصلح استئنافا وحالا باضمار قد الجحيم ٥ لا لان فضلا مفعول له من ربك ط العظيم ٥ يتذكرون ٥ مرتقبون ٥ ۞ التفسير أقسم بالقرآن انا أنزلناه فى ليلة مباركة لأن من شأننا الانذار والتخويف من العقاب وانما أنزل فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن أشرف الامور الحكمية وهذه الليلة يفرق فيها كل أمر ذى حكمة فالجملتان أعنى قوله انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم كالتفسير لجواب القسم قال صاحب النظم ليس من عادتهم أن يقسموا بنفس الشئ اذا أخبروا عنه فجواب القسم انا كنا منذرين وقوله انا أنزلناه اعتراض والجمهور على الاول ولا بأس لان المعنى انا أنزلنا القرآن على محمد ولم يتقوله ويحتمل أن القسم وقع على انزاله فى ليلة مباركة وأكثر المفسرين على أنها ليلة القدر لقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وليلة القدر عند الاكثرين من رمضان ونقل محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لاثنتى عشرة مضت والانجيل لثمان عشرة منه والفرقان لأربع وعشرين مضت والليلة المباركة هى ليلة القدر وزعم بعضهم كعكرمة وغيره أنها ليلة النصف من شعبان وما رأيت لهم دليلا يعول عليه قالوا وتسمى ليلة البراءة أيضا وليلة الصك لان الله تعالى يكتب لعباده

ثيابهن و يرى الناظر وجهه فى كبد احداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون وهذا الذى قاله مجاهد من أن الحور انما معناها أنه يحار فيها الطرف قول لا معنى له فى كلام العرب لأن الحور انما هو جمع حوراء كالحمر جمع حمراء والسود جمع سوداء والحوراء انما هى فعلاء من الحور وهو نقاء البياض كما قيل للنقى البياض من الطعام الحوارى وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل * و بنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال سائر أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلك وزوجناهم بحور عين قال بيضاء عيناء قال وفى قراءة ابن مسعود بعيس عين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله بحور عين قال بيض عين قال وفى حرف ابن مسعود بعيس عين وقرأ ابن مسعود هذه يعنى أن معنى الحور غير الذى ذهب اليه مجاهد لأن العيس عند العرب جمع عيساء وهى البيضاء من الابل كما قال الأعشى

ومهمه نازح تعوى الذئاب به * كلفت أعيس تحت الرحل نعابا

يعنى بالأعيس جملا أبيض فأما العين فانها جمع عيناء وهى العظيمة العينين من النساء وقوله يدعون فيها الآية يقول يدعو هؤلاء المتقون فى الجنة بكل نوع من فواكه الجنة اشتهوه آمنين فيها من انقطاع ذلك عنهم ونفاده وفنائه ومن غائلة أذاه ومكروهه يقول ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التى نأكلها وهم يخافون مكروه عاقبتها وغب أذاها مع نفادها من عندهم وعدمها فى بعض الأزمنة والأوقات وكان قتادة يوجه تأويل قوله آمنين الى ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يدعون فيها بكل فاكهة آمنين أمنوا من الموت والاوصاب والشيطان وقوله لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى يقول تعالى ذكره لا يذوق هؤلاء المتقون فى الجنة الموت بعد الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا وكان بعض أهل العربية يوجه الا فى هذا الموضع الى أنها فى معنى سوى و يقول معنى الكلام لا يذوقون فيها الموت سوى الموتة الأولى و يمثله بقوله تعالى ذكره ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف بمعنى سوى ما قد فعل آباؤكم وليس للذى قال من ذلك عندى وجه مفهوم لأن الأغلب من قول القائل لا أذوق اليوم الطعام الا الطعام الذى ذقته قبل اليوم أنه يريد الخبر عن قائله ان عنده طعاما فى ذلك اليوم ذائقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره واذا كان ذلك الأغلب من معناه وجب أن يكون قد أثبت بقوله الا الموتة الأولى موتة من نوع الأولى هم ذائقوها ومعلوم أن ذلك ليس كذلك لأن الله عز وجل قد أمن أهل الجنة فى الجنة اذا هم دخلوها من الموت ولكن ذلك كما وصفت من معناه وانما جاز ان توضع الا فى موضع بعد لتقارب معنييهما فى هذا الموضع وذلك أن القائل اذا قال لا أكلم اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو قد أوجب على نفسه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلا بعد كلام الرجل الذى عند عمرو وكذلك اذا قال لا أكلم اليوم رجلا بعد رجل عند عمرو قد أوجب على نفسه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو فبعد والا متقاربتا المعنى فى هذا الموضع ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها اذا تقارب معنياهما وذلك كوضعهم الرجاء مكان الخوف لما فى معنى الرجاء من الخوف لأن الرجاء ليس بيقين وانما هو طمع وقد يصدق و يكذب كما الخوف يصدق أحيانا و يكذب فقال فى ذلك أبو ذؤيب

الشيطان وقال ان الله يرحم أمتى فى هذه الليلة بعدد شعر أغنام بنى كلب وقال ان الله يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهن أو ساحر أو مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا ومما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان فى أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر منها فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله عز وجل فى هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة و بعضهم أراد أن يجمع بين القولين فقال ابتدئ بانتساخ القرآن من اللوح المحفوظ ليلة البراءة ووقع الفراغ فى ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن لكفى به بركة ومعنى (يفرق) يفصل ويكتب (كل أمر) هو ضد النهى او كل أمر له شان من ارزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم الى العام القابل فيدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسوف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وفى انتصاب (امرا) وجوه اما أن يكون حالا من أمر حكيم لأنه قريب من المعرفة أو من الهاء فى أنزلناه أو من الفاعل أى آمرين أو على المصدر لأمر أو على الاختصاص لان كونه من عند الله يوجبه مزيد شرف وفخامة أو يكون مصدرا من غير لفظ الفعل وهو يفرق لانه اذا حكم بالشئ وفصله

اذا

اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها * وخالفها فى بيت نوب عوامل

فقال لم يرج لسعها ومعناه فى ذلك لم يخف لسعها وكوضعهم الظن موضع العلم الذى لم يدرك من قبل العيان وانما أدرك استدلالا أوخبرا كما قال الشاعر

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * سراتهم فى الفارسىّ المسرد

بمعنى أيقنوا بألفى مدجج واعلموا فوضع الظن موضع اليقين اذ لم يكن المقول لهم ذلك عاينوا ألفى مدجج ولا رأوهم وان ما أخبرهم به هذا المخبر فقال لهم ظنوا العلم بما لم يعاين من فعل القلب فوضع أحدهما موضع الآخر لتقارب معنييهما فى نظائر لما ذكرت يكثر احصاؤها كما يتقارب معنى الكلمتين فى بعض المعانى وهما مختلفتا المعنى فى أشياء أخر فتضع العرب احداهما مكان صاحبتها فى الموضع الذى يتقارب معنياهما فيه فكذلك قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى وضعت الا فى موضع بعد لما نصف من تقارب معنى إلا و بعد فى هذا الموضع وكذلك ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف انما معناه بعد الذى سلف منكم فى الجاهلية فأما اذا وجهت الا فى هذا الموضع الى معنى سوى فانما هو ترجمة عن المكان و بيان عنها بما هو أشدّ التباسا على من أراد علم معناها منها وقوله ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك يقول تعالى ذكره ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار تفضلا يا محمد من ربك عليهم واحسانا منه اليهم بذلك ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم فى الدنيا ولولا تفضله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك لم يقهم عذاب الجحيم ولكن كان ينالهم و يصيبهم ألمه ومكروهه وقوله ذلك هو الفوز العظيم يقول تعالى ذكره هذا الذى أعطينا هؤلاء المتقين فى الآخرة من الكرامة التى وصفت فى هذه الآيات هو الفوز العظيم يقول هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من ادراكه فى الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربهم واتقائهم اياه فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض واجتناب المحارم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانما سهلنا قراءة هذا القرآن الذى أنزلناه اليك يا محمد بلسانك ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك اليهم بعبره وحججه و يتعظوا بعظاته ويتفكروا فى آياته اذا أنت تلوته عليهم فينيبوا الى طاعة ربهم ويذعنوا للحق عند تبينهموه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانما يسرناه بلسانك أى هذا القرآن لعلهم يتذكرون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فانما يسرناه بلسانك قال القرآن و يسرناه أطلق به لسانه وقوله فارتقب إنهم مرتقبون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك والنصر على هؤلاء المشركين بالله من قومك من قريش انهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبتك بصدّهم عما أتيتهم به من الحق من أراد قبوله واتباعك عليه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله فارتقب انهم مرتقبون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فارتقب انهم مرتقبون أى فانتظر انهم منتظرون

آخر تفسير سورة الدخان

وكتبه فقد اوجبه وأمر به قوله (انا كنا مرسلين) يجوز أن يكون بدلا من قوله تعالى انا كنا منذرين أى انزلنا القرآن لان من شأننا ارسال الرسل وانزال الكتب الى عبادنا لاجل الرحمة و يحتمل كونه تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا وقوله (من ربك) وضع للظاهر موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة ثم حقق ربوبيته بقوله (انه هو السميع العليم) الى قوله الاولين ومعنى الشرط فى قوله (ان كنتم موقنين) نظير ما هو فى أوّل الشعراء وذلك أنهم كانوا مقرين بأنه رب السموات والارض قيل لهم ان كنتم على بصيرة وايقان من ذلك فلا تشكوا فيه أو ان كنتم موقنين بشئ فأيقنوا بما أخبرتكم أو ان كنتم تريدون اليقين فاعلموا ذلك وقيل ان نافية ثم ردّ أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) فى الدنيا أو يستهزؤن بنا فلا جرم أوعدهم بقوله (فارتقب) و يوم مفعول به أى انتظره والاكثرون على أن هذا الدخان من أمارات القيامة فان الدنيا ستصير كبيت لاخصاص له مملوء دخانا يدخل فى أنوف الكفار وآذانهم فيكونون كالسكارى و يصيب المؤمن فيه كالزكام فيبقى ذلك أربعين وعن حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أوّل الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر أبين بكسر الهمزة وفتحها اسم رجل بنى هذه البلدة ونزل بها وقيل الدخان يكون فى القيامة اذا خرجوا من قبورهم يحيط بالخلائق و يغشاهم وقيل الدخان الشر والفتنة وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام وذلك أن قريشا لما استصعبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم اللزام وهو القحط حتى أكلوا الجيف وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان فيسمع كلام صاحبه ولا يراه من الدخان فمشى اليه صلى الله عليه وسلم أبو سفيان

(تفسير سورة الجاثية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله تعالى {حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين} قد تقدم بياننا في معنى قوله حم وأما قوله تنزيل الكتاب من الله فان معناه هذا تنزيل القرآن من عند الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره أمر خلقه وقوله ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين يقول تعالى ذكره ان في السموات السبع اللاتي منهن نزول الغيث والارض التي منها خروج الخلق أيها الناس لآيات للمؤمنين يقول لأدلة وحججا للمصدقين بالحجج اذا تبينوها ورأوها ۞ القول في تأويل قوله تعالى {وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون} يقول تعالى ذكره وفي خلق الله اياكم أيها الناس وخلقه ما تفرق في الارض من دابة تدب عليها من غير جنسكم آيات لقوم يوقنون يعني حججا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء فيقرون بها ويعلمون صحتها واختلفت القراء في قراءة قوله آيات لقوم يوقنون وفي التي بعد ذلك فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة آيات رفعا على الابتداء وترك ردها على قوله لآيات للمؤمنين وقرأته عامة قراء الكوفة آيات خفضا بتأويل النصب ردا على قوله لآيات للمؤمنين وزعم قارئو ذلك كذلك من المتأخرين أنهم اختاروا قراءته كذلك لأنه في قراءة أبيّ في الآيات الثلاث لآيات باللام فجعلوا دخول اللام في ذلك في قراءته دليلا لهم على صحة قراءة جميعه بالخفض وليس الذي اعتمدوا عليه من الحجة في ذلك بحجة لأنه لا رواية بذلك عن أبيّ صحيحة وأبيّ لو صحت به عنه رواية ثم لم يعلم كيف كانت قراءته بالخفض أو بالرفع لم يكن الحكم عليه بأنه كان يقرؤه خفضا بأولى من الحكم عليه بأنه كان يقرؤه رفعا اذ كانت العرب قد تدخل اللام في خبر المعطوف على جملة كلام تام قد عملت في ابتدائها ان مع ابتدائهم اياه كما قال حميد بن ثور الهلالي

ان الخلافة بعدهم لذميمة * وخلائف طرف لمما أحقر

فأدخل اللام في خبر مبتدأ بعد جملة خبر قد عملت فيه ان اذ كان الكلام وان ابتدئ منويا فيه ان والصواب من القول في ذلك ان كان الامر على ما وصفنا أن يقال ان الخفض في هذه الأحرف والرفع قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار قد قرأ بهما علماء من القراء صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول في تأويل قوله تعالى {واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون} يقول تبارك وتعالى وفي اختلاف الليل والنهار أيها الناس وتعاقبهما عليكم هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه وما أنزل الله من السماء من رزق وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم واحيائه الأرض بعد موتها يقول فأنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض حتى اهتزت بالنبات والزرع من بعد موتها يعني من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع وقوله وتصريف الرياح يقول وفي تصريفه الرياح لكم شمالا مرة وجنوبا أخرى وصبا أحيانا ودبورا أخرى لمنافعكم وقد قيل عني بتصريفها بالرحمة مرة وبالعذاب أخرى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وتصريف الرياح قال تصريفها

ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم من الدخان رجعوا الى شركهم وذلك قوله (هذا عذاب) أي قائلين هذا الى آخره ثم استبعد (٨٤) منهم الاتعاظ بقوله (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم) ما هو أعظم من كشف الدخان وهو القرآن المعجز وغيره فلم يتذكروا (وتولوا عنه) واتهموه صلى الله عليه وسلم بأنه انما يعلمه بشر ونسبوه الى الجنون ومعنى ثم تبعيد الحالتين ثم بين أنهم يعودون الى الكفر عقيب كشف العذاب عنهم زمانا قليلا واعلم أن ارتدادهم الى الكفر أمر ممكن سواء يجعل الدخان من أمارات القيامة أو يقال انه قد مضى والبطشة الكبرى القيامة أو يوم بدر على التفسيرين ويوم ظرف لما دل عليه منتقمون فان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله وقيل بدل من يوم تأتي السماء ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ومعنى فتنا امتحنا وقد وصفه بالكرم لانه كان حسيبا في قومه أو بكرم خلقه أو المراد أنه لم يخاشنهم في التبليغ كما قال فقولا له قولا لينا وأن مفسرة لان مجيء الرسول يتضمن القول أو مخففة من الثقيلة او مصدرية والباء محذوف وعباد الله مفعول به لقوله أرسل معنا بني اسرائيل أو منادى والمعنى أدوا اليّ يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان والطاعة والقصة مذكورة في الشعراء وغيرها وأن ترجمون أن تقتلون أو تشتمون بالنسبة الى الكذب والسحر (وان لم تؤمنوا لي) اى لم تصدقوني فتاركوني وكونوا بمعزل عني لا عليّ ولا لي (فدعا ربه) شاكيا (أن هؤلاء قوم مجرمون) مصرون على الكفر (فأسر) أي فأجبنا دعاءه وقلنا له أسر وكان من دعائه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم ويحتمل أن يكون الدعاء هو ما في يونس ربنا اطمس على أموالهم وفي رهوا وجهان أحدهما ساكنا أي لا تضرب به ثانيا واتركه على هيئته من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا وذلك أن موسى أراد أن يضرب به ثانيا حتى ينطبق ويزول الانفلاق خوفا من أن يدركهم

تصريفها ان شاء جعلها رحمة وان شاء جعلها عذابا وقوله آيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره في ذلك أدلة وحجج لله على خلقه لقوم يعقلون عن الله حججه ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره هذه الآيات والحجج يا محمد من ربك على خلقه نتلوها عليك بالحق يقول نخبرك عنها بالحق لا بالباطل كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل أنها تقربهم الى الله زلفى فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون يقول تعالى ذكره للمشركين به فبأى حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذى يتلوه عليكم و بعد حججه عليكم وأدلته التى دلكم بها على وحدانيته من أنه لا رب لكم سواه تصدقون ان أنتم كذبتم لحديثه وآياته وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ تؤمنون على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين وأما على قراءة من قرأه يؤمنون بالياء فان معناه فبأى حديث يا محمد بعد حديث الله الذى يتلوه عليك وآياته هذه التى نبه هؤلاء المشركين عليها وذكرهم بها يؤمن هؤلاء المشركون وهى قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة ولكلتا القراءتين وجه صحيح وتأويل مفهوم فبأية القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب عندنا وان كنت أميل الى قراءته بالياء اذ كانت فى سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر وذلك قوله لقوم يوقنون ولقوم يعقلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره الوادى السائل من صديد أهل جهنم لكل كذاب ذى اثم بربه مفتر عليه يسمع آيات الله تتلى عليه يقول يسمع آيات كتاب الله تقرأ عليه ثم يصر على كفره واثمه فيقيم عليه غير تائب منه ولا راجع عنه مستكبرا على ربه أن يذعن لأمره ونهيه كأن لم يسمعها يقول كأن لم يسمع ما تلى عليه من آيات الله باصراره على كفره فبشره بعذاب أليم يقول فبشر يا محمد هذا الأفاك الأثيم الذى هذه صفته بعذاب من الله أليم يعنى موجع فى نار جهنم يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾ يقول تعالى ذكره واذا علم هذا الأفاك الأثيم من آيات الله شيأ اتخذها هزوا يقول اتخذ تلك الآيات التى علمها هزوا ويسخر منها وذلك كفعل أبى جهل حين نزلت ان شجرة الزقوم طعام الأثيم اذ دعا بتمر وزبد فقال تزقموا من هذا ما يعدكم محمد الا شهدا وما أشبه ذلك من أفعالهم وقوله أولئك لهم عذاب مهين يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل وهم الذين يسمعون آيات الله تتلى عليهم ثم يصرون على كفرهم استكبارا ويتخذون آيات الله التى علموها هزوا لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم فى نار جهنم بما كانوا فى الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته وانما قال تعالى ذكره أولئك فجمع (١) وقد جرى الكلام قبل ذلك ردا للكلام الى معنى الكل فى قوله ويل لكل أفاك أثيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله يعنى من بين أيديهم وقد بينا العلة التى من أجلها قيل لما أمامك هو وراءك فيما مضى بما أغنى عن اعادته

(١) لعله وقد جرى الكلام قبل ذلك على الافراد ردا الخ تأمل اه مصححه

بكت عليه السماء والارض وأظلمت الدنيا ومنه الحديث وما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء وفيه تمثيل وتخييل وتهكم بهم أنهم كانوا يستعظمون أنفسهم ويعتقدون أنهم لو ماتوا لقال الناس فيهم ذلك فأخبر أنهم ما كانوا فى هذا الحد بل كانوا دون ذلك وجوز كثير من المفسرين أن يكون البكاء حقيقة وجعلوا الخسوف والكسوف والحمرة التى تحدث فى السماء وهبوب الرياح العاصفة من ذلك قال الواحدى فى البسيط روى أنس ابن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية ثم ان هؤلاء الكفار لم يكن لهم عمل صالح يصعد الى السماء فلا جرم لم تبك عليهم وعن الحسن أراد أهل السماء والارض أى ما بكت عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين (وما كانوا اذا منظرين) أى لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا قوله (من فرعون) بدل من العذاب بل جعل فى نفسه عذابا مهينا لشدة شكيمته وفرط عتوه وقيل المضاف محذوف أى من عذابه وقيل تقديره المهين الصادر من فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون على الاستفهام أى ما نظنكم بعذاب من تعرفونه انه عال قاهر عات مجاوز حد الاعتدال

ثم ثنى على بنى اسرائيل بقوله (ولقد اخترناهم) بايتاء الملك والنبوة (على علم) منا باستحقاقهم ذلك وقيامهم بالشكر عليه على عالمى زمانهم ولا ريب أن هذا قبل التحريف وقيل اى على علم منا بأنه سيبدو منهم بوادر وتفريطات والبلاء النعمة أو المحنة والآيات هى التسع وغيرها

ثم عاد الى ما انجر الكلام فيه وهو قوله بل هم فى شك يلعبون فقال (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش (ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى) قال المفسرون يؤل الى ما حكى عنهم فى موضع آخر

ان هى الا حياتنا الدنيا وذلك أن النزاع انما وقع فى موتة تعقبها حياة فأنكروا أن تكون موتة بهذا الوصف الا الموتة الاولى وهو حال كونهم نطفا ويحتمل أن يراد ان هى أى الصفة أو النهاية أو الحالة أو العاقبة الا الموتة الاولى وليست اثباتا لموتة ثانية انما هو كقولك حج فلان الحجة الاولى ومات (وما نحن بمنشرين) انشر الله الموتى أحياهم (فأتوا) أيها النبى والذين آمنوا معه (بآبائنا ان كنتم صادقين) يروى أنهم طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يعجل الله لهم احياء الموتى فينشر كبيرهم قصى ابن كلاب ليشاوروه فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة البعث فلم يجبهم الله تعالى الى ذلك ولكنه أوعدهم بقوله (أهم خير أم قوم تبع) أى ليسوا بخير منهم فى العدد والعز والمنعة ابن عباس تبع نبى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا أدرى تبع نبيا كان أم غير نبى رواه الثعلبى عن عائشة كان رجلا صالحا ذم الله قومه ولم يذمه وانما خصهم بالذكر لقربهم من العرب زمانا ومكانا وعن سعيد بن جبير أنه كسا البيت وقال قتادة كان من حمير سار فبنى الحيرة وسمر قند وقال أبو عبيدة هم ملوك اليمن يسمى كل واحد منهم تبعا لكثرة تبعه أو لأنه يتبع صاحبه وهو بمنزلة الخليفة للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم وجمعه تبابعة وكان يكتب اذا كتب بسم الذى ملك برا وبحرا ثم برهن على صحة البعث بقوله (وما خلقنا) الى آخره وقد مر فى الانبياء وفى ص نظيره وانما جمع السموات ههنا لموافقة قوله فى أول السورة رب السموات وسمى يوم القيامة يوم الفصل لأنه يفصل بين عباده فى الحكم والقضاء أو يفصل بين أهل الجنة وأهل النار أو يفصل بين المؤمنين وبين ما يكرهون وللكافرين بينهم وبين ما يشتهونه فيفصل بين الوالد وولده والرجل وزوجته

قوله

يقول من بين أيديهم نار جهنم هم واردوها ولا يغنيهم ما كسبوا شيئا يقول ولا يغنى عنهم من عذاب جهنم اذا هم عذبوا به ما كسبوا فى الدنيا من مال وولد شيئا وقوله ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء يقول ولا آلهتهم التى عبدوها من دون الله ورؤساؤهم وهم الذين أطاعوهم فى الكفر بالله واتخذوهم نصراء فى الدنيا تغنى عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيئا ولهم عذاب عظيم يقول ولهم من الله يومئذ عذاب فى جهنم عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم﴾ يقول تعالى ذكره هذا القرآن الذى أنزلناه على محمد هدى يقول بيان ودليل على الحق يهدى الى صراط مستقيم من اتبعه وعمل بما فيه والذين كفروا بآيات ربهم يقول والذين جحدوا ما فى القرآن من الآيات الدالات على الحق ولم يصدقوا بها ويعملوا بها لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره الله أيها القوم الذى لا تنبغى الالوهة الا له الذى أنعم عليكم هذه النعم التى بينها لكم فى هذه الآيات وهو أنه سخر لكم البحر لتجرى السفن فيه بأمره لمعايشكم وتصرفكم فى البلاد لطلب فضله فيها ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره وسخر لكم ما فى السموات من شمس وقمر ونجوم وما فى الارض من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم جميعا منه يقول تعالى ذكره جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم وفضل منه تفضل به عليكم فاياه فاحمدوا لا غيره لأنه لم يشركه فى انعام هذه النعم عليكم شريك بل تفرد بانعامها عليكم وجميعها منه ومن نعمه فلا تجعلوا له فى شكركم له شريكا بل أفردوه بالشكر والعبادة وأخلصوا له الالوهة فانه لا اله لكم سواه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه يقول كل شئ هو من الله وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه فذلك جميعا منه ولا ينازعه فيه المنازعون واستيقن أنه كذلك وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان فى تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم فى هاتين الآيتين لآيات يقول لعلامات ودلالات على أنه لا اله لكم غيره الذى أنعم عليكم هذه النعم وسخر لكم هذه الاشياء التى لا يقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون فى آيات الله وحججه وأدلته فيعتبرون بها ويتعظون اذا تدبروها وفكروا فيها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه اذا هم نالوهم بالأذى والمكروه ليجزى قوما بما كانوا يكسبون يقول ليجزى الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين فى الآخرة فيصيبهم عذابه بما كانوا فى الدنيا يكسبون من الاثم ثم بأذاهم أهل الايمان بالله وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين اذا آذوه وكانوا يستهزؤن به ويكذبونه فأمره الله عزوجل أن يقاتل المشركين كافة فكان هذا من المنسوخ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله للذين لا يرجون أيام الله قال لا يبالون نعم الله أو نقم الله حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يرجون أيام الله قال لا يبالون نعم الله وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين وانما قلنا هي منسوخة لاجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك ذكر من قال ذلك قد ذكرنا الرواية في ذلك عن ابن أبي عباس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال نسختها ما في الأنفال فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون وفي براءة قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال نسختها اقتلوا المشركين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال هذا منسوخ أمر الله بقتالهم في سورة براءة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عمن ذكره عن أبي صالح قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال نسختها التي في الحج أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال هؤلاء المشركون قال وقد نسخ هذا وفرض جهادهم والغلظة عليهم وجزم قوله يغفروا تشبيها له بالجزاء والشرط وليس به ولكن لظهوره في الكلام على مثاله فعرب تعريبه وقد مضى البيان عنه قبل * واختلفت القراء في قراءة قوله ليجزى قوما فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة ليجزى بالياء على وجه الخبر عن الله أنه يجزيهم ويثيبهم وقرأ ذلك بعض عامة قراء الكوفيين لنجزى بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه وذكر عن أبي جعفر القارى أنه كان يقرؤه ليجزى قوما على مذهب ما لم يسم فاعله وهو على مذهب كلام العرب لحن الا أن يكون أراد ليجزى الجزاء قوما باضمار الجزاء وجعله مرفوعا ليجزى فيكون وجها من القراءة وان كان بعيدا * والصواب من القول في ذلك عندنا أن قراءته بالياء والنون على ما ذكرت من قراءة الامصار جائزة بأي تينك القراءتين قرأ القارئ فأما قراءته على ما ذكرت عن أبي جعفر فغير جائزة عندي لمعنيين أحدهما أنه خلاف لما عليه الحجة من القراء وغير جائز عندي خلاف ما جاءت به مستفيضا فيهم والثاني بعدها من الصحة في العربية الا على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ﴾ يقول تعالى ذكره من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى الى أمره وانزجر لنهيه فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل وطلب خلاصها من عذاب الله أطاع ربه لا لغير ذلك لأنه لا ينفع ذلك غيره والله عن عمل كل عامل غني ومن أساء فعليها يقول ومن

والمرء وخليله والمولى في الآية يحتمل الولي والناصر والمعين وابن العم والمراد أن أحدا منهم بأي معنى فرض لا يتوقع منه النصرة والضمير في لا ينصرون للمولى الثاني لأنه جمع في المعنى لعمومه وشياعه وقوله (٨٧) (الا من رحم الله) في محل الرفع على البدل أو في محل النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) الغالب على من عصى (الرحيم) لمن أطاع ثم أراد أن يختم السورة بوعيد الفجار ووعد الأبرار فقال (ان شجرت الزقوم) وقد مر تفسيرها في الصافات و(الأثيم) مبالغة الآثم ولهذا يمكن أن يقال انه مخصوص بالكافر والمهل دردي الزيت وقد مر في الكهف ولعل وجه التشبيه هو بشاعة الطعم كما أن الوجه في قوله طلعها كأنه رؤس الشياطين هو كراهة المنظر ثم وصفه بشدة الحرارة قائلا (يغلي) الى آخره ثم أخبر أنه سبحانه يقول للزبانية (خذوه) أي خذوا الأثيم (فاعتلوه) جروه بعنف وغلظة كأن يؤخذ بتلبيبه فيجر الى وسط النار والتركيب يدل على الشدة والغلظة ومنه العتل للجافي الغليظ وقوله (من عذاب الحميم) دون أن يقول من الحميم تهويل وسلوك لطريق الاستعارة لأنه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته يروى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أمنع مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيأ فنزلت الآية أي يقال له ذق لأنك أنت العزيز الكريم عند نفسك وفيه من التهكم ما فيه (ان هذا) العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون ثم شرع في وعد الأبرار والمقام الأمين ذو الأمن أو أصله من الأمانة لأن المكان المخيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره وقوله (وزوجناهم) اختلفوا في أن هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد التزوج أم لا والأكثرون على نفيه وأن المراد قرناهم بهن وقيل زوجته امرأة وزوجته بامرأة لغتان وهكذا اختلفوا في الحور فعن الحسن هن عجائزكم ينشئهن الله خلقا آخر وقال أبو هريرة لسن من نساء الدنيا (يدعون) أي يحكمون ويأمرون في الجنة

باحضار مايشتهون من الفوا كه في أيّ وقت ومكان (آمنين) من التخم والتبعات ثم أخبر عن خلودهم بقوله (لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) قال جار الله هو من باب التعليق بالمحال (٨٨) كأنه قيل ان كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها

وقيل الاستثناء منقطع أي لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وقال اهل التحقيق ان الجنة حقيقتها ابتهاج النفس وفرحها بمعرفة الله و بمحبته فالانسان الكامل هو في الدنيا في الجنة وفي الآخرة أيضا في الجنة فقد صح أنه لم يذق في الجنة الا الموتة الأولى ثم ختم الكلام بفذلكته والمعنى ذكرناهم بالكتاب المبين فأسهلناه حيث أنزلناه بلغتك ارادة تذكرهم فانتظر مايحل بهم فانهم يتربصون بك الدوائر

* (سورة الجاثية مكية حروفها الفان ومائة وأحد وستون كلمها اربعمائة وثمان وثمانون آياتها سبع وثلاثون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم ومايبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله

أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيما ربه وخلافه فيها أمره ونهيه فعلى نفسه جنى لأنه أوبقها بذلك وأكسبها به سخطه ولم يضر أحدا سوى نفسه ثم الى ربكم ترجعون يقول ثم أنتم أيها الناس أجمعون الى ربكم تصيرون من بعد مماتكم فيجازي المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته فمن ورد عليه منكم بعمل صالح جوزي من الثواب صالحا ومن ورد عليه منكم بعمل سيء جوزي من الثواب سيأ ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا يامحمد بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة والانجيل والحكم يعني الفهم بالكتاب والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب والنبوة يقول وجعلنا منهم أنبياء ورسلا الى الخلق ورزقناهم من الطيبات يقول وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا وذلك ما أطعمهم من المن والسلوى وفضلناهم على العالمين يقول وفضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشأم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره وأعطينا بني اسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا اليهم التوراة فيها تفصيل كل شئ فما اختلفوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم طلبا للرياسات وتركا منهم لبيان الله تبارك وتعالى في تنزيله وقوله ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يامحمد يقضي بين المختلفين من بني اسرائيل بغيا بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون بعد العلم الذي أتاهم والبيان الذي جاءهم منه فيفلج المحق حينئذ على المبطل بفصل الحكم بينهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم جعلناك يامحمد من بعد الذي آتينا بني اسرائيل الذين وصفت لك صفتهم على شريعة من الأمر يقول على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا فاتبعها يقول فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون يقول ولا تتبع مادعاك اليه الجاهلون بالله الذين لايعرفون الحق من الباطل فتعمل به فتهلك ان عملت به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها قال يقول على هدى من الامر وبينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها والشريعة الفرائض والحدود والامر والنهي فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم جعلناك على شريعة من الامر قال الشريعة الدين وقرأ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك قال فنوح أولهم وأنت آخرهم وقوله انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ يقول تعالى ذكره ان هؤلاء الجاهلين بربهم الذين يدعونك يامحمد الى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك ان أنت اتبعت أهواءهم وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيأ فيدفعوه عنك ان هو عاقبك وينقذوك منه وقوله وان الظالمين بعضهم

ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم

بعضهم أولياء بعض يقول وان الظالمين بعضهم أنصار بعض وأعوانهم على الايمان بالله وأهل طاعته والله ولىّ المتقين يقول تعالى ذكره والله يلى من اتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه بكفايته ودفاع من أراده بسوء يقول جل ثناؤه لنبيه عليه السلام فكن من المتقين يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون فانه ولىّ من اتقاه ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وان كثر عددهم لأنهم لن يضروك ما كان الله وليك وناصرك ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ يقول تعالى ذكره هذا الكتاب الذى أنزلناه اليك يا محمد بصائر للناس يبصرون به الحق من الباطل ويعرفون به سبيل الرشاد والبصائر جمع بصيرة وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول ذكر ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا بصائر للناس وهدى ورحمة قال القرآن قال هذا كله انما هو فى القلب قال والسمع والبصر فى القلب وقرأ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها وقوله وهدى يقول ورشاد ورحمة لقوم يوقنون بحقيقة صحة هذا القرآن وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم وخص جل ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر فكان عليه عمى وله حزنا وقوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات يقول تعالى ذكره أم ظن الذين اجترحوا السيئات من الاعمال فى الدنيا وكذبوا رسل الله وخالفوا أمر ربهم وعبدوا غيره أن نجعلهم فى الآخرة كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات فأطاعوا الله وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة كلا ما كان الله ليفعل ذلك لقد ميز بين الفريقين فجعل حزب الايمان فى الجنة وحزب الكفر فى السعير كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية لعمرى لقد تفرق القوم فى الدنيا وتفرقوا عند الموت فتباينوا فى المصير وقوله سواء محياهم ومماتهم اختلف القراء فى قراءة قوله سواء فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة سواء بالرفع على أن الخبر متناه عندهم عند قوله كالذين آمنوا وجعلوا خبر قوله أن نجعلهم قوله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم ابتدؤا الخبر عن استواء حال محيا المؤمن ومماته ومحيا الكافر ومماته فرفعوا قوله سواء على وجه الابتداء بهذا المعنى والى هذا المعنى وجه تأويل ذلك جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله سواء محياهم ومماتهم قال المؤمن فى الدنيا والآخرة مؤمن والكافر فى الدنيا والآخرة كافر حدثنا أبو كريب قال ثنا حسين عن شيبان عن ليث فى قوله سواء محياهم ومماتهم قال بعث المؤمن مؤمنا حيا وميتا والكافر كافرا حيا وميتا وقد يحتمل الكلام اذا قرئ سواء رفعا وجها آخر غير هذا المعنى الذى ذكرناه عن مجاهد وليث وهو أن يوجه الى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم والمؤمنين سواء فى الحياة والموت بمعنى أنهم لا يستوون ثم يرفع سواء على هذا المعنى اذ كان لا ينصرف كما يقال مررت برجل خير منك أبوه وحسبك أخوه فرفع حسبك وخير اذ كانا فى مذهب الاسماء ولو وقع

ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولىّ المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا

أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن

وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون (٩٠) فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم﴾

موقعهما فعل فى لفظ اسم لم يكن الا نصبا فكذلك قوله سواء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سواء نصبا بمعنى أحسبوا أن نجعلهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما أهل العلم بالقرآن صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله سواء ورفعه فقال بعض نحويى البصرة سواء محياهم ومماتهم رفع وقال بعضهم ان المحيا والممات للكفار كله قال أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال سواء محيا الكفار ومماتهم أى محياهم محيا سوء ومماتهم ممات سوء فرفع السواء على الابتداء قال ومن فسر المحيا والممات للكفار والمؤمنين فقد يجوز فى هذا المعنى نصب السواء ورفعه لأن من جعل السواء مستويا فينبغى له فى القياس أن يجريه على ماقبله لأنه صفة ومن جعله الاستواء فينبغى له أن يرفعه لأنه اسم الا أن ينصب المحيا والممات على البدل وينصب السواء على الاستواء وان شاء رفع السواء اذا كان فى معنى مستو كما تقول مررت برجل خير منك أبوه لأنه صفة لا يصرف والرفع أجود وقال بعض نحويى الكوفة قوله سواء محياهم بنصب سواء وبرفعه والمحيا والممات فى موضع رفع بمنزلة قوله رأيت القوم سواء صغارهم وكبارهم بنصب سواء لأنه يجعله فعلا لما عاد على الناس من ذكرهم قال وربما جعلت العرب سواء فى مذهب اسم بمنزلة حسبك فيقولون رأيت قومك سواء صغارهم وكبارهم فيكون كقولك مررت برجل حسبك أبوه قال ولو جعلت مكان سواء مستو لم يرفع ولكن نجعله متبعا لما قبله مخالفا لسواء لأن مستوى من صفة القوم ولأن سواء كالمصدر والمصدر اسم قال ولو نصبت المحيا والممات كان وجها يريد أن نجعلهم سواء فى محياهم ومماتهم * وقال آخرون منهم المعنى أنه لايساوى من اجترح السيئات المؤمن فى الحياة ولا الممات على أنه وقع موقع الخبر فكان خبرا لجعلنا قال والنصب للاخبار كما تقول جعلت اخوتك سواء صغيرهم وكبيرهم ويجوز أن يرفع لأن سواء لا ينصرف وقال من قال أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات فجعل كالذين الخبر استأنف بسواء ورفع مابعدها وان نصب المحيا والممات نصب سواء لاغير وقد تقدم بياننا الصواب من القول فى ذلك وقوله ساء مايحكمون يقول تعالى ذكره بئس الحكم الذى حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره وخلق الله السموات والارض بالحق للعدل والحق لا لما حسب هؤلاء الجاهلون بالله من أنه نجعل من اجترح السيئات فعصاه وخالف أمره كالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى المحيا والممات اذ كان ذلك من فعل غير أهل العدل والانصاف يقول جل ثناؤه فلم يخلق الله السموات والارض للظلم والجور ولكنا خلقناهما للحق والعدل ومن الحق أن نخالف بين حكم المسىء والمحسن فى العاجل والآجل وقوله ولتجزى كل نفس بما كسبت يقول تعالى ذكره وليثيب الله كل عامل بما عمل من عمل خلق السموات والارض المحسن بالاحسان والمسىء بما هو أهله لا لنبخس المحسن ثواب احسانه ونحمل عليه جرم غيره فنعاقبه أو نجعل للمسىء ثواب احسان غيره

القراآت وفى خلقكم مدغما عباس آيات بالنصب فى الموضعين حمزة وعلى ويعقوب الريح على التوحيد حمزة وعلى وخلف يؤمنون على الغيبة أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وسهل وحفص أليم مذكور فى سبأ لنجزى بالنون ابن عامر وحمزة وعلى وخلف ليجزى بالياء مبنيا للمفعول قوم بالرفع يزيد الباقون مبنيا للفاعل قوما سواء بالنصب حمزة وعلى وخلف وحفص وروح وزيد غشوة بفتح الغين وسكون الشين من غير ألف حمزة وعلى وخلف ٣ كل أمة تدعى بالنصب على الابدال من الاول يعقوب الساعة بالنصب حمزة لايخرجون من الخروج حمزة وعلى وخلف

الوقوف حم كوفى ٥ الحكيم ٥ للمؤمنين ٥ ط ومن نصب آيات لم يقف لانه عطف المفردين على المفردين وهما الخبر والاسم ان يوقنون ٥ لا للعطف على عاملين كما يجىء يعقلون ٥ بالحق ج للاستفهام مع الفاء يؤمنون ٥ أثيم ٥ يسمعها ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب أليم ٥ هزوا ط مهين ٥ ط لأنه لو وصل اشتبه بأنها وصف عذاب جهنم ج لعطف المختلفين أولياء ج لذلك عظيم ٥ هدى ط لأن مابعده مبتدأ مع العاطف أليم ٥ تشكرون ٥ ج للآية مع العطف منه ط يتفكرون ج يكسبون ٥ فلنفسه ج فعليها ز لأن ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد القصة ترجعون ٥ العالمين ٥ ج للآية والعطف من الامر ج لعطف المختلفين بينهم ط يختلفون ٥ لايعلمون ٥ فنكرمه شيأ ج بعض ج للتمييز بين الحالين المختلفين مع اتفاق الجملتين المتقين ٥ يوقنون ٥ الصالحات قف ومن نصب سواء لم يقف

ومماتهم ط يحكمون ٥ لا يظلمون ٥ غشاوة ط من بعد الله ط تذكرون ٥ الدهر ج لاحتمال الواو الحال من علم ج لانقطاع النظم
مع اتصال المعنى يظنون ٥ صادقين ٥ لا يعلمون ٥ والارض ط (٩١) المبطلون ٥ جاثية قف لمن قرأ كل بالرفع كتابها ط

فنكم ولكن لنجزى كلا بما كسبت يداه وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن
يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أفرأيت من اتخذ إلهه هواه
فقال بعضهم معنى ذلك أفرأيت من اتخذ دينه بهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يؤمن بالله
ولا يحرم ما حرم ولا يحلل ما حلل انما دينه ما هويته نفسه يعمل به ذكر من قال ذلك حدثنى على
قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله أفرأيت من اتخذ إلهه هواه
قال ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور
عن معمر عن قتادة فى قوله أفرأيت من اتخذ إلهه هواه قال لا يهوى شيئا الا ركبه لا يخاف الله
* وقال آخرون بل معنى ذلك أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادته نفسه من شئ ذكر من
قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال كانت قريش
تعبد العزى وهو حجر أبيض حينا من الدهر فاذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الاول وعبدوا
الآخر فأنزل الله أفرأيت من اتخذ إلهه هواه * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب قول من قال
معنى ذلك أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه فيعبد ما هوى من شئ دون إله الحق الذى له الألوهة
من كل شئ لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره وقوله وأضله الله على علم يقول تعالى ذكره
وخذله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد فى سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدى ولو جاءته كل آية
و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وأضله الله على علم يقول أضله الله فى سابق علمه وقوله
وختم على سمعه وقلبه يقول تعالى ذكره وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآى كتابه فيعتبر بها
ويتدبرها ويتفكر فيها فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى وقوله وقلبه يقول وطبع أيضا على قلبه
فلا يعقل به شيئا ولا يعى به حقا وقوله وجعل على بصره غشاوة يقول وجعل على بصره غشاوة أن
يبصر به حجج الله فيستدل بها على وحدانيته ويعلم بها أن لا إله غيره واختلفت القراء فى قراءة قوله
وجعل على بصره غشاوة فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة غشاوة بكسر الغين
واثبات ألف فيها على أنها اسم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة غشوة بمعنى أنه غشاه شيئا فى دفعة واحدة
ومرة واحدة بفتح الغين بغير ألف وهما عندى قراءتان صحيحتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب
وقوله فمن يهديه من بعد الله يقول تعالى ذكره فمن يوفقه لاصابة الحق وابصار محجة الرشد بعد
اضلال الله اياه أفلا تذكرون أيها الناس فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا فلن يهتدى أبدا ولن
يجد لنفسه وليا مرشدا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء
المشركون الذين تقدم خبره عنهم ما حياة الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم
بالبعث بعد الممات كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا ما هى الا
حياتنا الدنيا اى لعمرى هذا قول مشركى العرب وقوله نموت ونحيا نموت نحن وتحيا أبناؤنا بعدنا
فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم لأنهم منهم و بعضهم فكأنهم بحياتهم أحياء وذلك نظير قول الناس

تعملون ٥ بالحق ٥ ط تعملون ٥
فى رحمته ط المبين ٥ مجرمين ٥
ما الساعة لا تحترزا عن الابتداء بقول
الكفار بمستيقنين ٥ يستهزؤن ٥
ناصرين ٥ الدنيا ج للعدول عن
الخطاب الى الغيبة يستعتبون ٥
العالمين ٥ والارض ص لعطف
الجملتين المتفقتين الحكيم ٥
۞ التفسير اعراب أول السورة
وتفسيرها كاعراب أول المؤمن
وتفسيره وقوله ان فى السموات
اما أن يكون على ظاهره وآياتها
الشمس والقمر والنجوم وحركاتها
وأوضاعها وكذا العناصر والمواليد
التى فى الارض مما يعجز الحاصر
عن ادراك أعدادها واما أن يراد
ان فى خلق السموات والارض
فالآيات تشمل ما عددنا مع زيادة
هيئتهما وما يتعلق بتشخيصهما
استدل الأخفش بالآية الثالثة
على جواز العطف على عاملين
مختلفين وهما فى قراءة النصب ان
وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت
الجر فى اختلاف الليل والنصب
فى آيات وهما فى قراءة الرفع الابتداء
وفى ونخرج لسيبويه فى جوابه
وجهان أحدهما أن قوله آيات تكرار
محض للتأكيد فقط من غير حاجة
الى ذكرها كما تقول ان فى الدار زيدا
وفى الحجرة زيدا والمسجد زيدا
وأنت تريد ان فى الدار زيدا والحجرة
والمسجد والثانى اضمار فى لدلالة
الاول عليه ويحتمل أن ينتصب
آيات على الاختصاص ويرتفع
باضمار هى وتفسير هذه الآيات
قدمر فى نظائرها مرارا ولاسيما فى أواسط البقرة ومما يختص بالمقام أنه خص المؤمنين بالذكر أولا ثم قال لقوم يوقنون ثم يعقلون فاسبب
هذا الترتيب قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله أراد ان كنتم مؤمنين فافهموا هذه الدلائل والا فان كنتم طلاب الحق واليقين

فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين فاجتهدوا فى معرفة هذه الدلائل
وقال جار الله معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا فى السموات والارض النظر الصحيح علموا أنها لا بد لها من صانع
فآمنوا به وأقروا فاذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وفى خلق مابث من الدواب على ظهر الارض ازدادوا ايمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس واذا نظروا فى سائر الحوادث كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار التى هى سبب الارزاق وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم عقلهم وخلص يقينهم وأقول الدلائل المذكورة فى هذه الآيات قسمان نفسية وخارجية فالنفسية أولى بالايقان لانه لاشئ أقرب الى الانسان من نفسه والخارجية بعضها فلكية وبعضها آثار علوية فالفلكية لبعدها عن الانسان اكتفى فيها بمجرد التصديق وأما الآثار العلوية فكانت أولى بالنظر والاستدلال لقربها وللاحساس بها فلا جرم خصت بالتعقل والتدبر وأما تقديم السموات على الارض [illegible] ولتقدمها فى الوجود (تلك) مبتدأ والتبعيد للتعظيم والمشار اليها الآيات المتقدمة و (نتلوها) فى محل الحال وقوله (بعد الله وآياته) كقولهم أعجبنى زيد وكرمه وأصله بعد آيات الله والمعنى أن من لم يؤمن بكلام الله فلن يؤمن بحديث سواه وقيل معناه القرآن آخر كتب الله ومحمد آخر رسله فان لم يؤمنوا به فبأى كتاب بعده يؤمنون ولا كتاب بعده ولا نبى ثم أوعد الناس المبالغين فى الاثم وقد مر ما فى الآية فى سورة لقمان قوله (واذا علم) أى شعر
وأحس بأنه من جملة القرآن المنزل خاض فى الاستهزاء واذا وقف على آية لها محمل فى باب الطعن والقدح افترضه بغير
وحمله على الوجه الموجب للطعن كافتراض ابن الزبعرى فى قوله انكم وما تعبدون من دون الله وانما أنث الضمير فى قوله (اتخذها)

ما مات من خلف ابنا مثل فلان لأنه بحياة ذكره به كأنه حى غير ميت وقد يحتمل وجها آخر وهو أن يكون معناه نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات كما يقال قمت وقعدت بمعنى قعدت وقمت والعرب تفعل ذلك فى الواو وخاصة اذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان ولم تقصد الخبر عن كون احدهما قبل الآخر تقدم المتأخر حدوثا على المتقدم حدوثه منهما أحيانا فهذا من ذلك لأنه لم يقصد فيه الى الخبر عن كون الحياة قبل الممات فقدم ذكر الممات قبل ذكر الحياة اذ كان القصد الى الخبر عن أنهم يكونون مرة أحياء وأخرى أمواتا وقوله وما يهلكنا الا الدهر يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا وما يهلكنا فيفنينا الا مر الليالى والايام وطول العمر انكارا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله وما يهلكنا الا دهر يمر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما يهلكنا الا الدهر قال الزمان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وما يهلكنا الا الدهر قال ذلك مشركو قريش ما يهلكنا الا الدهر الا العمر وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون الذى يهلكنا ويفنينا الدهر والزمان ثم يسبون ما يفنيهم ويهلكهم وهم يرون أنهم يسبون بذلك الدهر والزمان فقال الله عز وجل لهم أنا الذى أفنيكم وأهلككم لا الدهر والزمان ولا علم لكم بذلك ذكر الرواية بذلك عمن قاله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان أهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذى يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله فى كتابه وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر قال فيسبون الدهر فقال الله تبارك وتعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار حدثنا عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا أبو روح قال ثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال قال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله استقرضت عبدى فلم يعطنى وسبنى عبدى يقول وادهراه وأنا الدهر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله قال لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فانى أنا الدهر أقلب ليله ونهاره واذا شئت قبضتهما حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام عن أبى هريرة قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون يقول تعالى ذكره وما لهؤلاء المشركين القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر بما يقولون من ذلك من علم يعنى من يقين علم لأنهم يقولون ذلك تخرصا

لأن الشئ فى معنى الآية أولانه أراد أنه يتخذ جميع الايات هزوا ولا يقتصر على الاستهزاء بما بلغه قوله (من ورائهم جهنم) كل ماتوارى عنك
فهو وراء تقدّم أو تأخر وقدمر فى سورة ابراهيم عليه السلام (هذا هدى) أى هذا القرآن كامل فى باب الهداية والارشاد

بغير خبر أتاهم من الله ولا برهان عندهم بحقيقته ان هم الا يظنون يقول جل ثناؤه ماهم الا فى ظن من ذلك وشك يخبر عنهم أنهم فى حيرة من اعتقادهم حقيقة ماينطقون من ذلك بألسنتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب بينات يعنى واضحات جليات تنفى الشك عن قلب أهل التصديق بالله فى ذلك ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين يقول جل ثناؤه لم يكن لهم حجة على رسولنا الذى يتلو ذلك عليهم الا قولهم له ائتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء وانشرهم لنا ان كنت صادقا فيما تتلو علينا وتخبرنا حتى نصدق بحقيقة ماتقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا ومحيينا من بعد فنائنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث القائلين لك ائتنا بآبائنا ان كنت صادقا الله أيها المشركون يحييكم ماشاء أن يحييكم فى الدنيا ثم يميتكم فيها اذا شاء ثم يجمعكم الى يوم القيامة يعنى أنه يجمعكم جميعا أولكم وآخركم وصغيركم وكبيركم الى يوم القيامة يقول ليوم القيامة يعنى أنه يجمعكم جميعا أحياء ليوم القيامة لا ريب فيه يقول لاشك فيه يقول فلا تشكوا فى ذلك فان الامر كما وصفت لكم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث لا يعلمون حقيقة ذلك وأن الله محييهم من بعد مماتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ﴾ يقول تعالى ذكره ولله سلطان السموات السبع والارض دون ماتدعونه له شريكا وتعبدونه من دونه والذى تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد فى ملكه وسلطانه جار عليه حكمه فكيف يكون ما كان كذلك له شريكا أم كيف تعبدونه وتتركون عبادة مالككم ومالك ما تعبدونه من دونه ويوم تقوم الساعة يقول تعالى ذكره ويوم تجىء الساعة التى ينشر الله فيها الموتى من قبورهم ويجمعهم لموقف العرض يخسر المبطلون يقول يغبن فيها الذين أبطلوا فى الدنيا فى أقوالهم ودعواهم لله شريكا وعبادتهم آلهة دونه بأن يفوز بمنازلهم من الجنة المحقون ويبدلوا بها منازل من النار كانت للمحقين فجعلت لهم بمنازلهم من الجنة ذلك هو الخسران المبين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثية يقول مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وترى كل أمة جاثية قال على الركب مستوفزين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وترى كل أمة جاثية قال هذا يوم القيامة جاثية على ركبهم **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وترى كل أمة جاثية يقول على الركب عند الحساب

ثم ذكر دليلا آخر على الوحدانية وهو تسخير البحر لبنى آدم وقد سبق وجه الدلالة مرارا وقوله (ولتبتغوا) أى بسبب التجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان أو باستخراج اللحم الطرى ثم عمم بعد التخصيص وقوله (منه) فى موضع الحال أى سخر جميع مافى السموات والارض كائنة منه يريد أنه أوجدها بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هذه النعم كلها منه عن ابن عباس برواية عطاء أن الصحابة نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل عبدالله بن أبىّ غلامه ليستقى الماء فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ماحبسك قال غلام عمر قعد على رأس البئر فما ترك أحدا يستقى حتى ملأ قرب النبى وقرب أبى بكر وملأ لمولاه فقال عبدالله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ قوله عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه اليه فأنزل الله تعالى (قل للذين آمنوا) يعنى عمر (يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائعه بأعداء الله أو لا يأملون قوة المؤمنين فى أيام الله الموعودة لهم والمراد الصفح والاعراض عن عبدالله بن أبىّ وفى رواية ميمون بن مهران عن ابن عباس لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قال اليهودى فنحاص بن عازوراء احتاج رب محمد فبلغ ذلك عمر فأخذ سيفه فخرج فى طلبه فجاء جبرائيل وأنزل الآية هذه وليس المقصود
أن لا تقتلوا ولا تقاتلوا حتى يلزم نسخها بآية القتال كما ذهب اليه كثير من المفسرين ولكن الاولى أن يحمل على ترك المنازعة فى المحقرات وفى أفعالهم الموحشة المؤذية وانما نكر قوما مع أنه أراد بقوم الذين آمنوا وهم معارف ليدل على مدحهم والثناء عليهم كأنه قيل لنجزى قوما

كاملين فى الصبر والاغضاء على اذى الاعداء (بما كانوا يكسبون) من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل القوم هم الكافرون الكاملون فى النفاق ثم فصل الجزاء (٩٤) وعمم الحكم بقوله (من عمل صالحا) الآية ثم بين أن للمتأخرين من الكفار أسوة بالمتقدمين منهم والكتاب التوراة والحكم بيان الشرائع والبينات من الامر أدلة أمور الدين وقال ابن عباس يريد أنه تبين لهم من أمر النبي صلى الله عليه وسلم أنه مهاجر من تهامة الى يثرب وقيل هى المعجزات القاهرة على صحة نبوة موسى (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) فيه احتمالان أحدهما علموا ثم عاندوا والثانى جاءهم أسباب المعرفة التى لو تأملوا فيها لعرفوا الحق ولكنهم أظهروا النزاع حسدا (ثم جعلناك على شريعة) أى منهاج وطريقة (من الامر) أمر الدين وقيل من الامر الذى أمرنا به من قبلك من رسلنا قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى ملة آبائك وهم كانوا أفضل منك وأسن فزجره الله تعالى عن ذلك بقوله (ولا تتبع) الى آخره أى لو ملت فى أديانهم الباطلة لصرت مستحقا للعذاب وهم لا يقدرون على دفعه عنك ثم أشار بعد النهى عن اتباع أهوائهم بقوله ولا تتبع أتباعهم الى الفرق بين ولاة الظالمين وهم أشكالهم من الظلمة وبين ولى المتقين وهو الله سبحانه ومن جملة آثار ولايته وبركة عنايته (هذا) القرآن وقيل ما تقدم من اتباع الشريعة وترك طاعة الظالم وجعل القرآن مشارا اليه أولى لقوله (بصائر من ربكم) الى آخره وقدمر فى آخر الاعراف مثله ثم بين الفرق بين الظالمين والمتقين من وجه آخر قائلا (أم حسب)

وقوله كل أمة تدعى الى كتابها يقول كل أهل ملة ودين تدعى الى كتابها الذى أملت على حفظتها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل أمة تدعى الى كتابها يعلمون أنه ستدعى أمة قبل أمة وقوم قبل قوم ورجل قبل رجل ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يمثل لكل أمة يوم القيامة ما كانت تعبد من حجر أو وثن أو خشبة أو دابة ثم يقال من كان يعبد شيأ فليتبعه فتكون أو تجعل تلك الاوثان قادة الى النار حتى تقذفهم فيها فتبقى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب فيقول لليهود ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله وعزيرا الا قليلا منهم فيقال لها أما عزير فليس منكم ولستم منه فيؤخذ بهم ذات الشمال فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا ثم يدعى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله والمسيح الا قليلا منهم فيقال أما عيسى فليس منكم ولستم منه فيؤخذ بهم ذات الشمال فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا وتبقى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله وحده وانما فارقنا هؤلاء فى الدنيا مخافة يومنا هذا فيؤذن للمؤمنين فى السجود فيسجد المؤمنون وبين كل مؤمن (٣) منافق فيقسو ظهر المنافق عن السجود ويجعل الله سجود المؤمنين عليه توبيخا وصغارا وحسرة وندامة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى هريرة قال قال الناس يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضامون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يارسول الله قال فانكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيأ فليتبعه فيتبع من كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم ربهم فى صورة ويضرب جسر على جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز ودعوة الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وبها كلاليب كشوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم أحد قدر عظمها الا الله ويخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو ثم ذكر الحديث بطوله وقوله اليوم تجزون ما كنتم تعملون يقول تعالى ذكره كل أمة تدعى الى كتابها يقال لها اليوم تجزون أى تثابون وتعطون أجور ما كنتم فى الدنيا من جزاء الاعمال تعملون بالاحسان الاحسان وبالاساءة جزاءها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين﴾ يقول تعالى ذكره لكل أمة دعيت فى القيامة الى كتابها الذى أملت على حفظتها فى الدنيا اليوم تجزون ما كنتم تعملون فلا تجزعوا من ثوابنا كم على ذلك فانكم ينطق عليكم ان أنكرتموه بالحق فاقرؤه انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون يقول انا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم فتثبتها فى الكتب وتكتبها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن عطاء بن مقسم عن ابن عباس هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق قال هو أم الكتاب فيه أعمال بنى آدم انا كنا نستنسخ

أم منقطعة والآية نظيرة ما سلف فى ص أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين والاجتراح الاكتساب من قرأ سواء بالنصب فمعناه مستويا والظاهر بعده فاعله ويكون انتصابه على البدل من ثانى مفعولى نجعل وهو الكاف ما

ما كنتم تعملون قال نعم الملائكة يستنسخون أعمال بنى آدم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى قال ثنى أخى عيسى بن عبد الله عن ثابت الثمالى عن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهى الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال ما أكتب قال اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم ألزم كل شئ من ذلك شأنه دخوله فى الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة وعلى الكتاب خزانا فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فاذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الاجل أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة مانجد لصاحبكم عندنا شيأ فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس ألستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وهل يكون الاستنساخ الا من أصل حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق قال الكتاب الذكر انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال نستنسخ الاعمال * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا النضر بن اسمعيل عن أبى سنان الشيبانى عن عطاء بن أبى رباح عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال ان لله ملائكة ينزلون فى كل يوم بشئ يكتبون فيه أعمال بنى آدم وقوله فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته يقول تعالى ذكره فأما الذين آمنوا بالله فى الدنيا فوحدوه ولم يشركوا به شيأ وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما امرهم الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه فيدخلهم ربهم فى رحمته يعنى فى جنته برحمته وقوله ذلك هو الفوز المبين يقول دخولهم فى رحمة الله يومئذ هو الظفر بما كانوا يطلبونه وادراك ما كانوا يسعون فى الدنيا له المبين غايتهم فيها أنه هو الفوز ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين جحدوا وحدانية الله وأبوا افراده فى الدنيا بالالوهة فيقال لهم ألم تكن آياتى فى الدنيا تتلى عليكم فان قال قائل أوليست أما تجاب بالفاء فأين هى فان الجواب أن يقال هى الفاء التى فى قوله أفلم وانما وجه الكلام فى العربية لو نطق به على بيانه وأصله أن يقال وأما الذين كفروا فألم تكن آياتى تتلى عليكم لان معنى الكلام وأما الذين كفروا فيقال لهم ألم فموضع الفاء فى ابتداء المحذوف الذى هو مطلوب فى الكلام فلما حذفت يقال وجاءت ألف استفهام حكمها أن تكون مبتدأة بها ابتدئ بها وجعلت الفاء بعدها وقد تسقط العرب الفاء التى هى جواب أما فى مثل هذا الموضع أحيانا اذا أسقطوا الفعل الذى هو فى محل جواب أما كما قال جل ثناؤه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فحذفت الفاء اذ كان الفعل الذى هو فى جواب أما محذوفا وهو فيقال وذلك أن معنى الكلام فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم فلما أسقطت يقال الذى به تتصل الفاء سقطت الفاء التى هى جواب أما وقوله فاستكبرتم يقول فاستكبرتم عن استماعها والايمان بها وكنتم قوما مجرمين يقول وكنتم قوما تكسبون الآثام والكفر بالله لاتصدقون بمعاد ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾

ومن قرا بالرفع فخبر ومحياهم مبتدأ أو الجملة بدل أيضا لان الجملة تقع مفعولا ثانيا والمعنى انكار أن يستوى الفريقان حياة وموتا لان المحسنين عاشوا على الطاعة وانهم عاشوا على المعصية ومات أولئك على البشرى والرحمة ومات هؤلاء على الضد وقيل معناه انكار أن يستويا فى الممات كما استووا فى الحياة من حيث الصحة والرزق بل قد يكون الكافر أرجح حالا من المؤمن فالفرق المقتضى لسعادة المؤمن وشقاوة الكافر انما يظهر بعد الوفاة وقيل انه كلام مستأنف والمراد أن كلا من الفريقين يموت على حسب ماعاش عليه لقوله صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون وحين أفتى بان المؤمن لايساويه الكافر فى درجات السعادات استدل على صحة هذه الدعوى بقوله (وخلق الله) الآية قال جار الله (ولتجزى) معطوف على بالحق لانه فى معنى التعليل أى للعدل أوليدل بها على قدرته وللجزاء ويجوز أن يكون المعلل محذوفا وهو فعلنا ونحوه والحاصل أن الغاية من خلق السماء والارض كان هو الانسان الكامل فكيف يترك الله جزاءه وجزاء من هو ضده والتميز بينهما بموجب العدالة ثم قرر أسباب ضلال المضلين قائلا (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى يتبع ماتدعو اليه نفسه الأمارة وقد مر فى الفرقان (وأضله الله على علم) بحاله أنه من أهل الخذلان والقهر أو على علم الضلال فى سابق القضاء أو على علم بوجوه الهداية واحاطته بالالطاف المحصلة لها وقيل أراد به المعاند لان ضلاله عن علم (فمن يهديه من بعد) اضلال (الله) قال بعض العلماء قدم السمع على القلب فى هذه الآية وبالعكس فى البقرة لان كفار مكة كانوا يبغضونه بقلوبهم وما كانوا يستمعون اليه وكفار المدينة كانوا يلقون الى الناس أن النبى صلى الله عليه وسلم شاعر وكاهن وأنه يطلب الملك والرياسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك أبغضوه ونفرت قلوبهم عنه ففى هذه الصورة على هذا التقدير كان الاثر يصعد من البدن الى جوهر النفس وفى الصورة الاولى

كان الاثر ينزل من جوهر النفس الى قرار البدن فورد ما فى كل سورة على ترتيبه ثم ذكر من أسباب الضلال سببا آخر وهو انكارهم البعث معتقدين أن لا حياة الا هذه وليس قولهم (٩٦) الدنيا تسليما الثانية وانما هو قول منهم على لسان المقرين و بزعمهم (نموت ونحيى)

فيه تقديم وتأخير على أن الواو لا توجب الترتيب وقيل يموت الآباء وتحيا الابناء وحياة الابناء حياة الآباء أو يموت بعض ويحيا بعض أو أرادوا بكونهم أمواتا حال كونهم نطفا أو هو على مذهب أهل التناسخ اى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى بدن آخر ثم انهم لم يقنعوا بانكار المعاد حتى ضموا اليه انكار المبدا قائلين (وما يهلكنا الا الدهر) اعتقدوا أن تولد الاشخاص وكون الممتزجات وفسادها ليس الا بسبب مزاوجات الكواكب ولا حاجة فى هذا الباب الى مبدئ المبادئ فأجاب الله عن شبهتهم بقوله (وما لهم بذلك من علم) أى ليس لهم على ما قالوه دليل وانما ذكروا ذلك ظنا تخمينا واستبعادا فلا ينبغى للعاقل أن يلتفت الى قولهم لأن الحجة قامت على نقيض ذلك وهى دليل المبدا والمعاد المذكور مرارا وأطوارا وليس قولهم (ائتوا بآبائنا) من الحجة فى شئ لانه ليس كل ما لا يحصل فى الحال فانه يمتنع حصوله فى الاستقبال بدليل الحادث اليومى الممتنع حصوله فى الامس فوجه الاستثناء أنه فى أسلوب قوله

* تحية بينهم ضرب وجيع *

وحين بكتهم وسكتهم صرح بما هو الحق وقال (قل الله يحييكم) الى آخره ثم أراد أن يختم السورة بوصف يوم القيامة وما سيجرى على الكفار فيه فقال (و يوم تقوم الساعة) العامل فيه يخسر وقوله (يومئذ)

يقول تعالى ذكره ويقال لهم حينئذ واذا قيل لكم ان وعد الله الذى وعد عباده أنه محييهم من بعد مماتهم وباعثهم من قبورهم حق والساعة التى أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية آتية لا ريب فيها يقول لا شك فيها يعنى فى الساعة والهاء فى قوله فيها من ذكر الساعة ومعنى الكلام والساعة لا ريب فى قيامها فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها قلتم ما ندرى ما الساعة تكذيبا منكم بوعد الله جل ثناؤه وردا لخبره وانكارا لقدرته على احيائكم من بعد مماتكم وقوله ان نظن الا ظنا يقول وقلتم ما نظن أن الساعة آتية الا ظنا وما نحن بمستيقنين أنها جائية ولا أنها كائنة * واختلفت القراء فى قراءة قوله والساعة لا ريب فيها فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة والساعة رفعا على الابتداء وقرأته عامة قراء الكوفة والساعة نصبا عطفا بها على قوله ان وعد الله حق والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار صحيحتا المخرج فى العربية متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره وبدا لهؤلاء الذين كانوا فى الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا فى الدنيا من الاعمال يقول ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرؤا كتب أعمالهم التى كانت الحفظة تنسخها فى الدنيا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وحاق بهم من عذاب الله حينئذ ما كانوا به يستهزؤن اذ قيل لهم ان الله محله بمن كذب به على سيئات ما فى الدنيا عملوا من الاعمال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ يقول تعالى ذكره وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم اليوم نترككم فى عذاب جهنم كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقيل اليوم ننساكم نترككم وقوله ومأواكم النار يقول ومأواكم التى تأوون اليها نار جهنم وما لكم من ناصرين يقول وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذبكم فيستنقذ لكم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهم هذا الذى حل بكم من عذاب الله اليوم بأنكم فى الدنيا اتخذتم آيات الله هزوا وهى حججه وأدلته وآى كتابه التى أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم هزوا يعنى سخرية تسخرون منها وغرتكم الحياة الدنيا يقول وخدعتكم زينة الحياة الدنيا فآثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله يقول تعالى ذكره فاليوم لا يخرجون منها من النار ولا هم يستعتبون يقول ولا هم يردون الى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الانابة مما عوقبوا عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره فلله الحمد على نعمه وأياديه عند خلقه فاياه فاحمدوا أيها الناس فان كل ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهة و وثن ودون ما تتخذونه من دونه ربا وتشركون به معه رب السموات ورب الارض يقول مالك السموات السبع ومالك الارضين السبع ورب العالمين يقول مالك جميع ما فيهن

بدل من يوم وفيه تأكيد للحصر المستفاد من تقديم الظرف قال ابن عباس الجاثية المجتمعة المترقبة لحساب المترقبة لما يعمل بها من وقيل باركة جلسة المدعى عند الحاكم وقيل مستوفزا لا يصيب الارض الا ركبتاه وأطراف أنامله والجثو للكفار خاصة وقيل عام

من اصناف الخلق وله الكبرياء فى السموات والارض يقول وله العظمة والسلطان فى السموات والارض دون ماسواه من الآلهة والأنداد وهو العزيز فى نقمته من أعدائه القاهر كل ما دونه ولايقهره شئ الحكيم فى تدبيره خلقه وتصريفه اياهم فيما شاء كيف شاء والله أعلم

آخر تفسير سورة الجاثية

﴿ تم الجزء الخامس والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء السادس والعشرون أوله (تفسير سورة الأحقاف) ﴾

بدليل قوله بعد ذلك فأما الذين آمنوا وأما الذين كفروا (تدعى الى كتابها) يريد كتاب الحفظة ليقرؤه وقال الجاحظ الى كتاب نبيها فينظر هل عملوا به أم لا ويقال يا أهل التوراة يا أهل القرآن (اليوم تجزون) بتقدير القول ومما يؤيد القول الاول قوله (هذا كتابنا) الى قوله (انا كنا نستنسخ) أى نأمر بالنسخ واضافة الكتاب تارة اليهم وأخرى الى الله عز وجل صحيحة لأن الاضافة يكفى فيها أدنى ملابسة فأضيف اليهم لأن أعمالهم مثبتة فيه وأضيف الى الله سبحانه لانه أمر ملائكته بكتبه قوله (أفلم تكن) القول فيه مقدر أى فيقال لهم ذلك قوله (ان نظن الا ظنا) قال أبو على والاخفش هذا الكلام جار على غير الظاهر لان كل من يظن فانه لا يظن الا الظن فتأويله أن ينوى به التقديم أى مانحن الا نظن ظنا وقال المازنى تقديره ان نظن نحن الا ظنا منكم أى أنتم شاكون فيما تزعمون ومانحن بمستيقنين أنكم لا تظنون وقال جار الله أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فأدخل أداة الحصر ليفيد اثبات الظن مع نفى ماسواه وأقول الظن قد يطلق على مايقرب من العلم ولا ريب أن لهذا الرجحان مراتب وكأنهم نفوا كل الظنون الا الذى لا ثبوت علم فيه وأكدوا هذا المعنى بقوله (ومانحن بمستيقنين) وباقى السورة واضح مما سلف والله أعلم

﴿ فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾

صحيفة

صحيفه

﴿ تم فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير النيسابورى ﴾

الجزء السادس والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله واثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدّست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرّض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيـــه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٩ هجريه

الجزء السادس والعشرون

﴿ تفسير سورة الأحقاف ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ قد تقدم بياننا فى معنى قوله حم تنزيل الكتاب بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق يقول تعالى ذكره ما أحدثنا السموات والأرض فأوجدناهما خلقا مصنوعا وما بينهما من أصناف العالم الا بالحق يعنى الا لاقامة الحق والعدل فى الخلق وقوله وأجل مسمى يقول والا بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه اذا هو بلغه ويعدمه بعد أن كان موجودا بايجاده اياه وقوله والذين كفروا عما أنذروا معرضون يقول تعالى ذكره والذين جحدوا وحدانية الله عن انذار الله اياهم معرضون لا يتعظون به ولا يتفكرون فيعتبرون

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك أرأيتم أيها القوم الآلهة والأوثان التى تعبدون من دون الله أرونى أى شئ خلقوا من الأرض فان ربى خلق الأرض كلها فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا فيكون لكم بذلك فى عبادتكم اياها حجة فان من حجتى على عبادتى الهى وافرادى له الالوهة أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل وقوله أم لهم شرك

﴿سورة الأحقاف مكية غير آية نزلت فى عبد الله بن سلام قل أرأيتم الآية حروفها ألفان وثلثمائة كلماتها ثلثمائة وأربع وأربعون آياتها خمس وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين

فى السموات يقول تعالى ذكره أم لآلهتكم التى تعبدونها أيها الناس شرك مع الله فى السموات السبع فيكون لكم أيضا بذلك حجة فى عبادتكموها فان من حجتى على إفرادى العبادة لربى أنه لاشريك له فى خلقها وأنه المنفرد بخلقها دون كل ماسواه وقوله ائتونى بكتاب من قبل هذا يقول تعالى ذكره بكتاب جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذى أنزل علىّ بأن ماتعبدون من الآلهة والأوثان خلقوا من الأرض شيأ أو أن لهم مع الله شركا فى السموات فيكون ذلك حجة لكم على عبادتكم اياها لأنها اذاصح لها ذلك صحت لها الشركة فى النعم التى أنتم فيها ووجب لها عليكم الشكر واستحقت منكم الخدمة لأن ذلك لايقدر أن يخلقه الا الله وقوله أو أثارة من علم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق أو أثارة من علم بالألف بمعنى أو ائتونى ببقية من علم وروى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه كان يقرؤه أو أثرة من علم بمعنى أو خاصة من علم أوتيتموه وأوثرتم به على غيركم والقراءة التى لاأستجيز غيرها أو أثارة من علم بالالف لاجماع قراء الامصار عليها واختلف أهل التأويل فى تأويلها فقال بعضهم معناه أو ائتونى بعلم بأن آلهتكم خلقت من الارض شيأ أو أن لها شركا فى السموات من قبل الخط الذى تخطونه فى الارض فانكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن آدم قال ثنا أبو عاصم عن سفيان عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة عن ابن عباس أو أثارة من علم قال خط كان يخطه العرب فى الارض حدثنا أبو كريب قال قال أبو بكر يعنى ابن عياش الخط هو العيافة * وقال آخرون بل معنى ذلك أو خاصة من علم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أو أثارة من علم قال أو خاصة من علم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو أثارة من علم قال أى خاصة من علم حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنى أبى عن الحسين عن قتادة أو أثارة من علم قال خاصة من علم * وقال آخرون بل معنى ذلك أو علم تثيرونه فتستخرجونه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن فى قوله أو أثارة من علم قال أثارة شئ يستخرجونه فطرة * وقال آخرون بل معنى ذلك أو تأثرون ذلك علما عن أحد ممن قبلكم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو أثارة من علم قال أحد يأثر علما * وقال آخرون بل معنى ذلك أو بينة من الامر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أو أثارة من علم يقول بينة من الامر * وقال آخرون بل معنى ذلك ببقية من علم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال سئل أبو بكر يعنى ابن عياش عن أثارة من علم قال بقية من علم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال الأثارة البقية من علم لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب وهى مصدر من قول القائل أثر الشئ أثارة مثل سمج سماجة وقبح قباحة كما قال راعى الابل

* وذات أثارة أكلت عليه * يعنى وذات بقية من شحم فأما من قرأه أو أثرة فانه جعله أثرة من الاثر كما قيل قترة وغبرة وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأه أو أثرة بسكون الثاء مثل الرجفة والخطفة واذا وجه ذلك الى ماقلنا فيه من أنه بقية من علم جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط ومن علم استثير من كتب الاولين ومن خاصة علم كانوا أوثروا به وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك خبر بأنه تأوله أنه بمعنى الخط سنذكره ان شاء الله تعالى فتأويل الكلام اذا ائتونى

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ماهذا الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾

﴿ القرآت لتنذر على الخطاب أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون على الغيبة والضمير للكتاب احسانا حمزة وعلى وخلف وعاصم الباقون حسنا كرها فى الموضعين بالفتح أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وجبلة وهشام الباقون بالضم وفصله يعقوب الآخرون

أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدّعون لآلهتكم أو ببقية من علم يوصل بها الى علم صحة ما تقولون من ذلك ان كنتم صادقين فى دعواكم لها ما تدعون فان الدعوى اذا لم يكن معها حجة لم تغن عن المدّعى شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ يقول تعالى ذكره وأىّ عبد أضل من عبد يدعو من دون الله آلهة لا يستجيب له الى يوم القيامة يقول لا يجيب دعاءه أبدا لأنها حجر أو خشب ونحو ذلك وقوله وهم عن دعائهم غافلون يقول تعالى ذكره وآلهتهم التى يدعونهم عن دعائهم اياهم فى غفلة لأنها لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وانما عنى بوصفها بالغفلة تمثيلها بالانسان الساهى عما يقال له اذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيأ كالا يفهم الغافل عن الشئ ما غفل عنه وانما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم وقبح اختيارهم فى عبادتهم من لا يعقل شيأ ولا يفهم وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته ومن به استغاثتهم عند ما ينزل بهم من الحوائج والمصائب وقيل من لا يستجيب له فأخرج ذكر الآلهة وهى جماد مخرج ذكر بنى آدم ومن له الاختيار والتمييز اذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التى تخدم فى خدمتهم اياها فأجرى الكلام فى ذلك على نحو ما كان جاريا فيه عندهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين﴾ يقول تعالى ذكره واذا جمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب كانت هذه الآلهة التى يدعونها فى الدنيا لهم أعداء لأنهم يتبرؤن منهم وكانوا بعبادتهم كافرين يقول تعالى ذكره وكانت آلهتهم التى يعبدونها فى الدنيا بعبادتهم جاحدين لانهم يقولون يوم القيامة ما أمرناهم بعبادتنا ولا شعرنا بعبادتهم ايانا تبرأنا اليك منهم يا ربنا وقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات يقول تعالى ذكره واذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا يعنى حججنا التى احتججنا عليهم فيما أنزلناه من كتابنا على محمد صلى الله عليه وسلم بينات يعنى واضحات نيرات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم يقول تعالى ذكره قال الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله للحق لما جاءهم من عند الله فأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم هذا سحر مبين يعنون هذا القرآن خداع يخدعنا ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر مبين يقول يبين لمن تأمله ممن سمعه أنه سحر مبين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره أم يقولون هؤلاء المشركون بالله من قريش افترى محمد هذا القرآن فاختلقه وتخرّصه كذبا قل لهم يا محمد ان افتريته وتخرّصته على الله كذبا فلا تملكون لى يقول فلا تغنون عنى من الله ان عاقبنى على افترائى اياه وتخرّصه عليه شيأ ولا تقدرون أن تدفعوا عنى سوأ ان أصابنى به وقوله هو أعلم بما تفيضون فيه يقول ربى أعلم من كل شئ سواه بما تقولون بينكم فى هذا القرآن والهاء من قوله تفيضون فيه من ذكر القرآن * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله تفيضون فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اذ تفيضون فيه قال تقولون وقوله كفى به شهيدا بينى وبينكم يقول كفى بالله شاهدا علىّ وعليكم بما تقولون من تكذيبكم لى فيما جئتكم به من عند الله الغفور الرحيم لهم بأن لا يعذبهم عليها بعد توبتهم منها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا

وفصاله أوزعنى أن بالفتح ابن كثير غير القوّاس والنجارى عن ورش وقالون غير الحلوانى نتقبل بالنون أحسن بالنصب ونتجاوز بالنون حمزة وعلى وخلف وحفص الآخرون بياء الغيبة مبنيا للمفعول فى الفعلين أحسن بالرفع أف بالكسر والتنوين أبو جعفر ونافع وحفص والمفضل وقرأ ابن كثير بالفتح من غير تنوين الباقون بالكسر ولا تنوين أتعداننى أن بفتح الياء أبو جعفر ونافع وقرأ هشام مدغمة النون وليوفيهم بالياء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الباقون بالنون أذهبتم بتحقيق الهمزتين ابن ذكوان آذهبتم بالمد ابن كثير ويزيد وسهل ويعقوب وهشام الباقون بهمزة واحدة ۞ الوقوف حم ه كوفى الحكيم ه مسمى ط معرضون ه السموات ه لانتهاء الاستفهام الى الخطاب صادقين ه غافلون ه كافرين ه مبين ه لان أم تتضمن استفهام انكار افتراه ط شيأ ط فيه ط وبينكم ط الرحيم ه بكم ط مبين ه ط واستكبرتم ط الظالمين ه اليه ط قديم ه ورحمة ط للمحسنين ه يحزنون ه فيها ج لان جزاء يصلح مفعولا له ومفعول فعل محذوف اى يجزون جزاء يعملون ه احسانا ط ووضعته كرها ط شهرا ط سنة لا لأن ما بعده جواب اذا ذريتى ط للابتداء بان مع اتحاد الكلام المسلمين ه الجنة ط لان التقدير وعد الله وعدا صدقا وهو مصدر مؤكد لأن قوله نتقبل فى معنى الوعد يوعدون ه الاولين ه

ما يوحى الىّ وما أنا الا نذير مبين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك من قريش ما كنت بدعا من الرسل يعنى ما كنت أول رسل الله التى أرسلها الى خلقه قد كان من قبلى له رسل كثيرة أرسلت الى أمم قبلكم يقال منه هو بدع فى هذا الامر و بديع فيه اذا كان فيه أول ومن البدع قول عدى بن زيد

فلا أنا بدع من حوادث تعترى * رجالا عرت من بعد بؤسى وأسعد

ومن البديع قول الاحوص

فخرت فانتمت فقلت انظرينى * ليس جهل أتيته ببديع

يعنى بأول يقال هو بدع من قوم أبداع * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما كنت بدعا من الرسل يقول لست بأول الرسل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ما كنت بدعا من الرسل قال يقول ما كنت أول رسول أرسل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما كنت بدعا من الرسل قال ما كنت أولهم حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد الوهاب بن معاوية عن أبى هبيرة قال سألت قتادة قل ما كنت بدعا من الرسل قال اى قد كانت قبلى رسل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ما كنت بدعا من الرسل يقول اى ان الرسل قد كانت قبلى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله بدعا من الرسل قال قد كانت قبله رسل وقوله وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له قل للمؤمنين بك ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة و إلام نصير هنالك قالوا ثم بين الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به حالهم فى الآخرة فقيل له انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و يكفر عنهم سيئاتهم ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم فأنزل الله بعد هذا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا قال فى حم الأحقاف وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الىّ وما أنا الا نذير مبين فنسختها الآية التى فى سورة الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الآية فخرج نبىّ الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية فبشرهم بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال له رجال من المؤمنين هنيأ لك يا نبىّ الله قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل فى سورة الأحزاب فقال و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وقال ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و يكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما و يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله الآية فبين الله ما يفعل به و بهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ثم درى أو علم من الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما يفعل به يقول انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم قال قد بين له أنه قد غفر

والانس ط خاسرين ٥ عملوا ج لأن الواو قد تكون مقحمة و يتصل اللام بما قبله وقد يكون المعلل محذوفا كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم لا يظلمون ٥ ط لتقدير القول وهو العامل فى يوم بها ج لابتداء التهديد مع الفاء تفسقون ٥ ۞ التفسير انما كرر تنزيل الكتاب لأنه بمنزلة عنوان الكتب ثم ذكر ما أنزل فقال (ما خلقنا) الى قوله (وأجل مسمى) وقد مر فى أول الروم أنه الوقت الذى عينه لافناء الدنيا وحين بين الدليل على وجود الاله ووقوع الحشر فرع عليه الرد على عبدة الاوثان بقوله (قل أرأيتم) وقد مر فى فاطر والمراد أنهم لا يستحقون العبادة أصلا لأنهم ما خلقوا شيأ فى هذا العالم لا فى الارض ولا فى السماء ولم يدل وحى من الله على عبادتهم لأن هذا القرآن ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب قبله الا هو ناطق بمثل ذلك فقوله (ائتونى) من باب ارخاء العنان وتوسيع المجال على الخصم أى ان كنتم فى شك مما قلت فقد امهلتكم حتى تأتونى بعد الاستقراء (بكتاب) فيه شئ من ذلك (أو أثارة من علم) قال الواحدى كلام أهل اللغة فى تفسير هذا الحرف يدور على ثلاثة أوجه أحدها البقية من قولهم سمنت الناقة على أثارة من شحم أى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب والثانى أنه من الاثر بمعنى الرواية والثالث من الاثر بمعنى العلامة والمراد ما بقى أو روى عن أسلافهم و يعدونه علما عن ابن عباس مرفوعا أنه الخط قال كان نبى من

من ذنبه ما تقدم وما تأخر * وقال آخرون بل ذلك أمر من الله جل ثناؤه نبيه عليه السلام أن يقوله للمشركين من قومه ويعلم أنه لا يدري إلام يصير أمره وأمرهم في الدنيا أيصير أمره معهم أن يقتلوه أو يخرجوه من بينهم أو يؤمنوا به فيتبعوه وأمرهم الى الهلاك كما أهلكت الامم المكذبة رسلها من قبلهم أوالى التصديق له فيما جاءهم به من عند الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو بكر الهذلي عن الحسن في قوله وما أدري ما يفعل بي ولا بكم فقال أما في الآخرة فمعاذ الله قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج كما أخرجت الانبياء قبلي أو أقتل كما قتلت الانبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم أمتي المكذبة أم أمتي المصدقة أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفا أم مخسوف بها خسفا ثم أوحى اليه واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس يقول أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك فعرف أنه لا يقتل ثم أنزل الله عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا يقول أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الأديان ثم قال له في أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فأخبره الله ما يصنع به وما يصنع بأمته * وقال آخرون بل معنى ذلك وما أدري ما يفترض علي وعليكم أو ينزل من حكم وليس يعني ما أدري ما يفعل بي ولا بكم غدا في المعاد من ثواب الله من أطاعه وعقابه من كذبه * وقال آخرون انما أمر أن يقول هذا في أمر كان ينتظره من قبل الله عز وجل في غير الثواب والعقاب * وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دل عليه التنزيل القول الذي قاله الحسن البصري الذي رواه عنه أبو بكر الهذلي وانما قلنا ذلك أولاها بالصواب لأن الخطاب من مبتدا هذه السورة الى هذه الآية والخبر خرج من الله عز وجل خطابا للمشركين وخبرا عنهم وتوبيخا لهم واحتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عليهم فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن هذه الآية أيضا سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم وتوبيخ لهم أو خبر عنهم واذا كان ذلك كذلك فمحال أن يقال للنبي صلى الله عليه وسلم قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وآيات كتاب الله عز وجل في تنزيله ووحيه اليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون والمؤمنون به في الجنان منعمون وبذلك يرهبهم مرة ويرغبهم أخرى ولو قال لهم ذلك لقالوا له فعلام نتبعك اذ وأنت لا تدري الى أي حال تصير غدا في القيامة الى خفض ودعة أم الى شدة وعذاب وانما اتباعنا اياك ان اتبعناك وتصديقنا بما تدعونا اليه رغبة في نعمة وكرامة نصيبها أو رهبة من عقوبة وعذاب نهرب منها ولكن ذلك كما قال الحسن ثم بين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما هو فاعل به وبمن كذب بما جاء به من قومه وغيرهم وقوله ان أتبع الا ما يوحى الي يقول تعالى ذكره قل لهم ما أتبع فيما آمركم به وفيما أفعله من فعل الا وحي الله الذي يوحيه الي وما أنا الا نذير مبين يقول وما أنا لكم الا نذير أنذركم عقاب الله على كفركم به مبين يقول قد أبان لكم انذاره وأظهر لكم دعاءه الى ما فيه نصيحتكم يقول فكذلك أنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين أرأيتم أيها القوم ان كان هذا القرآن من عند الله أنزله علي وكفرتم أنتم به يقول وكذبتم أنتم به وقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وشهد شاهد من بني اسرائيل وهو موسى بن عمران عليه السلام على مثله يعني على

الانبياء يخط فمن صادف مثل خطه
علم علمه ثم زاد في تبكيتهم وتوبيخهم
بقوله (ومن أضل) الآية وبالجملة
فالدليل الاول دل على نفي القدرة
عنهم من كل الوجوه وهذا الدليل
دل على نفي العلم عنهم من كل الوجوه
فاذا انتفى العلم والقدرة عن الجسم
لم يكن الا جمادا وعبادة الجماد محض
الضلال وقوله (الى يوم القيامة)
تأبيد على عادة العرب ويحتمل
أن يكون توقيتا بدليل قوله (واذا
حشر الناس كانوا لهم أعداء) وهذا
التبرى والتخاطب نوع من
الاستجابة ثم قرر غاية عنادهم بقوله
(واذا تتلى) ثم عجب من حالهم بقوله
(أم يقولون افتراه) الآية أي ان
كذبت على الله كما زعمتم عاجلني
بالعقوبة فلا تقدرون على دفع
عذابه عني فأي فائدة لي في الافتراء
ثم فوض أمرهم الى الله قائلا (هو أعلم
بما تفيضون) أي تندفعون فيه من
القدح في الوحي وتسميته سحرا تارة
وافتراء أخرى وفي قوله (وهو الغفور
الرحيم) اشارة الى أنهم لو رجعوا
الى الحق وتابوا عن الشرك قبل الله
توبتهم وفيه اشعار بحلم الله عنهم
مع عظم ما ارتكبوه ثم أراد أن يزيل
شبهتهم بنوع آخر من البيان فقال
(قل ما كنت بدعا) هو بمعنى البديع
كالخف بمعنى الخفيف أي لست
بأول رسول أرسله الله ولا جئتكم
بأمر بديع لم يكن الى مثله سابق وفيه
ان اقتراح الآيات الغريبة فيه غير
موجه لانه لا يتبع الا الوحي وما هو
الا نذير وليس اليه أن يأتي بكل
ما يقترح عليه وفيه أنه غير عالم
بالمغيبات الا بطريق الوحي فلا
وجه لاستدعاء الغيوب عنه سواء

مثـل القرآن قالوا ومثل القرآن الذى شهد عليـه موسى بالتصـديق التوراة ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبدالوهاب قال ثنا داود عن عامر عن مسروق فى هذه الآية وشـهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فخاصم به الذين كفروا من أهل مكة التوراة مثل القرآن وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسـلم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبـد الأعلى قال سئل داود عن قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به الآية قال داود قال عامر قال مسروق والله ما نزلت فى عبدالله بن سلام ما نزلت الا بمكة وما أسلم عبدالله الا بالمدينة ولكنها خصومة خاصم محمد صلى الله عليه وسلم بها قومه قال فنزلت قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيـل على مثله فآمن واستكبرتم قال فالتوراة مثل القرآن وموسى مثل محمد صـلى الله عليه وسـلم فآمنوا بالتوراة و برسولهم وكفرتم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت داود بن أبى هنـد عن الشعبى قال أناس يزعمون أن شاهدا من بنى اسرائيـل على مثله عبدالله بن سلام وانمـا أسلم عبدالله بن سـلام بالمدينـة وقد أخبرنى مسروق أن آل حم انمـا نزلت بمكة وانمـا كانت محاجة رسول الله صـلى الله عليه وسـلم قومه فقال أرأيتم ان كان من عنـد الله يعنى القرآن وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيـل على مثله فآمن موسى ومحمد عليهما السلام على الفرقان حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن داود عن الشعبى قال ان ناسا يزعمون أن الشاهد على مثله عبدالله بن سلام وانا أعلم بذلك وانما أسلم عبدالله بالمدينة وقد أخبرنى مسروق أن آل حم انما نزلت بمكة وانما كانت محاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه فقال قل أرأيتم ان كان من عند الله يعنى الفرقان وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فمثل التوراة الفرقان التوراة شهد عليها موسى ومحمد على الفرقان صلى الله عليهما وسلم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود عن الشعبى عن مسروق فى قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية قال كان اسـلام ابن سـلام بالمدينـة ونزلت هذه السورة بمكة انما كانت خصومة بين محمد عليه السلام و بين قومه فقال قل أرأيتم ان كان من عنـد الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال التوراة مثل الفرقان وموسى مثل محمد فآمن به واستكبرتم ثم قال آمن هذا الذى من بنى اسرائيل بنبيه وكتابه واستكبرتم أنتم فكذبتم أنتم نبيكم وكتابكم ان الله لا يهـدى الى قوله هذا افك قديم * وقال آخرون عنى بقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيـل على مثله عبـدالله بن سلام قالوا ومعنى الكلام وشهد شاهـد من بنى اسرائيل على مثل هـذا القرآن بالتصديق قالوا ومثل القرآن التوراة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال ثنا عبدالله بن يوسف التنيسى قال سمعت مالك بن انس يحدث عن أبى النضر عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشى على الارض انه من أهل الجنـة الا لعبدالله بن سـلام قال وفيـه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله حدثنا الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبو داود الطيالسى قال ثنا شعيب بن صفوان قال ثنا عبدالملك بن عمير أن محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام قال قال عبدالله أنزل فىّ قل أرأيتم ان كان من عنـد الله الى قوله فآمن واستكبرتم حدثنى على ابن سعيد بن مسروق الكندى قال ثنا أبو محمـد يحيى بن يعلى عن عبدالملك بن عمير عن ابن أخى عبـدالله بن سلام قال قال عبـدالله بن سلام نزلت فىّ وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية قال كان

تتعلق بأحوال الدنيـا أو بأحوال الآخرة من الاحكام والتكاليف وما يؤل أمر المكلفين اليـه وفيه أنه لا وجه لتعييره بالفقر و بأكل الطعام والمشى فى الاسواق لان الرسـل كلهم أو جلهم كانوا كذلك قال ابن عباس فى رواية الكلبى لما اشتد البلاء على أصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم رأى فى المنام أنه يهاجر الى أرض ذات نخـل وشجر فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى قلت ومتى تهـاجر فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله الآية وعنه فى رواية أخرى أنه لمـا نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنـافقون واليهود وقالوا كيف نتبع نبيـا لا يدرى ما يفعـل به ولا بأمتـه فأنزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما فبين الله تعـالى ما يفعل به و بأمته ونسخت هـذه الآية والأصح عند العلماء أنه لا حاجة الى التزام النسخ فان الدراية المفصلة غير حاصـلة وعلى تقـدير حصولها فانه لم ينف الا الدراية من قبـل نفسه ومانفى الدراية من جهة الوحى وقوله ولا بكم فى حيز النفى ولأدرى ما يفعل بكم وما موصولة أو استفهاميـة ومحل الاولى نصب والثانيـة رفع ثم قرر أنه لا أظلم منهم فقال (قل أرأيتم) الآية وقدمر نظـيره فى آخر حم السجدة الا أنه زاد ههنا حديث الشاهد وفيـه أقوال أحدها أنه عبدالله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه وتأمله فتحقق أنه النبى المنتظر

رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال انا نجده فى التوراة وكان أفضل رجل
منهم وأعلمهم بالكتاب نخاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقال أترضون ان يحكم بيني و بينكم
عبدالله بن سلام اتؤمنون قالوا نعم فأرسل الى عبدالله بن سلام فقال أتشهد أني رسول الله مكتو با
فى التوراة والانجيل قال نعم فأعرضت اليهود وأسلم عبدالله بن سلام فهو الذى قال الله جل ثناؤه
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم يقول فآمن عبدالله بن سلام حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قال عبدالله
ابن سلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل أرأيتم ان كان من عند الله
الآية كنا نحدث أنه عبدالله بن سلام آمن بكتاب الله و برسوله و بالاسلام وكان من أحبار اليهود
حدثنا ابن عبدالاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله قال هو عبدالله بن سلام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال
سمعت الضحاك يقول فى قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الشاهد عبدالله بن سلام
وكان من الأحبار من علماء بني اسرائيل و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهود فأتوه
فسألهم فقال أتعلمون أني رسول الله تجدونني مكتو با عندكم فى التوراة قالوا لانعلم ما تقول وانا
بما جئت به كافرون فقال أي رجل عبدالله بن سلام عندكم قالوا عالمنا وخيرنا قال أترضون به
بيني و بينكم قالوا نعم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبدالله بن سلام فجاءه فقال
ما شهادتك يا ابن سلام قال أشهد أنك رسول الله وان كتابك جاء من عند الله فآمن وكفروا يقول
الله تبارك وتعالى فآمن واستكبرتم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا
عوف عن الحسن قال بلغني أنه لما أراد عبدالله بن سلام أن يسلم قال يا رسول الله قد علمت اليهود
أني من علمائهم وأن أبي كان من علمائهم وأني أشهد أنك رسول الله وأنهم يجدونك مكتو با عندهم
فى التوراة فأرسل الى فلان وفلان ومن سماه من اليهود وأخبئني فى بيتك وسلهم عني وعن أبي فانهم
سيحدثونك أني أعلمهم وأن أبي من أعلمهم وأني سأخرج اليهم فأشهد أنك رسول الله وأنهم
يجدونك مكتو با عندهم فى التوراة وأنك بعثت بالهدى ودين الحق قال ففعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخبأه فى بيته وأرسل الى اليهود فدخلوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما عبدالله بن سلام فيكم قالوا أعلمنا نفسا وأعلمنا أبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان
أسلم تسلمون قالوا لايسلم ثلاث مرار فدعاه فخرج ثم قال أشهد أنك رسول الله وأنهم يجدونك
مكتو با عندهم فى التوراة وأنك بعثت بالهدى ودين الحق فقالت اليهود ما كنا نخشاك على هذا
يا عبدالله بن سلام قال فخرجوا كفارا فأنزل الله عز وجل فى ذلك قل أرأيتم ان كان من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم الآية حدثني يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم
قال هذا عبدالله بن سلام شهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه حق وهو فى التوراة حق
فآمن واستكبرتم حدثني أبو شرحبيل الحمصي قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان بن عمرو
عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الاشجعي قال انطلق النبي صلى الله
عليه وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلا يشهدون أنه الله لا اله الا هو

فآمن به وعن سعد بن أبي وقاص
ما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لأحد يمشي على الارض
انه من أهل الجنة الا لعبدالله بن
سلام وفيه نزل (وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله) على مثل
القرآن والمعنى وهو ما فى التوراة من
المعاني المطابقة للقرآن من التوحيد
والمعاد وعلى هذا فقوله على مثله
يتعلق بشاهد أي و يشهد على
صحة القرآن و يجوز أن يعود الضمير
فى مثله الى المذكور وهو كونه من
عند الله فيكون الجار متعلقا بشهد
قال جارالله الواو الاخيرة عاطفة
لاستكبرتم على شهد وأما الواو فى
وشهد فقد عطفت جملة قوله وشهد
الى آخره على جملة قوله كان من
عند الله وكفرتم به والمعنى أخبروني
ان اجتمع كون القرآن من عند
الله مع كفركم به واجتمع شهادة
أعلم بني اسرائيل على نزول مثله
وايمانه به مع استكباركم عنه ألستم
أضل الناس وأظلمهم يدل على هذا
الجواب المحذوف قوله (ان الله
لا يهدي القوم الظالمين) قلت هذا
كلام حسن و يجوز أن يكون قوله
واستكبرتم معطوفا على قوله فآمن
و يجوز أن يكون الواو فى وشهد للحال
باضمار قد قال وقد جعل الايمان
فى قوله فآمن مسببا عن الشهادة
لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى
وانصف من نفسه اعترف بصحته
وآمن القول الثاني ما ذكر الشعبي
فى جماعة أن السورة مكية وقد أسلم
ابن سلام بالمدينة فالشاهد هو
موسى وشهادته هو ما فى التوراة من
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وايمانه
تصديقه ذلك القول الثالث

وأن محمدا رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه قال فأسكتوا فما أجابه منهم أحد ثم ثلث فلم يجبه أحد فانصرف وأنا معه حتى اذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا كما أنت يا محمد قال فأقبل فقال ذلك الرجل أي رجل تعلمونني فيكم يا معشر اليهود قالوا والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك ولا من جدك قبل أبيك قال فاني أشهد بالله أنه النبي صلى الله عليه وسلم الذي تجدونه في التوراة والانجيل قالوا كذبت ثم ردوا عليه قوله وقالوا له شرا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم لن نقبل قولكم أما آنفا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم وأما اذ آمن كذبتموه وقلتم ما قلتم فلن نقبل قولكم قال فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وعبد الله بن سلام فأنزل الله فيه قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية * والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل لأن قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش واحتجاجا عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر فتوجه هذه الآية الى أنها فيهم نزلت ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن والسبب الذي فيه نزل وما أريد به فتأويل الكلام اذ كان ذلك كذلك وشهد عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني اسرائيل على مثله يعني على مثل القرآن وهو التوراة وذلك شهادته أن محمدا مكتوب في التوراة أنه نبي تجده اليهود مكتوبا عندهم في التوراة كما هو مكتوب في القرآن أنه نبي وقوله فآمن واستكبرتم يقول فآمن عبد الله بن سلام وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله واستكبرتم أنتم على الايمان بما آمن به عبد الله بن سلام معشر اليهود ان الله لا يهدي القوم الظالمين يقول ان الله لا يوفق لاصابة الحق وهدى الطريق المستقيم القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بايجابهم لها سخط الله بكفرهم به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل للذين آمنوا به لو كان تصديقكم محمدا على ما جاءكم به خيرا ما سبقتمونا الى التصديق به وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله أنه معني به عبد الله بن سلام فأما على تأويل من تأول أنه عني به مشركو قريش فانه ينبغي أن يوجه تأويل قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أنه عني به مشركو قريش وكذلك كان يتأوله قتادة وفي تأويله اياه كذلك ترك منه تأويله قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله أنه معني به عبد الله بن سلام ذكر الرواية عنه بذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قال قال ذلك أناس من المشركين نحن أعز ونحن ونحن فلو كان خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان فان الله يختص برحمته من يشاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قال قد قال ذلك قائلون من الناس كانوا أعز منهم في الجاهلية قالوا والله لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه بنو فلان وبنو فلان ويختص الله برحمته من يشاء ويكرم الله برحمته من يشاء تبارك وتعالى وقوله واذ لم يهتدوا به يقول تعالى ذكره

أن الشاهد ليس شخصا معينا وتقدير الكلام لو أن رجلا منصفا عارفا بالتوراة أقر بذلك واعترف به ثم آمن بمحمد واستكبرتم أنتم ألم تكونوا ظالمين ضالين والمقصود أنه ثبت بالمعجزات القاهرة أن هذا الكتاب هو من عند الله وثبت بشهادة الثقات أن التوراة مشتملة على البشارة بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم ومع ثبوت هذين الامرين كيف يليق بالعاقل انكار نبوته ثم ذكر شبهة أخرى لهم وهي انهم قالوا (للذين آمنوا) أي لأجلهم وفي حقهم (لو كان) ما أتى به محمد (خيرا ما سبقونا اليه) وقيل اللام كما في قولك قلت له وضعف بأنه لو كان كذلك لقيل ما سبقتمونا اليه وأجيب بأنه وارد على طريقة الالتفات أو المراد أن الكفار لما سمعوا أن جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين بأنه لو كان هذا الدين خيرا لما سبقنا اليه أولئك الغائبون قال المفسرون لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان ما دخل فيه هؤلاء من الدين خيرا ما سبقونا اليه ونحن أرفع منهم حالا وأكثر مالا وهؤلاء رعاة الغنم وقيل قاله أغنياء قريش للفقراء المؤمنين كعمار وصهيب وابن مسعود وقيل هم اليهود قالوه عند اسلام عبد الله ابن سلام وأصحابه والعامل في قوله (واذ لم يهتدوا به) محذوف وهو ظهر عنادهم وذلك أن اذ للمضي والسين للاستقبال وبينهما تدافع والافك القديم كقولهم أساطير الأولين وقيل كذب ككذب عيسى عليه السلام

واذ لم يبصروا بمحمد و بما جاء به من عند الله من الهدى فيرشدوا به الطريق المستقيم فسيقولون هذا افك قديم يقول فسيقولون هذا القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أكاذيب من أخبار الأولين قديمة كما قال جل ثناؤه مخبرا عنهم وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا و بشرى للمحسنين﴾ يقول تعالى ذكره ومن قبل هذا الكتاب كتاب موسى وهو التوراة اماما لبنى اسرائيل يأتمون به و رحمة لهم أنزلناه عليهم وخرج الكلام مخرج الخبر عن الكتاب بغير ذكر تمام الخبر اكتفاء بدلالة الكلام على تمامه وتمامه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أنزلناه عليه وهذا كتاب أنزلناه لسانا عربيا * اختلف فى تأويل ذلك وفى المعنى الناصب لسانا عربيا أهل العربية فقال بعض نحويى البصرة نصب اللسان والعربى لانه من صفة الكتاب فانتصب على الحال أو على فعل مضمر كأنه قال أعنى لسانا عربيا قال وقال بعضهم على مصدق جعل الكتاب مصدق اللسان فعلى قول من جعل اللسان نصبا على الحال وجعله من صفة الكتاب ينبغى أن يكون تأويل الكلام وهذا كتاب بلسان عربى مصدق التوراة كتاب موسى بأن محمدا لله رسول وأن ما جاء به من عند الله حق وأما القول الثانى الذى حكيناه عن بعضهم أنه جعل الناصب للسان مصدق فقول لا معنى له لأن ذلك يصير اذا يؤول كذلك الى أن الذى يصدق القرآن نفسه ولا معنى لان يقال وهذا كتاب يصدق نفسه لأن اللسان العربى هو هذا الكتاب إلا أن يجعل اللسان العربى محمدا عليه السلام و يوجه تأويله الى وهذا كتاب وهو القرآن يصدق محمدا وهو اللسان العربى فيكون ذلك وجها من التأويل * وقال بعض نحويى الكوفة قوله لسانا عربيا من نعت الكتاب وانما نصب لأنه أريد به وهذا كتاب يصدق التوراة والانجيل لسانا عربيا فخرج لسانا عربيا من يصدق لأنه فعل كما تقول مررت برجل يقوم محسنا ومررت برجل قائم محسنا قال ولو رفع لسان عربى جاز على النعت للكتاب وقد ذكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود وهذا كتاب مصدق لما بين يديه لسانا عربيا فعلى هذه القراءة يتوجه النصب فى قوله لسانا عربيا من وجهين أحدهما على ما بينت من أن يكون اللسان خارجا من قوله مصدق والآخر أن يكون قطعا من الهاء التى فى بين يديه * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يكون منصوبا على أنه حال مما فى مصدق من ذكر الكتاب لأن قوله مصدق فعل فتأويل الكلام اذ كان ذلك كذلك وهذا القرآن يصدق كتاب موسى بأن محمدا نبى مرسل لسانا عربيا وقوله لينذر الذين ظلموا يقول لينذر هذا الكتاب الذى أنزلناه الى محمد عليه السلام الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره وقوله و بشرى للمحسنين يقول وهو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا فى ايمانهم وطاعتهم اياه فى الدنيا بحسن الجزاء من الله لهم فى الآخرة على طاعتهم اياه وفى قوله وبشرى وجهان من الاعراب الرفع على العطف على الكتاب بمعنى وهذا كتاب مصدق وبشرى للمحسنين والنصب على معنى لينذر الذين ظلموا و يبشر فاذا جعل مكان يبشر و بشرى أو و بشارة نصبت كما تقول أتيتك لأزورك وكرامة لك وقضاء لحقك بمعنى لأزورك وأكرمك وأقضى حقك فتنصب الكرامة والقضاء بمعنى مضمر * واختلفت القراء فى قراءة لينذر فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز لتنذر بالتاء بمعنى لتنذر أنت يا محمد وقرأته عامة قراء العراق بالياء بمعنى لينذر الكتاب و بأى القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾

يقول

قوله (ومن قبله كتاب موسى) خبر ومبتدأ وقوله (اماما) أى قدوة يؤتم به فى أصول شرائع الله نصب على الحال كقولك فى الدار زيد قائما وقوله (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق أى لما بين يديه وهو العامل فيه و يجوز أن يكون حالا من كتاب لانه موصوف والعامل معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق على حذف المضاف أى يصدق ذا لسان عربى هو الرسول قوله (و بشرى) معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له وحين قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبه المنكرين مع أجوبتها أراد أن يذكر طريقة المحققين فقال (ان الذين قالوا) الآية وقدمر فى حم السجدة الا أنه رفع واسطة الملائكة ههنا من البين ثم ان أعظم أنواع الاستقامة كان هو الشفقة على خلق الله ولاسيما على الوالدين فلذلك قال (ووصينا) الآية وقدمر فى الروم ولقمان والكره بالضم والفتح المشقة أى ذات كره أو حملا ذا كره والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمقصود بيان مدة الرضاع ولما كان منتهيا بالفصال صح التعبير عن آخر الرضاع بالفصال والفائدة فيه الدلالة على الرضاع التام المنتهى بالفصال وقد يستدل من هذه الآية ومن قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين أن مدة الحمل ستة أشهر وعن عمر أن امرأة ولدت لستة أشهر فرفعت اليه فأمر برجمها فأخبر عليا رضى الله عنه بذلك فمنعه محتجا بالآية فصدقه عمر وقال لولا على لهلك عمر قال جالينوس انى كنت شديد الفحص

يقول تعالى ذكره ان الذين قالوا ربنا الله الذى لا اله غيره ثم استقاموا على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك ولم يخالفوا الله فى أمره ونهيه فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم وقوله أولئك أصحاب الجنة يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين قالوا هذا القول واستقاموا أهل الجنة وسكانها خالدين فيها يقول ماكثين فيها أبدا جزاء بما كانوا يعملون يقول ثوابا منا لهم آتيناهم ذلك على أعمالهم الصالحة التى كانوا فى الدنيا يعملونها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذرّيتى انى تبت اليك وانى من المسلمين ﴾ يقول تعالى ذكره ووصينا ابن آدم بوالديه الحسن فى صحبته اياهما أيام حياتهما والبر بهما فى حياتهما وبعد مماتهما * واختلفت القراء فى قراءة قوله حسنا فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة حسنا بضم الحاء على التأويل الذى وصفت وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة احسانا بالالف بمعنى ووصيناه بالاحسان اليهما وبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب لتقارب معانى ذلك واستفاضة القراءة بكل واحدة منهما فى القراء وقوله حملته أمه كرها ووضعته كرها يقول تعالى ذكره ووصينا الانسان بوالديه احسانا برا بهما لما كان منهما اليه حملا ووليدا وناشئا ثم وصف جل ثناؤه ماله من نعمة أمه وما لاقت منه فى حال حمله ووضعه ونبهه على الواجب لها عليه من البر واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة فقال حملته أمه يعنى فى بطنها كرها يعنى مشقة ووضعته كرها يقول وولدته كرها يعنى مشقة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حملته أمه كرها ووضعته كرها يقول حملته مشقة ووضعته مشقة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والحسن فى قوله حملته أمه كرها ووضعته كرها قالا حملته فى مشقة ووضعته فى مشقة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله حملته أمه كرها قال مشقة عليها * واختلفت القراء فى قراءة قوله كرها فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة كرها بفتح الكاف وقرأته عامة قراء الكوفة كرها بضمها وقد بينت اختلاف المختلفين فى ذلك قبل اذا فتح واذا ضم فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا يقول تعالى ذكره وحمل أمه اياه جنينا فى بطنها وفصالها اياه من الرضاع وفطمها اياه شرب اللبن ثلاثون شهرا * واختلفت القراء فى قراءة قوله وفصاله فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار غير الحسن البصرى وحمله وفصاله بمعنى فاصلته أمه فصالا ومفاصلة وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه وحمله وفصله بفتح الفاء بغير ألف بمعنى وفصل أمه اياه * والصواب من القول فى ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وقوله حتى اذا بلغ أشده اختلف أهل التأويل فى مبلغ حد ذلك من السنين فقال بعضهم هو ثلاث وثلاثون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الله بن عثمان ابن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس قال أشده ثلاث وثلاثون سنة واستواؤه أربعون سنة والعمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة حتى اذا بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين * وقال آخرون هو بلوغ الحلم ذكر من قال ذلك

عن مقادير أزمنة الحمل فرأيت امرأة ولدت فى المائة والاربع والثمانين ليلة وزعم أبو على بن سينا أنه شاهد ذلك وذكر أهل التجارب قاعدة كلية قالوا ان لتكون الجنين زمانا مقدرا فاذا تضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين ثم اذا انضاف الى المجموع مثلاه انفصل الجنين وعلى هذا فلو تمت خلقة الجنين فى ثلاثين يوما فاذا أتى عليه مثل ذلك أى تصير مدة علوقه ستين تحرك فاذا انضاف الى هذا المقدار مثلاه وهو مائة وعشرون وصار المبلغ مائة وثمانين انفصل ولو تمت خلقته فى خمسة وثلاثين يوما تحرك فى سبعين وانفصل فى مائتين وعشرة وهو سبعة أشهر ولو تمت خلقته فى أربعين تحرك فى ثمانين وانفصل فى مائتين وأربعين وهو ثمانية أشهر وقلما يعيش هذا المولود الا فى بلاد معينة مثل مصر وقد مر هذا المعنى فى هذا الكتاب ولو تمت فى خمسة وأربعين تحرك فى تسعين وانفصل فى مائتين وسبعين وهى تسعة أشهر وهو الأكثر أما أكثر مدة الحمل فليس يعرف له دليل من القرآن وذكر أبو على بن سينا فى كتاب الحيوان من الشفاء فى الفصل السادس من المقالة التاسعة أن امرأة ولدت بعد الرابع من سنى الحمل ولدا قد نبتت أسنانه وعاش وعن ارسطاطاليس أن زمان الولادة لكل الحيوان مضبوط سوى الانسان هذا وقد روى الواحدى فى البسيط عن عكرمة أنه قال اذا حملت تسعة أشهر أرضعته أحدا وعشرين شهرا وعلى هذا قوله (حتى اذا بلغ أشده) أكثر المفسرين

حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مجالد عن الشعبى قال الأشد الحلم اذا كتبت له الحسنات وكتبت عليه السيآت وقد بينا فيما مضى الأشد جمع شد وأنه تناهى قوته واستوائه واذا كان ذلك كذلك كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم لان المرء لا يبلغ فى حال حلمه كمال قواه ونهاية شدته فان العرب اذا ذكرت مثل هذا من الكلام فعطفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريبا أحدهما من صاحبه كما قال جل ثناؤه ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه ولا تكاد تقول أنا أعلم أنك تقوم قريبا من ساعة من الليل وكله ولا أخذت قليلا من مال أو كله ولكن تقول أخذت عامة مالى أو كله فكذلك ذلك فى قوله حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة لاشك أن نسق الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه اذ كان يراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة وقوله وبلغ أربعين سنة ذلك حين تكاملت حجة الله عليه وسير عنه جهالة شبابه وعرف الواجب لله من الحق فى بر والديه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبلغ أربعين سنة وقد مضى من سيء عمله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى حتى بلغ من المسلمين وقد مضى من سيء عمله ما مضى وقوله قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى يقول تعالى ذكره قال هذا الانسان الذى هداه الله لرشده وعرف حق الله عليه فيما ألزمه من بر والديه رب أوزعنى أن أشكر نعمتك يقول أغرنى بشكر نعمتك التى أنعمت على فى تعريفك اياى توحيدك وهدايتك لى للاقرار بذلك والعمل بطاعتك وعلى والدى من قبلى وغير ذلك من نعمك علينا وألهمنى ذلك وأصله من وزعت الرجل على كذا اذا دفعته عليه وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أوزعنى أن أشكر نعمتك قال اجعلنى أشكر نعمتك وهذا الذى قاله ابن زيد فى قوله رب أوزعنى وان كان يؤل اليه معنى الكلمة فليس بمعنى الايزاع على الصحة وقوله وأن أعمل صالحا ترضاه يقول تعالى ذكره أوزعنى أن أعمل صالحا من الأعمال التى ترضاها وذلك العمل بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله وأصلح لى فى ذريتى يقول وأصلح لى امورى فى ذريتى الذين وهبتهم بأن تجعلهم هداة للايمان بك واتباع مرضاتك والعمل بطاعتك (١) فوصفه جل ثناؤه بالبر بالآباء والأمهات والبنين والبنات وذكر أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقوله انى تبت اليك وانى من المسلمين يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الانسان انى تبت اليك يقول تبت من ذنوبى التى سلفت منى فى سالف أيامى اليك وانى من المسلمين يقول وانى من الخاضعين لك بالطاعة المستسلمين لأمرك ونهيك المنقادين لحكمك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون ﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم هم الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا فى الدنيا من صالحات الأعمال فيجازيهم به ويثيبهم عليه ويتجاوز عن سيآتهم يقول ويصفح لهم عن سيآت أعمالهم التى عملوها فى الدنيا فلا يعاقبهم عليها فى أصحاب الجنة يقول نفعل ذلك بهم فعلنا مثل ذلك فى أصحاب الجنة وأهلها الذين هم أهلها كما حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا المعتمر بن سليمن عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين قال يؤتى بحسنات العبد وسيآته فيقتص بعضها ببعض فان بقيت حسنة وسع الله فى الجنة قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا الحديث

قال

كما مر فى آخر الانعام واول يوسف والقصص على أن وقت الأشد هو زمان الوصول الى آخر سن النشوء والنماء وهو ثلاث وثلاثون سنة تقريبا وأن فى الاربعين يتم الشباب وتأخذ القوى الطبيعية والحيوانية فى الانتقاص والقوة العقلية والنطقية فى الاستكمال وهذا أحد مايدل على أن النفس غير البدن ومن جملة الكمال أنه حينئذ يقول (رب أوزعنى) اى ألهمنى ووفقنى كما مر فى النمل قال علماء المعانى قوله (فى ذريتى) كقوله يجرح فى عراقيبها نصلى فكأنه سأل أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له وقوله (أحسن ما عملوا) اما بمعنى الحسن أو المراد الواجب والندب دون المباح وقوله (فى أصحاب الجنة) فى موضع الحال أى معدودين فيهم عن ابن عباس وجم غفير من المفسرين أن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم ولم يكن أحد من الصحابة المهاجرين والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر قالوا ومما يؤيد هذا القول أنه سبحانه حكى عن ذلك الانسان أنه قال بعد أربعين سنة رب أوزعنى الخ ومعلوم أنه ليس كل انسان يقول هذا القول والأظهر أن هذا عام لهذا الجنس وأن الانسان قد يقول هذا القول ولا أقل من أن يكون واردا على طريقة الارشاد والتعليم سلمنا ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قوله (والذى قال) مبتدأ خبره أولئك والمراد بالذى جنس القائل فلذلك أورد

(١) لعله فوصاه تأمل

قال قلت فان ذهبت الحسنة قال أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال دعا أبو بكر عمر رضى الله عنهما فقال له انى أوصيك بوصية ان تحفظها ان لله فى الليل حقا لا يقبله بالنهار وبالنهار حقا لا يقبله بالليل انه ليس لأحد نافلة حتى يؤدى الفريضة انه انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يثقل وخفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة لاتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يخف ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم فيقول قائل أين يبلغ عملى من عمل هؤلاء وذلك أن الله عز وجل تجاوز عن أسوإ أعمالهم فلم يبده ألم تر أن الله ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم حتى يقول قائل أنا خير عملا من هؤلاء وذلك بأن الله رد عليهم أحسن أعمالهم ألم تر أن الله عز وجل أنزل آية الشدة عند آية الرخاء وآية الرخاء عند آية الشدة ليكون المؤمن راغبا راهبا لئلا يلقى بيده الى التهلكة ولا يتمنى على الله أمنية يتمنى على الله فيها غير الحق * واختلفت القراء فى قراءة قوله نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة يتقبل ويتجاوز بضم الياء منهما على ما لم يسم فاعله ورفع أحسن وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة نتقبل ونتجاوز بالنون وفتحها ونصب أحسن على معنى اخبار الله جل ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم ورد الكلام على قوله ووصينا الانسان ونحن نتقبل منهم أحسن ما عملوا ونتجاوز وهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وعد الصدق الذى كانوا يوعدون يقول وعدهم الله هذا الوعد وعد الحق لا شك فيه أنه موف لهم به الذى كانوا اياه فى الدنيا يعدهم الله تعالى ونصب قوله وعد الصدق لأنه مصدر خارج من قوله يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيآتهم وانما أخرج من هذا الكلام مصدر وعد وعدا لأن قوله يتقبل عنهم ويتجاوز وعد من الله لهم فقال وعد الصدق على ذلك المعنى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين ﴾ وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضال به كافر وبوالديه عاق وهما مجتهدان فى نصيحته ودعائه الى الله فلا يزيده دعاؤهما اياه الى الحق ونصيحتهما له الا عتوا وتمردا على الله وتماديا فى جهله يقول الله جل ثناؤه والذى قال لوالديه أن دعواه الى الايمان بالله والاقرار ببعث الله خلقه من قبورهم ومجازاته اياهم بأعمالهم أف لكما يقول قذرا لكما ونتنا أتعدانني أن أخرج يقول أتعدانني أنى أخرج من قبرى من بعد فنائى وبلائى فيه حيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أتعدانني أن أخرج أن أبعث بعد الموت حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله أتعدانني أن أخرج قال يعنى البعث بعد الموت حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني الى آخر الآية قال الذى قال هذا ابن لأبى بكر رضى الله عنه قال أتعدانني أن أخرج أتعدانني أن أبعث بعد الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج قال هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثم نعت عبد سوء عاقا لوالديه فاجرا فقال والذى قال لوالديه أف لكما الى قوله أساطير الاولين وقوله وقد خلت القرون من قبلى يقول أتعدانني أن أبعث وقد مضت قرون من الأمم قبلى فهلكوا

الخبر مجموعا ويجوز أن يكون الخبر عاما فى القائل وفى أمثاله فيندرج فيه القائل وقيل تقديره واذكر الذى ومن القائل عن الحسن وقتادة هو الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وذهب السدى الى أن الآية نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه وأنه كان يقول (لوالديه أف لكما) وهى كلمة تضجر وتبرم كما مر فى سبحان والانبياء (أتعدانني أن أخرج) من القبر (وقد خلت القرون من قبلى) فلم يرجع أحدهم (وهما) يعنى أبويه (يستغيثان الله) أى بالله فحذف الجار وأوصل الفعل والمراد يسألانه أن يوفقه للايمان ويقولان له (ويلك آمن) بالله وبالبعث والمراد بالدعاء عليه الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك قال السدى فاستجاب الله دعوة أبى بكر فيه فأسلم وحسن اسلامه ولما أسلم نزل فيه ولكل درجات مما عملوا وأكثر المفسرين ينكرون هذا القول لانه سبحانه قال فيه (أولئك الذين حق عليهم القول) كائنين (فى أمم) الى آخره وأن عبد الرحمن لم يبق كافرا بل كان من سادات المسلمين وروى عن عائشة انكاره أيضا وذلك أنه حين كتب معاوية الى مروان بن الحكم ابن ابى العاص بأن يبايع الناس ليزيد رد عليه عبد الرحمن وقال مروان يا أيها الناس هو الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه ثم ميز حال المؤمن من حال الكافر بقوله (ولكل) أى من الجنسين (درجات) من جزاء ما عملوا فغلب

فلم يبعث منهم أحدا ولو كنت مبعوثا بعد وفاتي كما تقولان لكان قد بعث من هلك قبلي من القرون
وهما يستغيثان الله يقول تعالى ذكره ووالداه يستصرخان الله عليه ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله
ويقر بالبعث ويقولان له ويلك آمن أي صدق بوعد الله وأقر أنك مبعوث من بعد وفاتك ان
وعد الله الذي وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم ومخرجهم منها الى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم
حق لا شك فيه فيقول عدو الله مجيبا لوالديه وردا عليهما نصيحتهما وتكذيبا بوعد الله ماهذا
الذي تقولان لي وتدعواني اليه من التصديق بأني مبعوث من بعد وفاتي من قبري الا ما سطره
الاولون من الناس من الاباطيل فكتبوه فأصبتماه أنتما فصدقتما ۞ القول في تأويل قوله تعالى
﴿أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه
الصفة صفتهم الذين وجب عليهم عذاب الله وحلت بهم عقوبته وسخطه فيمن حل به عذاب الله
على مثل الذي حل بهؤلاء من الامم الذين مضوا قبلهم من الجن والانس الذين كذبوا رسل الله
وعتوا عن أمر ربهم وقوله انهم كانوا خاسرين يقول تعالى ذكره انهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى
بالضلال والنعيم بالعقاب حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة
عن الحسن قال الجن لا يموتون قال قتادة فقلت أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت
الآية وقوله ولكل درجات مما عملوا يقول تعالى ذكره ولكل هؤلاء الفريقين فريق الايمان بالله
واليوم الآخر والبر بالوالدين وفريق الكفر بالله واليوم الآخر وعقوق الوالدين اللذين وصف
صفتهم ربنا عز وجل في هذه الآيات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة مما عملوا يعني من عملهم
الذي عملوه في الدنيا من صالح وحسن وسيء يجازيهم الله به وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد في قوله ولكل درجات مما عملوا قال درج أهل النار يذهب سفالا ودرج
أهل الجنة يذهب علوا وليوفيهم أعمالهم يقول جل ثناؤه وليعطي جميعهم اجور أعمالهم التي عملوها
في الدنيا المحسن منهم باحسانه ماوعد الله من الكرامة والمسيء منهم باساءته ماأعده من الجزاء وهم
لا يظلمون يقول وجميعهم لا يظلمون لا يجازى المسيء منهم الا عقوبة على ذنبه لا على مالم يعمل
ولا يحمل عليه ذنب غيره ولا يبخس المحسن منهم ثواب احسانه ۞ القول في تأويل قوله تعالى
﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون
عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ يقول تعالى ذكره
ويوم يعرض الذين كفروا بالله على النار يقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فيها
كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم يعرض الذين كفروا على النار
قرأ يزيد حتى بلغ وبما كنتم تفسقون تعلمون والله أن أقواما يسترطون حسناتهم استبقى رجل
طيباته ان استطاع ولا قوة الا بالله ذكر أن عمر بن الخطاب كان يقول لو شئت كنت أطيبكم
طعاما وألينكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي وذكر لنا أنه لما قدم الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله
قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير قال خالد بن الوليد لهم الجنة
فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا في الحطام وذهبوا «قال أبو جعفر فيما أرى أنا» بالجنة
لقد باينونا بونا بعيدا وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهل الصفة مكانا يجتمع فيه
فقراء المسلمين وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا قال أنتم اليوم خير أو يوم يغدو أحدكم
في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة

أهل الدرجات على أهل الدركات
أو الدرجات هي المراتب متصاعدة
أو متنازلة والباقي واضح مما مر
والاستكبار عن قبول الحق ذنب
القلب والفسق عمل الجوارح
والاول أولى بالتقديم لعظم موقعه
وقد يحتج بالآية على أن الكفار
مخاطبون بالفروع قال مؤلف
الكتاب والاشياء الطيبة اللذيذة
غير منهي عنها لقوله تعالى قل من
حرم زينة الله التي أخرج لعباده
والطيبات من الرزق ولكن
التقشف وترك التكلف دأب
الصالحين لئلا يشتغل بغير المهم عن
المهم ولأن ماعدا الضروري
لا حصر له وقد يجر بعضه بعضا
الى أن يقع المرء في حد البعد عن الله
وفي الحديث أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على أهل الصفة
وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون
لها رقاعا فقال أنتم اليوم خير أم يوم
يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى
ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه
بأخرى ويستر البيت كما تستر الكعبة
قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم
اليوم خير وعن عمر لو شئت لكنت
أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا
ولكني أستبقي طيباتي لأن الله
وصف قوما فقال أذهبتم طيباتكم
وعنه أن رجلا دعاه الى طعام فأكل
ثم قدم شيأ حلوا فامتنع وقال رأيت
الله نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم
الآية فقال الرجل اقرأ يا أمير المؤمنين
ماقبلها ويوم يعرض الذين كفروا
ولست منهم فأكل وسره ما سمع
والتحقيق أن المراد هو أنه ما كتب
للكافر حظ من الطيبات الا الذي
أصابه في دنياه وليس في الآية

قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قال حدثنا صاحب لنا عن أبي هريرة قال انما كان طعامنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الأسودين
الماء والتمر والله ما كنا نرى سمراءكم هذه ولا ندري ماهي * قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي بردة
ابن عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه قال أي بني لو شهدتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن مع نبينا اذا أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن انما كان لباسنا الصوف حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
الى آخر الآية ثم قرأ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
وقرأ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وقرأ من
كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الى آخر الآية وقال هؤلاء الذين أذهبوا طيباتهم
في حياتهم الدنيا * واختلفت القراء في قراءة قوله أذهبتم طيباتكم فقرأته عامة قراء الأمصار أذهبتم
بغير استفهام سوى أبي جعفر القارئ فانه قرأه بالاستفهام والعرب تستفهم بالتوبيخ وتترك
الاستفهام فيه فتقول أذهبت ففعلت كذا وكذا وذهبت ففعلت وفعلت وأعجب القراءتين الى ترك
الاستفهام فيه لاجماع الحجة من القراء عليه ولأنه أفصح اللغتين وقوله فاليوم تجزون عذاب الهون
يقول تعالى ذكره يقال لهم فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا تجزون أي
تثابون عذاب الهون يعني عذاب الهوان وذلك عذاب النار الذي يهينهم كما حدثنا محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عذاب الهون قال الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق
يقول بما كنتم تتكبرون في الدنيا على ظهر الارض على ربكم فتأبون أن تخلصوا له العبادة وأن
تذعنوا لأمره ونهيه بغير الحق أي بغير ما أباح لكم ربكم وأذن لكم به وبما كنتم تفسقون يقول
بما كنتم فيها تخالفون طاعته فتعصونه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذكر أخا عاد اذ أنذر
قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب
يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد لقومك الرادين عليك
ما جئتهم به من الحق هودا أخا عاد فان الله بعثك اليهم كالذي بعثه الى عاد فخوفهم أن يحل بهم من
نقمة الله على كفرهم ما حل بهم اذ كذبوا رسولنا هودا اليهم اذ أنذر قومه عادا بالأحقاف والأحقاف
جمع حقف وهو من الرمل ما استطال ولم يبلغ أن يكون جبلا واياه عنى الأعشى

فبات الى أرطاة حقف تكفه * حريق شمال يترك الوجه أقتما

* واختلف أهل التأويل في الموضع الذي به هذه الأحقاف فقال بعضهم هي جبل بالشام ذكر
من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن
عباس واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف قال الأحقاف جبل بالشام حدثت عن الحسين
قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذ أنذر قومه بالاحقاف
جبل يسمى الأحقاف * وقال آخرون بل هي واد بين عمان ومهرة ذكر من قال ذلك حدثني
محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذكر أخا عاد
اذ أنذر قومه بالأحقاف قال فقال الأحقاف الذي أنذر هود قومه واد بين عمان ومهرة حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانت منازل عاد وجماعتهم حيث بعث الله اليهم هودا
الأحقاف الرمل فيما بين عمان الى حضرموت فاليمن كله وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض كلها

أن كل من أصاب الطيبات في الدنيا فانه لا يكون له منها حظ في الآخرة والله أعلم بالصواب ﴿واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وافئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا ان الله الذي

وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله * وقال آخرون هي أرض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال الاحقاف الأرض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ أنذر قومه بالأحقاف قال حشاف أو كلمة تشبهها قال أبو موسى يقولون مستحشف حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ أنذر قومه بالاحقاف حشاف من حسمى * وقال آخرون هي رمال مشرفة على البحر بالشحر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف ذكر لنا أن عادا كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف قال بلغنا أنهم كانوا على أرض يقال لها الشحر مشرفين على البحر وكانوا أهل رمل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن عمرو بن عبد الله عن قتادة أنه قال كان مساكن عاد بالشحر * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تبارك وتعالى أخبر أن عادا أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة كما قال العجاج * بات الى أرطاة حقف أحقفا * وكما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف قال الأحقاف الرمل الذي يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب الحقف ولا يكون أحقافا الا من الرمل قال وأخو عاد هود وجائز أن يكون ذلك جبلا بالشأم وجائز أن يكون واديا بين عمان وحضرموت وجائز أن يكون الشحر وليس في العلم به أداء فرض ولا في الجهل به تضييع واجب وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوما منازلهم الرمال المستعلية المستطيلة وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله يقول تعالى ذكره وقد مضت الرسل بانذار أممها من بين يديه يعني من قبل هود ومن خلفه يعني ومن بعد هود وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله وقد خلت النذر من بين يديه ومن بعده ألا تعبدوا الا الله يقول لا تشركوا مع الله شيأ في عبادتكم اياه ولكن أخلصوا له العبادة وأفردوا له الألوهة انه لا اله غيره وكانوا فيما ذكر أهل أوثان يعبدونها من دون الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله قال لم يبعث الله رسولا الا بأن يعبد الله وقوله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه اني أخاف عليكم أيها القوم بعبادتكم غير الله عذاب الله في يوم عظيم وذلك يوم يعظم هوله وهو يوم القيامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين﴾ يقول تعالى ذكره قالت عاد لهود اذ قال لهم لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا الى عبادة ما تدعونا اليه والى اتباعك على قولك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا قال لتزيلنا وقرأ ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها قال تضلنا وتزيلنا وتأفكنا فأتنا بما تعدنا من العذاب على عبادتنا ما نعبد من الآلهة ان كنت من أهل الصدق في قوله وعداته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون﴾ يقول تعالى ذكره قال هود لقومه عاد

خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون﴾ ۞ القراآت اني أخاف بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وخلف لا يرى بالياء التحتانية مبنيا للمفعول الامساكنهم بالرفع عاصم وحمزة وخلف وسهل ويعقوب الباقون لاترى على خطاب كل راء مساكنهم بالنصب بل ضلوا بادغام اللام في الضاد علي واذ صرفنا بادغام الذال في الصاد وكذا ما يشبهه أبو عمرو وعلي وهشام وحمزة في رواية خلاد وابن سعدان وأبي عمرو يقدر فعلا مضارعا من القدرة سهل ويعقوب ۞ الوقوف عاد ط لان اذ يتعلق باذكر محذوفا وهو مفعول به هذا قول السجاوندي وعندي أن لا وقف وقوله اذ بدل الاشتمال من أخا عاد الا الله ط عظيم ٥ آلهتنا ج لتناهي الاستفهام مع تعقيب الفاء الصادقين ٥ عند الله ز لاختلاف الجملتين لفظا ولكن التقدير وأنا أبلغكم تجهلون ٥ ممطرنا ط لتقدير القول به ط لأن التقدير هذا ريح أليم ٥ لا لأن ما بعده صفة مساكنهم ط المجرمين ٥ وأفئدة ز لعطف الجملتين المختلفتين والوصل أولى للفاء واتحاد الكلام يستهزؤن ٥ يرجعون ٥ آلهة ج لتمام الاستفهام عنهم ج

انمـا العلم بوقت مجيء ما أعد لكم به من عذاب الله على كفركم به عنـد الله لا أعلم من ذلك الا ما علمني وأبلغكم ما أرسلت به يقول وانمـا أنا رسول اليكم من الله مبلغ أبلغكم عنـه ما أرسلني به من الرسالة ولكني أراكم قوما تجهلون مواضع حظوظ أنفسكم فلا تعرفون ما عليها من المضرة بعبادتكم غير الله وفي استعجال عذابه ﴿ القول في تأويل قوله تعـالى ﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هـذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ يقول تعـالى ذكره فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه فرأوه سحابا عارضا في ناحية من نواحي السماء مستقبل أوديتهم والعرب تسمي السحاب الذي يرى في بعض أقطار السماء عشيا ثم يصبح من الغد قد استوى وحبا بعضه الى بعض عارضا وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ كما قال الأعشى

يا من يرى عارضا قد بت أرمقه * كأنمـا البرق في حافاته الشعل

قالوا هذا عارض ممطرنا ظنا منهم برؤيتهم اياه أن غيثا قد أتاهم يحيون به فقالوا هـذا الذي كان هود يعدنا وهو الغيث كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم الآية وذكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زمانا فلمـا رأوا العذاب مقبلا قالوا هذا عارض ممطرنا وذكر لنا أنهم قالوا كذب هود كذب هود فلما خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فشامه قال بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ساق الله السحابة السوداء التي اختار قيـل بن عنز بمـا فيها من النقمة الى عاد حتى تخرج عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استـبشروا وقالوا هـذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم وقوله بل هو ما استعجلتم به يقول تعـالى ذكره مخبرا عن قيـل نبيه صلى الله عليه وسـلم هود لقومه لمـا قالوا له عند رؤيتهـم عارض العذاب قد عرض لهم في السماء هـذا عارض ممطرنا نحيا به ما هو بعـارض غيث ولكنه عارض عذاب لكم بل هو ما استعجلتم به أي هو العذاب الذي استعجلتم به فقلتم ائتنا بمـا تعدنا ان كنت من الصادقين ريح فيها عذاب أليم والريح مكررة على ما في قوله هو ما استعجلتم به كأنه قيـل بل هو ريح فيهـا عذاب أليم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمـد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال كان هود جلدا في قومه وانه كان قاعدا في قومه فجاء سحاب مكفهر فقالوا هـذا عارض ممطرنا فقال بل هو ما اسـتعجلتم به ريح فيها عذاب أليم قال فجاءت ريح فجعلت تلقي الفسطاط وتجيء بالرجل الغائب فتلقيه حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثني أبي عن أبيه عن جده قال قال سليمن ثنا أبو اسحق عن عمرو بن ميمون قال لقد كانت الريح تحمل الظعينة فترفعها حتى ترى كأنها جرادة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم الى آخر الآية قال هي الريح اذا أثارت سحابا قالوا هذا عارض ممطرنا فقال نبيهم بل ريح فيها عذاب أليم ﴿ القول في تأويل قوله تعـالى ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ وقوله تدمر كل شيء بأمر ربها يقول تعـالى ذكره تخرب كل شيء وترمي بعضه على بعض فتهلكه كما قال جرير

وكان لكم كبكر ثمود لمـا * رغا ظهرا فدمرهم دمارا

يعني بقوله دمرهم ألقى بعضهم على بعض صرعى هلكى وانمـا عنى بقوله تدمر كل شيء بأمر ربها مما أرسلت بهلاكه لأنها لم تدمر هودا ومن كان آمن به حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق عن

لعطف الجملتين يفترون ٥ القرآن ج لكلمة المجازاة مع الفاء أنصتوا ج لذلك منذرين ٥ مستقيم ٥ أليم ٥ أولياء ط مبين ٥ الموتى ط قدير ٥ النار ط لتقدير القول بالحق ط وربنـا ط تكفرون ٥ لهم ط يوعدون ٥ لا لان ما بعـده خبر كأن نهار ط بلاغ ج للاستفهام مع الفاء الفاسقون ٥ ﴿ التفسير انه سبحانه بعد حكاية شبه المكذبين والأجوبة عنها وبعد تمـام ما انجر الكلام اليـه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكر قومه بقصة هود أعني أخا عاد لأنه واحد منهم والأحقاف جمع حقف وهو رمل مسـتطيل مرتفع فيـه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج ويقال له الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمـان ومهرة والنذر جمع نذير مصـدر أو صفة والواو في قوله (وقد خلت) اما أن تكون للحـال والمعـنى أنذرهم وهم عالمون بانذار الرسـل من قبله ومن بعده واما أن يكون اعتراضا والمعنى واذكر وقت انذار هود قومه (ألا تعبـدوا الا الله) وقد أنذر من تقدمه من الرسـل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قوله (لتأفكنا) أي لتصرفنا عن عبادة آلهتنا قوله (انمـا العلم عنـد الله) أي لا علم لي بالوقت الذي عينه الله لتعذيبكم فلا معنى لاستعجالكم ولهذا نسبهم الى الجهالة وأي جهل أعظم من نسبة نبي الله الى الكذب ومن ترك طريقة الاحتياط ومن استعجال ما فيـه هلاكهم والضمير في قوله فلما رأوه عائد الى الموعود أو هو مبهم يوضحه قوله عارض أي سحـاب عرض في نواحي السماء والاضافة في قوله

زائدة عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما أرسل الله على عاد من الريح إلا قدر خاتمي هذا فنزع خاتمه وقوله فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم يقول فأصبح قوم هود وقد هلكوا وفنوا فلا يرى في بلادهم شئ إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها واختلفت القراء في قراءة قوله فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة لا ترى إلا مساكنهم بالتاء نصبا بمعنى فأصبحوا لا ترى أنت يا محمد إلا مساكنهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لا يرى إلا مساكنهم بالياء في يرى ورفع المساكن بمعنى ما وصفت قبل أنه لا يرى في بلادهم شئ إلا مساكنهم وروى الحسن البصري لا ترى بالتاء وبأى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والكوفة قرأ ذلك القارئ فمصيب وهو القراءة برفع المساكن إذا قرئ قوله يرى بالياء وضمها وبنصب المساكن إذا قرئ قوله ترى بالتاء وفتحها وأما التي حكيت عن الحسن فهي قبيحة في العربية وإن كانت جائزة وإنما قبحت لأن العرب تذكر الأفعال التي قبل إلا وإن كانت الأسماء التي بعدها أسماء إناث فتقول ما قام إلا أختك ما جاءني إلا جاريتك ولا يكادون يقولون ما جاءتني إلا جاريتك وذلك أن المحذوف قبل إلا أحد أو شئ وأحد وشئ يذكر فعلهما العرب وإن عنى بهما المؤنث فتقول إن جاءك منهن أحد فأكرمه ولا يقولون إن جاءتك وكان الفراء يجيزها على الاستكراه ويذكر أن ابن المفضل أنشده

نارنا لم تر نارا مثلها * قد علمت ذاك معد كرما

فأنث فعل مثل لأنه للنار قال وأجود الكلام أن تقول ما رؤى مثلها وقوله كذلك نجزى القوم المجرمين يقول تعالى ذكره كما جزينا عادا بكفرهم بالله من العقاب في عاجل الدنيا فأهلكناهم بعذابنا كذلك نجزى القوم الكافرين بالله من خلقنا إذا تمادوا في غيهم وطغوا على ربهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره لكفار قريش ولقد مكنا أيها القوم عادا الذين أهلكناهم بكفرهم فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا وأعطيناهم منها الذي لم نعطكم منها من كثرة الأموال وبسطة الأجسام وشدة الأبدان ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنى أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه يقول لم نمكنكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه أنبأكم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم وقوله وجعلنا لهم سمعا يسمعون به مواعظ ربهم وأبصارا يبصرون بها حجج الله وأفئدة يعقلون بها ما يضرهم وينفعهم فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ يقول فلم ينفعهم ما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد إذ لم يستعملوها فيما أعطوها له ولم يعملوها فيما ينجيهم من عقاب الله ولكنهم استعملوها فيما يقربهم من سخطه إذ كانوا يجحدون بآيات الله يقول إذ كانوا يكذبون بحجج الله وهم رسله وينكرون نبوتهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وعاد عليهم ما استهزؤا به ونزل بهم ما سخروا به فاستعجلوا به من العذاب وهذا وعيد من الله جل ثناؤه لقريش يقول لهم فاحذروا أن يحل بكم من العذاب على كفركم بالله وتكذيبكم رسله ما حل بعاد وبادروا بالتوبة قبل النقمة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾

يقول

(مستقبل أوديتهم) وممطر القطعية ولهذا صح وقوعها صفة للنكرة والتدمير الاهلاك والاستئصال وفي قوله (بأمر ربها) اشارة الى ابطال قول من زعم أن مثل هذه الآثار مستند الى تأثيرات الكواكب بالاستقلال ثم زاد في تخويف كفار مكة وذكر فضل عاد في القوة الجسمانية وفي الاسباب الخارجية عليهم فقال (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) قال المبرد ما موصولة وان نافية أي في الذي لم نمكنكم فيه وقال ابن قتيبة ان زائدة وهذا فيه ضعف لان الاصل حمل الكلام على وجه لا يلزم منه زيادة في اللفظ ولان المقصود فضل أولئك القوم على هؤلاء حتى يلزم المبالغة في التخويف وعند تساويهما يفوت هذا المقصود وقيل ان للشرط والجزاء مضمر أي في الذي ان مكناكم فيه كان بغيكم أكثر قوله (من شئ) أي شيأ من الاغناء وهو القليل منه وقوله (اذ كانوا) ظرف لما أغنى وفيه معنى التعليل كقولك ضربته اذ أساء قوله (من القرى) يريد من قريات عاد وثمود ولوط وغيرهم بالشام والحجاز واليمن وتصريف الآيات أي تكريرها قيل للعرب المخاطبين والاظهر أنه للماضين لقوله (لعلهم يرجعون) عن شركهم والاولون حملوه على الالتفات ثم وبخهم بأن أصنامهم لم يقدروا على نصرتهم وشفاعتهم فقوله آلهة مفعول ثان لاتخذوا والمفعول الاول محذوف وهو الراجع الى الذين وقربانا حال أو مفعول له أي متقربين الى الله أولأجل القربة بزعمهم والقربان مصدر أو اسم لما يتقرب به الى الله

يقول تعالى ذكره لكفار قريش محذرهم بأسه وسطوته أن يحل بهم على كفرهم ولقد أهلكنا أيها القوم من القرى ما حول قريتكم كحجر ثمود وأرض سذوم ومأرب ونحوها فأنذرنا أهلها بالمثلات وخربنا ديارها فجعلناها خاوية على عروشها وقوله وصرفنا الآيات يقول ووعظناهم بأنواع العظات وذكرناهم بضروب من الذكر والحجج وبينالهم ذلك كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وصرفنا الآيات قال بيناها لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا عما كانوا عليه مقيمين من الكفر بالله وآياته وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه وهو فأبوا الا الاقامة على كفرهم والتمادي في غيهم فأهلكناهم فلن ينصرهم منا ناصر يقول جل ثناؤه فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الامم الخالية قبلهم أوثانهم وآلهتهم التي اتخذوا عبادتها قربانا يتقربون بها فيما زعموا الى ربهم منا اذ جاءهم بأسنا فتنقذهم من عذابنا ان كانت تشفع لهم عند ربهم كما يزعمون وهذا احتجاج من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي قومه يقول لهم لو كانت آلهتكم التي تعبدون من دون الله تغني عنكم شيأ أو تنفعكم عند الله كما تزعمون أنكم انما تعبدونها لتقربكم الى الله زلفى لأغنت عمن كان قبلكم من الأمم التي أهلكتها بعبادتهم اياها فدفعت عنها العذاب اذ نزل أو لشفعت لهم عند ربهم فقد كانوا من عبادتها على مثل الذي عليه أنتم ولكنها ضرتهم ولم تنفعهم يقول تعالى ذكره بل ضلوا عنهم يقول بل تركتهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها فأخذت غير طريقهم لأن عبدتها هلكت وكانت هي حجارة أو نحاسا فلم يصبها ما أصابهم ودعوها فلم تجبهم ولم تغثهم وذلك ضلالها عنهم وذلك إفكهم يقول عز وجل هذه الآلهة التي ضلت عن هؤلاء الذين كانوا يعبدونها من دون الله عند نزول بأس الله بهم وفي حال طمعهم فيها أن تغيثهم فخذلتهم هو إفكهم يقول هو كذبهم الذي كانوا يكذبون ويقولون هؤلاء آلهتنا وما كانوا يفترون يقول وهو الذي كانوا يفترون فيقولون هي تقربنا الى الله زلفى وهي شفعاؤنا عند الله وأخرج الكلام مخرج الفعل والمعنى المفعول به فقيل وذلك افكهم والمعنى فيه المأفوك به لان الافك انما هو فعل الآفك والآلهة مأفوك بها وقد مضى البيان عن نظائر ذلك قبل قال وكذلك قوله وما كانوا يفترون واختلفت القراء في قراءة قوله وذلك افكهم فقرأته عامة قراء الأمصار وذلك افكهم بكسر الالف وسكون الفاء وضم الكاف بالمعنى الذي بينا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما في ذلك ما حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن عوف عمن حدثه عن ابن عباس أنه كان يقرؤها وذلك أفكهم يعني بفتح الالف والكاف وقال أضلهم فمن قرأ القراءة الاولى التي عليها قرأة الأمصار فالهاء والميم في موضع خفض ومن قرأ هذه القراءة التي ذكرناها عن ابن عباس فالهاء والميم في موضع نصب وذلك أن معنى الكلام على ذلك وذلك صرفهم عن الايمان بالله والصواب من القراءة في ذلك عندنا القراءة التي عليها قرأة الأمصار لاجماع الحجة عليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين﴾ يقول تعالى ذكره مقرعا كفار قريش بكفرهم بما آمنت به الجن واذ صرفنا اليك يا محمد نفرا من الجن يستمعون القرآن ذكر أنهم صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحادث الذي حدث من رجمهم بالشهب

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن زياد عن سعيد بن جبير قال كانت الجن تستمع فلما رجموا قالوا ان هذا الذي حدث في السماء لشئ حدث في الارض فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبي صلى الله عليه وسلم خارجا من سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر

عز وجل ويجوز أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا أو بيانا قوله (وذلك افكهم) أي عدم نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم وقت الحاجة محصول افكهم وافترائهم أو عاقبة شركهم وثمرة كذبهم على الله وحين بين أن في الانس من آمن وفيهم من كفر أراد أن يبين أن نوع الجن أيضا كذلك وفي كيفية الواقعة قولان أحدهما عن سعيد بن جبير وعليه الجمهور كانت الجن تسترق فلما رجموا قالوا هذا انما حدث في السماء لشئ حدث في الارض فذهبوا يطلبون السبب فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة يصلي بأصحابه أو منفردا فمنهم من قال صلاة العشاء الآخرة ومنهم من قال صلاة الصبح فقرأ فيها سورة اقرأ فسمعوا القرآن وعرفوا أن ذلك هو السبب وعلى هذا لم يكن ذلك بعلم منه صلى الله عليه وسلم حتى أوحى الله اليه والقول الثاني أنه صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فقال لأصحابه اني أمرت أن أقرأ القرآن على الجن فأيكم يتبعني فاتبعه ابن مسعود فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعب الحجون وخط على ابن مسعود وقال لا تبرح حتى آتيك قال فسمعت لغطا شديدا حتى خفت على النبي صلى الله عليه وسلم ثم علا بالقرآن أصواتهم فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن اللغط فقال اختصموا الي في قتيل كان بينهم فقضيت فيهم وفي رواية أخرى عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمعك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة فيها شئ من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده

فتوضأ فقال تمرة طيبة وماء طهور واختلفوا فى عددهم عن ابن عباس كانوا تسعة من جن نصيبين أو نينوى وقال عكرمة كانوا عشرة من جزيرة الموصل وزر بن حبيش كانوا تسعة ومنهم زوبعة وقيل اثنى عشر ألفا ولنرجع الى التفسير قوله (واذ صرفنا) معطوف على قوله اذ كر أخا عاد اذ أنذر ومعنى صرفنا أملناهم اليك والنفر مادون العشرة ويجمع على أنفار والضمير فى (حضروه) للنبى صلى الله عليه وسلم أو القرآن (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) والانصات السكوت لاستماع الكلام (فلما قضى) أى فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من القراءة وانما قالوا (أنزل من بعد موسى) لانهم كانوا يهودا أو لانهم لم يسمعوا أمر عيسى قاله ابن عباس (أجيبوا داعى الله) عنوا رسول الله أو أنفسهم بناء على أنهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم ومنه يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن أيضا وهذا من جملة خصائصه وحين عمموا الامر باجابة الداعى خصصوه بقولهم (وآمنوا به) لأن الايمان أشرف أقسام التكاليف ومن فى قوله (من ذنوبكم) للتبعيض فمن الذنوب مالا يغفر بالايمان كالمظالم وقدمر فى ابراهيم واختلفوا فى أن الجن هل لهم ثواب أم لا فقيل لاثواب لهم الا النجاة من النار بقوله (ويجركم من عذاب أليم) وهو قول أبى حنيفة والصحيح أنهم فى حكم بنى آدم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقد جرت بين مالك وأبى حنيفة مناظرة فى هذا الباب

فذهبوا الى قومهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد ابن جبير قال لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم حرست السماء فقال الشيطان ماحرست إلا لأمر قد حدث فى الارض فبعث سراياه فى الارض فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم قائما يصلى صلاة الفجر بأصحابه بنخلة وهو يقرأ فاستمعوا حتى اذا فرغ ولوا الى قومهم منذرين الى قوله مستقيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى آخر الآية قال لم تكن السماء تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يقعدون مقاعد للسمع فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حرست السماء حرسا شديدا ورجمت الشياطين فأنكروا ذلك وقالوا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا فقال ابليس لقد حدث فى الارض حدث واجتمعت اليه الجن فقال تفرقوا فى الارض فأخبرونى ماهذا الخبر الذى حدث فى السماء وكان أول بعث ركب من أهل نصيبين وهى أشراف الجن وساداتهم فبعثهم الله الى تهامة فاندفعوا حتى بلغوا الوادى وادى نخلة فوجدوا نبى الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة ببطن نخلة فاستمعوا فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا أنصتوا ولم يكن نبى الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا اليه وهو يقرأ القرآن فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين * واختلف أهل التأويل فى مبلغ عدد النفر الذين قال الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن فقال بعضهم كانوا سبعة نفر ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الحميد قال ثنا النضر بن عربى عن عكرمة عن ابن عباس واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم * وقال آخرون بل كانوا تسعة نفر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن عاصم عن زر واذ صرفنا اليك نفرا من الجن قال كانوا تسعة نفر فيهم زوبعة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش قال أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة فلما حضروه قال كانوا تسعة أحدهم زوبعة وقوله فلما حضروه يقول فلما حضر هؤلاء النفر من الجن الذين صرفهم الله الى رسوله نبى الله صلى الله عليه وسلم * واختلف أهل العلم فى صفة حضورهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعرفون الأمر الذى حدث من قبله ماحدث فى السماء ورسول الله صلى الله عليه وسلم لايشعر بمكانهم كما قد ذكرنا عن ابن عباس قبل وكما حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن قال ماشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاؤا فأوحى الله عز وجل اليه فيهم وأخبر عنهم * وقال آخرون بل أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليهم القرآن وأنهم جمعوا له بعد أن تقدم الله اليه بانذارهم وأمره بقراءة القرآن عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قال ذكر لنا أنهم صرفوا اليه من نينوى قال فان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال انى أمرت أن أقرأ القرآن على الجن فأيكم يتبعنى فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا فقال رجل يارسول الله انك (١) لذو بديه فاتبعه عبد الله بن مسعود فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون قال وخط نبى الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله خطا ليثبته به قال فجعلت تهوى بى وأرى أمثال النسور تمشى فى دفوفها وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله صلى الله عليه

(١) فى ابن كثير لذو ندبة وحرر

عليه وسلم ثم تلا القرآن فلما رجع نبي الله قلت يا نبي الله ما اللغط الذي سمعت قال اجتمعوا الي في قتيل كان بينهم فقضي بينهم بالحق ذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فراعوه قال من هؤلاء قالوا هؤلاء نفر من الأعاجم قال ما رأيت للذين قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام من الجن شبها أدنى من هؤلاء حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ذهب وابن مسعود ليلة دعا الجن فخط النبي صلى الله عليه وسلم على ابن مسعود خطا ثم قال له لا تخرج منه ثم ذهب النبي صلى الله عليه وسلم الى الجن فقرأ عليهم القرآن ثم رجع الى ابن مسعود فقال هل رأيت شيأ قال سمعت لغطا شديدا قال ان الجن تدارأت في قتيل قتل بينها فقضى بينهم بالحق وسألوه الزاد فقال كل عظم لكم عرق وكل روث لكم خضرة قالوا يا رسول الله تقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجي بأحدهما فلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الزط وهم قوم طوال سود فأفزعوه فقال أظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم * قال ثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي أنه قال لابن مسعود حدثت أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل قال فكيف كان فذكر الحديث كله وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم خط عليه خطا وقال لا تبرح منها فذكر أن مثل العجاجة السوداء غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذعر ثلاث مرات حتى اذا كان قريبا من الصبح أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنمت قلت لا والله ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا قال لو خرجت لم آمن أن يختطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قال نعم رأيت رجالا سودا مستشعري ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم قال انهم لن يجدوا عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فلا يستنقين أحد منكم اذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال أخبرنا أبو زرعة وهب بن راشد قال قال يونس قال ابن شهاب أخبرني أبو عثمان بن شبة الخزاعي وكان من أهل الشام أن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل فلم يحضر منهم أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا ثم أمرني أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسودة كبيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق متبرزا ثم أتاني فقال ما فعل الرهط قلت هم أولئك يا رسول الله فأخذ عظما أو روثا أو جمجمة فأعطاهم اياه زادا ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي وكان من أهل الشام أن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء الا أنه قال فأعطاهم روثا أو عظما زادا ولم يذكر الجمجمة حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي قال أخبرني يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بت الليلة أقرأ على الجن ربعا بالحجون * واختلفوا في الموضع الذي تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه القرآن فقال عبد الله

قوله (فليس بمعجز) أي لا يفوته هارب قوله (ولم يعي) يقال عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه قوله (بقادر) في محل الرفع لانه خبر أن وانما دخلت الباء لاشتمال الآية على النفي كأنه قيل أليس الله بقادر والمقصود تأكيد ما مر في أول السورة من دلائل البعث والنبوة ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (فاصبر كما صبر أولوا العزم) وقوله (من الرسل) بيان لان جميع الرسل أرباب عزم وجد في تبليغ ما أمروا بأدائه أو هو للتبعيض فنوح صبر على أذى قومه وابراهيم على النار وذبح الولد واسحق على الذبح ويعقوب على فراق الولد ويوسف على السجن وأيوب على الضر وموسى على سفاهة قومه وجهالاتهم وأما يونس فلم يصبر على دعاء القوم فذهب مغاضبا وقال الله تعالى في حق آدم ولم نجد له عزما (ولا تستعجل لهم) أي لا تدع لكفار قريش بتعجيل العذاب فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى ظنوا أنها ساعة من نهار (هذا) الذي وعظهم به كفاية في بابه وقد مر في آخر سورة ابراهيم عليه السلام

﴿سورة محمد صلى الله عليه وآله وهي مدنية حروفها الفان وثلثمائة وتسعة وأربعون كلماتها خمسمائة وأربعون آياتها ثمان وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم واصلح بالهم ذلك

بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم

ابن مسعود قرأ عليهم بالحجون وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك * وقال آخرون قرأ عليهم بنخلة وقد ذكرنا بعض من قال ذلك ونذكر من لم نذكره حدثنا أبو كريب قال ثنا خلاد عن زهير بن معاوية عن جابر الجعفى عن عكرمة عن ابن عباس أن النفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من جن نصيبين أتوه وهو بنخلة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واذ صرفنا اليك نفرا من الجن قال لقيهم بنخلة ليلتئذ وقوله فلما حضروه قالوا أنصتوا يقول تعالى ذكره فلما حضروا القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قال بعضهم لبعض أنصتوا لنستمع القرآن كما حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن عاصم عن زرّ فلما حضروه قالوا أنصتوا قالوا صه * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فلما حضروه قالوا أنصتوا قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا وقوله فلما قضى يقول فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراءة وتلاوة القرآن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فلما قضى يقول فلما فرغ من الصلاة ولوا الى قومهم منذرين وقوله ولوا الى قومهم منذرين يقول انصرفوا منذرين عذاب الله على الكفر به وذكر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم رسلا الى قومهم حدثنا بذلك أبو كريب قال ثنا عبد الحميد الحمانى قال ثنا النضر عن عكرمة عن ابن عباس وهذا القول خلاف القول الذى روى عنه أنه قال لم يكن نبى الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا اليه وهو يقرأ القرآن لأنه محال أن يرسلهم الى آخرين الا بعد علمه بمكانهم الا أن يقال لم يعلم بمكانهم فى حال استماعهم للقرآن ثم علم بعد قبل انصرافهم الى قومهم فأرسلهم رسلا حينئذ الى قومهم وليس ذلك فى الخبر الذى روى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن لقومهم لما انصرفوا اليهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قومنا من الجن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد كتاب موسى مصدقا لما بين يديه يقول يصدق ما قبله من كتب الله التى أنزلها على رسوله وقوله يهدى الى الحق يقول يرشد الى الصواب ويدل على ما فيه لله رضا والى طريق مستقيم يقول والى طريق لا اعوجاج فيه وهو الاسلام وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أنه قرأ قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم فقال ما أسرع ما عقل القوم ذكر لنا أنهم صرفوا اليه من نينوى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ (يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر من الجن لقومهم يا قومنا من الجن أجيبوا داعى الله قالوا أجيبوا رسول الله محمدا الى ما يدعوكم اليه من طاعة الله وآمنوا به يقول وصدقوه فيما جاءكم به وقومه من أمر الله ونهيه وغير ذلك مما دعاكم الى التصديق به يغفر لكم يقول يتغمد لكم ربكم من ذنوبكم فيسترها لكم ولا يفضحكم بها فى الآخرة بعقوبته اياكم عليها ويجركم من عذاب أليم يقول وينقذكم من عذاب موجع اذا أنتم تبتم من ذنوبكم وأنبتم من كفركم الى الايمان بالله وبداعيه وقوله ومن لا يجب داعى الله

فليس بمعجز فى الأرض يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر لقومهم ومن لا يجب أيها القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا وداعيه الى ما بعثه بالدعاء اليه من توحيده والعمل بطاعته فليس بمعجز فى الأرض يقول فليس بمعجز ربه بهرب به اذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه وتركه تصديقه وان ذهب فى الأرض هاربا لأنه حيث كان فهو فى سلطانه وقبضته وليس له من دونه أولياء يقول وليس لمن لم يجب داعى الله من دون ربه نصراء ينصرونه من الله اذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه وقوله أولئك فى ضلال مبين يقول هؤلاء الذين لم يجيبوا داعى الله فيصدقوا به وبما دعاهم اليه من توحيد الله والعمل بطاعته فى جور عن قصد السبيل وأخذ على غير استقامة مبين يقول يبين لمن تأمله أنه ضلال وأخذ على غير قصد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره أولم ينظر هؤلاء المنكرون احياء الله خلقه من بعد وفاتهم وبعثه اياهم من قبورهم بعد بلائهم القائلون لآبائهم وأمهاتهم أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى فلم يبعثوا بأبصار قلوبهم فيروا و يعلموا أن الله الذى خلق السموات السبع والأرض فابتدعهن من غير شئ ولم يعى بانشائهن فيعجز عن اختراعهن وإحداثهن بقادر على أن يحيي الموتى فيخرجهم من بعد بلائهم فى قبورهم أحياء كهيئتهم قبل وفاتهم * واختلف أهل العربية فى وجه دخول الباء فى قوله بقادر فقال بعض نحويى البصرة هذه الباء كالباء فى قوله كفى بالله وهو مثل تنبت بالدهن وقال بعض نحويى الكوفة دخلت هذه الباء للم قال والعرب تدخلها مع الجحود اذا كانت رافعة لما قبلها وتدخلها اذا وقع عليها فعل يحتاج الى اسمين مثل قولك ما أظنك بقائم وما أظن أنك بقائم وما كنت بقائم فاذا خلعت الباء نصبت الذى كانت تعمل فيه بما تعمل فيه من الفعل قال ولو ألقيت الباء من قادر فى هذا الموضع رفع لأنه خبر لأن قال وأنشدنى بعضهم

فما رجعت بخائبة ركاب * حكيم بن المسيب منتهاها

فأدخل الباء فى فعل لو ألقيت منه نصبت بالفعل لا بالباء يقاس على هذا ما أشبهه * وقال بعض من أنكر قول البصرى الذى ذكرنا قوله هذه الباء دخلت للجحد لان المجحود فى المعنى وان كان قد حال بينهما بأن أولم يروا أن الله قادر على أن يحيي الموتى قال فأن اسم يروا وما بعدها فى صلتها ولا تدخل فيه الباء ولكن معناه جحد فدخلت للمعنى وحكى عن البصرى أنه كان يأبى ادخال الا وأن النحويين من أهل الكوفة يجيزونه ويقولون ما ظننت أن زيدا الا قائما وما ظننت أن زيدا بعالم وينشد

ولست بحالف لولدت منهم * على عمية الا زيادا

قال فأدخل الا بعد جواب اليمين قال فأما كفى بالله فهذه لم تدخل الا لمعنى صحيح وهى للتعجب كما تقول لظرف بزيد قال وأما تنبت بالدهن فأجمعوا على أنها صلة وأشبه الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال دخلت الباء فى قوله بقادر للجحد لما ذكرنا للقائل ذلك من العلل * واختلفت القراء فى قراءة قوله بقادر فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار عن أبى اسحق والجحدرى والأعرج بقادر وهى الصحيحة عندنا لاجماع قراء الأمصار عليها وأما الآخرون الذين ذكرتهم فانهم فيما ذكر عنهم كانوا يقرؤن ذلك يقدر بالياء وقد ذكر أنه فى قراءة عبد الله بن مسعود أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر بغير باء ففى ذلك حجة لمن قرأه بقادر بالباء والألف وقوله بلى انه على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره بلى يقدر الذى خلق السموات والأرض على احياء الموتى

واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم﴾ ۞القراآت والذين قتلوا مبنيا للمفعول ثلاثيا أبو عمرو وسهل ويعقوب وحفص الباقون قاتلوا ويثبت من الاثبات المفضل الباقون بالتشديد أسن بغير ألف كحذر ابن كثير أنفا بدون الألف كما قلنا ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل ۞الوقوف أعمالهم ٥ بالهم ٥ من ربهم ط أمثالهم ٥ الرقاب ط الوثاق لا للفاء ولتعلق بعد بما قبلها أى بعد ما شددتم الوثاق أوزارها ج ذلك ط أى ذلك كذلك وقد يحسن اتصاله بما قبله لانقطاعه عن خبره أو عن المبتدا أو الفعل أى الأمر ذلك أو فعلوا ذلك ببعض ط أعمالهم ٥ بالهم ٥ ج للآية مع العطف واتحاد الكلام لهم ٥ أقدامكم ٥ أعمالهم ٥ ج من قبلهم ط لتناهى الاستخبار عليهم ج للابتداء بالتهديد مع الواو أمثالها ٥ لهم ٥ الأنهار ط لهم ٥ أخرجتك ج لاحتمال أن ما بعده صفة قرية أو ابتداء اخبار لهم ٥ أهواءهم ٥ المتقون ط لحذف أى صفة الجنة فيما نقص عليكم ثم شرع فى قصتها آسن ج طعمه ج للشاربين ٥ ج لتفصيل أنواع النعم مع العطف مصفى ج من ربهم ط لحذف المبتدا والتقدير أفمن هذا حاله كمن هو خالد أمعاءهم ٥ اليك ج لاحتمال أن يكون حتى للانتهاء وللابتداء آنفا ط أهواءهم ٥ تقواهم ٥ بغتة ٥ لتناهى الاستفهام مع مجى الفاء بعده

أى الذى خلق ذلك على كل شئ شاء خلقه وأراد فعله ذو قدرة لا يعجزه شئ أراده ولا يعييه شئ أراد فعله فيعييه انشاء الخلق بعد الفناء لأن من عجز عن ذلك فضعيف فلا ينبغى أن يكون الها من كان عما أراد ضعيفا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم يعرض هؤلاء المكذبون بالبعث وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة وعقابه اياهم على أعمالهم السيئة على النار نار جهنم يقال لهم حينئذ أليس هذا العذاب الذى تعذبونه اليوم وقد كنتم تكذبون به فى الدنيا بالحق توبيخا من الله لهم على تكذيبهم به كان فى الدنيا قالوا بلى وربنا يقول فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك بأن يقولوا بلى هو الحق والله قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يقول فقال لهم المقرر بذلك فذوقوا عذاب النار الآن بما كنتم تجحدونه فى الدنيا وتنكرونه وتأبون الاقرار اذا دعيتم الى التصديق به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مثبته على المضى لما قلده من عبء الرسالة وثقل أحمال النبوة صلى الله عليه وسلم وآمره بالائتساء فى العزم على النفوذ لذلك بأولى العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد فاصبر يا محمد على ما أصابك فى الله من أذى مكذبيك من قومك الذين أرسلناك اليهم بالانذار كما صبر أولو العزم على القيام بأمر الله والانتهاء الى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره ما نالهم فيه من شدة وقيل ان أولى العزم منهم كانوا الذين امتحنوا فى ذات الله فى الدنيا بالمحن فلم تزدهم المحن الا جدا فى أمر الله كنوح وابراهيم وموسى ومن أشبههم ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ثوابة بن مسعود عن عطاء الخراسانى أنه قال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل كما تحدث أن ابراهيم كان منهم وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قال كل الرسل كانوا أولى عزم لم يتخذ الله رسولا الا كان ذا عزم فاصبر كما صبروا حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قال سماه الله من شدته العزم وقوله ولا تستعجل لهم يقول ولا تستعجل عليهم بالعذاب يقول لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم فان ذلك نازل بهم لا محالة كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار يقول كأنهم يوم يرون عذاب الله الذى يعدهم أنه منزله بهم لم يلبثوا فى الدنيا الا ساعة من نهار لأنه ينسيهم شدة ما ينزل بهم من عذابه قدر ما كانوا فى الدنيا لبثوا ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور كما قال جل ثناؤه قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين وقوله بلاغ فيه وجهان أحدهما أن يكون معناه لم يلبثوا الا ساعة من نهار ذلك لبث بلاغ بمعنى ذلك بلاغ لهم فى الدنيا الى أجلهم ثم حذفت ذلك لبث وهى مرادة فى الكلام اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليها والآخر أن يكون معناه هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية ان فكروا واعتبروا فتذكروا

وقوله

فى الاخبار أشراطها ج لعكس ما مر ذكراهم ٥ ۞ التفسير قال أهل النظم ان أول هذه السورة مناسب لآخر السورة كأنه قيل كيف يهلك الفاسق ان كان له أعمال صالحة فأجاب (الذين كفروا وصدوا) منعوا الناس عن الايمان صدا أو امتنعوا عنه صدودا (أضل الله (أعمالهم) أى أبطل ثوابها وكانوا يصلون الارحام ويطعمون الطعام ويعمرون المسجد الحرام وعن ابن عباس أنها نزلت فى المطعمين يوم بدر وقيل هم أهل الكتاب والأظهر العموم قال جار الله حقيقة اضلال الاعمال جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يثيب عليها كالضالة من الابل لا رب لها يحفظها أو أراد أنه يجعلها ضالة فى كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء فى اللبن وقيل أراد ابطال ما عملوه من الكيد للاسلام وذويه بأن نصر المسلمين عليهم وأظهر دينه على الدين كله وحين بين حال الكفار بين حال المؤمنين قائلا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) بالهجرة والنصرة وغير ذلك (وآمنوا بما نزل على محمد) يعنى القرآن وهو تخصيص بعد تعميم ولم يقتصر على هذا التخصيص الموجب للتفضيل ولكنه أكده بجملة اعتراضية هى قوله وهو الحق من ربهم ولان الحق هو الثابت ففيه دليل على أن دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يرد عليه النسخ أبدا وتكفير السيآت من الكريم سترها بما هى خير منها فهو فى معنى قوله فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات والبال الحال والشأن لا يثنى ولا يجمع وقيل هو بمعنى القلب أى يصلح أمر دينهم

وقوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون يقول تعالى ذكره فهل يهلك الله بعذابه اذا أنزله الا القوم الذين خالفوا أمره وخرجوا عن طاعته وكفروا به ومعنى الكلام وما يهلك الله الا القوم الفاسقين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون تعلموا ما يهلك على الله الا هالك ولى الاسلام ظهره أو منافق صدق بلسانه وخالف بعمله ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أيما عبد من أمتى هم بحسنة كتبت له واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها وأيما عبد هم بسيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت سيئة واحدة ثم كان يتبعها ويمحوها الله ولا يهلك الا هالك

آخر تفسير سورة الاحقاق

* (تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

القول فى تأويل قوله تعالى {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم} قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره وصدوا من أراد عبادته والاقرار بوحدانيته وتصديق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الذى أراد من الاسلام والاقرار والتصديق أضل أعمالهم يقول جعل الله أعمالهم ضلالا على غير هدى وغير رشاد لأنها عملت فى سبيل الشيطان وهى على غير استقامة والذين آمنوا وعملوا الصالحات يقول تعالى ذكره والذين صدقوا الله وعملوا بطاعته واتبعوا أمره ونهيه وآمنوا بما نزل على محمد يقول وصدقوا بالكتاب الذى أنزل الله على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم يقول محا الله عنهم بفعلهم ذلك سيئ ما عملوا من الأعمال فلم يؤاخذهم به ولم يعاقبهم عليه وأصلح بالهم يقول وأصلح شأنهم وحالهم فى الدنيا عند أوليائه وفى الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم فى جنانه وذكر أنه عنى بقوله الذين كفروا الآية أهل مكة والذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية أهل المدينة ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن وهب الواسطى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن عبد الله بن عباس فى قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قال نزلت فى أهل مكة والذين آمنوا وعملوا الصالحات قال الأنصار وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وأصلح بالهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن وهب الواسطى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن عبد الله بن عباس وأصلح بالهم قال أمرهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأصلح بالهم قال شأنهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأصلح بالهم قال أصلح حالهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأصلح بالهم قال حالهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأصلح بالهم قال حالهم والبال كالمصدر مثل الشأن لا يعرف منه فعل ولا تكاد العرب تجمعه الا فى ضرورة شعر فاذا جمعوه قالوا بالات القول فى تأويل قوله تعالى {ذلك بأن الذين كفروا

والحاصل أن قوله وآمنوا بما نزل على محمد بازاء قوله وصدوا عن سبيل الله فأولئك امتنعوا عن اتباع سبيل محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء حثوا أنفسهم على اتباعه فلا جرم حصل لهؤلاء ضد ما حصل لأولئك فأضل الله حسنات أولئك وستر على سيآت هؤلاء وقد أشير الى هذا الحاصل بقوله (ذلك) الاضلال والتكفير بسبب اتباع أولئك الباطل الشيطان وحزبه وأولئك الحق محمدا والقرآن (كذلك) أى مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس) كلهم أمثال أنفسهم أو أمثال المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم وضرب المثل فى الآية هو أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين ولا ريب أن إخباره عن الفريقين بغير تصريح مثل لحالهما وهذا حقيقة ضرب المثل وقيل ان الاضلال مثل لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثل لفوز المؤمنين وقيل ان قوله كذلك لا يستدعى أن يكون هناك مثل مضروب ولكنه لما بين حال الكافر واضلال أعماله وحال المؤمن وتكفير سيآته وبين السبب فيهما كان ذلك نهاية الايضاح فقال كذلك أى مثل ذلك البيان يضرب الله للناس أمثالهم ويبين أحوالهم قال أصحاب النظم لما بين أن عمل الكفار ضلال والانسان حرمته باعتبار عمله نتج من ذلك قوله (فاذا لقيتم الذين كفروا) أى فى دار الحرب أو فى القتال (فضرب الرقاب) وأصله فاضربوا الرقاب ضربا

اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى فعلنا بهذين الفريقين من اضلالنا أعمال الكافرين وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات جزاء منا لكل فريق منهم على فعله أما الكافرون فأضللنا أعمالهم وجعلناها على غير استقامة وهدى بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه وهو الباطل كما حدثنى زكريا بن يحيى ابن أبى زائدة وعباس بن محمد قالا ثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرنى خالد أنه سمع مجاهدا يقول ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل قال الباطل الشيطان وأما المؤمنون فكفرنا عنهم سيئاتهم وأصلحنا لهم حالهم بأنهم اتبعوا الحق الذى جاءهم من ربهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند ربه من النور والبرهان كذلك يضرب الله للناس أمثالهم يقول عز وجل كما بينت لكم أيها الناس فعلى بفريق الكفر والايمان كذلك نمثل للناس الأمثال ونشبه لهم الأشباه فنلحق بكل قوم من الامثال أشكالا * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ يقول تعالى ذكره لفريق الايمان به وبرسوله فاذا لقيتم الذين كفروا بالله ورسوله من أهل الحرب فاضربوا رقابهم وقوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق يقول حتى اذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم فصاروا فى أيديكم أسرى فشدوا الوثاق يقول فشدوهم فى الوثاق كيلا يقتلوكم فيهربوا منكم وقوله فاما منا بعد واما فداء يقول فاذا أسرتموهم بعد الاثخان فاما أن تمنوا عليهم بعد ذلك باطلاقكم اياهم من الاسر وتحرروهم بغير عوض ولا فدية واما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضا حتى تطلقوهم وتخلوا لهم السبيل * واختلف أهل العلم فى قوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فقال بعضهم هو منسوخ نسخه قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن عيسى الدامغانى قالا ثنا ابن المبارك عن ابن جريج أنه كان يقول فى قوله فاما منا بعد واما فداء نسخها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى فاما منا بعد واما فداء قال نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاما منا بعد واما فداء نسخها قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا لقيتم الذين كفروا الى قوله واما فداء كان المسلمون اذا لقوا المشركين قاتلوهم فاذا أسروا منهم أسيرا فليس لهم الا أن يفادوه أو يمنوا عليه ثم يرسلوه فنسخ ذلك بعد قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم أى عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يذكرون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى قال كتب الى أبى بكر رضى الله عنه فى أسير أسر فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا فقال أبو بكر اقتلوه لقتل رجل من المشركين أحب الى من كذا وكذا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الى آخر الآية قال الفداء منسوخ نسختها فاذا انسلخ الأشهر الحرم الى كل مرصد قال فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة وانسلاخ الأشهر الحرم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله

فاما

الا أنه اختصر للتوكيد لانه بذكر المصدر المنصوب دل على الفعل وكان كالحكم البرهانى وليس ضرب الرقبة مقصودا بالذات ولكنه وقع التعبير عن القتل به لانه أغلب أنواع القتل ولما فى ذكره من التخويف والتغليظ وفيه رد على من زعم أن القتل بل ايلام الحيوان قبيح مطلقا لأنه تخريب البنيان فبين الشرع أن أهل الكفر والطغيان يجب قتلهم لان فيه صلاح نوع الانسان كما أن الطبيب الحاذق يأمر بقطع العضو الفاسد ابقاء على سائر البدن (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشئ الثخين أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى لا يمكنهم النهوض وقدم فى آخر الانفال (فشدوا الوثاق) وهو بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمراد فأسروهم وشدوهم بالحبال والسيور فاما تمنون منا واما تفدون فداء وهذا مما يلزم فيه حذف فعل المفعول المطلق لانه وقع المفعول تفصيلا لأثر مضمون جملة متقدمة وقال الشافعى للامام أن يختار أحد أربعة أمور هى القتل والاسترقاق والمن وهو الاطلاق من غير عوض والفداء بأسارى المسلمين أو بمال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من على أبى عروة الجهنى وعلى ابن أثال الحنفى وفادى رجلا برجلين من المشركين وذهب بعض أصحاب الرأى أن الآية منسوخة وأن المن والفداء انما كان يوم بدر فقط وناسخها اقتلوا المشركين وليس للامام الا القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق

فامامنابعد واما فداء هــذا منسوخ نسخه قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة بعــد براءة * وقال آخرون هي محكمة وليست بمنسوخة وقالوا لايجوز قتل الاسير وانمــا يجوز المنّ عليه والفداء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو عتاب سهل بن حماد قال ثنا خالد بن جعفر عن الحسن قال أتى ا بحاج بأسارى فدفع الى ابن عمر رجلا يقتله فقال ابن عمر ليس بهذا أمرنا قال الله عز وجل حتى اذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فامامنا بعد واما فداء قال(١) البكاس بديه فقال الحسن لو كان هذا وأصحابه لا بتدروا اليهم حدثنا ابن حميد وابن عيسى الدامغانى قالا ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء أنه كان يكره قتل المشرك صبرا قال و يتلو هذه الآية فامامنا بعد واما فداء حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن قال لاتقتل الاسارى الا فى الحرب يهيب بهم العدو * قال ثنا ابن ثور عن معمر قال كان عمر بن عبد العزيز يفديهم الرجل بالرجل وكان الحسن يكره أن يفادى بالمال * قال ثنا ابن ثور عن معمر عن رجل من أهل الشأم ممن كان يحرس عمر بن عبــد العزيز وهو من بنى أســد قال مارأيت عمر رحمه الله قتل أسيرا إلا واحدا من الترك كان جىء بأسارى من الترك فأمر بهم أن يسترقوا فقال رجل ممن جاء بهم ياأمير المؤمنين لوكنت رأيت هذا لأحدهم وهو يقتــل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم فقال عمر فدونك فاقتله فقام اليه فقتله * والصواب من القول عندنا فى ذلك أن هــذه الآية محكمة غير منسوخة وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ماقد بينا فى غير موضع فى كتابنا انه مالم يجز اجتماع حكميهما فى حال واحدة أو ماقامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار فى المن والفداء والقتل الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى القائمــين بعــده بأمر الأمة وان لم يكن القتل مذكورا فى هذه الآية لانه قد أذن بقتلهم فى آية أخرى وذلك قوله اقتــلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية بل ذلك كذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وســلم كذلك كان يفعل فيمن صار أســيرا فى يده من أهــل الحرب فيقتل بعضا و يفادى ببعض و يمنّ على بعض مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبى معيط وقد أتى به أسيرا وقتل بنى قريظة وقد نزلوا على حكم سعد وصار وا فى يده سلما وهو على فدائهم والمن عليهم قادر وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أسروا ببــدر ومنّ على ثمــامة بن أثال الحنفى وهو أســير فى يده ولم يزل ذلك ثابتا من سيره فى أهل الحرب من لدن أذن الله له بحربهم الى أن قبضه اليه صلى الله عليه وســلم دائما ذلك فيهم وانمــا ذكر جل ثناؤه فى هذه الآية المنّ والفداء فى الأسارى فخص ذكرهما فيها لأن الامر بقتلهما والاذن منه بذلك قد كان تقدم فى سائر آى تنزيله مكررا فأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بماذكر فى هذه الآية من المنّ والفداء ماله فيهم مع القتل وقوله حتى تضع الحرب أوزارها يقول تعالى ذكره فاذا لقيتم الذين كفروا فاضر بوا رقابهــم وافعلوا بأسراهم مابينت لكم حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها المشركين بالله بأن يتو بوا الى الله من شركهــم فيؤمنوا به و برسوله و يطيعوه فى أمره ونهيــه فذلك وضع الحرب أوزارها وقيل حتى تضع الحرب أوزارها والمعنى حتى تلقى الحرب أوزار أهلها وقيل معنى ذلك حتى يضع المحارب أوزاره و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله حتى تضع الحرب أوزارها قال حتى يخرج عيسى بن مريم فيسلم كل يهودى ونصرانى وصاحب ملة وتأمن الشاة من الذئب ولا تقرض فأرة جرابا وتذهب العداوة من الاشياء كلها ذلك ظهور الاسلام على الدين كله و ينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دما اذا وضعها

وقوله (حتى تضع) يتعلق بالضرب والشدّ أو بالمنّ والفداء والمراد عند الشافعى أنهــم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكونــ حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وأوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى لا تقوم الحرب الا بها قال الأعشى

وأعددت للحرب أوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

فاذا انقضت الحرب فكأنها وضعت أســبابها وقيــل أوزارهــا آثامها والمضاف محــذوف أى حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا وعلى هــذا جاز أن يكون الحرب جمع حارب كالصحب جمع صاحب فلا يحتاج الى تقــدير المضاف وفسر بعضهم وضع الحرب أوزارها بنزول عيسى عليه السلام عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوشك من عاش منكم أنــ يلقى عيسى عليه الســلام اماما هاديا وحكما عدلا يكسر الصليب و يقتــل الخــنزير وتضع الحرب أوزارها حتى تدخل كلمة الاخلاص كل بيت من و بر ومدر وعند أبى حنيفــة اذا علق بالضرب والشدّ فالمعنى أنهم يقتلون و يؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك اذا لم تبق شوكة للمشركينــ واذا علق بالمنّ والفداء فالحرب معهودة وهى حرب بدر ثم بين أنه منزه فى الانتقام من الكفار عن الاســتعانة بأحد فقال (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) بغير قتال أو بتسليط الملائكة أو أضعف خلقه عليهم (ولكن) أمركم بقتالهم (ليبلو بعضكم ببعض) فيمتحن المؤمنين بالكافرين هل يجاهدون

(١) كذا فى الخط بغير نقط وحرر

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى تضع الحرب أوزارها حتى لا يكون
شرك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة حتى تضع الحرب أوزارها قال
حتى لا يكون شرك * ذكر من قال عنى بالحرب فى هذا الموضع المحاربون حدثنا ابن عبد الأعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة حتى تضع الحرب أوزارها قال الحرب من كان يقاتلهم سماهم
حربا وقوله ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم يقول تعالى ذكره هذا الذى أمرتكم به أيها المؤمنون
من قتل المشركين اذا لقيتموهم فى حرب وشدهم وثاقا بعد قهرهم وأسرهم والمنّ والفداء حتى تضع
الحرب أوزارها هو الحق الذى ألزمكم ربكم ولو يشاء ربكم ويريد لانتصر من هؤلاء المشركين
الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة وكفاكم ذلك كله ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار
منهم وعقوبتهم عاجلا الا بأيديكم أيها المؤمنون ليبلو بعضكم ببعض يقول ليختبركم بهم فيعلم
المجاهدين منكم والصابرين ويبلوهم بكم فيعاقب بأيديكم من شاء منهم ويتعظ من شاء منهم بمن
أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب الى الحق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو يشاء الله لانتصر منهم
إى والله بجنوده الكثيرة كل خلقه له جند ولو سلط أضعف خلقه لكان جندا وقوله والذين قاتلوا
فى سبيل الله اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة والذين قاتلوا بمعنى
حاربوا المشركين وجاهدوهم بالألف وكان الحسن البصرى فيما ذكر عنه يقرؤه قتلوا بضم القاف
وتشديد التاء بمعنى أنه قتلهم المشركون بعضهم بعد بعض غير أنه لم يسم الفاعلون وذكر عن الجحدرى
عاصم أنه كان يقرؤه قتلوا بفتح القاف وتخفيف التاء بمعنى والذين قتلوا المشركين بالله وكان أبو عمرو
يقرؤه والذين قتلوا بضم القاف وتخفيف التاء بمعنى والذين قتلهم المشركون ثم أسقط الفاعلين
فجعلهم لم يسم فاعل ذلك بهم * وأولى القراآت بالصواب قراءة من قرأه والذين قاتلوا لاتفاق
الحجة من القراء وان كان لجميعها وجوه مفهومة واذ كان ذلك أولى القراآت عندنا بالصواب
فتأويل الكلام والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار فى دين الله وفى نصرة ما بعث به
رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى فجاهدوهم فى ذلك فلن يضل أعمالهم فلن يجعل الله
أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ضلالا عليهم كما أضل أعمال الكافرين وذكر أن هذه الآية عنى بها
أهل أحد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين قتلوا
فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت يوم أحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون يومئذ أعل هبل فنادى
المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم ان الحرب سجال ان لنا عزّى ولا عزى لكم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء
يرزقون وأما قتلاكم ففى النار يعذبون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة
والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم قال الذين قتلوا يوم أحد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرّفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم﴾ يقول تعالى ذكره سيوفق الله تعالى ذكره للعمل بما يرضى ويحب هؤلاء
الذين قاتلوا فى سبيله ويصلح بالهم ويصلح أمرهم وحالهم فى الدنيا والآخرة ويدخلهم الجنة
عرفها لهم يقول ويدخلهم الله جنته عرفها يقول عرفها وبينها لهم حتى ان الرجل ليأتى منزله
منها اذا دخلها كما كان يأتى منزله فى الدنيا لا يشكل عليه ذلك كما حدثنا ابن عبد الاعلى

قال

فى سبيله حق الجهاد أم لا ويبتلى
الكافرين بالمؤمنين هل يذعنون
للحق أم لا الزاما للحجة وقطعا للمعاذير
ومعنى الابتلاء من الله سبحانه
قد مر مرارا أنه مجاز أى يعاملهم
معاملة المختبر أو ليظهر الأمر لغيره
من الملائكة أو الثقلين ثم وعد
الشهداء والمجاهدين بقوله (والذين
قتلوا) أو قاتلوا على القراءتين (فلن
يضل أعمالهم) خلاف الكفرة
(سيهديهم) الى الثواب ويثبتهم على
الهداية (ويصلح بالهم) أمر معاشهم
فى المعاد أو فى الدنيا وكرر لأن
الأول سبب النعيم والثانى نفس
النعيم (ويدخلهم الجنة عرّفها لهم)
جعل كل واحد بحيث يعرف ماله
فى الجنة كأنهم كانوا سكانها منذ
خلقوا وعن مقاتل يعرفها لهم الحفظة
وعسى أنه عرفها بوصفها فى القرآن
وقيل طيبها لهم من العرف وهو طيب
الرائحة ثم حث على نصرة دين الله
بقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا
الله) أى دينه أو رسوله (ينصركم)
على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت
أقدامكم) فى مواقف الحرب أو على
جادة الشريعة (والذين كفروا)
حالهم بالضد يقال تعسا له فى الدعاء
عليه بالعثار والتردى عن ابن عباس
هو فى الدنيا القتل وفى الآخرة
الهوىّ فى جهنم وهو من المصادر التى
يجب حذف فعلها سماعا والتقدير
أتعسهم الله فتعسوا تعسا ولهذا
عطف عليه قوله (وأضل أعمالهم)
ثم بين سبب تعسهم على الكفر
والضلال بقوله (ذلك بأنهم كرهوا
ما أنزل الله) من القرآن والتكاليف
لالفهم بالاهمال واطلاق العنان
(فأحبط أعمالهم) التى لا استناد لها

قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن أبي سعيد الخدري قال اذا نجى الله المؤمنين من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص بعضهم من بعض مظالم كثيرة كانت بينهم في الدنيا ثم يؤذن لهم بالدخول في الجنة قال فما كان المؤمن بأدل بمنزله في الدنيا منه بمنزله في الجنة حين يدخلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال أي منازلهم فيها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا ابو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال يهتدى أهلها الى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم لا يخطؤن كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال بلغنا عن غير واحد قال يدخل أهل الجنة الجنة ولهم أعرف بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون اليها في عمر الدنيا قال فتلك قول الله جل ثناؤه ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقوله يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ان تنصروا الله بنصركم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم اياهم معه لتكون كلمته العليا ينصركم عليهم ويظفركم بهم فانه ناصر دينه وأوليائه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تنصروا الله ينصركم لأنه حق على الله أن يعطي من سأله وينصر من نصره وقوله ويثبت أقدامكم يقول ويقوّكم عليهم ويجرئكم حتى لا تولوا عنهم وان كثر عددهم وقل عددكم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله فجحدوا توحيده فتعسا لهم يقول فخزيا لهم وشقاء وبلاء كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين كفروا فتعسا لهم قال شقاء لهم وقوله وأضل أعمالهم يقول وجعل أعمالهم معمولة على غير هدى ولا استقامة لانها عملت في طاعة الشيطان لا في طاعة الرحمن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأضل أعمالهم قال الضلالة التي أضلهم الله لم يهدهم كما هدى الآخرين فان الضلالة التي أخبرك الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء قال وهؤلاء ممن جعل عمله ضلالا ورد قوله وأضل أعمالهم على قوله فتعسا لهم وهو فعل ماض والتعس اسم لأن التعس وان كان اسما ففي معنى الفعل لما فيه من معنى الدعاء فهو بمعنى أتعسهم الله فلذلك صلح رد أضل عليه لأن الدعاء يجرى مجرى الامر والنهي وكذلك قوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق مردودة على أمر مضمر ناصب لضرب وقوله ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله يقول تعالى ذكره هذا الذي فعلنا بهم من الاتعاس واضلال الاعمال من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذي أنزلناه الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسخطوه فكذبوا به وقالوا هو سحر مبين وقوله فأحبط أعمالهم يقول فأبطل أعمالهم التي عملوها في الدنيا وذلك عبادتهم الآلهة لم ينفعهم الله بها في الدنيا ولا في الآخرة بل أوبقهم بها فأصلاهم سعيرا وهذا حكم الله جل جلاله في جميع من كفر به من أجناس الأمم كما قال قتادة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله فتعسا لهم قال هي عامة للكفار ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾ يقول تعالى ذكره أفلم يسر هؤلاء المكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم المنكرو ما أنزلنا عليه من الكتاب

الى القرآن أو السنة ثم هددهم بحال الأقدمين وهو ظاهر ودمر عليه ويقال دمره فالثاني الاهلاك مطلقا والاول اهلاك ما يختص به من نفسه وماله وولده وغيره (وللكافرين أمثالها) الضمير للعاقبة أو العقوبة والأول مذكور والثاني مفهوم بدلالة التدمير فان كان المراد الدعاء عليهم فاللام للعهد وهم كفار قريش ومن ينخرط في سلكهم وان كان المراد الاخبار جاز أن يراد هؤلاء والقتل والاسر نوع من التدمير وجاز أن يراد الكفار الاقدمون (ذلك) النصر والتعس (بأن الله مولى الذين آمنوا) أي وليهم وناصرهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) بمعنى النصرة والعناية وأما بمعنى الربوبية والمالكية فهو مولى الكل لقوله وردّوا الى الله مولاهم الحق ثم برهن على الحكم المذكور وهو أن ولايته مختصة بالمؤمنين فقال (ان الله يدخل) الآية فشبه الكافرين بالأنعام من جهة أن الكافر غرضه من الحياة التنعم والأكل وسائر الملاذ لا التقوى والتوسل بالغذاء الى الطاعة وعمل الآخرة ومن جهة أنه لا يستدل بالنعم على خالقها ومن جهة غفلتهم عن مآل حالهم وأن النار مثوى لهم ثم زاد في تهديد قريش بقوله (وكأين من قرية) أي أهل قرية هم (أشدّ قوة من) أهل (قريتك التي أخرجتك) تسببوا لخروجك وقوله (فلا ناصر لهم) حكاية تلك الحال كقوله وكلبهم باسط ثم بين الفرق بين اهل الحق وحزب الشيطان بقوله على طريق الانكار (أفمن كان على بينة) معجزة ظاهرة وحجة باهرة (من ربه) يريد محمدا وأمته قوله (واتبعوا)

فى الارض سفرا وانما هذا توبيخ من الله لهم لأنهم قد كانوا يسافرون الى الشام فيرون نقمة الله التى أحلها بأهل حجر ثمود ويرون فى سفرهم الى اليمن ما أحل الله بسبا فقال لنبيه عليه السلام وللمؤمنين به أفلم يسر هؤلاء المشركون سفرا فى البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم من الامم المكذبة رسلها الرادة نصائحها ألم نهلكها فندمر عليها منازلها ونخربها فيتعظوا بذلك ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم فى تكذيبهم اياه فينيبوا الى طاعة الله فى تصديقك ثم توعدهم جل ثناؤه وأخبرهم انهم أقاموا على تكذيبهم رسوله أنه محل بهم من العذاب ما أحل بالذين كانوا من قبلهم من الامم فقال وللكافرين أمثالها يقول وللكافرين من قريش المكذبى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب العاجل أمثال عاقبة تكذيب الأمم الذين كانوا من قبلهم رسلهم على تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وللكافرين أمثالها قال مثل ما دمرت به القرون الاولى وعيد من الله لهم القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾ يقول تعالى ذكره هذا الفعل الذى فعلنا بهذين الفريقين فريق الايمان وفريق الكفر من نصرتنا فريق الايمان بالله وتثبيتنا أقدامهم وتدميرنا على فريق الكفر بأن الله مولى الذين آمنوا يقول من أجل أن الله ولى من آمن به وأطاع رسوله كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا قال وليهم وقد ذكرلنا أن ذلك فى قراءة عبد الله ذلك بأن الله ولى الذين آمنوا وأن التى فى المائدة التى هى فى مصاحفنا انما وليكم الله ورسوله انما مولاكم الله فى قراءته وقوله وأن الكافرين لا مولى لهم يقول وبأن الكافرين بالله لا ولى لهم ولا ناصر وقوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يقول تعالى ذكره ان الله له الالوهة التى لا تنبغى لغيره يدخل الذين آمنوا بالله وبرسوله بساتين تجرى من تحت أشجارها الانهار يفعل ذلك بهم تكرمة على ايمانهم به وبرسوله وقوله والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام يقول جل ثناؤه والذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم يتمتعون فى هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة ويأكلون فيها غير مفكرين فى المعاد ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدية لهم الى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسله فمثلهم فى أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك وغير معرفة مثل الأنعام من البهائم المسخرة التى لا همة لها الا فى الاعتلاف دون غيره والنار مثوى لهم يقول جل ثناؤه والنار نار جهنم مسكن لهم ومأوى اليها يصيرون من بعد مماتهم القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ يقول تعالى ذكره وكم يا محمد من قرية هى أشد قوة من قريتك يقول أهلها أشد بأسا وأكثر جمعا وأعد عديدا من أهل قريتك وهى مكة وأخرج الخبر عن القرية والمراد به أهلها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم قال هى مكة **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك قال

قريته

محمول على معنى من وهو تأكيد لانتزيين كما أن كون البينة من الرب تأكيد لها وحين أثبت الفرق بين الفريقين أراد أن يبين الفرق بين جزائهما فقال (مثل الجنة) أى صفتها العجيبة الشأن وفى اعرابه وجهان أحدهما ما مر فى الوقوف والثانى قول الزمخشرى فى الكشاف انه على حذف حرف الاستفهام والتقدير أمثل الجنة وأصحابها كمثل جزاء من هو خالد فى النار أو كمثل من هو خالد وفائدة التعرية عن حروف الاستفهام زيادة تصوير مكابرة من يسوى بين الفريقين وقوله (فيها أنهار) كالبدل من الصلة أو حال والآسن المتغير للون أو الريح أو الطعم ومصدره الأسون والنعت آسن (١) مقصور او للذة صفة أو مصدر وصف به كما مر فى الصافات والباقى ظاهر قال بعض علماء التأويل لاشك أن الماء أعم نفعا للخلائق من اللبن والخمر والعسل فهو بمنزلة العلوم الشرعية لعموم نفعها للمكلفين كلهم وأما اللبن فهو ضرورى للناس كلهم ولكن فى أول التربية والنماء فهو بمنزلة العلوم الغريزية الفطرية وأما الخمر والعسل فليسا من ضرورات التعيش فهما بمنزلة العلوم الحقيقية السببية الا أن الخمر يمكن أن تخص بالعلوم الذوقية والعسل بسائرها وقد يدور فى الخلد أن هذه الانهار الاربعة يمكن أن تحمل على المراتب الانسانية الاربع فالعقل الهيولانى بمنزلة الماء لشموله وقبوله الآثار والعقل بالملكة بمنزلة اللبن لكونه ضروريا فى أول النشوء والتربية والعقل بالفعل بمنزلة الخمر فان حصوله ليس بضرورى

(١) لعله ممدودا أو فى الكلام سقط تأمل كتبه مصححه

قريته مكة حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن حبيش عن عكرمة عن ابن عباس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى الغار أراه قال التفت الى مكة فقال أنت أحب بلاد الله الى الله وأنت أحب بلاد الله الى فلو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فأعتى الأعداء من عتا على الله فى حرمه أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية فأنزل الله تبارك وتعالى وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم وقال جل ثناؤه أخرجتك فأخرج الخبر عن القرية فلذلك أنث ثم قال أهلكناهم لأن المعنى فى قوله أخرجتك ما وصفت من أنه أريد به أهل القرية فأخرج الخبر مرة على اللفظ ومرة على المعنى وقوله فلا ناصر لهم فيه وجهان من التأويل أحدهما أن يكون معناه وان كان قد نصب الناصر بالتبرئة فلم يكن لهم ناصر وذلك أن العرب قد تضمر كان أحيانا فى مثل هذا والآخر أن يكون معناه فلا ناصر لهم الآن من عذاب الله ينصرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ يقول تعالى ذكره أفمن كان على برهان وحجة وبيان من أمر ربه والعلم بوحدانيته فهو يعبده على بصيرة منه بأن له ربا يجازيه على طاعته اياه الجنة وعلى اساءته ومعصيته اياه النار كمن زين له سوء عمله يقول كمن حسن له الشيطان قبيح عمله وسيئه فأراه جميلا فهو على العمل به مقيم واتبعوا أهواءهم يقول واتبعوا ما دعتهم اليه أنفسهم من معصية الله وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة وقيل ان الذى عنى بقوله أفمن كان على بينة من ربه نبينا عليه السلام وان الذى عنى بقوله كمن زين له سوء عمله هم المشركون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾ يقول تعالى ذكره صفة الجنة التى وعدها المتقون وهم الذين اتقوا فى الدنيا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فيها أنهار من ماء غير آسن يقول تعالى ذكره فى هذه الجنة التى ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح يقال منه قد أسن ماء هذه البئر اذا تغيرت ريح مائها فأنتنت فهو يأسن أسنا وكذلك يقال للرجل اذا أصابته ريح منتنة قد أسن فهو يأسن وأما اذا أجن الماء وتغير فانه يقال له أسن فهو يأسن ويأسن أسونا وماء آسن * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله من ماء غير آسن قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله فيها أنهار من ماء غير آسن يقول غير متغير حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله أنهار من ماء غير آسن قال من ماء غير منتن حدثنى عيسى بن عمرو قال أخبرنا ابراهيم بن محمد قال ثنا مصعب بن سلام عن سعد بن طريف قال سألت أبا اسحق عن ماء غير آسن قال سألت عنها الحرث فحدثنى أن الماء الذى غير آسن تسنيم قال بلغنى أنه لا تمسه يد وأنه يجىء الماء هكذا حتى يدخل فى فيه وقوله وأنهار من لبن لم يتغير طعمه يقول تعالى ذكره وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع ولكنه خلقه الله ابتداء فى الانهار فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه وقوله وأنهار من خمر لذة للشاربين يقول وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يلتذون بشربها كما حدثنى عيسى قال ثنا ابراهيم بن محمد قال ثنا مصعب عن سعد بن طريف قال سألت عنها الحرث فقال لم تدسه المجوس ولم ينفخ فيه الشيطان ولم تؤذها شمس ولكنها (٣) فوحاء قال قلت لعكرمة ما الفوحاء قال الصفراء وكما حدثنى سعد بن

لجميع الانسان الا أنه اذا حصل وكان الشخص ذاهلا عنه غير ملتفت اليه كان كالخمر الموجب للغفلة وعدم الحضور والعقل المستفاد بمنزلة العسل من جهة لذته ومن جهة شفائه لمرض الجهل ومن قبل ثباته فى المذاق للزوجته ودسومته والتصاقه والله تعالى أعلم بمراده وقوله (ومغفرة من ربهم) ان قدروا لهم مغفرة من الله قبل ذلك فلا اشكال وان قدر لهم فيها مغفرة أمكن أن يقال انهم مغفورون قبل دخول الجنة فما معنى الغفران بعد ذلك والجواب أن المراد رفع التكليف يأكلون من غير حساب ولا تبعة وآفة بخلاف الدنيا فان حلالها حساب وحرامها عذاب ثم ذكر نوعا آخر من قبيح خصال الكافرين وقيل أراد المنافقين فقال (ومنهم من يستمع اليك) كانوا يحضرون مجلس النبى صلى الله عليه وسلم والجمعات ويسمعون كلامه ولا يعونه كما يعيه المسلم (حتى اذا خرجوا) انصرفوا وخرج المسلمون (من عندك) يا محمد قال المنافقون للعلماء وهم بعض الصحابة كابن عباس وابن مسعود وأبى الدرداء أى شىء قال محمد (آنفا) أى فى ساعتنا هذه وأنف كل شىء ما تقدمه ومنه قولهم استأنفت الامر ابتدأته ولا يستعمل منه فعل ثلاثى بهذا المعنى وانما توجه الذم عليهم لأن سؤالهم سؤال استهزاء واعلام انهم لم يلتفتوا الى قوله ولو كان سؤال بحث عما لم يفهموه لم يكن كذلك على أن عدم الفهم دليل قلة الاكتراث بقوله ثم مدح أهل الحق بقوله (والذين اهتدوا) بالايمان (زادهم) الله (هدى)

عبدالله بن عبدالحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله من
لبن لم يتغير طعمه قال لم يحلب وخفضت اللذة على النعت للخمر ولو جاءت رفعا على النعت للأنهار
جاز أو نصبا على يتلذذ بها لذة كما يقال هذا لك هبة كان جائزا فأما القراءة فلا أستجيزها فيها
الا خفضا لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله وأنهار من عسل مصفى يقول وفيها أنهار من عسل
قد صفى من القذى ومايكون فى عسل أهل الدنيا قبل التصفية وانما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه
ذلك العسل بأنه مصفى أنه خلق فى الانهار ابتداء سائلا جاريا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها فهو
من أجل ذلك مصفى قد صفاه الله من الأقذاء التى تكون فى عسل أهل الدنيا الذى لا يصفو من
الاقذاء الا بعد التصفية لأنه كان فى شمع فصفى منه وقوله ولهم فيها من كل الثمرات يقول تعالى
ذكره ولهؤلاء المتقين فى هذه الجنة من هذه الانهار التى ذكرنا من جميع الثمرات التى تكون على
الأشجار ومغفرة من ربهم يقول وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التى أذنبوها فى الدنيا ثم تابوا منها
وصفح منه لهم عن العقوبة عليها وقوله كمن هو خالد فى النار يقول تعالى ذكره أمن هو فى هذه الجنة
التى صفتها ما وصفنا كمن هو خالد فى النار وابتدئ الكلام بصفة الجنة فقيل مثل الجنة التى وعد
المتقون ولم يقل أمن هو فى الجنة ثم قيل بعد انقضاء الخبر عن الجنة وصفتها كمن هو خالد فى النار
وانما قيل ذلك كذلك استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام ولدلالة قوله كمن هو خالد فى النار على
معنى قوله مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله وسقوا ماء حميما يقول تعالى ذكره وسقى هؤلاء الذين
هم خلود فى النار ماء قد انتهى حره فقطع ذلك الماء من شدة حره أمعاءهم كما حدثنى محمد بن خلف
العسقلانى قال ثنا حيوة بن شريح الحمصى قال ثنا بقية عن صفوان بن عمرو قال ثنى
عبيدالله بن بشر عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ويسقى من ماء
صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شرب
قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال يقول الله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم يقول الله عز وجل
يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا * القول فى تأويل قوله تعالى {ومنهم من يستمع
اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على
قلوبهم واتبعوا أهواءهم} يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء الكفار يا محمد من يستمع اليك وهو المنافق
فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه تهاونا منه بما تتلو عليه من كتاب ربك وتغافلا عما تقوله
وتدعو اليه من الايمان حتى اذا خرجوا من عندك قالوا اعلاما منهم لمن حضر معهم مجلسك
من أهل العلم بكتاب الله وتلاوتك عليهم ما تلوت وقيلك لهم ما قلت أنهم لن يصغوا أسماعهم
لقولك وتلاوتك ماذا قال لنا محمد آنفا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من يستمع اليك حتى
اذا خرجوا من عندك هؤلاء المنافقون دخل رجلان رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل
لم يعقل عن الله فلم ينتفع بما سمع كان يقال الناس ثلاثة فسامع عامل وسامع غافل وسامع تارك
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ومنهم من يستمع اليك قال هم
المنافقون وكان يقال الناس ثلاثة سامع فعامل وسامع فغافل وسامع فتارك حدثنا أبو كريب
قال ثنا يحيى بن آدم قال ثنا شريك عن عثمان أبى اليقظان عن يحيى بن الجزار أو سعيد بن
جبير عن ابن عباس فى قوله حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا قال
ابن عباس أنا منهم وقد سئلت فيمن سئل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد

فى

بالتوفيق والتثبيت وشرح الصدر
ونور اليقين (وآتاهم تقواهم) أعانهم
عليها أو أعطاهم جزاء تقواهم وعن
السدى بين لهم ما يتقون وقيل
الضمير فى زادهم للاستهزاء أو لقول
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خوف
أهل الكفر والنفاق باقتراب القيامة
وقوله (أن تأتيهم) بدل اشتمال من
الساعة وأشراط الساعة أماراتها من
انشقاق القمر وغيره ومنه مبعث محمد
صلى الله عليه وسلم فانه نبى آخر
الزمان ولهذا قال بعثت أنا والساعة
كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى
(فأنى لهم) من أين لهم (اذا جاءتهم)
الساعة (ذكراهم) أى لا ينفعهم
تذكرهم وايمانهم حينئذ فالذكرى
مبتدأ وأنى لهم الخبر وقيل فاعل
جاءتهم ضمير يعود الى الذكرى وجوز
أن يرتفع الذكرى بالفعل والمبتدأ
مقدر أى من أين لهم التذكر اذا
جاءتهم الذكرى والقول هو الاول
ولله المرجع والمآب واليه المصير
{فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله
يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين
آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت
سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت
الذين فى قلوبهم مرض ينظرون
اليك نظر المغشى عليه من الموت
فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا
عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا
لهم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا
فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك
الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى
أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم
على قلوب أقفالها ان الذين ارتدوا
على أدبارهم من بعد ما تبين لهم
الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم

في قوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك الى آخر الآية قال هؤلاء المنافقون والذين أوتوا العلم الصحابة رضي الله عنهم وقوله أولئك الذين طبع الله على قلوبهم يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يهتدون للحق الذي بعث الله به رسوله عليه السلام واتبعوا أهواءهم يقول ورفضوا أمر الله واتبعوا ما دعتهم اليه أنفسهم فهم لا يرجعون مما هم عليه الى حقيقة ولا برهان وسوّى جل ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين في أن جميعهم انما يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله الذي ابتعث به محمدا صلى الله عليه وسلم أهواءهم فقال في هؤلاء المنافقين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم وقال في أهل الكفر به من أهل الشرك كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين وفقهم الله لاتباع الحق وشرح صدورهم للايمان به وبرسوله من الذين استمعوا اليك يا محمد فان ما تلوته عليهم وسمعوه منك زادهم هدى يقول زادهم الله بذلك ايمانا الى ايمانهم وبيانا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله الى البيان الذي كان عندهم وقد ذكر أن ذلك الذي تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فقال أهل النفاق منهم لأهل الايمان ماذا قال آنفا وزاد الله أهل الهدى منهم هدى كان بعض ما أنزل الله من القرآن ينسخ بعض ما قد كان الحكم مضى به قبل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم قال لما أنزل الله القرآن آمنوا به فكان هدى فلما تبين الناسخ والمنسوخ زادهم هدى وقوله وآتاهم تقواهم يقول تعالى ذكره وأعطى الله هؤلاء المهتدين تقواهم وذلك استعماله اياهم تقواهم اياه وقوله فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها يقول تعالى ذكره فهل ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها والمعنى هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا أن تأتيهم بغتة وأن من قوله الا أن في موضع نصب بالرد على الساعة وعلى فتح الألف من أن تأتيهم ونصب تأتيهم بها قراءة أهل الكوفة وقد حدثت عن الفراء قال حدثني أبو جعفر الرواسي قال قلت لأبي عمرو بن العلاء ما هذه الفاء التي في قوله فقد جاء أشراطها قال جواب الجزاء قال قلت انها أن تأتيهم قال فقال معاذ الله انما هي ان تأتهم قال الفراء فظننت أنه أخذها عن أهل مكة لانه عليهم قرأ قال الفراء وهي أيضا في بعض مصاحف الكوفيين بسنة واحدة تأتهم ولم يقرأ بها أحد منهم وتأويل الكلام على قراءة من قرأ ذلك بكسر الف ان وجزم تأتهم فهل ينظرون الا الساعة فيجعل الخبر عن انتظار هؤلاء الكفار الساعة متناهيا عند قوله الا الساعة ثم يبتدأ الكلام فيقال ان تأتهم الساعة بغتة فقد جاء أشراطها فتكون الفاء من قوله فقد جاء بجواب الجزاء وقوله فقد جاء أشراطها يقول فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدماتها وواحد الأشراط شرط كما قال جرير

ترى شرط المعزى مهور نسائهم * وفي شرط المعزى لهن مهور

ويروى ترى قزم المعزى يقال منه أشرط فلان نفسه اذا علمها بعلامة كما قال أوس بن حجر

فأشرط فيها نفسه وهو معصم * وألقى بأسباب له وتوكلا

ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ۞ القراآت وتقطعوا بالتخفيف من القطع سهل ويعقوب الآخرون بالتشديد من التقطيع وأملي لهم مبنيا للمفعول ماضيا أبو عمرو ويعقوب وأملي مضارعا مبنيا للفاعل سهل ورويس الباقون ماضيا مبنيا للفاعل اسرارهم بكسر الهمز على المصدر حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فقد جاء أشراطها يعني أشراط الساعة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة قد دنت الساعة ودنا من الله فراغ للعباد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فقد جاء أشراطها قال أشراطها آياتها وقوله فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يقول تعالى ذكره فمن أي وجه لهؤلاء المكذبين بآيات الله ذكرى ما قد ضيعوا وفرطوا فيه من طاعة الله اذا جاءتهم الساعة يقول ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والندم لأنه وقت مجازاة لا وقت استعتاب ولا استعمال * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يقول اذا جاءتهم الساعة أنى لهم أن يتذكروا ويعرفوا ويعقلوا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم قال أنى لهم أن يتذكروا أو يتوبوا اذا جاءتهم الساعة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم قال الساعة لا ينفعهم عند الساعة ذكراهم والذكرى في موضع رفع بقوله فأنى لهم لان تأويل الكلام فأنى لهم ذكراهم اذا جاءتهم الساعة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الالوهة ويجوز لك وللخلق عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق ومالك كل شئ يدين له بالربوبية كل ما دونه واستغفر لذنبك وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها وذنوب أهل الايمان بك من الرجال والنساء والله يعلم متقلبكم ومثواكم يقول فان الله يعلم متصرفكم فيما تتصرفون فيه في يقظتكم من الاعمال ومثواكم اذا ثويتم في مضاجعكم للنوم ليلا لا يخفى عليه شئ من ذلك وهو مجازيكم على جميع ذلك وقد حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا ابراهيم بن سليمن عن عاصم الأحول عن عبد الله بن سرجس قال أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت غفر الله لك يا رسول الله فقال رجل من القوم أستغفر لك يا رسول الله قال نعم ولك ثم قرأ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم﴾ يقول تعالى ذكره ويقول الذين صدقوا الله ورسوله هلا نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار فاذا أنزلت سورة محكمة يعني أنها محكمة بالبيان والفرائض وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله فاذا أنزلت سورة محدثة وقوله وذكر فيها القتال يقول وذكر فيها الأمر بقتال المشركين وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال قال كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وذكر فيها القتال قال كل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة وقوله رأيت الذين في قلوبهم مرض يقول رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله وضعف ينظرون اليك يا محمد نظر المغشى عليه من الموت خوفا أن تغزيهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين فهم خوفا من ذلك وتجبنا عن لقاء العدو ينظرون اليك

وليبلونكم حتى يعلم ويبلو بالياآت أبو بكر وحماد الآخرون بالنون في الكل وقرأ يعقوب ونبلو بالنون مرفوعا السلم بكسر السين حمزة وخلف وأبو بكر وحماد ۞ الوقوف والمؤمنات ط ومثواكم ه نزلت سورة ج للشرط مع الفاء القتال لا الموت ط للابتداء بالدعاء عليهم لهم ه ج لاحتمال أن يكون الأولى بمعنى الأقرب كما يجيء معروف قف الامر ز لاحتمال أن التقدير فاذا عزم الأمر كذبوا وخالفوا خيرا لهم ه ج لابتداء الاستفهام مع الفاء أرحامكم ه أبصارهم ه أقفالها ه الهدى لا لأن الجملة بعده خبر ان سول لهم ط لأن فاعل وأملى ضمير اسم الله ويجوز الوصل على جعله حالا أي وقد أملى أو على أن فاعله ضمير الشيطان من حيث أنه يمنيهم ويعدهم والوقف اجوز وأعزم والحال على قراءة وأملي بفتح الياء أجوز والوقف به جائز ومن سكن الياء فالوقف به أليق لأن المستقبل لا ينعطف على الماضي ومع ذلك لو جعل حالا على تقدير وانا أملي جاز لهم ه الامر ج لأن ما بعده يصلح استئنافا وحالا والوقف أجوز لان الله يعلم الاسرار في الاحوال كلها إسرارهم ه وأدبارهم ه اعمالهم ه أضغانهم ه بسيماهم ط للابتداء بما هو جواب القسم القول ط أعمالكم ه والصابرين ط لمن قرأ ونبلو بسكون الواو أي ونحن نبلو أخباركم ه الهدى لا لأن ما بعده خبر ان شيأ ط أعمالهم ه اعمالكم ه لهم ه الى السلم قف فقد قيل على أن قوله وانتم مبتدأ وجعله حالا

نظر المغشى عليه الذى قد صرع وانما عنى بقوله من الموت من خوف الموت وكان هذا فعل أهل النفاق كالذى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت قال هؤلاء المنافقون طبع الله على قلوبهم فلا يفقهون ما يقول النبى صلى الله عليه وسلم وقوله فأولى لهم يقول تعالى ذكره فأولى لهؤلاء الذين فى قلوبهم مرض وقوله فأولى لهم وعيد توعد الله به هؤلاء المنافقين كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فأولى لهم قال هذه وعيد فأولى لهم ثم انقطع الكلام فقال طاعة وقول معروف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأولى لهم قال وعيد كما تسمعون وقوله طاعة وقول معروف وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل هؤلاء المنافقين من قبل أن تنزل سورة محكمة ويذكر فيها القتال وأنهم اذا قيل لهم ان الله مفترض عليكم الجهاد قالوا سمع وطاعة فقال الله عز وجل لهم اذا أنزلت سورة وفرض القتال فيها عليهم فشق ذلك عليهم وكرهوه طاعة وقول معروف قبل وجوب الفرض عليكم فاذا عزم الأمر كرهتموه وشق عليكم وقوله طاعة وقول معروف مرفوع بمضمر وهو قولكم قبل نزول فرض القتال طاعة وقول معروف وروى عن ابن عباس باسناد غير مرتضى أنه قال قال الله تعالى فأولى لهم ثم قال للذين آمنوا منهم طاعة وقول معروف فعلى هذا القول تمام الوعيد فأولى ثم يستأنف بعد فيقال لهم طاعة وقول معروف فتكون الطاعة مرفوعة بقوله لهم وكان مجاهد يقول فى ذلك كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد طاعة وقول معروف قال أمر الله بذلك المنافقين وقوله فاذا عزم الأمر يقول فاذا وجب القتال وجاء أمر الله بفرض ذلك كرهتموه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاذا عزم الأمر قال اذا جد الأمر هكذا قال محمد بن عمرو فى حديثه عن أبى عاصم وقال الحرث فى حديثه عن الحسن يقول جد الأمر وقوله فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم يقول تعالى ذكره فلو صدقوا الله ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال بقولهم اذ قيل لهم ان الله سيأمركم بالقتال طاعة فوفوا له بذلك لكان خيرا لهم فى عاجل دنياهم وآجل معادهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا عزم الأمر يقول طواعية الله ورسوله وقول معروف عند حقائق الامور خير لهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة يقول طاعة الله وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف أنهم اذا نزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال نظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر المغشى عليه فهل عسيتم أيها القوم يقول فلعلكم ان توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه وفارقتم أحكام كتابه وأدبرتم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعما جاءكم به أن تفسدوا فى الأرض يقول أن تعصوا الله فى الأرض فتكفروا به وتسفكوا فيها الدماء وتقطعوا أرحامكم وتعودوا لما كنتم عليه فى جاهليتكم من التشتت والتفرق بعد ما قد جمعكم الله بالاسلام وألف به بين قلوبكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من

أولى الأعلون قف كذلك أعمالكم ه قف ولهو ط أموالكم ه أضغانكم ه سبيل الله ج لانقطاع النظم مع الفاء من يبخل ج لابتداء الشرط مع العطف عن نفسه ط الفقراء ه للشرط مع العطف غيركم لا للعطف أمثالكم ه ۞ التفسير لما ذكر حال الفريقين المؤمن والكافر من السعادة والشقاوة قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فاثبت على ما أنت عليه من التوحيد ومن هضم النفس باستغفار ذنبك او ذنوب أمتك أو المراد فاعلم خبرا يقينا على ما علمته نظرا واستدلالا أو أراد فاذكر لا اله الا الله والهاء فى أنه لله أو للأمر والشأن أو الاول اشارة الى أصول الحكمة النظرية والثانى الى اصول الحكمة العملية أمره بالحكمة العملية بعد الحكمة النظرية عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فتلا هذه الآية وذلك انه أمر بالعمل بعد العلم والفاآت فى هذه الآية وما تقدمها لعطف جملة على جملة بينهما اتصال وفى الآية نكتة وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم له أحوال ثلاث حال مع الله وهى توحيده وحال مع نفسه وهى طلب العصمة من الذنوب وأن يستر الله عليه جنس الآثام حتى لا يقع فيها وحال مع غيره وهى طلب ستر الذنوب عليهم بعد وقوعهم فيها أو أعم ويندرج فيها الشفاعة ثم قال (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) فقيل التقلب فى الأسفار والمثوى فى الحضر وقيل أراد منتشركم فى النهار ومستقركم بالليل وقيل الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة وقيل لكل متقلب مثوى

قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل عسيتم ان توليتم الآية يقول فهل عسيتم كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم قال فعلوا حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر وسليمن بن بلال قالا ثنا معاوية بن أبى المزرد المدينى عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خلق الله الخلق فلما فرغ منهم تعلقت الرحم بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال فما ترضين أن أقطع من قطعك وأصل من وصلك قالت نعم قال فذلك لك * قال سليمن فى حديثه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وقد تأوله بعضهم فهل عسيتم ان توليتم أمور الناس أن تفسدوا فى الارض بمعنى الولاية وأجمعت القراء غير نافع على فتح السين من عسيتم وكان نافع يكسرها عسيتم * والصواب عندنا قراءة ذلك بفتح السين لاجماع الحجة من القراء عليها وأنه لم يسمع فى الكلام عسى أخوك يقوم بكسر السين وفتح الياء ولو كان صوابا كسرها اذا اتصل بها مكنى جاءت بالكسر مع غير المكنى وفى اجماعهم على فتحها مع الاسم الظاهر الدليل الواضح على أنها كذلك مع المكنى وان التى تلى عسيتم مكسورة وهى حرف جزاء وأن التى مع تفسدوا فى موضع نصب بعسيتم وقوله أولئك الذين لعنهم الله يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين يفعلون هذا يعنى الذين يفسدون و يقطعون الأرحام الذين لعنهم الله فأبعدهم من رحمته فأصمهم يقول فسلبهم فهم ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله فى تنزيله وأعمى أبصارهم يقول وسلبهم عقولهم فلا يتبينون حجج الله ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم﴾ يقول تعالى ذكره أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التى يعظهم بها فى آى القرآن الذى أنزله على نبيه عليه السلام ويتفكرون فى حججه التى بينها لهم فى تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون أم على قلوب أقفالها يقول أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله فى كتابه من المواعظ والعبر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها اذا والله يجدون فى القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبره القوم فعقلوه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك حدثنا اسمعيل بن حفص الايلى قال ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ما من آدمى الا وله أربع أعين عينان فى رأسه لدنياه وما يصلحه من معيشته وعينان فى قلبه لدينه وما وعد الله من الغيب فاذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان فى قلبه واذا أراد الله به غير ذلك طمس عليهما فذلك قوله أم على قلوب أقفالها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ثور بن يزيد قال ثنا خالد بن معدان قال ما من الناس أحد الا وله أربع أعين عينان فى وجهه لمعيشته وعينان فى قلبه وما من أحد الا وله شيطان متبطن فقار ظهره عاطف عنقه على عنقه فاغر فاه الى ثمرة قلبه فاذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان فى قلبه ما وعد الله من الغيب فعمل به وهما غيب فعمل بالغيب واذا أراد الله بعبد شرا تركه ثم قرأ أم على قلوب أقفالها حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو عن ثور عن خالد بن معدان بنحوه الا أنه قال ترك

القلب

فيتقلب من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات ثم الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى الجنة أو النار والمقصود بيان كمال علمه بحال الخلائق فعليهم أن لا يهملوا دقائق الطاعة والخشية و يواظبوا على طلب المغفرة خوفا من التقصير فى العبودية ثم ذكر طرفا آخر من نصائح أهل النفاق ومن ينخرط فى سلكهم من ضعفة الاسلام وذلك أنهم كانوا يدعون الحرص على الجهاد و يقولون بألسنتهم (لولا نزلت) سورة فى باب القتال (فاذا أنزلت سورة محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل النسخ (وذكر فيها القتال) عن قتادة كل سورة ذكر فيها القتال فهى محكمة وهى أشدها على المنافقين قال أهل البرهان نزل بالتشديد أبلغ من أنزل فخص بهم ليكون أدل على حرصهم فيكون أبلغ فى باب التوبيخ قوله (فأولى لهم) كلمة تحذير اى وليك شر فاحذره هذه عبارة كثير من المفسرين وقال المبرد يقال للانسان اذا كاد يعطب ثم يفلت أولى لك أى قاربت العطب ثم نجوت وهو فى الفرقان على معنى التحذير وقال جار الله هو وعيد معناه فويل لهم والمراد الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه وقيل أراد طاعة وقول معروف أولى من الجزع عند الجهاد فلا يكون للوعيد وعلى هذا فلا وقف على لهم كما أشير اليه فى الوقوف واعترض عليه بأن الأفصح أن يستعمل وقتئذ بالباء لا مع اللام كما قال وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض والأصح أنه فعل متعد من الولى وهو القرب أى أولاه الله المكروه فاقتصر لكثرة الاستعمال و يحتمل أن يكون فعلى من آل يؤل

القلب على مافيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله عز وجل يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به وقوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى يقول الله عز وجل ان الذين رجعوا القهقرى على أعقابهم كفارا بالله من بعد ما تبين لهم الحق وقصد السبيل فعرفوا واضح الحجة ثم آثروا الضلال على الهدى عنادا لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى هم أعداء الله أهل الكتاب يعرفون بعث محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندهم ثم يكفرون به حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من بعد ما تبين لهم الهدى انهم يجدونه مكتوبا عندهم * وقال آخرون عنى بذلك أهل النفاق ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم الى قوله فأحبط أعمالهم هم أهل النفاق حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم الى اسرارهم هم أهل النفاق وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا أشبه منها بصفة أهل الكتاب وذلك أن الله عز وجل أخبر أن ردتهم كانت بقيلهم للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الامر ولو كانت من صفة أهل الكتاب لكان في وصفهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم انما ارتدوا من أجل قيلهم ما قالوا وقوله الشيطان سول لهم يقول تعالى ذكره الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة الشيطان سول لهم وأملى لهم يقول زين لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سول لهم يقول زين لهم وقوله وأملى لهم يقول ومد الله لهم في آجالهم ملاوة من الدهر ومعنى الكلام الشيطان سول لهم والله أملى لهم * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة وأملى لهم بفتح الألف منها بمعنى وأملى الله لهم وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة وأملي لهم على وجه ما لم يسم فاعله وقرأه مجاهد فيما ذكر عنه وأملي بضم الألف وارسال الياء على وجه الخبر من الله جل ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم * وأولى هذه القراآت بالصواب التي عليها عامة قراء الحجاز والكوفة من فتح الألف في ذلك لأنها القراءة المستفيضة في قرأة الامصار وان كان يجمعها مذهب تتقارب معانيها فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم اسرارهم﴾ يقول تعالى ذكره أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركهم والشيطان سول لهم فلم يوفقهم للهدى من أجل أنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين سنطيعكم في بعض الأمر الذي هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر فهؤلاء المنافقون والله يعلم اسرارهم يقول تعالى ذكره والله يعلم اسرار هذين الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق على خلاف أمر الله وأمر رسوله اذ يتسارون فيما بينهم بالكفر بالله ومعصية الرسول ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها * واختلفت القراء

أي يؤل أمرك الى شر فاحذره ثم حثهم على الامتثال بقوله (طاعة وقول معروف) أي طاعة الله وقول حسن أو ما عرف صحته خير من الجزع عند فرض الجهاد فهو مبتدأ محذوف الخبر أو أمرنا طاعة فيكون خبر مبتدا محذوف كما مر في سورة النور في قوله طاعة معروفة ويجوز أن يكون أمرا للمنافقين أي قولوا طاعة وقول معروف (فاذا عزم الأمر) أي جد وصار معزوما عليه وهو اسناد مجازي لأن العزم لأصحاب أمر القتال ثم التفت وخاطب كفار قريش بقوله (فهل عسيتم) هو من أفعال المقاربة وقد مر وجوه استعمالاته في البقرة في قوله وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم فنقل الكلام من الغيبة الى الخطاب ليكون أبلغ في التوبيخ ومعناه هل يتوقع منكم (ان توليتم) وأعرضتم عن الدين أو توليتم أمور الناس (أن تفسدوا في الارض) بالمعاصي والافتراق بعد الاجتماع على الاسلام (وتقطعوا أرحامكم) بالقتل والعقوق ووأد البنات وسائر ما كنتم عليه في الجاهلية من أنواع الافساد وفي سلوك طريقة الاستخبار المسمى في غير القرآن بتجاهل العارف امالة لهم الى طريق الانصاف وحث لهم على التدبر وترك العصبية والجدال فقد كانوا يقولون كيف يأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال والقتال افناء لذوي أرحامنا وأقاربنا فعرض الله سبحانه بأنهم ان ولوا أمور الناس أو أعرضوا عن هذا الدين لم يصدر عنهم الا القتل والنهب وسائر أبواب المفاسد كعادة أهل الجاهلية

في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة أسرارهم بفتح الألف من أسرارهم على وجه جماع سر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة اسرارهم بكسر الألف على أنه مصدر من أسررت اسرارا والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ يقول تعالى ذكره والله يعلم اسرار هؤلاء المنافقين فكيف لا يعلم حالهم اذا توفتهم الملائكة وهم يضربون وجوههم وأدبارهم يقول فحالهم أيضا لا يخفى عليه في ذلك الوقت و يعني بالأدبار الأعجاز وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى قبل وقوله ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله يقول تعالى ذكره تفعل الملائكة هذا الذي وصفت بهؤلاء المنافقين من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان وكرهوا رضوانه يقول وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به بعد ما افترضه عليهم وقوله فأحبط أعمالهم يقول فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه لأنها عملت في غير رضاه ولا محبته فبطلت ولم تنفع عاملها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾ يقول تعالى ذكره أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم شك في دينهم وضعف في يقينهم فهم حيارى في معرفة الحق أن لن يخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين فيبديه لهم ويظهره حتى يعرفوا نفاقهم وحيرتهم في دينهم ولو نشاء لأريناكهم يقول تعالى ذكره ولو نشاء يا محمد لعرفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم من قول القائل سأريك ما أصنع بمعنى سأعلمك وقوله فلعرفتهم بسيماهم يقول فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم ثم ان الله تعالى ذكره عرفه اياهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم الى آخر الآية قال هم أهل النفاق وقد عرفه اياهم في براءة فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره وقال قل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أم حسب الذين في قلوبهم مرض الآية هم أهل النفاق فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول فعرفه الله اياهم في سورة براءة فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا وقال قل لهم لن تنفروا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم قال هؤلاء المنافقون قال والذي أسروا من النفاق هو الكفر * قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم قال هؤلاء المنافقون قال وقد أراه الله اياهم وأمر بهم أن يخرجوا من المسجد قال فأبوا الا أن تمسكوا بلا اله الا الله فلما أبوا الا أن تمسكوا بلا اله الا الله حقنت دماؤهم ونكحوا ونوكحوا بها وقوله ولتعرفنهم في لحن القول يقول ولتعرفن هؤلاء المنافقين في معنى قولهم ونحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله في لحن القول قال قولهم والله يعلم أعمالكم لا يخفى عليه العامل منكم بطاعته والمخالف ذلك وهو مجازي جميعكم عليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم﴾

يقول

ثم صرح بما فعل الله بهم واستقر عليه حالهم فقال (أولئك الذين لعنهم الله) بعدهم عن رحمته ثم بين نتيجة اللعن قائلا (فأصمهم) أي عن قبول الحق بعد استماعه وهذا في الدنيا (وأعمى أبصارهم) أي في الآخرة أو عن رؤية الحق والنظر الى المصنوعات قال بعض العلماء انما لم يقل فأصم آذانهم لأن الاذن عبارة عن الشحمة المعلقة والسمع لا يتفاوت بوجودها وعدمها ولذلك يسمع مقطوع الاذن وأما الرؤية فتتعلق بالبصر نفسه فالتأكيد هناك انما يحصل بترك ذكر الاذن وههنا بذكر الابصار والله أعلم قال جار الله يجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وذلك أنهم كانوا يأنسون بالوحي فاذا أبطأ عليهم التمسوه فاذا نزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين يضجرون منها * سؤال لما أثبت لهم الصمم والعمى فكيف وبخهم بقوله أفلا يتدبرون القرآن وأجيب على مذهب أهل السنة بأن تكليف ما لا يطاق جائز ويمكن أن يقال لما أخبر عنهم بما أخبر حكى أنهم بين أمرين اما أن لا يتدبروا القرآن لأن الله أبعدهم عن الخير واما أن يتدبروا لكن لا يدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة قال جار الله انما نكرت القلوب لأنه أريد البعض وهو قلوب المنافقين أو أريد على قلوب قاسية مبهم أمرها وانما أضيفت الأقفال الى ضمير القلوب لأنه أريد الأقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر والعناد التي استغلقت فلا تنفتح ثم أخبر عن حال المنافقين أو اليهود الذين غيروا حالهم من بعد ما تبين لهم حقيقة الاسلام

يقول تعالى ذكره لأهل الايمان به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنبلونكم أيها المؤمنون بالقتل وجهاد أعداء الله حتى نعلم المجاهدين منكم يقول حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم وأهل الصبر على قتال أعدائه فيظهر ذلك لهم و يعرف ذوو البصائر منكم في دينه من ذوي الشك والحيرة فيه وأهل الايمان من أهل النفاق ونبلوا أخباركم فنعرف الصادق منكم من الكاذب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقوله ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونحو هذا قال أخبر الله سبحانه المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأمرهم بالصبر و بشرهم فقال و بشر الصابرين ثم أخبرهم أنه هكذا فعل بانبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم فقال مستهم البأساء والضراء وزلزلوا فالبأساء الفقر والضراء السقم وزلزلوا بالفتن وأذى الناس اياهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين قال نختبركم البلوى الاختبار وقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال لا يختبرون ولقد فتنا الذين من قبلهم الآية * واختلفت القراء في قراءة قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار بالنون نبلو ونعلم ونبلو على وجه الخبر من الله جل جلاله عن نفسه سوى عاصم فانه قرأ جميع ذلك بالياء والنون هي القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليها وان كان للاخرى وجه صحيح وقوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يقول تعالى ذكره ان الذين جحدوا توحيد الله وصدوا الناس عن دينه الذي ابتعث به رسله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى يقول وخالفوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فحاربوه وآذوه من بعد ما علموا أنه نبي مبعوث ورسول مرسل وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته وأنه لله رسول وقوله لن يضروا الله شيأ لأن الله بالغ أمره وناصر رسوله ومظهره على من عاداه وخالفه وسيحبط أعمالهم يقول وسيذهب أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلا ينفعهم بها في الدنيا ولا الآخرة و يبطلها الا مما يضرهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في أمرهما ونهيهما ولا تبطلوا أعمالكم يقول ولا تبطلوا بمعصيتكم اياهما وكفركم بربكم ثواب أعمالكم فان الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم الآية من استطاع منكم أن لا يبطل عملا صالحا عمله بعمل سيء فليفعل ولا قوة الا بالله فان الخير ينسخ الشر وان الشر ينسخ الخير وان ملاك الاعمال خواتيمها وقوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار يقول تعالى ذكره ان الذين أنكروا توحيد الله وصدوا من أراد الايمان بالله و برسوله عن ذلك ففتنوهم عنه وحالوا بينهم و بين ما أرادوا من ذلك ثم ماتوا وهم كفار يقول ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم فلن يغفر الله لهم يقول فلن يعفو الله عما صنع من ذلك ولكنه يعاقبه عليه و يفضحه به على رؤس الأشهاد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴾ يقول تعالى ذكره فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين وتجبنوا عن قتالهم كما حدثني

أو نعت محمد في التوراة فقال (ان الذين ارتدوا) الآية (ذلك) الاملاء أو الاضلال أو الارتداد بسبب انهم قالوا للذين كرهوا اى قال اليهود للمنافقين أو قال المنافقون ليهود قريظة والنضير أو قاله اليهود أو المنافقون للمشركين (سنطيعكم في بعض الأمر) الذي يهمكم كالتظافر على عداوة محمد والقعود عن الجهاد معه أو في بعض ما تأمرون به وهو ما يتعلق بتكذيب محمد لا في اظهار الشرك واتخاذ الأصنام وانكار المعاد (والله يعلم أسرارهم) فلذلك أفشى الذي قالوه سرا فيما بينهم وسيجازيهم على حسب ذلك يدل عليه قوله (فكيف) يعملون وما حيلتهم حين توفتهم ملائكة الموت (يضربون وجوههم وأدبارهم) التي كانوا يتقون أن يصيبها آفة في القتال أو يضربون وجوههم عند الموت وأدبارهم عند السوق الى النار وقيل يضربون وجوههم عند الطلب وأدبارهم حين الهرب (ذلك) الاذلال والاهانة (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) كأنهم ضربوا وجوههم لأنهم أقبلوا على مواجب السخط وضربوا أدبارهم لانهم اعرضوا عما فيه رضا الله وقد يخص السخط بكتمان نعت الرسول ومعاونة أهل الشرك والرضا بالايمان به والنصرة للمؤمنين وانما قال ما أسخط الله ولم يقل ما أرضى الله لأن رحمته سبقت غضبه فالرضا كالأمر الحاصل والاسخاط كالأمر المترتب على شئ ثم زاد في تعيير المنافقين بقوله (أم حسب) وهي منقطعة والضغن اضمار سوء يتربص به امكان الفرصة واخراج الاضغان ابرازها للرسول

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا تهنوا قال لا تضعفوا حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تهنوا لا تضعف أنت وقوله وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون
يقول لا تضعفوا عنهم وتدعوهم الى الصلح والمسالمة وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم والله معكم
يقول والله معكم بالنصر لكم عليهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا
في معنى قوله وأنتم الأعلون فقال بعضهم معناه وأنتم أولى بالله منهم وقال بعضهم مثل الذي قلنا
فيه ذكر من قال ذلك وقال معنى قوله وأنتم الأعلون أنتم أولى بالله منهم حدثني أحمد بن المقدام
قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي يحدث عن قتادة في قوله فلا تهنوا وتدعوا الى السلم قال أي
لا تكونوا أولى الطائفتين تصرع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
فلا تهنوا وتدعوا الى السلم قال لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتها ودعتها الى الموادعة
وأنتم أولى بالله منهم والله معكم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة
فلا تهنوا وتدعوا الى السلم قال لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت الى صاحبتها وأنتم الأعلون
قال يقول وأنتم أولى بالله منهم * ذكر من قال معنى قوله وأنتم الأعلون أنتم الغالبون الأعز منهم
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأنتم الأعلون قال الغالبون
مثل يوم أحد تكون عليهم الدائرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا
تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون قال هذا منسوخ قال نسخه القتال والجهاد يقول لا تضعف
أنت وتدعوهم أنت الى السلم وأنت الأعلى قال وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين
المشركين قبل أن يكون القتال يقول لا تهن فتضعف فيرى أنك تدعوه الى السلم وأنت فوقه وأعز منه
وأنتم الأعلون أنتم أعز منهم ثم جاء القتال بعد فنسخ هذا أجمع فأمره بجهادهم والغلظة عليهم وقد قيل
عنى بقوله وأنتم الأعلون وأنتم الغالبون آخر الامر وان غلبوكم في بعض الأوقات وقهروكم في بعض
الحروب وقوله فلا تهنوا اجزم بالنهي وفي قوله وتدعوا وجهان أحدهما الجزم على العطف على
تهنوا فيكون معنى الكلام فلا تهنوا ولا تدعوا الى السلم والآخر النصب على الصرف وقوله ولن
يتركم أعمالكم يقول ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينتقصكم ثوابها من قولهم وترت الرجل اذا قتلت له
قتيلا فأخذت له مالا غصبا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولن
يتركم أعمالكم يقول لن يظلمكم أجور أعمالكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله
ولن يتركم أعمالكم قال لن ينقصكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولن يتركم
أعمالكم أي لن يظلمكم أعمالكم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولن يتركم أعمالكم قال لن يظلمكم أعمالكم
ذلك يتركم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول
في قوله ولن يتركم أعمالكم قال لن يظلمكم أعمالكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (إنما الحياة الدنيا
لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج

أضغانكم

صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين كما قال
(ولو نشاء لأريناكهم) أي لو شئنا
أريناك أماراتهم (فلعرفتهم) كررت
لام جواب لو في المعطوف لاجل
المبالغة (بسيماهم) بعلامتهم عن أنس
أنه ما خفي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من
المنافقين ولقد كنا في بعض الغزوات
وفيها تسعة منهم يشكوهم الناس
فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى
جبهة كل واحد منهم مكتوب
هذا منافق ومعنى لحن القول نحوه
وأسلوبه وفحواه أي يقولون ما معناه
النفاق كقولهم لئن رجعنا الى المدينة
ان بيوتنا عورة أو لتعرفنهم في فحوى
كلام الله حيث قال ما يعلم منه حال
المنافقين كقوله ومن الناس من
يقول ومنهم من عاهد الله وحقيقة
اللحن ذهاب الكلام الى خلاف
جهته وقيل اللحن أن تميل كلامك الى
نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك
كالتعريض والتورية قال

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا *
واللحن يعرفه ذوو الالباب

ويقال للمخطئ لاحن لأنه يعدل
بالكلام عن الصواب وقال الكلبي لحن
القول كذبه ولم يتكلم بعد نزولها منافق
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا عرفه وعن ابن عباس هو قولهم
ما لنا ان أطعنا من الثواب ولا يقولون
ما علينا ان عصينا من العقاب (والله
يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها
واخلاصها من نفاقها (ولنبلونكم) أي
لنأمرنكم بما لا يكون متعينا للوقوع
بل يحتمل الوقوع واللاوقوع كما
يفعل المختبر حتى يظهر المجاهد
والصابر من المنافق والمضطرب
(ونبلو أخباركم) التي تحكى عنكم

أضغانكم﴾ يقول تعالى ذكره حاضا عباده المؤمنين على جهاد أعدائه والنفقة فى سبيله وبذل مهجتهم فى قتال أهل الكفر به قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر ولا تدعكم الرغبة فى الحياة الى ترك قتالهم فانما الحياة الدنيا لعب ولهو الا ما كان منها لله من عمل فى سبيله وطلب رضاه فأما ما عدا ذلك فانما هو لعب ولهو يضمحل فيذهب ويندرس فيمر أو اثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم يقول وان تعملوا فى هذه الدنيا التى ما كان فيها مما هو لها فلعب ولهو فتؤمنوا به وتتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وهو الذى يبقى لكم منها ولا يبطل بطول اللهو واللعب ثم يؤتكم ربكم عليه أجوركم فيعوضكم منه ما هو خير لكم منه يوم فقركم وحاجتكم الى أعمالكم ولا يسألكم أموالكم يقول ولا يسألكم ربكم أموالكم ولكنه يكلفكم توحيده وخلع ما سواه من الأنداد وافراد الالوهة والطاعة له ان يسألكموها يقول جل ثناؤه ان يسألكم ربكم أموالكم فيحفكم يقول فيجهدكم بالمسألة ويلح عليكم بطلبها منكم فيلحف تبخلوا يقول تبخلوا بها وتمنعوها اياه ضنا منكم بها ولكنه علم ذلك منكم ومن ضيق أنفسكم فلم يسألكموها وقوله ويخرج أضغانكم يقول ويخرج جل ثناؤه لو سألكم أموالكم بمسألته ذلك منكم أضغانكم قال قد علم الله أن فى مسألته المال خروج الاضغان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيحفكم تبخلوا قال الاحفاء أن تأخذ كل شئ (١) بيديك ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين ها أنتم أيها الناس هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله يقول تدعون الى النفقة فى جهاد أعداء الله ونصرة دينه فمنكم من يبخل بالنفقة فيه وأدخلت ها فى موضعين لأن العرب اذا أرادت التقريب جعلت المكنى بين ها وبين ذا فقالت ها أنت ذا قائما لأن التقريب جواب الكلام فربما أعادت ها مع ذا وربما اجتزأت بالاولى وقد حذفت الثانية ولا يقدمون أنتم قبل ها لان ها جواب فلا تقرب بها بعد الكلمة * وقال بعض نحويى البصرة جعل التنبيه فى موضعين للتوكيد وقوله ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه يقول تعالى ذكره ومن يبخل بالنفقة فى سبيل الله فانما يبخل عن بخل نفسه لان نفسه لو كانت جوادا لم تبخل بالنفقة فى سبيل الله ولكن كانت تجود بها والله الغنى وأنتم الفقراء يقول تعالى ذكره ولا حاجة لله أيها الناس الى أموالكم ولا نفقاتكم لانه الغنى عن خلقه والخلق الفقراء اليه وأنتم من خلقه فأنتم الفقراء اليه وانما حضكم على النفقة فى سبيله ليكسبكم بذلك الجزيل من ثوابه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء قال ليس بالله تعالى ذكره اليكم حاجة وأنتم أحوج اليه وقوله تعالى ذكره وان تتولوا يستبدل قوما غيركم يقول تعالى ذكره وان تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذى جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم فترتدوا راجعين عنه يستبدل قوما غيركم يقول يهلككم ثم يجئ بقوم آخرين غيركم بدلا منكم يصدقون به ويعملون بشرائعه ثم لا يكونوا أمثالكم يقول ثم لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة فى سبيل الله ولا يضيعون شيأ من حدود دينهم ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تتولوا يستبدل قوما غيركم يقول ان توليتم عن كتابى وطاعتى أستبدل قوما غيركم قادر والله ربنا على ذلك على أن يهلكهم ويأتى من بعدهم من هو خير منهم حدثنا ابن

كقولكم آمنا بالله وباليوم الآخر أو عهودكم كقوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار أو أسراركم أو ما ستفعلونه أو أخباركم الاراجيف كقوله والمرجفون فى المدينة عن الفضل أنه كان اذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا ثم أنزل فى اليهود من قريظة والنضير أو فى رؤساء قريش المطعمين يوم بدر (ان الذين كفروا) الآية وأعمالهم طاعاتهم فى زمن اليهودية ومكايدهم التى نصبوها فى عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم أو اطعامهم ثم أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله بالتوحيد والتصديق مع الاخلاص وأن لا يبطلوا احسانهم بالمعاصى والرياء وبالمن والاذى عن أبى العالية قال كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت الآية فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم وعن قتادة رضى الله عنه رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ ثم أراد أن يبين أن أعمال المكلف اذا بطلت فان فضل الله باق يغفر له ان شاء ما لم يمت على الكفر فقال (ان الذين كفروا) الآية قال مقاتل نزلت فى رجل سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن والده وقال انه كان محسنا فى كفره وعن الكلبى نزلت فى رؤساء أهل بدر (فلا تهنوا) لا تضعفوا ولا تجبنوا (وتدعوا الى السلم) أى ولا تدعوا الكفار الى الصلح ويجوز أن يكون منصوبا باضمار ان بعد الواو فى جواب النهى (وأنتم الأعلون) الغالبون المستولون عليهم

(١) لعله بيدنك وحرر

عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وان تتولوا يستبدل قوما غيركم قال ان تولوا عن طاعة الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم (٣) وذكر أنه عنى بقوله يستبدل قوما غيركم العجم من عجم فارس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بزيع البغدادي أبو سعيد قال ثنا اسحق بن منصور عن مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال لما نزلت وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم كان سلمان الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين ان تولينا استبدلوا بنا قال فضرب النبي صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان فقال من هذا وقومه والذي نفسي بيده لو أن الدين تعلق بالثريا لنالته رجال من أهل فارس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا فضرب على فخذ سلمان قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال ثنا عبد الله بن الوليد العدني قال ثنا مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية وسلمان الفارسي الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحك ركبته ركبته وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا يا رسول الله ومن الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا قال فضرب فخذ سلمان ثم قال هذا وقومه * وقال مجاهد في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يستبدل قوما غيركم من شاء * وقال آخرون هم أهل اليمن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عوف الطائي قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان بن عمرو قال ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير وشريح بن عبيد في قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قال أهل اليمن

آخر تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

﴿ تفسير سورة الفتح ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا﴾ يعني بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا يقول انا حكمنا لك يا محمد حكما يبين لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر لتشكر ربك وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم وفتحه ما فتح لك ولتسبحه وتستغفره فيغفر لك بفعالك ذلك ربك ما تقدم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح وما تأخر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته وانما اخترنا هذا القول في تأويل هذه الآية لدلالة قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا على صحته اذ أمره تعالى ذكره أن يسبح بحمد ربه

(والله معكم) بالنصرة والكلاءة (ولن يتركم أعمالكم) أي لن ينقصكم جزاء أعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو قريب أو سلبت ماله وأصله من الوتر وهو الفرد كأنك أفردته من قريبه أو ماله وفي الحديث من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وهو من فصيح الكلام ثم زادهم حثا على الجهاد بتحقير الدنيا في أعينهم وبأنه سبحانه انما يحثهم على الايمان والجهاد وسائر أبواب التقوى لتعود فائدتها عليهم كما قال خلقتكم لتربحوا على لا لأربح عليكم قوله (ولا يسألكم أموالكم) أي كل أموالكم ولكنه يقتصر منها على ربع العشر أو لا يسألكم أموالكم لنفسه ولكن لتكون زادا لكم في المعاد وقيل لا يسألكم أموالكم رسولي لنفسه وقيل انهم لا يملكون شيأ وان المال مال الله وهو المنعم باعطائه والقول هو الاول لقوله (ان يسألكموها فيحفكم) أي يجهدكم يبلغ الغاية فيها من أحفى شاربه استأصله كأنه جعله حافيا مما في ملكه أي عاريا (تبخلوا ويخرج) الاحفاء أو الله تعالى على طريق التسبب (أضغانكم) أي تضطغنون على الرسول وتظهرون كراهة هذا الدين ثم بين أنه كيف يأمركم باخراج كل المال وقد دعاكم الى انفاق البعض (فمنكم من يبخل) وها للتنبيه وكرر مع أولاء للتوكيد وأنتم أولاء جملة مستقلة أي أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) وهو الزكاة أو الغزو فمنكم ناس يبخلون به وقيل هؤلاء

اذا جاءه نصر الله وفتح مكة وأن يستغفره وأعلمه أنه تواب على من فعل ذلك ففي ذلك بيان واضح
أن قوله تعالى ذكره ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر انما هو خبر من الله جل ثناؤه نبيه عليه
السلام عن جزائه له على شكره له على النعمة التي أنعم بها عليه من اظهاره له ما فتح لأن جزاء الله تعالى
عباده على أعمالهم دون غيرها وبعد ففي صحة الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوم حتى ترم قدماه
فقيل له يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا
الدلالة الواضحة على أن الذي قلنا من ذلك هو الصحيح من القول وأن الله تبارك وتعالى انما وعد نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم غفران ذنوبه المتقدمة فتح ما فتح عليه وبعده على شكره له على نعمه التي
أنعمها عليه وكذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم اني لأستغفر الله وأتوب اليه في كل يوم مائة مرة
ولو كان القول في ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على غير الوجه
الذي ذكرنا لم يكن لامره اياه بالاستغفار بعد هذه الآية ولا لاستغفار نبي الله صلى الله عليه وسلم ربه
جل جلاله من ذنوبه بعدها معنى يعقل اذ الاستغفار معناه طلب العبد من ربه عز وجل غفران
ذنوبه فاذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته اياه غفرانها معنى لأنه من المحال أن يقال اللهم اغفر لي
ذنبا لم أعمله وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى ليغفر لك ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تأخر الى الوقت
الذي قال انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأما الفتح الذي وعد الله
جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم هذه العدة على شكره اياه عليه فانه فيما ذكر الهدنة التي جرت بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش بالحديبية وذكر أن هذه السورة أنزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه عن الحديبية بعد الهدنة التي جرت بينه وبين قومه * وبنحو
الذي قلنا في معنى قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن
عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال قضينا لك قضاء
مبينا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا والفتح القضاء
ذكر الرواية عمن قال هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي ذكرت
حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر انا فتحنا لك فتحا مبينا
قال الحديبية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال نحره
بالحديبية وحلقه حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا ابو بحر قال ثنا شعبة قال ثنا جامع
ابن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول لما أقبلنا من الحديبية
أعرسنا فنمنا فلم نستيقظ الا بالشمس قد طلعت فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم قال
فقلنا أيقظوه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افعلوا كما كنتم تفعلون فكذلك من نام
أو نسي قال وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدناها قد تعلق خطامها بشجرة فأتيته بها
فركب فبينا نحن نسير اذ أتاه الوحي قال وكان اذا أتاه اشتد عليه فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه
انا فتحنا لك فتحا مبينا حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي يحدث عن قتادة
عن أنس بن مالك قال لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا قال فنحن بين
الحزن والكآبة قال فأنزل الله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما أو كما شاء الله فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت
عليّ آية أحب الي من الدنيا جميعا حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد بن أبي عروبة

موصول صلته تدعون وهو مذهب الكوفيين وقد سلف في البقرة وآل عمران ثم قبح امر البخل بقوله (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) أي وباله على نفسه أو عن داعي ربه قال في الكشاف يقال بخلت عليه وعنه وفيه نظر لأن البخل عن النفس لا يصح بهذا التفسير نعم لو قال عن ماله كان تفسيره مطابقا ثم مدح نفسه بالغنى المطلق وبين بقوله (وأنتم الفقراء) أنه لا يأمر بالانفاق لحاجته ولكن لفقركم الى الثواب ثم هددهم بقوله (وان تتولوا) وهو معطوف على وان تؤمنوا ومعنى (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما سواكم راغبين فيما ترغبون عنه من الايمان والتقوى كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ومعنى ثم التراخي في الرتبة أي لا يكونون أشباهكم في حال توليكم وقيل في جميع الأحوال وعن الكلبي شرط في الاستبدال توليهم لكنهم لم يتولوا فلم يستبدل قوما وهم العرب أهل اليمن أو العجم قاله الحسن وعكرمة لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس والله تعالى أعلم

(سورة الفتح مدنية حروفها ألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون كلماتها خمسمائة وستون آياتها تسع وعشرون)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
(انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما

عن قتادة عن أنس بن مالك فى قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم
مرجعه من الحديبية وقد حيل بينهم وبين نسكهم فنحر الهدى بالحديبية وأصحابه مخالطو الكآبة
والحزن فقال لقد أنزلت علىّ آية أحب الىّ من الدنيا جميعا فقرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله عزيزا فقال أصحابه هنيأ لك يا رسول الله قد بين الله لنا ماذا يفعل بك
فماذا يفعل بنا فأنزل الله هذه الآية بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار
خالدين فيها الى قوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا همام
قال ثنا قتادة عن أنس قال أنزلت هذه الآية فذكر نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة عن أنس بنحوه غير أنه قال فى حديثه فقال رجل من القوم هنيأ لك مريأ يا رسول الله وقال
أيضا فبين الله ماذا يفعل بنبيه عليه السلام وماذا يفعل بهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور
عن معمر عن قتادة قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد نزلت علىّ آية أحب الىّ مما على الارض
ثم قرأها عليهم فقالوا هنيأ مريأ يا نبي الله قد بين الله تعالى ذكره لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا
فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار الى قوله فوزا عظيما حدثنا
ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا
مستقيما قالوا هنيأ مريأ لك يا رسول الله فماذا لنا فنزلت ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر
قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن أنس فى هذه الآية انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية
حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا ابو عوانة عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر
قال ما كنا نعد ٣ فتح مكة الا يوم الحديبية حدثنا أبو كريب قال ثنا يعلى بن عبيد عن عبد العزيز بن
سياه عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى وائل قال تكلم سهل بن حنيف يوم صفين فقال يا أيها الناس
اتهموا أنفسكم لقد رأيتنا يوم الحديبية يعنى الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين المشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ألسنا
على حق وهم على باطل أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قال ففيم نعطى الدنية فى ديننا
ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا ابن الخطاب انى رسول الله ولن يضيعنى أبدا قال فرجع وهو
متغيظ فلم يصبر حتى أتى أبا بكر فقال يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل أليس قتلانا فى الجنة
وقتلاهم فى النار قال بلى قال ففيم نعطى الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا ابن
الخطاب انه رسول الله لن يضيعه الله أبدا قال فنزلت سورة الفتح فأرسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى عمر فأقرأه اياها فقال يا رسول الله أوفتح هو قال نعم حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودى
قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال ما كنا نعد الفتح الا يوم
الحديبية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء قال تعدون أنتم الفتح
فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم خمس عشرة مائة والحديبية بئر حدثني موسى بن سهل الرملى ثنا محمد بن عيسى
قال ثنا مجمع بن يعقوب الانصارى قال سمعت أبى يحدث عن عمه عبد الرحمن بن يزيد عن عمه
مجمع بن جارية الانصارى وكان أحد القراء الذين قرؤا القرآن قال شهدنا الحديبية مع رسول الله

صلى

وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذى
أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود
السموات والارض وكان الله عليما
حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم
وكان ذلك عند الله فوزا عظيما
ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات الظانين
بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء
وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم
جهنم وساءت مصيرا ولله جنود
السموات والارض وكان الله عزيزا
حكيما انا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة
وأصيلا ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن
نكث فانما ينكث على نفسه ومن
أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه
أجرا عظيما سيقول لك المخلفون
من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا
فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس
فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله
شيأ ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا
بل كان الله بما تعملون خبيرا
بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين
ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء
وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله
ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا
ولله ملك السموات والارض يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله
غفورا رحيما سيقول المخلفون
اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا
نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله
قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل

صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الأباعر فقال بعض الناس لبعض ما للناس
قالوا أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله فقال رجل أوفتح
هو يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده انه لفتح قال فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل
معهم فيها أحد الا من شهد الحديبية وكان الجيش ألفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس فقسمها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهما فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما
حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا
بالحديبية وأصاب فى تلك الغزوة مالم يصبه فى غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وفرح
المؤمنون بتصديق النبى صلى الله عليه وسلم وبظهور الروم على فارس وقوله تعالى ويتم نعمته
عليك باظهاره اياك على عدوك ورفعه ذكرك فى الدنيا وغفرانه ذنوبك فى الآخرة ويهديك
صراطا مستقيما يقول ويرشدك طريقا من الدين لا اعوجاج فيه يستقيم بك الى رضا ربك
وينصرك الله نصرا عزيزا يقول وينصرك على سائر أعدائك ومن ناوأك نصرا لا يغلبه غالب
ولا يدفعه دافع للبأس الذى يؤيدك الله به والظفر الذى يمدك به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
{هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والارض
وكان الله عليما حكيما} يعنى جل ذكره بقوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين الله أنزل
السكون والطمأنينة فى قلوب المؤمنين بالله ورسوله الى الايمان والحق الذى بعثك الله به يا محمد
وقد مضى ذكر اختلاف أهل التأويل فى معنى السكينة قبل والصحيح من القول فى ذلك
بالشواهد المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقول ليزدادوا بتصديقهم
بما جدد الله من الفرائض التى ألزمهموها التى لم تكن لهم لازمة ايمانا مع ايمانهم يقول ليزدادوا الى
ايمانهم بالفرائض التى كانت لهم لازمة قبل ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
فى قوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين قال السكينة الرحمة ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال
ان الله جل ثناؤه بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما صدقوا بها زادهم
الصلاة فلما صدقوا بها زادهم الصيام فلما صدقوا به زادهم الزكاة فلما صدقوا بها زادهم الحج ثم
أكمل لهم دينهم فقال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى قال ابن عباس فأوثق ايمان
أهل الارض وأهل السموات وأصدقه وأكمله شهادة أن لا اله الا الله وقوله ولله جنود السموات
والارض يقول تعالى ذكره ولله جنود السموات والارض أنصار ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه
وكان الله عليما حكيما يقول تعالى ذكره ولم يزل الله ذا علم بما هو كائن قبل كونه وما خلقه عاملوه
حكيما فى تدبيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من
تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما} يقول تعالى ذكره
انا فتحنا لك فتحا مبينا لتشكر ربك وتحمده على ذلك فيغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليحمد
ربهم المؤمنون بالله ويشكروه على انعامه عليهم بما أنعم به عليهم من الفتح الذى فتحه وقضاه بينهم
وبين أعدائهم من المشركين باظهاره اياهم عليهم فيدخلهم بذلك جنات تجرى من تحتها الانهار
ماكثين فيها الى غير نهاية وليكفر عنهم سيئ أعمالهم بالحسنات التى يعملونها شكرا منهم لربهم على
ماقضى لهم وأنعم عليهم به وكان ذلك عند الله فوزا عظيما يقول تعالى ذكره وكان ما وعدهم الله به

فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا
لا يفقهون الا قليلا قل للمخلفين من
الأعراب ستدعون الى قوم أولى
بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون
فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا
وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم
عذابا أليما ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على
المريض حرج ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجرى من تحتها
الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما
لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم
فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا
قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان
الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم
كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه
وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية
للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما
وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله
بها وكان الله على كل شئ قديرا ولو
قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار
ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله
التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا وهو الذى كف أيديهم
عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من
بعد أن أظفركم عليهم وكان الله
بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى
معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير
علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء
لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
عذابا أليما اذ جعل الذين كفروا
فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية
فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى

من هــذه العدة وذلك ادخالهم جنات تجرى من تحتها الأنهار وتكفيره سيآتهم بحسنات أعمـالهم التى يعملونها عنـد الله لهم فوزا عظيما يقول ظفرا منهـم بما كانوا تأملوه و يسعون له ونجاة مما كانوا يحـذرونه من عذاب الله عظيما وقد تقـدم ذكر الرواية أن هـذه الآية نزلت لمـا قال المؤمنـون لرسول الله صلى الله عليه وسـلم أوتلا عليهـم قول الله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر هذا لك يا رسول الله فما ذا لنا تبيينا من الله لهم ما هو فاعل بهم حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار الى قوله و يكفر عنهم سـيآتهم فأعلم الله سبحانه نبيه عليه السلام قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات على اللام من قوله ليغفر لك الله ما تقـدم من ذنبك بتأو يل تكرير الكلام انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله انا فتحنا لك ليـدخل المؤمنين والمؤمنـات جنات تجـرى من تحتهـا الأنهار ولذلك لم تدخل الواو والتى تدخل فى الكلام للعطف فلم يقـل وليدخل المؤمنين ۞ القول فى تأو يل قوله تعالى ﴿و يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عز يزا حكيما﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليـه وسـلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنـات تجرى من تحتهـا الانهار وليعـذب المنافقين والمنافقات بفتح الله لك يا محمد ما فتح لك من نصرك على مشركى قريش فيكبتوا لذلك و زنوا و يخيب رجاؤهم الذى كانوا يرجون من رؤيتهـم فى أهـل الايمـان بك من الضعف والوهن والتولى عنك فى عاجل الدنيا وصـلىّ النـار والخلود فيهـا فى آجل الآخرة والمشركين والمشركات يقول وليعـذب كذلك أيضا المشركين والمشركات الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهل الايمان بك على أعدائك ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به وذلك كان السوء من ظنونهـم التى ذكرها الله فى هذا الموضع يقول تعالى ذكره على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء يعنى دائرة العـذاب تدور عليهـم به واختلفت القـراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة دائرة السوء بفتح السـين وقرأ بعض قراء البصرة دائرة السوء بضم السين وكان الفراء يقول الفتح أفشى فى السـين قال وقلما تقول العرب دائرة السوء بضم السين والفتح فى السين أعجب الىّ من الضم لأن العرب تقول هو رجل سوء بفتح السين ولا تقول هو رجل سوء وقوله وغضب الله عليهم يقول ونالهم الله بغضب منه ولعنهم يقول وأبعـدهم فأقصاهم من رحمته وأعدّ لهم جهنم يقول وأعدّ لهم جهنم يصلونها يوم القيامة وساءت مصيرا يقول وساءت جهنم منزلا يصير اليـه هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات وقوله ولله جنود السـموات والارض يقول جل ثناؤه ولله جنود السموات والارض أنصارا على أعدائه ان أمرهم باهلا كهم أهلكوهم وسارعوا الى ذلك بالطاعة منهـم له وكان الله عز يزا حكيما يقول تعالى ذكره ولم يزل الله ذا عزة لا يغلبـه غالب ولا يمتنع عليـه ممـا أراده به ممتنع لعظم سلطانه وقدرته حكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأو يل قوله تعالى ﴿انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك يا محمد شاهدا على أمتك بمـا أجابوك فيما دعوتهم اليه مما أرسلتك به اليهـم من الرسالة ومبشرا لهم بالجنـة ان أجابوك الى ما دعوتهم اليه من الدين القيم ونذيرا لهم عذاب الله ان هم تولوا عما جئتهـم به من عند ربك ثم اختلفت القراء فى قراءة قوله لتؤمنوا بالله ورسـوله وتعزروه

وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتـدخلن المسجد الحرام ان شـاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعـل من دون ذلك فتحا قريبـا هو الذى أرسـل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيـدا محمد رسول الله والذين معه أشـداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهـم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحـات منهـم مغفرة وأجرا عظيما ۞ القراآت ليؤمنوا و يعزروه و يوقروه و يسبحوه بيـاء الغيبة ابن كثير وأبو عمرو وعليه الله بضم الهاء حفص فسنؤتيه بالنون أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الآخرون بالياء التحتانية والضمير لله سـبحانه شـغلتنا بالتشـديد قتيبة ضرا بالضم كلم الله على الجمع حمزة وعلى وخلف بل ظننتم بالادغام على وهشـام بل تحسدوننا مدغما حمزة وعلى وهشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما أبو جعفر ونافع وابن عامر بمـا يعملون بصيرا بياء الغيبة أبو عمرو الرؤيا بالامالة ابن عامر وعلى وهشام شطأه بفتح الطاء من غير مد ابن ذكوان والبزى والقواس البـاقون سـاكنة الطاء ۞ الوقوف مبينا ه لا مسـتقيما ه لا على احتمال الجواز ههنا التكرار اسم الله بالتصريح عزيزا ه ايمانهم ط

وتوقروه

وتوقروه وتسبحوه فقرأ جميع ذلك عامة قراء الأمصار خلا أبي جعفر المدني وأبي عمرو بن العلاء
بالتاء لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بمعنى لتؤمنوا بالله ورسوله أنتم أيها الناس وقرأ ذلك
أبو جعفر وأبو عمرو كله بالياء ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بمعنى انا أرسلناك شاهدا الى
الخلق ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه * والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان
معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا يقول شاهدا على أمته على أنه قد بلغهم ومبشرا بالجنة لمن أطاع الله ونذيرا من
النار وقوله وتعزروه وتوقروه اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم تجلوه وتعظموه
ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه
عن ابن عباس ويعزروه يعني الاجلال ويوقروه يعني التعظيم حدثت عن الحسين قال
سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ويعزروه ويوقروه كل هذا
تعظيم واجلال * وقال آخرون معنى قوله ويعزروه وينصروه ومعنى ويوقروه ويفخموه ذكر
من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويعزروه ينصروه ويوقروه
أمر الله بتسويده وتفخيمه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة
في قوله ويعزروه قال ينصروه ويوقروه أي ليعظموه حدثني أبو هريرة الضبعي قال ثنا
حرمي عن شعبة عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن عكرمة ويعزروه قال يقاتلون معه بالسيف
حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثني هشيم عن أبي بشر عن عكرمة مثله حدثني أحمد بن
الوليد قال ثنا عثمان بن عمر عن سعيد عن أبي بشر عن عكرمة بنحوه حدثنا ابن بشار قال
ثنا يحيى ومحمد بن جعفر قالا ثنا شعبة عن أبي بشر عن عكرمة مثله * وقال آخرون معنى
ذلك ويعظموه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
في قوله ويعزروه ويوقروه قال الطاعة لله وهذه الاقوال متقاربات المعنى وان اختلفت ألفاظ
أهلها بها ومعنى التعزير في هذا الموضع التقوية بالنصرة والمعونة ولا يكون ذلك الا بالطاعة والتعظيم
والاجلال وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فأما التوقير
فهو التعظيم والاجلال والتفخيم وقوله وتسبحوه بكرة وأصيلا يقول وتصلوا له يعني لله بالغدوات
والعشيات والهاء في قوله وتسبحوه من ذكر الله وحده دون الرسول وقد ذكر أن ذلك في بعض
القراآت ويسبحوا الله بكرة وأصيلا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويسبحوه بكرة وأصيلا في بعض
القراءة ويسبحوا الله بكرة وأصيلا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن
قتادة في بعض الحروف ويسبحوا الله بكرة وأصيلا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ
يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ويسبحوه بكرة وأصيلا يقول يسبحون الله
رجع الى نفسه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما﴾ يقول
تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك بالحديبية من أصحابك على أن لا يفروا
عند لقاء العدو ولا يولوهم الأدبار انما يبايعون الله يقول انما يبايعون ببيعتهم اياك الله لأن الله ضمن
لهم الجنة بوفائهم له بذلك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني

والارض ط حكيما ه لا لتعلق
اللام سيئاتهم ط عظيما ه لا
للعطف ظن السوء ط دائرة السوء
ج لعطف الجملتين المختلفتين
جهنم ط مصيرا ه والارض ط
حكيما ه ونذيرا ه لا وتوقروه ط
للفصل بين ضمير اسم الله وضمير
الرسول في المعطوفين فيمن لم يجعل
الضمائر كلها لله وأصيلا ه يبايعون
الله ط أيديهم ج ط للشرط مع
الفاء على نفسه ج للعطف مع
الشرط عظيما ه فاستغفر لنا ج
لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال
قلوبهم ط نفعا ط خبيرا ه بورا
ه سعيرا ه والارض ط من يشاء
ط رحيما ه نتبعكم ج لأن ما بعده
حال عامله سيقول أو مستأنف
كلام الله ط من قبل ج للسين
مع الفاء تحسدوننا ط قليلا ه
يسلمون ه حسنا ج أليما ه
المريض حرج ط لأن الواو
للاستئناف الانهار ج أليما ه
قريبا ه لا يأخذونها ط حكيما ه
عنكم ج لأن الواو مقحمة أو المعلل
محذوف والواو داخلة في الكلام
المعترض أو عاطفة على تقدير
ليستيقنوا ولتكون مستقيما ه لا
للعطف بها ج قديرا ه نصيرا ه
تبديلا ه عليهم ط بصيرا ه
محله ط بغير علم ج لحق المحذوف
أي قدر ذلك ليدخل من يشاء ج
لاحتمال أن جواب لولا محذوف
وأن يكون هذه مع جوابها جوابا
للاولى أليما ه وأهلها ط عليما ه
بالحق ج لحق حذف القسم آمنين
لا مقصرين لا لانها أحوال
متتابعة لا تخافون ط لأن قوله فعلم
بيان حكم الصدق كالاعتذار

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال
ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان الذين يبايعونك قال يوم الحديبية حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله
فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه وهم الذين بايعوا يوم الحديبية وفى قوله يد الله فوق
أيديهم وجهان من التأويل أحدهما يد الله فوق أيديهم عند البيعة لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم
نبيه صلى الله عليه وسلم والآخر قوة الله فوق قوتهم فى نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم لانهم انما
بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرته على العدو وقوله فمن نكث فانما ينكث على
نفسه يقول تعالى ذكره فمن نكث بيعته اياك يا محمد ونقضها فلم ينصرك على أعدائك وخالف
ما وعد ربه فانما ينكث على نفسه يقول فانما ينقض بيعته لانه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله
الجنة بوفائه بالبيعة فلم يضر بنكثه غير نفسه ولم ينكث الا عليها فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه نكث الناكث منهم أو وفى ببيعته وقوله ومن أوفى بما
عاهد عليه الله الآية يقول تعالى ذكره ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدو فى سبيل
الله ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه فسيؤتيه أجرا عظيما يقول فسيعطيه الله ثوابا عظيما
وذلك أن يدخله الجنة جزاء له على وفائه بما عاهد عليه الله ووثق لرسوله على الصبر معه عند البأس
بالمؤكدة من الايمان * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسيؤتيه أجرا عظيما وهى الجنة ۞ القول فى
تأويل قوله تعالى ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون
بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان
الله بما تعملون خبيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم سيقول لك يا محمد الذين
خلفهم الله فى أهليهم عن صحبتك والخروج معك فى سفرك الذى سافرت ومسيرك الذى سرت
الى مكة معتمرا زائرا بيت الله الحرام اذا انصرفت اليهم فعاتبتهم على التخلف عنك شغلتنا عن
الخروج معك معالجة أموالنا واصلاح معايشنا وأهلونا فاستغفر لنا ربنا لتخلفنا عنك قال الله جل
ثناؤه مكذبهم فى قيلهم ذلك يقول هؤلاء الأعراب المخلفون عنك بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم وذلك
مسئلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم يقول يسألونه بغير توبة منهم ولا ندم على
ما سلف منهم من معصية الله فى تخلفهم عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسير معه قل
فمن يملك لكم من الله شيئا يقول تعالى ذكره لنبيه قل لهؤلاء الأعراب الذين يسألونك أن تستغفر لهم
لتخلفهم عنك ان أنا استغفرت لكم أيها القوم ثم أراد الله هلاككم أو هلاك أموالكم وأهليكم أو أراد
بكم نفعا بتثميره أموالكم واصلاحه لكم أهليكم فمن ذا الذى يقدر على دفع ما أراد الله بكم من خير
أو شر والله لا يعازه أحد ولا يغالبه غالب وقوله بل كان الله بما تعملون خبيرا يقول تعالى ذكره ما
الأمر كما يظن هؤلاء المنافقون من الأعراب أن الله لا يعلم ما هم عليهم منطوون من النفاق بل
لم يزل الله بما يعملون من خير وشر خبيرا لا يخفى عليه شئ من أعمال خلقه سرها وعلانيتها وهو
محصيها عليهم حتى يجازيهم بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه حين أراد المسير الى
مكة عام الحديبية معتمرا استنفر العرب ومن حول مدينته من أهل البوادى والأعراب ليخرجوا
معه حذرا من قومه قريش أن يعرضوا له الحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله
عليه وسلم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الأعراب

فلا ينعطف على قوله صدق الله
قريبا ه كله ط شهيدا ه رسول
الله ج لان ما بعده مستأنف
ورضوانا ز لان سيماهم مبتدأ غير
أن الجملة من حد الاولى فى كون
الكل خبر والذين السجود ط
الانجيل ج لاحتمال أن التقدير هم
كزرع الكفار ط عظيما ه
۞ التفسير الفتح فى باب الجهاد
هو الظفر بالبلد بصلح أو حرب لانه
منغلق ما لم يظفر به والجمهور على
أن المراد به ما جرى يوم الحديبية
عن أنس قال لما رجعنا عن
الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا
فنحن بين الحزن والكآبة أنزل الله
انا فتحنا فقال صلى الله عليه وسلم لقد
أنزل على آية هى أحب الى من
الدنيا كلها والحديبية بئر سمى
المكان بها وكان قد غاض ماؤها
فتمضمض فيها النبى صلى الله
عليه وسلم فجاء بالماء حتى عمهم
وعن ابن شهاب لم يكن فى الاسلام
فتح أعظم من فتح الحديبية وضعت
الحرب وأمن الناس وقال الشعبى
أصاب النبى صلى الله عليه وسلم فى
تلك الغزوة ما لم يصب فى غيرها
بويع فيها بيعة الرضوان تحت
الشجرة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وظهرت الروم على فارس
وكان صلى الله عليه وسلم وعد به
فصح صدقه وأطعم نخل خيبر
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد هجرته الى المدينة أحب
أن يزور بيت الله الحرام بمكة فخرج
قاصدا نحوه فى سنة ست من الهجرة
وخرج معه أولو البصيرة وتخلف
من كان فى قلبه مرض ظنا منه
أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون

وتخلفوا خلافه فهم الذين عنى الله تبارك وتعالى بقوله سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا الآية وكالذى قلنا فى ذلك قال أهل العلم بسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه منهم ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بذلك حدثنا محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا قال أعراب المدينة جهينة ومزينة استتبعهم لخروجه الى مكة قالوا نذهب معه الى قوم قد جاؤه فقتلوا أصحابه فنقاتلهم فاعتلوا بالشغل واختلفت القراء فى قراءة قوله ان أراد بكم ضرا فقرأته قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة ضرا بفتح الضاد بمعنى الضر الذى هو خلاف النفع وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ضرا بضم الضاد بمعنى البؤس والسقم وأعجب القراءتين الى الفتح فى الضاد فى هذا الموضع بقوله أو أراد بكم نفعا فمعلوم أن خلاف النفع الضر وان كانت الاخرى صحيحا معناها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من سفره اليهم بقولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا ما تخلفتم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شخص عنكم وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم بل تخلفتم بعده فى منازلكم ظنا منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه سيهلكون فلا يرجعون اليكم أبدا باستئصال العدو اياهم وزين ذلك فى قلوبكم وحسن الشيطان ذلك فى قلوبكم وصححه عندكم حتى حسن عندكم التخلف عنه فقعدتم عن صحبته وظننتم ظن السوء يقول وظننتم أن الله لن ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين على أعدائهم وأن العدو سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سيقول لك المخلفون من الأعراب الى قوله وكنتم قوما بورا قال ظنوا بنبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم لن يرجعوا من وجههم ذلك وأنهم سيهلكون فذلك الذى خلفهم عن نبى الله صلى الله عليه وسلم وقوله وكنتم قوما بورا يقول وكنتم قوما هلكى لا يصلحون لشئ من الخير وقيل ان البور فى لغة أذرعات الفاسد فأما عند العرب فانه لا شئ ومنه قول أبى الدرداء فأصبح ما جمعوا بورا أى ذاهبا قد صار باطلا لا شئ منه ومنه قول حسان بن ثابت

لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد * يهدى الاله سبيل المعشر البور

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكنتم قوما بورا قال فاسدين وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكنتم قوما بورا قال البور الذى ليس فيه من الخير شئ حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وكنتم قوما بورا قال هالكين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين من الأعراب ومن لم يؤمن أيها الأعراب بالله ورسوله منكم ومن غيركم فيصدقه على ما أخبر به ويقر بما جاء به من الحق من عند ربه فانا أعتدنا لهم جميعا سعيرا من النار تستعر عليهم فى جهنم اذا وردوها يوم

الى أهليهم أبدا واستصحب سبعين بدنة لينحرها بمكة ولما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأحرم بالعمرة لتعلم قريش أنه لم يأت لقتال وكانوا ألفا وثلثمائة أو أربعمائة أو خمسمائة فبايعوه الاجد بن قيس فانه اختبأ تحت ابطى ناقته فجاءه عروة بن مسعود لايقاع صلح فلما رأى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال أى محمد أرأيت ان استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله على أنى أرى وجوها وأسرابا خليقا أن يفروا ويدعوك فشتمه أبو بكر فلما عاد الى قريش قال لقد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشى وغيرهم من الملوك وما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم وما يحدون النظر اليه تفخيما وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها منه فلما اتفقوا على الصلح جاء سهيل بن عمرو المخزومى وتصالحوا على أن لا يدخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة سنته بل يعود فى القابل ويقيم ثلاثة أيام ثم ينصرف فلما كتب على بن أبى طالب رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل ما نعرف الرحمن الرحيم اكتب فى قضيتنا ما نعرف باسمك اللهم ولما كتب هذا ما صالح محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك اكتب محمد بن عبد الله فتنازع المسلمون

القيامة يقال من ذلك سعرت النار اذا أوقدتها فانا أسعرها سعرا و يقال سعرتها أيضا اذا حركتها وانما قيل للسعر مسعر لانه يحرك به النار ومنه قولهم انه لمسعر حرب يراد به موقدها ومهيجها وقوله ولله ملك السموات والأرض يقول تعالى ذكره ولله سلطان السموات والارض فلا أحد يقدر أيها المنافقون على دفعه عما أراد بكم من تعذيب على نفاقكم ان أصررتم عليه أو منعه من عفوه عنكم ان عفا ان أنتم تبتم من نفاقكم وكفركم وهذا من الله جل ثناؤه حث لهؤلاء الأعراب المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوبة والمراجعة الى أمر الله في طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم يقول لهم بادروا بالتوبة من تخلفكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يغفر للتائبين وكان الله غفورا رحيما يقول ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين اليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم سيقول يا محمد المخلفون في أهليهم عن صحبتك اذا سرت معتمرا تريد بيت الله الحرام اذا انطلقت أنت ومن صحبك في سفرك ذلك الى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة لتأخذوها وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر ذرونا نتبعكم الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها يريدون أن يبدلوا كلام الله يقول يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم ووعدهم ذلك عوضا من غنائم أهل مكة اذا انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيأ * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال رجع يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة فوعده الله مغانم كثيرة فعجلت له خيبر فقال المخلفون ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله وهي المغانم ليأخذوها التي قال الله جل ثناؤه اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها وعرض عليهم قتال قوم أولي بأس شديد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن رجل من أصحابه عن مقسم قال لما وعدهم الله أن يفتح عليهم خيبر وكان الله قد وعدها من شهد الحديبية لم يعط أحدا غيرهم منها شيأ فلما علم المنافقون أنها الغنيمة قالوا ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله يقول ما وعدهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيقول المخلفون اذا انطلقتم الآية وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ذكر لنا أن المشركين لما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية عن المسجد الحرام والهدى قال المقداد يا نبي الله إنا والله لا نقول كالملا من بني اسرائيل اذ قالوا لنبيهم اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فلما سمع ذلك أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم تبايعوا على ما قال فلما رأى ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم صالح قريشا و رجع من عامه ذلك * وقال آخرون بل عني بقوله يريدون أن يبدلوا كلام الله ارادتهم الخروج مع نبي الله صلى الله عليه وسلم في غزوه وقد قال الله تبارك وتعالى فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم الآية قال الله عز وجل حين رجع من غزوه فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا

وقريش في ذلك وكادوا يتواثبون فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالاجابة فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجا أو معتمرا أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة مجتازا الى مصر والشام أو يبتغي من فضل الله فهو على دمه وأهله آمن وعلى أنه من جاء محمدا من قريش فهو اليهم رد ومن جاءهم من أصحاب محمد فهو لهم فاشتد ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه اليهم فان علم الله منه الاسلام جعل له مخرجا فلما فرغوا من الهدنة نحر النبي صلى الله عليه وسلم وحلق وفعل أصحابه ذلك فنزل عليه في طريقه في هذا الشأن انا فتحنا لك فتحا مبينا يريد ما كان من أمر الحديبية والفتح قد يكون بالصلح وقيل كان هذا الفتح عن ترام بالحجارة ولم يكن قتال شديد وقيل المراد به فتح مكة وعده الله ذلك بلفظ الماضي على عادة اخبار الله وقال ابن عيسى الفتح الفرج المزيل للهم ومنه فتح المسئلة اذا انفرجت عن بيان يؤدي الى الثقة وقيل وهو قول قتادة الفتح القضاء والحكم والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة أي حكمنا لك بهذه المهادنة وأرشدناك الى الاسلام ليغفر لك الله قال أهل النظم لأول هذه السورة مناسبة تامة مع آخر السورة المتقدمة وذلك أنه قال ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا الى آخره فبين بعد ذلك أنه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم أضعاف ما أنفقوا

ولن تقاتلوا معى عدوّا الآية يريدون أن يبدلوا كلام الله أرادوا أن يغيروا كلام الله الذى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ويخرجوا معه وأبى الله ذلك عليهم ونبيه صلى الله عليه وسلم وهذا الذى قاله ابن زيد قول لا وجه له لأن قول الله عز وجل فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوّا انما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وعنى به الذين تخلفوا عنه حين توجه الى تبوك لغزو الروم ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة أيضا فكيف يجوز أن يكون الأمر على ماوصفنا معنيا بقول الله يريدون أن يبدّلوا كلام الله وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ شخص معتمرا يريد البيت فصدّه المشركون عن البيت الذين تخلفوا عنه فى غزوة تبوك وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية ولا كان أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوّا فاذ كان ذلك كذلك فالصواب من القول فى ذلك ماقاله مجاهد وقتادة على ماقد بينا * واختلفت القراء فى قراءة قوله يريدون أن يبدّلوا كلام الله فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة كلام الله على وجه المصدر باثبات الالف وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة كلم الله بغير ألف بمعنى جمع كلمة وهما عندنا قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كنت الى قراءته بالألف أميل وقوله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المخلفين عن المسير معك يا محمد لن تتبعونا الى خيبر اذا أردنا السير اليهم لقتالهم كذلكم قال الله من قبل يقول هكذا قال الله لنا من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا ولستم ممن شهدها فليس لكم أن تتبعونا الى خيبر لأن غنيمتها لغيركم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلكم قال الله من قبل أى انما جعلت الغنيمة لأهل الجهاد وانما كانت غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب وقوله فسيقولون بل تحسدوننا يقول تعالى ذكره فسيقول لك ولاصحابك يا محمد هؤلاء المخلفون من الأعراب اذا قلتم لهم لن تتبعونا الى الجهاد وقتال العدوّ بخيبر كذلكم قال الله من قبل بل تحسدوننا أن نصيب معكم مغنما ان نحن شهدنا معكم فلذلك تمنعوننا من الخروج معكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فسيقولون بل تحسدوننا أن نصيب معكم غنائم وقوله بل كانوا لا يفقهون الا قليلا يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما الامر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم انما تمنعونهم من اتباعكم حسدا منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدو مغنما بل كانوا لا يفقهون عن الله مالهم وعليهم من أمر الدين الا قليلا يسيرا ولو عقلوا ذلك ماقالوا لرسول الله والمؤمنين به وقد أخبروهم عن الله تعالى ذكره أنه حرمهم غنائم خيبر انما تمنعوننا من صحبتكم اليها لأنكم تحسدوننا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمخلفين من الاعراب عن المسير معك ستدعون الى قتال قوم أولى بأس فى القتال شديد واختلف أهل التأويل فى هؤلاء الذين أخبر الله عز وجل عنهم أن هؤلاء المخلفين من الاعراب يدعون الى قتالهم فقال

ولو بخلوا لضاعت عنهم هذه الفوائد وأيضا لما قال وأنتم الأعلون بين برهانه بصلح الحديبية أو بفتح مكة وكان فى قوله وتدعوا الى السلم اشارة الى ماجرى يوم الحديبية من أن المسلمين صبروا الى أن طلب المشركون الصلح * سؤال ما المناسبة بين الفتح والمغفرة حتى جعلت غاية له الجواب الغاية هى مجموع المغفرة وماينعطف عليها كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة وغيره من الفتوح ليجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن تكون الفتوح من حيث انها جهاد للعدو سببا للغفران والثواب قال جارالله وقيل تقدير الكلام انا فتحنا لك فاستغفره ليغفر لك كقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله واستغفره وقيل ان فتح مكة كان سببا لتطهير البيت من رجس الأوثان وتطهير بيته سبب لتطهير عبده وأيضا بالفتح يحصل الحج وبالحج تحصل المغفرة كما ورد فى الأخبار خرج كيوم ولدته أمه وأيضا ان الناس قد علموا عام الفيل أن مكة لا يتسلط عليها عدو الله فلما فتحت للرسول صلى الله عليه وسلم عرف أنه حبيب الله المغفور له أما الذنب فقيل أراد به ذنب المؤمنين من أمته أو أريد به ترك الأفضل والصغائر سهوا أو عمدا ومعنى ماتأخر أى عن الفتح أو ماتقدم عن النبوة وتأخر عنها وقيل ماتقدم ذنب أبويه آدم وحواء وماتأخر ذنب أمته وقيل أراد جميع الذنوب لحد أولها وآخرها أو هو على وجه المبالغة كما تقول أعطى من رأى ومن لم يره وقيل ماتقدم من أمر مارية

وماتأخر من أمر زينب وهو قول سخيف لعدم التئام الكلام ظاهرا والاولى أن يقال ماتقدم النبوة بالعفو وماتأخر عنها بالعصمة (ويتم نعمته عليك) باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك لقوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ومن اتمام النعمة تكليف الحج وقد تم يومئذ ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم عدو من قريش فان كثيرا منهم قد أهلكوا يوم بدر والباقين آمنوا واستأمنوا يوم الفتح وقيل اتمام النعمة في الدنيا باستجابة الدعاء في طلب الفتح وفي الآخرة بقبول الشفاعة (ويهديك صراطا مستقيما) أي يثبتك ويهديك عليه فان الفتح لا يكون الا لمن هو على صراط الله ولعل المراد بهذا الخطاب هو أمته والنصر العزيز ذو العزة وهو الذي لا ذل بعده أو هو بمعنى المعز أو الممتنع على الغير وهو النفيس الذي لا يناله كل أحد وفي الآية تفخيم شأن الفتح والنصر من وجوه احدها لفظ انا الدال على التعظيم وثانيها لفظ لك الدال على الاختصاص وثالثها اعادة اسم الله في الموضعين اولا وآخرا ثم بين سبب النصر بقوله (هو الذي أنزل السكينة) وهي السكون والوقار والطمأنينة والثقة بوعد الله كما مر في البقرة وفي التوبة (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أي يقينا مع يقينهم اوايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله وعن ابن عباس أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلاة ثم الزكاة ثم الجهاد ثم الحج أو ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري

بعضهم هم أهل فارس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي نجيح عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أولي بأس شديد أهل فارس حدثنا اسمعيل بن موسى الفزاري قال أخبرنا داود بن الزبرقان عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله ستدعون الى قوم أولي بأس شديد قال فارس والروم * قال أخبرنا داود عن سعيد عن الحسن مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن في قوله ستدعون الى قوم أولي بأس شديد قال هم فارس والروم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أولي بأس شديد قال هم فارس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ستدعون الى قوم أولي بأس شديد قال قال الحسن دعوا الى فارس والروم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ستدعون الى قوم أولي بأس شديد قال فارس والروم * وقال آخرون هم هوازن بحنين ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله ستدعون الى قوم أولي بأس شديد قال هوازن حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير وعكرمة في هذه الآية ستدعون الى قوم أولي بأس شديد قال هوازن وثقيف حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون قال هي هوازن وغطفان يوم حنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد فدعوا يوم حنين الى هوازن وثقيف فمنهم من أحسن الاجابة ورغب في الجهاد * وقال آخرون بل هم بنو حنيفة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري أولي بأس شديد قال بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير وعكرمة أنهما كانا يزيدان فيه هوازن وبني حنيفة * وقال آخرون لم تأت هذه الآية بعد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري عن أبي هريرة ستدعون الى قوم أولي باس شديد لم تأت هذه الآية * وقال آخرون هم الروم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان بن عمرو قال ثنا الفرج ابن محمد الكلاعي عن كعب قال أولي بأس شديد قال الروم * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلفين من الأعراب أنهم سيدعون الى قتال قوم أولي بأس في القتال ونجدة في الحروب ولم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعني بذلك هوازن ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم ولا أعيان بأعيانهم وجائز أن يكون عني بذلك بعض هذه الأجناس وجائز أن يكون عني بهم غيرهم ولا قول فيه أصح من أن يقال كما قال الله جل ثناؤه انهم سيدعون الى قوم أولي بأس شديد وقوله تقاتلونهم أو يسلمون يقول تعالى ذكره للمخلفين من الأعراب تقاتلون هؤلاء الذين تدعون الى قتالهم أو يسلمون من غير حرب ولا قتال * وقد ذكر أن ذلك في بعض القرا آت تقاتلونهم أو يسلموا وعلى هذه القراءة وان كانت على خلاف مصاحف أهل الأمصار وخلافا لما عليه الحجة من القراء وغير جائز عندي القراءة بها لذلك تأويل ذلك تقاتلونهم أبدا الا أن يسلموا أو حتى يسلموا وقوله فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا يقول تعالى

ذكره

ذكره فان تطيعوا الله فى اجابتكم اياه اذا دعاكم الى قتال هؤلاء القوم الاولى البأس الشديد فتجيبوا الى قتالهم والجهاد مع المؤمنين يؤتكم الله أجرا حسنا يقول يعطكم الله على اجابتكم اياه الى حربهم الجنة وهى الاجر الحسن وان تتولوا كما توليتم من قبل يقول وان تعصوا ربكم فتدبروا عن طاعته وتخالفوا أمره فتتركوا قتال الاولى البأس الشديد اذا دعيتم الى قتالهم كما توليتم من قبل يقول كما عصيتموه فى أمره اياكم بالمسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة من قبل أن تدعوا الى قتال أولى البأس الشديد يعذبكم الله عذابا أليما يعنى وجيعا وذلك عذاب النار على عصيانكم اياه وترككم جهادهم وقتالهم مع المؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق ولا على الأعرج ضيق ولا على المريض ضيق ان يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين وشهود الحرب معهم اذا هم لقوا عدوهم للعلل التى بهم والاسباب التى تمنعهم من شهودها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج قال هذا كله فى الجهاد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثم عذر الله أهل العذر من الناس فقال ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج قال فى الجهاد فى سبيل الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ليس على الأعمى حرج الآية يعنى فى القتال وقوله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله فيجيب الى حرب أعداء الله من أهل الشرك والى القتال مع المؤمنين ابتغاء وجه الله اذا دعى الى ذلك يدخله الله يوم القيامة جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يقول ومن يعص الله ورسوله فيتخلف عن قتال أهل الشرك بالله اذا دعى اليه ولم يستجب لدعاء الله ورسوله يعذبه عذابا موجعا وذلك عذاب جهنم يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما﴾ يقول تعالى ذكره لقد رضى الله يا محمد عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة يعنى بيعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب وعلى أن لا يفروا ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة وكانت بيعتهم اياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة وكان سبب هذه البيعة ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه برسالة الى الملا من قريش فأبطأ عثمان عليه بعض الابطاء فظن انه قد قتل فدعا أصحابه الى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت فبايعوه على ذلك وهذه البيعة التى تسمى بيعة الرضوان وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر فى قول بعضهم ألفا وأربعمائة وفى قول بعضهم ألفا وخمسمائة وفى قول بعضهم ألفا وثلثمائة ذكر الرواية بما وصفنا من سبب هذه البيعة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له وذلك حين نزل الحديبية فعقروا به

وعلى هذا ففائدة قوله مع ايمانهم ان الفطرة تشهد بالايمان فلما عرفوا صحة الايمان بالنظر والاستدلال انضم هذا الثانى الى الأول وجنود السموات والأرض ملائكتهما ويمكن أن يراد بمن فى الارض الثقلان والحيوان غير الانسان ويحتمل أن يراد بالجنود معنى أعم وهو الأسباب الأرضية والسماوية فيدخل فيهما الصيحة والرجفة وظن السوء هو ظنهم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم او أن الله تعالى لا ينصرهم على أعدائهم أو أن لله شريكا أو أنه لا يقدر على احياء الموتى ومعنى دائرة السوء أن ضرر ظنهم يعود اليهم ويدور عليهم وقد مر فى سورة التوبة قال بعض العلماء ضم المؤمنات ههنا الى المؤمنين بخلاف قوله قد أفلح المؤمنون وبشر المؤمنين ونحو ذلك والسر فيه أن كل موضع يوهم اختصاص الرجال به مع كون النساء مشاركات لهم ذكرهن صريحا نفيا لهذا التوهم وكل موضع لا يوهم ذلك اكتفى فيه بذكر الرجال لانهم الأصل فى اكثر الأحكام والتكاليف مثلا من المعلوم أن البشارة والنذارة عامة للناس قاطبة فلم يحتج فيهما الى ذكر النساء بخلاف هذه الآية فان ادخال الجنة يوهم أنه لأجل الجهاد مع العدو والفتح على أيديهم والمرأة لا جهاد عليها فكان يظن أنهن لا يدخلن الجنات فنفى الله تعالى هذا الوهم وكذا الكلام فى تعذيب المنافقات والمشركات * نكتة الجنود المذكورة أولا هى جنود الرحمة فكانوا اسبابا لادخال المؤمنين الجنة بالاكرام والتعظيم ثم البأسهم

جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فحدثني من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليهم ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان ابن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته فحمله بين يديه ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل * قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال فحدثني عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن عثمان قد قتل قال لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت فكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ولكنه بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بنى سلمة كان جابر بن عبد الله يقول لكأنى أنظر اليه لاصقا بابط ناقته قد اختبأ اليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل حدثنا محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا موسى بن عبيدة عن اياس بن سلمة قال قال سلمة بينما نحن قائلون زمن الحديبية نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس صلوات الله عليه قال فثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة قال فبايعناه وذلك قول الله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكرى قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل عن عامر قال كان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بنى أسد يقال له أبو سنان بن وهب حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا همام عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كان جدى يقال له حزن وكان ممن بايع تحت الشجرة فأتيناها من قابل فعميت علينا حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن بكير بن الأشج أنه بلغه أن الناس بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما استطعتم والشجرة التى بويع تحتها بفج نحو مكة وزعموا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا هذا التكلف فذهبت الشجرة وكانت سمرة إما ذهب بها سيل وإما شئ سوى ذلك * ذكر عدد الذين بايعوا هذه البيعة وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى عددهم ونذكر الروايات عن قائلى المقالات التى ذكرناها ان شاء الله تعالى ذكر من قال عددهم ألف وأربعمائة حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى

قال

خلع الكرامة لقوله ويكفر عنهم سيآتهم ثم تشريفهم بالفوز العظيم من الله كما قال وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وأما الكافر فعكس منه الترتيب أخبر بتعذيبهم أولا على الاطلاق ثم فصل بأنه يغضب عليهم أولا ثم يوبقهم فى حيز اللعن والبعد عن الرحمة ثم يسلط عليهم ملائكة العذاب الذين هم جنوده كما قال عليها ملائكة غلاظ شداد ولا ريب أن كل ذلك على قانون الحكمة الا أنه قرن العلم فى الأول الى الحكمة تنبيها على أن انزال السكينة وازديادا يمان المؤمنين وترتيب الفتح على ذلك كانت كلها ثابتة فى علم الله جارية على وفق الحكمة وقرن العز بالحكمة ثانيا لأن العذاب والغضب وسلب الأموال والغنائم يناسب ذكر العزة والغلبة والقهر زادنا الله اطلاعا على أسرار قرآنه الكريم وفرقانه العظيم ثم مدح رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر فائدة بعثته ليرتب عليه ذكر البيعة فقال (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك (ومبشرا ونذيرا) وقدمر فى سورة الأحزاب مثله الا أن قوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) قائم مقام قوله هناك وداعيا الى الله باذنه من قرأ على الغيبة فظاهر وأما من قرأ على الخطاب فلتنزيل خطاب النبي منزلة خطاب المؤمنين وقوله (وتعزروه وتوقروه) كلاهما بمعنى التعظيم من العزو الوقار ينوب منابه قوله هناك وسراجا منيرا وذلك أن النور متبع والتبجيل والتعظيم دليل المتبوعية وقال جار الله الضمائر كلها لله عزوجل وتعظيم الله تعظيم دينه ورسوله وقوله (وتسبحوه)

قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لانفر ولم نبايعه على الموت قال فبايعناه كلنا إلا الجد بن قيس اختبأ تحت إبط ناقته حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرنى القاسم بن عبد الله بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أنهم كانوا يوم الحديبية أربع عشرة مائة فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعنا غير الجد بن قيس الأنصارى اختبأ تحت إبط بعيره قال جابر بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لانفر ولم نبايعه على الموت حدثنا يوسف بن موسى القطان قال ثنا هشام ابن عبد الملك وسعيد بن شرحبيل المصرى قالا ثنا ليث بن سعد المصرى قال ثنا أبو الزبير عن جابر قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه على أن لانفر ولم نبايعه على الموت يعنى النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قيل له ان جابر بن عبد الله يقول ان أصحاب الشجرة كانوا ألفا وخمسمائة قال سعيد نسى جابر هو قال لى كانوا ألفا وأربعمائة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن إسحق عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة * ذكر من قال كان عدتهم ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فجعلت لهم مغانم خيبر كانوا يومئذ خمس عشرة مائة وبايعوا على أن لايفروا عنه * ذكر من قال كانوا ألفا وثلثمائة حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله ابن أبى أوفى يقول كانوا يوم الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم يومئذ من المهاجرين وقوله فعلم مافى قلوبهم يقول تعالى ذكره فعلم ربك يا محمد مافى قلوب المؤمنين من أصحابك اذ يبايعونك تحت الشجرة من صدق النية والوفاء بما يبايعونك عليه والصبر معك فأنزل السكينة عليهم يقول فأنزل الطمأنينة والثبات على ماهم عليه من دينهم وحسن بصيرتهم بالحق الذى هداهم الله له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم أى الصبر والوقار وقوله وأثابهم فتحا قريبا يقول وعوضهم فى العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها فتحا قريبا وذلك فيما قيل فتح خيبر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبى ليلى وأثابهم فتحا قريبا قال خيبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأثابهم فتحا قريبا وهى خيبر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله وأثابهم فتحا قريبا قال بلغنى أنها خيبر وقوله ومغانم كثيرة يأخذونها يقول تعالى ذكره وأثاب الله هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم وانزاله السكينة عليهم واثابته اياهم فتحا قريبا معه مغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود خيبر فان الله جعل ذلك خاصة لأهل بيعة الرضوان دون غيرهم وقوله وكان الله عزيزا حكيما يقول وكان الله ذا عزة فى انتقامه ممن انتقم من أعدائه حكيما فى تدبيره

من التسبيح أو من السبحة وهى صلاة التطوع و (بكرة وأصيلا) للدوام أو المراد صلاة الفجر والعصر وحدها أو مع الظهر قاله ابن عباس (ان الذين يبايعونك) هى بيعة الرضوان تحت الشجرة كما يجىء فى السورة وقيل ليلة العقبة وفيه بعد وسماها مبايعة تشبيها بعقد البيع نظيره ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم (انما يبايعون الله) لأن طاعة الرسول هى طاعة الله فى الحقيقة ثم أكد هذا المعنى بقوله (يد الله فوق أيديهم) قال أهل المعانى هذا تمثيل وتخييل ولا جارحة هنالك وقيل اليد النعمة أى نعمة الله عليهم بالهداية فوق احسانهم الى الله باجابة البيعة كما قال يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم قال القفال هو من قوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى يريد بالعليا المعطية أى الله يعطيهم مايكون له به الفضل عليهم وقيل اليد القوة أى نصرته اياهم فوق نصرتهم لرسوله وقيل يد الله بمعنى الحفظ فان المتوسط بين المتبايعين يضع يده فوق يدهما فلا يترك أن تتفارق أيديهما حتى يتم البيع والمراد أن الله تعالى يحفظهم على بيعتهم ثم زجرهم من نقض العهد وحثهم على الوفاء بقوله (فمن نكث) الى آخره والنكث والنقض أخوان وقوله (فانما ينكث على نفسه) أى لايعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى أن لانفر فما نكث أحدنا البيعة الا جد ابن قيس وكان منافقا اختبأ

خلقه وتصريفه اياهم فيما شاء من قضائه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا) يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان وعدكم الله أيها القوم مغانم كثيرة تأخذونها اختلف أهل التأويل فى هذه المغانم التى ذكر الله أنه وعدها هؤلاء القوم أى المغانم هى فقال بعضهم هى كل مغنم غنمها الله المؤمنين به من أموال أهل الشرك من لدن أنزل هذه الآية على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها قال المغانم الكثيرة التى وعدوا ما يأخذونها الى اليوم وعلى هذا التأويل يحتمل الكلام أن يكون مرادا بالمغانم الثانية المغانم الاولى ويكون معناه عند ذلك فأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وعدكم الله أيها القوم هذه المغانم التى تأخذونها وأنتم اليها واصلون عدة فجعل لكم الفتح القريب من فتح خيبر ويحتمل أن تكون الثانية غير الاولى وتكون الاولى من غنائم خيبر والغنائم الثانية التى وعدهموها من غنائم سائر أهل الشرك سواهم * وقال آخرون هذه المغانم التى وعد الله هؤلاء القوم هى مغانم خيبر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها قال يوم خيبر قال كان أبى يقول ذلك وقوله فعجل لكم هذه اختلف أهل التأويل فى التى عجلت لهم فقال جماعة غنائم خيبر والمؤخرة سائر فتوح المسلمين بعد ذلك الوقت الى قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فعجل لكم هذه قال عجل لكم خيبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فعجل لكم هذه وهى خيبر * وقال آخرون بل عنى بذلك الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فعجل لكم هذه قال الصلح * وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد وهو أن الذى أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغانم الكثيرة من مغانم خيبر وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة ولم يفتحوا فتحا أقرب من بيعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية اليها من فتح خيبر وغنائمها وأما قوله وعدكم الله مغانم كثيرة فهى سائر المغانم التى غنمهموها الله بعد خيبر كغنائم هوازن وغطفان وفارس والروم وانما قلنا ذلك كذلك دون غنائم خيبر لأن الله أخبر أنه عجل لهم هذه التى أثابهم من مسيرهم الذى ساروه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ولما علم من صحة نيتهم فى قتال أهلها اذ بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يفروا عنه ولا شك أن التى عجلت لهم غير التى لم تعجل لهم وقوله وكف أيدى الناس عنكم يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان وكف الله أيدى المشركين عنكم ثم اختلف أهل التأويل فى الذين كفت أيديهم عنهم من هم فقال بعضهم هم اليهود كف الله أيديهم عن عيال الذين ساروا من المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكف أيدى الناس عنكم عن بيوتهم وعن عيالهم بالمدينة حين ساروا الى الحديبية والى خيبر وكانت خيبر فى ذلك الوجه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور

تحت ابط ناقته ولم يثر ثمّ القوم ثم بين ما يعلم منه اعجاز القرآن لأنه أخبر عن الغيب وقد وقع مطابقا وله فى السورة نظائر فقال (سيقول لك المخلفون) هم أسلم ومزينة وجهينة وغفار وقيل سموا مخلفين لأن التوفيق خلفهم ولم يعتد بهم والظاهر أنهم سموا بذلك لانه صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر الأعراب وأهل البوادى حذرا من قريش أن يصدوه عن البيت فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب الى قوم قصدوه فى داره بالمدينة وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة فاعتلوا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا وقالوا (شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا) سل الله أن يغفر لنا تخلفنا عنك وان كان عن عذر فكذبهم الله بقوله (يقولون بألسنتهم) وقوله شيأ من الضر كقتل وهزيمة ولا يوصل اليهم نفعا الا ماشاء الله وانما قال ههنا بزيادة لفظة لكم لانه فى قوم بأعيانهم بخلاف المائدة فانه عام لقوله أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ثم ردّ قولهم اللسانى فقال (بل كان الله بما تعملون خبيرا) ثم ردّ اعتذارهم الواهى بقوله (بل ظننتم) الآية والبور جمع بائر أى هالك والباقى واضح الى قوله رحيما وفيه بيان كمال قدرته على تعذيب الكافرين مع أن مغفرته ذاتية ورحمته سابقة وقوله (سيقول المخلفون) انما لم يقل هنا لك لأن المخاطبين هم المؤمنون كلهم لا النبى وحده وجمهور المفسرين على أن هؤلاء هم المخلفون المذكورون

عن معمر عن قتادة فى قوله وكف أيدى الناس عنكم قال كف أيدى الناس عن عيالهم بالمدينة * وقال آخرون بل عنى بذلك أيدى قريش اذ حبسهم الله عنهم فلم يقدروا لهم على مكروه والذى قاله قتادة فى ذلك عندى أشبه بتأويل الآية وذلك أن كف الله أيدى المشركين من أهل مكة عن أهل الحديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية فى قوله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة فعلم بذلك أن الكف الذى ذكره الله تعالى فى قوله وكف أيدى الناس عنكم غير الكف الذى ذكره الله بعد هذه الآية فى قوله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة وقوله ولتكون آية للمؤمنين يقول وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم عن عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله هو المتولى حياطتهم وكلاءتهم فى مشهدهم ومغيبهم ويتقوا الله فى أنفسهم وأموالهم وأهليهم بالحفظ وحسن الولاية ما كانوا مقيمين على طاعته منتهين الى أمره ونهيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ولتكون آية للمؤمنين يقول وذلك آية للمؤمنين كف أيدى الناس عن عيالهم ويهديكم صراطا مستقيما يقول ويسددكم أيها المؤمنون طريقا واضحا لا اعوجاج فيه فيبينه لكم وهو أن تثقوا فى أموركم كلها بربكم فتتوكلوا عليه فى جميعها ليحوطكم حياطته اياكم فى مسيركم الى مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنفسكم وأهليكم وأموالكم فقد رأيتم أثر فعل الله بكم اذ وثقتم فى مسيركم هذا وقوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها يقول تعالى ذكره ووعدكم أيها القوم ربكم فتح بلدة أخرى لم تقدروا على فتحها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها لكم واختلف أهل التأويل فى هذه البلدة الاخرى والقرية الأخرى التى وعدهم فتحها التى أخبرهم أنه محيط بها فقال بعضهم هى أرض فارس والروم وما يفتحه المسلمون من البلاد الى قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا شعبة عن سماك الحنفى قال سمعت ابن عباس يقول وأخرى لم تقدروا عليها فارس والروم * قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبى ليلى أنه قال فى هذه الآية وأخرى لم تقدروا عليها قال فارس والروم حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن حباب قال ثنا شعبة بن الحجاج عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها قال حدث عن الحسن قال هى فارس والروم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأخرى لم تقدروا عليها ما فتحوا حتى اليوم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله وأخرى لم تقدروا عليها قال فارس والروم * وقال آخرون بل هى خيبر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وأخرى لم تقدروا عليها الآية قال هى خيبر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها يعنى خيبر بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فقال لا تمثلوا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها قال خيبر قال لم يكونوا اذ كرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأخرى لم تقدروا عليها يعنى أهل خيبر

فيما تقدم وقوله (الى مغانم) هى مغانم خيبر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد أهل الحديبية أن غنائم أهل خيبر لهم خصوصا من غاب منهم ومن حضر بدل تعب السفر فى العمرة التى صدتهم المشركون عنها وزاد الزهرى فقال وان حضرها من غيرهم من الناس قالوا ولم يغب منهم عنها أحد إلا جابر ابن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر وكان انصراف النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى الحجة فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر وخرج معه من شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة وجعلها لهم خاصة وكان قبل ذلك وعد النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه غنائم خيبر فسمع المنافقون ذلك فقالوا للمؤمنين (ذرونا نتبعكم) فمنعهم النبى صلى الله عليه وسلم لأن الله أمره أن لا يخرج الى خيبر الا أهل الحديبية وذلك قوله (يريدون أن يبدلوا كلام الله) فقال الله لنبيه (قل لن تتبعونا) أى فى خيبر وقيل عام فى غزواته (كذلكم قال الله من قبل) أى قبل انصرافهم الى المدينة (فسيقولون) ردا على النبى والمؤمنين ان الله لم يأمركم به (بل تحسدوننا) أن نشاركم فى الغنيمة فرد الله عليهم ردهم بقوله (بل كانوا لا يفقهون الا) فهما (قليلا) وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين أو هو فهمهم من قوله قل لن تتبعونا مجرد النهى فحملوه على الحسد ولم يعلموا أن المراد هو أن هذا الاتباع لا يقع أصلا لأن الصادق قد أخبر بنفيه وذهب جماعة من المفسرين

* وقال آخرون بل هي مكة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها كنا نحدث أنها مكة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وأخرى لم تقدروا عليها قال بلغنا أنها مكة وهذا القول الذي قاله قتادة أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة أنه محيط بقرية لم يقدروا عليها ومعقول أنه لا يقال لقوم لم يقدروا على هذه المدينة الا أن يكونوا قد راموها فتعذرت عليهم فأما وهم لم يروموها فتتعذر عليهم فلا يقال انهم لم يقدروا عليها فاذ كان ذلك كذلك وكان معلوما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خيبر لحرب ولا وجه اليها لقتال أهلها جيشا ولا سرية علم أن المعنىّ بقوله وأخرى لم تقدروا عليها غيرها وأنها هي التي قد عالجها وراماها فتعذرت فكانت مكة وأهلها كذلك وأخبر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أحاط بها وبأهلها وأنه فاتحها عليهم وكان الله على كل ما يشاء من الاشياء ذا قدرة لا يتعذر عليه شئ شاءه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أهل بيعة الرضوان ولو قاتلكم الذين كفروا بالله أيها المؤمنون بمكة لولوا الأدبار يقول لانهزموا عنكم فولوكم أعجازهم وكذلك يفعل المنهزم من قرنه في الحرب ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يقول ثم لا يجد هؤلاء الكفار المنهزمون عنكم المولوكم الأدبار وليا يواليهم على حربكم ولا نصيرا ينصرهم عليكم لأن الله تعالى ذكره معكم ولن يغلب حزب الله ناصره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار يعني كفار قريش قال الله ولا يجدون وليا ولا نصيرا ينصرهم من الله وقوله سنة الله التي قد خلت من قبل يقول تعالى ذكره لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش لخذلهم الله حتى يهزمهم عنكم خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به الذين قاتلوا أولياءه من الأمم الذين مضوا قبلهم وأخرج قوله سنة الله نصبا من غير لفظه وذلك أن في قوله لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا معنى سننت فيهم الهزيمة والخذلان فلذلك قيل سنة الله مصدرا من معنى الكلام لا من لفظه وقد يجوز أن تكون تفسيرا لما قبلها من الكلام وقوله ولن تجد لسنة الله تبديلا يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا بل ذلك دائم للاحسان جزاؤه من الاحسان وللاساءة والكفر العقاب والنكال ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لرسوله صلى الله عليه وسلم والذين بايعوا بيعة الرضوان وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أن الله كف أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يلتمسون غرتهم ليصيبوا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بهم أسرى فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنّ عليهم ولم يقتلهم فقال الله للمؤمنين وهو الذي كف أيدي هؤلاء المشركين عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار ذكر الرواية بذلك حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال سمعت أبي يقول أخبرنا الحسين بن واقد قال ثني ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في أصل شجرة بالحديبية وعلى ظهره غصن من أغصان

منهم الزجاج الى ان كلام الله ههنا هو قوله في سورة براءة لن تخرجوا معي أبدا واعترض بأن هذا في قصة تبوك التي كانت بعد الحديبية بسنتين باجماع من أهل المغازي وأجاب بعضهم بأن هذه الآية أعني سيقول المخلفون نزلت في غزوة تبوك أيضا وعندي أن الاعتراض غير وارد ولا حاجة الى الجواب المذكور ثم ان الله سبحانه أخبر عن مخلفي الحديبية بأنهم سيدعون الى قوم أولي قوة ونجدة في الحروب وقيل هم هوازن وغطفان وقيل هم الروم غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك والأكثرون على أن القوم أولي البأس الشديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق لانه تعالى قال (تقاتلونهم أو يسلمون) ومشركو العرب والمرتدون هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية هذا عند أبي حنيفة وأما الشافعي فعنده لا تقبل الجزية الا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وقد يستدل بهذا على امامة أبي بكر فانهم لم يدعوا الى حرب في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته ولا سيما فيمن يزعم أنه نزل فيهم لن تخرجوا معي أبدا اللهم الا أن يقال المراد لن تخرجوا معي ما دمتم على حالكم من مرض القلوب والاضطراب في الدين او أنهم لا يتبعون الرسول الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم قاله مجاهد وقوله أو يسلمون رفع على الاستئناف يعني أو هم يسلمون

الشجرة فرفعتها عن ظهره وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بين يديه وسهيل بن عمرو وهو صاحب المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فأمسك سهيل بيده فقال مانعرف الرحمن اكتب فى قضيتنا ما نعرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم فكتب فقال هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة فأمسك سهيل بيده فقال لقد ظلمناك ان كنت رسولا اكتب فى قضيتنا ما نعرف قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب وأنا رسول الله فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل خرجتم فى أمان أحد قال فخلى عنهم قال فأنزل الله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن ثابت عن عبد الله بن مغفل قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى أصل الشجرة التى قال الله فى القرآن وكان غصن من أغصان تلك الشجرة على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم فرفعته عن ظهره ثم ذكر نحو حديث محمد بن على عن أبيه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من أصحابه أحدا فأخذوا أخذا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل قال ابن حميد قال سلمة قال ابن اسحق ففى ذلك قال وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال أقبل معتمرا نبى الله صلى الله عليه وسلم فأخذ أصحابه ناسا من أهل الحرم غافلين فأرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم فذلك الاظفار ببطن مكة **حدثنا** محمد بن سنان القزاز قال ثنا عبيد الله بن عائشة قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقهم فأنزل الله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الى آخر الآية وكان قتادة يقول فى ذلك ما **حدثنا** به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية قال بطن مكة الحديبية (١) فقال له زهرم اطلع الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأتوه باثنى عشر فارسا من الكفار فقال لهم نبى الله صلى الله عليه وسلم هل لكم على عهد هل لكم على ذمة قالوا لا فأرسلهم فأنزل الله فى ذلك القرآن وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الى قوله بما تعملون بصيرا * وقال آخرون فى ذلك ما **حدثنا** به ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن ابن أبزى قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم بالهدى وانتهى الى ذى الحليفة قال له عمر يا نبى الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع قال فبعث الى المدينة فلم يدع بها كراعا ولا سلاحا الا حمله فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بمنى فأتاه عينه أن عكرمة بن أبى جهل قد خرج علينا فى خمسمائة فقال لخالد بن الوليد يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك

(١) لعل فيه سقطا وفى ابن كثير عن قتادة ذكر لنا أن رجلا يقال له ابن زنيم اطلع على التثنية الخ وحرر

ويجوز أن يراد الى أن يسلموا فحين حذف ان رفع الفعل وقيل الاسلام ههنا الانقياد فيشمل اعطاء الجزية أيضا والأجر الحسن فى الدنيا الغنيمة وفى الآخرة الجنة وقيل الغنيمة فقط بناء على أن الآية فى المنافقين وعلى هذا لا يتم الاستدلال على امامة الخلفاء وقوله (من قبل) أى فى الحديبية قال ابن عباس ان أهل الزمانة قالوا يا رسول الله كيف بنا فأنزل الله تعالى (ليس على الأعمى حرج) أى اثم فى التخلف لأنه كالطائر الذى قص جناحه لا يمتنع على من قصده وقدم الأعمى لأن عذره مستمر ولو حضر القتال والأعرج قد يمكنه الركوب والرمى وغير ذلك نعم يتعسر عليه الحرب ماشيا وكذا جودة الكر والفر راكبا وقد يقاس الاقطع على الاعرج ويمكن أن لا يكون الأقطع معذورا لانه نادر الوجود والأعذار المانعة من الجهاد أكثر من هذا وقد ضبطها الفقهاء بأن المانع اما عجز حسى أو عجز حكمى فمن الاول الصغر والجنون والانوثة والمرض المانع من الركوب للقتال لا كالصداع ووجع السن ومنه العرج البين وان قدر على الركوب لأن الدابة قد تهلك وعند أبى حنيفة لا أثر للعرج فى رجل واحدة ومنه فقد البصر ولا يلحق به العور والعشى ومنه عدم وجدان السلاح وآلات القتال ومن الثانى الرق والدين الحال بلا اذن رب الدين ومن أحد أبويه فى الحياة ليس له الجهاد الا باذنه الا اذا كان كافرا والباقى واضح الى قوله لقد رضى الله وبه سميت بيعة الرضوان وبيا يعونك

فى الخيل فقال خالد أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمى سيف الله يا رسول الله ارم بى حيث شئت فبعثه على خيل فلق عكرمة فى الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد فى الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد فى الثالثة حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الى قوله عذابا أليما قال فكف الله النبى عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا يقول تعالى ذكره وكان الله بأعمالكم وأعمالهم بصيرا لا يخفى عليه منها شئ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله وصدوكم أيها المؤمنون بالله عن دخول المسجد الحرام وصدوا الهدى معكوفا يقول محبوسا عن أن يبلغ محله فوضع أن نصب لتعلقه ان شئت بمعكوف وان شئت بصدوا وكان بعض نحويى البصرة يقول فى ذلك وصدوا الهدى معكوفا كراهية أن يبلغ محله وعنى بقوله تعالى ذكره أن يبلغ محله أن يبلغ محل نحره وذلك دخول الحرم والموضع الذى اذا صار اليه حل نحره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساق معه حين خرج الى مكة فى سفرته تلك سبعين بدنة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن محمد بن مسلم الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق الهدى معه سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة ۞ وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أى محبوسا أن يبلغ محله وأقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه معتمرين فى ذى القعدة ومعهم الهدى حتى اذا كانوا بالحديبية صدهم المشركون فصالحهم نبى الله صلى الله عليه وسلم على أن يرجع من عامه ذلك ثم يرجع من العام المقبل فيكون بمكة ثلاث ليال ولا يدخلها الا بسلاح الراكب ولا يخرج بأحد من أهلها فنحروا الهدى وحلقوا وقصروا حتى اذا كان من العام المقبل أقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين فى ذى القعدة فأقام بها ثلاث ليال وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردوه فأقصه الله منهم فأدخله مكة فى ذلك الشهر الذى كانوا ردوه فيه فأنزل الله الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص حدثنى محمد بن عمارة الأسدى وأحمد بن منصور الرمادى واللفظ لابن عمارة قالا ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا موسى بن عبيدة عن اياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال بعثت قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وحفص ابن فلان الى النبى صلى الله عليه وسلم ليصالحوه فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم سهيل بن عمرو قال قد سهل الله لكم من أمركم القوم ماتون اليكم بأرحامهم وسائلوكم الصلح فابعثوا الهدى وأظهروا التلبية لعل ذلك يلين قلوبهم فلبوا من نواحى العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية فجاؤا فسألوه الصلح قال فبينما الناس قد توادعوا وفى المسلمين ناس من المشركين قال فقيل به أبو سفيان قال واذا الوادى يسيل بالرجال قال قال اياس قال سلمة فجئت بستة من المشركين

متسلحين

حكاية الحال الماضية والشجرة كانت سمرة وقيل سدرة روى أنها عميت عليهم من قابل فلم يدروا أين ذهبت وعن جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لأريتكم مكانها (فعلم ما فى قلوبهم) من خلوص النية (فأنزل السكينة) الطمأنينة والأمن عليهم (وأثابهم) جازاهم عن الاخلاص فى البيعة (فتحا قريبا) هو فتح خيبر غب انصرافه من الحديبية كما ذكرناه وقيل هو فتح مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هى مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وعدكم الله مغانم كثيرة) هى التى أصابوها مع النبى صلى الله عليه وسلم او بعده الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى غنيمة خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) يعنى أيدى أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان جاؤا لنصرتهم فقذف الله الرعب فى قلوبهم وقيل أيدى أهل مكة بالصلح وقيل أيدى اليهود حين خرجتم وخلفتم عيالكم بالمدينة وهمت اليهود بهم فمنعهم الله قوله (ولتكون آية) أى لتكون هذه الغنيمة المعجلة دلالة على ما وعدهم الله من الغنائم أو دلالة على صحة النبوة من حيث انه أخبر بالفتح القريب وقد وقع مطابقا وقيل الضمير للكف والتأنيث لأجل تأنيث الخبر أو بتقدير الكفة ويهديكم ويثبتكم ويزيدكم بصيرة قوله (وأخرى) أى وعدكم الله مغانم أخرى عن ابن عباس هى فتوح فارس والروم أو يقال مغانم هوازن فى غزوة حنين لم يظنوا أن يقدروا عليها لما فيها من الهزيمة ثم الرجوع مرة بعد أخرى قد أحاط الله بها علما

متسلحين أسوقهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فأتيت بهم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسلب
ولم يقتل وعفا قال فشددنا على من فى أيدى المشركين منا فما تركنا فى أيديهم منا رجلا الا استنقذناه
قال وغلبنا على من فى أيدينا منهم ثم ان قريشا بعثوا سهيل بن عمرو وحويطبا فولوا صلحهم
وبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا فى صلحه فكتب على بينهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا صالحهم على أنه لا اهلال ولا امتلال وعلى
أنه من قدم مكة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حاجا أو معتمرا أو يبتغى من فضل الله فهو
آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازا الى مصر أو الى الشام يبتغى من فضل الله
فهو آمن على دمه وماله وعلى أنه من جاء محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش فهو اليهم رد ومن جاءهم
من أصحاب محمد فهو لهم فاشتد ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءهم
منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فعلم الله الاسلام من نفسه جعل له مخرجا فصالحوه على
أنه يعتمر فى عام قابل فى هذا الشهر لا يدخل علينا بخيل ولا سلاح الا ما يحمل المسافر فى قرابه
يثوى فينا ثلاث ليال وعلى أن هذا الهدى حيثما حبسناه محله لا يقدمه علينا فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم نحن نسوقه وأنتم تردون وجوهه فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الهدى
وسار الناس **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا موسى قال أخبرنى
أبو مرة مولى أم هانئ عن ابن عمر قال كان الهدى دون الجبال التى تطلع على وادى الثنية
عرض له المشركون فردوا وجوهه قال فنحر النبي صلى الله عليه وسلم الهدى حين حبسوه وهى
الحديبية وحلق وتأسى به أناس حين رأوه حلق وتربص آخرون فقالوا لعلنا نطوف بالبيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين قيل والمقصرين قال رحم الله المحلقين قيل
والمقصرين قال والمقصرين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن
ذر الهمدانى عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاث عمر كلها فى ذى القعدة يرجع
فى كلها الى المدينة منها العمرة التى صد فيها الهدى فنحره فى محله عند الشجرة وشارطوه أن يأتى
فى العام المقبل معتمرا فيدخل مكة فيطوف بالبيت ثلاثة أيام ثم يخرج ولا يحبسون عنه
أحدا قدم معه ولا يخرج من مكة بأحد كان فيها قبل قدومه من المسلمين فلما كان من العام المقبل
دخل مكة فأقام بها ثلاثا يطوف بالبيت فلما كان اليوم الثالث قريبا من الظهر أرسلوا اليه ان
قومك قد آذاهم مقامك فنودى فى الناس لا تغرب الشمس وفيها أحد من المسلمين قدم مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى
عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فى بضع
عشرة مائة من أصحابه حتى اذا كانوا بذى الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم بالعمرة وبعث
بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير
الأشطاط قريبا من عسفان أتاه عينه الخزاعى فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى
قد جمعوا لك الأحابيش وجمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أشيروا على أترون أن نميل على ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم
فان قعدوا قعدوا موتورين محزونين وان لحوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون أنا نؤم البيت فمن صدنا
عنه قاتلناه فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال يا رسول الله انا لم نأت لقتال أحد ولكن من حال بيننا
وبين البيت قاتلناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فروحوا اذا وكان أبو هريرة يقول ما رأيت

أنها ستصير لكم قال جار الله يجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط أى وقضى الله أخرى قد أحاط بها ويجوز فيها الرفع على الابتداء لكونها موصوفة بالجملة وقد أحاط خبره وجوز الجر باضمار رب ثم بين أن نصر الله اياهم فى صلح الحديبية أو فى فتح خيبر لم يكن اتفاقيا بل كان الهيا سماويا فقال (ولو قاتلكم) الى آخره والسر فيه أن الله كتب وأوجب غلبة حزبه ونصر رسله كما قال سنة الله الى آخره عن أنس أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم واستحياهم فأنزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة وهو الحديبية لانها من أرض الحرم وقيل هو التنعيم وقيل اظفاره دخوله بلادهم بغير اذنهم وعن عبد الله بن مغفل المزنى قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى أصل الشجرة التى ذكرها الله فى القرآن فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله تعالى بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل كنتم فى عهد أحد وهل جعل لكم أحد أمانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فأنزل الله الآية وانما قدم كف أيدى الكفار عن المؤمنين لأنهم أهم وقيل كف أيديكم بأن أمركم أن لا تحاربوا وكف أيديهم بالقاء الرعب أو بالصلح

أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من النبي صلى الله عليه وسلم فراحوا حتى اذا كانوا ببعض
الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات
اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى
الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل
فقال ما حل فقالوا خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت وما ذاك لها بخلق
ولكنها حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون بها حرمات الله
الا أعطيتهم اياها ثم زجرت فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء انما
يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس أن نزحوه فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش
فنزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينماهم
كذلك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد نزلوا أعداد مياه الحديبية
معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نأت
لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددناهم
مدة و يخلوا بيني و بين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا
وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره
فقال بديل سنبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه
يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا قال سفهاؤهم لا حاجة لنا في أن تحدثنا عنه بشئ وقال
ذو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه
وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال أي قوم ألستم بالولد قالوا بلى قال أولست بالوالد قالوا بلى
قال فهل أنتم تتهموني قالوا لا قال ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم
بأهلي و ولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها
ودعوني آته فقالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا
من مقالته لبديل فقال عروة عند ذلك أي محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من
العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله اني لأرى وجوها وأوباشا من الناس خليقا أن
يفروا ويدعوك فقال أبو بكر امصص بظر اللات واللات طاغية ثقيف الذي كانوا يعبدون
أنحن نفر وندعه فقال من هذا فقالوا أبو بكر فقال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم
أجزك بها لأجبتك وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة
قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة الى لحية رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحيته فرفع رأسه فقال من
هذا قالوا المغيرة بن شعبة قال أي غدر أولست أسعى في غدرتك وكان المغيرة بن شعبة صحب قوما
في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فقد قبلناه
وأما المال فانه مال غدر لا حاجة لنا فيه وان عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بعينه فوالله ان تنخم النبي صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه
وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم
عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك

ووفدت

وقيل ان عكرمة بن أبي جهل خرج
في خمسمائة رجل فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لخالد بن الوليد هذا ابن
عمك قد أتاك في الخيل فقال خالد
أنا سيف الله وسيف رسوله ارم بي
حيث شئت فبعثه على خيل فلقي
عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله
حيطان مكة ثم عاد فهزمه حتى
أدخله جوف مكة فأنزلت الآية
وسمي خالد يومئذ سيف الله وروى
أن كفار مكة خرجوا يوم الحديبية
يرمون المسلمين فرماهم المسلمون
بالحجارة حتى أدخلوهم بيوت مكة
ثم ذم قريشا بقوله (هم الذين كفروا
وصدوكم) يعني يوم الحديبية (عن
المسجد الحرام) أن تطوفوا به للعمرة
(و) صدوا (الهدي) أو صدوكم مع
الهدي حال كونه (معكوفا) أي
محبوسا ممنوعا موقوفا عن (أن يبلغ
محله) المعهود وهو منى وقد مر تفسير
الهدي ومحله والبحث عنه في البقرة
ثم بين حكمة المصالحة بقوله (ولولا
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات)
وقوله (لم تعلموهم) صفة الرجال
والنساء جميعا على جهة التغليب
و (أن تطؤهم) بدل الاشتمال منهم
أو من الضمير المنصوب في تعلموهم
والوطء كالدوس عبارة عن الايقاع
والاهلاك وقوله (فتصيبكم) جواب
النفي أو عطف على أن تطؤهم والمعرة
مفعلة من العر العيب كالحرب
ونحوه وقوله (بغير علم) متقدم
في النية متعلق بأن تطؤهم والفحوى
أنه كان بمكة ناس من المسلمين
مختلطون بالمشركين فقال سبحانه
ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا من
المؤمنين فيما بين المشركين وأنتم غير
عالمين بحالهم فتصيبكم باهلاككم

ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم وما يحدّون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله قوم يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز ابن حفص وهو رجل فاجر فجاء فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل ابن عمرو قال أيوب قال عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال الزهرى فجاء سهيل بن عمرو فقال هات نكتب بيننا وبينك كتابا فدعا الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد ابن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى ولكن اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله والله لا يسألونى خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أعطيتهم اياها فقال النبي صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به قال سهيل والله لا تحدّث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن لك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله وكيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده الينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لى فقال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال صاحبه مكرز وسهيل الى جنبه قد أجزناه لك فقال أبو جندل أى معاشر المسلمين أأرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت كان قد عذب عذابا شديدا فى الله قال عمر بن الخطاب والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت ألست تحدّثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى قال فأخبرتك أنك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومتطوف به قال ثم أتيت أبا بكر فقلت أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه فاستمسك بغرزه حتى تموت فوالله انه لعلى الحق قلت أوليس كان يحدّثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام قال لا قال فانك آتيه ومتطوف به قال الزهرى قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قصته قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منا رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس فقالت أم سلمة

تبعة فى الدين لوجوب الدية والكفارة أو عيب بسوء قالة أهل الشرك انهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا أو اثم اذا جرى منكم بعض التقصير لما كف أيديكم عنهم والكلام يدل على هذا الجواب وفى حذفه فخامة وذهاب للوهم كل مذهب و يعلم منه أنه يفعل بهم اذ ذاك مالا يدخل تحت الوصف وجوزوا أن يكون لو تزيلوا كالتكرير لقوله ولولا رجال لرجعهما الى معنى واحد والتزيل التميز والتفرق و يكون لعذبنا هو الجواب وقوله (ليدخل) تعليل لما دلت عليه الآية من كف الأيدى عن قريش صونا لاهل الايمان المختلطين بهم كأنه قيل كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله مؤمنيهم فى حيز توفيق الخير والطاعة أو ليدخل فى الاسلام من رغب فيه من المشركين وحكى القفال أن اللام متصل بالمؤمنين والمؤمنات أى آمنوا لكذا وقوله (اذ جعل) يجوز أن ينتصب باضمار اذكر أو يكون ظرفا لعذبنا أو لصدّوكم وفاعل جعل يجوز أن يكون الله وقوله (فى قلوبهم) بيان لمكان الجعل كما مر فى قوله وأشربوا فى قلوبهم العجل ويجوز أن يكون الذين كفروا ومفعولاه الحمية والظرف فيكون جعلهم فى قلبهم بازاء أنزل الله والحمية فى مقابلة السكينة والحمية الأنفة والاستكبار الذى كان عليها أهل الجاهلية ومن ذلك عدم اقرارهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنه ما جرى فى قصة الحديبية من ابائهم أن يكتب فى كتاب العهد بسم الله الرحمن الرحيم وأن يكتب محمد رسول الله يقال حميت أنفى حمية

يارسول الله أتحب ذلك اخرج ثم لاتكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك
فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا
وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز
وجل عليه يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر قال فطلق عمر
يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك قال فنهاهم أن يردوهن وأمرهم ان يردوا الصداق حينئذ قال
رجل للزهرى أمن أجل الفروج قال نعم فتزوج احداهما معاوية بن أبى سفيان والاخرى
صفوان بن أمية ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو
مسلم فأرسل فى طلبه رجلان فقالا العهد الذى جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا
بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله انى لأرى سيفك هذا
يافلان جيدا فاستله الآخر فقال والله انه لجيد لقد جربت به وجربت فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه
فأمكنه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال النبى
صلى الله عليه وسلم رأى هذا ذعرا فقال والله قتل صاحبى وانى والله لمقتول فجاء أبو بصير فقال
قد والله أوفى الله ذمتك ورددتنى اليهم ثم أغاثنى الله منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر
حرب لو كان له أحد فلما سمع عرف أنه سيرده اليهم قال فخرج حتى أتى سيف البحر وتفلت أبو
جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبى بصير فجعل لايخرج من قريش رجل قد أسلم الا لحق بأبى
بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله مايسمعون بعير خرجت لقريش الى الشأم الا اعترضوا
لهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يناشدونه الله والرحم لما
أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن فأنزل الله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم حتى بلغ حمية
الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبى ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين
البيت حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا عبد الله بن المبارك قال
أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فى بضع عشرة مائة ثم ذكر نحوه الا أنه قال فى حديثه قال الزهرى
فحدثنى القاسم بن محمد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم
فقلت ألست برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال أيضا وخرج أبو بصير والذين أسلموا
من الذين رد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالساحل على طريق عير قريش فقتلوا من
فيها من الكفار وتغنموها فلما رأى ذلك كفار قريش ركب نفر منهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا له انها لاتغنى مدتك شيأ ونحن نقتل وتنهب أموالنا وانا نسألك أن تدخل هؤلاء
الذين أسلموا منا فى صلحك وتمنعهم وتحجز عنا قتالهم ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ثم ساق الحديث الى آخره نحو حديث ابن
عبد الأعلى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن مسلم بن شهاب
الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه هديه سبعين
بدنة حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال له يارسول الله هذه قريش قد سمعت
بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور ونزلوا بذى طوى يعاهدون الله
لاتدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم قال فقال صلى الله

كانها فعيلة بمعنى مفعول من الحماية
اسم أقيم مقام المصدر كالسكينة
بمعنى السكون فأنزل الله على رسوله
السكينة والوقار حتى اعطاهم
ما أرادوا وكلمة التقوى التسمية
والتوحيد والاعتراف برسالة محمد
صلى الله عليه وسلم اختارها الله
للمؤمنين ومعنى الاضافة أنها سبب
التقوى وأساسها أو المراد كلمة أهل
التقوى الذين يتقون بها غضب الله
(وكانوا أحق بها وأهلها) لانهم خيار
الامم وقيل أراد وكانوا يعنى أهل
مكة أحق بهذه الكلمة لتقدم
انذارهم الا أن بعضهم سلبوا التوفيق
وحكى المبرد أن الذين كانوا قبلنا
لم يكن لأحد أن يقول لا اله الا الله
فى اليوم والليلة الا مرة واحدة
لايستطيع أن يقول أكثر من ذلك
وكان قائلها يمد بها صوته الى ان
ينقطع نفسه تبركا بذكر الله وقد جعل
الله لهذه الامة أن يقولوها متى شاؤا
وهو قوله وألزمهم كلمة التقوى أى
ندبهم الى ذكرها ما استطاعوا
ثم قص رؤيا نبيه صلى الله عليه وسلم
بيانا لاعجازه فان الرؤيا الصادقة جزء
من ستة وأربعين جزأ من النبوة
وقصته أنه رأى فى المنام أن ملكا
قال له لتدخلن الى قوله لاتخافون
فأخبر أصحابه بها ففرحوا وجزموا
بأنهم داخلوها فى عامهم فلما صدوا
عن البيت واستقر الأمر على
الصلح قال بعض الضعفة أليس
كان يعدنا النبى صلى الله عليه وسلم
أن نأتى البيت فنطوف به فقال لهم
أهل البصيرة هل أخبركم أنكم تأتونه
العام فقالوا لا قال فانكم تأتونه
وتطوفون بالبيت فأنزل الله تصديقه
ومعنى (صدق الله رسوله الرؤيا)

عليه وسلم ياويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني و بين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام داخرين ثم ذكر نحو حديث معمر بزيادات فيه كثيرة على حديث معمر تركت ذكرها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والهدى معكوفا أن يبلغ محله قال كان الهدى بذي طوى والحديبية خارجة من الحرم نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غورت قريش عليه الماء

وقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم يقول تعالى ذكره ولولا رجال من أهل الايمان ونساء منهم أيها المؤمنون بالله أن تطؤهم بخيلكم ورجلكم لم تعلموهم بمكة وقد حبسهم المشركون بها عنكم فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج اليكم فتقتلوهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات حتى بلغ بغير علم هذا حين ردّ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يدخلوا مكة فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات فكره الله أن يؤذوا أو يوطؤا بغير علم فتصيبكم منهم معرة بغير علم

واختلف أهل التأويل في المعرّة التي عناها الله في هذا الموضع فقال بعضهم عنى بها الاثم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم قال اثم بغير علم * وقال آخرون عنى بها غرم الدية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فتصيبكم منهم معرة بغير علم فتخرجوا ديته فأما اثم فلم يحسبه عليهم والمعرة هي المفعلة من العرّ وهو الجرب وانما المعنى فتصيبكم من قبلهم معرة تعرّون بها يلزمكم من أجلها كفارة قتل الخطا وذلك عتق رقبة مؤمنة من أطاق ذلك ومن لم يطق فصيام شهرين وانما اخترت هذا القول دون القول الذي قاله ابن اسحق لأن الله انما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يكن هاجر منها ولم يكن قاتله علم ايمانه الكفارة دون الدية فقال وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة لم يوجب على قاتله خطأ ديته فلذلك قلنا عنى بالمعرة في هذا الموضع الكفارة وأن من قوله أن تطؤهم في موضع رفع ردا على الرجال لأن معنى الكلام ولولا أن تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم لأذن الله لكم أيها المؤمنون في دخول مكة ولكنه حال بينكم و بين ذلك ليدخل الله في رحمته من يشاء يقول ليدخل الله في الاسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها وحذف جواب لولا استغناء بدلالة الكلام عليه وقوله لو تزيلوا يقول لو تميز الذين في مشركي مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما يقول لقتلنا من بقي فيها بالسيف أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو تزيلوا الآية ان الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم يعني أهل مكة كان فيهم مؤمنون مستضعفون يقول الله لولا أولئك المستضعفون لو قد تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لو تزيلوا لو تفرقوا فتفرق المؤمن من الكافر لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى

صدقه في رؤياه ولم يكذبه وقوله (بالحق) اما أن يكون متعلقا بصدق أي صدقه فيما راى صدقا متلبسا بالحق وهو أن يكون ما أراه كما أراه واما أن يكون حالا من الرؤيا أي متلبسة بالحق يعني بالغرض الصحيح وهو الابتلاء وتميز المؤمن المخلص من المنافق المرائي وجوّز أن يكون بالحق قسما لأنه اسم من أسماء الله سبحانه أو لأن المراد الحق الذي هو نقيض الباطل فتكون اللام في لتدخلنّ جواب القسم لا للابتداء فيحسن الوقف على الرؤيا والبحث عن الحلق والتقصير وسائر أركان الحج والعمرة وشرائطهما استوفيناها في سورة البقرة فليتذكر وفي ورود ان شاء الله في خبر الله عز وجل اقوال احدها أنه حكاية قول الملك كما روينا والثاني أن ذلك خارج على عادة القرآن من ذكر المشيئة كقوله يغفر لمن يشاء و يعذب المنافقين ان شاء والمعنى ان الله يفعل بالعباد ما هو الصلاح فيكون استثناء تحقيق لا تعليق والثالث أنه أراد لتدخلن جميعا ان شاء ولم يمت أحد أو لم يغب والرابع أنه تأديب وارشاد الى استعمال الاستثناء في كل موضع لقوله صلى الله عليه وسلم وقد دخل البقيع وانا ان شاء الله بكم لاحقون وليس في وقوع الموت استثناء الخامس أنه راجع الى حالة الأمن وعدم الخوف ثم رتب على الصدق وعلى سوء ظن القوم قوله (فعلم مالم تعلموا) من الحكمة في تأخير الفتح الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) الفتح (فتحا قريبا) هو فتح خيبر ثم أكد صدق الرؤيا بل صدق الرسول

وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما) يعنى تعالى ذكره بقوله اذ جعل الذين كفروا
فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية حين جعل سهيل بن عمرو فى قلبه الحمية فامتنع أن يكتب فى كتاب
المقاضاة الذى كتب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين بسم الله الرحمن الرحيم وأن
يكتب فيه محمد رسول الله وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك
* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال
ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى قال كانت حميتهم التى ذكر الله اذ جعل الذين كفروا
فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية أنهم لم يقرؤا آية بسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت
حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر
عن الزهرى بنحوه حدثنى عمرو بن محمد العثمانى قال ثنا اسمعيل بن أبى أويس قال ثنى
أخى عن سليمن عن يحيى بن سعيد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا
الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله وأنزل الله فى كتابه فذكر قوما استكبروا فقال
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال الله اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية
الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها
وهى لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على قضية المدة واذ من قوله اذ جعل الذين كفروا من صلة قوله لعذبنا وتأويل الكلام
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما حين جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية والحمية فعيلة من
قول القائل حمى فلان أنفه حمية ومحمية ومنه قول المتلمس

ألا اننى منهم وعرضى عرضهم * كذا الرأس يحمى أنفه أن يكشما

يعنى بقوله يحمى يمنع وقال حمية الجاهلية لأن الذى فعلوا من ذلك كان جميعه من أخلاق أهل
الكفر ولم يكن شئ منه مما اذن الله لهم به ولا أحد من رسله وقوله فأنزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين يقول تعالى ذكره فأنزل الله الصبر والطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين اذ
حمى الذين كفروا حمية الجاهلية ومنعوهم من الطواف بالبيت وأبوا أن يكتبوا فى الكتاب بينه
وبينهم بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله وألزمهم كلمة التقوى يقال ألزمهم قول لا اله الا الله
التى يتقون بها النار وأليم العذاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف
فى ذلك منهم وروى به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قائلى ذلك بما قلنا فيه
والخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن قزعة الباهلى قال ثنا
سفيان بن حبيب قال ثنا شعبة عن ثور بن أبى فاختة عن أبيه عن الطفيل عن أبيه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله حدثنى محمد بن خالد
ابن خداش العتكى قال سمعت سالما سمع شعبة سمع سلمة بن كهيل سمع عباية سمع عليا رضى الله عنه
فى قوله وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله حدثنى ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن
قالا ثنا سفيان عن سلمة عن عباية بن ربعى عن على رضى الله عنه فى قوله وألزمهم كلمة التقوى
قال لا اله الا الله والله أكبر حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى قال ثنا ابن المبارك عن سفيان
وشعبة عن سلمة بن كهيل عن رجل عن على رضى الله عنه قال لا اله الا الله والله أكبر حدثنا
ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير عن شعبة عن سلمة عن عباية عن رجل من بنى تميم عن على

رضى

فى كل شئ بقوله (هو الذى أرسل
الآية وذلك أنه لو كذب رسوله كان
مضلا ولم يكن ارساله سببا لظهور
دينه وقوة ملته وقد مر نظير الآية
فى سورة التوبة ومن استعلاء هذا
الدين أنه لا ترى أهل ملة الا والمسلم
غالب عليه الا أن يشاء الله وقد يقال
ان كمال العز والغلبة عند نزول عيسى
عليه السلام فلا يبقى على الارض
كافر (وكفى بالله شهيدا) على أن
هذا الدين يعلو ولا يعلى ثم أكد
الشهادة وأرغم أنف قريش الذين
لم يرضوا بهذا التعريف فى كتاب
العهد فقال (محمد رسول الله) فهو
مبتدأ وخبر وجوز أهل الاعراب
أن يكون المبتدأ محذوفا تقدم ذكره
فى قوله ارسل رسوله أى هو محمد
فيكون رسول الله صفة أو عطف
بيان وجوزوا ان يكون محمد مبتدأ
ورسول الله صفته أو بيانا وقوله
(والذين معه) وهم الصحابة عطفا على
محمد وخبر الجميع (أشداء على الكفار)
جمع شديد كما قال واغلظ عليهم
أعزة على الكافرين عن الحسن بلغ
من تشددهم على الكفار أنهم كانوا
يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم
فكيف بأبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما
بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا
صافحه وعانقه والمصافحة جائزة
بالاتفاق وأما المعانقة والتقبيل فقد
كرههما أبو حنيفة رضى الله عنه
وان كان التقبيل على اليد ومن حق
المؤمنين أن يراعوا هذه السنة أبدا
فيتشددوا على مخالفيهم ويرحموا
أهل دينهم (تراهم) يا محمد أو يا من له
أهلية الخطاب (ركعا سجدا) راكعين
ساجدين (يبتغون فضلا من الله)

رضي الله عنه وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وألزمهم كلمة التقوى يقول شهادة أن لا اله الا الله فهي كلمة التقوى يقول فهي راس التقوى حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا اسحق يحدث عن عمرو بن ميمون أنه كان يقول في هذه الآية وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله حدثني محمد بن عيسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله * قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وألزمهم كلمة التقوى وهي شهادة أن لا اله الا الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وألزمهم كلمة التقوى قال هي لا اله الا الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وألزمهم كلمة التقوى هي لا اله الا الله حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله وألزمهم كلمة التقوى قال شهادة أن لا اله الا الله حدثني ابن البرقي قال ثنا عمرو ابن أبي سلمة عن سعيد بن عبد العزيز عن عطاء الخراساني وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله محمد رسول الله حدثني الصواري محمد بن اسمعيل قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن أبي خالد المكي عن علي الأزدي قال كنت مع ابن عمر بين مكة ومنى بالمأزمين فسمع الناس يقولون لا اله الا الله والله أكبر فقال هي هي فقلت ماهي قال وألزمهم كلمة التقوى الاخلاص وكانوا احق بها وأهلها * وقال آخرون بل هي كلمة التقوى للاخلاص ذكر من قال ذلك حدثني علي بن الحسين الأزدي قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن مجاهد وألزمهم كلمة التقوى قال الاخلاص حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كلمة التقوى كلمة الاخلاص * وقال آخرون هي قوله بسم الله الرحمن الرحيم ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عيسى قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري في قوله وألزمهم كلمة التقوى قال بسم الله الرحمن الرحيم * وقال آخرون هي قول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال أخبرنا ابن جريج عن مجاهد وعطاء وألزمهم كلمة التقوى قال أحدهما الاخلاص وقال الآخر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقوله وكانوا أحق بها وأهلها يقول تعالى ذكره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أحق بكلمة التقوى من المشركين وأهلها يقول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أهل كلمة التقوى دون المشركين وذكر أنها في قراءة عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكانوا أحق بها وأهلها وكان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها أي التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وقوله وكان الله بكل شئ عليما يقول تعالى ذكره ولم يزل الله بكل شئ ذا علم لا يخفى عليه شئ هو كائن ولعلمه أيها الناس بما يحدث من دخولكم مكة وبها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم يأذن لكم بدخولكم مكة في سفرتكم هذه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لقد

بالعفو عن تقصيرهم (ورضوانا) منه عن أعمالهم الصالحة بأن يتقبلها الله منهم (سيماهم) علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) فيجوز أن تكون العلامة أمرا محسوسا وأن السجود بمعنى حقيقة وضع الجبهة على الارض وكان كل من علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما أحدثت في مواضع السجود منهما أشباه ثفنات البعير والذي جاء في الحديث لا تعلبوا صوركم أي لا تخدشوها وعن ابن عمر أنه رأى رجلا أثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك محمول على التعمد رياء وسمعة وعن سعيد بن المسيب هي ندى الطهور وتراب الارض ويجوز أن يكون أمرا معنويا من البهاء والنور وعن عطاء استنارت وجوههم من التهجد كما قيل من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وان الذي يبيت شاربا يتميز عند أرباب البصيرة من الذي يبيت مصليا وفيه قال بعضهم

عيناك قد حكتا مبيـ
تك كيف كنت وكيف كانا
ولرب عين قد أرتـ
ك مبيت صاحبها عيانا

قال المحققون ان من توجه الى شمس الدنيا لابد أن يقع شعاعها على وجهه فالذي أقبل على شمس عالم الوجود وهو الله سبحانه كيف لا يستنير ظاهره وباطنه ولا سيما يوم تبلى السرائر ويكشف الغطاء (ذلك مثلهم) أي ذلك الوصف وصفهم

صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين
لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ﴾ يقول تعالى ذكره لقد صدق الله
رسوله محمدا رؤياه التي أراها اياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين لايخافون أهل
الشرك مقصرا بعضهم رأسه ومحلقا بعضهم * وبنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه
عن ابن عباس لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين قال
هو دخول محمد صلى الله عليه وسلم البيت والمؤمنون محلقين رؤسهم ومقصرين حدثني محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الرؤيا بالحق قال أرى بالحديبية أنه يدخل مكة
وأصحابه محلقين فقال أصحابه حين نحر بالحديبية أين رؤيا محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق قال رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه يطوف بالبيت وأصحابه فصدّق الله رؤياه فقال لتدخلنّ المسجد الحرام
ان شاء الله آمنين حتى بلغ لاتخافون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة
في قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق قال أرى في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام وأنهم
آمنون محلقين رؤسهم ومقصرين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخر الآية قال قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت
أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤسكم ومقصرين فلما نزل بالحديبية ولم يدخل ذلك العام
طعن المنافقون في ذلك فقالوا أين رؤياه فقال الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق فقرأ حتى بلغ
ومقصرين لاتخافون اني لم أره يدخلها هذا العام وليكونن ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن ابن اسحق لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى قوله ان شاء الله آمنين لرؤيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم التي أريها أنه سيدخل مكة آمنا لايخاف يقول محلقين ومقصرين لاتخافون وقوله فعلم
مالم تعلموا يقول تعالى ذكره فعلم الله جل ثناؤه مالم تعلموا وذلك علمه تعالى ذكره بما بمكة من الرجال
والنساء المؤمنين الذين لم يعلمهم المؤمنون ولو دخلوها في ذلك العام لوطؤهم بالخيل والرجل فأصابتهم
منهم معرّة بغير علم فردّهم الله عن مكة من أجل ذلك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فعلم مالم تعلموا
قال ردّه لمكان من بين أظهرهم من المؤمنين والمؤمنات وأخره ليدخل الله في رحمته من يشاء من
يريد أن يهديه وقوله فجعل من دون ذلك فتحا قريبا اختلف أهل التأويل في الفتح القريب الذي
جعله الله للمؤمنين دون دخولهم المسجد الحرام محلقين رؤسهم ومقصرين فقال بعضهم هو الصلح
الذي جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش ذكر من قال ذلك حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من دون ذلك فتحا قريبا قال النحر بالحديبية ورجعوا
فافتتحوا خيبر ثم اعتمر بعد ذلك فكان تصديق رؤياه في السنة القابلة حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة عن ابن اسحق عن الزهري قوله فجعل من دون ذلك فتحا قريبا يعني صلح الحديبية وما فتح
في الاسلام فتح كان أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت
الحرب وامن الناس كلهم بعضهم بعضا فالتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد

بالاسلام

العجيب الشأن في الكاتبين ويجوز
أن يكون ذلك اشارة مبهمة
أوضحت بقوله (كزرع) الى آخره
كقوله وقضينا اليه ذلك الامر أن
دابر هؤلاء مقطوع وقد يقال
تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم
في التوراة ثم ابتدأ مثلهم في الانجيل
كزرع لما روى أنه مكتوب
في الانجيل سيخرج قوم ينبتون
نبات الزرع يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر عرفوا الى بني
اسرائيل بهذا الوصف ليعرفوهم
اذا أبصروهم والشطء بالتسكين
والتحريك فراخ الزرع التي تنبت
الى جانب الاصل ومنه شاطئ النهر
(فآزره) من المؤازرة المعاونة ويجوز
أن يكون أفعل من الأزر القوة أي
أعان الزرع الشطء أو بالعكس
(فاستغلظ) الزرع أو الشطء أي صار
من الرقة الى الغلظ (فاستوى على
سوقه) فاستقام على قصبته أي تناهى
وصار كالاصل بحيث يعجب
الزارعين والسوق جمع ساق وقد
يخص الساق بالشجر فيكون ساق
الزرع مجازا استعارا ووجه التشبيه
أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج
وحده ثم اتبعه من ههنا قليل ومن
ههنا حتى كثروا وقوي أمرهم
وقوله (ليغيظ بهم الكفار) تعليل
لوجه التشبيه أو للتشبيه أي ضرب
الله ذلك المثل وقضى وحكم بذلك
ليغيظ بمحمد صلى الله عليه وسلم
وأصحابه كفار مكة والعجم وقيل
هذا الزرع يغيظ بكثرته الكفار أي
سائر الزراع الذين ليس لهم مثل
زرعهم وفيه بعد ولكن الكلام
لايخلو عن فصاحة لفظية من قبل
المناسبة بين الزراع والكفار

بالاسلام يعقل شيأ الا دخل فيه فلقد دخل فى تينك السنتين فى الاسلام مثل من كان فى الاسلام قبـل ذلك وأكثر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فجعل من دون ذلك فتحا قريبا قال صلح الحديبية * وقال آخرون عنى بالفتح القريب فى هـذا الموضع فتح خيبر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فجعل من دون ذلك فتحا قريبا قال خيبر حين رجعوا من الحديبيـة فتحها الله عليهم فقسمها على أهل الحديبيـة كلهم الا رجلا واحدا من الانصا ر يقال له أبو دجانة سماك بن خرشة كان قد شهد الحديبية وغاب عن خيبر * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعـة الرضوان فتحا قريبا من دون دخولهم المسجد الحرام ودون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسـلم وكان صلح الحديبيـة وفتح خيبر دون ذلك ولم يخصص الله تعالى ذكره خبره ذلك عن فتح من ذلك دون فتح بل عم ذلك وذلك كله فتح جعـله الله من دون ذلك والصواب أن يعم كما عمـه فيقال جعل الله من دون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسـلم بدخوله وأصحابه المسجد الحرام محلقين رؤسهم ومقصرين لايخافون المشركين صلح الحديبية وفتح خيبر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجـدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيـل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالبيان الواضح ودين الحق وهو الاسلام الذى أرسله داعيا خلقه اليه ليظهره على الدين كله يقول ليبطل به الملل كلها حتى لايكون دين سـواه وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال فحينئذ تبطل الأديان كلها غير دين الله الذى بعث به محمدا صلى الله عليه وسـلم ويظهر الاسـلام على الأديان كلها وقوله وكفى بالله شهيدا يقول جل ثناؤه لنبيـه صلى الله عليه وسـلم أشهدك يا محمد ربك على نفسه أنه سيظهر الدين الذى بعثك به وكفى بالله شهيدا يقول وحسبك به شاهدا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو بكر الهـذلى عن الحسن هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا يقول أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الدين كله وهذا اعلام من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والذين كرهوا الصلح يوم الحديبية من أصحابه أن الله فاتح عليهم مكة وغيرها من البلدان مسليهم بذلك عما نالهم من الكآبة والحزن بانصرافهم عن مكة قبـل دخولهموها وقبـل طوافهم بالبيت قوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهـم يقول تعالى ذكره محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينـه أشـداء على الكفار غليظة عليهم قلوبهم قليلة بهم رحمتهم رحماء بينهم يقول رقيقـة قلوب بعضهم لبعض لينة أنفسهم لهم هينة عليهم لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة رحماء بينهم ألقى الله فى قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض تراهم ركعا سجدا يقول تراهم ركعا أحيانا لله فى صـلاتهم سجدا أحيانا يبتغون فضلا من الله يقول يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضا فضلا من الله وذلك رحمته اياهم بأن يتفضل عليهم فيدخلهم جنته ورضوانا يقول

لاشـتراكهما بالجملة فى معنى من المعانى وان لم يكن مقصودا ههنـا وذهب بعض المفسرين الى أن قوله والذين معه أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا على عليه السلام يبتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير سيماهم فى وجوههم سعد وسعيد وعبـد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ابن الجـراح وعن عكرمة أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلىّ وقوله (منهم) لبيان الجنس ويجوز أن يكون قوله ليغيظ تعليلا للوعد لان الكفار اذا سمعوا بمـا أعد لهم فى الآخرة مع ما حصل لهم فى الدنيا من الغلبة والاستعلاء غاظهم ذلك والله أعلم

* (سورة الحجرات مدنية حروفها ألف وأربعمائة وسـتة وسبعون كلماتهـا ثلثمائة وأربعـون آياتهـا ثمـان عشرة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ يـأيها الذين آمنوا لا تقـدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يـأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمـالكم وأنتم لاتشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عنـد رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهـم للتقوى لهـم مغفرة وأجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يـأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة

فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله

وأن يرضى عنهم ربهم وقوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود يقول علامتهم فى وجوههم من أثر السجود فى صلاتهم ثم اختلف أهل التأويل فى السيما الذى عناه الله فى هذا الموضع فقال بعضهم ذلك علامة يجعلها الله فى وجوه المؤمنين يوم القيامة يعرفون بها لما كان من سجودهم له فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال صلاتهم تبدو فى وجوههم يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيدالله العتكى عن خالد الحنفى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال يعرف ذلك يوم القيامة فى وجوههم من أثر سجودهم فى الدنيا وهو كقوله تعرف فى وجوههم نضرة النعيم حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد قال ثنا أبى عن فضيل بن مرزوق عن عطية فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة أشد وجوههم بياضا حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبيدالله بن موسى قال أخبرنا ابن فضيل عن فضيل عن عطية بنحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن نضيل عن عطية بنحوه حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا فضيل عن عطية مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت شبيبا يقول عن مقاتل بن حيان قال سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال النور يوم القيامة حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا هرون بن اسمعيل قال قال على بن المبارك سمعت غير واحد عن الحسن فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال بياضا فى وجوههم يوم القيامة * وقال آخرون بل ذلك سيما الاسلام وسمته وخشوعه وعنى بذلك أنه يرى من ذلك عليهم فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله سيماهم فى وجوههم قال السمت الحسن * قال ثنا مجاهد قال ثنا يزيد قال ثنا الحسن ابن عمارة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال أما انه ليس بالذى ترون ولكنه سيما الاسلام وسحنته وسمته وخشوعه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن حميد الاعرج عن مجاهد سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال الخشوع والتواضع حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن حميد الأعرج عن مجاهد مثله * قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال الخشوع حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فى هذه الآية سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال السحنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال هو الخشوع فقلت هو أثر السجود فقال انه يكون بين عينيه مثل ركبة العنز وهو كما شاء الله * وقال آخرون ذلك أثر يكون فى وجوه المصلين مثل أثر السهر الذى يظهر فى الوجه مثل الكلف والتهيج والصفرة وما أشبه ذلك مما يظهره السهر والتعب فى الوجه ووجهوا التأويل فى ذلك الى انه سيما فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن رجل عن الحسن سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال الصفرة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم الشيخ الذى كان يقص فى عسر وقرأ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود فزعم أنه السهر يرى فى وجوههم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن حفص عن شمر بن عطية فى قوله سيماهم فى وجوههم قال تهيج فى الوجه من سهر الليل * وقال آخرون ذلك آثار ترى فى الوجه

من ثرى الارض أوندى الطهور ذكر من قال ذلك حدثنا حوثرة بن محمد المنقرى قال ثنا حماد ابن مسعدة وحدثنا ابن حميد قال ثنا جرير جميعا عن ثعلبة بن سهيل عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال ثرى الارض وندى الطهور حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا هرون بن اسمعيل قال ثنا على بن المبارك قال ثنا مالك ابن دينار قال سمعت عكرمة يقول سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال هو أثر التراب * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى وجوههم من أثر السجود ولم يخص ذلك على وقت دون وقت واذ كان ذلك كذلك فذلك على كل الاوقات فكان سيماهم الذى كانوا يعرفون به فى الدنيا أثر الاسلام وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته وآثار أداء فرائضه وتطوعه وفى الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به وذلك الغرة فى الوجه والتحجيل فى الأيدى والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجوه من أثر السجود وبنحو الذى قلنا فى معنى السيما قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيماهم فى وجوههم من أثر السجود يقول علاماتهم أو أعلمتهم الصلاة وقوله ذلك مثلهم فى التوراة يقول هذه الصفة التى وصفت لكم من صفة أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذين معه صفتهم فى التوراة وقوله ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه يقول وصفتهم فى انجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه وهو فراخه يقال منه قد أشطأ الزرع اذا فرخ فهو يشطئ اشطاء وانما مثلهم بالزرع المشطئ لأنهم ابتدؤا فى الدخول فى الاسلام وهم عدد قليلون ثم جعلوا يتزايدون ويدخل فيه الجماعة بعدهم ثم الجماعة بعد الجماعة حتى كثر عددهم كما يحدث فى أصل الزرع الفرخ منه ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله محمد رسول الله والذين معه أصحابه مثلهم يعنى نعتهم مكتوبا فى التوراة والانجيل قبل أن يخلق السموات والارض حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار الى قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم قال ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك مثلهم فى التوراة أى هذا المثل فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فهذا مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانجيل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة يعنى السيما فى الوجوه مثلهم فى التوراة وليس بمثلهم فى الانجيل ثم قال عز وجل ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه الآية هذا مثلهم فى الانجيل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه (١) حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قول الله محمد رسول الله والذين معه الآية قال هذا مثلهم فى التوراة ومثل آخر فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره الآية * وقال آخرون هذان المثلان فى التوراة والانجيل مثلهم ذكر

(١) لم يذكر عن ابن زيد تفسير ولعله سقط من الناسخ وحرر كتبه مصححه

بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون ﴾ ۞ القرآآت لاتقدموا بالفتحات من التقدم يعقوب الحجرات بفتح الجيم يزيد اخوتكم على الجمع يعقوب وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ولاتجسسوا ولاتنابزوا ولتعارفوا بالتشديدات للادغام البزى وابن فليح ميتا مشددا أبو جعفر ونافع يألتكم بالهمز أبو عمرو وسهل ويعقوب وقد لايهمز فى رواية الآخرون بالحذف بما يعملون على الغيبة ابن كثير ۞ الوقوف واتقوا الله ط عليم ه ج لاتشعرون ه للتقوى ط عظيم ه لايعقلون ه خيرا لهم ط رحيم ه نادمين ه رسول الله ط والعصيان ط الراشدون ه لأن فضلا مفعول له ونعمة ط حكيم ه بينهما ج للشرط مع الفاء أمر الله ج لذلك وأقسطوا ط المقسطين ه ترحمون ه منهن ج للعدول عن الغيبة الى الخطاب بالألقاب ط بعد الايمان ه ج لابتداء الشرط مع احتمال ومن لم يتب عماذكر من اللمز والنبز الظالمون ه من الظن ز للابتداء بان الا أنه للتعليل أى لأن بعضا ج فكرهتموه ط واتقوا الله ط رحيم ه لتعارفوا ط أتقاكم ط خبير ه آمنا ط قلوبكم ط شيأ ط رحيم ه فى سبيل الله ط الصادقون ه فى الأرض ط عليم ه أسلموا ط اسلامكم ج لان بل للاضراب

من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ذلك مثلهم في التوراة والانجيل واحد * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال مثلهم في التوراة غير مثلهم في الانجيل وان الخبر عن مثلهم في التوراة متناه عند قوله ذلك مثلهم في التوراة وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم في التوراة والانجيل واحد لكان التنزيل ومثلهم في الانجيل وكزرع أخرج شطأه فكان تمثيلهم بالزرع معطوفا على قوله سيماهم في وجوههم من أثر السجود حتى يكون ذلك خبرا عن أن ذلك مثلهم في التوراة والانجيل وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله كزرع دليل بين على صحة ما قلنا وأن قوله ومثلهم في الانجيل خبر مبتدأ عن صفتهم التي هي في الانجيل دون ما في التوراة منها * و بنحو الذي قلنا في قوله أخرج شطأه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن خيثمة قال بينا عبد الله يقرئ رجلا عند غروب الشمس اذ مر بهذه الآية كزرع أخرج شطأه قال أنتم الزرع وقد دنا حصادكم * قال ثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن حميد الطويل قال قرأ أنس بن مالك كزرع أخرج شطأه فآزره قال تدرون ما شطأه قال نباته حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه قال سنبله حين يتسلع نباته عن حباته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه قال هذا مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل قيل لهم انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع منهم قوم يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والزهري كزرع أخرج شطأه قالا أخرج نباته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون ويستغلظون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كزرع أخرج شطأه أولاده ثم كثرت أولاده حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كزرع أخرج شطأه قال ما يخرج بجنب الحقلة فيتم و ينمي وقوله فآزره يقول فقواه أي قوى الزرع شطأه وأعانه وهو من المؤازرة التي بمعنى المعاونة فاستغلظ يقول فغلظ الزرع فاستوى على سوقه والسوق جمع ساق وساق الزرع والشجر حاملته * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فآزره يقول نباته مع التفافه حين يسنبل ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل فهو مثل ضربه لأهل الكتاب اذا خرج قوم ينبتون كما ينبت الزرع فيبلغ فيهم رجال يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ثم يغلظون فهم أولئك الذين كانوا معهم وهو مثل ضربه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم يقول بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم وحده ثم اجتمع اليه ناس قليل يؤمنون به ثم يكون القليل كثيرا ويستغلظون و يغيظ الله بهم الكفار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا

عن

عن الاول صادقين ه والارض ط تعلمون ه ۞ التفسير لما بين محل النبي صلى الله عليه وسلم وعلو منصبه بقوله هو الذي أرسل رسوله الى آخر السورة افتتح الآن بقوله لا تقدموا الآية ففيه تأكيد لما ذكر هناك من وجوب اتباعه والاذعان له والأظهر أن هذا ارشاد عام وذكر المفسرون في أسباب النزول وجوها منها ما روى عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبر أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله الآية وقال الحسن والزجاج نزلت في رجل ذبح الأضحية قبل الصلاة وقبل ذبح النبي صلى الله عليه وسلم فأمره باعادتها وهو مذهب أبي حنيفة الى أن تزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن عائشة أنها نزلت في صوم يوم الشك وروى أنها في القتال أي لا تحملوا على الكفار في الحرب قبل أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقدم اما متعد وحذف المفعول للعموم حتى يتناول كل فعل وقول أو ترك مفعوله كما في قوله فلان يعطى ويمنع لان النظر الى الفعل لا الى المفعول كأنه قيل يجب أن لا يصدر منكم تقدم أصلا في أي فعل كان واما لازم نحو بين وتبين بمعنى يؤيده قراءة يعقوب قال جار الله حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن يجلس بين الجهتين

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فآزره قال فشدّه وأعانه وقوله على سوقه قال أصوله حدثني ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والزهري فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يقول فتلاحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فآزره اجتمع ذلك فالتف قال وكذلك المؤمنون خرجوا وهم قليل ضعفاء فلم يزل الله يزيد فيهم ويؤيدهم بالاسلام كما أيد هذا الزرع بأولاده فآزره فكان مثلا للمؤمنين حدثني عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يقول حب برّ نثر متفرقا فتنبت كل حبة واحدة ثم أنبتت كل واحدة منها حتى استغلظ فاستوى على سوقه قال يقول كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قليلا ثم كثروا ثم استغلظوا ليغيظ الله بهم الكفار وقوله يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار يقول تعالى ذكره يعجب هذا الزرع الذي استغلظ فاستوى على سوقه في تمامه وحسن نباته وبلوغه وانتهائه الذين زرعوه ليغيظ بهم الكفار يقول فكذلك مثل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذي وصف جل ثناؤه صفته ثم قال ليغيظ بهم الكفار فدل ذلك على متروك من الكلام وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس ليغيظ بهم الكفار يقول الله مثلهم كمثل زرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه حتى بلغ أحسن النبات يعجب الزراع من كثرته وحسن نباته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يعجب الزراع قال يعجب الزراع حسنه ليغيظ بهم الكفار بالمؤمنين لكثرتهم فهذا مثلهم في الانجيل وقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما يقول تعالى ذكره وعد الله الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله به من فرائضه التي أوجبها عليهم وقوله منهم يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام بعد الزرع الذي وصف ربنا تبارك وتعالى صفته والهاء والميم في قوله منهم عائدة على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك جمع فقيل منهم ولم يقل منه وانما جمع الشطء لانه أريد به من يدخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا وقوله مغفرة يعني عفوا عما مضى من ذنوبهم وسيئ أعمالهم بحسنها وقوله وأجرا عظيما يعني وثوابا جزيلا وذلك الجنة

آخر تفسير سورة الفتح

﴿تفسير سورة الحجرات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم﴾ يعني تعالى ذكره بقوله يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين أقروا بوحدانية الله وبنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تقدموا بين يدي الله ورسوله يقول لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم

المسامتتين ليمينه وشماله حتى ينظر اليك من غير تقليب حدقة وذكر الله للتعظيم وفيه أن التقديم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كالتقديم بين يدي الله قال ابن عباس نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه بل عليهم أن يصغوا ولا يتكلموا وقيل معناه لا تخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وعن الحسن في رواية أخرى لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدؤه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ (واتقوا الله) في التقديم أو أمرهم بالتقوى ليحملهم على ترك التقدمة فان المتقي حذر عن كل ما فيه تبعة وريب (ان الله سميع) لأقوالكم (عليم) بنياتكم وأفعالكم ثم أعاد النداء عليهم مزيدا للتنبيه وفيه نوع تفصيل بعد اجمال وتخصيص بعد تعميم وعن ابن عباس ان ثابت ابن قيس بن شماس كان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان يتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوته اذا كلمه فحين نزلت الآية فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر بأنه رجل جهير الصوت يخاف أن تكون الآية نزلت فيه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وعن الحسن نزلت في المنافقين كانوا يرفعون بأصواتهم فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم استخفافا واستهانة وليقتدي بهم ضعفة المسلمين فنهى المؤمنون عن ذلك وعلى هذا فاما أن يكون الايمان أعم من أن يكون باللسان

أودينكم قبل أن يقضي الله لكم فيه و رسوله فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله محكي عن
العرب فلان يقدّم بين يدي امامه بمعنى يعجل بالامر والنهي دونه * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال
أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا
أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله يقول
لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال
ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآية
قال نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله
يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله و رسوله قال لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشيء حتى يقضيه الله على لسانه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها
الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ذكر لنا أن أناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا
لوضع كذا وكذا قال فكره الله عز وجل ذلك وقدم فيه * وقال الحسن أناس من المسلمين ذبحوا
قبل صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فأمرهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا
ذبحا آخر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله يا أيها الذين
آمنوا لا تقدموا بين يدي الله و رسوله قال ان أناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا لو أنزل في كذا
وقال الحسن هم قوم نحروا قبل أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم
أن يعيدوا الذبح حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك
يقول في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله يعني بذلك في القتال (١) وكان من
أمورهم لا يصلح أن يقضى إلا بأمره ما كان من شرائع دينهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد في قوله جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله و رسوله قال
لا تقطعوا الأمر دون الله ورسوله و حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان يا أيها
الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله و رسوله قال لا تقضوا أمرا دون رسول الله وبضم التاء
من قوله لا تقدموا قرأ قراء الأمصار وهي القراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها لاجماع الحجة
من القراء عليها وقد حكي عن العرب قدمت في كذا وتقدمت في كذا فعلى هذه اللغة لو كان
قيل لا تقدموا بفتح التاء كان جائزا وقوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يقول وخافوا الله أيها الذين
آمنوا في قولكم أن تقولوا مالم يأذن لكم به الله ولا رسوله وفي غير ذلك من أموركم و راقبوه ان الله
سميع لما تقولون عليم بما تريدون بقولكم اذا قلتم لا يخفى عليه شيء من ضمائر صدوركم وغير ذلك
من أموركم وأمور غيركم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)
يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله و رسوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله
تتجهموه بالكلام وتغلظون له في الخطاب ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض يقول
ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا يا محمد يا محمد يا نبي الله يا نبي الله يا رسول الله * و بنحو الذي قلنا
في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح

عن

اوبه و بالقلب واما أن يكون الايمان
حقيقة فيكون تأديبا للمؤمنين
الخلص حتى يكون حالهم بخلاف
حال أهل النفاق و يكون كلامهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أخفض من كلامه لهم رعاية
لحشمته وصيانة على مهابته قوله
(ولا تجهروا له بالقول كجهر) أي
جهرا مثل جهر (بعضكم لبعض)
قيل تكرار للمعنى الاول لاجل التأكيد
فان الجهر هو رفع الصوت والجمهور
على أن بين النهيين فرقا ثم اختلفوا
فقيل الاول فيما اذا نطق ونطقوا
أو أنصت ونطقوا في أثناء كلامه
فنهوا أن يكون جهرهم باهر الجهر
والثاني فيما اذا سكت ونطقوا فنهوا
عن جهر مقيد بما اعتادوه فيما بينهم
وهو الخالي عن مراعاة أبهة النبوة
وقيل النهي الاول أعم مما اذا نطق
ونطقوا أو أنصت ونطقوا والمراد
بالنهي الثاني ان لا ينادي وقت
الخطاب باسمه أو كنيته كنداء
بعضهم لبعض فلا يقال يا أحمد يا محمد
يا أبا القاسم ولكن يا نبي الله يا رسول
الله ثم علل كلا من النهيين بقوله (أن
تحبط) أي كراهة حبوط أعمالكم
وذلك أن الرفع والجهر اذا كان عن
استخفاف واهانة كان كفرا محبطا
للاعمال السابقة والمفعول له يتعلق
بالفعل الاول في الظاهر عند
الكوفيين و بالعكس عند البصريين
وجوز في الكشاف أن يقدر الفعل
في الثاني مضموما اليه المفعول له
كأنهما شيء واحد ثم يصب عليهما
الفعل جميعا صبا واحدا والمعنى أنهم
نهوا عن الفعل الذي فعلوه لأجل
الحبوط لانه كان بصدد الأداء
اليه فجعل كأنه سبب في ايجاده

(١) لعله وكل ما كان الخ تأمل

عن مجاهد في قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال لا تنادوه نداء ولكن قولا لينا
يا رسول الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض كانوا يجهرون له بالكلام و يرفعون أصواتهم فوعظهم الله ونهاهم عن ذلك
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة كانوا يرفعون و يجهرون عند النبي
صلى الله عليه وسلم فوعظوا ونهوا عن ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا
عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية هو كقوله
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا وأمرهم
أن يشرفوه و يعظموه ويدعوه اذا دعوه باسم النبوة حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب
قال ثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن الشماس قال ثني عمي اسمعيل بن محمد بن ثابت بن قيس
ابن شماس عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول
قال قعد ثابت في الطريق يبكي قال فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال ما يبكيك يا ثابت
قال لهذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا صيت رفيع الصوت قال فمضى عاصم بن عدي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وغلبه البكاء قال فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي ابن سلول
فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى اذا خرج عطفه وقال
لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأتى عاصم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجاء عاصم الى المكان فلم يجده فجاء الى أهله
فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة قال
فخرجا فأتيا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال
أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة
فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا أرفع صوتي أبدا على رسول الله فأنزل الله ان الذين يغضون
أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا
يعقوب عن حفص عن شمر بن عطية قال جاء ثابت بن قيس بن الشماس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو محزون فقال يا ثابت ما الذي أرى بك فقال آية قرأتها الليلة فأخشى أن يكون قد
حبط عملي يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وكان في أذنه صمم فقال يا نبي الله
أخشى أن أكون قد رفعت صوتي وجهرت لك بالقول وأن أكون قد حبط عملي وأنا لا أشعر فقال
النبي صلى الله عليه وسلم امش على الارض نشيطا فانك من أهل الجنة حدثني يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن عكرمة قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي الآية قال ثابت بن قيس فأنا كنت أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه
وسلم وأجهر له بالقول فأنا من أهل النار فقعد في بيته فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل
عنه فقال رجل انه لجاري ولئن شئت لأعلمن لك علمه فقال نعم فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد تفقدك وسأل عنك فقال نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي الآية وأنا كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهر له
بالقول فأنا من أهل النار فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال بل هو من أهل
الجنة فلما كان يوم اليمامة انهزم الناس فقال أف لهؤلاء وما يعبدون وأف لهؤلاء وما يصنعون

كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا
وفي قوله (وأنتم لا تشعرون) اشارة
الى أن ارتكاب المآثم يجر الاعمال
الى الحبوط من حيث لا يشعر المرء
به ومثله قول الحكيم ان كلا من
الأخلاق الفاضلة والرذيلة تكون
أولا حالا ثم تصير ملكة راسخة
وعادة مستمرة ومنه قول أفلاطون
لا تصحب الشرير فان طبعك
يسرق وأنت لا تدري فالعاقل من
يجتهد في الفضائل أن تصير ملكات
وفي الرذائل أن تزول عنه وهي
أحوال قال ابن عباس لما نزلت
الآية قال أبو بكر يا رسول الله والله
لا أكلمك الا السرار أو كأخي السرار
حتى ألقى الله فأنزل الله فيه وفي أمثاله
(ان الذين يغضون أصواتهم عند
رسول الله أولئك الذين امتحن الله)
هو افتعل من المحنة وهو اختبار بليغ
يقال امتحن فلان لأمر كذا أي
جرب له فوجد قويا عليه أو وضع
الامتحان موضع المعرفة لأن تحقق
الشئ باختباره فكأنه قيل عرف الله
قلوبهم كائنة للتقوى فاللام متعلقة
بالمحذوف كقولك انت لهذا الامر
أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن
والتكاليف لأجل التقوى وحصولها
فيها سابقة ولاحقة (لهم مغفرة)
لذنوبهم (وأجر عظيم) لطاعتهم
وفي تنكير الوعد وغير ذلك من
مؤكدات الجملة تعريض بعظم
ما ارتكب غيرهم واستحقاقهم
أضداد ما استحق هؤلاء يروى أنه
كان اذا قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفد أرسل اليهم أبو بكر
من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم
بالسكينة والوقار قال العلماء ان
النهي لا يتناول رفع الصوت الذي

يامعشر الأنصار خلوا الى بشئ لعلى أصلى بحرها ساعة قال ورجل قائم على ثلمة فقتل وقتل
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى ان ثابت بن قيس بن شماس قال لما
نزلت لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبىّ قال يانبىّ الله لقد خشيت أن أكون قد هلكت نهانا الله
أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وانى امرؤ جهير الصوت ونهى الله المرء أن يحب ان يحمد بما لم يفعل
فأجدنى أحب أن أحمد ونهى الله عن الخيلاء وأجدنى أحب الجمال قال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فعاش حميدا
وقتل شهيدا يوم مسيلمة حدثنى على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا نافع بن عمر بن
جميل الجمحى قال ثنى ابن أبى مليكة عن ابن الزبير قال قدم وفد أراه قال تميم على النبى صلى الله
عليه وسلم منهم الأقرع بن حابس فكلم أبو بكر النبىّ صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على قومه
قال فقال عمر لاتفعل يارسول الله قال فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبى صلى الله عليه وسلم
قال فقال أبو بكر لعمر ما أردت الا خلافى قال ما أردت خلافك قال ونزل القرآن ياايها الذين آمنوا
لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبىّ الى قوله وأجر عظيم قال فما حدّث عمر النبىّ صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك فيسمع النبى صلى الله عليه وسلم قال وماذكر ابن الزبير جدّه يعنى ابا بكر وقوله أن
تحبط أعمالكم يقول أن لاتحبط أعمالكم فتذهب باطلة لاثواب لكم عليها ولا جزاء برفعكم
أصواتكم فوق صوت نبيكم وجهركم له بالقول كجهر بعضكم لبعض وقد اختلف أهل العربية
فى معنى ذلك فقال بعض نحويى الكوفة معناه لاتحبط أعمالكم قال وفيه الجزم والرفع اذا وضعت لا
مكان أن قال وهى فى قراءة عبد الله فتحبط أعمالكم وهو دليل على جواز الجزم وقال
بعض نحويى البصرة قال أن تحبط أعمالكم أى مخافة ان تحبط أعمالكم وقد يقال اسند الحائط
أن يميل وقوله وأنتم لاتشعرون يقول وأنتم لاتعلمون ولاتدرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
(ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة
وأجر عظيم) يقول تعالى ذكره ان الذين يكفون رفع أصواتهم عند رسول الله وأصل الغض
الكف فى لين ومنه غض البصر وهو كفه عن النظر كما قال جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقوله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند
رسول الله هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه اياها فاصطفاها وأخلصها للتقوى يعنى لاتقائه بأداء
طاعته واجتناب معاصيه كما يمتحن الذهب بالنار فيخلص جيدها ويبطل خبثها * وبنحو الذى
قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد قوله امتحن الله قلوبهم قال أخلص حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر
عن قتادة فى قوله امتحن الله قلوبهم قال أخلص الله قلوبهم فيما أحب وقوله لهم مغفرة يقول لهم من
الله عفو عن ذنوبهم السالفة وصفح منه عنها لهم وأجر عظيم يقول وثواب جزيل وهو الجنة
۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون ولو أنهم
صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم ان الذين ينادونك يامحمد من وراء حجراتك والحجرات جمع حجرة والثلاث حجر ثم تجمع
الحجر فيقال حجرات وحجرات وقد تجمع بعض العرب الحجر حجرات بفتح الجيم وكذلك كل جمع

كان

ليس باختيار المكلف كما
فى حديث ثابت بن قيس ولا الذى
نيط به صلاح فى حرب أو جدال
معاند أو ارهاب عدو ففى الحديث
أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس
ابن عبد المطلب لما انهزم الناس
يوم حنين اصرخ بالناس وكان
العباس أجهر الناس صوتا وفيه قال
نابغة بنى جعدة

زجر أبى عروة السباع اذا
أشفق أن يختلطن بالغنم

وأبو عروة كنية العباس زعمت
الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم
فيشق مرارة السبع فى جوفه
ويروى أن غارة أتتهم يوما فصاح
العباس ياصباحاه فأسقطت
الحوامل لشدة صوته ثم علمهم أدبا
أخص فقال (ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات) أى من جانب
البر والخارج مناداة الأجلاف
بعضهم لبعض والحجرة البقعة التى
يحجرها المرء لنفسه كيلا يشاركه فيها
غيره من الحجر وهو المنع فعلة بمعنى
مفعولة وجمعت لان كلا من
أمهات المؤمنين لها حجرة روى
أن وفدا من بنى تميم قدم على النبى
صلى الله عليه وسلم وهو سبعون
رجلا منهم الأقرع بن حابس وعيينة
ابن حصن فدخلوا المسجد ونادوا
النبى صلى الله عليه وسلم من خارج
حجراته كأنهم تفرقوا على الحجرات
أو أتوها حجرة حجرة فنادوه من
ورائها اونادوه من وراء الحجرة التى
كان فيها ولكنها جمعت اجلالا له
صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان
مستندا الى جميعهم فانه يجوز أن
يتولاه بعضهم لان رضا الباقين به
كالتولى له وحكى الاصم أن الذى

كان من ثلاثة الى عشرة على فعل يجمعونه على فعلات بفتح ثانيه والرفع أفصح وأجود ومنه قول الشاعر

أما كان عباد كفيئا لدارم * بلى ولأبيات بها الحجرات

يقول بلى ولبني هاشم وقوله وأكثرهم لا يعقلون يقول أكثرهم جهال بدين الله واللازم لهم من حقك وتعظيمك وذكر أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في قوم من الاعراب جاؤا ينادون رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته يا محمد اخرج الينا ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو عمار المروزي والحسن بن الحرث قالا ثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي اسحق عن البراء في قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي شين فقال ذاك الله تبارك وتعالى حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن أبي اسحق عن البراء بمثله الا أنه قال ذاكم الله عز وجل حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا المعتمر بن سليمن التيمي قال سمعت داود الطفاوي يقول سمعت أبا مسلم البجلي يحدث عن زيد بن أرقم قال جاء أناس من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك قال ثم جاؤا الى حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه يا محمد فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون قال فأخذ نبي الله بأذني فمدها فجعل يقول قد صدق الله قولك يا زيد قد صدق الله قولك يا زيد حدثنا الحسن بن أبي يحيى المقدمي قال ثنا عفان قال ثنا وهيب قال ثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة قال ثني الأقرع بن حابس التميمي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فناداه فقال يا محمد إن مدحي زين وإن شتمي شين فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويلك ذلك الله فأنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أعراب بني تميم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فناداه من وراء الحجر فقال يا محمد إن مدحي زين وإن شتمي شين فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويلك ذلك الله فأنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية ذكر لنا أن رجلا جعل ينادي يا نبي الله يا محمد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما شأنك فقال والله إن حمده لزين وإن ذمه لشين فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ذاكم الله فأدبر الرجل وذكر لنا أن الرجل كان شاعرا حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة قال كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان يقول بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت في قومك بني تميم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال أما انه لو علم بآخر الآية أجابه يمنون عليك أن أسلموا قالوا أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتى أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجرته فقال يا محمد يا محمد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك مالك فقال تعلم إن مدحي لزين وإن ذمي لشين

ناداه عيينة والاقرع قالا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فخرج اليهم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقال لهم فيم جئتم فقالوا جئنا بخطيبنا وشاعرنا نفاخرك وتشاعرك فقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا فقام خطيبهم فخطب وقام شاعرهم وأنشد فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس فقام وخطب وأمر حسانا فقام وأنشد فلما فرغوا قام الأقرع وقال والله ما أدري ما هذا تكلم خطيبنا وكان خطيبهم أحسن قولا وأنشد شاعرنا وكان شاعرهم أشعر ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسوله وعن زيد ابن أرقم أنهم قالوا نمتحنه فان يكن ملكا عشنا في جنابه وان يكن نبيا كان أولى بأن نكون أسعد الناس به وقيل انهم وفدوا شافعين في أسرى بني العنبر أما اخبار الله تعالى عنهم بأن أكثرهم لا يعقلون فاما لأن الأكثر أقيم مقام الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام بصدد المنع واما لأن الحكم بقلة العقلاء فيهم عبارة عن العدم فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم واما لأن فيهم من رجع وندم على صنيعه فاستثناه الله تعالى وانما حكم عليهم بعدم العقل لانهم لم يعقلوا أن هذا النحو من النداء خارج عن قانون الادب ومنبئ عن عدم الوقار والأناة ولاسيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن يحتجب عن الناس الا عند الخلوة والاشتغال بمهام أهل البيت

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذا كم الله فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
واختلفت القراء في قراءة قوله من وراء الحجرات فقرأته قراء الأمصار بضم الحاء والجيم من
الحجرات سوى أبي جعفر القارئ فانه قرأ بضم الحاء وفتح الجيم على ما وصفت من جمع الحجرة حجر
ثم جمع الحجر حجرات * والصواب من القراءة عندنا الضم في الحرفين كليهما لما وصفت قبل
وقوله ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم يقول تعالى ذكره ولو أن هؤلاء الذين
ينادونك يا محمد من وراء الحجرات صبروا فلم ينادوك حتى تخرج اليهم اذا خرجت لكان خيرا لهم
عند الله لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك فهم بتركهم نداءك تاركون ما قد نهاهم الله عنه والله
غفور رحيم يقول تعالى ذكره والله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب ان هو تاب من معصية
الله بندائك كذلك وراجع أمر الله في ذلك وفي غيره رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد
توبته منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا
قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ان
جاءكم فاسق بنبأ عن قوم فتبينوا واختلفت القراء في قراءة قوله فتبينوا فقرأ ذلك عامة قراء أهل
المدينة فتثبتوا بالثاء وذكر أنها في مصحف عبد الله منقوطة بالثاء وقرأ ذلك بعض القراء فتبينوا
بالباء بمعنى أمهلوا حتى تعرفوا صحته لا تعجلوا بقبوله وكذلك معنى فتثبتوا * والصواب من القول
في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذكر أن هذه الآية
نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك حدثنا أبو كريب قال
ثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة قالت بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون قال فبلغ القوم رجوعه قال فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر
فقالوا نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت الينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا
ثم انه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله ومن رسوله فلم يزالوا يكلمونه حتى
جاء بلال وأذن بصلاة العصر قال ونزلت يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا
قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال
ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ الآية قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ثم أحد بني عمرو بن أمية ثم أحد بني أبي معيط
الى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وانه لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ان بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
غضبا شديدا فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم اذ أتاه الوفد فقالوا يا رسول الله انا حدثنا أن رسولك
رجع من نصف الطريق وانا خشينا أن يكون انما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا
نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله عذرهم في الكتاب فقال يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين حدثني محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا

فلذلك قال (ولو أنهم صبروا حتى تخرج) وفائدة قوله (اليهم) أنه لو خرج لا لأجلهم لزمهم الصبر الى أن يكون خروجه اليهم لا جلهم (لكان) الصبر (خيرا لهم) في دينهم وهو ظاهر وفي دنياهم بأن ينسبوا الى وفور العقل وكمال الادب وقيل باطلاق أسرائهم جميعا فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق النصف وفادى النصف (والله غفور) مع ذلك لمن تاب (رحيم) في قبول التوبة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفد بني تميم فقال انهم جفاة بني تميم ولولا أنهم من أشد الناس قتالا للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم ويحكى عن أبي عبيدة وهو المشهور بالعلم والزهادة وثقة الرواية أنه قال ما وقفت بباب عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ثم أرشدهم الى أدب آخر فقال (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ) وقد أجمع المفسرون على أنها نزلت في الوليد ابن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق مصدقا وكان بينهما احنة فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع فقال ان القوم هموا بقتلي ومنعوا صدقاتهم فهم النبي صلى الله عليه وسلم بغزوهم فبيناهم في ذلك اذ قدم وفدهم وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من الصدقة فاتهمهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لتنتهن أو لأبعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه فقالوا نعوذ بالله من غضبه

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان جاءكم فاسق بنبا قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه نبي الله
صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالهدية فرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم
فقال ان بني المصطلق جمعت لتقاتلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا حتى بلغ بجهالة وهو ابن أبي معيط الوليد بن عقبة بعثه نبي الله
صلى الله عليه وسلم مصدقا الى بني المصطلق فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم فرجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم خالد
ابن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاؤا أخبروا خالدا
أنهم مستمسكون بالاسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى الذي يعجبه
فرجع الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فأنزل الله عز وجل ما تسمعون فكان نبي الله يقول
التبين من الله والعجلة من الشيطان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة
يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فذكر نحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال
ثنا سفيان عن هلال الوزان عن ابن أبي ليلى في قوله يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
قال نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حميد
عن هلال الانصاري عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ان جاءكم فاسق بنبا قال نزلت في الوليد بن عقبة
حين أرسل الى بني المصطلق * قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بني المصطلق بعد اسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط
فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن القوم
قد هموا بقتله ومنعوا ما قبلهم من صدقاتهم فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم فبيناهم في ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته الينا فخرجنا اليه لنكرمه ولنؤدي اليه ما قبلنا من الصدقة
فاستمر راجعا فبلغنا أنه يزعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا اليه لنقاتله ووالله ما خرجنا لذلك
فأنزل الله في الوليد بن عقبة وفيهم يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا الآية (١) قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه الى قوم يصدقهم فأتاهم الرجل وكان بينه وبينهم إحنة
في الجاهلية فلما أتاهم رحبوا به وأقروا بالزكاة وأعطوا ما عليهم من الحق فرجع الرجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله منع بنو فلان الصدقة ورجعوا عن الاسلام فغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعث اليهم فأتوه فقال أمنعتم الزكاة وطردتم رسولي فقالوا والله ما فعلنا وانا لنعلم
أنك رسول الله ولا بدلنا ولا منعنا حق الله في أموالنا فلم يصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل
الله هذه الآية فعذرهم وقوله أن تصيبوا قوما بجهالة يقول تعالى ذكره فتبينوا لئلا تصيبوا قوما برآء
مما قذفوا به بجناية بجهالة منكم فتصبحوا على ما فعلتم نادمين يقول فتندموا على اصابتكم اياهم
بالجناية التي تصيبونهم بها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم
في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب
نبي الله صلى الله عليه وسلم واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله أن فيكم رسول الله فاتقوا الله أن تقولوا
الباطل وتفتروا الكذب فان الله يخبره أخباركم ويعرفه أنباءكم ويقومه على الصواب في أموره وقوله
لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم يقول تعالى ذكره لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل

(١) يظهر أن هذا ابتداء رواية أخرى أوردها في الدر عن جابر فراجعه وتأمل كتبه مصححه

وغضب رسوله وقيل بعث اليهم
خالد بن الوليد فوجدهم منادين
بالصلاة متهجدين فسلموا اليه
الصدقات فرجع قال جار الله
في تنكير الفاسق والنبا عموم كأنه
قيل أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا
فيه واطلبوا البيان لان من لا يتحامى
جنس الفسوق لا يتحامى بعض
أنواعه الذي هو الكذب والفسوق
الخروج عن الشئ والانسلاخ منه
فسقت الرطبة عن قشرها ومن
مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها
وأخرجت ما فيها ومن تقاليبه أيضا
قفست الشئ بتقديم القاف اذا
أخرجته من يد مالكه غصبا والنبأ
الخبر الذي يعظم وقعه واختير لفظة
ان التي هي للشك دون اذا تنبيها على
أنه صلى الله عليه وسلم ومن معه
بمنزلة لا يجسر أحد أن يخبرهم
بكذب الا على سبيل الفرض
والندرة فعلى المؤمنين أن يكونوا
بحيث لا يطمع فاسق في مخاطبتهم
بكلمة زور ثم علل التبين بقوله (أن
تصيبوا) أي كراهة اصابتكم (قوما)
حال كونكم جاهلين بحقيقة الامر
والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم
على ما وقع منك متمنيا أنه لم يقع
ولا يخلو من دوام والزام ومن
مقلوباته أدمن الامر اذا دام عليه
ومدن بالمكان أقام به قال الاصوليون
من الاشاعرة ان خبر الواحد العدل
يجب العمل به لان الله تعالى أمر
بالتبين في خبر الفاسق ولو تبينا في خبر
العدل لسوينا بينهما وضعف بأنه
من باب التمسك بالمفهوم واتفقوا
على أن شهادة الفاسق لا تقبل لان
باب الشهادة أضيق من باب التمسك
بمفهوم الخبر وأكثر المفسرين على

في الامور بآرائكم و يقبـل منكم ما تقولون له فيطيعكم لعنتم يقول لنالكم عنت يعنى الشدّة
والمشقة فى كثير من الأمور بطاعته اياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطئ فى أفعاله كما لو قبل من الوليد
ابن عقبـة قوله فى بنى المصطلق انهم قد ارتدوا ومنعوا الصـدقة و جمعوا الجموع لغزو المسلمين
فغزاهم فقتل منهم وأصاب من دمائهم وأموالهم كان قد قتل وقتلتم من لا يحل له ولا لكم قتله وأخذ
وأخذتم من المـال مالا يحـل له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين فنالكم من الله بذلك عنت
ولكن الله حبب اليكم الايمـان بالله ورسوله فأنتم تطيعون رسول الله وتأتمون به فيقيكم الله بذلك
من العنت مالو لم تطيعوه وتتبعوه وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم وقوله وزينـه فى قلوبكم يقول
وحسن الايمـان فى قلوبكم فآمنتم وكره اليكم الكفر بالله والفسوق يعنى الكذب والعصيان يعنى
ركوب مانهى الله عنه فى خلاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسـلم وتضييع ما أمر الله به أولئك
هـم الراشدون يقول هؤلاء الذين حبب الله اليهم الايمـان وزينـه فى قلوبهم وكره اليهـم الكفر
والفسوق والعصيان أولئك هـم الراشـدون السالكون طريق الحق وقوله فضلا من الله ونعمة
يقول ولكن الله حبب اليكم الايمـان وأنعم عليكم هذه النعمة التى عدّها فضلا منه واحسانا ونعمة
منـه أنعمها عليكم والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بالمحسـن منكم من المسيء ومن هو لنعم الله
وفضله أهل ومن هو لذلك غير أهل وحكمة فى تدبيره خلقه وصرفه إياهم فيما شاء من قضائه وبنحو
الذى قلنـا فى تأويل قوله واعلموا أن فيكم رسـول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم قال أهل
التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واعلموا
أن فيكم رسول الله حتى بلغ لعنتم هؤلاء أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسـلم لو أطاعهم نبى الله فى كثير
من الامر لعنتم فأنتم والله أسخف رأيا وأطيش عقولا اتهـم رجل رأيه وانتصح كتاب الله فان
كتاب الله ثقة لمن أخذ به وانتهى اليه وان ماسوى كتاب الله تغرير حدثنا ابن عبد الأعلى قال
ثنـا ابن ثور قال قال معمر تلا قتـادة لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم قال فأنتم أسخف رأيا
وأطيش أحلاما فاتهم رجل رأيه وانتصح كتاب الله وكذلك كما قلنا أيضا فى تأويل قوله ولكن الله
حبب اليكم الايمـان قالوا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم قال حببه اليهم وحسنه فى قلوبهم وبنحو الذى
قلنا فى تأويل قوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة
قالوا أيضا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله
وكره اليكم الكفر والفسوق قال الكذب والعصيان قال عصيان النبى صلى الله عليه وسلم أولئك هم
الراشدون من أين كان هذا قال فضل من الله ونعمة قال والمنافقون سماهم الله أجمعين فى القرآن
الكاذبين قال والفاسق الكاذب فى كتاب الله كله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان طائفتان
من المؤمنين اقتتـلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء
الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين﴾ يقول تعالى
ذكره وان طائفتان من أهل الايمـان اقتتلوا فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء الى حكم كتاب
الله والرضا بمـا فيه لهما وعليهما وذلك هو الاصلاح بينهما بالعدل فان بغت احداهما على الاخرى
يقول فان أبت احدى هاتين الطائفتين الاجابة الى حكم كتاب الله له وعليـه وتعدّت ما جعل الله
عدلا بين خلقه وأجابت الاخرى منهما فقاتلوا التى تبغى يقول فقاتلوا التى تعتـدى وتأبى الاجابة
الى حكم الله حتى تفيء الى أمر الله يقول حتى ترجع الى حكم الله الذى حكم فى كتابه بين خلقـه

فان

أن الوليد كان ثقة عنـد رسول الله
صـلى الله عليه وسـلم فصار فاسقا
بكذبه وقيل ان الوليد لم يقصـد
الكذب ولكنه ظن حين اجتمعوا
لاكرامه أن يكونوا هموا بقتـله
ولقائل أن يقول لفظ القرآن وسبب
النزول يدل على خلافه نعم لو قيل انه
تاب بعد ذلك لكان له وجه ثم
أرشدهم الى أمر آخر قائلا (واعلموا
أن فيكم رسول الله) وليس هذا الامر
مقصودا بظاهره لانه معلوم مشاهد
فلا حاجة الى التنبيه عليه وانما المراد
ما يستلزم كونه فيهم كما يقال لمن يغلط
فى مسئلة او يقول فيها برأيه اعلم أن
الشيخ حاضر ثم قيل المراد لا تقولوا
الباطل والكذب فان الله يخبره
ويوحى اليه وقيـل أراد أن الرأى
رأيه فلا تعدوا رأيه وقد صرح بهذا
المعنى فى قوله (لو يطيعكم فى كثير
من الامر لعنتم) لوقعتم فى العسر
والمشـقة والحرج لأنه أعلم منكم
بالحنيفية السهلة السمحاء ومن جملة
ذلك قصـة الوليـد فانه لو أطاعه
وقبل قوله لقتل وقتلتم وأخذ المـال
وأخذتم فاتهمتم قال جار الله الجملة
المصـدرة بلو ليس كلاما مستأنفا
لاختلال النظم حينئذ ولكنها حال
من أحد الضميرين فى فيكم وهو
المسـتتر المرفوع أو البارز المجرور
والمعنى أن فيكم رسول الله على حالة
يجب تغييرها وهى أنكم تطلبون منه
اتباع آرائكم قلت قد ذكرنا فى وجه
النظم بيانا آخر ثم قال فائدة تقديم
خبر أن هو أن يعلم أن التوبيخ
ينصب الى هـذا الغرض وفائدة
قوله يطيعكم بلفظ الاسـتقبال
الدلالة على ما أرادوه من استمرار
طاعته لهم وأنه لا يخالفهم فى كثير

فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل يقول فان رجعت الباغية بعد قتالكم اياهم الى الرضا بحكم الله فى كتابه فأصلحوا بينها و بين الطائفة الاخرى التى قاتلتها بالعدل يعنى بالانصاف بينهما وذلك حكم الله فى كتابه الذى جعله عدلا بين خلقه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان الله سبحانه أمر النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم الى حكم الله و ينصف بعضهم من بعض فان أجابوا حكم فيهم بكتاب الله حتى ينصف المظلوم من الظالم فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ فحق على امام المؤمنين أن يجاهدهم و يقاتلهم حتى يفيؤا الى أمر الله و يقروا بحكم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى آخر الآية قال هذا أمر من الله أمر به الولاة كهيئة ما تكون العصبة بين الناس وأمرهم أن يصلحوا بينهما فان أبوا قاتل الفئة الباغية حتى ترجع الى أمر الله فاذا رجعت أصلحوا بينهما وأخبروهم أن المؤمنين اخوة فأصلحوا بين أخويكم قال ولا يقاتل الفئة الباغية الا الامام وذكر أن هذه الآية نزلت فى طائفتين من الاوس والخزرج اقتتلتا فى بعض ما تنازعتا فيه مما سأذكره ان شاء الله تعالى ذكر الرواية بذلك حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا معتمر بن سليمن عن أبيه عن أنس قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبى قال فانطلق اليه وركب حمارا وانطلق المسلمون وهى أرض سبخة فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اليك عنى فوالله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لنتن حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك قال فغضب لعبد الله بن أبى رجل من قومه قال فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال فبلغنا أنه نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنى حصين عن أبى مالك فى قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما قال رجلان اقتتلا فغضب لذا قومه ولذا قومه فاجتمعوا حتى اضربوا بالنعال حتى كاد يكون بينهم قتال فأنزل الله هذه الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك فى قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قال كان بينهم قتال بغير سلاح حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما قال كانا حيين من أحياء الأنصار كان بينهما تنازع بغير سلاح حدثنا ابن حميد قال أخبرنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما قال كان قتالهم بالنعال والعصى فأمرهم أن يصلحوا بينهم * قال ثنا مهران قال ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قال كانت تكون الخصومة بين الحيين فيدعوهم الى الحكم فيأبون أن يجيبوا فأنزل الله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله يقول ادفعوهم الى الحكم فكان قتالهم الدفع * قال ثنا مهران قال ثنا سفيان عن السدى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما قال كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل فكان بينها و بين زوجها شىء فرقاها الى علية فقال لهم احفظوا فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدى والنعال فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فجاء ليصلح بينهم

مما عنّ لهم من الآراء والأهواء وفى قوله فى كثير من الامر مراعاة لجانب المؤمنين حيث لم ينسب جميع آرائهم الى الخطا وفيه أيضا تعليم حسن وتأديب جميل فى باب التخاطب و يمكن أن يكون اشارة الى تصويب رأى بعضهم لا الى تصويب بعض رأيهم فقد قيل ان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد و بعضهم كانوا يرون التحلم عنهم الى أن يتبين أمرهم وقد أشار الى هذا البعض بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى الى بعضكم والا لم يحسن الاستدراك يعنى بلكن فان من شرطه مخالفة ما بعده لما قبله فلو كان المخاطبون فى الطرفين واحدا لم يكن للاستدراك معنى بل يؤدى الى التناقض لأنه يكون قد أثبت لهم فى ثانى الحال محبة الايمان وكراهة العصيان وذكر أولا أنه توجب اجابتهم الوقوع فى العنت قال أهل اللغة الطاعة موافقة الداعى غير أن المستعمل فى حق الاكابر الاجابة وفى حق الاصاغر الطاعة وقد ورد القرآن على أصل اللغة استدلت الاشاعرة بقوله حبب وكره على مسئلة خلق الافعال وحملها المعتزلة على نصب الأدلة أو اللطف والتوفيق أو الوعد والوعيد والمعنى ولكن الله حبب اليكم الايمان فأطعتموه فوقاكم العنت والكفر واضح وأما الفسوق والعصيان فقيل الاول الكبائر والثانى الصغائر ويحتمل أن يكون الكفر مقابل التصديق بالجنان والفسوق مقابل الاقرار

فنزل القرآن وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى قال تبغي لاترضى بصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قال الاوس والخزرج اقتتلوا بالعصيّ بينهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية ذكر لنا أنها نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن عنوة لكثرة عشيرته وأن الآخر دعاه ليحاكمه الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف فأمر الله أن تقاتل حتى تفيء الى أمر الله كتاب الله والى حكم نبيه صلى الله عليه وسلم وليست كما تأولها أهل الشبهات وأهل البدع وأهل الفراء على الله وعلى كتابه أنه المؤمن يحل لك قتله فوالله لقد عظم الله حرمة المؤمن حتى نهاك أن تظن بأخيك الا خيرا فقال انما المؤمنون اخوة الآية **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن أن قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والايدي فأنزل الله فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قال قتادة كان رجلان بينهما حق فتدارآ فيه فقال أحدهما لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته وقال الآخر بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدي **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال ثني عبد الله ابن عباس قال قال زيد في قول الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما وذلك الرجلان يقتتلان من أهل الاسلام أو النفر والنفر أو القبيل والقبيلة فأمر الله أئمة المسلمين أن يقضوا بينهم بالحق الذي أنزله في كتابه إما القصاص والقود وإما العقل والعير وإما العفو فان بغت احداهما على الاخرى بعد ذلك كان المسلمون مع المظلوم على الظالم حتى يفيء الى أمر الله ويرضى به **حدثنا** ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال أخبرنا ابن جريج قال ثني ابن شهاب وغيره يزيد في الحديث بعضهم على بعض قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فيه عبد الله بن رواحة وعبد الله بن أبيّ ابن سلول فلما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن أبيّ ابن سلول لقد آذانا بول حماره وسدّ علينا الروح وكان بينه وبين ابن رواحة شيء حتى خرجوا بالسلاح فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فحجز بينهم فلذلك يقول عبد الله بن أبيّ

متى ما يكن مولاك خصمك جاهدا * تظلم ويصرعك الذين تصارع

قال فأنزلت فيهم هذه الآية وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقوله وأقسطوا يقول تعالى ذكره واعدلوا أيها المؤمنون في حكمكم بين من حكمتم بينهم بأن لا تجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم رسوله ان الله يحب المقسطين يقول ان الله يحب العادلين في أحكامهم القاضين بين خلقه بالقسط

القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ يقول تعالى ذكره لاهل الايمان به انما المؤمنون اخوة في الدين فأصلحوا بين أخويكم اذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله ومعنى الاخوين في هذا الموضع كل مقتتلين من أهل الايمان وبالتثنية قرأ ذلك قراء الامصار وذكر عن ابن سيرين أنه قرأ بين اخوانكم بالنون على مذهب الجمع وذلك من جهة العربية صحيح غير أنه خلاف لما عليه قراء الامصار فلا أحب

القراءة

باللسان لان الفسق ههنا أمر قولي بدليل قوله ان جاءكم فاسق بنبأ سماه فاسقا لكذبه والعصيان مقابل العمل بالاركان (أولئك) البعض المتبينون (هم الراشدون) وهذه جملة معترضة وقوله (فضلا من الله ونعمة) كل منهما مفعول له والعامل فيهما حبب وكره ويجوز أن يكونا منصوبين عن الراشدين لان الرشد عبارة عن التحبيب والتكريه المستندين الى الله فكأن الرشد أيضا فعله فاتحد الفاعل في الفعل والمفعول له بهذا الاعتبار ويجوز أن يكونا مصدرين من غير لفظ الفعل وهو الرشد فكأنه قيل فأولئك هم الراشدون رشدا لان رشدهم افضال وانعام منه قال بعض العلماء الفضل بالنظر الى جانب الله الغنيّ والنعمة بالنظر الى جانب العبد الفقير (والله عليم) بأحوال الخلق وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) في تدابيره وافضاله وانعامه ثم عليهم حكما آخر في الصحيحين عن أنس أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا نبي الله لو أتيت عبد الله بن أبيّ فانطلق اليه على حمار وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة فبال الحمار فقال اليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما أصحابه فوقع بينهم حرب بالحديد والايدي والنعال فأنزل الله فيهم (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) جمع لأن الطائفتين في معنى القوم أو الناس أولأن أقل الجمع اثنان

القراءة بها واتقوا الله لعلكم ترحمون يقول تعالى ذكره وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم فى الاصلاح بين المقتتلين من أهل الايمان بالعدل وفى غير ذلك من فرائضه واجتناب معاصيه ليرحمكم ربكم فيصفح لكم عن سالف أجرامكم اذا أنتم أطعتموه واتبعتم أمره ونهيه واتقيتموه بطاعته

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله و رسوله لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين عسى أن يكونوا خيرا منهم يقول المهزوء منهم خير من الهازئين ولا نساء من نساء يقول ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات عسى المهزوء منهن أن يكن خيرا من الهازئات واختلف أهل التأويل فى السخرية التى نهى الله عنها المؤمنين فى هذه الآية فقال بعضهم هى سخرية الغنى من الفقير نهى أن يسخر من الفقير لفقره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يسخر قوم من قوم قال لا يهزأ قوم بقوم ان يسأل رجل فقير غنيا أو فقيرا وان تفضل رجل عليه بشئ فلا يستهزئ به * وقال آخرون بل ذلك نهى من الله من ستر عليه من أهل الايمان أن يسخر ممن كشف فى الدنيا ستره منهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن قال ربما عثر على المرء عند خطيئته عسى أن يكونوا خيرا منهم وان كان ظهر على عثرته هذه وسترت أنت على عثرتك لعل هذه التى ظهرت خير له فى الآخرة عند الله وهذه التى سترت أنت عليها شر لك ما يدريك لعله ما يغفر لك قال فنهى الرجل عن ذلك فقال لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم وقال فى النساء مثل ذلك * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله عم بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معانى السخرية فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره ولا لذنب ركبه ولا لغير ذلك وقوله ولا تلمزوا أنفسكم يقول تعالى ذكره ولا يغتب بعضكم بعضا أيها المؤمنون ولا يطعن بعضكم على بعض وقال ولا تلمزوا أنفسكم فجعل اللامز أخاه لامزا نفسه لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره وطلب صلاحه ومحبته الخير ولذلك روى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالحمى والسهر وهذا نظير قوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم بمعنى ولا يقتل بعضكم بعضا * و بنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا تلمزوا أنفسكم قال لا تطعنوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تلمزوا أنفسكم يقول ولا يطعن بعضكم على بعض حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تلمزوا أنفسكم يقول لا يطعن بعضكم على بعض قوله ولا تنابزوا بالألقاب يقول ولا تداعوا بالألقاب والنبز واللقب بمعنى واحد يجمع النبز أنبازا واللقب ألقابا واختلف أهل التأويل فى الألقاب التى نهى الله عن التنابز بها فى هذه الآية فقال

فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا وقال ابن بحر القتال لا يكون بالنعال والأيدى وانما هذا فى المنتظر من الزمان والطائفة الجماعة وهى أقل من الفرقة لقوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وارتفاعها بمضمر دل عليه ما بعده أى ان اقتتلت طائفتان واختير ان دون اذا مع كثرة وقوع القتال بين المؤمنين ليدل على أنه مما ينبغى أن لا يقع الا نادرا وعلى سبيل الفرض والتقدير ولهذه النكتة بعينها قال طائفتان ولم يقل فريقان تحقيقا للتقليل كما قلنا وفى تقديم الفاعل على الفعل اشارة أيضا الى هذا المعنى لان كونهما طائفتين مؤمنين يقتضى أن لا يقع القتال بينهما ولهذا اختير المضى فى الفعل ولم يقل يقتتلون لئلا ينبئ عن الاستمرار وفيه أيضا من التقابل ما فيه وانما قدم الفعل فى قوله ان جاءكم فاسق بنبا ليعلم أن المجىء بالنبا الكاذب يورث كون الجائى به فاسقا سواء كان قبل ذلك فاسقا أم لا ولو أخر الفعل لم تتناول الآية الا مشهور الفسق قبل المجىء بالنبا قال بعض العلماء انما قال اقتتلوا على الجمع ولم يقل فاصلحوا بينهم لان عند القتال يكون لكل منهم فعل برأسه أما عند العود الى الصلح فانه تتفق كلمة كل طائفة والا لم يتحقق الصلح فكان كل من الطائفتين كنفس واحدة فكانت التثنية أقعد والبغى الاستطالة واباء الصلح والفىء الرجوع و به سمى الظل لانه يرجع بعد نسخ الشمس

بعضهم على بعض بها الألقاب التى يكره النبز بها الملقب وقالوا انما نزلت هذه الآية فى قوم كانت لهم أسماء فى الجاهلية فلما أسلموا نهوا أن يدعو بعضهم بعضا بما يكره من أسمائه التى كان يدعى بها فى الجاهلية ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر قال قال أبو جبيرة بن الضحاك فينا نزلت هذه الآية فى بنى سلمة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فكان اذا دعا الرجل بالاسم قلنا يا رسول الله انه يغضب من هذا فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب الآية كلها حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر عن أبى جبيرة بن الضحاك قال كان أهل الجاهلية يسمون الرجل بالأسماء فدعا النبى صلى الله عليه وسلم رجلا باسم من تلك الأسماء فقالوا يا رسول الله انه يغضب من هذا فأنزل الله ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر قال ثنى أبو جبيرة بن الضحاك فذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود عن الشعبى قال ثنى أبو جبيرة بن الضحاك قال نزلت فى بنى سلمة ولا تنابزوا بالألقاب قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فكان يدعو الرجل فتقول أمه انه يغضب من هذا قال فنزلت ولا تنابزوا بالألقاب وقال مرة كان اذا دعا باسم من هذا قيل يا رسول الله انه يغضب من هذا فنزلت الآية * وقال آخرون بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم يا فاسق يا زانى ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن حصين قال سألت عكرمة عن قول الله ولا تنابزوا بالألقاب قال هو قول الرجل للرجل يا منافق يا كافر حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله ولا تنابزوا بالألقاب قال هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حصين عن عكرمة ولا تنابزوا بالألقاب قال يا فاسق يا كافر * قال ثنا مهران عن سفيان عن خصيف عن مجاهد أو عكرمة ولا تنابزوا بالألقاب قال يقول الرجل للرجل يا فاسق يا كافر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تنابزوا بالألقاب قال دعى رجل بالكفر وهو مسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تنابزوا بالألقاب يقول للرجل لا تقل لأخيك المسلم ذاك فاسق ذاك منافق نهى الله المسلم عن ذلك وقدم فيه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ولا تنابزوا بالألقاب يقول لا يقولن لأخيه المسلم يا فاسق يا منافق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تنابزوا بالالقاب قال تسميته بالأعمال السيئة بعد الاسلام زان فاسق * وقال آخرون بل ذلك تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الاسلام و بالفسوق والاعمال القبيحة بعد التوبة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان الآية قال التنابز بالالقاب أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب منها وراجع الحق فنهى الله أن يعير بما سلف من عمله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال الحسن كان اليهودى والنصرانى يسلم فيلقب فيقال له يا يهودى يا نصرانى فنهوا عن ذلك * والذى هو أولى الاقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا

أولأن الناس يرجعون اليه والغنيمة لانها ترجع من الكفار الى المسلمين ومعنى قوله (الى أمر الله) قيل الى طاعة الرسول أو من قام مقامه من ولاة الامر لقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وقيل الى الصلح لقوله وأصلحوا ذات بينكم وقيل الى أمر الله بالتقوى فان من خاف الله حق خشيته لا تبقى له عداوة الا مع الشيطان وانما قال فان بغت ولم يقل فاذا بناء على أن بغى احداهما مع صلاح الاخرى كالنادر وكذا قوله فان فاءت لان الفئة الباغية مع جهلها وعنادها واصرارها على حقدها كالامر النادر نظيره قول القائل لعبده ان مت فأنت حر مع أن الموت لابد منه وذلك لان موته بحيث يكون العبد حيا باقيا فى ملكه غير معلوم واعلم أن الباغية فى اصطلاح الفقهاء فرقة خالفت الامام بتأويل باطل بطلانا بحسب الظن لا القطع فيخرج المرتد لان تأويله باطل قطعا وكذا الخوارج وهم صنف من المبتدعة يكفرون من أتى بكبيرة و يسبون بعض الائمة وهكذا يخرج مانع حق الشرع لله أو للعباد عنادا لأنه لا تأويل له ولا بد أن يكون له شوكة وعدد وعدد يحتاج الامام فى دفعهم الى كلفة ببذل مال أو اعداد رجال فان كانوا أفرادا يسهل ضبطهم فليسوا بأهل بغى والأكثرون على أن البغاة ليسوا بفسقة ولا كفرة لقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعن على رضى الله عنه اخواننا بغوا علينا ولكنهم يخطؤن فيما يفعلون ويذهبون اليه من التأويل

بالالقاب

بالالقاب والتنابز بالالقاب هودعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أوصفة وعم الله بنهيه ذلك ولم يخصص به بعض الالقاب دون بعض فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أوصفة يكرهها واذا كان ذلك كذلك صحت الاقوال التى قالها أهل التأويل فى ذلك التى ذكرناها كلها ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض لأن كل ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضا وقوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يقول تعالى ذكره ومن فعل ما نهينا عنه وتقدم على معصيتنا بعد ايمانه فسخر من المؤمنين ولمز أخاه المؤمن ونبزه بالالقاب فهو فاسق بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يقول فلا تفعلوا فتستحقوا ان فعلتموه أن تسموا فساقا بئس الاسم الفسوق وترك ذكر ما وصفنا من الكلام اكتفاء بدلالة قوله بئس الاسم الفسوق عليه وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنا به يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ بئس الاسم الفسوق قال بئس الاسم الفسوق حين تسميه بالفسق بعد الاسلام وهو على الاسلام قال وأهل هذا الرأى هم المعتزلة قالوا لا نكفره كما كفره أهل الاهواء ولا نقول له مؤمن كما قالت الجماعة ولكنا نسميه باسمه أن كان سارقا فهو سارق وان كان خائنا سموه خائنا وان كان زانيا سموه زانيا قال فاعتزلوا الفريقين أهل الأهواء وأهل الجماعة فلا يقول هؤلاء قالوا ولا يقول هؤلاء فسموا بذلك المعتزلة فوجه ابن زيد تأويل قوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان الى من دعى فاسقا وهو تائب من فسقه فبئس الاسم ذلك له من أسمائه وغير ذلك من التأويل أولى بالكلام وذلك أن الله تقدم بالنهى عما تقدم بالنهى عنه فى أول هذه الآية فالذى هو أولى أن يختمها بالوعيد لمن تقدم على بغيه أو بقبيح ركوبه ما ركب مما نهى عنه لا أن يخبر عن قبح ما كان التائب أتاه قبل توبته اذ كانت الآية لم تفتتح بالخبر عن ركوبه ما كان ركب قبل التوبة من القبيح فيختم آخرها بالوعيد عليه أو بالقبيح وقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يقول تعالى ذكره ومن لم يتب من نبزه أخاه بما نهى الله عن نبزه به من الألقاب أو لمزه اياه أو سخريته منه فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون قال ومن لم يتب من ذلك الفسوق فأولئك هم الظالمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تقربوا كثيرا من الظن بالمؤمنين وذلك أن تظنوا بهم سوأ فان الظان غير محق وقال جل ثناؤه اجتنبوا كثيرا من الظن ولم يقل الظن كله اذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير فقال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين فأذن الله جل ثناؤه للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه وان لم يكونوا من قيله فيهم على يقين * و بنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنى أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يقول نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن شرا وقوله ان بعض الظن إثم يقول ان ظن المؤمن بالمؤمن الشر لا الخير إثم لأن الله قد نهاه عنه ففعل ما نهى الله عنه إثم وقوله ولا تجسسوا يقول ولا يتتبع بعضكم عورة بعض ولا يبحث عن سرائره يبتغى بذلك الظهور على عيوبه ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره و به فاحمدوا أوذموا لا على ما لا تعلمونه من سرائره * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

كما وقع للخارجة عن على رضى الله عنه حيث اعتقدوا أنه يعرف قتلة عثمان و يقدر عليهم ولا يقتص لمواطأته اياهم وكما قال مانعوا الزكاة لابى بكر أمرنا بدفع الزكاة الى من صلاته سكن لنا وصلاة غير النبى صلى الله عليه وسلم ليست بسكن لنا واتفقوا على أن معاوية ومن تابعه كانوا باغين للحديث المشهور ان عمارا تقتله الفئة الباغية وقد يقال ان الباغية فى حال بغيها ليست بمؤمنة وانما سماهم المؤمنين باعتبار ما قبل البغى كقوله يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه والمرتد ليس بمؤمن بالاتفاق أما الذى يتلفه العادل على الباغى و بالعكس فى غير القتال فمضمون على القاعدة الممهدة فى قصاص النفوس وغرامة الاموال وأما فى القتال فلا يضمن العادل لانه مأمور بالقتال ولا الباغى على الاصح لان فى الوقائع التى جرت فى عصر الصحابة والتابعين لم يطلب بعضهم بعضا بضمان نفس ومال ولانه لو وجبت الغرامة لنفرهم ذلك عن العود الى الطاعة والاموال المأخوذة فى القتال ترد بعد انقضاء الحرب الى أربابها من الجانبين والمراد من متلف القتال ما يتلف بسبب القتال و يتولد منه هلاكه حتى لو فرض اتلاف فى القتال من غير ضرورة القتال كان كالاتلاف فى غير القتال والذين لهم تأويل بلا شوكة لزمهم ضمان ما أتلفوا من نفس ومال وان كان على صورة القتال وحكمهم حكم قطاع الطريق اذا قاتلوا ولو أسقطنا الضمان لأبدت كل شرذمة من أهل الفساد تأويلا

ذكرمن قال ذلك حدثني على قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولاتجسسوا يقول نهى الله المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولاتجسسوا قال خذوا ماظهر لكم ودعوا ما ستر الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا هل تدرون ما التجسس أو التجسيس هو أن تتبع أو تبتغى عيب أخيك لتطلع على سره حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان ولاتجسسوا قال البحث حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن إثم ولاتجسسوا قال حتى أنظر فى ذلك وأسأل عنه حتى أعرف حق هو أم باطل قال فسماه الله تجسسا قال يتجسس كما يتجسس الكلاب وقرأ قول الله ولاتجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا يقول ولا يقل بعضكم فى بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له فى وجهه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل التأويل ذكر من قال ذلك والأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني يزيد بن مخلد الواسطى قال ثنا خالد بن عبد الله الطحان عن عبد الرحمن بن إسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال هو أن تقول لأخيك ما فيه فان كنت صادقا فقد اغتبته وان كنت كاذبا فقد بهته حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبد الرحمن بن إسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت العلاء يحدث عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قال قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما ليس فيه قال أرأيت ان كان فى أخى ما أقول له قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته حدثنا ابن المثنى قال ثنا سعيد بن الربيع قال ثنا شعبة عن العباس عن رجل سمع ابن عمر يقول اذا ذكرت الرجل بما فيه فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته وقال شعبة مرة أخرى واذا ذكرته بما ليس فيه فهى فرية قال أبوموسى هو عباس الجريرى حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال اذا ذكرت الرجل بأسوإ ما فيه فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال اذا قلت فى الرجل أسوأ ما فيه فقد اغتبته واذا قلت ما ليس فيه فقد بهته حدثنا أبوكريب قال ثنا عمر ابن عبيد عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال الغيبة أن يقول للرجل اسوأ ما يعلم فيه والبهتان أن يقول ما ليس فيه حدثنا يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى معاوية بن صالح عن كثير بن الحرث عن القاسم مولى معاوية قال سمعت ابن أم عبد يقول ما التقم أحد لقمة أشر من اغتياب المؤمن ان قال فيه ما يعلم فقد اغتابه وان قال فيه ما لا يعلم فقد بهته حدثنا أبوالسائب قال ثنا أبومعاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال اذا ذكرت الرجل بما فيه فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت يونس عن الحسن أنه قال فى الغيبة أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه من مساوى

أعماله

وفعلت ماشاءت وفى ذلك ابطال السياسات ولهذه النكتة قرن بالاصلاح والثانى قوله بالعدل لان تضمين الانفس والاموال يحتاج فيه الى سلوك سبيل العدل والنصفة لئلا يؤدى الى ثوران الفتنة مرة أخرى واحتج الشافعى لوجوب الضمان اذا لم يكن قتال بأن ابن ملجم قتل عليا رضى الله عنه زاعما أن له شبهة وتأويلا فأمر بحبسه وقال لهم ان قتلتم فلا تمثلوا به فقتله الحسن بن على رضى الله عنه وما أنكر عليه أحد وأما الذين لهم شوكة ولا تأويل فالظاهر عند بعضهم نفى الضمان وعند آخرين الوجوب وأما كيفية قتال الباغين فان أمكن الاسر لم يقتلوا وان أمكن الاثخان فلا يذفف عليه كدفع الصائل الا اذا التحم القتال وتعسر الضبط قوله (وأقسطوا) أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما أمر به فى اصلاح ذات البين قال أهل اللغة القسط بالفتح والسكون الجور من القسط بفتحتين وهو اعوجاج فى الرجلين وعود قاسط يابس والقسط بالكسر العدل والهمزة فى أقسط للسلب أى ازال القسط وهو الجور وحين بين اصلاح الخلل الواقع بين الطائفتين أراد أن يبين الخلل الواقع بين اثنين بالتشاتم والسباب ونحو ذلك فقال (انما المؤمنون اخوة) اى حالهم لا يعدو الاخوة الدينية الى ما يضادها (فأصلحوا بين أخويكم) بايصال المظلوم الى حقه وبدفع اثم الظلم عن الظالم والتثنية بحسب الأغلب ويحتمل أن يقال انه شامل

أعماله فاذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد ابن زياد قال ثنا سليمن الشيباني قال ثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت على عائشة فلما قامت لتخرج أشارت عائشة بيدها الى النبي صلى الله عليه وسلم أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال لو مر بك أقطع فقلت ذاك الأقطع كانت منك غيبة قال وسمعت معاوية بن قرة يقول ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت معاوية بن قرة يقول لو مرّ بك رجل أقطع فقلت له انه أقطع كنت قد اغتبته قال فذكرت ذلك لأبي اسحق الهمداني فقال صدق حدثني جابر بن الكردي قال ثنا ابن أبي أويس قال ثني أخي أبو بكر عن حماد بن أبي حميد عن موسى بن وردان عن أبي هريرة أن رجلا قام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا في قيامه عجزا فقالوا يا رسول الله ما أعجز فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتم أخاكم واغتبتموه حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا حبان بن علي العنزي عن مثنى بن صباح عن عمرو بن شعيب عن معاذ بن جبل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القوم رجلا فقالوا ما يأكل الا ما أطعم وما يرحل إلا ما رحل له وما أضعفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم فقالوا يا رسول الله وغيبته أن نحدث بما فيه فقال بحسبكم أن تحدثوا عن أخيكم ما فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن محمد عن محمد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرت أخاك بما يكره فان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه وتعيبه بما فيه وان كذبت عليه فذلك البهتان وقوله أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيحب أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتا فان لم تحبوا ذلك وكرهتموه لأن الله حرم ذلك عليكم فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته فاكرهوا غيبته حيا كما كرهتم لحمه ميتا فان الله حرم غيبته حيا كما حرم أكل لحمه ميتا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قال حرم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشئ كما حرم الميتة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا نكره ذلك قال فكذلك فاتقوا الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه يقول كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها فكذلك فاكره غيبته وهو حي وقوله واتقوا الله ان الله تواب رحيم يقول تعالى ذكره فاتقوا الله أيها الناس فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظن أحدكم بأخيه المؤمن ظن السوء وتتبع عوراته والتجسس عما ستر عنه من أمره واغتيابه بما يكرهه تريدون به شينه وعيبه وغير ذلك من الامور التي نهاكم عنها ربكم ان الله تواب رحيم يقول ان الله راجع لعبده الى ما يحبه اذا رجع العبد لربه الى ما يحبه منه رحيم به أن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه * واختلفت القراء في قراءة قوله لحم أخيه ميتا فقرأته عامة قراء المدينة بالتثقيل ميتا وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة ميتا بالتخفيف وهما قراءتان عندنا معروفتان

لما دون الطائفتين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل (واتقوا الله) في سائر الابواب راجين أن يرحمكم ربكم ثم شرع في تأديبات أخر والقوم الرجال خاصة لقيامهم على الامور قال جمهور المفسرين ان ثابت بن قيس ابن شماس كان في أذنيه وقر وكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فجاء يوما وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فقال له رجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت مغضبا ثم قال للرجل يا فلان بن فلانة يريد أما كان يعير بها في الجاهلية فسكت الرجل استحياء فنزلت وقيل نزلت في الذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات واستهزؤا بالفقراء وقيل في كعب ابن مالك قال لعبد الله يا أعرابي فقال له عبد الله يا يهودي وقيل نزلت (ولا نساء من نساء) في عائشة وقد عابت أم سلمة بالقصر وروى أنها ربطت حقويها بثوب أبيض وأسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ماذا تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين

متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الناس انا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال وماء أنثى من النساء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا عثمان بن الاسود عن مجاهد قال خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة وقد قال تبارك وتعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران قال ثنا عثمان بن الاسود عن مجاهد قوله انا خلقناكم من ذكر وأنثى قال ما خلق الله الولد الا من نطفة الرجل والمرأة جميعا لان الله يقول خلقناكم من ذكر وأنثى وقوله وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا يقول وجعلناكم متناسبين فبعضكم يناسب بعضا نسبا بعيدا وبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا فالمناسب النسب البعيد من لم ينسبه أهل الشعوب وذلك اذا قيل للرجل من العرب من أى شعب أنت قال أنا من مضر أو من ربيعة وأما أهل المناسبة القريبة أهل القبائل وهم كتميم من مضر وبكر من ربيعة وأقرب القبائل الافخاذ وهما كشيبان من بكر ودارم من تميم ونحو ذلك ومن الشعب قول ابن أحمر الباهلى

من شعب همدان أو سعد العشيرة أو * خولان أو مذحج هاجوا له طربا

* وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا أبو حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب الجماع والقبائل البطون حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب الجماع قال خلاد قال أبو بكر القبائل العظام مثل بنى تميم والقبائل الأفخاذ حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب الجمهور والقبائل الأفخاذ حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله شعوبا قال النسب البعيد وقبائل دون ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب النسب البعيد والقبائل كقوله فلان من بنى فلان وفلان من بنى فلان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلناكم شعوبا قال هو النسب البعيد قال والقبائل كما تسمعه يقال فلان من بنى فلان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجعلناكم شعوبا قال أما الشعوب فالنسب البعيد * وقال بعضهم الشعوب الافخاذ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب الافخاذ والقبائل القبائل * وقال آخرون الشعوب البطون والقبائل الافخاذ ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى ابن طلحة قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب البطون والقبائل الافخاذ الكبار * وقال آخرون الشعوب الأنساب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب الانساب وقوله لتعارفوا يقول

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان أبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد وتنكير القوم والنساء للبعضية أو لافادة الشياع وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة زيادة للتوبيخ وتنبيها على أن السخرية قلما تصدر عن واحد ولكن ليشاركه فى ذلك جمع من الحاضرين لان ميل الطباع الى التلهى والدعابة والازدراء بالضعفاء وأهل السآمة اكثرى وانما لم يقل رجل من امرأة و بالعكس لان سخرية الجنس من الجنس أكثر فاقتصر على ذلك والباقى فيه بالاولى وقوله (عسى أن يكونوا) كلام مستأنف ينبئ عن سبب النهى عن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا قوله سبحانه (ولا تلمزوا) تأديب آخر واللمز الطعن باللسان والمعنى حضوا أنفسكم بالانتهاء عن الطعن فى أمثالكم من أهل هذا الدين ولا عليكم أن تعيبوا غير أهل دينكم قيل اللمز السب خلف الانسان والهمز العيب فى وجه الانسان وقيل بل الامر بالعكس لان من تقاليب همز هزم وهو يدل على البعد ومن مقلوب اللمز اللزم وهو يدل على القرب فيشمل العيب بالاشارة أيضا قوله (ولا تنابزوا) تأديب آخر والنبز بالسكون القذف بالمكروه من الالقاب واللقب من الاعلام ما دل على مدح أو ذم والنبز بالفتح اللقب القبيح فهو أخص من اللقب كما أن اللقب أخص من العلم وانما قال ولا تنابزوا ولم يقل ولا تنبزوا على منوال ولا تلمزوا

ليعرف بعضكم بعضا فى النسب يقول تعالى ذكره انما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس ليعرف بعضكم بعضا فى قرب القرابة منه وبعده لا لفضيلة لكم فى ذلك وقربة تقربكم الى الله بل أكرمكم عند الله أتقاكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقبائل لتعارفوا قال جعلنا هذا لتعارفوا فلان بن فلان من كذا وكذا وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم يقول تعالى ذكره ان أكرمكم أيها الناس عند ربكم أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن علىّ بن رباح عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس لآدم وحواء كطف الصاع لم يملؤه ان الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة إن أكرمكم عند الله أتقاكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن على بن رباح عن عقبة ابن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أنسابكم هذه ليست بمساب على أحد وانما أنتم ولد آدم طف الصاع لم تملؤه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو عمل صالح حسب الرجل أن يكون فاحشا بذيا بخيلا جبانا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول قال ابن عباس ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال الناس أكرمكم أعظمكم بيتا وقال عطاء نسيت الثالثة وقوله إن الله عليم خبير يقول تعالى ذكره ان الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده ذو خبرة بكم وبمصالحكم وغير ذلك من أموركم لا تخفى عليه خافية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ ان الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره قالت الأعراب صدّقنا بالله ورسوله فنحن مؤمنون قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم لم تؤمنوا ولستم مؤمنين ولكن قولوا أسلمنا وذكر أن هذه الآية نزلت فى أعراب من بنى أسد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قالت الأعراب آمنا قال أعراب بنى أسد بن خزيمة واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل للنبى صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الأعراب قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنا فقال بعضهم انما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك لأن القوم كانوا صدّقوا بألسنتهم ولم يصدّقوا قولهم بفعلهم فقيل لهم قولوا أسلمنا لأن الاسلام قول والايمان قول وعمل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال ان الاسلام الكلمة والايمان العمل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر وأخبرنى الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه قال أعطى النبى صلى الله عليه وسلم رجالا ولم يعط رجلا منهم شيأ فقال سعد يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا شيأ وهو مؤمن فقال النبى صلى الله عليه وسلم أو مسلم حتى أعادها سعد ثلاثا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول أو مسلم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم انى أعطى رجالا وأدع من هو أحب الىّ منهم لا أعطيه شيأ مخافة أن يكبوا فى النار على وجوههم حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالت

لان النبز لا يعجز الانسان عن جوابه غالبا فمن ينبز غيره بالحمار كان لذلك الغير أن ينبزه بالثور مثلا ولا كذلك اللمز فان الملموز كثيرا ما يغفل عن عيب اللامز فلا يحضره فى الجواب شئ فيقع اللمز من جانب واحد فقط ثم أكد النهى عن التنابز بقوله (بئس الاسم) أى الذكر (الفسوق) وفى قوله (بعد الايمان) وجوه أحدها استقباح الجمع بين الامرين كما تقول بئس الشأن الصبوة بعد الشيخوخة أى معها وثانيها بئس الذكر أن يذكروا الرجل بالفسق أو باليهودية بعد ايمانه وكانوا يقولون لمن أسلم من اليهود يا يهودى يا فاسق فنهوا عنه وثالثها أن يجعل الفاسق غير مؤمن كما يقال للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة فمعنى بعد الايمان بدلا عن الايمان (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) لان الاصرار على المنهى كفر اذ جعل المنهى كالمأمور فوضع الشئ فى غير موضعه قوله (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) فيه تأديب آخر ومعنى اجتنبوا كونوا منه فى جانب وانما قال كثيرا ولم يقل الظن مطلقا لأن منه ما هو واجب كحسن الظن بالله وبالمؤمنين كما جاء فى الحديث القدسى أنا عند ظن عبدى بى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقال ان حسن الظن من الايمان ومنه ما هو محظور وهو سوء الظن بالله وبأهل الصلاح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء

الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا قال لم يصدقوا ايمانهم بأعمالهم فردّ الله ذلك عليهم قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وأخبرهم أن المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون صدّقوا ايمانهم بأعمالهم فمن قال منهم أنا مؤمن فقد صدق قال وأما من انتحل الايمان بالكلام ولم يعمل فقد كذب وليس بصادق حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم ولكن قولوا أسلمنا قال هو الاسلام * وقال آخرون انما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقيل ذلك لهم لأنهم أرادوا أن يتسموا بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا فأعلمهم الله أن لهم أسماء الأعراب لا أسماء المهاجرين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قالت الأعراب آمنا الآية وذلك أنهم أرادوا أن يتسموا باسم الهجرة ولا يتسموا بأسمائهم التي سماهم الله وكان ذلك في أول الهجرة قبل أن تنزل المواريث لهم * وقال آخرون قيل لهم ذلك لانهم منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم لم تؤمنوا ولكن استسلمتم خوف السباء والقتل ذكر من قال ذلك. حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولعمرى ما عمت هذه الآية الأعراب ان من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ولكن انما أنزلت في حيّ من أحياء الأعراب امتنوا باسلامهم على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان فقال الله لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا حتى بلغ في قلوبكم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال لم تعم هذه الآية الأعراب ان من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ولكنها في طوائف من الأعراب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن رباح عن أبي معروف عن سعيد بن جبير قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال استسلمنا لخوف السباء والقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن رجل عن مجاهد قولوا أسلمنا قال استسلمنا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ قول الله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا استسلمنا دخلنا في السلم وتركنا المحاربة والقتال بقولهم لا اله الا الله وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا لا اله الا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله * وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن الزهري وهو أن الله تقدم الى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة اقرارا منهم بالقول ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالاطلاق آمنا دون تقييد قولهم ذلك بأن يقولوا آمنا بالله ورسوله ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يشكل على سامعيه والذي قائله فيه محق وهو أن يقولوا أسلمنا بمعنى دخلنا في الملة (١) والأموال والشهادة الحق وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم يقول تعالى ذكره ولما يدخل العلم بشرائع الايمان وحقائق معانيه في قلوبكم

وقوله وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولما يدخل الايمان في قلوبهم ان تطيعوا الله ورسوله أيها القوم فتأتمروا لأمره وأمر رسوله وتعملوا بما فرض عليكم وتنتهوا عما نهاكم عنه لا يلتكم من أعمالكم شيأ يقول لا يظلمكم من أجور أعمالكم شيأ ولا ينقصكم من ثوابها شيأ * ونحو الذي قلنا

(١) لعله دخلنا في الملة لحفظ الأنفس والأموال بالشهادة الخ وحرر كتبه مصححه

وهو الذي أمر في الآية باجتنابه ومنه ما هو مندوب اليه وهو اذا كان المظنون به ظاهر الفسق واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من الحزم سوء الظن وعن النبي صلى الله عليه وسلم احترسوا من الناس بسوء الظن ومنه المباح كالظن في المسائل الاجتهادية قال أهل المعاني انما نكر كثيرا ليفيد معنى البعضية المصرح بها في قوله (ان بعض الظن إثم) ولو عرّف لأوهم أن المنهي عنه هو الظن الموصوف بالكثرة والذي يتصف بالقلة مرخص فيه والهمزة في الاثم عوض عن الواو كأنه يثم الاعمال أي يكسرها باحباطه تأديب آخر (ولا تجسسوا) وقد يخص الذي بالحاء المهملة بتطلب الخبر والبحث عنه كقوله فتحسسوا من يوسف وأخيه فبالجيم تفعل من الجس وبالحاء من الحس قال مجاهد معناه خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في خطبته يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته وهذا الأدب كالسبب لما قبله فلما نهى عن ذلك نهى عن سببه أيضا تأديب آخر (ولا يغتب) يقال غابه واغتابه بمعنى والاسم الغيبة بالكسر وهي ذكر العيب بظهر الغيب وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن تذكر أخاك بما يكره فان كنت صادقا اغتبته وان كنت كاذبا فقد بهته ثم مثل ما يناله

فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا يلتكم لا ينقصكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ يقول لن يظلمكم من أعمالكم شيأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى وان تطيعوا الله ورسوله قال ان تصدقوا ايمانكم بأعمالكم يقبل ذلك منكم وقرأت قراء الأمصار لا يلتكم من أعمالكم بغير همز ولا ألف سوى أبى عمرو فانه قرأ ذلك لا يألتكم بألف اعتبارا منه فى ذلك بقوله وما ألتناهم من عملهم من شئ فمن قال ألت قال يألت وأما الآخرون فانهم جعلوا ذلك من لات يليت كما قال رؤبة بن العجاج

وليلة ذات ندى سريت * ولم يلتنى عن سراها ليت

والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ما عليه قراء المدينة والكوفة لا يلتكم بغير الف ولا همز على لغة من قال لات يليت لعلتين احداهما اجماع الحجة من القراء عليها والثانية أنها فى المصحف بغير ألف ولا تسقط الهمزة فى مثل هذا الموضع لانها ساكنة والهمزة اذا سكنت ثبتت كما يقال تأمرون وتأكلون وانما تسقط اذا سكن ماقبلها ولا يحمل حرف فى القرآن اذا أتى بلغة على آخر جاء بلغة خلافها اذا كانت اللغتان معروفتين فى كلام العرب وقد ذكرنا أن ألت ولات لغتان معروفتان من كلامهم وقوله ان الله غفور رحيم يقول تعالى ذكره ان الله ذو عفو أيها الأعراب لمن أطاعه وتاب اليه من سالف ذنوبه فأطيعوه وانتهوا الى أمره ونهيه يغفر لكم ذنوبكم رحيم بخلقه التائبين اليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم على ما تابوا منه فتوبوا اليه يرحمكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله غفور رحيم غفور للذنوب الكثيرة أو الكبيرة شك يزيد رحيم بعباده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ يقول تعالى ذكره للاعراب الذين قالوا آمنا ولم يدخل الايمان فى قلوبهم انما المؤمنون أيها القوم الذين صدقوا الله ورسوله ثم لم يرتابوا يقول ثم لم يشكوا فى وحدانية الله ولا فى نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه فى وجوب ذلك عليه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله يقول جاهدوا المشركين بانفاق أموالهم وبذل مهجهم فى جهادهم على ما أمرهم الله به من جهادهم وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وقوله أولئك هم الصادقون يقول هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون فى قولهم انا مؤمنون لا من دخل فى الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك هم الصادقون قال صدقوا ايمانهم بأعمالهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبهم أتعلمون الله أيها القوم بدينكم يعنى بطاعتكم ربكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض يقول والله الذى تعلمونه أنكم مؤمنون علام جميع ما فى السموات السبع والأرضين السبع لا يخفى عليه منه شئ فكيف تعلمونه بدينكم والذى أنتم عليه من الايمان وهو لا يخفى عليه خافية فى سماء ولا أرض فيخفى عليه ما أنتم عليه من الدين والله بكل شئ عليم يقول والله بكل

المغتاب من عرض صاحبه على أفظع وجه فقال (أيحب) الى آخره وفيه أنواع من المبالغة منها الاستفهام للتقرير ومحبة المكروه ومنها اسناد الفعل الى (أحدكم) ففيه اشعار بأنه لا احد يحب ذلك ومنها تقييد المكروه بأكل لحم الانسان ومنها تقييد الانسان بالأخ ومنها جعل الأخ أو اللحم ميتا ففيه مزيد تنفير للطبع وانما مثل بالأكل لأن العرب تقول لمن ذكر بالسوء ان الناس يأكلون فلانا ويمضغونه وفلان مضغة للماضغ شبهوا ادارة ذكره فى الفم بالأكل والميت لمزيد التنفير كما قلنا أو لأن الغائب كالميت من حيث لا يشعر بما يقال فيه أما الفاء فى قوله (فكرهتموه) ففصيحة أو نتيجة لانها للالزام أى بل عافته نفوسكم فكرهتموه او فتحققت بوجوب الاقرار وبحكم العقل وداعى الطبع كراهتكم للأكل أو اللحم أو الميت فليتحقق أيضا أن تكرهوا لما هو نظيره وهى الغيبة وقال ابن عباس هى ادام كلاب الناس وعنه أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شئ فأخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة «لبئر من آبار مكة» لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت قلت قد ثبتين فى الحديث أن فى الآية مبالغة أخرى وهى أنه أراد باللحم الميت المدود

ما كان وماهو كائن وبما يكون ذو علم وانما هذا تقدم من الله الى هؤلاء الأعراب بالنهى عن أن يكذبوا ويقولوا غير الذى هم عليه فى دينهم يقول الله محيط بكل شئ عالم به فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدوركم فينالكم عقوبته فانه لا يخفى عليه شئ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يمن عليك هؤلاء الأعراب يا محمد أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان يقول بل الله يمن عليكم أيها القوم أن وفقكم للايمان به وبرسوله ان كنتم صادقين يقول ان كنتم صادقين فى قولكم آمنا فان الله هو الذى منّ عليكم بأن هداكم له فلا تمنوا على باسلامكم وذكر أن هؤلاء الأعراب من بنى أسد امتنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا آمنا من غير قتال ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا فأنزل الله فيهم هذه الآيات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية يمنون عليك أن أسلموا أهم بنو أسد قال قد قيل ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف قال ثنا شعبة عن أبى بشر قال قلت لسعيد ابن جبير يمنون عليك أن أسلموا أهم بنو أسد قال يزعمون ذاك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حبيب بن أبى عمرة قال كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب عند الحجاج جالسين فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت فى قومك بنى تميم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال انه لو علم بآخر الآية أجابه يمنون عليك أن أسلموا قالوا أسلمنا ولم نقاتلك بنو أسد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة لا تمنوا إنا أسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم قال فهذه الآيات نزلت فى الأعراب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) يقول تعالى ذكره ان الله أيها الأعراب لا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب ومن الداخل منكم فى ملة الاسلام رغبة فيه ومن الداخل فيه رهبة من رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وجنده فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم فان الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم وتحدثون به أنفسكم ويعلم ما غاب عنكم فاستسر فى خبايا السموات والارض لا يخفى عليه شئ من ذلك والله بصير بما تعملون يقول والله ذو بصر بأعمالكم التى تعملونها أجهرا تعملون أم سرا طاعة تعملون أو معصية وهو مجازيكم على جميع ذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر وكفؤه وأن فى قوله يمنون عليك أن أسلموا فى موضع نصب بوقوع يمنون عليها وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله يمنون عليك اسلامهم وذلك دليل على صحة ما قلنا ولو قيل هى نصب بمعنى يمنون عليك لأن أسلموا لكان وجها يتجه وقال بعض أهل العربية هى فى موضع خفض بمعنى لأن أسلموا وأما أن التى فى قوله بل الله يمن عليكم أن هداكم فانها فى موضع نصب بسقوط الصلة لأن معنى الكلام بل الله يمن عليكم بأن هداكم للايمان

آخر تفسير سورة الحجرات

المتن المختصر وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر الحسى عن الامر المعنوى الذى أدركه بنور النبوة منهما واعلم أن الغيبة وان كانت منهية الا أنها مباحة فى حق الفاسق ففى الحديث اذكروا الفاسق بما فيه كى يحذره الناس وروى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له واتقوا الله فيما نهاكم وتوبوا فيما وجد منكم وحين علم المؤمنين تلك الآداب الجميلة عمم الخطاب منعا من السخرية واللمز وغيرذلك على الاطلاق فقال (يا أيها الناس) الآية قال بعض الرواة ان ثابت بن قيس حين قال فلان ابن فلانة قال النبى صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقام ثابت فقال أنا يا رسول الله فقال انظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأسود وأحمر قال فانك لا تفضلهم الا بالتقوى والدين فأنزل الله هذه الآية وعن مقاتل لما كان يوم فتح مكة أمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا حتى أذن على ظهر الكعبة فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذى قبض أبى حتى لم يرهذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان انى لا أقول شيأ أخاف أن يخبر به رب السماء فأتى جبريل عليه السلام فأخبره وأقول الآية تزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى سوق المدينة غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط

﴿ تفسير سورة ق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ق فقال بعضهم هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ق ون وأشباه هذا فانه قسم أقسمه الله وهو اسم من أسماء الله * وقال آخرون هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ق قال اسم من أسماء القرآن * وقال آخرون ق اسم الجبل المحيط بالأرض وقد تقدم بياننا فى تأويل حروف المعجم التى فى أوائل سور القرآن بما فيه الكفاية عن اعادته فى هذا الموضع وقوله والقرآن المجيد يقول والقرآن الكريم كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير ق والقرآن المجيد قال الكريم واختلف أهل العربية فى موضع جواب هذا القسم فقال بعض نحويى البصرة ق والقرآن المجيد قسم على قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم وقال بعض نحويى أهل الكوفة فيها المعنى الذى أقسم به وقال ذكر أنها قضى والله وقال يقال ان قاف جبل محيط بالأرض فان يكن كذلك فكأنه فى موضع رفع أى هو قاف والله قال وكان ينبغى لرفعه أن يظهر لأنه اسم وليس بهجاء قال ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كما قال الشاعر

* قلت لها قفى فقالت قاف * ذكرت القاف ارادة القاف من الوقف أى انى واقفة

وهذا القول الثانى عندنا أولى القولين بالصواب لأنه لا يعرف فى أجوبة الأيمان قد وانما تجاب الايمان اذا أجيبت بأحد الحروف الاربعة اللام وان وما ولا أو بترك جوابها فيكون ساقطا وقوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما كذبك يا محمد مشركو قومك أن لا يكونوا عالمين بأنك صادق محق ولكنهم كذبوك تعجبا من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم يعنى بشرا منهم من بنى آدم ولم يأتهم ملك برسالة من عند الله وقوله فقال الكافرون هذا شئ عجيب يقول تعالى ذكره فقال المكذبون بالله ورسوله من قريش اذ جاءهم منذر منهم هذا شئ عجيب أى مجئ رجل منا من بنى آدم برسالة الله الينا هلا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾ يقول القائل لم يجر للبعث ذكر فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم ما دعوا اليه من ذلك فأوجه الخبر عنهم بانكارهم ما لم يدعوا اليه وجوابهم عما لم يسئلوا عنه قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فنذكر ما قالوا فى ذلك ثم نتبعه البيان ان شاء الله تعالى فقال فى ذلك بعض نحويى البصرة قال أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد لم يذكر أنه راجع وذلك والله أعلم لأنه كان على جواب كأنه قيل لهم انكم ترجعون فقالوا أئذا كنا ترابا ذلك رجع بعيد وقال بعض نحويى الكوفة قوله أئذا متنا وكنا ترابا كلام لم يظهر قبله ما يكون هذا جوابا له ولكن معناه مضمر انما كان والله أعلم ق والقرآن المجيد لتبعثن بعد الموت فقالوا أئذا كنا ترابا بعثنا جحدوا البعث ثم قالوا ذلك رجع بعيد جحدوه أصلا قوله بعيد كما تقول للرجل يخطئ فى المسئلة لقد ذهبت مذهبا بعيدا من الصواب أى أخطأت * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن فى هذا الكلام

لا يمنعنى عن الصلوات الخمس خلف النبى صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد أيام فقيل هو فى ذمائه فجاءه وتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار أمر عظيم فنزلت وقوله (من ذكر وأنثى) فيه وجهان أحدهما من آدم وحواء فيدل على أنه لا تفاخر لبعض على بعض لكونهم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة والثانى كل واحد منكم أيها الموجودون وقت النداء خلقناه من أب وأم والتفاوت فى الجنس دون التفاوت فى الجنسين كالذباب والذئاب مثلا لكن التفاوت بين الناس بالكفر والايمان كالتفاوت الذى بين الجنسين لان الكافر كالانعام بل أضل والمؤمن هو الناس وغيره كالنسناس والحاصل أن الشئ اما أن يترجح على غيره بأمر يلحقه و يترتب عليه بعد وجوده واما أن يترجح عليه بأمر هو قبله وهذا القسم اما أن يرجع الى القابل أو الى الفاعل كما يقال كان هذا من النحاس وهذا من الفضة وهذا عمل فلان فذكر الله سبحانه أنه لا ترجح بحسب الاصل القابل لانكم كلكم من ذكر وأنثى ولا بحسب الفاعل فان الله هو خالقكم فان كان تفاوت فبامور لاحقة وأحقها بالتميز هو التقوى لما قلنا ولهذا يصلح للمناصب الدينية كالقضاء والشهادة كل شريف ووضيع اذا كان دينا عالما ولا يصلح لشئ منها فاسق وان كان قرشى النسب قارونى النشب ثم بين الحكمة التى من أجلها رتبهم

متروكا استغنى بدلالة ماذكر عليه من ذكره وذلك أن الله دل بخبره عن تكذيب هؤلاء المشركين الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عن تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب على وعيدهم اياهم على تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم فكأنه قال لهم اذ قالوا منكرين رسالة الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم هذا شئ عجيب ستعلمون أيها القوم اذا أنتم بعثتم يوم القيامة ما يكون حالكم فى تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم وانكاركم نبوته فقالوا مجيبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أئذا متنا وكنا ترابا نعلم ذلك ونرى ما تعدنا على تكذيبك ذلك رجع بعيد أى ان ذلك غير كائن ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا فاستغنى بدلالة قوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب من ذكر ماذكرت من الخبر عن وعيدهم وفيما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قالوا كيف يحيينا الله وقد صرنا عظاما ورفاتا وضللنا فى الأرض دلالة على صحة ما قلنا من أنهم أنكروا البعث اذ توعدوا به وقوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم يقول تعالى ذكره قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم وعندنا كتاب بما تأكل الارض وتفنى من أجسامهم ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك حافظ لذلك كله وسماه الله تعالى حفيظا لأنه لا يدرس ما كتب فيه ولا يتغير ولا يتبدل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم يقول ما تأكل الارض من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما تنقص الارض منهم قال من عظامهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم يقول ما تأكل الارض منهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة تميز بما تعملون من الارض منهم قال يعنى الموت يقول من يموت منهم أو قال ما تأكل الارض منهم اذا ماتوا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قال الله قد علمنا ما تنقص الارض منهم يقول ما أكلت الارض منهم ونحن عالمون به وهم عندى مع علمى فيهم فى كتاب حفيظ

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ يقول تعالى ذكره ما أصاب هؤلاء المشركون القائلون أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فى قيلهم هذا بل كذبوا بالحق وهو القرآن لما جاءهم من الله كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل كذبوا بالحق لما جاءهم أى كذبوا بالقرآن فهم فى أمر مريج يقول فهم فى أمر مختلط عليهم ملتبس لا يعرفون حقه من باطله قد مرج أمر الناس اذا اختلط وأهمل وقد اختلفت عبارات أهل التأويل فى تأويلها وان كانت متقاربات المعانى فقال بعضهم معناها فهم فى أمر منكر وقال المريج هو الشئ المنكر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خالد بن خداش قال ثنى سلم بن قتيبة عن وهب بن حبيب الآمدى عن أبى حمزة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله أمر مريج قال المريج الشئ المنكر أما سمعت قول الشاعر

فجالت والتمست به حشاها * فخر كأنه خوط مريج

وقال

على شعوب وقبائل وهى أن يعرف بعضهم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه فقال (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) أى ليقع بينكم التعارف بسبب ذلك لا أن تتفاخروا بالأنساب قيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب وقال جار الله الشعب بالفتح الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب أولها شعب وهى أعم سمى بذلك لأن القبيلة تتشعب منها ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة وهى الأخص مثال ذلك خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة ﴿فائدة﴾ لا ريب أن الخلق يستعمل فى الاصول أكثر والجعل يستعمل فيما يتفرع عليه ولهذا قال خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وقال فى الآية خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل ولكنه قال فى موضع آخر وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فبين أن الاصل فى الخلق والغرض الاقدم هو العبادة ليعلم منه أن اعتبار النسب وغيره مؤخر عن اعتبار العبادة فلهذا قال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وفيه معنيان أحدهما أن التقوى تفيد الاكرام عند الله والثانى أن الاكرام فى حكم الله يورث التقوى والاول أشهر كما يقال ألذ الأطعمة أحلاها أى اللذة بقدر الحلاوة لا أن الحلاوة بقدر اللذة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عيبة الجاهلية

* وقال آخرون بل معنى ذلك فى أمر مختلف ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فى أمر مريج يقول مختلف * وقال آخرون بل معناه فى أمر ضلالة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فهم فى أمر مريج قال هم فى أمر ضلالة * وقال آخرون بل معناه فى أمر ملتبس ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى ابن يمان عن أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير فى قوله فهم فى أمر مريج قال ملتبس حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أمر مريج قال ملتبس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهم فى أمر مريج ملتبس عليهم أمره حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال والتبس عليه دينه * وقال آخرون بل هو المختلط ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى أمر مريج قال المريج المختلط وانما قلت هذه العبارات وان اختلفت ألفاظها فهى فى المعنى متقاربات لأن الشئ المختلف ملتبس معناه مشكل واذا كان كذلك كان منكرا لأن المعروف واضح بين واذا كان غير معروف كان لاشك ضلالة لأن الهدى بين لا لبس فيه وقوله أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها يقول تعالى ذكره أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت المنكرون قدرتنا على احيائهم بعد بلائهم الى السماء فوقهم كيف بنيناها فسوّيناها سقفا محفوظا وزيناها بالنجوم ومالها من فروج يعنى ومالها من صدوع وفتوق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من فروج قال شق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومالها من فروج قلت له يعنى ابن زيد الفروج الشئ المتبرئ بعضه من بعض قال نعم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾ وقوله والأرض مددناها يقول والارض سطحناها وألقينا فيها رواسى يقول وجعلنا فيها جبالا ثوابت رست فى الارض وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج يقول تعالى ذكره وأنبتنا فى الارض من كل نوع من نبات حسن وهو البهيج * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله بهيج يقول حسن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقينا فيها رواسى والرواسى الجبال وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج أى من كل زوج حسن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قلت لابن زيد البهيج هو الحسن المنظر قال نعم وقوله تبصرة يقول فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس نبصركم بها قدرة ربكم على ما يشاء وذكرى لكل عبد منيب يقول وتذكيرا من الله عظمته وسلطانه وتنبيها على وحدانيته لكل عبد منيب يقول لكل عبد رجع الى الايمان بالله والعمل بطاعته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تبصرة نعمة من الله يبصرها العباد وذكرى لكل عبد منيب أى مقبل بقلبه

وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى (ان الله عليم) بظواهركم (خبير) ببواطنكم وحق مثله أن يخشى ويتقى وحين حث عموم الناس على تقواه وبخ من فى ايمانه ضعف قال ابن عباس ان نفرا من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين فى السر وأفسدوا طريق المدينة بالقذاة وأغلوا أسعارها وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه فأنزل الله هذه الآيات أى قالوا آمنا بشرائطه فأطلع الله نبيه على مكنون ضمائرهم وقال لن تؤمنوا ايمانا حقيقيا وهو الذى وافق القلب فيه اللسان (ولكن قولوا أسلمنا) يعنى اسلاما لغويا وهو الخضوع والانقياد خوفا من القتل ودخولا فى زمرة أهل الايمان والسلم ثم أكد النفى المذكور بقوله (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) وفيه فائدة زائدة هى أن يعلم أن الايمان متوقع منهم لأن لما حرف فيه توقع وانتظار ثم حثهم على الطاعة بقوله (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم) أى لا ينقصكم (من) ثواب (أعمالكم شيأ) يعنى الثواب المضاعف الموعود فى نحو قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ألت يألت بالهمز

الى الله حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله تبصرة وذكرى قال تبصرة من الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تبصرة قال بصيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن عطاء ومجاهد لكل عبد منيب قالا مجيب ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾ يقول تعالى ذكره ونزلنا من السماء ماء مطرا مباركا فأنبتنا به بساتين أشجارا وحب الزرع المحصود من البر والشعير وسائر أنواع الحبوب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحب الحصيد هذا البر والشعير حدثنى ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وحب الحصيد قال هو البر والشعير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحب الحصيد قال الحنطة وكان بعض أهل العربية يقول فى قوله وحب الحصيد الحب هو الحصيد وهو مما أضيف الى نفسه مثل قوله ان هذا لهو حق اليقين وقوله والنخل باسقات يقول وأنبتنا بالماء الذى أنزلنا من السماء النخل طوالا والباسق هو الطويل يقال للجبل الطويل جبل باسق كما قال ابن نوفل لابن هبيرة

يا ابن الذين بفضلهم * بسقت على قيس فزاره

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله باسقات يقول طوال حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والنخل باسقات قال النخل الطوال حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبى خالد عن عبدالله بن شداد فى قوله والنخل باسقات قال بسوقها طولها فى اقامة حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله والنخل باسقات قال الباسقات الطوال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله باسقات قال الطوال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والنخل باسقات قال بسوقها طولها حدثنا ابن عبدالاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والنخل باسقات قال يعنى طولها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والنخل باسقات قال البسوق الطول وقوله لها طلع نضيد يقول لهذا النخل الباسقات طلع وهو الكفرى نضيد يقول منضود بعضه على بعض متراكب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى ابى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لها طلع نضيد قال يقول بعضه على بعض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله نضيد قال المنضد حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة لها طلع نضيد يقول بعضه على بعض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لها طلع نضيد ينضد بعضه على بعض وقوله رزقا للعباد يقول أنبتنا بهذا

اذا نقص وهى لغة غطفان يقال ألته السلطان حقه أشد الألت ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وقال قطرب ولته يلته بمعنى صرفه عن وجهه فيكون يلتكم على وزن يعدكم وعلى الوجه المتقدم على وزن يبيعكم (ان الله غفور رحيم) لمن تاب وأخلص نيته ثم وصف المؤمنين المحقين بقوله (انما المؤمنون) ومعنى ثم فى قوله (ثم لم يرتابوا) كما فى قوله ربنا الله ثم استقاموا وارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة أى ثم لم يقع فى قلوبهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه وذلك بتشكيك بعض شياطين الجن والانس وقال جار الله وجه آخر لما كان زوال الريب ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مزيته واشعارا بأنهم مستقرون على ذلك فى الازمنة المتطاولة غضا جديدا وفى قوله (أولئك هم الصادقون) تعريض بأن المذكورين أولا كاذبون ولهذا قال قل لم تؤمنوا اشارة الى كذبهم فى دعواهم ورب تعريض لا يقاومه التصريح ثم أراد تجهيلهم بقوله (قل أتعلمون الله بدينكم) والباء قيل للسببية والاظهر أنه الذى فى قولهم ما علمت بقدومك أى ما شعرت ولا أحطت به وذكر فى أسباب النزول أنه لما نزلت الآية الاولى جاءت هؤلاء الأعراب وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية والاستفهام للتوبيخ أى كيف تعلمونه بعقيدتكم وهو عالم بكل خافية والتعليم افادة العلم على التدريج والمعالجة وقيل تعريض من لا يعلم بافهام المعنى

الماء الذى أنزلناه من السماء هذه الجنات والحب والنخل قوتا للعباد بعضها غذاء و بعضها فاكهة ومتاعا وقوله وأحيينا به بلدة ميتا يقول تعالى ذكره وأحيينا بهذا الماء الذى أنزلناه من السماء بلدة ميتا قد أجدبت وقحطت فلا زرع فيها ولا نبت وقوله كذلك الخروج يقول تعالى ذكره كما أنبتنا بهذا الماء هذه الارض الميتة فأحييناها به فأخرجنا نباتها وزرعها كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد﴾ يقول تعالى ذكره كذبت قبل هؤلاء المشركين الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه قوم نوح وأصحاب الرس وقد مضى ذكرنا قبل أمر أصحاب الرس وأنهم قوم رسوا نبيهم فى بئر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى بكر عن عكرمة بذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أصحاب الرس والرس بئر قتل فيها صاحب يس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أصحاب الرس قال بئر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث عن سعيد ابن أبى هلال عن عمرو بن عبد الله عن قتادة أنه قال ان أصحاب الأيكة والأيكة الشجر الملتف وأصحاب الرس كانتا أمتين فبعث الله اليهم نبيا واحدا شعيبا وعذبهما الله بعذابين وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وهم قوم شعيب وقد مضى خبرهم قبل وقوم تبع وكان قوم تبع أهل أوثان يعبدونها فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وكان من خبره وخبر قومه ما حدثنا به مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا عمران بن حدير عن أبى مجلز عن ابن عباس أنه سأل عبد الله بن سلام عن تبع ما كان فقال ان تبعا كان رجلا من العرب وانه ظهر على الناس فاختار فتية من الأخيار فاستبطنهم واستدخلهم حتى أخذ منهم و بايعهم وان قومه استكبروا ذلك وقالوا قد ترك دينكم و بايع الفتية فلما فشا ذلك قال للفتية فقال الفتية بيننا و بينهم النار تحرق الكاذب و ينجو منها الصادق ففعلوا فعلق الفتية مصاحفهم فى أعناقهم ثم غدوا الى النار فلما ذهبوا ان يدخلوها سفعت النار فى وجوههم فنكصوا عنها فقال لهم تبع لتدخلنها فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها وأنه قال لقومه ادخلوها فلما ذهبوا يدخلونها سفعت النار وجوههم فنكصوا عنها فقال لهم تبع لتدخلنها فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى اذا توسطوا أحاطت بهم فأحرقتهم فأسلم تبع وكان تبع رجلا صالحا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن أبى مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى قال سمعت ابراهيم بن محمد القرظى قال سمعت ابراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبد الله يحدث أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه و بين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار قال نعم قال وكانت فى اليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم فيما بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم فلما قالوا ذلك لتبع قال أنصفتم فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم قال وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها التى تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وها بوها فزموهم من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما فأطبقت حمير عند ذلك على دينه

لأن يعلم قوله (يمنون عليك) نزلت فى المذكورين وفى أمثالهم يقال منّ عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما قال أهل العربية اشتقاق المنة من المن الذى هو القطع لانه انما يسدى النعمة اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمل لطلب مثوبة وعوض ثم قال (بل الله يمن عليكم) حيث هداكم للايمان الذى ادعيتموه وفى اضافة الاسلام اليهم ازدراء باسلامهم وفى ايراد الايمان مطلقا غير مضاف اشارة الى الايمان المعهود الذى يجب أن يكون المكلف عليه وجواب الشرط محذوف أى (ان كنتم صادقين) فى ادعاء الايمان الحقيق فلله المنة عليكم ثم عرض بأنهم غير صادقين فقال (ان الله يعلم) الآية والمراد أنه لا يخفى عليه ضمائرهم والله أعلم بالصواب

فمن هنالك وغيرذلك كان أصل اليهودية باليمن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق عن بعض أصحابه أن الحبرين ومن خرج معهما من حمير انما اتبعوا النار ليردّوها وقالوا من ردّها فهو أولى بالحق فدنا منهم رجال من حمير بأوثانهم ليردّوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا فلم يستطيعوا ردّها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وتنكص حتى ردّاها الى مخرجها الذى خرجت منه فأطبقت عند ذلك على دينهما وكان رئام بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه اذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع انما هو شيطان يعينهم ويلعب بهم فخل بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقاياه اليوم باليمن كما ذكر لى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن لهيعة عن عمرو بن جابر الحضرمى حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدى يحدّث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تلعنوا تبعا فانه قد كان أسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن لهيعة عن الحرث ابن يزيد أن شعيب بن زرعة المعافرى حدثه قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وقال له رجل ان حمير تزعم أن تبعا منهم فقال نعم والذى نفسى بيده وانه فى العرب كالأنف بين العينين وقد كان منهم سبعون ملكا وقوله كل كذب الرسل فحق وعيد يقول تعالى ذكره كل هؤلاء الذين ذكرناهم كذبوا رسل الله الذين أرسلهم فحق وعيد يقول فوجب لهم الوعيد الذى وعدناهم على كفرهم بالله وحل بهم العذاب والنقمة وانما وصف ربنا جل ثناؤه ما وصف فى هذه الآية من احلاله عقوبته بهؤلاء المكذبين الرسل ترهيبا منه بذلك مشركى قريش واعلاما منه لهم أنهم ان لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أنه محل بهم من العذاب مثل الذى أحل بهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فحق وعيد قال ما أهلكوا به تخويفا لهؤلاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾ وهذا تقريع من الله لمشركى قريش الذين قالوا أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد يقول لهم جل ثناؤه أفعيينا بابتداع الخلق الاول الذى خلقناه ولم يكن شيأ فنعيا باعادتهم خلقا جديدا بعد بلائهم فى التراب وبعد فنائهم يقول ليس يعيينا ذلك بل نحن عليه قادرون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أفعيينا بالخلق الاول يقول لم يعيينا الخلق الاول حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أفعيينا بالخلق الاول يقول أفعى علينا حين أنشأنا كم خلقا جديدا فتمتروا بالبعث حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن ابى ميسرة أفعيينا بالخلق الاول قال انا خلقناكم وقوله بل هم فى لبس من خلق جديد يقول تعالى ذكره ما يشك هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أنا لم نعى بالخلق الأول ولكنهم فى شك من قدرتنا على أن نخلقهم خلقا جديدا بعد فنائهم وبلائهم فى قبورهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بل هم فى لبس من خلق جديد يقول فى شك من البعث حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى ميسرة بل هم فى لبس قال الكفار من خلق جديد قال

* (سورة ق مكية حروفها ألف وأربعمائة وسبعة وسبعون كلماتها ثلثمائة وخمس وسبعون آياتها خمس وأربعون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب

أن يخلقوا من بعد الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل هم في لبس
أي شك والخلق الجديد البعث بعد الموت فصار الناس فيه رجلين مكذب ومصدق حدثنا
ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله في لبس من خلق جديد قال البعث
من بعد الموت وقوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما تحدث به نفسه فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد
يقول ونحن أقرب للانسان من حبل العاتق والوريد عرق بين الحلقوم والعلباوين والحبل هو
الوريد فأضيف الى نفسه لاختلاف لفظ اسميه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ونحن
أقرب اليه من حبل الوريد يقول عرق العنق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
حبل الوريد قال الذي يكون في الحلق وقد اختلف أهل العربية في معنى قوله ونحن أقرب اليه
من حبل الوريد فقال بعضهم معناه نحن أملك به وأقرب اليه في المقدرة عليه * وقال آخرون بل
معنى ذلك ونحن أقرب اليه من حبل الوريد بالعلم بما توسوس به نفسه ۞ القول في تأويل قوله
تعالى ﴿ اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾
يقول تعالى ذكره ونحن أقرب الى الانسان من وريد حلقه حين يتلقى الملكان وهما المتلقيان عن
اليمين وعن الشمال قعيد وقيل عنى بالقعيد الرصد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قعيد قال رصد واختلف أهل العربية في وجه توحيد قعيد
وقد ذكر من قبل متلقيان فقال بعض نحويي البصرة قيل عن اليمين وعن الشمال قعيد ولم يقل عن
اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أي أحدهما ثم استغنى كما قال نخرجكم طفلا ثم استغنى بالواحد عن
الجمع كما قال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وقال بعض نحويي الكوفة قعيد يريد قعودا عن اليمين
وعن الشمال فجعل فعيل جمعا كما يجعل الرسول للقوم وللاثنين قال الله عز وجل إنا رسول رب
العالمين لموسى وأخيه وقال الشاعر

ألكني اليها وخير الرسو * ل أعلمهم بنواحي الخبر

فجعل الرسول للجمع فهذا وجه وان شئت جعلت القعيد واحدا اكتفاء به من صاحبه
كما قال الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأي مختلف

ومنه قول الفرزدق

اني ضمنت لمن أتاني ماجني * وأبي وكان وكنت غير غدور

ولم يقل غدورين وقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد يقول تعالى ذكره ما يلفظ الانسان
من قول فيتكلم به الا عندما يلفظ به من قول رقيب عتيد يعني حافظ يحفظه عتيد معد * وبنحو
الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن
قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد عن اليمين وعن الشمال قعيد قال عن اليمين الذي يكتب
الحسنات وعن الشمال الذي يكتب السيئات حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال
ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم التيمي في قوله اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد

ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به
جنات وحب الحصيد والنخل
باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد
وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج
كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان
لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل
كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا
بالخلق الأول بل هم في لبس من
خلق جديد ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن
أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى
المتلقيان عن اليمين وعن الشمال
قعيد ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت
بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ
في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد لقد

قال صاحب اليمين أمير أو أمين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال أمسك لعله يتوب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن مجاهد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قال ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذى عن يمينه فيكتب الخير وأما الذى عن شماله فيكتب الشر * قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال مع كل انسان ملكان ملك عن يمينه وملك عن يساره قال فأما الذى عن يمينه فيكتب الخير وأما الذى عن يساره فيكتب الشر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الى عتيد قال جعل الله على ابن آدم حافظين فى الليل وحافظين فى النهار يحفظان عليه عمله و يكتبان أثره حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد حتى بلغ عتيد قال الحسن وقتادة ما يلفظ من قول أى ما يتكلم به من شئ الا كتب عليه وكان عكرمة يقول انما ذلك فى الخير والشر يكتبان عليه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال تلا الحسن عن اليمين وعن الشمال قعيد قال فقال يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل بما شئت أقلل أو أكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه حتى بلغ حسيبا عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن اليمين وعن الشمال قعيد قال كاتب الحسنات عن يمينه وكاتب السيئات عن شماله * قال ثنا مهران عن سفيان قال بلغنى أن كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا أذنب قال له لا تعجل لعله يستغفر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال جعل معه من يكتب كل ما لفظ به وهو معه رقيب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن هشام الحمصى أنه بلغه أن الرجل اذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال اكتب فيقول لا بل أنت اكتب فيمتنعان فينادى مناد ياصاحب الشمال اكتب ما ترك صاحب اليمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد﴾ وفى قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجهان من التأويل أحدهما وجاءت سكرة الموت وهى شدته وغلبته على فهم الانسان كالسكرة من النوم أو الشراب بالحق من أمر الآخرة فتبينه الانسان حتى تثبته وعرفه والثانى وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت وقد ذكر عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يقرأ وجاءت سكرة الحق بالموت ذكر الرواية بذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن واصل عن أبى وائل قال لما كان أبو بكر رضى الله عنه يقضى قالت عائشة رضى الله عنها هذا كما قال الشاعر

* اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر *

فقال أبو بكر رضى الله عنه لا تقولى ذلك ولكنه كما قال الله عز وجل وجاءت سكرة (١) الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وقد ذكر أن ذلك كذلك فى قراءة ابن مسعود ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان أحدهما وجاءت سكرة الله بالموت فيكون الحق هو الله تعالى ذكره

كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدى عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله الها آخر فألقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا

(١) لعله سكرة الحق بالموت فانها قراءة الصديق رضى الله عنه الا أن تكون القراءة الأخرى رويت عنه أيضا تأمل كتبه مصححه

فنقبوا فى البلاد هل من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ ﴿القراآت﴾ ميتا بالتشديد يزيد وعيدى وما بعده مثل التى فى ابراهيم يوم يقول بالياء

والثانى ان تكون السكرة هى الموت أضيفت الى نفسها كما قيل ان هذا لهو حق اليقين ويكون تأويل الكلام وجاءت السكرة الحق بالموت وقوله ذلك ما كنت منه تحيد يقول هذه السكرة التى جاءتك أيها الانسان بالحق هو الشئ الذى كنت تهرب منه وعنه تروغ وقوله ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد قد تقدم بياننا عن معنى الصور وكيف النفخ فيه بذكر اختلاف المختلفين والذى هو أولى الاقوال عندنا فيه بالصواب بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله ذلك يوم الوعيد يقول هذا اليوم الذى ينفخ فيه هو يوم الوعيد الذى وعده الله الكفار أن يعذبهم فيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ يقول تعالى ذكره وجاءت يوم ينفخ فى الصور كل نفس ربها معها سائق يسوقها الى الله وشهيد يشهد عليها بما عملت فى الدنيا من خير أو شر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن اسمعيل بن أبى خالد عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية سائق وشهيد قال سائق يسوقها الى الله وشاهد يشهد عليها بما عملت * قال ثنا حكام عن اسمعيل عن أبى عيسى قال سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال السائق يسوقها الى أمر الله والشهيد يشهد عليها بما عملت حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال السائق من الملائكة والشهيد شاهد عليه من نفسه حدثنا ابن حميد قال ثنا سفيان عن مهران عن خصيف عن مجاهد سائق وشهيد سائق يسوقها الى أمر الله وشاهد يشهد عليها بما عملت حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سائق وشهيد سائق يسوقها الى أمر الله وشاهد يشهد عليها بما عملت حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله سائق وشهيد قال الملكان كاتب وشهيد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها الى ربها وشاهد يشهد عليها بعملها حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها الى حسابها وشاهد يشهد عليها بما عملت حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس سائق وشهيد قال سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها وحدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدى والارجل والملائكة أيضا شهداء عليهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سائق وشهيد قال ملك وكل به يحصى عليه عمله وملك يسوقه الى محشره حتى يوافى محشره يوم القيامة واختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآيات فقال بعضهم عنى بها النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم عنى أهل الشرك وقال بعضهم عنى بها كل أحد ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب

قال ثنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى قال سألت زيد بن أسلم عن قول الله وجاءت سكرة الموت بالحق الآية الى قوله سائق وشهيد فقلت له من يراد بهذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له رسول الله فقال وما تنكر قال الله عز وجل ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى قال ثم سألت صالح بن كيسان عنها فقال لى هل سألت أحدا فقلت نعم قد سألت عنها زيد ابن أسلم فقال ما قال لك فقلت بل تخبرنى ما تقول فقال لأخبرنك برأيى الذى عليه رأيى فأخبرنى ما قال لك قلت قال يراد بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وما علم زيد والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب انما يراد بهذا الكافر ثم قال اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك قال ثم سألت حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال لى مثل ما قال صالح هل سألت أحدا فأخبرنى به قلت انى قد سألت زيد بن أسلم وصالح بن كيسان فقال لى ما قالا لك قلت بل تخبرنى بقولك قال لأخبرنك بقولى فأخبرته بالذى قالا لى قال أخالفهما جميعا يريد بها البر والفاجر قال الله وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال فانكشف الغطاء عن البر والفاجر فرأى كل ما يصير اليه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد يعنى المشركين * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى بها البر والفاجر لأن الله أتبع هذه الآيات قوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه والانسان فى هذا الموضع بمعنى الناس كلهم غير مخصوص منهم بعض دون بعض فمعلوم اذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءتك أيها الانسان سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد واذا كان ذلك كذلك كانت بينة صحة ما قلنا وقوله لقد كنت فى غفلة من هذا يقول تعالى ذكره يقال له لقد كنت فى غفلة من هذا الذى عاينت اليوم أيها الانسان من الاهوال والشدائد فكشفنا عنك غطاءك يقول جلينا ذلك لك وأظهرناه لعينيك حتى رأيته وعاينته فزالت الغفلة عنك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفوا فى المقول ذلك له فقال بعضهم المقول ذلك له الكافر * وقال آخرون هو نبى الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون هو جميع الخلق من الجن والانس ذكر من قال هو الكافر حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك وذلك الكافر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فكشفنا عنك غطاءك قال للكافر يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان فكشفنا عنك غطاءك قال فى الكافر * ذكر من قال هو نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد كنت فى غفلة من هذا قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد كنت فى غفلة من هذا الأمر يا محمد كنت مع القوم فى جاهليتهم فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وعلى هذا التأويل الذى قاله ابن زيد يجب أن يكون هذا الكلام خطابا من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه كان فى غفلة فى الجاهلية من هذا الدين الذى بعثه به فكشف عنه غطاءه الذى كان عليه فى الجاهلية فنفذ بصره بالايمان وتبينه حتى تقرر ذلك عنده فصار حاد البصر به * ذكر من قال هو جميع الخلق من الجن والانس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى قال سألت عن ذلك الحسين بن عبد الله

ابن

نافع وأبو بكر وحماد امتلأت بابدال الهمزة ألفا أبو عمرو ويزيد والاعشى والأصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يوعدون على الغيبة ابن كثير وادبار بكسر الهمزة أبو جعفر ونافع وابن كثير وحمزة وخلف وجبلة المنادى بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو جعفر ونافع وأبو عمرو فى الوصل ۞ الوقوف ق ط كوفى ولو جعل قسما فلا يوقف للعطف المجيد ه ج لأن بل قد يجعل جواب القسم تشبيها بان فى التحقيق وفى توكيد ما بعده وقد يجعل جوابه محذوفا أى لتبعثن ترابا ج لأن ذلك مبتدأ الا أن المقول واحد بعيد ه منهم ج لاحتمال ما بعد الحال والاستئناف حفيظ ه مريج ه فروج ه

ابن عبيد الله بن عباس فقال يريد به البر والفاجر فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال وكشف الغطاء عن البر والفاجر فرأى كل ما يصير اليه * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله فكشفنا عنك غطاءك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فكشفنا عنك غطاءك قال الحياة بعد الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك قال عاين الآخرة وقوله فبصرك اليوم حديد يقول فأنت اليوم نافذ البصر عالم بما كنت عنه فى الدنيا فى غفلة وهو من قولهم فلان بصير بهذا الامر اذا كان ذا علم به وله بهذا الامر بصر أى علم وقد روى عن الضحاك أنه قال معنى ذلك فبصرك اليوم حديد لسان الميزان وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف فى الدنيا شاهد عدل عليه فشبه بصره بذلك بلسان الميزان الذى يعدل به الحق فى الوزن ويعرف مبلغه الواجب لأهله عما زاد على ذلك أو نقص فكذلك علم من وافى القيامة بما اكتسب فى الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال قرينه هذا مالدىّ عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب﴾ يقول تعالى ذكره وقال قرين هذا الانسان الذى جاء به يوم القيامة معه سائق وشهيد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال قرينه هذا مالدىّ عتيد الملك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقال قرينه هذا مالدىّ عتيد الى آخر الآية قال هذا سائقه الذى وكل به وقرأ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقوله هذا مالدىّ عتيد يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قرين هذا الانسان عند موافاته ربه به رب هذا مالدىّ عتيد يقول هذا الذى هو عندى معدّ محفوظ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا مالدىّ عتيد قال والعتيد الذى قد أخذه وجاء به السائق والحافظ معه جميعا وقوله ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه منه وهو يقال ألقيا فى جهنم أو قال تعالى ألقيا فأخرج الأمر للقرين وهو بلفظ واحد مخرج خطاب الاثنين وفى ذلك وجهان من التأويل أحدهما أن يكون القرين بمعنى الاثنين كالرسول والاسم الذى يكون بلفظ الواحد فى الواحد والتثنية والجمع فردّ قوله ألقيا فى جهنم الى المعنى والثانى أن يكون كما كان بعض أهل العربية يقول وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الاثنين فتقول للرجل ويلك أرحلاها وازجراها وذكر أنه سمعها من العرب قال وأنشدنى بعضهم

فقلت لصاحبى لاتحبسانا * بنزع أصوله واجتز شيحا

قال وأنشدنى أبو ثروان

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر * وان تدعانى أحم عرضا ممنعا

قال فيروى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه فى ابله وغنمه اثنان وكذلك الرفقة أدنى ماتكون ثلاثة فجرى كلام الواحد على صاحبيه وقال ألا ترى الشعراء أكثر شئ قيلا ياصاحبىّ ياخليلىّ وقال امرؤ القيس

خليلىّ مرا بى على أم جندب * لنقضى لبانات الفؤاد المعذب

بهيج ه لا لأن تبصرة مفعول لأجله منيب ه الحصيد ه لا لأن النخل معطوف على الجنات والحب نضيد ه لا لأن المراد أنبتناها لأجل الرزق للعباد ط للعطف ميتا ط الخروج ه وثمود ه لوط ه لا تبع ط وعيد ه الاول ط جديد ه نفسه ج وجعل ما بعدها حالا أولى من الاستئناف فيوقف على الوريد واذ يتعلق بمحذوف وهو اذكر أو بقوله ما يلفظ فلا يوقف على قعيد عتيد ه بالحق ط تحيد ه الصور ط الوعيد ه وشهيد ه حديد ه عتيد ه لتقدير القول عنيد ه لا مريب ه لا بناء على أن ما بعده صفة أخرى ولو جعل مبتدأ لتضمنها معنى الشرط أو

ثم قال

ألم ترأني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فرجع الى الواحد وأول الكلام اثنان قال وأنشدني بعضهم

خليليّ قوما في عطالة فانظرا * أنارا ترى من ذي أبانين أم برقا

وبعضهم يروى أنارا ترى كل كفار عنيد يعني كل جاحد وحدانية الله عنيد وهو العاند عن الحق وسبيل الهدى وقوله مناع للخير كان قتادة يقول في الخير في هذا الموضع هو الزكاة المفروضة حدثنا بذلك بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والصواب من القول في ذلك عندي أنه كل حق وجب لله أو لآدمي في ماله والخير في هذا الموضع هو المال وانما قلنا ذلك هو الصواب من القول لأن الله تعالى ذكره عم بقوله مناع للخير عنه أنه يمنع الخير ولم يخصص منه شيأ دون شئ فذلك على كل خير يمكن منعه طالبه وقوله معتد يقول معتد على الناس بلسانه بالبذاء والفحش في المنطق وبيده بالسطوة والبطش ظلما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة معتد في منطقه وسيرته وأمره وقوله مريب يعني شاك في وحدانية الله وقدرته على ما يشاء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مريب أي شاك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد﴾ يقول تعالى ذكره الذي أشرك بالله فعبد معه معبودا آخر من خلقه فألقياه في العذاب الشديد يقول فألقياه في عذاب جهنم الشديد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد﴾ يقول تعالى ذكره قال قرين هذا الانسان الكفار المناع للخير وهو شيطانه الذي كان موكلا به في الدنيا كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته قال قرينه شيطانه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قال قرينه قال الشيطان قيض له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذي جعل مع الله الها آخر هو المشرك قال قرينه ربنا ما أطغيته قال قرينه الشيطان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قرينه ربنا ما أطغيته قال قرينه الشيطان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته قال قرينه شيطانه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته قال قرينه من الجن ربنا ما أطغيته تبرأ منه وقوله ربنا ما أطغيته يقول ما أنا جعلته طاغيا متعديا الى ما ليس له وانما يعني بذلك الكفر بالله ولكن كان في ضلال بعيد يقول ولكن كان في طريق جائر عن سبيل الهدى جورا بعيدا وانما أخبر تعالى ذكره هذا الخبر عن قول قرين الكافر له يوم القيامة اعلاما منه عباده تبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا ما أطغيته قال تبرأ منه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الله ابن أبي زياد قال ثنا عبد الله بن أبي بكر قال ثنا جعفر قال سمعت أبا عمران يقول في قوله ربنا ما أطغيته تبرأ منه وقوله لا تختصموا لديّ يقول تعالى ذكره قال الله لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم وصفة قرنائهم من الشياطين لا تختصموا لديّ اليوم وقد قدمت اليكم في الدنيا

نصبا على المدح فالوقف الشديد ه بعيد ه بالوعيد ه للعبيد ه مزيد ه بعيد ه حفيظ ه ج لاحتمال أن تكون من شرطية جوابها القول المقدر قبل ادخلوها أو موصولة بدلا من لكل منيب ه بسلام ط الخلود ه ط مزيد ه البلاد ط للاستفهام قال السجاوندي وعندي أن عدم الوقف أولى لأن النقب وهو البحث والتفتيش واقع على جملة الاستفهام محيص ه شهيد ه لغوب ه الغروب ج لاحتمال تعلق الجار بما قبله وبما بعده السجود ه قريب ه لا لأن ما بعده بدل بالحق ط الخروج ه المصير ه لا لتعلق الظرف سراعا ط يسير ه وعيد ه ۞ التفسير قيل ان قاف

قبل اختصامكم هـذا بالوعيد لمن كفر بى وعصانى وخالف أمرى ونهيى فى كتبى وعلى ألسن رسلى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبدالله بن أبى زياد قال ثنا عبدالله بن أبى بكر قال ثنا جعفر قال سمعت أبا عمران يقول فى قول الله وقد قدمت اليكم بالوعيد قال بالقرآن حدثنى على قال ثنا ابو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله لا تختصموا لدى قال انهم اعتذروا بغير عذر فأبطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد قال يقول قد أمرتكم ونهيتكم قال هذا ابن آدم وقرينه من الجن حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع قال قلت لأبى العالية لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد «قال أبو جعفر الطبرى» أحسبه قال هم أهل الشرك وقال فى آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فهم أهل القبلة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله للمشركين وقرنائهم من الجن يوم القيامة اذ تبرأ بعضهم من بعض ما يغير القول الذى قلته لكم فى الدنيا وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ولا قضائى الذى قضيته فيهم فيها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما يبدل القول لدى قد قضيت ما أنا قاض حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ما يبدل القول لدى قال قد قضيت ما أنا قاض وقوله وما أنا بظلام للعبيد يقول ولا أنا بمعاقب أحدا من خلقى بجرم غيره ولا حامل على أحد منهم ذنب غيره فمعذبه به وقوله يوم نقول لجهنم يقول وما أنا بظلام للعبيد فى يوم نقول لجهنم هل امتلأت وذلك يوم القيامة ويوم نقول من صلة ظلام وقال تعالى ذكره لجهنم يوم القيامة هل امتلأت لما سبق من وعده اياها بأنه يملؤها من الجنة والناس أجمعين وأما قوله هل من مزيد فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه ما من مزيد قالوا وانما يقول الله لها هل امتلأت بعد أن يضع قدمه فيها فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط من تضايقها فاذا قال لها وقد صارت كذلك هل امتلأت قالت حينئذ هل من مزيد أى ما من مزيد لشدة امتلائها وتضايق بعضها الى بعض ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قال ابن عباس ان الله الملك تبارك وتعالى قد سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما بعث الناس وأحضروا وسيق أعداء الله الى النار زمرا جعلوا يقتحمون فى جهنم فوجا فوجا لا يلقى فى جهنم شئ الا ذهب فيها ولا يملؤها شئ قالت ألست قد أقسمت لتملأنى من الجنة والناس أجمعين فوضع قدمه فقالت حين وضع قدمه فيها قد قد فانى قد امتلأت فليس لى مزيد ولم يكن يملؤها شئ حتى وجدت مس ما وضع عليها فتضايقت حين جعل عليها ما جعل فامتلأت فما فيها موضع ابرة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وتقول هل من مزيد قال وعدها الله ليملأنها فقال هلا وفيتك قالت وهل من مسلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد كان ابن عباس يقول ان الله الملك قد سبقت

اسم جبل من زبرجد أخضر محيط بالارض وخضرة السماء منه وقيل قادر أو قاهر ونحو ذلك من أسماء الله مما أوله قاف وقيل قضى الامر وقيل قف يا محمد على أداء الرسالة والأقوال المشتركة بين الفواتح مذكورة واعراب فاتحة هذه السورة كاعراب أول ص وبينهما مناسبة أخرى من قبل وقوع الاضراب بعد القسم ووجهه مامر ومن قبل أن أكثر مباحث تلك السورة فى المبدا والتوحيد وفى أول خلق البشر وأكثر أبحاث هذه السورة فى الحشر والخروج ولهذا سنت قراءتها فى صلاة العيد لانه يوم الاجتماع وخروج الناس الى الفضاء والمجيد ذو المجد حقيقة فى القرآن لانه أشرف من سائر

منه كلمة لأملأن جهنم لا يلقى فيها شئ الا ذهب فيها لا يملؤها شئ حتى اذا لم يبق من أهلها أحد الا دخلها وهي لا يملؤها شئ أتاها الرب فوضع قدمه عليها ثم قال لها هل امتلأت يا جهنم فتقول قط قط قد امتلأت ملأتني من الجن والانس فليس فيّ مزيد قال ابن عباس ولم يكن يملؤها شئ حتى وجدت مس قدم الله تعالى ذكره فتضايقت فما فيها موضع ابرة * وقال آخرون بل معنى ذلك زدني انما هو هل من مزيد بمعنى الاستزادة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن ثابت عن أنس قال يلقى في جهنم وتقول هل من مزيد ثلاثا حتى يضع قدمه فيها فينزوي بعضها الى بعض فتقول قط قط ثلاثا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد لانها قد امتلأت وهل من مزيد هل بقي أحد قال هذان الوجهان في هذا والله أعلم قال قالوا هذا وهذا * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو بمعنى الاستزادة هل من شئ أزداده وانما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثني أحمد بن المقدام العجلي قال ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي قال ثنا أيوب عن محمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة لم يظلم الله أحدا من خلقه شيأ ويلقى في النار تقول هل من مزيد حتى يضع عليها قدمه فهنالك يملؤها ويزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت أبي يحدث عن قتادة عن أنس قال ما تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع الله عليها قدمه فتقول قد قد وما يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا فيسكنه فضول الجنة حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة مالي انما يدخلني فقراء الناس وسقطهم وقالت النار مالي انما يدخلني الجبارون والمتكبرون فقال أنت رحمتي أصيب بك من أشاء وأنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها فأما الجنة فان الله ينشئ لها من خلقه ماشاء وأما النار فيلقون فيها وتقول هل من مزيد ويلقون فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها قدمه فهنالك تملأ ويزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ثور عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتجت الجنة والنار فقالت الجنة مالي لا يدخلني الا فقراء الناس وقالت النار مالي لا يدخلني الا الجبارون والمتكبرون فقال للنار أنت عذابي أصيب بك من اشاء وقال للجنة أنت رحمتي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها فأما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها ماشاء وأما النار فيلقون فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها هنالك تمتلئ وينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قد قد بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا أبان العطار قال ثنا قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض فتقول بعزتك قط قط وما يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا فيسكنه في فضل الجنة * قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابي قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا قتادة عن أنس قال

الكتب أو مجاز باعتبار قارئه وعالمه والعامل به وهو معنى (منذر منهم) أي من جنسهم أو من بينهم فتوجه العجب الى الانذار بالبعث أولا ثم الى كون المنذر منهم ولعل الاول أدخل عندهم في استحقاق التعجب منه فلهذا أشاروا اليه بقولهم (هذا) الرجع أو البعث (شئ عجيب) أبهم الضمير أولا في عجبوا ثم فسره ثانيا في قوله فقال الكافرون أو اقتصر على الضمير أولا للتعليم بهم ثم وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر ثم زادوا في التعجب والتعجيب بقولهم (أئذا متنا) والتقدير أنبعث وقت الموت والصيرورة ترابا (ذلك) الرجع أي البعث (رجع بعيد) أي يستبعد في العقول وقيل انه من كلام الله

ماتزال جهنم تقول هل من مزيد فذكر نحوه غير أنه قال أو كما قال حدثنا زياد بن أيوب قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عن سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتجت الجنة والنار فقالت النار يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة يدخلني الفقراء والمساكين فأوحى الله عز وجل الى الجنة أنت رحمتي أصيب بك من أشاء وأوحى الى النار أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم تقول هل من مزيد دليل واضح على أن ذلك بمعنى الاستزادة لا بمعنى النفي لأن قوله لا تزال دليل على اتصال قول بعد قول ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وأدنيت الجنة وقربت للذين اتقوا ربهم فخافوا عقوبته بأداء فرائضه واجتناب معاصيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأزلفت الجنة للمتقين يقول وأدنيت غير بعيد وقوله هذا ما توعدون يقول يقال لهم هذا الذي توعدون أيها المتقون أن تدخلوها وتسكنوها وقوله لكل أواب يعني لكل راجع من معصية الله الى طاعته تائب من ذنوبه وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم هو المسبح وقال بعضهم هو التائب وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته غير أنا نذكر في هذا الموضع مالم نذكره هنالك حدثني سليمن ابن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لكل أواب قال لكل مسبح حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن مسلم الأعور عن مجاهد قال الأواب المسبح حدثنا الحسن بن عرفة قال ثني يحيى بن عبد الملك ابن أبي غنية قال ثني أبي عن الحكم بن عتيبة في قول الله لكل أواب حفيظ قال هو الذاكر الله في الخلاء حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن يونس بن خباب عن مجاهد لكل أواب حفيظ قال الذي يذكر ذنوبه فيستغفر منها * قال ثنا مهران عن خارجة عن عيسى الحناط عن الشعبي قال هو الذي يذكر ذنوبه في خلاء فيستغفر منها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ أي مطيع لله كثير الصلاة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لكل أواب حفيظ قال الأواب التواب الذي يؤب الى طاعة الله ويرجع اليها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن يونس ابن خباب في قوله لكل أواب حفيظ قال الرجل يذكر ذنوبه فيستغفر الله لها وقوله حفيظ اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم حفظ ذنوبه حتى تاب منها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي سنان عن أبي اسحق عن التميمي قال سألت ابن عباس عن الأواب الحفيظ قال حفظ ذنوبه حتى رجع عنها * وقال آخرون معناه أنه حفيظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حفيظ قال حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره وصف هذا التائب الأواب بأنه حفيظ ولم يخص به على حفظ نوع من أنواع الطاعات دون نوع فالواجب أن يعم كما عم جل ثناؤه فيقال هو حفيظ لكل ما قربه الى ربه من الفرائض والطاعات والذنوب التي سلفت منه للتوبة منها والاستغفار وقوله من خشي

عز وجل والرجع بمعنى الجواب أي جواب هؤلاء الكفار في دعوى المنذر جواب بعيد عن حيز العقل لدلالة البراهين الساطعة على وجود الحشر والنشر منها شمول علم الله تعالى بأجزاء الميت على التفصيل والى هذا أشير بقوله (قد علمنا ما تنقص الارض) من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدى ماتنقص الارض منهم بالموت ويدفن في الارض منهم (وعندنا كتاب) هو اللوح المحفوظ من التغيير ومن الشياطين ثم أتبع الاضراب الاول اضرابا آخر فقال (بل كذبوا) والمقصود أن تكذيبهم (بالحق) الذي هو محمد أو القرآن أو الاخبار

الرحمن بالغيب يقول من خاف الله فى الدنيا من قبل أن يلقاه فأطاعه واتبع أمره وفى من فى قوله من خشى وجهان من الاعراب الخفض على اتباعه كل فى قوله لكل أواب والرفع على الاستئناف وهو مراد به الجزاء من خشى الرحمن بالغيب قيل له ادخل الجنة فيكون حينئذ قوله ادخلوها بسلام جوابا للجزاء أضمر قبله القول وجعل فعلا للجميع لأن من قد تكون فى مذهب الجميع وقوله وجاء بقلب منيب يقول وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه راجع مما يكرهه الله الى ما يرضيه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاء بقلب منيب أى منيب الى ربه مقبل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ادخلوها بسلام ادخلوا هذه الجنة بأمان من الهم والغضب والعذاب وما كنتم تلقونه فى الدنيا من المكاره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ادخلوها بسلام قال سلموا من عذاب الله وسلم عليهم وقوله ذلك يوم الخلود يقول هذا الذى وصفت لكم أيها الناس صفته من ادخالى الجنة من أدخله هو يوم دخول الناس الجنة ما كثين فيها الى غير نهاية كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك يوم الخلود خلدوا والله فلا يموتون وأقاموا فلا يظعنون ونعموا فلا ييأسون وقوله لهم ما يشاؤن فيها يقول لهؤلاء المتقين ما يريدون فى هذه الجنة التى أزلفت لهم من كل ما تشتهيه نفوسهم وتلذه عيونهم وقوله ولدينا مزيد يقول وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التى وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم اياه وقيل ان ذلك المزيد النظر الى الله جل ثناؤه ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد ابن سهيل الواسطى قال ثنا قرة بن عيسى قال ثنا النضر بن عربى جده عن أنس أن الله عز وجل اذا أسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار هبط الى مرج من الجنة أفيح فمد بينه وبين خلقه حجبا من لؤلؤ وحجبا من نور ثم وضعت منابر النور وسرر النور وكراسى النور ثم أذن لرجل على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذى قد أذن له على الله فقيل هذا المجعول بيده والمعلم الأسماء والذى أمرت الملائكة فسجدت له والذى له أبيحت الجنة آدم عليه السلام قد أذن له على الله تعالى قال ثم يؤذن لرجل آخر بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذى قد أذن له على الله فقيل هذا الذى اتخذه الله خليلا وجعل عليه النار بردا وسلاما ابراهيم قد أذن له على الله قال ثم أذن لرجل آخر على الله بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذى قد أذن له على الله فقيل هذا الذى اصطفاه الله برسالاته وقربه نجيا وكلمه موسى عليه السلام قد أذن له على الله قال ثم يؤذن لرجل آخر معه مثل جميع مواكب النبيين قبله بين يديه أمثال الجبال يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم قيل من هذا الذى قد أذن له على الله فقيل هذا أول شافع وأول مشفع وأكثر الناس واردة وسيد ولد آدم وأول من تنشق عن ذؤابتيه الأرض وصاحب لواء الحمد أحمد صلى الله عليه وسلم قد أذن له على الله قال فجلس النبيون على منابر النور وجلس سائر الناس على كثبان المسك الأذفر الأبيض ثم ناداهم الرب تعالى من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى ملائكتى انهضوا الى عبادى فأطعموهم قال فقربت اليهم من لحوم طير كأنها

بالبعث فى أول وهلة من غير تدبر أقطع من تعجبهم والمريج أمر دينهم المضطرب المخلوط بالشبهات والشكوك ولهذا نسبوا القرآن تارة الى السحر وأخرى الى الشعر أو الكهانة وقالوا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ثم استدل على حقية المبدا والمعاد بوجوه أخر منها بناء السماء ورفعها بلا عمد ولا فروج أى شقوق وفتوق ولكنها صحيحة الاستدارة من جميع الجوانب وليس فى الآية دلالة على امتناع الخرق على السماء لأن الاخبار عن عدم الوقوع لا ينافى امكانه نعم انه مناف لوجود نحو الأبواب فيها ظاهرا اللهم الا ان تدعى المغايرة بين الفروج والابواب وفى قوله (فوقهم) مزيد توبيخ لهم

البخت لاريش ولاعظم فأكلوا قال ثم ناداهم الرب من وراء الحجاب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا اسقوهم قال فنهض اليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون بأباريق الذهب والفضة بأشربة مختلفة لذيذة لذة آخرها كلذة أولها لايصدّعون عنها ولا ينزفون ثم ناداهم الرب من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا فكهوهم قال فقرّب اليهم على أطباق مكللة بالياقوت والمرجان من الرطب الذى سمى الله أشدّ بياضا من اللبن وأطيب عذوبة من العسل قال فأكلوا ثم ناداهم الرب من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا اكسوهم قال ففتحت لهم ثمار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوها قال ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا طيبوهم قال فهاجت عليهم ريح يقال لها المثيرة بأباريق المسك الأذفر فنفحت على وجوههم من غير غبار ولاقتام قال ثم ناداهم الرب عزوجل من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا وعزتى لأتجلين لهم حتى ينظروا الىّ قال فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد قال فتجلى لهم الرب عزوجل ثم قال السلام عليكم عبادى انظروا الىّ فقد رضيت عنكم قال فتداعت قصور الجنة وشجرها سبحانك أربع مرات وخرّ القوم سجدا قال فناداهم الرب تبارك وتعالى عبادى ارفعوا رؤسكم فانها ليست بدار عمل ولا دار نصب انما هى دار جزاء وثواب وعزتى وجلالى ماخلقتها الامن أجلكم ومامن ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا الاذكرتكم فوق عرشى حدثنا على بن الحسين بن أبجر قال ثنا عمر بن يونس اليمامى قال ثنا جهضم بن عبدالله بن أبى الطفيل قال ثنى أبو طيبة عن معاوية العبسى عن عثمان بن عمير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل عليه السلام وفى كفه مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت ياجبريل ماهذه قال هذه الجمعة قلت فماهذه النكتة السوداء فيها قال هى الساعة تقوم يوم الجمعة وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم تدعوه يوم المزيد قال ان ربك تبارك وتعالى اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه ثم حف الكرسى بمنابر من نور ثم جاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم تجىء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثب فيتجلى لهم ربهم عزوجل حتى ينظروا الى وجهه وهو يقول أنا الذى صدقتكم عدتى وأتممت عليكم نعمتى فهذا محل كرامتى فسلونى فيسألونه الرضا فيقول رضاى أحلكم دارى وأنالكم كرامتى سلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الى مقدار منصرف الناس من الجمعة حتى يصعد على كرسيه فيصعد معه الصدّيقون والشهداء وترجع أهل الجنة الى غرفهم درّة بيضاء لانظم فيها ولافصم أو ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء منها غرفها وأبوابها فليسوا الى شىء أحوج منهم الى يوم الجمعة ليزدادوا منه كرامة وليزدادوا نظرا الى وجهه ولذلك دعى يوم المزيد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث بن أبى سليم عن عثمان بن عمير عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو حديث على بن الحسين حدثنا الربيع بن سليمن قال ثنا أسد ابن موسى قال ثنا يعقوب بن ابراهيم عن صالح ابن حيان عن أبى بريدة عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون

ونداء عليهم بغاية الغباوة ومنها مدّ الارض أى دحوها ومنها خلق الجبال الرواسخ ومنها خلق أصناف النبات ممايبتهج به ويروق الناظر لخضرته ونضرته كل ذلك ليتبصر به ويتذكر من يرجع الى ربه ويفكر فى بدائع المخلوقات ويرتقى الى الصانع من المصنوعات ومنها انزال ماء المطر الكثير المنافع المنبت للجنات والحبات والحصيد صفة موصوف محذوف أى وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالحنطة وغيرها من الأقوات ونحوها والباسقات التى طالت فى السماء والطلع أول مايبدو من ثمر النخيل والنضيد الذى نضد بعضه فوق بعض والمراد كثرة الطلع وتراكمه المستتبع لكثرة الثمر ثم شبه باحياء

عن محمد قال حدثنا أو قال قولوا ان أدنى أهل الجنة منزلة الذي يقال له تمن ويذكره أصحابه فيتمنى ويذكره أصحابه فيقال له ذلك ومثله معه قال قال ابن عمر ذلك لك وعشرة أمثاله وعند الله مزيد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أنه قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل في الجنة ليتكئ سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها اصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت فتقول أنا من المزيد وانه ليكون عليها سبعون ثوبا أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وان عليها من التيجان وان أدنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن يقول تعالى ذكره وكثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش من القرون هم أشد من قريش الذين كذبوا محمدا بطشا فنقبوا في البلاد يقول فخربوا في البلاد فساروا فيها فطافوا وتوغلوا الى الأقاصي منها قال امرؤ القيس

لقد نقبت في الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فنقبوا في البلاد قال أثروا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فنقبوا في البلاد قال يقول عملوا في البلاد ذاك النقب وقوله هل من محيص يقول جل ثناؤه فهل كان لهم بتنقيبهم في البلاد من معدل عن الموت ومنجى من الهلاك اذ جاءهم أمرنا وأضمرت كان في هذا الموضع كما أضمرت في قوله وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم بمعنى فلم يكن لهم ناصر عند اهلاكهم وقرأت القراء قوله فنقبوا بالتشديد وفتح القاف على وجه الخبر عنهم وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك فنقبوا بكسر القاف على وجه التهديد والوعيد أي طوفوا في البلاد وترددوا فيها فانكم لن تفوتونا بأنفسكم * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله من محيص قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكم أهلكنا قبلهم من قرن حتى بلغ هل من محيص قد حاص الفجرة فوجدوا أمر الله متبعا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله فنقبوا في البلاد هل من محيص قال حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله لهم مدركا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هل من محيص قال هل من منجى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ يقول تعالى ذكره ان في اهلاكنا القرون التي أهلكناها من قبل قريش لذكرى يتذكر بها لمن كان له قلب يعني لمن كان له عقل من هذه الأمة فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم خوفا من أن يحل بهم مثل الذي حل بهم من العذاب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي من هذه الأمة يعني بذلك القلب القلب الحي حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة لمن كان له قلب قال من كان له قلب من هذه الأمة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لمن كان له قلب قال قلب يعقل ما قد سمع من الأحاديث التي ضرب الله بها من عصاه من

الارض خروج الموتى كما قال في الروم وكذلك تخرجون ثم هددهم بأحوال الامم السالفة وقدم قصصهم مرارا وأما حديث أصحاب الرس فلم يذكر الا في الفرقان وحديث تبع في الدخان وأراد بفرعون قومه لأن المعطوف عليه أقوام (فحق وعيد) مثل فحق عقاب وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ثم دل على الحشر بضرب آخر من البيان وهو أن الذي لم يعي أي لم يعجز عن الخلق الاول بالنسبة الى أي مخلوق فرض كيف يعجز عن الاعادة واللبس الخلط والشبهة وتنكير اللبس والخلق الجديد للتعظيم أي لبس عظيم وخلق له شأن وحق عليه أن يهتم به ولا يغفل عنه ثم شرع في تقرير خلق الانسان الدال على شمول علم الله

الامم والقلب فى هذا الموضع العقل وهو من قولهـم مالفلان قلب وماقلبه معـه أى ماعقله معه وأين ذهب قلبك يعنى أين ذهب عقلك وقوله أوألقى السمع وهو شهيد يقول أوأصغى لاخبارنا اياه عن هـذه القرون التى أهلكناها بسمعه فيسمع الخبر عنهم كيف فعلنا بهم حين كفروا بربهم وعصوا رسـله وهو شهيد يقول وهو متفهم لما يخبر به عنهـم شاهد له بقلبه غير غافل عنه ولا ساه * و بنحو الذى قلنـا فى ذلك قال أهـل التأويل وان اختلفت ألفاظهم فيـه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد يقول ان استمع الذكر وشهد أمره قال (١) فى ذلك يجزيه ان عقله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أوألقى السمع قال وهو لا يحدّث نفسـه شاهد القلب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيـد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أوألقى السمع وهو شهيد قال العرب تقول ألقى فلان سمعه أى استمع بأذنيه وهو شاهد يقول غير غائب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أوألقى السـمع وهو شهيد قال يسمع ما يقول وقلبه فى غير ما يسمع * وقال آخرون عنى بالشهيد فى هذا الموضع الشهادة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أوألقى السمع وهو شهيد يعنى بذلك أهل الكتاب وهو شهيد على ما يقرأ فى كتاب الله من بعث محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أوألقى السمع وهو شهيد على ما فى يده من كتاب الله أنه يجد النبى صلى الله عليه وسـلم مكتوبا * قال ثنا ابن ثور قال قال معمر وقال الحسـن هو منافق استمع القول ولم ينتفع حدثنا أحـمد بن هشام قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن السـدى عن أبى صالح فى قوله أوألقى السـمع وهو شهيد قال المؤمن يسمع القرآن وهو شهيد على ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أوألقى السمع وهو شهيد قال ألقى السـمع يسمع ما قد كان مما لم يعاين من الأحاديث عن الأمم التى قد مضت كيف عذبهم الله وصنع بهم حين عصوا رسله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى سـتة أيام وما مسـنا من لغوب﴾ يقول تعالى ذكره ولقـد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلائق فى سـتة أيام وما مسنا من اعياء كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى سنان عن أبى بكر قال جاءت اليهود الى النبى صلى الله عليه وسـلم فقالوا يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق فى هـذه الأيام الستة فقال خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يوم الأربعـاء وخلق السموات والملائكة يوم الخميس الى ثلاث ساعات يعنى من يوم الجمعة وخلق فى أول الثلاث الساعات الآجال وفى الثانية الآفة وفى الثالثة آدم قالوا صدقت ان أتممت فعرف النبى صلى الله عليه وسـلم ما يريدون فغضب فأنزل الله وما مسنا من لغوب فاصـبر على ما يقولون * قال ثنا مهران عن سفيان وما مسنا من لغوب قال من سآمة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما مسنا من لغوب يقول من ازحاف حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وما مسنا من لغوب يقول وما مسنا من نصب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى

سـبحانه وعظيم قدرته على بدئه واعادته والوسوسة الصوت الخفى والبـاء فى به للتعدية وما مصدرية أى نعلم جعل نفسـه اياه موسوسا والقرب مجاز عن العلم التام كقولهم هو منى مقعد القابلة ومعقد الازار وما فى الآية أدل على الافـراط فى القرب لان الوريد جزء من بدن الانسان يريد أن علمه ينفذ فى بواطن الاشـياء نفوذ الدم فى العروق والوريد العرق الحامل للدم سوى الشرايين سمى وريدا لان الروح أو الدم يرده والوريدان عرقان يكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمها يتشعبان من الرأس يتصلان بالوتين والحبل العرق أيضا شـبه بواحد الحبال والاضافة للبيان كاضافة العام الى الخـاص قال جار الله اذ منصوب

(١) لعله فان فى ذلك مجزئة الخ تأمل كتبه مصححه

وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وما مسنا من لغوب قال نصب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد خلقنا السموات والأرض الآية أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفرى على الله وذلك أنهم قالوا ان الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح يوم السابع وذلك عندهم يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله من لغوب قالت اليهود إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ففرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت فأكذبهم الله وقال وما مسنا من لغوب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام كان مقدار كل يوم ألف سنة مما تعدّون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما مسنا من لغوب قال لم يمسنا في ذلك عناء ذلك اللغوب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء اليهود وما يفترون على الله ويكذبون عليه فان الله لهم بالمرصاد وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس يقول وصل بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس لصلاة الفجر وقبل غروبها العصر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب العصر وقوله ومن الليل فسبحه اختلف أهل التأويل في التسبيح الذي امر به من الليل فقال بعضهم عنى به صلاة العتمة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن الليل قال العتمة * وقال آخرون هي الصلاة بالليل في أي وقت صلى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد ومن الليل فسبحه قال من الليل كله * والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب الى الصواب وذلك أن الله جل ثناؤه قال ومن الليل فسبحه فلم يحد وقتا من الليل دون وقت واذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل واذا كان الامر في ذلك على ما وصفنا فهو بأن يكون أمرا بصلاة المغرب والعشاء أشبه منه بأن يكون أمرا بصلاة العتمة لانهما يصليان ليلا وقوله وأدبار السجود يقول سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك واختلف أهل التأويل في معنى التسبيح الذي أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود فقال بعضهم عنى به الصلاة قالوا وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبي اسحق عن الحرث قال سألت عليا عن أدبار السجود فقال الركعتان بعد المغرب حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن جريج عن مجاهد قال قال على رضي الله عنه أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن سلام عن الاجلح عن أبي اسحق عن الحرث قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن الحرث عن على رضي الله عنه في قوله وأدبار السجود قال الركعتان بعد المغرب * قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان

عن

بأقرب والمراد أنه أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به وفيه أن كتابة الملكين لا حاجة اليها لعلام الغيوب وانما هي لأغراض أخر كالزام العبد واستحيائه منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيك أي عطفيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما ويجوز أن يكون تلقي الملكين بيانا للقرب فكأنه قيل لا يخفى عليه شيء لأن حفظته موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس والتقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاختصر المفاعلة واما بالنسبة الى الملك الآخر

عن أبي اسحق عن الحرث عن عاصم بن ضمرة عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثني علي بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا حماد قال ثنا علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة قال أدبار السجود ركعتان بعد صلاة المغرب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن علوان بن أبي مالك عن الشعبي قال أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس وابراهيم بن مهاجر عن مجاهد أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم في هذه الآية ومن الليل فسبحه وأدبار السجود و إدبار النجوم قال الركعتان قبل الصبح والركعتان بعد المغرب قال شعبة لا أدري أيتهما أدبار السجود ولا أدري أيتهما إدبار النجوم حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأدبار السجود قال كان مجاهد يقول ركعتان بعد المغرب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأدبار السجود قال هما السجدتان بعد صلاة المغرب حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب أدبار السجود حدثني محمد بن عبدالله بن عبدالحكم قال أخبرنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد قال أخبرنا حيوة بن شريح قال أخبرنا أبو صخر أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكري يقول سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أدبار السجود قال هما ركعتان بعد المغرب حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية قال ثنا جرير قال ثنا حمير بن يزيد الرحبي عن كريب بن يزيد الرحبي قال وكان جبير بن نفير يمشي اليه قال كان اذا صلى الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب أخف وفسر إدبار النجوم وأدبار السجود حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن عيسى بن يزيد عن أبي اسحق الهمداني عن الحسن وأدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن المغيرة عن ابراهيم قال كان يقال أدبار السجود الركعتان بعد المغرب * قال ثنا عنبسة عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد وأدبار السجود الركعتان بعد المغرب * قال ثنا جرير عن عطاء قال قال علي أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن البرقي قال ثنا عمرو ابن أبي سلمة قال سئل الأوزاعي عن الركعتين بعد المغرب قال هما في كتاب الله فسبحه وأدبار السجود حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن الحسن عن علي رضي الله عنه في قوله وأدبار السجود قال الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وأدبار السجود قال ركعتان بعد المغرب * وقال آخرون عني بقوله وأدبار السجود التسبيح في أدبار الصلوات المكتوبات دون الصلاة بعدها ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال ابن عباس في فسبحه وأدبار السجود قال هو التسبيح بعد الصلاة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأدبار السجود قال كان ابن عباس يقول التسبيح قال ابن عمرو في حديثه

واما بالاضافة الى الانسان والعتيد الحاضر قال أكثر المفسرين انهما يكتبان كل شئ حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا الحسنات والسيآت وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وحين حكى انكارهم البعث واحتج عليهم بالدلائل الباهرة أخبر عن قرب القيامتين الصغرى والكبرى بأن عبر عنهما بلفظ الماضي وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) ونفخ في الصور وسكرات الموت حالاته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية أي أحضرت السكرة حقيقة الأمر وجلية الحال من تحقق وقوع الموت أو من سعادة الميت أو شقاوتها كما نطق بها الكتاب والسنة أو المراد وجاءت ملتبسة بالغرض الصحيح الذي هو ترتب الجزاء على الأعمال (ذلك) المجيء (ما كنت منه تحيد) أي تميل وتهرب أيها الانسان ولا ريب أن هذا الهرب للفاجر يكون بالحقيقة

في اثر الصلوات كلها وقال الحرث في حديثه في دبر الصلاة كلها * وقال آخرون هي النوافل في أدبار المكتوبات ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأدبار السجود النوافل * وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال هما الركعتان بعد المغرب لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ولولا ما ذكرت من اجماعها عليه لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة بل عم أدبار الصلوات كلها فقال وأدبار السجود ولم تقم بأنه معني به دبر صلاة دون صلاة حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل واختلفت القراء في قراءة قوله وأدبار السجود فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة سوى عاصم والكسائي وادبار السجود بكسر الألف على أنه مصدر أدبر يدبر إدبارا وقرأه عاصم والكسائي وأبو عمرو وأدبار بفتح الألف على مذهب جمع دبر وأدبار * والصواب عندي الفتح على جمع دبر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واستمع يا محمد صيحة يوم القيامة يوم ينادي بها مناديها من موضع قريب وذكر أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثني علي ابن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشر عن قتادة عن كعب قال واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب قال ملك قائم على صخرة بيت المقدس ينادي أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب قال كنا نحدث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة وهي أوسط الارض وحدثنا أن كعبا قال هي أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة يوم ينادي المنادي من مكان قريب قال بلغني أنه ينادي من الصخرة التي في بيت المقدس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب قال هي الصيحة حدثني علي بن سهل قال ثنا الوليد ابن مسلم قال ثني بعض أصحابنا عن الأغر عن مسلم بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه بريدة قال ملك قائم على صخرة بيت المقدس واضع اصبعيه في أذنيه ينادي قال قلت بماذا ينادي قال يقول يا أيها الناس هلموا الى الحساب قال فيقبلون كما قال الله كأنهم جراد منتشر وقوله يوم يسمعون الصيحة بالحق يقول تعالى ذكره يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحق يعني بالامر بالاجابة لله الى موقف الحساب وقوله ذلك يوم الخروج يقول تعالى ذكره يوم خروج أهل القبور من قبورهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير﴾ يقول تعالى ذكره انا نحن نحيي الموتى ونميت الأحياء والينا مصير جميعهم يوم القيامة يوم تشقق الارض عنهم سراعا يقول جل ثناؤه والينا مصيرهم يوم تشقق الارض فاليوم من صلة مصير وقوله تشقق الارض عنهم يقول تصدع الأرض عنهم وقوله سراعا ونصبت سراعا على الحال من الهاء والميم في قوله عنهم والمعنى يوم تشقق الارض عنهم فيخرجون منها سراعا فاكتفى بدلالة قوله يوم تشقق الارض عنهم على ذلك من ذكره وقوله ذلك حشر علينا يسير يقول جمعهم ذلك جمع في موقف الحساب علينا يسير سهل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن

من

وللبر يكون بسبب نفرة الطبع الا أنه اذا فكر في أمر نفسه وما خلق هو لأجله علم أن الموت راحة وخلاص عن عالم الآفات والبليات قوله (ذلك يوم الوعيد) اشارة الى النفخ والمضاف محذوف أي وقت النفخ الثاني آن زمان الوعيد والسائق والشاهد ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر أو الى الجنة أو النار كما قال وسيق والآخر يشهد عليه بأعماله ويجوز أن يكون ملكا واحدا جامعا بين الأمرين ويجوز أن يكون الرقيب المذكور والجملة حال من كل لأنه لعمومه كالمعرفة ثم يقال للانسان (لقد كنت) في الدنيا (في غفلة من هذا) الأمر (فكشفنا عنك) بقطع العلائق الحسية ومفارقة النفس الناطقة (غطاءك) وهو الاشتغال بعالم المحسوسات (فبصرك اليوم حديد) غير كليل متيقظ غير نائم وقال ابن زيد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله ما كنت تدري ما الكتاب

من يخاف وعيد ﴾ يقول تعالى ذكره نحن يا محمد أعلم بما يقول هؤلاء المشركون بالله من فريتهم على الله وتكذيبهم بآياته وانكارهم قدرة الله على البعث بعد الموت وما أنت عليهم بجبار يقول وما أنت عليهم بمسلط كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما أنت عليهم بجبار قال لا تتجبر عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أنت عليهم بجبار فان الله عز وجل كره الجبرية ونهى عنها وقدم فيها وقال الفراء وضع الجبار في موضع السلطان من الجبرية وقال أنشدني المفضل

ويوم الحزن اذ حشدت معدّ * وكان الناس الا نحن دينا
عصينا حرمة الجبار حتى * صحبنا الحوف أكفا معلمينا

ويروى الحوف وقال أراد بالجبار المنذر لولايته قال وقيل ان معنى قوله وما أنت عليهم بجبار لم تبعث لتجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا فذكر وقال العرب لا تقول فعال من أفعلت لا يقولون هذا خراج يريدون مخرج ولا يقولون دخال يريدون مدخل انما يقولون فعال من فعلت ويقولون خراج من خرجت ودخال من دخلت وقتال من قتلت قال وقد قالت العرب في حرف واحد دراك من أدركت وهو شاذ قال فان قلت الجبار على هذا المعنى فهو وجه قال وقد سمعت بعض العرب يقول جبره على الامر يريد أجبره فالجبار من هذه اللغة صحيح يراد به يقهرهم ويجبرهم وقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد يقول تعالى ذكره فذكر يا محمد بهذا القرآن الذي أنزلته اليك من يخاف الوعيد الذي أوعدته من عصاني وخالف أمري حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي قال ثنا حكام الرازي عن أيوب عن عمرو الملائي عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن عن عمرو بن قيس قال قالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فذكر مثله

آخر تفسير سورة ق

﴿ تفسير سورة الذاريات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع ﴾ يقول تعالى ذكره والذاريات ذروا يقول والرياح التي تذرو التراب ذروا يقال ذرت الريح التراب وأذرت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال قام رجل الى علي رضي الله عنه فقال ما الذاريات ذروا فقال هي الريح حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد بن عرعرة قال سمعت عليا رضي الله عنه وخرج الى الرحبة وعليه بردان فقالوا أن رجلا سأل وسمع القوم قال فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات ذروا فقال هي الرياح حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالي ومحمد بن بشار قالا ثنا محمد بن خالد بن عثمة قال ثنا موسى بن يعقوب الزمعي

ولا الايمان أي كنت قبل الوحي في غفلة من هذا العلم ثم بين أن الشيطان الذي هو قرين كل فاجر لقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا يقول لأهل المحشر أو لسائر القرناء قد أعتدت قريني لجهنم وهيأته لها ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فعتيد بدل أو خبر ثان أو خبر مبتدا محذوف ويحتمل أن يقول الشيطان لقرينه هذا البلاء النازل بك مما أعددته لك (ألقيا) خطاب من الله للملكين السائق والشهيد أو للواحد على عادة قول العرب خليلي وقفا وذلك أن أكثر الرفقاء يكون ثلاثة وقال المبرد التثنية للتأكيد كأنه قيل ألق ألق نزلت تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لاتحادهما وجوز أن يكون الألف بدلا من نون التأكيد الخفيفة اجراء للوصل مجرى الوقف يؤيده قراءة الحسن ألقين عنيد ذي عناد أو معاند (مناع للخير) كثير المنع للمال

قال ثنا أبوالحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم أخبره قال سمعت عليا رضى الله عنه يخطب الناس فقام عبدالله بن الكواء فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن قول الله تبارك وتعالى والذاريات ذروا قال هى الرياح حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل قال سئل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن الذاريات ذروا فقال الريح حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل عن على والذاريات ذروا قال الريح * قال مهران حدثنا عن سماك عن خالد بن عرعرة قال سألت عليا رضى الله عنه عن الذاريات ذروا فقال الريح حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم ابن أبى بزة قال سمعت أبا الطفيل قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول لا تسألونى عن كتاب ناطق ولا سنة ماضية الا حدثتكم فسأله ابن الكواء عن الذاريات فقال هى الرياح حدثنا أبوكريب قال ثنا طلق عن زائدة عن عاصم عن على بن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا رضى الله عنه فقال والذاريات ذروا قال هى الريح حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبدالله بن رفيع عن أبى الطفيل قال قال ابن الكواء لعلى رضى الله عنه ما الذاريات ذروا قال الريح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يحيى بن أيوب عن أبى صخر عن أبى معاوية البجلى عن أبى الصهباء البكرى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال وهو على المنبر لا يسألنى أحد عن آية من كتاب الله الا أخبرته فقام ابن الكواء وأراد أن يسأله عما سأل عنه صبيغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ما الذاريات ذروا قال على الرياح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن رجلا سأل عليا عن الذاريات فقال هى الرياح حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن وهب بن عبدالله عن أبى الطفيل قال سأل ابن الكواء عليا فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذاريات ذروا قال كان ابن عباس يقول هى الرياح حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله والذاريات قال الرياح وقوله فالحاملات وقرا يقول فالسحاب التى تحمل وقرها من الماء وقوله فالجاريات يسرا يقول فالسفن التى تجرى فى البحار سهلا يسيرا فالمقسمات أمرا يقول فالملائكة التى تقسم أمر الله فى خلقه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبوالأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال قام رجل الى على رضى الله عنه فقال ما الجاريات يسرا قال هى السفن قال فما الحاملات وقرا قال هى السحاب قال فما المقسمات أمرا قال هى الملائكة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد بن عرعرة قال سمعت عليا رضى الله عنه وقيل له ما الحاملات وقرا قال هى السحاب قال فما الجاريات يسرا قال هى السفن قال فما المقسمات أمرا قال هى الملائكة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن سماك عن خالد بن عرعرة عن على بنحوه حدثنى محمد بن عبدالله بن عبيدالله الهلالى ومحمد بن بشار قالا ثنا محمد بن خالد بن عثمة قال ثنا موسى الزمعى قال ثنى أبوالحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم أخبره قال سمعت عليا يخطب الناس فقام عبدالله بن الكواء فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن قول الله تبارك وتعالى فالحاملات وقرا قال هى السحاب فالجاريات يسرا قال هى السفن فالمقسمات أمرا قال الملائكة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبى بزة قال سمعت أبا الطفيل قال

عن حقوقه أومناع لجنس الخير أن يصل الى أهله وقيل نزلت فى الوليد ابن المغيرة كان يمنع بنى أخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فى الاسلام لم أنفعه بخير ما عشت (معتد) ظالم (مريب) مشكك أوشاك فى دين الله قوله (قال قرينه) جاء على طريقة الاستئناف بخلاف ما تقدم فانه جاء على طريق العطف كأن قرينه وهو الفاجر قال يارب انه أطغانى فأجاب القرين وهو الشيطان (ربنا ما أطغيته) ما أوقعته فى الطغيان (ولكن كان) فى الأزل (فى ضلال بعيد) وقالت المعتزلة ولكنه اختار الضلالة على الهدى ثم ذكر كلاما آخر مستأنفا كأن سائلا سأل فماذا قال الله فقيل (قال لا تختصموا) وهذا هو الذى دل على أن ثمة مقاولة من الكافر لكنها طويت لدلالة الاختصام عليها والمعنى لا تختصموا فى موقف الحساب (و) الحال أنى (قد قدمت اليكم) وفيه أن اختصامهم كان يجب

سمعت عليا رضي الله عنه فذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل قال قال ابن الكواء لعلي فذكر نحوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال شهدت عليا رضي الله عنه وقام اليه ابن الكواء فذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن عاصم عن علي بن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا فذكر نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني يحيى بن أيوب عن أبي صخر عن أبي معاوية البجلي عن أبي الصهباء البكري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن رجلا سأل عليا فذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن علي مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل علي فذكر مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فالحاملات وقرا قال السحاب قوله فالمقسمات أمرا قال الملائكة حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فالحاملات وقرا قال السحاب تحمل المطر فالجاريات يسرا قال السفن فالمقسمات أمرا قال الملائكة ينزلها بأمره على من يشاء قوله انما توعدون لصادق يقول تعالى ذكره ان الذي توعدون أيها الناس من قيام الساعة وبعث الموتى من قبورهم لصادق يقول لكائن حق يقين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انما توعدون لصادق والمعنى لصدق فوضع الاسم مكان المصدر وان الدين لواقع يقول وان الحساب والثواب والعقاب لواجب والله مجاز عباده بأعمالهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وان الدين لواقع قال الحساب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وذلك يوم القيامة يوم يدان الناس فيه بأعمالهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وان الدين لواقع قال يوم يدين الله العباد بأعمالهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان الدين لواقع قال لكائن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك﴾ يقول تعالى ذكره والسماء ذات الخلق الحسن وعني بقوله ذات الحبك ذات الطرائق وتكسير كل شئ حبكه وهو جمع حباك وحبيكة يقال لتكسير الشعر الجعدة حبك وللرملة اذا مرت بها الريح الساكنة والماء القائم والدرع من الحديد لها حبك ومنه قول الراجز

كأنما جلالها الحواك * طنفسة في وشيها حباك * (١) أذهبها الحقوق الدين الداك

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظ قائليه فيه ذكر من قال ذلك حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قوله والسماء ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس والسماء ذات الحبك قال

أن يكون قبل ذلك في الدنيا كما قال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والباء في (بالوعيد) اما مزيدة أو للتعدية على أن قدم بمعنى تقدم او هو حال والمفعول جملة قوله (ما يبدل) الى آخره أي قدمت اليكم هذا الكلام مقرونا بالوعيد قال في الكشاف فان قلت ان قوله وقد قدمت حال من ضمير لا تختصموا فاجتماعهما في زمان واحد واجب وليس كذلك لأن التقديم في الدنيا والاختصام في الآخرة قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة وأقول لا حاجة الى هذا التكلف والسؤال ساقط بدونه لأن مضي الماضي ثابت في أي حال فرض بعده وقوله (لدي) اما أن يتعلق بالقول أي ما يبدل القول الذي هو لدي يعني ألقيا في جهنم أو لأملأن جهنم أو الحكم الأزلي بالسعادة والشقاوة واما أن يتعلق بقوله ما يبدل أي لا يقع

(١) لم نعثر على هذا الشطر وفيه ما لا يخفى فحرر كتبه مصححه

حسنها واستواؤها حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير والسماء ذات الحبك قال حبكها حسنها واستواؤها * قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن عمر ابن سعيد بن مسروق أخي سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير والسماء ذات الحبك قال ذات الزينة حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن قوله والسماء ذات الحبك قال حبكت بالخلق الحسن حبكت بالنجوم حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله والسماء ذات الحبك قال حبكت بالخلق الحسن حبكت بالنجوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عثمان بن الهيثم قال ثنا عوف عن الحسن في قوله والسماء ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن حبكت بالنجوم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا عمران بن حدير قال سئل عكرمة عن قوله والسماء ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب قال ما أحسن ما حبكه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من ورائكم الكذاب المضل وإن رأسه من ورائه حبك حبك يعني بالحبك الجعودة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس والسماء ذات الحبك قال استواؤها وحسنها * قال ثنا مهران عن علي بن جعفر عن الربيع بن أنس والسماء ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن * قال ثنا مهران عن سعيد عن قتادة قال حبكها نجومها وكان ابن عباس يقول الحبك ذات الخلق الحسن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والسماء ذات الحبك أي ذات الخلق الحسن وكان الحسن يقول حبكها نجومها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والسماء ذات الحبك قال المتقن البنيان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والسماء ذات الحبك يقول ذات الزينة ويقال أيضا حبكها مثل حبك الرمل ومثل حبك الدرع ومثل حبك الماء إذا ضربته الريح فنسجته طرائق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذات الحبك قال الشدة حبكت شدت وقرأ قول الله تبارك وتعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والسماء ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن ويقال ذات الزينة * وقيل عني بذلك السماء السابعة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي وأبو داود قالا ثنا عمران القطان عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمرو والسماء ذات الحبك قال السماء السابعة حدثني القاسم بن بشير بن معروف قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران القطان عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان عن عمرو البكالي هكذا قال القاسم عن عبد الله بن عمرو نحوه وقوله إنكم لفي قول مختلف يقول إنكم أيها الناس لفي قول مختلف في هذا القرآن فمن مصدق به ومكذب كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة إنكم لفي قول مختلف قال مصدق بهذا القرآن ومكذب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله إنكم لفي قول مختلف قال يتخرصون يقولون هذا سحر ويقولون هذا أساطير فبأي قولهم يؤخذ قتل الخراصون هذا الرجل لا بد له من أن يكون فيه أحد

التبديل عندي والمعاني كما مرت ويجوز أن يراد لا يكذب لدي ولا يفترى بين يدي فإني عالم بمن طغى وبمن أطغى ويحتمل أن يراد لا تبديل للكفر بالإيمان فإن إيمان اليأس غير مقبول فقولكم ربنا والهنا لا يفيدكم (يوم نقول) منصوب بظلام أو باذكر قال أهل المعاني سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تقرير المعنى في النفس وقوله (هل من مزيد) أي من زيادة أو هو اسم مفعول كالمبيع لبيان استكثار الداخلين كأن من يضرب غيره ضربا مبرحا أو شتمه شتما فاحشا يقول له المضروب هل بقي شئ آخر يدل عليه قوله سبحانه لأملأن جهنم فلا بد أن يحصل الامتلاء فكيف يبقى في جهنم موضع خال حتى تطلب المزيد ويحتمل أنها تطلب الزيادة بعد امتلائها غيظا على العصاة وتضييقا للمكان عليهم أو لعل هذا الكلام يقع قبل ادخال الكل

هؤلاء فما لكم لا تأخذون أحد هؤلاء وقد رميتموه بأقاويل شتى فبأى هذا القول تأخذون هذا الرجل الآن فهو قول مختلف قال فذكر أنه تخرص منهم ليس لهم بذلك علم قالوا فما منع هـذا القرآن أن ينزل باللسان الذى نزلت به الكتب من قبلك فقال الله أأعجمى وعربى لو جعلناه هـذا القرآن أعجميا لقلتم نحن عرب وهـذا القرآن أعجمى فكيف يجتمعان وقوله يؤفك عنه من أفك يقول يصرف عن الايمان بهذا القرآن من صرف ويدفع عنه من يدفع فيحرمه و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يؤفك عنه من أفك قال ابن عمرو فى حديثه يوفى أو يؤفن أو كلمة تشبهها وقال الحرث يؤفن بغير شك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن يؤفك عنه من أفك قال يصرف عنه من صرف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يؤفك عنه من أفك فالمأفوك عنه اليوم يعنى كتاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يؤفك عنه من أفك قال يؤفك عنـه المشركون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون﴾ يقول تعـالى ذكره لعن المتكهنون الذين يتخرصون الكذب والبـاطل فيتظننونه واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله قتـل الخراصون فقال بعضهم عنى به المرتابون ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قتل الخراصون يقول لعن المرتابون * وقال آخرون فى ذلك بالذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قتل الخراصون قال الكهنة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قتل الخراصون قال الذين يتخرصون الكذب كقوله فى عبس قتل الانسان وقد حدثنى كل واحد منهما بالاسناد الذى ذكرت عنه عن مجاهد قوله قتل الخراصون قال الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قتل الخراصون أهل الظنون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قتـل الخراصون قال القوم الذين كانوا يتخرصون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت طائفة انمـا هو ساحر والذى جاء به سحر وقالت طائفة انما هو شاعر والذى جاء به شعر وقالت طائفة انمـا هو كاهن والذى جاء به كهانة وقالت طائفة أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا يتخرصون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الذين هم فى غمرة ساهون يقول تعالى ذكره الذين هم فى غمرة الضلالة وغلبتها عليهم متمـادون وعن الحق الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ساهون قد لهوا عنـه و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم فى البيان عنه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عبـاس قوله الذين هم فى غمرة ساهون يقول فى ضلالتهم يتمـادون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين هم فى غمرة ساهون قال فى غفلة لاهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة الذين هم فى غمرة ساهون يقول فى غمرة وشـبهة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان غمرة ساهون قال فى غفلة حدثنى

وفيه لطيفة وهى أن جهنم تغيظ على الكفار فتطلبهم ثم يبقى فيها موضع لعصاة المسلمين فتطلب الامتلاء من الكفار كيلا ينقص ايمان العاصى حرها فاذا أدخل العصاة النار سكن غيظها وسكن غضبها وعندهـذا يصح ما ورد فى الاخبار وان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبـار فيها قدمه والمؤمن جبار يتكبر على ماسوى الله تعالى ذليل متواضع لله وروى أنه لا يلقى فيها فوج الاذهب ولا يملؤها شئ فتقول قد أقسمت لتملأنى فيضع تعـالى فيها قدمه أى ماقدمه فى قوله سـبقت رحمـتى غضـبى أى يضع رحمتـه فتقول قط قط و يزوى بعضها الى بعض ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا فيسكنون فضول الجنـة قلت لاريب أن جهنم الحـرص والشهوة والغضب لا تقر ولا تسكن ولا تنتهى الى حد معـلوم بل تقول دائمـا بلسان الحال هل من مزيد الا أن يفيض الله سبحانه عليها من

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى غمرة ساهون قال ساهون عما أتاهم وعما نزل عليهم وعما أمرهم الله تبارك وتعالى وقرأ قول الله جل ثناؤه بل قلوبهم فى غمرة من هذا الآية وقال ألا ترى الشئ اذا أخذته ثم غمرته فى الماء حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى غمرة ساهون قلبه فى كنانة وقوله يسألون أيان يوم الدين يقول تعالى ذكره يسأل هؤلاء الخراصون الذين وصف صفتهم متى يوم المجازاة والحساب ويوم يدين الله العباد بأعمالهم كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أيان يوم الدين قال الذين كانوا يجحدون أنهم يدانون أو يبعثون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يسألون أيان يوم الدين قال يقولون متى يوم الدين أو يكون يوم الدين وقوله يوم هم على النار يفتنون يقول تعالى ذكره يوم هم على نار جهنم يفتنون واختلف أهل التأويل فى معنى قوله يفتنون فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به أنهم يعذبون بالاحراق بالنار ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله يوم هم على النار يفتنون يقول يعذبون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون قال فتنتهم أنهم سألوا عن يوم الدين وهم موقوفون على النار ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون فقالوا حين وقفوا يا ويلنا هذا يوم الدين قال الله تبارك وتعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يفتنون قال كما يفتن الذهب فى النار حدثنى يعقوب قال ثنى هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله يوم هم على النار يفتنون قال يعذبون فى النار يحرقون فيها ألم تر أن الذهب اذا ألقى فى النار قيل فتن حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن حصين عن عكرمة يوم هم على النار يفتنون قال يعذبون حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد يوم هم على النار يفتنون يقول ينضجون بالنار حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الحصين عن عكرمة يوم هم على النار يفتنون قال يحرقون حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان يوم هم على النار يفتنون يقول يحرقون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى يوم هم على النار يفتنون قال يطبخون كما يفتن الذهب بالنار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم هم على النار يفتنون قال يحرقون بالنار حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد يوم هم على النار يفتنون قال يحرقون * وقال آخرون بل عنى بذلك أنهم يكذبون ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم هم على النار يفتنون يقول يطبخون ويقال أيضا يفتنون يكذبون كل هذا يقال واختلف أهل العربية فى وجه نصب اليوم فى قوله يوم هم على النار يفتنون فقال بعض نحويى البصرة نصبت على الوقت والمعنى فى أيان يوم الدين أى متى يوم الدين فقيل لهم فى يوم هم على النار يفتنون لأن ذلك اليوم يوم طويل فيه الحساب وفيه فتنتهم على النار * وقال بعض نحويى الكوفة انما نصبت يوم هم لأنك أضفته الى شيئين واذا أضيف اليوم والليلة الى اسم له فعل وارتفعا نصب اليوم وان كان فى موضع خفض أو رفع

سجال هدايته ورحمته فيتنبه صاحبها وينتهى عن طلب الفضول ويقف فى حد معين ويقنع بما تيسر وكذا الترقى فى مدارج الكمالات ليس ينتهى الى حد معلوم الا اذا استغرق فى بحر العرفان وكان هنالك ما كان كما قال (وأزلفت الجنة للمتقين) أى قربت للمتقين يحتمل أن تكون الواو للاستئناف وأن تكون للعطف على نقول والمضى لتحقيق الوقوع المستدعى لمزيد البشارة ولم يكن المنذرون مذكورين فى الآية المتقدمة فلم يحتج الى تحقيق الانذار وقوله (غير بعيد) نصب على الظرف أى مكانا غير بعيد عنهم أو على الحال ووجه تذكيره مع تأنيث ذى الحال كما تقرر فى قوله ان رحمة الله قريب أنه على زنة المصدر كالزفير والصهيل أو هو على حذف الموصوف أى شيأ غير بعيد قال جار الله معناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل وذلك أنه يجوز

اذا أضيف الى فعل أو يفعل واذ قال ورفعه فى موضع الرفع وخفضه فى موضع الخفض يقول لو قيل يوم هم على النار يفتنون فرفع يوم لكان وجها ولم يقرأ به أحد من القراء * وقال آخر منهم انما نصب يوم هم على النار يفتنون لأنه اضافة غير محضة فنصب والتأويل رفع ولو رفع لجاز لأنك تقول متى يومك فتقول يوم الخميس ويوم الجمعة والرفع الوجه لأنه اسم قابل اسما فهذا الوجه * وأولى القولين بالصواب فى تأويل قوله يوم هم على النار يفتنون قول من قال يعذبون بالاحراق لأن الفتنة أصلها الاختبار وانما يقال فتنت الذهب بالنار اذا طبختها بها لتعرف جودتها فكذلك قوله يوم هم على النار يفتنون يحرقون بها كما يحرق الذهب بها وأما النصب فى اليوم فلأنها اضافة غير محضة على ما وصفنا من قول قائل ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذوقوا فتنتكم يقال لهم ذوقوا فتنتكم وترك يقال لهم لدلالة الكلام عليها ويعنى بقوله فتنتكم عذابكم وحريقكم * واختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم بالذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فتنتكم قال حريقكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذوقوا فتنتكم ذوقوا عذابكم هذا الذى كنتم به تستعجلون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ذوقوا فتنتكم يقول يوم يعذبون فيقول ذوقوا عذابكم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ذوقوا فتنتكم يقول حريقكم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان ذوقوا فتنتكم يقول احتراقكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذوقوا فتنتكم قال ذوقوا عذابكم * وقال آخرون عنى بذلك ذوقوا تعذيبكم أو كذبكم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ذوقوا فتنتكم يقول تكذيبكم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ذوقوا فتنتكم يقول حريقكم ويقال كذبكم وقوله هذا الذى كنتم به تستعجلون يقول تعالى ذكره يقال لهم هذا العذاب الذى توفونه اليوم هو العذاب الذى كنتم به تستعجلون فى الدنيا وقوله ان المتقين فى جنات وعيون يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله بطاعته واجتناب معاصيه فى الدنيا فى بساتين وعيون ماء فى الآخرة وقوله آخذين ما آتاهم ربهم يقول تعالى ذكره عاملين ما امرهم به ربهم مؤدين فرائضه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس فى قوله آخذين ما آتاهم ربهم قال الفرائض وقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين يقول انهم كانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين يقول كانوا لله قبل ذلك مطيعين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس انهم كانوا قبل ذلك محسنين قال قبل الفرائض محسنين يعملون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فقال بعضهم معناه كانوا قليلا من الليل لا يهجعون وقالوا ما بمعنى الجحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا يحيى

أن يتناول العزيز ذل تام من بعض الوجوه الا أن الغالب عليه العز فاذا قيل عزيز غير ذليل أزيل ذلك الوهم وهكذا فى كل تأكيد فمعنى الآية أن الجنة قريب منهم بكل الوجوه وجميع المقايسات وقال آخرون انه صفة مصدر محذوف أى ازلافا غير بعيد عن قدرتنا وذلك أن المكان لا يقرب وانما يقرب منه فذكر الله سبحانه أن ازلاف المكان ليس ببعيد عن قدرتنا بطى المسافة وغير ذلك ويحتمل أن يقال الازلاف بمعنى قرب الحصول كمن يطلب من الملك أمرا خطيرا فيقول الملك بعيد عن ذلك أو قريب منه ولا ريب أن الجنة بعيدة الحصول للمكلف لولا فضل الله ورحمته ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا بفضل الله فقيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته وقوله غير بعيد يراد به القرب المكانى كأنه تعالى ينقل الجنة من السماء الى الارض فيحصل فيها المؤمن ومما سنح لهذا الضعيف وقت كتبه تفسير هذه الآية أن الشئ

ابن سعيد وابن أبي عدي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين ما بين المغرب والعشاء حدثني زريق بن الشحب قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بنحوه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا أبو داود قال ثنا بكير بن أبي السمط عن قتادة عن محمد بن علي في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة * قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن مطرف في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال قل ليلة أتت عليهم الا صلوا فيها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال مطرف بن عبد الله في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قل ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله اما من أولها واما من وسطها حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال لم يكن يمضي عليهم ليلة الا يأخذون منها ولو شيأ * قال ثنا ابن يمان عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كانوا يصيبون فيها حظا حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا حفص بن عاصم عن أبي العالية في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال لا ينامون بين المغرب والعشاء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام ومهران عن أبي جعفر عن الربيع كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصيبون من الليل حظا حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبي عروبة عن مطرف في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كان لهم قليل من الليل ما يهجعون كانوا يصلونه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا قليلا ما ينامون ليلة حتى الصباح حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال قليل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون * وقال آخرون بل معنى ذلك كانوا قليلا من الليل يهجعون ووجهوا ما التي في قوله ما يهجعون الى أنها صلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال قال الحسن كابدوا قيام الليل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول لا ينامون منه الا قليلا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن بعض أصحابنا عن الحسن في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال لا ينامون من الليل الا أقله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا عوف عن سعيد بن أبي الحسن في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال قل ليلة أتت عليهم هجوعا حدثني ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الأحنف بن قيس في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا لا ينامون الا قليلا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا الحكم بن عطية عن قتادة قال قال الأحنف بن قيس وقرأ هذه الآية كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال لست من أهل هذه الآية حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال قيام الليل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن يونس عن الحسن قال نشطوا فمدوا الى السحر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال مدوا في الصلاة ونشطوا حتى

ربما يقرب من شخص ولكن لا يوهب منه وقد يملكه ولكن لا يكون قريبا منه فذكر الله سبحانه في الآية أن الجنة تقرب لأجل المتقين غير بعيد الحصول لهم بل كاقربت دخلوها وحصلوا فيها لا كما قيل

على أن قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذي ود

وفي المثل البعيد القريب خير من القريب البعيد وذلك لانهم حصلوا استعداد دخول الجنة وهو التقوى بخلاف الفاجر فانه لا ينفعه القرب من الجنة لان ملكاته الذميمة تحول بينه وبينها ولك أن تشبه حالهما بحال الكبريت الجيد والحطب الرطب اذا قربا من الجمر وذلك أن تعتبر هذه الحالة في الدنيا فان أهل الصلاح وأرباب النفوس المطمئنة يقبلون بل يستقبلون كل خير يعرض عليهم وأهل الشقاوة وأصحاب النفوس الأمارة يكون حالهم بالعكس ينفرون من الخيرات والكمالات ويألفون الشرور واللذات الزائلات ووجه آخر

كان الاستغفار بسحر * قال ثنا مهران عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال كانوا لاينامون من الليل الاقليلا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر في قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كان الحسن والزهري يقولان كانوا كثيرا من الليل مايصلون وقد يجوز أن تكون ماعلى هذا التأويل في موضع رفع ويكون تأويل الكلام كانوا قليلا من الليل هجوعهم وأما من جعل ماصلة فانه لاموضع لها ويكون تأويل الكلام على مذهبه كانوا يهجعون قليل الليل واذا كانت ماصلة كان القليل منصوبا بيهجعون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال ماينامون * وقال آخرون بل معنى ذلك كانوا يصلون العتمة وعلى هذا التأويل مافي معنى الجحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة في قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال قال رجل من أهل مكة سماه قتادة قال صلاة العتمة * وقال آخرون بل معنى ذلك كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلا من الناس وقالوا الكلام بعد قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا مستأنف بقوله من الليل مايهجعون فالواجب أن تكون ماعلى هذا التأويل بمعنى الجحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك في قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون يقول ان المحسنين كانوا قليلا ثم ابتدأ فقيل من الليل مايهجعون وبالأسحارهم يستغفرون كما قال والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ثم قال والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الزبير عن الضحاك بن مزاحم كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كانوا من الناس قليلا حدثنا ابو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن الزبير بن عدي عن الضحاك بن مزاحم في قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كانوا قليلا من الناس من يفعل ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الزبير بن عدي عن الضحاك بن مزاحم كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كانوا قليلا من الناس اذ ذاك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال الله ان المتقين في جنات وعيون الى محسنين كانوا قليلا يقول المحسنون كانوا قليلا هذه مفصولة ثم استأنف فقال من الليل مايهجعون وأما قوله يهجعون فانه يعني ينامون والهجوع النوم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس كانوا قليلا من الليل مايهجعون يقول ينامون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال ينامون حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من الليل مايهجعون الهجوع النوم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كانوا قليلا ماينامون من الليل قال ذاك الهجع قال والعرب تقول اذا سافرت اهجع بنا قليلا قال وقال رجل من بني تميم لأبي يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تبارك وتعالى قوما فقال كانوا قليلا من الليل مايهجعون ونحن والله قليلا من الليل مانقوم قال فقال أبي طوبى لمن رقد اذا نعس واتقى الله اذا استيقظ * وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قول من قال كانوا قليلا من الليل هجوعهم لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحا لهم وأثنى عليهم به فوصفهم

وهو أن الجنة قربت لهم حال كون كل واحد منهم غير بعيد عن لقاء الله ورضاه وفيه أن المتقين هم أهل الله وخاصته ليسوا ممن شغلوا بالجنة عن الاستغراق في لجة العرفان بل لهم مع النعيم المقيم لقاء الرب الكريم قوله عز من قائل (هذا ماتوعدون) قال جار الله انه جملة معترضة وقوله (لكل أواب حفيظ) بدل من قوله للمتقين قلت ولو جعل خبرا ثانيا لهذا لم يبعد والمشار اليه الثواب أو الازلاف والأواب الرجاع الى الله بالاعراض عما سواه والحفيظ الحافظ لحدود الله أو لأوقات عمره أولما يجده من المقامات والأحوال فلا ينكص على عقبيه فيصير حينئذ مريد الطريقة قوله (من خشي) قدمر وجوه اعرابه في الوقوف وجوز أن يكون منادى كقولهم من لايزال محسنا أحسن الي وحذف حرف النداء للتقريب والترحيب وقرن بالخشية اسمه الدال على وفور الرحمة للثناء على الخاشي من جهة الخشية أولا ومن جهة خشيته مع علمه بسعة

بكثرة العمل وسهر الليل ومكابدته فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل وكثرة النوم مع أن الذى اخترنا فى ذلك هو أغلب المعانى على ظاهر التنزيل وقوله وبالأسحار هم يستغفرون اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه وبالأسحار يصلون ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وبالأسحار هم يستغفرون يقول يقومون فيصلون يقول كانوا يقومون وينامون كما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه فهذا نوم وهذا قيام وطائفة من الذين معك كذلك يقومون ثلثا ونصفا وثلثين يقول ينامون ويقومون حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جبلة بن سحيم عن ابن عمر قوله وبالأسحار هم يستغفرون قال يصلون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وبالأسحار هم يستغفرون قال يصلون * وقال آخرون بل عنى بذلك أنهم أخروا الاستغفار من ذنوبهم الى السحر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال مدّوا فى الصلاة ونشطوا حتى كان الاستغفار بسحر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وبالأسحار هم يستغفرون قال هم المؤمنون قال وبلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم يعقوب حين سألوه أن يستغفر لهم قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا قال سوف أستغفر لكم ربى قال قال بعض أهل العلم انه أخر الاستغفار لهم الى السحر قال وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التى تفتح فيها أبواب الجنة السحر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول السحر هو السدس الأخير من الليل وقوله وفى أموالهم حق للسائل والمحروم يقول تعالى ذكره وفى أموال هؤلاء المحسنين الذين وصف صفتهم حق لسائلهم المحتاج الى ما فى أيديهم والمحروم وبنحو الذى قلنا فى معنى السائل قال أهل التأويل وهم فى معنى المحروم مختلفون فمن قائل هو المحارف الذى ليس له فى الاسلام سهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى اسحق عن قيس بن كركم عن ابن عباس سألته عن السائل والمحروم قال السائل الذى يسأل الناس والمحروم الذى ليس له فى الاسلام سهم وهو محارف حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وفى أموالهم حق للسائل والمحروم قال المحروم المحارف حدثنا سهل ابن موسى الرازى قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبى اسحق عن قيس بن كركم عن ابن عباس قال السائل السائل والمحروم المحارف الذى ليس له فى الاسلام سهم حدثنا سهل بن موسى قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى اسحق عن قيس بن كركم عن ابن عباس قال المحروم المحارف الذى ليس له فى الاسلام سهم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن قيس بن كركم عن ابن عباس فى هذه الآية للسائل والمحروم قال السائل الذى يسأل والمحروم المحارف حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا اسحق يحدث عن قيس بن كركم عن ابن عباس بنحوه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى المحروم قال المحارف وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والمحروم هو الرجل المحارف الذى لا يكون له مال الا ذهب قضى الله له ذلك حدثنا

ابن

جوده ورحمته ومن جهة الخشية مع الغيب وقدمر مرارا وقد يقال انها الخشية فى الخلوة حيث لا يراه أحد قال أهل الاشتقاق ان تركيب خ ش ى يلزمها الهيبة ومنه الشيخ للسيد ولكبير السن وتركيب الخوف يدل على الضعف ومنه الخفاء وكل موضع ذكر فيه الخشية أريد بها معنى عظمة المخشى عنه وكل موضع ذكر فيه الخوف فانه أريد ضعف الخائف كقوله يخافون ربهم من فوقهم أوضعف المخوف منه كقوله لا تخف ولا تحزن يريد أنه لا عظمة لهم وقال انا نخاف من ربنا يوما لأن عظمة اليوم بالنسبة الى عظمة الله هينة ووصف القلب بالمنيب باعتبار صاحبه أو لأن الانابة المعتبرة هى الرجوع الى الله بالقلب لا اللسان والجوارح (ادخلوها بسلام) أى سالمين من الآفات أو مع سلام من الله وملائكته (ذلك) اشارة الى قوله يوم تقول أى ذلك اليوم (يوم) تقدير (الخلود) فى النار أو فى الجنة ويجوز أن يكون اشارة الى وقت القول أى حين

ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن أبي إسحق عن قيس بن كركم قال سألت بن عباس عن قوله للسائل والمحروم قال السائل الذي يسأل والمحروم المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم حدثني محمد بن عمرو المقدمي قال ثنا قريش بن أنس عن سليمن عن قتادة عن سعيد بن المسيب المحروم المحارف حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم قال في المحروم هو المحارف الذي ليس له أحد يعطف عليه أو يعطيه شيأ حدثنا ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن عاصم عن أبي قلابة قال جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا المحروم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن نافع قال المحروم المحارف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال المحروم المحارف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن الوليد بن العيزار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال المحروم هو المحارف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبي بشر قال سألت سعيد بن جبير عن المحروم فلم يقل فيه شيأ فقال عطاء هو المحدود المحارف * ومن قائل هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيأ ذكر من قال ذلك (١) حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني نافع بن يزيد عن عمرو بن الحرث عن بكير بن الأشج عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن المحروم فقال المحارف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفي أموالهم حق للسائل والمحروم هذان فقيرا أهل الاسلام سائل يسأل في كفه وفقير متعفف ولكليهما عليك حق يا ابن آدم حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري للسائل والمحروم قال السائل الذي يسأل والمحروم المتعفف الذي لا يسأل حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور قال قال معمر وحدثني الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي تردّه التمرة والتمرتان والاكلة والاكلتان قالوا فمن المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد غنى ولا يعلم بحاجته فيتصدق عليه فذلك المحروم حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله للسائل والمحروم قال السائل الذي يسأل بكفه والمحروم المتعفف ولكليهما عليك حق يا ابن آدم * وقائل هو الذي لا سهم له في الغنيمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فغنموا فجاء قوم يشهدون الغنيمة فنزلت هذه الآية وفي أموالهم حق للسائل والمحروم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن سفيان عن قيس بن مسلم الجدلي عن الحسن بن محمد قال بعثت سرية فغنموا ثم جاء قوم من بعدهم قال فنزلت للسائل والمحروم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابراهيم أن أناسا قدموا على عليّ رضي الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل فقال اقسموا لهم قال هذا المحروم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد أن قوما في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أصابوا غنيمة فجاء قوم بعد فنزلت وفي أموالهم حق للسائل والمحروم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن ابراهيم قال المحروم الذي لا فيء له في الاسلام وهو محارف من الناس * قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قوله للسائل والمحروم قال المحروم الذي لا يجري عليه شيء من الفيء وهو محارف من الناس * وقائل هو الذي لا ينمي له مال ذكر من قال

يقال لهم ادخلوها هو وقت تقدير الخلود في الجنة يؤيده قوله بعده (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) مما لم يخطر بالقلوب ويجوز أن يراد به الذي ذكر في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ويروى أن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطر عليهم الحور فتقول الحور نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد ثم عاد الى التهديد بوجه أجمل وأشمل قائلا (وكم أهلكنا) الآية ومعنى الفاء في قوله (فنقبوا) للتسبيب عما قبله من الموت كقوله هو أقوى من زيد فغلبه أي شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وأورثتهم ذلك وساروا في اقطار الارض وسألوا (هل من محيص) أي مهرب من عذاب الله فعلموا أن لا مفر (ان في ذلك) الذي ذكر من اول السورة الى ههنا أو من حديث النار والجنة أو من اهلاك الامم الخالية (لذكرى لمن كان له قلب) واع فان الغافل في حكم عديم القلب والقاء السمع الاصغاء الى الكلام وفي قوله (وهو شهيد) اشارة الى أن مجرد الاصغاء لا يفيد مالم

(١) هذا الأثر يناسب القول الأول فلعله مؤخر من تقديم فتنبه كتبه مصححه

ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين قال سألت عكرمة عن السائل والمحروم قال السائل الذى يسألك والمحروم الذى لا ينمى له مال * وقائل هو الذى قد ذهب ثمره وزرعه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين فى أموالهم حق للسائل والمحروم قال المحروم المصاب ثمره وزرعه وقرأ أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه حتى بلغ بل نحن محرومون وقال أصحاب الجنة انا الضالون بل نحن محرومون حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم فى قول الله والذين فى أموالهم حق للسائل والمحروم قال ليس ذلك بالزكاة ولكن ذلك مما ينفقون من أموالهم بعد اخراج الزكاة والمحروم الذى يصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته فيكون له حق على من لم يصبه ذلك من المسلمين كما قال لأصحاب الجنة حين أهلك جنتهم قالوا بل نحن محرومون وقال أيضا لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون * وكان الشعبى يقول فى ذلك ما حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال قال الشعبى أعيانى أن أعلم ما المحروم * والصواب من القول فى ذلك عندى أنه الذى قد حرم الرزق واحتاج وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره فصار ممن حرمه الله ذلك وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسئلة ويكون بأنه لا سهم له فى الغنيمة لغيبته عن الوقعة فلا قول فى ذلك أولى بالصواب من أن تعم كما قال جل ثناؤه وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾ يقول تعالى ذكره وفى الارض عبر وعظات لأهل اليقين بحقيقة ما عاينوا ورأوا اذا ساروا فيها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وفى الارض آيات للموقنين قال يقول معتبر لمن اعتبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفى الارض آيات للموقنين اذا سار فى أرض الله رأى عبرا وآيات عظاما وقوله وفى أنفسكم أفلا تبصرون اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وفى سبيل الخلاء والبول فى أنفسكم عبرة لكم ودليل لكم على ربكم أفلا تبصرون الى ذلك منكم ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصارى قال ثنا أبو أسامة عن ابن جريج عن ابن المرتفع قال سمعت ابن الزبير يقول وفى أنفسكم أفلا تبصرون قال سبيل الغائط والبول حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن جريج عن محمد بن المرتفع عن عبد الله ابن الزبير وفى أنفسكم أفلا تبصرون قال سبيل الخلاء والبول * وقال آخرون بل معنى ذلك وفى تسوية الله تبارك وتعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم على أن خلقتم لعبادته ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى أنفسكم أفلا تبصرون وقرأ قول الله تبارك ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون قال وفينا آيات كثيرة هذا السمع والبصر واللسان والقلب لا يدرى أحد ما هو أسود أو أحمر وهذا الكلام الذى يتلجلج به وهذا القلب أى شئ هو انما هو مضغة فى جوفه يجعل الله فيه العقل أفيدرى أحد ما ذاك العقل وما صفته وكيف هو * والصواب من القول فى ذلك أن يقال معنى ذلك وفى أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم وأنه لا اله لكم سواه اذ كان لا شئ يقدر على أن يخلق مثل خلقه اياكم يقول أفلا تنظرون فى ذلك فتتفكروا فيه فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم وقوله وفى السماء رزقكم يقول تعالى ذكره وفى السماء المطر والثلج اللذان بهما

يكن المصغى حاضرا بفطنته وذهنه وفى الآية ترتيب حسن لانه ان كان ذا قلب ذكى يستخرج المعانى بتدبره وفكره فذاك والا فلا بد أن يكون مستمعا مصغيا الى كلام المنذر ليحصل له التذكر قال المفسرون زعمت اليهود أن الله تعالى خلق السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فرد الله عليهم بقوله (ولقد خلقنا) الى قوله وما مسنا من لغوب أى اعياء ثم سلى رسوله فأمره بالصبر على أذى الكفار وفيه لطيفة وهى أن الله تعالى مع كمال قدرته واستغنائه صبر على أذى الجهلة الذين نسبوه الى اللغوب والاحتياج الى الاستراحة فكيف لا يصبر رسوله على ايذاء أمته بل كيف لا يصبر أحدنا على أذى أمثالنا وخاصة ان كانوا مسلطين علينا اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا وادفع عنا بقدرتك شر كل ذى شر واغوثاه واغوثاه واغوثاه وقد سبق نظير الآية

تخرج الارض رزقكم وقوتكم من الطعام والثمار وغير ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا النضر قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله وفى السماء رزقكم قال المطر حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله وفى السماء رزقكم وما توعدون قال الثلج وكل عين ذائبة من الثلج لا تنقص حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال ثنا سفيان عن عبد الكريم عن الحسن قال فى السحاب فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وأعمالكم * قال أخبرنا سفيان عن اسمعيل بن أمية قال أحسبه أو غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول ومطرنا ببعض عثانين الأسد فقال كذبت بل هو رزق الله حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن مجاهد وفى السماء رزقكم وما توعدون قال رزقكم المطر * قال ثنا مهران عن سفيان وفى السماء رزقكم قال رزقكم المطر * وقال آخرون بل معنى ذلك ومن عند الله الذى فى السماء رزقكم وممن تأوله كذلك واصل الأحدب حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة من أهل الرأى عن سفيان الثورى قال قرأ واصل الأحدب هذه الآية وفى السماء رزقكم وما توعدون فقال ألا ان رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيأ فلما كان اليوم الثالث اذا هو بدوخلة رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الموت بينهما واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وما توعدون فقال بعضهم معنى ذلك وما توعدون من خير أو شر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن مجاهد وما توعدون قال وما توعدون من خير أو شر حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفى السماء رزقكم وما توعدون يقول الجنة فى السماء وما توعدون من خير أو شر * وقال آخرون بل معنى ذلك وما توعدون من الجنة والنار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا النضر قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وما توعدون قال الجنة والنار حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان وما توعدون من الجنة * وأولى القولين بالصواب فى ذلك عندى القول الذى قاله مجاهد لأن الله عم الخبر بقوله وما توعدون عن كل ما وعدنا من خير أو شر ولم يخصص بذلك بعضا دون بعض فهو على عمومه كما عمه الله جل ثناؤه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ يقول تعالى ذكره مقسما لخلقه بنفسه فورب السماء والارض ان الذى قلت لكم أيها الناس ان فى السماء رزقكم وما توعدون لحق كما حق أنكم تنطقون وقد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدىّ عن عوف عن الحسن فى قوله فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدّقوه وقال الفراء للجمع بين ما وأن فى هذا الموضع وجهان أحدهما أن يكون ذلك نظير جمع العرب بين الشيئين من الاسماء والأدوات كقول الشاعر فى الاسماء

من النفر اللائى الذين اذا هم * يهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا

فجمع بين اللائى والذين وأحدهما مجزئ من الآخر وكقول الآخر فى الأدوات

ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم طالى أينق جرب

فجمع بين ما و بين ان وهما جحدان يجزئ أحدهما من الآخر وأما الآخر فهو لو أن ذلك أفرد بما

فى آخر طه ودلالتها على الصلوات الخمس ظاهرة (وأدبار السجود) أعقاب الصلوات فان السجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة والأظهر أنه الأدعية والاذكار المشتملة على تنزيه الله تعالى وتقديسه وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن ابن عباس هى الوتر بعد العشاء ومن قرأ بكسر الهمزة أراد انقضاء الصلاة واتمامها وهو مصدر وقع موقع الظرف أى وقت انقضاء السجود كقولك آتيك خفوق النجم قال أهل النظم ان النبى صلى الله عليه وسلم له شغلان أحدهما عبادة الله والثانى هداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له اصبر وأقبل على شغلك الآخر وهو العبادة ثم بين غاية التسبيح بقوله (واستمع) يعنى اشتغل بتنزيه الله وانتظر المنادى كقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ومفعول استمع متروك أى كن مستمعا لما أخبرك به من أهوال القيامة ولا تكن مثل هؤلاء المعرضين قال جار الله وفى ترك المفعول وتقديم

لكان خبرا عن أنه حق لا كذب وليس ذلك المعنى به وانما أريد به انه لحق كما حق أن الآدمى ناطق ألا ترى أن قولك أحق منطقك معناه أحق هو أم كذب وأن قولك أحق أنك تنطق معناه للاستثبات لا لغيره فأدخلت أن ليفرق بها بين المعنيين قال فهذا أعجب الوجهين الى واختلفت القراء فى قراءة قوله مثل ما أنكم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة مثل ما نصبا بمعنى انه لحق حقا يقينا كأنهم وجهوها الى مذهب المصدر وقد يجوز أن يكون نصبها من أجل أن العرب تنصبها اذا رفعت بها الاسم فتقول مثل من عبد الله وعبد الله مثلك وأنت مثله ومثله رفعا ونصبا وقد يجوز ان يكون نصبها على مذهب المصدر انه لحق كنطقكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض أهل البصرة رفعا مثل ما أنكم على وجه النعت للحق * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يخبره انه محل بمن تمادى فى غيه وأصر على كفره فلم يتب منه من كفار قومه ما أحل بمن قبلهم من الأمم الخالية ومذكرا قومه من قريش باخباره اياهم أخبارهم وقصصهم وما فعل بهم هل أتاك يا محمد حديث ضيف ابراهيم خليل الرحمن المكرمين يعنى بقوله المكرمين أن ابراهيم عليه السلام وسارة خدماهم بأنفسهما وقيل انما قيل المكرمين كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ضيف ابراهيم المكرمين قال أكرمهما ابراهيم وأمر أهله لهم بالعجل حينئذ وقوله اذ دخلوا عليه يقول حين دخل ضيف ابراهيم عليه فقالوا له سلاما أى اسلموا اسلاما قال سلام واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة قال سلام بالألف بمعنى قال ابراهيم لهم سلام عليكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سلم بغير ألف بمعنى قال أنتم سلم وقوله قوم منكرون يقول قوم لا نعرفكم ورفع قوم منكرون باضمار أنتم وقوله فراغ الى أهله يقول عدل الى أهله ورجع وكان الفراء يقول الروغ وان كان على هذا المعنى فانه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مخفيا ذهابه أو مجيئه وقال ألا ترى أنك (١) تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد رجعوا أو صدروا فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ ويروغ وقوله فجاء بعجل سمين يقول فجاء ضيفه بعجل سمين قد أنضجه شيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين قال كان عامة مال نبى الله ابراهيم عليه السلام البقر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ وقوله فقربه اليهم قال ألا تأكلون وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه منه وهو فقربه اليهم فأمسكوا عن أكله فقال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة يقول فأوجس فى نفسه ابراهيم من ضيفه خيفة وأضمرها قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم يعنى باسحق وقال عليم بمعنى عالم اذا كبر وذكر الفراء أن بعض المشيخة كان يقول اذا كان للعلم منتظرا قيل انه لعالم عن قليل وغاية وفى السيد سائد والكريم كارم قال والذى قال حسن قال وهذا أيضا كلام عربى حسن قد قاله الله فى عليم وحكيم وميت وروى عن مجاهد فى قوله بغلام عليم ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا

(١) أى على وجه الاستكراه وتأمل

الامر بالاستماع تعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك وانتصب (يوم ينادى) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور والمنادى قيل الله كقوله ويوم يناديهم فيقول أين شركائى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم والاظهر انه اسرافيل صاحب الصيحة ينفخ فى الصور فينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادى بالحشر والمكان القريب صخرة بيت المقدس يقال انها أقرب الى السماء باثنى عشر ميلا وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية وهذا يؤيد القول بأن المنادى هو الله لقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد والصيحة النفخة الثانية كما قال ان كانت

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بغلام عليم قال اسمعيل وانما قلت عنى به اسحق لان البشارة كانت بالولد من سارة واسمعيل لهاجر لا لسارة قوله فأقبلت امرأته فى صرة يعنى سارة وليس ذلك اقبال نقلة من موضع الى موضع ولا تحول من مكان الى مكان وانما هو كقول القائل أقبل يشتمنى بمعنى أخذ فى شتمى وقوله فى صرة يعنى فى صيحة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فى صرة يقول فى صيحة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها يعنى بالصرة الصيحة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى صرة قال صيحة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأقبلت امرأته فى صرة أى أقبلت فى رنة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله صرة قال أقبلت ترن حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن العلاء بن عبد الكريم اليامى عن ابن سابط قوله فأقبلت امرأته فى صرة قال فى صيحة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأقبلت امرأته فى صرة قال الصرة الصيحة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى صرة يعنى صيحة وقد قال بعضهم ان تلك الصيحة أوه مقصورة الألف وقوله فصكت وجهها اختلف أهل التأويل فى معنى صكها والموضع الذى ضربته من وجهها فقال بعضهم معنى صكها وجهها لطمها اياه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فصكت وجهها يقول لطمت * وقال آخرون بل ضربت بيدها جبهتها تعجبا ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال لما بشر جبريل سارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ضربت جبهتها عجبا فذلك قوله فصكت وجهها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فصكت وجهها قال جبهتها حدثنى ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن العلاء بن عبد الكريم اليامى عن ابن سابط قوله فصكت وجهها قال قالت هكذا وضرب سفيان بيده على جبهته * قال ثنا مهران عن سفيان فصكت وجهها قال وضعت يدها على جبهتها تعجبا والصك عند العرب هو الضرب وقد قيل ان صكها وجهها أن جمعت أصابعها فضربت بها جبهتها وقالت عجوز عقيم يقول وقالت أتلد وحذفت أتلد لدلالة الكلام عليه وبضمير أتلد رفعت عجوز عقيم وعنى بالعقيم التى لا تلد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا سليمن أبو داود قال ثنا شعبة عن مشاش قال سمعت الضحاك يقول فى قوله عجوز عقيم قال لا تلد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا رجل من أهل خراسان من الازد يكنى أبا ساسان قال سألت الضحاك عن قوله عقيم قال التى ليس لها ولد

﴿تم الجزء السادس والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء السابع والعشرون أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا كذلك)﴾

الا صيحة واحدة فاذا هم جميع وقوله (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء أى بسبب الحق الذى هو البعث ويجوز أن يتعلق بالسماع أى يسمعونها باليقين وقيل الباء للقسم أى بالله الحق قوله (سراعا) حال من المجرور أى ينكشف عنهم مسرعين (ذلك) الشق أو الحشر (حشر علينا يسير) لا على غيرنا وهو ردّ على قولهم ذلك رجع بعيد (نحن أعلم بما يقولون) أى من المطاعن والانكار وفيه تهديد لهم وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط حتى تقسرهم على الايمان وانما أنت داع ولعل فى تقديم الظرف اشارة الى أنه كالمسلط على المؤمنين ولهذا وقع ايمانهم وهذا مما يقوى طرف المجبرة وقيل أراد انك رؤف رحيم بهم لست فظا غليظا والاول أولى بدليل قوله (فذكر) الى آخره أى اترك هؤلاء وأقبل على دعوة من ينتفع بتذكيرك والله أعلم

﴿فهرست الجزء السادس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى﴾

﴿تم فهرست الجزء السادس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير﴾

﴿فهرست الجزء السادس والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير﴾

﴿تم فهرست الجزء السادس والعشرين من تفسير النيسابورى﴾

﴿ فهرست الجزء السابع والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

﴿ تم فهرست الجزء السابع والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء السابع والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾

﴿ تم فهرست الجزء السابع والعشرين من تفسير النيسابورى ﴾

الجزء السابع والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدّست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيـــه

طبعت هذه النسخة بعد مقابلتها وتصحيحها بمعرفة حضرة الملتزم على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)

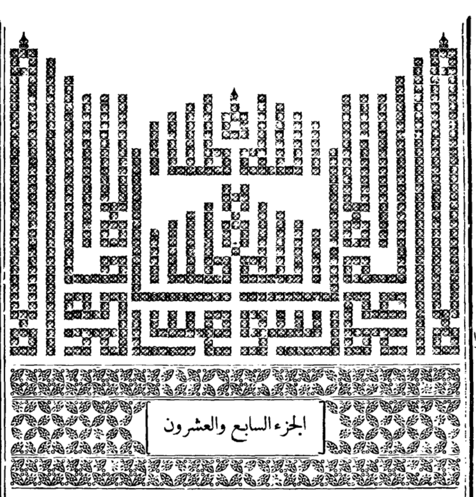
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٩ هجريه

﴿سورة الذاريات وهي مكية وحروفها ألف ومائتان وستة وثمانون كلماتها ثلثمائة وسبعون آياتها ستون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسئلون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال لا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير



الجزء السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ضيف ابراهيم لزوجته اذ قالت لهم وقد بشروها بغلام عليم أتلد عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك يقول هكذا قال ربك أي كما أخبرناك وقلنا لك انه هو الحكيم العليم والهاء في قوله انه من ذكر الرب هو الحكيم في تدبيره خلقه العليم بمصالحهم وبما كان وبما هو كائن وقوله قال فما خطبكم أيها المرسلون يقول قال ابراهيم لضيفه فما شأنكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين قد أجرموا الكفرهم بالله

القول في تأويل قوله تعالى ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾ لنرسل عليهم حجارة من طين يقول لنمطر عليهم من السماء حجارة من طين مسومة يعني معلمة كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله مسومة عند ربك للمسرفين قال المسومة الحجارة المختومة يكون الحجر أبيض فيه نقطة سوداء أو يكون الحجر أسود فيه نقطة بيضاء فذلك تسويمها عند ربك يا ابراهيم للمسرفين يعني للمتعدين حدود الله الكافرين به من قوم لوط فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين يقول تعالى ذكره فأخرجنا من كان في قرية سذوم قرية قوم لوط من أهل الايمان بالله وهم لوط وابنتاه وكنى عن القرية بقوله من كان فيها ولم يجر لها ذكر قبل ذلك

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ يقول تعالى

ذكره فما وجدنا فى تلك القرية التى أخرجنا منها من كان فيها من المؤمنين غير بيت من المسلمين وهو بيت لوط حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم الله ليعلموا أن الايمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال هؤلاء قوم لوط لم يجدوا فيها غير لوط حدثنى ابن عوف قال ثنا المعتمر قال ثنا صفوان قال ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحيل الأشجعى قال الله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لوطا وابنتيه قال فحل بهم العذاب قال الله وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وقوله وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم يقول وتركنا فى هذه القرية التى أخرجنا من كان فيها من المؤمنين آية وقال جل ثناؤه وتركنا فيها آية والمعنى وتركناها آية لأنها التى ائتفكت بأهلها فهى الآية وذلك كقول القائل ترى فى هذا الشئ عبرة وآية ومعناه هذا الشئ آية وعبرة كما قال جل ثناؤه لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وهم كانوا الآيات وفعلهم ويعنى بالآية العظة والعبرة للذين يخافون عذاب الله الأليم فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون﴾ يقول تعالى ذكره وفى موسى بن عمران اذ أرسلناه الى فرعون مصر بحجة تبين لمن رآها أنها حجة لموسى على حقيقة ما يقول ويدعو اليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الى فرعون بسلطان مبين يقول بعذر مبين وقوله فتولى بركنه يقول فأدبر فرعون كما أرسلنا اليه موسى بقومه من جنده وأصحابه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظ قائليه فيه

ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فتولى بركنه يقول لقومه أو بقومه أنا أشك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فتولى بركنه قال بعضده وأصحابه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فتولى بركنه غلب عدو الله على قومه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تبارك وتعالى فتولى بركنه قال بجموعه التى معه وقرأ لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قال الى قوة من الناس الى ركن أجاهدكم به قال وفرعون وجنوده ومن معه ركنه قال وما كان مع لوط مؤمن واحد قال وعرض عليهم أن ينكحهم بناته رجاء أن يكون له منهم عضد يعينه أو يدفع عنه وقرأ هؤلاء بناتى هن أطهر لكم قال يريد النكاح فأبوا عليه وقرأ قول الله تبارك وتعالى لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد وأصل الركن الجانب والناحية التى يعتمد عليها ويقوى بها وقوله وقال ساحر أو مجنون يقول وقال لموسى هو ساحر يسحر عيون الناس أو مجنون به جنة وكان معمر بن المثنى يقول أو فى هذا الموضع بمعنى الواو التى للموالاة لأنهم قد قالوهما جميعا له وأنشد فى ذلك بيت جرير الخطفى

أثعلبة الفوارس أو رياحا * عدلت بهم طهية والخشابا

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم﴾ يقول تعالى ذكره فأخذنا فرعون وجنوده بالغضب منا والأسف فنبذناهم فى اليم يقول فألقيناهم فى البحر فغرقناهم فيه وهو مليم يقول وفرعون مليم والمليم هو الذى قد أتى ما يلام عليه من الفعل وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو مليم

بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون﴾

۞ القراآت والذاريات ذروا بادغام التاء فى الذال حمزة وأبو عمرو ومثل ما بالضم حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص الباقون مثل بالفتح على البناء لاضافته الى غير متمكن أو على انه لحق حقا مثل

أي مليم في نعمة الله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وهو مليم قال مليم في عباد الله وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله فأخذناه وجنوده فنبذناه ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ يقول تعالى ذكره وفي عاد أيضا وما فعلنا بهم لهم آية وعبرة إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم يعني بالريح العقيم التي لا تلقح الشجر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال الريح العقيم الريح الشديدة التي لا تلقح شيأ حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الريح العقيم قال لا تلقح الشجر ولا تثير السحاب حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد هذا الريح العقيم قال ليس فيها رحمة ولا نبات ولا تلقح نباتا حدثنا ابن المثنى قال ثنا سليمن أبو داود قال أخبرنا شعبة عن شماس قال سمعت الضحاك يقول في قوله الريح العقيم قال لا تلقح حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا شيخ من أهل خراسان من الأزد ويكنى أبا ساسان قال سألت الضحاك ابن مزاحم عن قوله الريح العقيم قال الريح التي ليس فيها بركة ولا تلقح الشجر حدثنا محمد بن عبد الله الهلالي قال ثنا أبو علي الحنفي قال ثنا ابن أبي ذئب عن الحرث بن عبد الرحمن عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول الريح العقيم الجنوب حدثنا أحمد بن الفرج قال ثنا ابن أبي فديك قال ثنا ابن أبي ذئب عن خاله الحرث بن عبد الرحمن يقول العقيم يعني الجنوب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقم ان من الريح عقيما وعذابا حين ترسل لا تلقح شيأ ومن الريح رحمة يثير الله تبارك وتعالى بها السحاب وينزل بها الغيث وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس بمثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله الريح العقيم قال الريح التي لا تنبت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الريح العقيم التي لا تلقح شيأ حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قال الريح العقيم التي لا تنبت شيأ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم قال ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته فيحيي به الأصل والشجر وهذه لا تلقح ولا تحيي هي عقيم ليس فيها من الخير شيء انما هي عذاب لا تلقح شيأ وهذه تلقح وقرأ وأرسلنا الرياح لواقح وقوله ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم والرمم في كلام العرب ما يبس من نبات الأرض وديس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك وان اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم قال كالشيء الهالك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كالرميم قال كالشيء الهالك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كالرمم رميم الشجر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله إلا جعلته كالرمم قال كرميم

الشجر

نطقكم سلم بكسر السين وسكون اللام حمزة وعلي وخلف والمفضل والصعقة بسكون العين للمرة علي وقوم نوح بالجر أبو عمرو وعلي وخلف ﴿الوقوف ذروا ط وقرا ٥لا يسرا ٥لا أمرا ٥ط لصادق ٥لا لواقع ٥ الحبك ٥لا مختلف ٥لا أفك ٥ط الخراصون ٥لا ساهون ٥لا لأن يسألون صلة بعد صلة الدين ٥ ط بناء على أن عامل يوم منتظر أي يقال لهم ذوقوا يفتنون ٥ فتنتكم ط تستعجلون ٥ وعيون ٥لا ربهم ط محسنين ٥ط يهجعون ٥ يستغفرون ٥ والمحروم ٥ للموقنين ٥ط للعطف أنفسكم ط تبصرون ٥ توعدون ٥ تنطقون ٥ المكرمين ٥م لأن عامل إذ محذوف وهو اذكر ولو وصل لأوهم أنه ظرف للاتيان سلاما ط سلام ج لحق المحذوف مع اتحاد القائل أي أنتم قوم منكرون ٥ سمين ٥ لا للعطف تأكلون ٥ ز للآية مع العطف خيفة ط لا تخف ٥ عليم ٥ عقيم ٥ كذلك لا للتعلق بما بعده ربك ط العليم ٥ المرسلون ٥ مجرمين ٥ طين ٥ للمسرفين ٥ المؤمنين ٥ ج للآية مع العطف بالفاء واتصال المعنى المسلمين ٥ ط كذلك الأليم ٥ لتناهي القصة وحكم العربية الوصل للعطف على قوله وفي الأرض آيات مبين ٥ مجنون ٥ مليم ٥ كامر العقيم ٥ ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال أي غير تاركته كالرميم ٥

الشجر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون﴾ يقول تعالى ذكره وفى ثمود أيضا لهم عبرة ومتعظ اذ قال لهم ربهم يقول فتكبروا عن أمر ربهم وعلوا استكبارا عن طاعة الله كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فعتوا قال علوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فعتوا عن أمر ربهم قال العاتى العاصى التارك لأمر الله وقوله فأخذتهم الصاعقة يقول تعالى ذكره فأخذتهم صاعقة العذاب بغتة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون وهم ينتظرون وذلك أن ثمود وعدت العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام وجعل لنزوله عليهم علامات فى تلك الثلاثة فظهرت العلامات التى جعلت لهم الدالة على نزولها فى تلك الأيام فأصبحوا فى اليوم الرابع موقنين بأن العذاب بهم نازل ينتظرون حلوله بهم وقرأت قراء الأمصار خلا الكسائى فأخذتهم الصاعقة بالالف وروى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه قرأ ذلك فأخذتهم الصعقة بغير ألف حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن السدى عن عمرو بن ميمون الأودى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ فأخذتهم الصعقة وكذلك قرأ الكسائى وبالالف نقرأ الصاعقة لاجماع الحجة من القراء عليها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين﴾ يقول تعالى ذكره فما استطاعوا من دفاع لما نزل بهم من عذاب الله ولا قدروا على نهوض به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما استطاعوا من قيام يقول ما استطاع القوم نهوضا العقوبة الله تبارك وتعالى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فما استطاعوا من قيام قال من نهوض وكان بعض أهل العربية يقول معنى قوله فما استطاعوا من قيام فما قاموا بها قال لو كانت فما استطاعوا من اقامة لكان صوابا وطرح الالف منها كقوله أنبتكم من الارض نباتا وقوله وما كانوا منتصرين يقول وما كانوا قادرين على أن يستقيدوا ممن أحل بهم العقوبة التى حلت بهم وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كانوا منتصرين قال ما كانت عندهم من قوة يمتنعون بها من الله عز وجل وقوله وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين اختلفت القراء فى قراءة قوله وقوم نوح (١) نصبا ولنصب ذلك وجوه أحدها أن يكون القوم عطفا على الهاء والميم فى قوله فأخذتهم الصاعقة اذ كان كل عذاب مهلك تسميه العرب صاعقة فيكون معنى الكلام حينئذ فأخذتهم الصاعقة وأخذت قوم نوح من قبل والثانى أن يكون منصوبا بمعنى الكلام اذ كان فيما مضى من أخبار الأمم قبل دلالة على المراد من الكلام وأن معناه أهلكنا هذه الأمم وأهلكنا قوم نوح من قبل والثالث أن يضمر له فعلا ناصبا فيكون معنى الكلام واذكر لهم قوم نوح كما قال وابراهيم اذ قال لقومه ونحو ذلك بمعنى أخبرهم واذكر لهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وقوم نوح بخفض القوم على معنى وفى قوم نوح عطفا بالقوم على موسى فى قوله وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قراءة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل ذلك فى قراءة من قرأه خفضا

حين ٥ ينظرون ٥ منتصرين ٥ لا على القراءتين فيما بعده للعطف أى وفى قوم نوح أو وأخذنا قوم نوح ولو قدر واذكر قوم نوح فالوقف قبل ج فاسقين ٥ لموسعون ٥ الماهدون ٥ تذكرون ٥ الى الله ط مبين ٥ للآية مع العطف آخر ط مبين ٥ أو مجنون ٥ أتواصوا به ج لأن بل للاضراب معنى مع العطف لفظا طاغون ٥ بملوم ٥ لا للآية مع اتفاق الجملتين المؤمنين ٥ ليعبدون ٥ يطعمون ٥ المتين ٥ يستعجلون ٥ يوعدون ٥ ﴿ التفسير لما بين فى آخر السورة أنهم بعد ايراد البراهين الساطعة عليهم مصرون على انكار الحشر ولهذا سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار لم يبق الا توكيد الدعوى بالايمان فلذلك افتتح بذلك عن على كرم الله وجهه أنه قال على المنبر سلونى قبل أن تفقدونى وان لا تسألونى لا تسألوا بعدى مثلى فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح وقد مر فى الكهف فى قوله تذروه الرياح قال فالحاملات وقرا قال رضى الله عنه السحاب لانها تحمل المطر وانما لم يقل أوقارا باعتبار جنس المطر وهو واحد قال فالجاريات يسرا قال رضى الله عنه الفلك والمراد جريان اليسر قال فالمقسمات أمرا قال رضى الله عنه الملائكة لانها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك فيكون مصدرا فى موضع

(١) لعل فيه سقطا والأصل وقوم نوح فقرأه اهل الحجاز وقوم نوح نصبا الخ كتبه مصححه

وفى قوم نوح لهم أيضا عبرة اذ أهلكناهم من قبل ثمود لما كذبوا رسولنا نوحا انهم كانوا قوما فاسقين
يقول انهم كانوا مخالفين أمر الله خارجين عن طاعته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والسماء
بنيناها بأيد وانا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ يقول تعالى ذكره والسماء رفعناها
سقفا بقوة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال
ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والسماء بنيناها بأيد يقول بقوة
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بأيد قال بقوة حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والسماء بنيناها بأيد أى بقوة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد
ابن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور أنه قال فى هذه الآية والسماء بنيناها بأيد قال بقوة حدثنى
(١) يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والسماء بنيناها بأيد قال بقوة حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والسماء بنيناها بأيد قال بقوة بشدة حدثنا
ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان والسماء بنيناها بأيد قال بقوة وقوله وانا لموسعون يقول
لذو سعة بخلقها وخلق ما شئنا أن نخلقه وقدرة عليه ومنه قوله على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره يراد به القوى وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
زيد فى قوله وانا لموسعون قال أوسعها جل جلاله وقوله والأرض فرشناها يقول تعالى ذكره
والأرض جعلناها فراشا للخلق فنعم الماهدون يقول فنعم الماهدون لهم نحن ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ يقول تعالى ذكره وخلقنا من كل شئ
خلقنا زوجين وترك خلقنا الاولى استغناء بدلالة الكلام عليها واختلف فى معنى خلقنا زوجين
فقال بعضهم عنى به ومن كل شئ خلقنا نوعين مختلفين كالشقاء والسعادة والهدى والضلالة
ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن جريج
قال قال مجاهد فى قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين قال الكفر والايمان والشقاوة والسعادة
والهدى والضلالة والليل والنهار والسماء والارض والانس والجن حدثنا ابن بشار قال
ثنا ابراهيم بن أبى الوزير قال ثنا مروان بن معاوية الفزارى قال ثنا عوف عن الحسن
فى قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين قال الشمس والقمر ۞ وقال آخرون عنى بالزوجين الذكر
والانثى ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن
كل شئ خلقنا زوجين قال ذكرا وأنثى ذاك الزوجان وقرأ وأصلحنا له زوجه قال امرأته * وأولى
القولين فى ذلك قول مجاهد وهو أن الله تبارك وتعالى خلق لكل ما خلق من خلقه ثانيا له مخالفا
فى معناه فكل واحد منهما زوج للآخر ولذلك قيل خلقنا زوجين وانما نبه جل ثناؤه بذلك من
قوله خلقه على قدرته على خلق ما يشاء خلقه من شئ وأنه ليس كالأشياء التى شأنها فعل نوع واحد
دون خلافه اذ كل ما صفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التى شأنها التسخين ولا تصلح
للتبريد وكالثلج الذى شأنه التبريد ولا يصلح للتسخين فلا يجوز أن يوصف بالكمال وانما كمال
المدح للقادر على فعل كل ما شاء فعله من الاشياء المختلفة والمتفقة وقوله لعلكم تذكرون يقول
لتذكروا وتعتبروا بذلك فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذى يستوجب عليكم العبادة هو
الذى يقدر على خلق الشئ وخلافه وابتداع زوجين من كل شئ لا ما لا يقدر على ذلك ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه

نذير

الحال ومعنى الفاء فيها اذا اهمل لانه
تعالى أقسم بالرياح فبالسحاب
الذى تسوقه فبالفلك التى تجريها
بهبوبها كأن ماء البحر أومدده
من السحاب فلذلك أخر ثم أقسم
بالملائكة التى تقسم الأرزاق باذن
الله من الامطار وتجارات
البحر وقيل ان الأوصاف الأربعة
كلها للرياح لانها تذرو التراب وغيره
أولا ثم تنشئ السحاب وتحمله
ولا ريب أن السحاب حمل ثقيل
ولاسيما اذا كان فيه مطر ثم تجرى
أعنى الرياح فى الجو جريا سهلا
فى نفسها أى لا يصعب عليها الجرى
أو بالنسبة الينا بخلاف الصرصر
والعاصف ونحوها فتبسط
السحاب فى السماء ثم تقسم الامطار
فى الأقطار بتصريف السحاب وقد
روعى فى ذكر هذه الاوصاف لطيفة
فان الحشر يتم امكانه بها لان أجزاء
بدن المكلف ان كانت فى الارض
فتميز الريح بينها بالذرو وان كانت
فى الهواء فتحملها بالنقل وان
كانت فى البحر فتخرجها بانشاء
السحاب منها اذ الذى قدر على اجراء
السفن فى البحار يقدر على اخراج
تلك الأجزاء منها الى البر وبعد ذلك
تقسم الملائكة أرواح الخلائق
على أجسادها باذن الله تعالى
وقيل المقسمات الكواكب السبعة
وجواب القسم (انما توعدون)
وما مصدرية أو موصولة (لصادق)
فى نفسه كما يقال خبر صادق أو ذو
صدق كعيشة راضية ثم صرح
بالموعود قائلا (وان الدين) أى
الجزاء (لواقع) أى حاصل وحين
أقسم على صدق وعوده أقسم على

(١) يظهر ان هذا السند مكرر من الناسخ تأمل كتبه مصححه

نذير مبين﴾ يقول تعالى ذكره فاهربوا أيها الناس من عقاب الله الى رحمته بالايمان به واتباع أمره والعمل بطاعته انى لكم منه نذير يقول انى لكم من الله نذير أنذركم عقابه وأخوفكم عذابه الذى أحله بهؤلاء الأمم الذين قص عليكم قصصهم والذى هو مذيقهم فى الآخرة وقوله مبين يقول يبين لكم نذارته وقوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر يقول جل ثناؤه ولا تجعلوا أيها الناس مع معبودكم الذى خلقكم معبودا آخر سواه فانه لا معبود تصلح له العبادة غيره انى لكم منه نذير مبين يقول انى لكم أيها الناس نذير من عقابه على عبادتكم الها غيره مبين قد أبان لكم النذارة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ يقول تعالى ذكره كما كذبت قريش نبيها محمدا صلى الله عليه وسلم وقالت هو شاعر أو ساحر أو مجنون كذلك فعلت الامم المكذبة رسلها الذين أحل الله بهم نقمته كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقومه ما أتى هؤلاء القوم الذين ذكرناهم من قبلهم يعنى من قبل قريش قوم محمد صلى الله عليه وسلم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله أتواصوا به بل هم قوم طاغون يقول تعالى ذكره أأوصى هؤلاء المكذبين من قريش محمدا صلى الله عليه وسلم على ما جاءهم به من الحق أوائلهم وآباؤهم الماضون من قبلهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك عنهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أتواصوا به بل هم قوم طاغون قال أوصى أولاهم أخراهم بالتكذيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أتواصوا به أى كان الاول قد أوصى الآخر بالتكذيب وقوله بل هم قوم طاغون يقول تعالى ذكره ما أوصى هؤلاء المشركون آخرهم بذلك ولكنهم قوم متعدون طغاة عن أمر ربهم لا يأتمرون لأمره ولا ينتهون عما نهاهم عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتول يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله من قريش يقول فأعرض عنهم حتى يأتيك فيهم أمر الله يقال ولى فلان عن فلان اذا أعرض عنه وتركه كما قال حصين بن ضمضم

أما بنو عبس فان هجينهم ✽ ولى فوارسه وأفلت أعوزا

والأعوز فى هذا الموضع الذى عوز فلم تقض حاجته ولم يصب ما طلب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ليث عن مجاهد فتول عنهم قال فأعرض عنهم وقوله فما أنت بملوم يقول جل ثناؤه فما أنت يا محمد بملوم لا يلومك ربك على تفريط كان منك فى الانذار فقد أنذرت وبلغت ما أرسلت به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فتول عنهم فما أنت بملوم قال محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فتول عنهم فما أنت بملوم قال قد بلغت ما أرسلناك به فلست بملوم قال وكيف يلومه وقد أدى ما أمر به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فتول عنهم فما أنت بملوم ذكر لنا أنها لما نزلت هذه الآية اشتد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا أن الوحى قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا ابن علية قال أخبرنا

جهلهم وعنادهم والحبك الطرائق كطرائق الرمل والماء اذا ضربته الريح ويقال ان خلقة السماء كذلك واحدها حباك وقال الحسن حبكها نجومها لأنها تزينها كما تزين الموشى يكون بطرائق الوشى وقيل حبكها صفاقتها واحكامها يقال للثوب الصفيق ما أحسن حبكه وعلى القول الاول يكون بين القسم والمقسم عليه مناسبة لأن القول المختلف له أيضا طرائق قال الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا وانما هو متناقض مختلف ولهذا قالوا للرسول شاعر مجنون وللقرآن مثل ذلك وعن قتادة أراد منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر والضمير فى (يؤفك عنه) للقرآن أو النبى أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف بعده لأنه غاية ونهاية ويمكن أن يقال يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله ويجوز أن يكون الضمير للموعود أقسم بالذاريات وغيرها أن وقوعه حق ثم أقسم بالسماء أنهم مختلفون فى وقوعه يؤفك عن الاقرار به من هو عديم الاستعداد مغمور فى الجهل والعناد وجوز جار الله أن يرجع الضمير الى قول مختلف ويكون عن كما فى قوله

✽ ينهون عن أكل وعن شرب ✽

أى يتناهون فى السمن من كثرة الأكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم فى السمن من الاكل والشرب وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف ثم دعا عليهم بقوله (قتل الخراصون) أى الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم المعهودون وأعم فيشملهم

أيوب عن مجاهد قال خرج علي معتجرا ببرد مشتملا بخميصة فقال لما نزلت فتول عنهم فما أنت بملوم أحزننا ذلك وقلنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنا حتى نزل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين يقول وعظ يا محمد من أرسلت اليه فان العظة تنفع أهل الايمان بالله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ليث عن مجاهد وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين قال وعظهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فقال بعضهم معنى ذلك وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم لمعصيتي ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن جريج عن زيد بن أسلم وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ما جبلوا عليه من الشقاء والسعادة حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن زيد بن أسلم بنحوه حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله ابن موسى قال أخبرنا سفيان عن ابن جريج عن زيد بن أسلم بمثله حدثنا حميد بن الربيع الخراز قال ثنا ابن يمان قال ثنا ابن جريج عن زيد بن أسلم في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال جبلهم على الشقاء والسعادة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال من خلق للعبادة * وقال آخرون بل معنى ذلك وما خلقت الجن والانس الا ليذعنوا لي بالعبودة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الا ليقروا بالعبودة طوعا وكرها * وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابن عباس وهو ما خلقت الجن والانس الا لعبادتنا والتذلل لأمرنا فان قال قائل فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره قيل انهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم لأن قضاءه جار عليهم لا يقدرون من الامتناع منه اذا نزل بهم وانما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به فأما التذلل لقضائه فانه غير ممتنع منه وقوله ما أريد منهم من رزق يقول تعالى ذكره ما أريد ممن خلقت من الجن والانس من رزق يرزقونه خلقي وما أريد أن يطعمون يقول وما أريد منهم من قوت أن يقوتوهم ومن طعام أن يطعموهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون قال يطعمون أنفسهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون﴾ يقول تعالى ذكره ان الله هو الرزاق خلقه المتكفل بأقواتهم ذو القوة المتين اختلفت القراء في قراءة قوله المتين فقرأته عامة قراء الأمصار خلا يحيى بن وثاب والأعمش ذو القوة المتين رفعا بمعنى ذو القوة الشديد فجعلوا المتين من نعت ذي ووجهوه الى وصف الله به وقرأه يحيى والاعمش المتين خفضا فجعلاه من نعت القوة وانما استجاز خفض ذلك من قرأه بالخفض ويصيره من نعت القوة والقوة مؤنثة والمتين في لفظ مذكر لأنه ذهب بالقوة(١) الى القوة من قوى الحبل والشيء المبرم الفتل فكأنه قال على هذا المذهب ذو الحبل القوي وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده

لكل دهر قد لبست أثؤبا * من ريطة واليمنة المعصبا

شمولا أوليا ولا يراد بهذا الدعاء وقوع القتل بعينه بل اللعن وما يوجب الهلاك بأي وجه كان وقد لا يراد الا تقبيح حال المدعو كقوله قتل الانسان ما أكفره والغمرة كل ما يغمر الانسان أي انهم في جهل يغمرهم غافلون عما أمروا به (أيان يوم الدين) أي متى وقوعه ثم أجاب بقوله (يوم هم) أي يقع في ذلك اليوم ومعنى (يفتنون) يحرقون ويعذبون ثم وبخهم وتهكم بهم قائلا (ذوقوا) الى آخره وحين حكى حال الفاجر الشقي أراد أن يبين حال المؤمن التقي فقال (ان المتقين في جنات وعيون) أي في جنات فيها عيون حال كونهم (آخذين ما آتاهم ربهم) قال جار الله قابلين لكل ما أعطاهم راضين به لا كمن يأخذ شيأ على سخط وكراهية وقال غيره أراد أنهم يأخذونه شيأ فشيأ ولا يستوفون ذلك بكماله لامتناع استيفاء ما لا نهاية له وقيل الأخذ بمعنى التملك يقال بكم أخذت هذا كأنهم اشتروها بأنفسهم وأموالهم قال ان فيض الله تعالى لا ينقطع أصلا وانما يصل الى كل مكلف بقدر ما استعد له فكلما ازداد قبولا ازدادت اثرا من الفيض والاخذ في هذا المقام لعله اشارة الى كمال قبولهم للفيوض الالهية وذلك لما أسلفوا من حسن العبادة ووفور الطاعة ولهذا علله بقوله (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) أي في الدنيا وظهر عليهم بعد قطع التعلق آثار الاحسان ونتيجته وقوله ما آتاهم على المضي لتحقق الايتاء مثل ونادى وسيق وقال أهل العرفان ما آتاهم

(١) الذي في الفراء لأنه ذهب بالقوة الى الحبل الخ تأمل كتبه مصححه

فجعل المعصب نعت اليمنة وهى مؤنثة فى اللفظ لأن اليمنة وصف ضرب من الثياب فذهب بها اليه * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ذو القوة المتين رفعا على أنه من صفة الله جل ثناؤه لاجماع الحجة من القراء عليه وأنه لو كان من نعت القوة لكان التأنيث به أولى وان كان للتذكير وجه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذو القوة المتين يقول الشديد وقوله فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون يقول تعالى ذكره فان للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوبا وهى الدلو العظيمة وهو السجل أيضا اذا ملئت أو قاربت الملء وانما أريد بالذنوب فى هذا الموضع الحظ والنصيب ومنه قول علقمة بن عبدة

وفى كل قوم قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من نداك ذنوب

أى نصيب وأصله ماذكرت ومنه قول الراجز

لنا ذنوب ولكم ذنوب * فان أبيتم فلنا القليب

ومعنى الكلام فان للذين ظلموا من عذاب الله نصيبا وحظا نازلا بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم على منهاجهم من العذاب فلا يستعجلون به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فان للذين ظلموا ذنوبا يقول دلوا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم قال يقول للذين ظلموا عذابا مثل عذاب أصحابهم فلا يستعجلون حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون سجلا من العذاب * قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا شهاب بن سريعة عن الحسن فى قوله ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم قال دلوا مثل دلو أصحابهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ذنوبا قال سجلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان للذين ظلموا ذنوبا أى سجلا من عذاب الله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنى محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم قال عذابا مثل عذاب أصحابهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم قال يقول ذنوبا من العذاب قال يقول لهم سجل من عذاب الله وقد فعل هذا بأصحابهم من قبلهم فلهم عذاب مثل عذاب أصحابهم فلا يستعجلون حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن ابراهيم ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم قال طرفا من العذاب

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون﴾ يقول تعالى ذكره فالوادى السائل فى جهنم من قيح وصديد للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته من يومهم الذى يوعدون فيه نزول عذاب الله بهم اذا نزل ذلك بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد

آخر تفسير سورة الذاريات

فى الأزل يأخذون نتائجه فى الأبد ثم فسر احسانهم بقوله (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ماصلة أى كانوا ينامون فى طائفة قليلة من الليل أو يهجعون هجوعا قليلا وجوز أن تكون مامصدرية أو موصولة وارتفع مامع الفعل على أنه فاعل قليلا أى كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو الذى يهجعون فيه وفيه أصناف من المبالغة من جهة لفظ الهجوع وهو النوم اليسير ومن جهة لفظ القلة ومن جهة التقييد بالليل لأنه وقت الاستراحة فقلة النوم فيه أغرب منها فى النهار ومن جهة ما المزيدة على قول ولا يجوز أن تكون ما نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وصفهم بأنهم يحيون أكثر الليل متهجدين فاذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار وكأنهم باتوا فى معصية الملك الجبار وهذا سيرة الكريم يأتى بأبلغ وجوه الكرم ثم يستقله ويعتذر واللئيم بالعكس يأتى بأقل شئ ثم يمن به ويستكثر ومثله المطيع يأتى بغاية مجهوده من الخدمة ثم ينسب نفسه الى التقصير فيستغفر ويمكن أن يقال انهم يستغفرون من الهجوع كأنهم أرادوا أن يقوموا على احياء الليل كله ويجوز أن يكون الاستغفار بمعنى الصلاة لقوله بعده وفى أموالهم حق فيكون كقوله يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ووجه أغرب وهو أن يكون السين فى استغفر مثله فى استحصد الزرع أى حان أن يحصد فكأن وقت السحر هو الاولى بحصول المغفرة قال جار الله فى قوله هم يستغفرون اشارة الى أنهم

﴿ تفسير سورة والطور ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله والطور والجبل الذي يدعى الطور وقد بينت معنى الطور بشواهده وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى والطور قال الجبل بالسريانية وقوله وكتاب مسطور يقول وكتاب مكتوب ومنه قول رؤبة * اني وآيات سطرن سطرا *

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وكتاب مسطور قال صحف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وكتاب مسطور والمسطور المكتوب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله مسطور قال مكتوب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله مسطور قال مكتوب وقوله في رق منشور يقول في ورق منشور وقوله في من صلة مسطور ومعنى الكلام وكتاب سطر وكتب في ورق منشور حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في رق منشور وهو الكتاب حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في رق قال الرق الصحيفة وقوله والبيت المعمور يقول والبيت الذي يعمر بكثرة غاشيته وهو بيت فيما ذكر في السماء بحيال الكعبة من الارض يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبدا ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم رفع الي البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن رجلا قال لعلي رضي الله عنه ما البيت المعمور قال بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ولا يعودون فيه أبدا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت خالد بن عرعرة قال سمعت عليا رضي الله عنه وخرج الى الرحبة فقال له ابن الكواء أو غيره ما البيت المعمور قال بيت في السماء السادسة يقال له الضراح يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدا حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن عاصم عن علي بن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا رضي الله عنه عن البيت المعمور قال مسجد في السماء يقال له الضراح يدخله كل يوم سبعون ألفا

هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين وقيل ابراز الضمير لدفع وهم من يظن أن التقدير وبالاسحار قليلا يستغفرون على قياس الفعل السابق وحيث ذكر جدهم في التعظيم لأمر الله أردفه بذكر شفقتهم على خلق الله والمشهور في الحق أنه القدر الذي علم اخراجه من المال شرعا وهو الزكاة قيل انه على هذا لم يكن صفة مدح لأن كل مسلم كذلك بل كل كافر وذلك اذا قلنا انه مخاطب بالفروع لا أنه اذا أسلم سقط عنه واجيب بأن السائل من له الطلب شرعا والمحروم من الحرمة وهو الذي منع الطلب فكأنه قيل في أموالهم حق للطالب وهو الزكاة ولغير الطالب وهو الصدقة المتطوع بها التي تتعلق بفرض صاحب المال واقراره وليس عليه فيها مطالبة ويمكن أن يقال أراد في أموالهم حق في اعتقادهم وسيرتهم كأنهم أوجبوا على أنفسهم أن يعطوا من المال حقا معلوما وان لم يوجبه الشرع وفي السائل والمحروم وجوه أحدها ما مر الثاني السائل هو الناطق والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوان كما قال صلى الله عليه وسلم لكل كبد حرى أجر الثالث وهو الأظهر أن السائل هو الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه قال صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وتقديم السائل على ترتيب الواقع لانه يعرف حاله بمقاله فيستدخلته

من الملائكة لا يرجعون فيه أبدا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عبيد
المكتب عن أبي الطفيل قال سأل ابن الكواء عليا عن البيت المعمور قال بيت بحيال البيت
العتيق في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك على رسم راياتهم يقال له الضراح يدخله كل يوم
سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يرجعون فيه أبدا حدثنا ابن حميد قال ثنا بهرام قال ثنا
سفيان عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي رضي الله عنه قال سأله رجل عن البيت
المعمور قال بيت في السماء يقال له الضريح قصد البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم
لا يعودون فيه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه
عن ابن عباس قوله والبيت المعمور قال هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة يصلي فيه كل يوم
سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه حدثنا عبدالله بن أحمد بن شبويه قال ثنا علي
ابن الحسن قال ثنا حسين قال سئل عكرمة وأنا جالس عنده عن البيت المعمور قال بيت
في السماء بحيال الكعبة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن عكرمة
والبيت المعمور قال بيت في السماء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله
والبيت المعمور قال بيت في السماء يقال له الضراح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة والبيت المعمور ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه هل تدرون
ما البيت المعمور قالوا الله ورسوله أعلم قال فانه مسجد في السماء تحته الكعبة لو خرّ لخرّ عليها
أو عليه يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم حدثت عن
الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والبيت المعمور
يزعمون أنه يروح اليه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة ابليس يقال لهم الجن حدثني يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والبيت المعمور قال بيت الله الذي في السماء وقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيت الله في السماء ليدخله كل يوم طلعت شمسه سبعون
ألف ملك ثم لا يعودون فيه أبدا بعد ذلك حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا حجاج قال ثنا
حماد عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور في السماء السابعة
يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة حدثنا محمد بن سنان
القزاز قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا سليمن عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الملك الى السماء السابعة انتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال
هذا بناء بناه الله للملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يقدسون الله ويسبحونه لا يعودون
فيه وقوله والسقف المرفوع يعني بالسقف في هذا الموضع السماء وجعلها سقفا لانها سماء للارض
كسماء البيت الذي هو سقفه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة أن رجلا قال لعلي
رضي الله عنه ما السقف المرفوع قال السماء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا
سفيان عن سماك عن خالد بن عرعرة عن علي قال السقف المرفوع السماء حدثنا ابن حميد
قال ثنا مهران قال ثنا سفيان عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي رضي الله
عنه قال سأله رجل عن السقف المرفوع فقال السماء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر
قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت خالد بن عرعرة قال سمعت عليا يقول والسقف

وأما المحروم فلا تندفع حاجته الا
بعد الاستكشاف والبحث وقيل
المحروم الذي لا ينمى له مال وقيل
هو المنقوص الحظ الذي لا يكاد
يكسب ثم أكد وقوع الحشر
والدلالة على قدرته بقوله (وفي
الارض آيات) كقوله ومن آياته
أنك ترى الارض خاشعة الى قوله
ان الذي أحياها لمحيي الموتى ومن
عجائب الارض ما هي في جرمها من
الاستدارة والالوان المختلفة
وطبقاتها المتباينة ومنها ما هي عليها
وفيها من الجبال والمواليد الثلاثة
ومنها ما هي واردة عليها من فوقها
كالمطر وغيره وخص الآيات
الارضية بالذكر لقربها من الحواس
وخص كونها آيات بالمؤمنين لأنهم
هم المنتفعون بذلك ومن لم يتأمل
في المصنوعات لم يزد يقينه بالصانع
ثم استدل بالانفس فقال (وفي
أنفسكم) آيات وذلك أن الانسان
عالم صغير فيه تشابه من العالم الكبير
وقد مر تقرير ذلك مرارا وقيل هي
الارواح أي وفي نفوسكم التي بها
حياتكم آيات قال أهل النظم هذه
الآية مؤكدة لما قبلها فان من وقف
على هذه الآيات الباهرة تبين له
جلال الله وعظمته فيتقيه ويعبده
ويستغفره من تقصيره ولا يهجع
الا قليلا وهكذا من عرف أن رزقه
في السماء لم يبخل بماله ويعطيه
السائل والمحروم عن الحسن أنه كان
اذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه
رزقكم يعني المطر ولكنكم تحرمونه
(وما توعدون) هي الجنة فوق السماء
السابعة وتحت العرش وقيل ان
أرزاقكم في الدنيا وما توعدون

المرفوع هو السماء قال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد السقف المرفوع قال السماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والسقف المرفوع سقف السماء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والسقف المرفوع سقف السماء وقوله والبحر المسجور اختلف أهل التأويل في معنى البحر المسجور فقال بعضهم الموقد وتأول ذلك والبحر الموقد المحمى ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم فقال البحر فقال ما أراه الا صادقا والبحر المسجور واذا البحار سجرت مخففة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية في قوله والبحر المسجور قال بمنزلة التنور المسجور حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والبحر المسجور قال الموقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والبحر المسجور قال الموقد وقرأ قول الله تعالى واذا البحار سجرت قال أوقدت * وقال آخرون بل معنى ذلك واذا البحار ملئت وقال المسجور المملوء ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والبحر المسجور المتلئ * وقال آخرون بل المسجور الذي قد ذهب ماؤه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله والبحر المسجور قال سجره حين يذهب ماؤه و يفجر * وقال آخرون المسجور المحبوس ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله والبحر المسجور يقول المحبوس * وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال معناه والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض وذلك أن الأغلب من معاني السجر الايقاد كما يقال سجرت التنور بمعنى أوقدت أو الامتلاء على ما وصفت كما قال لبيد

فتوسطا عرض السري وصدعا * مسجورة متجاورا قلامها

وكما قال النمر بن تولب العكلي

اذا شاء طالع مسجورة * ترى حولها النبع والساسما

سقتها رواعد من صيف * وان من خريف فلن يعدما

فاذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر وكان البحر غير موقد اليوم وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور فبطل عنه احدى الصفتين وهو الايقاد صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم وهو الامتلاء لأنه كل وقت ممتلئ * وقيل ان هذا البحر المسجور الذي أقسم به ربنا تبارك وتعالى بحر في السماء تحت العرش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن علي والبحر المسجور قال بحر في السماء تحت العرش * قال ثنا مهران قال وسمعته أنا من اسمعيل قال ثنا مهران عن سفيان عن ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو والبحر المسجور قال بحر تحت العرش حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله والبحر المسجور قال بحر

تحت

في العقبى كلها مقدرة مكتوبة في السماء ثم أنتج من الاخبار السالفة من أول السورة الى ههنا حقيقة القرآن أو النبي أو الموعود وأقسم عليه برب السماء والارض ترقيا من الأدنى وهي المربوبات كالذاريات وغيرها الى الرب تعالى وما مزيدة بنص الخليل حكاه جار الله يقال في الامر الظاهر غاية الظهور ان هذا الحق أنك ترى وتسمع مثل ما أنك ههنا قال الاصمعي أقبلت خارجا من البصرة فطلع أعرابي على قعود فقال من الرجل قلت من بني أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم فقال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على الناس وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فاذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال فهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح فقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقصة ابراهيم وغيرها وقد مرت في هود والحجر وفي قوله (هل أتاك) تفخيم لشأن الحديث والضيف واحد وجمع والمكرمون اما باعتبار اكرامه اياهم حتى خدمهم بنفسه

تحت العرش وقوله ان عذاب ربك لواقع يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ان عذاب ربك لوقع يا محمد لكائن حال بالكافرين به يوم القيامة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان عذاب ربك لواقع وقع القسم ههنا ان عذاب ربك لواقع وذلك يوم القيامة وقوله ماله من دافع يقول ما لذلك العذاب الواقع بالكافرين من دافع يدفعه عنهم فينقذهم منه اذا وقع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا﴾ يقول تعالى ذكره ان عذاب ربك لواقع يوم تمور السماء مورا فيوم من صلة واقع ويعنى بقوله تمور تدور وتكفأ وكان معمر بن المثنى ينشد بيت الأعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها * مور السحابة لا ريث ولا عجل

فالمور على روايته التكفى والترهيل فى المشية وأما غيره فانه كان يرويه مر السحابة واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يوم تمور السماء مورا قال يقول تحريكا حدثنا ابن المثنى وعمرو بن مالك قالا حدثنا أبو معاوية الضرير عن سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يوم تمور السماء مورا قال تدور السماء دورا حدثنا الحسن ابن على الصدائى قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان بن عيينة قال أخبرونى عن معاوية الضرير عنى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم تمور السماء مورا قال تدور دورا حدثنا هرون بن حاتم المقرى قال ثنا سفيان بن عيينة قال ثنى أبو معاوية عنى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم تمور السماء مورا قال تدور دورا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تمور السماء مورا مورها تحريكها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم تمور السماء مورا يعنى استدارتها وتحريكها لأمر الله وموج بعضها فى بعض حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قال قال الضحاك يوم تمور السماء مورا قال تموج بعضها فى بعض وتحريكها لأمر الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم تمور السماء مورا قال هذا يوم القيامة وأما المور فلا علم لنا به * وقال آخرون مورها تشققها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم تمور السماء مورا قال يوم تشقق السماء وقوله وتسير الجبال سيرا يقول وتسير الجبال عن أماكنها من الارض سيرا فتصير هباء منبثا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون﴾ يقول تعالى ذكره فالوادى الذى يسيل من قيح وصديد فى جهنم يوم تمور السماء مورا وذلك يوم القيامة للمكذبين بوقوع عذاب الله للكافرين يوم تمور السماء مورا وكان بعض نحويى البصرة يقول أدخلت الفاء فى قوله فويل يومئذ لأنه فى معنى اذا كان كذا وكذا فأشبه المجازاة لأن المجازاة يكون خبرها بالفاء وقال بعض نحويى الكوفة الأوقات تكون كلها جزاء مع الاستقبال فهذا من ذاك لأنهم قد شبهوا ان وهى أصل الجزاء بحين وقال ان مع يوم اضمار فعل وان كان التأويل جزاء لأن الاعراب يأخذ ظاهر الكلام وان كان المعنى جزاء وقوله الذين هم فى خوض يلعبون يقول الذين هم فى فتنة واختلاط فى الدنيا يلعبون غافلين عما هم صائرون اليه من عذاب الله فى الآخرة وقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا يقول تعالى ذكره فويل للمكذبين يوم يدعون وقوله يوم يدعون ترجمة عن قوله يومئذ وابدال منه وعنى بقوله يدعون يدفعون بارهاق

وبامرأته أولأنهم أهل الاكرام عند الله كقوله بل عباد مكرمون وجوز أن يكون نصب اذ دخلوا بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم أو بما فى ضيف من معنى الفعل قال المفسرون أنكرهم للسلام الذى هو علم الاسلام أو أراد تعرف حالهم لانهم لم يكونوا من معارفه (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيوفه وهو نوع أدب للمضيف كيلا يستحيوا منه ولا يبادروا بالاعتذار والمنع من الضيافة وفى قوله (فقربه اليهم) دلالة على أن نقل الطعام الى الضيف أولى من العكس لئلا يتشوش المكان عليهم (قال ألا تأكلون) سلوك لطريقة الاستئناف ولهذا حذف الفاء خلاف ما فى الصافات وقدمر والاستفهام لانكار ترك الأكل أو للحث عليه (فأوجس) فأضمر وقد تقدم سائر الابحاث فى هود وفى الصافات واعلم أنه سبحانه ذكر فى هود أنه لما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وقال ههنا سلام قوم منكرون ولا تنافى بين الحديثين لانه أنكرهم أولا بالسلام الذى لم يكن من عادة تلك الشريعة ثم زاد انكاره حين رآهم لا يأكلون الطعام فذكر أحد الانكارين فى تلك السورة والآخر فى هذه قوله (فأقبلت امرأته فى صرة) أى فى صيحة ومنه صرير القلم قال الحسن كانت فى زاوية تنظر اليهم فوجدت حرارة الدم فأقبلت الى بيتها صارة فلطمت وجهها من الحياء والتعجب كعادة النسوان (وقالت) أنا (عجوز) فأجابت الملائكة (كذلك) أى

وازعاج يقال منه دععت فى قفاه اذا دفعت فيه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس يوم يدعون الى نار جهنم دعا قال يدفع فى أعناقهم حتى يردوا النار حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا يقول يدفعون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا قال يدفعون فيها دفعا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة يوم يدعون الى نار جهنم دعا يقول يدفعون الى نار جهنم دفعا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يوم يدعون الى نار جهنم قال يدفعون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يوم يدعون الى نار جهنم دعا قال يزعجون اليها ازعاجا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا الدع الدفع والارهاق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله يوم يدعون الى نار جهنم دعا قال يدفعون دفعا وقرأ قول الله تبارك وتعالى فذلك الذى يدع اليتيم قال يدفعه ويغلظ عليه وقوله هذه النار التى كنتم بها تكذبون يقول تعالى ذكره يقال لهم هذه النار التى كنتم بها فى الدنيا تكذبون فتجحدون ان تردوها وتصلوها أو يعاقبكم بها ربكم وترك ذكر يقال لهم اجتزاء بدلالة الكلام عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى مخبرا عما يقال لهؤلاء المكذبين الذين وصف صفتهم اذا وردوا جهنم يوم القيامة أفسحر أيها القوم هذا الذى وردتموه الآن أم أنتم لا تعاينونه ولا تبصرونه وقيل هذا لهم توبيخا لا استفهاما وقوله اصلوها يقول ذوقوا حر هذه النار التى كنتم بها تكذبون ردوها فاصبروا على ألمها وشدتها أولا تصبروا على ذلك سواء عليكم صبرتم أولم تصبروا انما تجزون ما كنتم تعملون يقول ما تجزون الا أعمالكم أى لا تعاقبون الا على معصيتكم فى الدنيا ربكم وكفركم به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فى جنات يقول فى بساتين ونعيم فيها وذلك فى الآخرة وقوله فاكهين يقول عندهم فاكهة كثيرة وذلك نظير قول العرب للرجل يكون عنده تمر كثير رجل تامر أو يكون عنده لبن كثير فيقال هو لابن كما قال الحطيئة

أغررتنى وزعمت أنـــك لابن فى الصيف تامر

وقوله بما آتاهم ربهم يقول عندهم فاكهة كثيرة باعطاء الله اياهم ذلك ووقاهم ربهم عذاب الجحيم يقول ورفع عنهم ربهم عقابه الذى عذب به أهل الجحيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين﴾ يقول تعالى ذكره كلوا واشربوا يقال لهؤلاء المتقين فى الجنات كلوا أيها القوم مما آتاكم ربكم واشربوا من شرابها هنيئا لا تخافون مما تأكلون وتشربون فيها أذى ولا غائلة بما كنتم تعملون فى الدنيا لله من الأعمال وقوله متكئين (١) على سرر مصفوفة قد جعلت صفوفا وترك قوله على نمارق

اكتفاء

مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) فلا تستبعدى وروى أن جبرائيل قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة فحينئذ أحس ابراهيم صلوات الرحمن عليه بأنهم ملائكة (قال فما خطبكم) شأنكم وطلبكم فأجابوا بأنهم أرسلوا الى قوم لوط ليرسلوا عليهم السجيل كما قصصنا فى هود والضمير فى قوله (فيها) للقرية وان لم يجر لها ذكر لأنه معلوم قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن الايمان والاسلام واحد وقال غيرهم المسلم أعم من المؤمن واطلاق العام على الخاص مما لامنع فيه ولا يدل على اتحادهما وهذا كقول القائل من فى البيت من الناس فيقول له ما فى البيت من الحيوان أحد غير زيد فيكون مخبرا له بخلو البيت عن كل انسان غير زيد وقوله (وتركنا فيها آية) كقوله فى العنكبوت ولقد تركنا منها آية بينة أى علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم وهى الحجارة المسومة أو ماء أسود قوله (وفى موسى) قيل الأقرب أن يكون معطوفا على قوله وتركنا فيها أى وجعلنا فى موسى آية قال جار الله هو كقول من قال

* علفتها تبنا وماء باردا * ويمكن أن يقال ان قصة موسى أيضا آية متروكة باقية على وجه الدهر فلا حاجة الى هذا التكلف قوله (فتولى بركنه) كقوله ونأى بجانبه وقيل الباء للمصاحبة والركن القوم أى فازور وأعرض مع ما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقيل ركنه هامان وزيره قال العلماء وصفه

(١) لعل الأصل متكئين على نمارق على سرر الخ بدليل ما بعده تأمل

اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه وقوله وزوجناهم بحور عين يقول تعالى ذكره وزوجنا
الذكور من هؤلاء المتقين أزواجا بحور عين من النساء يقول الرجل زوج هذا الخف الفرد أو النعل
الفرد بهذا الفرد بمعنى اجعلهما زوجا وقد بينا معنى الزوج فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا
والحور جمع حوراء وهي الشديدة بياض مقلة العين في شدة سواد الحدقة وقد ذكرت اختلاف
أهل التأويل في ذلك وبينت الصواب فيه عندنا بشواهده المغنية عن اعادتها في هذا الموضع
والعين جمع عيناء وهي العظيمة العين في حسن وسعة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين
آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب
رهين﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم
بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم المؤمنين في الجنة وان كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم
المؤمنين وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شئ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار
قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
في هذه الآية والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان قال ان الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته
وان كانوا دونه في العمل ليقر الله بهم عينه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان
عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله تبارك وتعالى ليرفع ذرية المؤمن
في درجته وان كانوا دونه في العمل ليقرّ بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان
ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان
عن عمرو بن مرة الجملي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله تبارك وتعالى ليرفع ذرية
المؤمن معه في درجته ثم ذكر نحوه غير أنه قرأ وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم
حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا سفيان بن سعيد عن
سماعة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا
محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال
في هذه الآية والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان قال المؤمن ترفع له ذريته فيلحقون به وان
كانوا دونه في العمل * وقال آخرون بل معنى ذلك والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم التي بلغت
الايمان بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار التي لم تبلغ الايمان وما ألتنا الآباء من عملهم من شئ
ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه
عن ابن عباس قوله والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم يقول الذين أدرك
ذريتهم الايمان فعملوا بطاعتي ألحقتهم بإيمانهم الى الجنة وأولادهم الصغار تلحقهم بهم حدثت
عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذين
آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم يقول من أدرك ذريته الايمان فعملوا بطاعتي
ألحقتهم بآبائهم في الجنة وأولادهم الصغار أيضا على ذلك * وقال آخرون نحو هذا القول غير أنهم
جعلوا الهاء والميم في قوله ألحقنا بهم من ذكر الذرية والهاء والميم في قوله ذريتهم الثانية من ذكر
الذين وقالوا معنى الكلام والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم الصغار وما ألتنا الكبار من عملهم من شئ
ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين آمنوا
وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال أدرك أبناؤهم الاعمال التي عملوا فاتبعوهم
عليها واتبعتهم ذرياتهم التي لم يدركوا الاعمال فقال الله جل ثناؤه وما ألتناهم من عملهم من شئ

فرعون بالمليم مع انه وصف يونس
النبي به صلى الله عليه وسلم كما مر في
الصافات لا يوجب اشتراكهما
في استحقاق الملامة لأن موجبات
اللوم تختلف فراكب الكبيرة ملوم
على قدرها ومقترف الصغيرة ملوم
بحسبها وبينهما بون العقيم ريح
لا خير فيها من انشاء مطر أو ألقاح
شجر والرميم مارم وتفتت قال في
الكشاف (تمتعوا حتى حين) تفسيره
في قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام
قلت هذا سهو منه فان قوله فعتوا
عن أمر ربهم لا يطابقه اذ العتو لم
يترتب على هذا الامر لحصوله قبله
وانما الصواب أن يكون التمتع
المأمور به في هذه الآية هو الذي
في قصة قوم يونس فآمنوا فمتعناهم
الى حين فكأن قوم ثمود أمروا أن
يؤمنوا كي يمهلوا الى انقضاء آجالهم
الطبيعية والامر أمر تكليف
لا تكوين (فعتوا عن أمر ربهم)
بالاصرار على كفرهم فقيل على
سبيل التكوين تمتعوا في داركم
ثلاثة أيام وكان ذلك علامة العذاب
والصاعقة النازلة نفسها (وهم
ينظرون) أي كانت نهارا يعاينونها
أو كانوا منتظرين لها اذ قيل لهم
تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فما
استطاعوا من قيام) عبارة عن
جثومهم كما مرّ مرارا (وما كانوا
منتصرين) ممتنعين من العذاب
وقصة نوح واضحة وقد مرّ اعرابه
في الوقوف ثم عاد الى دلائل القدرة
فقال (والسماء بنيناها بأيد) وفي لفظ
البناء اشارة الى كونها محكمة البنيان
وفي قوله بأيد أي بقوة تأكيد لذلك

قال يقول لم نظلمهم من عملهم من شئ فننتقصهم فنعطيه ذرياتهم الذين ألحقناهم بهم الذين لم يبلغوا الأعمال ألحقتهم بالذين قد بلغوا الأعمال * وقال آخرون بل معنى ذلك والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم فأدخلناهم الجنة بعمل آبائهم وما ألتنا الآباء من عملهم من شئ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت داود يحدث عن عامر أنه قال في هذه الآية والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ فأدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة ولم ينقص الله الآباء من عملهم شيأ قال فهو قوله وما ألتناهم من عملهم من شئ حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن سعيد بن جبير أنه قال في قول الله ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ قال ألحق الله ذرياتهم بآبائهم ولم ينقص الآباء من أعمالهم فيرده على أبنائهم * وقال آخرون انما عني بقوله ألحقنا بهم ذرياتهم أعطيناهم من الثواب ما أعطينا الآباء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سمعت ابراهيم في قوله وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص من أجورهم شيأ حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن قيس بن مسلم عن ابراهيم وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال أعطوا مثل أجورهم ولم ينقص من أجورهم * قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع وأتبعناهم ذرياتهم بايمان يقول أعطيناهم من الثواب ما أعطيناهم وما ألتناهم من عملهم من شئ يقول ما نقصنا آباءهم شيأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم كذلك قالها يزيد ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال عملوا بطاعة الله فألحقهم الله بآبائهم * وأولى هذه الاقوال بالصواب وأشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل القول الذي ذكرنا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهو والذين آمنوا بالله ورسوله وأتبعناهم ذرياتهم الذين أدركوا الايمان بايمان وآمنوا بالله ورسوله ألحقنا بالذين آمنوا ذريتهم الذين أدركوا الايمان فآمنوا في الجنة فجعلناهم معهم في درجاتهم وان قصرت أعمالهم عن أعمالهم تكرمة منا لآبائهم وما ألتناهم من أجور عملهم شيأ وانما قلت ذلك أولى التأويلات به لأن ذلك الأغلب من معانيه وان كان للاقوال الأخر وجوه واختلفت القراء في قراءة قوله وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة واتبعتهم ذريتهم على التوحيد بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم على الجمع وقرأته قراء الكوفة واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم كلتيهما بافراد وقرأه بعض قراء البصرة وهو أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم * والصواب من القول في ذلك أن جميع ذلك قراآت معروفات مستفيضات في قراءة الأمصار متقاربات المعاني فبأيتها قرأ القارئ فمصيب وقوله وما ألتناهم من عملهم من شئ يقول تعالى ذكره وما ألتنا الآباء يعني بقوله وما ألتنا وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيأ فنأخذه منهم فنجعله لأبنائهم الذين ألحقناهم بهم ولكنا وفيناهم أجور أعمالهم وألحقنا أبناءهم بدرجاتهم تفضلا منا عليهم والألت في كلام العرب النقص والبخس وفيه لغة أخرى ومالتناهم ولم يقرأ بها أحد نعلمه ومن الألت قول الشاعر

أبلغ بني ثعل عني مغلغلة * جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا

يعني لا نقصان ولا زيادة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

وما

وفي قوله (وانا لموسعون) مزيد تأكيد والمعنى لقادرون من الوسع الطاقة والموسع القوي على الانفاق ومنه قال الحسن أراد انا لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بين السماء وبين الارض سعة وانما أطلق الفرش على الأرض ولم يطلق البناء لأنها محل التغييرات كالبساط يفرش ويطوى (ومن كل شئ) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعدد الحسن أشياء كالسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة قال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له وقد يدور في الخلد أن الآية اشارة الى أن كل ما سوى الله تعالى فانه مركب نوع تركيب لا أقل من الوجود والامكان أو الجنس والفصل أو المادة والصورة ولذلك قال (لعلكم تذكرون) له ارادة ترقيكم من المركب الى البسيط ومن الممكن الى الواجب ومن المصنوع الى الصانع واذا عرفتم الله (ففروا الى الله) أي التجؤا اليه ولا تعبدوا غيره أمر بالاقبال عليه وبالاعراض عما سواه وكرر قوله (اني لكم منه نذير مبين) للتأكيد وبعد توضيح البيانات وذكر القصص وتقرير الدلائل سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (كذلك) أي الامر مثل الذي تقرر من تكذيب الرسل واصرار الكفرة على الانكار والسب ثم فسر ما أجمله بقوله (ما أتى) الى آخره وقوله (أتواصوا به) استفهام على سبيل التعجب من تطابق آرائهم على تكذيب أنبيائهم ثم أضرب عن ذلك لأن تطابق المتقدم والمتأخر

وماألتناهم من عملهم من شئ قال ما نقصناهم من عملهم من شئ حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما ألتناهم من عملهم من شئ يقول مانقصناهم وحدثنى موسى بن عبدالرحمن قال ثنا موسى بن بشر قال ثنا سفيان بن سعيد عن سماعة ابن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وما ألتناهم من عملهم من شئ قال ومانقصناهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما ألتناهم من عملهم من شئ قال مانقصنا الآباء للابناء حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ما نقصنا الآباء للأبناء وما ألتناهم قال وما نقصناهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وما ألتناهم من عملهم من شئ قال نقصناهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس وما ألتناهم من عملهم من شئ يقول ما نقصنا آباءهم شيأ * قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير وما ألتناهم قال وماظلمناهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما ألتناهم من عملهم من شئ يقول وماظلمناهم من عملهم من شئ حدثنى محمد بن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وما ألتناهم من عملهم من شئ يقول وماظلمناهم وحدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما ألتناهم يقول وماظلمناهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما ألتناهم من عملهم قال يقول لم نظلمهم من عملهم من شئ لم ننتقصهم فنعطيه ذرياتهم الذين ألحقناهم بهم لم يبلغوا الأعمال ألحقهم بالذين قد بلغوا الاعمال وما ألتناهم من عملهم من شئ قال لم يأخذ عمل الكبار فيجزيه الصغار أدخلهم برحمته والكبار عملوا فدخلوا بأعمالهم وقوله كل امرئ بما كسب رهين يقول كل نفس بما كسبت وعملت من خير وشر مرتهنة لا يؤاخذ أحد منهم بذنب غيره وانما يعاقب بذنب نفسه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ يقول تعالى ذكره وأمددنا هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله واتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجنة بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان وقوله يتنازعون فيها كأسا يقول يتعاطون فيها كأس الشراب ويتداولونها بينهم كما قال الأخطل

نازعته طيب الراح الشمول وقد * صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

وقوله لا لغو فيها يقول لا باطل فى الجنة والهاء فى قوله فيها من ذكر الكأس ويكون المعنى لا فيها من الشراب بمعنى أن أهلها لا لغو عندهم فيها ولا تأثيم واللغو الباطل وقوله ولا تأثيم يقول ولا فعل فيها يؤثم صاحبه وقيل عنى بالتأثيم الكذب ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا لغو فيها يقول لا باطل فيها وقوله ولا تأثيم يقول لا كذب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا لغو فيها قال لا يستبون ولا تأثيم يقول ولا يؤثمون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا لغو فيها ولا تأثيم أى لا لغو فيها ولا باطل انما كان الباطل فى الدنيا مع الشيطان وحدثنا ابن عبدالأعلى

على أمر واحد غير ممكن فنبه على جلية الحال قائلا (بل هم قوم طاغون) يعنى أن اشتراك علة التكذيب وهو الطغيان أشركهم فى المعلول (فتول عنهم) فان تكذيبهم لا يوجب ترك الدعوة العامة (فما أنت بملوم) على اعراضك عنهم بعد التبليغ لأنك قد بذلت مجهودك واستفرغت وسعك (وذكر) مع ذلك (فان الذكرى تنفع المؤمنين) أراد أن الاعراض عن طائفة معلومة لعدم قابليتهم لا يوجب ترك البعض الآخر ثم بين الغاية من خلق الثقلين وهى العبادة وللمعتزلة فيه دليل ظاهر على أن أفعال الله معللة بغرض وقال أهل السنة ان العبادة المعرفة والاخلاص له فى ذلك فان المعرفة أيضا غاية صحيحة وانما الخلاص عن الاشكال بما سلف مرارا أن استتباع الغاية لا يوجب كون الفعل معللا بها واذا لم يكن الفعل معللا بذلك فقد يكون الفعل وتخلف الغاية لمانع كعدم قابلية ونحوه ثم ذكر أنه خلقهم لينجوا عليه لا ليربح هو عليهم والمتين الشديد القوة ثم هدد مشركى مكة وأضرابهم بقوله (فان للذين ظلموا ذنوبا) أى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) المهلكين والذنوب فى الاصل الدلو العظيمة قال أهل البيان هذا تمثيل واصله من تقسيم الماء يكون لهذا دلو ولهذا دلو واليوم الموعود القيامة أو يوم بدر

* (سورة الطور مكية حروفها ألف وخمسمائة كلمها ثلثمائة واثنتا عشرة آياتها تسع وأربعون) *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين أم خلقوا

قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم قال ليس فيها لغو ولا باطل انما كان اللغو والباطل في الدنيا واختلفت القراء في قراءة قوله لا لغو فيها ولا تأثيم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة لا لغو فيها ولا تأثيم بالرفع والتنوين على وجه الخبر على أنه ليس في الكأس لغو ولا تأثيم وقرأه بعض قراء البصرة لا لغو فيها ولا تأثيم نصبا غير منون على وجه التبرئة والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كان الرفع والتنوين أعجب القراءتين الي لكثرة القرأة بها وأنها أصح المعنيين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ يقول تعالى ذكره ويطوف على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في الجنة غلمان لهم كأنهم لؤلؤ في بياضه وصفائه مكنون يعني مصون في كن فهو أنقى له وأصفى لبياضه وانما عنى بذلك أن هؤلاء الغلمان يطوفون على هؤلاء المؤمنين في الجنة بكؤس الشراب التي وصف جل ثناؤه صفتها وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال والذي نفس محمد بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وحدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله كأنهم لؤلؤ مكنون قال بلغني أنه قيل يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ فكيف المخدوم قال والذي نفسي بيده ان فضل ما بينهما كفضل القمر ليلة البدر على النجوم وقوله وأقبل بعضهم على بعض الآية يقول تعالى ذكره وأقبل بعض هؤلاء المؤمنين في الجنة على بعض يسأل بعضهم بعضا وقد قيل ان ذلك يكون منهم عند البعث من قبورهم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال اذا بعثوا في النفخة الثانية ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم ﴾ يقول تعالى ذكره قال بعضهم لبعض انا أيها القوم كنا في أهلنا في الدنيا مشفقين خائفين من عذاب الله وجلين أن يعذبنا ربنا اليوم فمنّ الله علينا بفضله ووقانا عذاب السموم يعني عذاب النار يعني فنجانا من النار وأدخلنا الجنة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله عذاب السموم قال عذاب النار وقوله انا كنا من قبل ندعوه يقول انا كنا في الدنيا من قبل يومنا هذا ندعوه يقول نعبده مخلصا له الدين لا نشرك به شيئا انه هو البر يعني اللطيف بعباده كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انه هو البر يقول اللطيف وقوله الرحيم يقول الرحيم بخلقه أن يعذبهم بعد توبتهم واختلفت القراء في قراءة قوله انه هو البر فقرأته عامة قراء المدينة أنه بفتح الالف بمعنى انا كنا من قبل ندعوه لأنه هو البر أو بانه هو البر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة بالكسر على الابتداء * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فذكر يا محمد من أرسلت اليه من قومك وغيرهم وعظهم بنعم الله عندهم فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون يقول فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهن ولا مجنون له رئي يخبر عنه قومه ما أخبره به ولكنك

رسول الله والله لا يخذلك ولكنه ينصرك وقوله أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون يقول جل ثناؤه بل يقول المشركون يا محمد لك هو شاعر نتربص به حوادث الدهر يكفيناه بموت أو حادثة متلفة ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت عباراتهم عنه فقال بعضهم فيه كالذى قلنا وقال بعضهم هو الموت ذكر من قال عنى بقوله ريب المنون حوادث الدهر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ريب المنون قال حوادث الدهر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قال قال مجاهد ريب المنون حوادث الدهر * ذكر من قال عنى به الموت حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ريب المنون يقول الموت حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله نتربص به ريب المنون قال يتربصون به الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قال قال ذلك قائلون من الناس تربصوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الموت يكفيكموه كما كفاكم شاعر بنى فلان وشاعر بنى فلان حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ريب المنون قال هو الموت نتربص به الموت كما مات شاعر بنى فلان وشاعر بنى فلان وحدثنى سعيد بن يحيى الاموى قال ثنى أبى قال ثنا محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أن قريشا لما اجتمعوا فى دار الندوة فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم احبسوه فى وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو كأحدهم فأنزل الله فى ذلك من قولهم أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله نتربص به ريب المنون الموت وقال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها * سيهلك عنها بعلها أو شحيح (١)

* وقال آخرون معنى ذلك ريب الدنيا وقالوا المنون الموت ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى سنان ريب المنون قال ريب الدنيا والمنون الموت وقوله قل تربصوا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يقولون لك انك شاعر نتربص بك ريب المنون تربصوا أى انتظروا وتمهلوا فى ريب المنون فانى معكم من المتربصين بكم حتى يأتى أمر الله فيكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين﴾ يقول تعالى ذكره أتأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد صلى الله عليه وسلم هو شاعر وان ما جاء به شعر أم هم قوم طاغون يقول جل ثناؤه ما تأمرهم بذلك أحلامهم وعقولهم بل هم قوم طاغون قد طغوا على ربهم فتجاوزوا ما أذن لهم وأمرهم به من الايمان الى الكفر به ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم تأمرهم أحلامهم بهذا قال كانوا يعدّون فى الجاهلية أهل الأحلام فقال الله أم تأمرهم أحلامهم بهذا أن يعبدوا أصناما بكما صما ويتركوا عبادة الله فلم تنفعهم أحلامهم حين كانت لدنياهم ولم تكن عقولهم فى دينهم لم تنفعهم أحلامهم وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يتأوّل قوله أم تأمرهم أحلامهم بل تأمرهم ونحو الذى قلنا فى تأويل قوله أم هم قوم طاغون أيضا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا

من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾ ۞ القرا آت فكهين مقصورا يزيد وأتبعناهم من باب الافعال أبو عمرو وذريتهم على التوحيد مرفوعا ذرياتهم على الجمع أبو جعفر ونافع وقرأ أبو عمرو على الجمع فيهما منصوبا وقرأ ذرياتهم ابن عامر وسهل ويعقوب على الجمع أيضا ولكن برفع الأول الباقون على التوحيد فيهما الأول مرفوع والثانى منصوبا ألتناهم بكسر اللام ثلاثيا ابن كثير لؤلؤ بتليين الهمزة الأولى شجاع ويزيد وأبو بكر وحماد وحمزة فى الوقف كما مر فى الحج أنه هو البرّ بفتح الهمزة أبو جعفر ونافع وعلىّ انا كنا ندعوه لانه المسيطرون بالسين ابن كثير فى رواية وابن عامر والآخرون بالصاد وقرأ حمزة فى رواية باشمام الراء

---

(١) كذا فى الاصل ولعله أو تشيخ وحرر كتبه مصححه

سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فى قوله أم هم قوم طاغون قال بل هم قوم طاغون
حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن عثمان بن الاسود عن مجاهد أم هم قوم طاغون قال بل هم
قوم طاغون وقوله أم يقولون تقوّله يقول تعالى ذكره أم يقول هؤلاء المشركون تقوّل محمد هذا
القرآن وتخلقه وقوله بل لا يؤمنون يقول جل ثناؤه كذبوا فيما قالوا من ذلك بل لا يؤمنون
فيصدقوا بالحق الذى جاءهم من عند ربهم وقوله فليأتوا بحديث مثله يقول جل ثناؤه فليأت
قائلو ذلك له من المشركين بقرآن مثله فانهم من أهل لسان محمد صلى الله عليه وسلم ولن يتعذر عليهم
أن يأتوا من ذلك بمثل الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ان كانوا صادقين فى أن محمدا صلى الله عليه
وسلم تقوّله وتخلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا
السموات والارض بل لا يوقنون﴾ يقول تعالى ذكره أخلق هؤلاء المشركون من غير شئ أى من
غير آباء ولا أمهات فهم كالجماد لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة ولا يعتبرون له بعبرة ولا يتعظون
بموعظة وقد قيل ان معنى ذلك أم خلقوا لغير شئ كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شئ
بمعنى لغير شئ وقوله أم هم الخالقون يقول أم هم الخالقون هذا الخلق فهم لذلك لا يأتمرون لأمر
الله ولا ينتهون عما نهاهم عنه لأن للخالق الأمر والنهى أم خلقوا السموات والارض يقول أخلقوا
السموات والارض فيكونوا هم الخالقين وانما معنى ذلك لم يخلقوا السموات والارض بل
لا يوقنون يقول لم يتركوا أن يأتمروا لأمر ربهم وينتهوا الى طاعته فيما أمر ونهى لأنهم خلقوا
السموات والارض فكانوا بذلك أربابا ولكنهم فعلوا لأنهم لا يوقنون بوعيد الله وما أعد لأهل
الكفر به من العذاب فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم عندهم خزائن ربك أم هم
المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين﴾ يقول تعالى ذكره أعند
هؤلاء المكذبين بآيات الله خزائن ربك يا محمد فهم لاستغنائهم بذلك عن آيات ربهم معرضون
أم هم المسيطرون اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أم هم المسلطون
ذكر من قال ذلك حدثنى علىّ قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
قوله أم هم المسيطرون يقول المسلطون * وقال آخرون بل معنى ذلك أم هم المنزلون ذكر من
قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن
ابن عباس قوله أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون قال يقول أم هم المنزلون * وقال آخرون
بل معنى ذلك أم هم الأرباب وممن قال ذلك معمر بن المثنى قال يقال سيطرت علىّ أى اتخذتنى
خولا لك * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أم هم الجبارون المتسلطون
المستكبرون على الله وذلك أن المسيطر فى كلام العرب الجبار المتسلط ومنه قول الله لست عليهم
بمسيطر يقول لست عليهم بجبار مسلط وقوله أم لهم سلم يستمعون فيه يقول أم لهم سلم يرتقون
فيه الى السماء يستمعون عليه الوحى فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذى هم عليه حق فهم
بذلك متمسكون بما هم عليه وقوله فليأت مستمعهم بسلطان مبين يقول فان كانوا يدّعون ذلك
فليأت من يزعم أنه استمع ذلك فسمعه بسلطان مبين يعنى بحجة تبين أنها حق كما أتى محمد صلى الله
عليه وسلم بها على حقيقة قوله وصدقه فيما جاءهم به من عند الله والسلم فى كلام العرب السبب
والمرقاة ومنه قول ابن مقبل

لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولا * تبنى له فى السموات السلاليم

ومنه قوله جعلت فلانا سلما لحاجتى اذا جعلته سببا لها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم

يصعقون مبنيا للمفعول ابن عامر
وعاصم وادبار النجوم بالفتح زيد
عن يعقوب ۞ الوقوف والطور ٥ لا
مسطور ٥ لا منشور ٥ لا المعمور
٥ لا المرفوع ٥ لا المسجور ٥ لا
لواقع ٥ لا من دافع ٥ لا مورا ٥ لا
سيرا ط للمكذبين ٥ لا يلعبون ٥ م
دعا ط لان التقدير يقال لهم هذه
النار تكذبون ٥ لا تبصرون ٥
تصبروا ٥ لاختلاف الجملتين مع
اتفاق المعنى عليكم ط تعملون ٥
ونعيم ٥ لا آتاهم ربهم ج لاحتمال
العطف واتضاح وجه الحال أى
وقد وقاهم الجحيم ٥ تعملون ٥ لا
مصفوفة ج عين ٥ شئ ٥
رهين ٥ يشتهون ٥ ولا تأثيم ٥
مكنون ٥ يتساءلون ٥ مشفقين
٥ السموم ٥ ندعوه ٥ ط لمن قرأ
انه بالكسر الرحيم ٥ مجنون ٥
لان أم ابتداء استفهام وتوبيخ
المنون ٥ المتربصين ٥ ط لما قلنا
طاغون ٥ ج لاحتمال ابتداء
الاستفهام والجواب بقوله بل
لا يؤمنون ٥ ج للآية مع الفاء
صادقين ٥ ط الخالقون ٥ ط
والارض ج لان بل للاضراب مع
العطف لا يوقنون ٥ المسيطرون
٥ ط فيه ج لتناهى الاستفهام مع
فاء التعقيب مبين ٥ ط البنون ٥ ط
مثقلون ٥ يكتبون ط كيدا ط
المكيدون ٥ ط والضابط فيما تقدم
أن كلما وصل أم فهو للجواب
وما قطع فهو بمعنى ألف الاستفهام
غير الله ط يشركون ٥ مركوم ٥
يصعقون ٥ لا لان يوم بدل
ما تقدمه ينصرون ٥ ط لا يعلمون
٥ تقوم ٥ لا النجوم ٥

له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش ألربكم أيها القوم البنات ولكم البنون ذلك اذا قسمة ضيزى وقوله أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أتسأل هؤلاء المشركين الذين أرسلناك اليهم يا محمد على ما تدعوهم اليه من توحيد الله وطاعته ثوابا وعوضا من أموالهم فهم من ثقل ما حملتهم من الغرم لا يقدرون على اجابتك الى ما تدعوهم اليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون يقول هل سألت هؤلاء القوم أجرا يجهدهم فلا يستطيعون الاسلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون قال يقول أسألهم على هذا أجرا فأثقلهم الذى يبتغى أخذه منهم وقوله أم عندهم الغيب فهم يكتبون يقول تعالى ذكره أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ذلك للناس فينبئونهم بما شاؤا ويخبرونهم بما أرادوا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره بل يريد هؤلاء المشركون يا محمد بك وبدين الله كيدا فالذين كفروا هم المكيدون يقول فهم المكيدون الممكور بهم دونك فثق بالله وامض لما أمرك به وقوله أم لهم اله غير الله يقول جل ثناؤه أم لهم معبود يستحق عليهم العبادة غير الله فيجوز لهم عبادته يقول ليس لهم اله غير الله الذى له العبادة من جميع خلقه سبحان الله عما يشركون يقول تنزيها لله عن شركهم وعبادتهم معه غيره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون﴾ يقول تعالى ذكره وان يرهؤلاء المشركون قطعا من السماء ساقطا والكسف جمع كسفة مثل التمر جمع تمرة والسدر جمع سدرة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كسفا يقول قطعا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان يروا كسفا يقول وان يروا قطعا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم يقول جل ثناؤه يقولوا لذلك الكسف من السماء الساقط هذا سحاب مركوم يعنى بقوله مركوم بعضه على بعض وانما عنى بذلك جل ثناؤه المشركين من قريش الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات فقالوا له لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الى قوله علينا كسفا فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان يرهؤلاء المشركون ما سألوا من الآيات فعاينوا كسفا من السماء ساقطا لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب ولقالوا انما هذا سحاب بعضه فوق بعض لان الله قد حتم عليهم أنهم لا يؤمنون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يقولوا سحاب مركوم يقول لا يصدقوا بحديث ولا يؤمنوا بآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم قال حين سألوا الكسف قالوا أسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال يقول لو أنا فعلنا لقالوا سحاب مركوم وقوله فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فدع يا محمد هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يهلكون وذلك عند النفخة الأولى واختلفت القراء فى قراءة قوله فيه يصعقون فقرأته عامة قراء الأمصار سوى عاصم بفتح الياء من يصعقون وقرأه عاصم يصعقون بضم الياء والفتح أعجب القراءتين الينا لأنه أفصح اللغتين

﴿ التفسير لما ختم السورة المتقدمة بوقوع اليوم الموعود أقسم على ذلك بالطور وهو الجبل الذى مر ذكره مرارا فى قصة موسى والكتاب المسطور التوراة ظاهرا لأنه هو المناسب للطور وقيل اللوح المحفوظ وقيل صحيفة الاعمال والرق الصحيفة أو الجلد الذى يكتب عليه والمنشور خلاف المطوى كقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب (والبيت المعمور) الكعبة أو الضراح فى السماء السابعة سمى معمورا لكثرة زواره من الحجاج أو الملائكة (والسقف المرفوع) السماء (والبحر المسجور) المملوء أو الموقد من قوله واذا البحار سجرت وقد سبق فى المؤمن فى قوله ثم فى النار يسجرون عن جبير ابن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه فى الأسارى فألفيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة والطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (يوم تمور) تضطرب وتجىء وتذهب وقد يقال المور تحرك فى تموج كحركة الزئبق ونحوه قلت لأهل التأويل أن يقولوا الطور القوة العقلية وكتاب مسطور هى الخلايا القدسية والمعارف الالهية الثابتة فيها كالحرف فى الرق والبيت المعمور بيت القلب والسقف المرفوع الرأس والبحر المسجور الدماغ المملوء من الخيالات والاوهام ان عذاب ربك بالحرمان عن الاكرام لازدحام ظلم الآثام

وأشهرهما وان كانت الأخرى جائزة وذلك أن العرب تقول صعق الرجل وصعق وسعد وسعد
وقد بينا معنى الصعق بشواهده وما قال فيه أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون
ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ يوم القيامة حتى
يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ثم بين عن ذلك اليوم أى يوم هو فقال يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ
يعنى مكرهم أنه لا يدفع عنهم من عذاب الله شيأ فاليوم الثانى ترجمة عن الأول وقوله ولا هم
ينصرون يقول ولا هم ينصرهم ناصر فيستقيد لهم ممن عذبهم وعاقبهم وقوله وان للذين ظلموا
عذابا دون ذلك اختلف أهل التأويل فى العذاب الذى توعد الله به هؤلاء الظلمة من دون يوم
الصعقة فقال بعضهم هو عذاب القبر ذكر من قال ذلك حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى قال
أخبرنا شريك عن أبى اسحق عن البراء عذابا دون ذلك قال عذاب القبر حدثنى على قال ثنا
أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وقوله وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك يقول
عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن
ابن عباس كان يقول انكم لتجدون عذاب القبر فى كتاب الله وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن ابن عباس كان يقول ان
عذاب القبر فى القرآن ثم تلا وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك * وقال آخرون عنى بذلك الجوع
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله عذابا دون
ذلك قال الجوع * وقال آخرون عنى بذلك المصائب التى تصيبهم فى الدنيا من ذهاب الأموال
والأولاد ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان
للذين ظلموا عذابا دون ذلك قال دون الآخرة فى هذه الدنيا ما يعذبهم به من ذهاب الأموال
والأولاد قال فهى للمؤمنين أجر وثواب عند الله عدا مصائبهم ومصائب هؤلاء عجلهم الله اياها فى
الدنيا وقرأ ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الى آخر الآية * والصواب من القول فى ذلك عندى
أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابا دون يومهم الذى فيه
يصعقون وذلك يوم القيامة فعذاب القبر دون يوم القيامة لأنه فى البرزخ والجوع الذى أصاب
كفار قريش والمصائب التى تصيبهم فى أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة ولم يخصص
الله نوعا من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عم فقال وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك
فكل ذلك لهم عذاب وذلك لهم دون يوم القيامة فتأويل الكلام وان للذين كفروا بالله عذابا من
الله دون يوم القيامة ولكن أكثرهم لا يعلمون بأنهم ذائقو ذلك العذاب ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار
النجوم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واصبر لحكم ربك يا محمد الذى حكم به
عليك وامض لأمره ونهيه وبلغ رسالاته فانك بأعيننا يقول جل ثناؤه فانك بمرأى منا نراك ونرى
عملك ونحن نحوطك ونحفظك فلا يصل اليك من أرادك بسوء من المشركين وقوله وسبح بحمد
ربك اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك اذا قمت من نومك فقل
سبحان الله وبحمده ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا ابو أحمد قال ثنا سفيان
عن أبى اسحق عن أبى الأحوص فى قوله وسبح بحمد ربك حين تقوم قال من كل منامه يقول

لواقع يوم القيامة الصغرى اذ تمور
سماء الارواح حين قطع العلائق
وحيلولة العوائق مورا وتسير
جبال النفوس الحيوانية الأمارة
التى أثقلت ظهرها صاحبها لانتهاء
سيرانها وانقضاء سلطانها سيرا
والدع الدفع العنيف قال المفسرون
ان خزنة النار يغلون أيديهم الى
أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى
أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا
على وجوههم وزجا فى أقفيتهم
والاستفهام فى قوله (أفسحر)
للتقريع والتهكم والفاء مؤكدة أى
كنتم تقولون للوحى انه سحر فهذا
أيضا سحر (أم أنتم لا تبصرون)
هذا المخبر عنه فى الآخرة كما كنتم
لا تصدقون الخبر عنه فى الدنيا
وقوله (فاصبروا أو لا تصبروا)
كقوله سواء علينا أجزعنا أم صبرنا
ثم علل الاستواء بقوله (انما تجزون)
يعنى أن الجزاء لابد من حصوله
فلا مزية للصبر على عدمه قوله
(ووقاهم) معطوف على متعلق
قوله فى جنات أى استقروا فى
جنات ونعيم ووقاهم العذاب
وجوز أن يعطف على آتاهم على أن
ما مصدرية أى فاكهين بالايتاء
والوقاية (كلوا) على ارادة القول
أى يقال لهم كلوا (واشربوا) أكلا
وشربا (هنيئا) أو طعاما وشرابا هنيئا
لا تنغيص فيه وقد مر فى أول
النساء وجوز جار الله أن يكون
صفة فى معنى المصدر القائم مقام
الفعل أى هنأكم الأكل والشرب
بسبب ما عملتم أو الباء مزيدة أى
هنأكم جزاء ما عملتم قوله (والذين
آمنوا) ظاهره أنه مبتدأ خبره ألحقنا

حين يريد أن يقوم سبحانك و بحمدك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عوف بن مالك وسبح بحمد ربك قال سبحان الله و بحمده حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وسبح بحمد ربك حين تقوم قال اذا قام لصلاة من ليل أو نهار وقرأ يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة قال من نوم ذكره عن أبيه وقال بعضهم بل معنى ذلك اذا قمت الى الصلاة المفروضة فقل سبحانك اللهم و بحمدك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك وسبح بحمد ربك حين تقوم قال اذا قام الى الصلاة قال سبحانك اللهم و بحمدك وتبارك اسمك ولا اله غيرك وحدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وسبح بحمد ربك حين تقوم الى الصلاة المفروضة * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك وصل بحمد ربك حين تقوم من منامك وذلك نوم القائلة وانما عنى صلاة الظهر وانما قلت هذا القول أولى القولين بالصواب لان الجميع مجمعون على أنه غير واجب أن يقال في الصلاة سبحانك و بحمدك وماروى عن الضحاك عند القيام الى الصلاة فلو كان القول كما قاله الضحاك لكان فرضا أن يقال لأن قوله وسبح بحمد ربك أمر من الله تعالى بالتسبيح وفي اجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله الضحاك فان قال قائل ولعله أريد به الندب والارشاد قيل لادلالة في الآية على ذلك ولم تقم حجة بأن ذلك معنى به ماقاله الضحاك فيجعل اجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام الى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلا لنا على أنه أريد به الندب والارشاد وانما قلنا عنى به القيام من نوم القائلة لانه لاصلاة تجب فرضا بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف إلا بعد نوم الليل وذلك صلاة الفجر أو بعد نوم القائلة وذلك صلاة الظهر فلما أمر بعد قوله وسبح بحمد ربك حين تقوم بالتسبيح بعد ادبار النجوم وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس من نومها ليلا علم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم هو أمر بالصلاة التي تجب بعد قيام من نوم القائلة على ماذكرنا دون القيام من نوم الليل وقوله ومن الليل فسبحه يقول ومن الليل فعظم ربك يامحمد بالصلاة والعبادة وذلك صلاة المغرب والعشاء وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن الليل فسبحه قال ومن الليل صلاة العشاء و إدبار النجوم يعني حين تدبر النجوم للافول عند اقبال النهار وقيل عنى بذلك ركعتا الفجر ذكر بعض من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فسبحه وادبار النجوم قال هما السجدتان قبل صلاة الغداة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الليل فسبحه و إدبار النجوم كنا نحدث أنهما الركعتان عند طلوع الفجر قال وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول لهما أحب الى من حمر النعم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ركعتي الفجر هما خير من الدنيا جميعا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وادبار النجوم قال ركعتان قبل صلاة الصبح حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وحماد بن مسعدة قالا ثنا حميد عن الحسن عن علي في قوله وادبار النجوم قال الركعتان قبل صلاة الصبح حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال قال علي رضي الله عنه ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر * وقال آخرون عنى بالتسبيح إدبار

قال جار الله هو معطوف على حور عين أي قرناهم بحور عين والذين آمنوا من رفقائهم وجلسائهم وأتبعناهم ذرياتهم كي يجتمع لهم أنواع السرور بملاعبة الحور و بمؤانسة الاخوان المؤمنين و باجتماع أولادهم ونسلهم بهم وقوله (بايمان) أي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء (ألحقنا) بدرجاتهم (ذريتهم) و يجوز أن يراد ايمان الذرية الداني المحل كما جاء في الحديث ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية (وما ألتناهم) أي وما نقصنا من ثوابهم شيأ بعطية الأبناء ولا بسبب غيرها ولكن وفرنا عليهم جميع ماذكرنا تفضلا واحسانا ثم بين أن الجزاء بمقدار العمل فقال (كل امرئ بما كسب رهين) أي مرهون قال جار الله كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا أوبقها وقيل هذا يعود الى الكفار والرهين المرهون المأخوذ المحبس على أمر يؤدى عنه وقيل بمعنى راهن وهو المقيم أي كل انسان مقيم في جزاء ما يقدم (وأمددناهم) وزدناهم وقتا بعد وقت (يتنازعون) يتعاطون هم وقرناؤهم (لالغو فيها) أي لاحديث باطل في أثناء شربها ونفي اللغو لانتفاء الغول الذي هو من تعاكيسه (ولا تأثيم) أي لا يفعلون ماينسب صاحبه الى الاثم لوفعله في دار التكليف وانما يتكلمون بالكلام الحسن المفيد

النجوم صلاة الصبح الفريضة ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وادبار النجوم قال صلاة الغداة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وادبار النجوم قال صلاة الصبح * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى بها الصلاة المكتوبة صلاة الفجر وذلك أن الله أمر فقال ومن الليل فسبحه وادبار النجوم والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين ولم تقم حجة يجب التسليم لها أن قوله فسبحه على الندب وقد دللنا فى غير موضع من كتبنا على أن أمر الله على الفرض حتى تقوم حجة بأنه مراد به الندب أو غير الفرض بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع

آخر تفسير سورة الطور

﴿ تفسير سورة والنجم ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله والنجم اذا هوى فقال بعضهم عنى بالنجم الثريا وعنى بقوله اذا هوى اذا سقط قالوا تأويل الكلام والثريا اذا سقطت ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والنجم اذا هوى قال اذا سقطت الثريا مع الفجر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان والنجم اذا هوى قال الثريا وقال مجاهد والنجم اذا هوى قال سقوط الثريا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والنجم اذا هوى قال اذا انصب * وقال آخرون معنى ذلك والقرآن اذا نزل ذكر من قال ذلك حدثنى زياد بن عبد الله الحسانى أبو الخطاب قال ثنا مالك بن سعير قال ثنا الأعمش عن مجاهد فى قوله والنجم اذا هوى قال القرآن اذا نزل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى قال قال عتبة بن أبى لهب كفرت برب النجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تخاف أن يأكلك كلب الله قال فخرج فى تجارة الى اليمن فبينما هم قد عرسوا اذ سمع صوت الأسد فقال لأصحابه انى مأكول فأحدقوا به وضرب على أصمختهم فناموا فجاء حتى أخذه فما سمعوا الا صوته حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا والنجم اذا هوى فقال ابن لأبى لهب حسبته قال اسمه عتبة كفرت برب النجم فقال النبى صلى الله عليه وسلم احذر لا يأكلك كلب الله قال فضرب هامته قال وقال ابن طاوس عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا تخاف أن يسلط الله عليك كلبه فخرج ابن أبى لهب مع ناس فى سفر حتى اذا كانوا فى بعض الطريق سمعوا صوت الأسد فقال ما هو الا يريدنى فاجتمع أصحابه حوله وجعلوه فى وسطهم حتى اذا ناموا جاء الأسد فأخذه من بينهم وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول عنى بقوله والنجم والنجوم وقال ذهب الى لفظ الواحد وهو فى معنى الجميع واستشهد لقوله ذلك بقول راعى الابل

فباتت

وذلك أنهم حكماء علماء والغلمان الخدام المختصون بهم واللؤلؤ المكنون المستور فى الصدف أو فى الدرج وذلك أنه أصفى وأرطب وأثمن وقيل لقتادة هذا هو الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (يتساءلون) يتحادثون (مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله وعذاب السموم عذاب النار لأنها تدخل المسام ومنه الريح السموم (من قبل) أى فى الدنيا (فذكر) فاثبت على ما أنت عليه من التذكير والدعوة العامة (فما أنت بنعمة ربك) أى بسبب حمد الله وانعامه عليك (بكاهن) كما يزعمون (ولا مجنون) فلعله كان لهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوال فبعضهم ينسبونه الى الكهانة نظرا الى إخباره عن المغيبات وبعضهم يرمونه بالجنون حيث لا يسمعون منه ما يوافق هواهم ويطابق مغزاهم وبعضهم يرون أن تأثير كلامه فيهم من باب التخييل لا الاعجاز كما قال (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) وهو ما يقلق النفوس ويزعجها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سمى شعوب وقد قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك الشعراء قبله والاحلام العقول

فباتت تعدّ النجم فى مستحيرة * سريع بأيدى الآكلين جمودها

والصواب من القول فى ذلك عنـدى ماقاله مجاهد من أنه عنى بالنجم فى هذا الموضع الثريا وذلك أن العرب تدعوها النجم والقول الذى قاله من حكينا عنه من أهل البصرة قول لانعلم أحدا من أهل التأويل قاله وإن كان له وجه فلذلك تركنا القول به وقوله ماضلّ صاحبكم وماغوى يقول تعالى ذكره ماحاد صاحبكم أيها الناس عن الحق ولازال عنه ولكنه على استقامة وسداد و يعنى بقوله وماغوى وماصار غويا ولكنه رشيد سديد يقال غوى يغوى من الغى وهو غاو وغوى يغوى من اللبن اذا بشم وقوله ماضـلّ صاحبكم جواب قسم والنجم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وماينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرّة فاستوى وهو بالأفق الأعلى﴾ يقول تعالى ذكره وماينطق محمد بهذا القرآن عن هواه ان هو الاوحى يوحى يقول ماهـذا القرآن الاوحى من الله يوحيه اليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله وماينطق عن الهوى أى ماينطق عن هـواه ان هو الاوحى يوحى قال يوحى الله تبارك وتعـالى الى جبرائيل و يوحى جبريل الى محمد صلى الله عليه وسـلم وقيل عنى بقوله وماينطق عن الهـوى بالهوى وقوله علمه شديد القوى يقول تعالى ذكره علم محمدا صلى الله عليه وسـلم هذا القرآن جبريل عليه السلام وعنى بقوله شديد القوى شديد الأسباب والقوى جمع قوة كما الجثى جمع جثوة والحبى جمع حبوة ومن العرب من يقول القوى بكسر القـاف كما تجمع الرشوة رشا بكسر الراء والحبوة حبا وقد ذكر عن العرب أنها تقول رشـوة بضم الراء و رشوة بكسرها فيجب أن يكون جمع من جمع ذلك رشا بكسر الراء على لغـة من قال واحدها رشـوة وأن يكون جمع من جمع ذلك بضم الراء من لغـة من ضم الراء فى واحدها وان جمع بالكسر من كان من لغته الضم فى الواحدة أو بالضم من كان من لغتـه الكسر فانما هو حمل احدى اللغتين على الاخرى وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله علمه شـديد القوى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة علمه شديد القوى يعنى جبريل حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع علمه شديد القوى قال جبرائيل عليه السلام حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع مثله وقوله ذو مرّة فاسـتوى اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ذو مرّة فقال بعضهم معناه ذو خلق حسن ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ذو مرّة قال ذو منظر حسن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذو مرّة فاسـتوى ذو خلق طويل حسن * وقال آخرون بل معنى ذلك ذو قوة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ذو مرّة فاستوى قال ذو قوة جبريل حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان ذو مرّة قال ذو قوة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذو مرّة فاستوى قال ذو قوة المرّة القوة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع ذو مرّة فاستوى جبريل عليه السلام * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بالمرّة صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات والجسم اذا كان كذلك من الانسان كان قويا وانما قلنا ان ذلك كذلك لان المرّة واحدة المرر وانمـا أريد به ذو مرّة سوية واذا كانت المرة صحيحة كان الانسـان صحيحا

وكانت قريش يدعون أنهم اهـل النهى والأحلام وكون الاحلام أمرتهم مجاز لأدائها الى تلك الأقوال الفاسدة وفيه تقريع وتوبيخ اذلو كان لهم عقل لميزوا بين الحق والباطل والمعجز وغيره (تقوّله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لايؤمنون) جحودا وعنادا وقد صح عندهم اعجاز القرآن والا (فليأتوا بحديث مثله) ثم وبخهم على انكار الصانع بقوله (أم خلقوا من غير شئ) من غير خالق (أم هم الخالقون) أنفسهم وقيل أخلقوا من أجل لاشئ من جزاء وحساب والاول أقوى لقـــوله (أم خلقوا السموات والأرض) ثم احتج عليهـم بالانفس ثم بالآفاق ثم قال (بل لايوقنون) وذلك أنه حكى عنهم ولئن سألتهـم من خلق السموات والارض ليقولن الله فتبين أنهم فى هـذا الاعتراف شاكون اذ لو عرفوه حق معرفتـه لم يثبتوا له ندا ولم يحسدوا من اختاره للرسالة كما وبخهم عليه بقوله (أم عندهم خزائن ربك) حتى يختاروا للنبوة من أرادوه (أم هم المسيطرون) المسلطون الغالبون حتى يدبروا أمر العالم على حسب مشيئتهم (أم لهم سـلم يستمعون) الوحى صاعدين (فيه) الى السماء عالمين بالمحق والمبطل ومن له العاقبـة والمغرم أن يلتزم الانسان ماليس عليـه (أم عندهم الغيب) المحفوظ فى اللوح (فهـم يكتبون) مافيـه من أحوال المبدا والنبوة والمعاد فيحكمون بحسـبها (أم يريدون كيدا) وهو كيـدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وفى غيرها (فالذين كفروا)

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنيّ ولا لذى مرّة سويّ وقوله فاستوى وهو بالأفق الأعلى يقول فاستوى هذا الشديد القوى وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى وذلك لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم استوى هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى وهو الأفق الأعلى وعطف بقوله وهو على ما في قوله فاستوى من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم والأكثر من كلام العرب اذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه فيقولوا استوى هو وفلان وقلما يقولون استوى وفلان وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده

ألم تر أن النبع يصلب عوده * ولا يستوى والخروع المتقصف

فردّ الخروع على ما في يستوى من ذكر النبع ومنه قول الله أئذا كنا ترابا وآباؤنا فعطف بالآباء على المكنى في كنا من غير اظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو وقد قيل ان المستوى هو جبريل فان كان ذلك كذلك فلا مؤنة في ذلك لان قوله وهو من ذكر اسم جبريل وكأن قائل ذلك وجه معنى قوله فاستوى أي ارتفع واعتدل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع ذو مرة فاستوى جبريل عليه السلام و بنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو بالأفق الأعلى والأفق الذى يأتي منه النهار حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن في قوله وهو بالأفق الأعلى قال بأفق المشرق الأعلى بينهما حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع وهو بالأفق الأعلى يعنى جبريل * قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن الربيع وهو بالأفق الأعلى قال السماء الأعلى يعنى جبريل عليه السلام ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ يقول تعالى ذكره ثم دنا جبريل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم وانما هو ثم تدلى فدنى ولكنه حسن تقديم قوله دنى اذ كان الدنو يدل على التدلى والتدلى على الدنو كما يقال زارنى فلان فأحسن وأحسن الى فزارنى وشتمنى فأساء وأساء فشتمنى لأن الاساءة هي الشتم والشتم هو الاساءة و بنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن ثم دنى فتدلى قال جبريل عليه السلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم دنى فتدلى يعنى جبريل حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن الربيع ثم دنى فتدلى قال هو جبريل عليه السلام * وقال آخرون بل معنى ذلك ثم دنى الرب من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن سعيد الاموى قال ثنا أبي قال ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس ثم دنى فتدلى قال دنى ربه فتدلى حدثنا الربيع قال ثنا ابن وهب عن سليمن بن بلال عن شريك بن أبي نمر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عرج جبرائيل برسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء السابعة ثم علا به بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله اليه ما شاء فأوحى الله اليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة وذكر الحديث وقوله فكان قاب قوسين أو أدنى يقول فكان جبرائيل من محمد صلى الله عليه وسلم على قدر قوسين أو أدنى من ذلك يعنى أو أقرب منه يقال هو منه قاب قوسين وقيب قوسين وقيد قوسين وقاد قوسين وقدى قوسين كل ذلك بمعنى قدر قوسين وقيل ان

اللام لهؤلاء أو للجنس فيشملهم (هم المكيدون) المغلوبون الذين يعود و بال الكيد عليهم فقتلوا ببدر وأظهر الله دين الاسلام ثم صرح بالمقصود الكلى فوبخهم على اشراكهم ونزه نفسه عن ذلك بقوله (سبحان الله) ثم أجاب عن بعض مقترحهم وهو قولهم (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) والمراد أنهم لفرط عنادهم لا يفيد معهم شئ من الدلائل فلو أسقطنا عليهم قطعة من السماء لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض ومعنى يصعقون يموتون وذلك عند النفخة الاولى قوله (عذابا دون ذلك) أي قبل يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (فاصبر لحكم ربك) بامهالهم وتبليغ الرسالة (فانك) محفوظ (بأعيننا) وهو مجاز عن الكلاءة التامة والجمع للتعظيم والمبالغة و (حين تقوم) أي من أيّ مكان قمت أو من منامك وادبار النجوم بالكسر غروبها آخر الليل وهو بالحقيقة تلاشى نورها في ضوء الصبح و بالفتح أعقابها والمعنى مثل ما قلنا وقيل التسبيح التهجد ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر أمره بالاقبال على طاعته بعد الفراغ عن دعوة الامة فليس له شأن الاهذين

* (سورة النجم مكية حروفها ألف وار بعمائة وخمسة كلماتها ثلثمائة وستون آياتها اثنتان وستون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم

معنى قوله فكان قاب قوسين أنه كان منه حيث الوتر من القوس ذكر من قال ذلك حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قاب قوسين قال حيث الوتر من القوس
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن فكان قاب قوسين قال قيد
قوسين وقال ذلك قتادة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن خصيف عن مجاهد
فكان قاب قوسين قال قيد أو قدر قوسين حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن ابراهيم
ابن طهمان عن عاصم عن زر عن عبد الله فكان قاب قوسين أو أدنى قال دنا جبريل عليه السلام
منه حتى كان قدر ذراع أو ذراعين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عاصم
عن أبي رزين قاب قوسين قال ليست بهذه القوس ولكن قدر الذراعين أو أدنى والقاب هو القيد
واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله فكان قاب قوسين أو أدنى فقال بعضهم في ذلك
بنحو الذي قلنا فيه حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا سليمن
الشيباني قال ثنا زر بن حبيش قال قال عبد الله في هذه الآية فكان قاب قوسين أو أدنى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبريل له ستمائة جناح حدثنا عبد الحميد بن بيان
السكرى قال ثنا خالد بن عبد الله عن الشيباني عن زر عن ابن مسعود في قوله فكان قاب
قوسين أو أدنى قال رأى جبرائيل له ستمائة جناح في صورته حدثنا محمد بن عبيد قال ثنا
قبيصة بن ليث الأسدي عن الشيباني عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود فكان قاب قوسين
أو أدنى قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام له ستمائة جناح حدثنا ابن وكيع
قال ثنا ابن وهب قال ثنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة قالت كان أول شأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى في منامه جبريل عليه السلام بأجياد ثم انه خرج ليقضي
حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا فلم ير شيأ ثلاثا
ثم خرج فرآه فدخل في الناس ثم خرج أو قال ثم نظر أنا أشك فرآه فذلك قوله والنجم اذا هوى ما ضل
صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى الى قوله فتدلى جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان
قاب قوسين أو أدنى يقول القاب نصف الاصبع وقال بعضهم ذراعين كان بينهما حدثنا
ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الشيباني عن زر بن حبيش عن ابن مسعود فكان
قاب قوسين أو أدنى قال له ستمائة جناح يعني جبريل عليه السلام حدثنا ابراهيم بن سعيد
قال ثنا أبو أسامة قال ثنا زكريا عن ابن أشوع عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة ما قوله
ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى فقالت انما ذاك جبريل
كان يأتيه في صورة الرجال وانه أتاه في هذه المرة في صورته فسد أفق السماء * وقال آخرون بل
الذى دنا فكان قاب قوسين أو أدنى جبريل من ربه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فكان قاب قوسين أو أدنى قال الله من جبريل عليه السلام * وقال
آخرون بل الذى كان قاب قوسين أو أدنى محمد من ربه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد
قال ثنا مهران عن موسى بن عبيد الحميري عن محمد بن كعب القرظي عن بعض أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قال قلنا يا نبي الله هل رأيت ربك قال لم أره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين
ثم تلا ثم دنى فتدلى حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر قال أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة

وماغوى وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى علمه شديد
القوى ذو مرة فاستوى وهو
بالأفق الأعلى ثم دنى فتدلى فكان
قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى
عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد
ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد
رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى اذ يغشى
السدرة ما يغشى ما زاغ البصر
وما طغى لقد رأى من آيات ربه
الكبرى أفرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر
وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى
إن هي الا أسماء سميتموها أنتم
وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان
ان يتبعون الا الظن وما تهوى
الأنفس ولقد جاءهم من ربهم
الهدى أم للانسان ما تمنى فلله
الآخرة والأولى وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ
الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء
ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
ليسمون الملائكة تسمية الانثى
وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن
وان الظن لا يغني من الحق شيأ
فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد
الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من
العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل
عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى
ولله ما في السموات وما في الارض
ليجزى الذين أساؤا بما عملوا
ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم
بكم اذ أنشأكم من الأرض واذ أنتم
أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا

ابن وقاصر الليثى عن كثير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مضى جبريل حتى جاء الجنة قال فدخلت فأعطيت الكوثر ثم مضى حتى جاء السدرة المنتهى فدنا ربك فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى وقوله فأوحى الى عبده ما أوحى اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فأوحى الله الى عبده محمد وحيه وجعلوا قوله ما أوحى بمعنى المصدر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله فأوحى الى عبده ما أوحى قال عبده محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل معنى ذلك فأوحى جبريل الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه ربه وقد يتوجه على هذا التأويل ما لوجهين أحدهما أن تكون بمعنى الذى فيكون معنى الكلام فأوحى الى عبده الذى أوحاه اليه ربه والآخر أن تكون بمعنى المصدر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة فأوحى الى عبده ما أوحى قال الحسن جبريل حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع فأوحى الى عبده ما أوحى قال على لسان جبريل حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأوحى الى عبده ما أوحى قال أوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله اليه * وأولى القولين فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك فأوحى جبريل الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه ربه لان افتتاح الكلام جرى فى أول السورة بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جبريل عليه السلام وقوله فأوحى الى عبده ما أوحى فى سياق ذلك ولم يأت ما يدل على انصراف الخبر عنهما فيوجه ذلك الى ما صرف اليه وقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يقول تعالى ذكره ما كذب فؤاد محمد محمدا الذى رأى ولكنه صدقه * واختلف أهل التأويل فى الذى رآه فؤاده فلم يكذبه فقال بعضهم الذى رآه فؤاده رب العالمين وقالوا جعل بصره فى فؤاده فرآه بفؤاده ولم يره بعينه ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنى عمى سعيد بن عبد الرحمن بن سعيد عن اسرائيل بن يونس بن أبى اسحق السبيعى عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال رآه بقلبه صلى الله عليه وسلم حدثنى خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر ابن شميل قال أخبر عباد يعنى ابن منصور قال سألت عكرمة عن قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال أتريد أن أقول لك قد رآه نعم قد رآه ثم قد رآه ثم قد رآه حتى ينقطع النفس حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى بن عبيد قال سمعت عكرمة وسئل هل رأى محمد ربه قال نعم قد رأى ربه * قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا سالم مولى معاوية عن عكرمة مثله حدثنا أحمد بن عيسى التميمى قال ثنا سليمن بن عمرو بن سيار قال ثنى أبى عن سعيد بن زربى عن عمرو بن سليمن عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى فى أحسن صورة فقال لى يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا يا رب فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السماء والأرض فقلت يا رب فى الدرجات والكفارات ونقل الأقدام الى الجمعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فقلت يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وفعلت وفعلت فقال ألم أشرح لك صدرك ألم أضع عنك وزرك ألم أفعل بك ألم أفعل قال فأفضى الى بأشياء لم يؤذن لى أن أحدثكموها قال فذلك قوله فى كتابه يحدثكموه ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى فجعل نور بصرى

أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن الى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الاخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأى آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا ۞ القراآت هوى وسائر آياته بالامالة اللطيفة أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وقرأ حمزة وعلى وخلف بالامالة المفرطة كما سبق فى طه ما كذب بالتشديد يزيد وهشام مازاغ البصر بالامالة حمزة ونصير ومناة بالمد ابن كثير والشمونى أفتمرونه ثلاثيا يعقوب وحمزة وعلى وخلف ضيزى بالهمزة ابن كثير فى رواية كبير الاثم على التوحيد حمزة وعلى وخلف والمفضل ابراهام هشام عادا لولى مدغما غير مهموز أبو عمرو ويزيد ويعقوب والنجارى عن ورش وقرأ اسمعيل والاصبهانى عن ورش وأبو نشيط عن قالون باظهار الغنة

فى فؤادى فنظرت اليه بفؤادى حدثنى محمد بن عمارة وأحمد بن هشام قالا ثنا عبيدالله ابن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن السدى عن أبى صالح ما كذب الفؤاد ما رأى قال رآه مرتين بفؤاده حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن عاصم الأحول عن عكرمة عن ابن عباس قال ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية صلوات الله عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الأعمش عن زياد بن الحصين عن أبى العالية عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى قال رآه بفؤاده * قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى اسحق عمن سمع ابن عباس يقول ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى محمد ربه * قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع ما كذب الفؤاد فلم يكذبه ما رأى قال رأى ربه * قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى محمد ربه بفؤاده * وقال آخرون بل الذى رآه فؤاده فلم يكذبه جبريل عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنى ابن بزيع البغدادى قال ثنا اسحق بن منصور قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى قال ثنا عمرو بن عاصم قال ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبدالله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح ينفض من ريشه التهاويل الدر والياقوت حدثنا أبو هشام الرفاعى وابراهيم بن يعقوب قالا ثنا زيد بن الحباب أن الحسين بن واقد حدثه قال حدثنى عاصم ابن ابى النجود عن أبى وائل عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح زاد الرفاعى فى حديثه فسألت عاصما عن الأجنحة فلم يخبرنى فسألت أصحابى فقالوا كل جناح ما بين المشرق والمغرب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى جبريل فى صورته التى هى صورته قال وهو الذى رآه نزلة أخرى * واختلفت القراء فى قراءة قوله ما كذب الفؤاد ما رأى فقرأ ذلك عامة قراء المدينة ومكة والكوفة والبصرة كذب بالتخفيف غير عاصم الجحدرى وأبى جعفر القارئ والحسن البصرى فانهم قرؤه كذب بالتشديد بمعنى أن الفؤاد لم يكذب الذى رأى ولكنه جعله حقا وصدقا وقد يحتمل أن يكون معناه اذا قرئ كذلك ما كذب صاحب الفؤاد ما رأى وقد بينا معنى من قرأ ذلك بالتخفيف * والذى هو أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف لاجماع الحجة من القراء عليه والأخرى غير مدفوعة صحتها لصحة معناها ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أفتمارونه فقرأ ذلك عبدالله بن مسعود وعامة أصحابه أفتمرونه بفتح التاء بغير ألف وهى قراءة عامة أهل الكوفة ووجهوا تأويله الى أفتجحدونه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان يقرأ أفتمرونه بفتح التاء بغير ألف يقول أفتجحدونه ومن قرأ أفتمارونه قال أفتجادلونه وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين أفتمارونه بضم التاء والالف بمعنى أفتجادلونه والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى وذلك أن المشركين قد جحدوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أراه الله ليلة أسرى به وجادلوا فى ذلك فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام أفتجادلون أيها المشركون محمدا على ما يرى مما أراه الله من

غير مهموز وكذلك روى عن أبى عمرو فعلى مذهبهم اذا وقف القارئ على عاد ابتدأ بلولى ولوشاء الولى بتخفيف الهمزة والاولى أحسن وقرأ قالون غير أبى نشيط بالهمزة واظهار الغنة واذا وقف على عاد ابتدأ لولى ولوشاء الولى والباقون عادا الأولى بالالف قبل اللام وبعد اللام فى الحالين وثمود فى الحالين بغير تنوين حمزة وعاصم غير ابن غالب والبرجمى والمفضل وسهل ويعقوب ربك تمارى بتشديد التاء رويس عن يعقوب ﴿الوقوف﴾ هوى ه لا غوى ه ج للآية مع العطف على جواب القسم الهوى ه ط يوحى ه لا القوى ه لا لذلك ذومرة ط لتمام الصفة فاستوى ه لا لان الواو للحال الأعلى ه ط فتدلى ه لا لان ما بعده من تمام المقصود أو أدنى ه ج وان اتفقت الجملتان لان ضمير فأوحى لله لا للنبى ما أوحى ه ج ما رأى ه يرى ه أخرى ه لا المنتهى ه المأوى ه لأن عامل اذ زاغ البصر فلا وقف على ما يغشى طغى ه الكبرى ه والعزى ه لا الاخرى ه الانثى ه ضيزى ه سلطان ط الأنفس ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف الهدى ه ط لأن أم ابتداء استفهام انكار ما تمنى ه ز لتناهى الاستفهام والوصل أولى للفاء واتصال المعنى والأولى ه ويرضى ه الانثى ه علم ط الا الظن ه ج لاختلاف الجملتين شيأ ط لذلك الدنيا ه ط من العلم ط اهتدى ه وما فى الأرض ط بالحسنى ه ج

آياته وقوله ولقد رآه نزلة أخرى يقول ولقد رآه مرة أخرى واختلف أهل التأويل في الذي
رأى محمد نزلة أخرى نحو اختلافهم في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى ذكر بعض ما روى في ذلك
من الاختلاف ذكر من قال فيه رأى جبريل عليه السلام حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا
عبد الوهاب الثقفي قال ثنا داود عن عامر عن مسروق عن عائشة أن عائشة قالت يا أبا
عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم
المؤمنين أنظريني ولا تعجليني أرأيت قول الله ولقد رآه نزلة أخرى ولقد رآه بالافق المبين قالت
انما هو جبريل رآه مرة على خلقه وصورته التي خلق عليها ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء
الى الارض سادّا عظم خلقه ما بين السماء والارض قالت أنا أول من سأل النبي صلى الله عليه
وسلم عن هذه الآية قال هو جبريل عليه السلام حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي
وعبد الأعلى عن داود عن عامر عن مسروق عن عائشة بنحوه حدثنا يزيد بن هرون
قال أخبرنا داود عن الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع
قال ثنا عبد الأعلى عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت له يا أبا
عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله والله يقول لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب قال وكنت متكئا فجلست
وقلت يا أم المؤمنين انتظري ولا تعجلي ألم يقل الله ولقد رآه نزلة أخرى ولقد رآه بالافق المبين
فقالت أنا أول هذه الامة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لم أر جبريل على
صورته إلا هاتين المرتين منهبطا من السماء سادّا عظم خلقه ما بين السماء والارض حدثني
يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق
قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثم ذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران
عن سفيان عن أبي إسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى
جبريل في رفرف قد ملأ ما بين السماء والارض حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان
عن قيس بن وهب عن مرّة عن ابن مسعود ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل في وبر
رجليه كالدر مثل القطر على البقل حدثني الحسين بن علي الصدائي قال ثنا أبو أسامة عن
سفيان عن قيس بن وهب عن مرّة في قوله ولقد رآه نزلة أخرى ثم ذكر نحوه حدثنا ابن بشار
قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن مجاهد ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى
جبريل في صورته مرّتين حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن سلمة بن كهيل
الحضرمي عن مجاهد قال رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في صورته مرتين
حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن الربيع ولقد رآه نزلة أخرى قال جبريل عليه
السلام حدثني عبد الحميد بن بيان قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل عن عامر قال ثني
عبد الله بن الحرث بن نوفل عن كعب أنه أخبره أن الله تبارك وتعالى قسم رؤيته وكلامه بين
موسى ومحمد فكلمه موسى مرتين ورآه محمد مرتين قال فأتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين
هل رأى محمد ربه فقالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت أين أنت من ثلاثة من حدثك بهن
فقد كذب من أخبرك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار
وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن أخبرك ما في غد
فقد كذب ثم تلت آخر سورة لقمان ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام

وما

لأن الذين يصلح خبر مبتدأ محذوف
وبدلا من الذين أحسنوا اللمم ط
المغفرة ط أمهاتكم ج أنفسكم
ط اتقى ه تولى ج وأكدى
ه يرى ه موسى ه وفى ه لا
أخرى ه لا سعى ه لا يرى
ه ص لوقوع العارض بين
المعطوف على أن الأولى ه لا
المنتهى ه لا وأبكى ه لا وأحيا
ه لا والأنثى ه تمنى ه ص
لـأمر الأخرى ه لا وأقنى ه لا
الشعرى ه ط الأولى ه لا أبقى
ه لا وأطغى ه ط لأن المؤتفكة
منصوب بما بعده أهوى ه لا
ماغشى ه ج لابتداء الاستفهام
مع الفاء تتمارى ه الأولى ه لا
الآزفة ه للاستئناف والحال
كاشفة ه تعجبون ه لا ولا
تبكون ه لا سامدون ه لا
واعبدوا ه سجدة التفسير لما ختم
السورة المتقدمة بالنجوم خص
الاقسام في أول هذه السورة بالنجم
واللام فيه للعهد أو للجنس والأول
قول من قال انه الثريا وهو اسم غالب
لها وصورتها في السماء كعنقود عنب
وأظهر كواكبها سبعة وهي المنزل
الثالث من منازل القمر قال اذا
طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء
وذلك أن الشمس تكون في أول
العقرب حينئذ في مقابلتها فتطلع
بغروبها وعلى الثاني فيه وجوه
أحدها نجوم السماء وهو يها غروبها
وفائدة هذا القيد أن النجم اذا كان
في وسط السماء لم يهتد به الساري
لأنه لا يعلم المغرب من المشرق
والجنوب من الشمال فاذا مال الى
الأفق عرف به هذا الجهات والميل

وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت ومن أخبرك أن محمدا كتم شيأ من الوحى فقد كذب ثم قرأت ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك قالت ولكنه رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين حدثنا موسى بن عبد الرحمن قال ثنا أبو أسامة قال ثنى اسمعيل عن عامر قال ثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل قال سمعت كعبا ثم ذكر نحو حديث عبد الحميد بن بيان غير أنه قال فى حديثه فرآه محمد مرة وكلمه موسى مرتين * ذكر من قال فيه رأى ربه عز وجل حدثنا أبو كريب قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال ولقد رآه نزلة أخرى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه فقال له رجل عند ذلك أليس لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار قال له عكرمة أليس ترى السماء قال بلى قال أفكلها ترى حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أبى قال ثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن ابن عباس فى قول الله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى قال دنا ربه فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ماأوحى قال قال ابن عباس قد رآه النبى صلى الله عليه وسلم وقوله عند سدرة المنتهى يقول تعالى ذكره ولقد رآه عند سدرة المنتهى فعند من صلة قوله رآه والسدرة شجرة النبق وقيل لها سدرة المنتهى فى قول بعض أهل العلم من أهل التأويل لأنه اليها ينتهى علم كل عالم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الأحبار فقال له حدثنى عن قول الله عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فقال كعب انها سدرة فى اصل العرش اليها ينتهى علم كل عالم ملك مقرب أو نبى مرسل ماخلفها غيب لا يعلمه الا الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال أخبرنى جرير بن حازم عن الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال ابن يساف قال سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق ثم ليس لأحد وراءها علم ولذلك سميت سدرة المنتهى لانتهاء العلم اليها * وقال آخرون قيل لها سدرة المنتهى لأنها ينتهى مايهبط من فوقها ويصعد من تحتها من أمر الله اليها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك عن الزبير عن عدى عن طلحة اليامى عن مرة عن عبد الله قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة اليها ينتهى من يعرج من الأرض اومن تحتها فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط من فوقها فيقبض فيها حدثنى جعفر بن محمد المروزى قال ثنا يعلى عن الأجلح قال قلت للضحاك لم تسمى سدرة المنتهى قال لأنه ينتهى اليها كل شئ من أمر الله لا يعدوها * وقال آخرون قيل لها سدرة المنتهى لأنه ينتهى اليها كل من كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهاجه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع عند سدرة المنتهى قال اليها ينتهى كل أحد خلا على سنة أحمد فلذلك سميت المنتهى حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى عن أبى هريرة أو غيره «شك أبو جعفر الرازى» قال لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم انتهى الى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهى اليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان معنى المنتهى الانتهاء فكأنه قيل عند سدرة الانتهاء وجائز ان يكون قيل لها سدرة المنتهى لانتهاء علم كل عالم من الخلق اليها كما قال كعب وجائز أن يكون قيل ذلك لها لانتهاء

الى أفق المغرب أولى بالذكر لأن الناظر اليه حينئذ يستدل بغروبها على أفوله فى حيز الامكان فيتم له اهتداء الدين مع اهتداء الدنيا وقيل هويها انتثارها يوم القيامة وثانيها النجم هو الذى يرجم به الشياطين وهويها انقضاضها وثالثها النجم النبات اذا هوى اذا سقط على الأرض وهو غاية نشوه ورابعها النجم أحد نجوم القرآن وقد نزل منجما فى عشرين سنة فيكون كقوله والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم وعلى القول الآخر فالثريا أظهر النجوم عند الناظرين وأشهر المنازل للسائرين وأنها تطلع عشاء فى وقت ادراك الثمار والنبى صلى الله عليه وسلم تميز من سائر الأنبياء بالمعجزات الباهرات ولاسيما القرآن فانه حين ظهر زال يبس الشكوك وحرارة الحمية الجاهلية وأدرك ثمار الحكمة ورجم به شياطين الانس المضلين لعباد الله فى أرضه ونبت بوجوده أصناف الأغذية الروحانية تامة كاملة قال جار الله الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد والخطاب لقريش قلت هذا صادق من حيث الاستعمال لقوله قد تبين الرشد من الغى من يضلل الله فلا هادى له الا أنه ينبغى أن يتبين الفرق بين الضلال والغواية والظاهر أن الضلال اعم وهو أن لا يجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية أن لا يكون له الى المقصد طريق مستقيم ولهذا لا يقال للمؤمن انه ضال أو غير مهتد ويقال له انه غوى غير رشيد قال عز من قائل فان آنستم منهم رشدا

ما يصعد من تحتها و ينزل من فوقها اليها كما روى عن عبد الله وجائز أن يكون قيل ذلك
كذلك لانتهاء كل من خلا من الناس على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها وجائز أن يكون
قيل ذلك لها لجميع ذلك ولا خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض فلا قول
فيه أصح من القول الذى قال ربنا جل جلاله وهو أنها سدرة المنتهى و بالذى قلنا فى انها شجرة النبق
تتابعت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل العلم * ذكر ما فى ذلك من الآثار
وقول أهل العلم حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهيت الى السدرة فاذا نبقها مثل الجرار واذا ورقها مثل آذان
الفيلة فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتا و زمردا ونحو ذلك حدثنا محمد بن المثنى
قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل
من قومه قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم لما انتهيت الى السماء السابعة أتيت على ابراهيم فقلت
يا جبريل من هذا قال هذا أبوك ابراهيم فسلمت عليه فقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح
قال ثم رفعت لى سدرة المنتهى فحدث نبى الله أن نبقها مثل قلال هجر وأن ورقها مثل آذان
الفيلة وحدثنا ابن المثنى قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس
ابن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن
المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك عن مالك
ابن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر نحوه حدثنا أحمد بن أبى سريج قال ثنا
الفضل بن عنبسة قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ركبت البراق ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا
ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد يستطيع أن يصفها من
حسنها قال فأوحى الله الىّ ما أوحى حدثنا أحمد بن أبى سريج قال ثنا أبو النضر قال ثنا
سليمن بن المغيرة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج بى الملك قال ثم انتهيت
الى السدرة وأنا أعرف أنها سدرة أعرف ورقها وثمرها قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها
تحولت حتى ما يستطيع أحد أن يصفها حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا يونس بن اسمعيل
قال ثنا سليمن عن ثابت عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله الا أنه قال حتى
ما أستطيع أن أصفها حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع
ابن أنس عن أبى العالية الرياحى عن أبى هريرة أو غيره «شك أبو جعفر الرازى» قال لما أسرى
بالنبى صلى الله عليه وسلم انتهى الى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهى اليها كل أحد خلا من أمتك
على سنتك فاذا هى شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار
من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما
لا يقطعها والورقة منها تغطى الأمة كلها وحدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان
عن سلمة بن كهيل الحضرمى عن الحسن العرنى أراه عن الهذيل بن شرحبيل عن ابن مسعود
سدرة المنتهى قال من صبر الجنة عليها أو عليه فضول السندس والاستبرق أو جعل عليها فضول
وحدثنا به ابن حميد مرة أخرى عن مهران فقال عن الحسن العرنى عن الهذيل عن ابن مسعود
ولم يشك فيه و زاد فيه قال صبر الجنة يعنى وسطها وقال أيضا عليها فضول السندس والاستبرق
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن الحسن

فكأنه سبحانه نفى الأعم أولا ثم نفى
الأخص ليفيد انه على الجادّة غير
منحرف عنها أصلا و يحتمل أن
يكون قوله (ماضل) نفيا لقولهم هو
كاهن أو مجنون لأن الكهانة أيضا
من مسيس الجن وقوله (وماغوى)
نفى لقولهم هو شاعر والشعراء
يتبعهم الغاوون ويحتمل أن يكون
الاول عبارة عن صلاحه فى أمور
المعاد والثانى اشارة الى رشده
فى أمور المعاش ومنه يعلم أن أقواله
كلها على سنن الصواب الا أنه كان
يمكن أن تكون مستنبطة من العقل
أو العرف أو العادة فأسندها الله
سبحانه الى طريق أخص وأشرف
وهو أن تكون مستندة الى الوحى
فقال بصيغة تفيد الاستمرار
(وما ينطق عن الهوى) أى ليس
كل ما ينطق به ولا بعضه بصادر عن
الرأى والتشهى انما هو وحى يوحى
اليه من الله واستدل به بعض من
لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم
السلام وأجيب بأن الله تعالى اذا
سوّغ له الاجتهاد كان ذلك من قبيل
الوحى أيضا وأما من يخص النطق
بالقرآن فلا اعتراض عليه قال أهل
اللغة الهوى المحبة النفسانية
والتركيب يدل على النزول والسقوط
ومنه الهاوية ومحبة النفس الامارة
لا أصل لها ولا تصدر الا عن خسة
ودناءة وقوله (ان هو الا وحى) أبلغ
مما لو قيل هو وحى وهو ظاهر وقوله
(يوحى) لتحقيق الحقيقة كقوله
ولا طائر يطير بجناحيه فان الفرس
الشديد العدو ربما يقال انه طائر
فاذا قيل يطير بجناحيه زال جواز
ذلك المجاز فكذلك ههنا ربما يقال

العرنى عن الهذيل بن شرحبيل عن عبدالله بن مسعود فى قوله سدرة المنتهى قال صبرالجنة عليها السندس والاستبرق حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبدالله عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى فقال يسير فى ظل الفنن منها مائة راكب أوقال يستظل فى الفنن منها مائة راكب «شك يحيى» فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع عندسدرة المنتهى قال السدرة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها وان ورقة منها غشت الامة كلها حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله عندسدرة المنتهى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رفعت لى سدرة منتهاها فى السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر و ورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان قال قلت لجبريل ماهذان النهران(١) أرواح قال أما النهران الباطنان ففى الجنة وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات وقوله عندها جنة المأوى يقول تعالى ذكره عند سدرة المنتهى جنة مأوى الشهداء ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله عندها جنة المأوى قال هى يمين العرش وهى منزل الشهداء حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن داود عن أبى العالية عن ابن عباس عندها جنة المأوى قال هو كقوله فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله عندها جنة المأوى قال منازل الشهداء وقوله اذيغشى السدرة مايغشى يقول تعالى ذكره ولقدرآه نزلة أخرى اذيغشى السدرة مايغشى فاذ من صلة رآه واختلف أهل التأويل فى الذى يغشى السدرة فقال بعضهم غشيها فراش الذهب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك عن الزبير بن عدى عن طلحة اليامى عن مرة عن عبدالله اذيغشى السدرة مايغشى قال غشيها فراش من ذهب حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم أوطلحة «شك الأعمش» عن مسروق فى قوله اذيغشى السدرة مايغشى قال غشيها فراش من ذهب حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتها بعينى سدرة المنتهى حتى استثبتها ثم حال دونها فراش من ذهب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس اذيغشى السدرة مايغشى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتها حتى استثبتها ثم حال دونها فراش الذهب حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن مجاهد وابراهيم فى قوله اذيغشى السدرة مايغشى قال غشيها فراش من ذهب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن موسى يعنى ابن عبيدة عن يعقوب بن زيد قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم مارأيت يغشى السدرة قال رأيتها يغشاها فراش من ذهب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اذيغشى السدرة مايغشى قال قيل له يارسول الله أى شئ رأيت يغشى تلك السدرة قال رأيتها يغشاها فراش من ذهب و رأيت على كل و رقة من و رقها ملكا قائما يسبح الله * وقال آخرون الذى غشيها رب العزة وملائكته ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اذيغشى السدرة مايغشى قال غشيها الله فرأى محمد من آيات ربه الكبرى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا

للكلام الصادق الفصيح هو وحى أوسحر حلال فلما قيل يوحى اندفع التجوز ثم بين طريق الوحى بقوله (علمه) أى الموحى أومحمدا (شديد القوى) وهو جبرائيل عليه السلام أى قواه العلمية والعملية كلها شديدة مدح المعلم ليلزم منه فضيلة المتعلم ولو قال علمه جبرائيل عليه السلام لم يفهم منه فضل المتعلم ظاهرا وفيه ردّ على من زعم أنه يعلمه بشر لأن الانسان خلق ضعيفا وما أوتى من العلم إلا قليلا وفيه أن جبرائيل عليه السلام أمين موثوق به من حيث قوته المدركة والحافظة ولو كان مختل الذهن أو الحفظ لم يوثق بروايته وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم كيلا يضيق صدره حين علم بواسطة الملك فكأنه قيل له ليس لك فى ذلك نقص لأنه شديد القوى على أنه قال فى موضع آخر وعلمك مالم تكن تعلم وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال أدبنى ربى فأحسن تأديبى والمرة القوة والظاهر أنها القوة الجسمانية كقوله وزاده بسطة فى العلم والجسم فمن قوته أنه قلع قريات قوم لوط وقلبها بجناحه وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان ينزل الى الأنبياء ويصعد فى لمحة ويجوز أن يراد بقوله شديد القوى قواه الجسمانية وبقوله (ذومرة) القوى العقلية والتنكير للتعظيم قوله (فاستوى) المشهور أن فاعله جبرائيل عليه السلام أى فاستقام على صورته الحقيقية دون صورة دحية وذلك أن رسول الله صلى الله

(١) لعله أزواج تأمل

أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى قال كان أغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا أو زبرجدا فرآها محمد ورأى محمد بقلبه ربه حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع اذ يغشى السدرة ما يغشى قال غشيها نور الرب وغشيتها الملائكة من حب الله مثل الغربان حين يقعن على الشجر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع بنحوه حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى عن أبى هريرة أو غيره «شك أبو جعفر» قال لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم انتهى الى السدرة قال فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿مازاغ البصر وماطغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ يقول تعالى ذكره ما مال بصر محمد يعدل يمينا ولا شمالا عما رأى أى ولا جاوز ما أمر به فطغا يقول فارتفع عن الحد الذى حد له ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن منصور عن مسلم البطين عن ابن عباس فى قوله مازاغ البصر وماطغى قال مازاغ يمينا ولا شمالا ولا طغى ولا جاوز ما أمر به حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى مازاغ البصر وماطغى قال رأى جبرائيل فى صورة الملك * قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مسلم البطين عن ابن عباس مازاغ البصر وماطغى قال مازاغ ذهب يمينا ولا شمالا ولا طغى ما جاوز وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى يقول تعالى ذكره لقد رأى محمد هنالك من أعلام ربه وأدلته الأعلام والأدلة الكبرى واختلف أهل التأويل فى تلك الآيات الكبرى فقال بعضهم رأى رفرفا أخضر قد سد الأفق ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رفرفا أخضر من الجنة قد سد الأفق حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم قال قال عبد الله فذكر مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود من آيات ربه الكبرى قال رفرفا أخضر قد سد الأفق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن الأعمش أن ابن مسعود قال رأى النبى صلى الله عليه وسلم رفرفا أخضر من الجنة قد سد الأفق * وقال آخرون رأى جبريل فى صورته ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال جبريل رآه فى خلقه الذى يكون به فى السموات قدر قوسين من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبينه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى﴾ يقول تعالى ذكره أفرأيتم أيها المشركون اللات وهى من الله ألحقت فيه التاء فأنثت كما قيل عمرو للذكر وللأنثى عمرة وكما قيل للذكر عباس ثم قيل للأنثى عباسة فكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وزعموا أنهن بنات الله تعالى الله عما يقولون وافتروا فقال جل ثناؤه لهم أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة الثالثة بنات الله ألكم الذكر يقول أتختارون لأنفسكم الذكر من الأولاد وتكرهون لها الأنثى وتجعلون له الأنثى التى لا ترضونها لأنفسكم ولكنكم تقتلونها كراهة منكم

عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الأفق الأعلى أى الأشرف وهو الشرقى (ثم دنا) جبرائيل من الرسول صلى الله عليه وسلم على الصورة المعتادة (فتدلى) قيل فيه تقديم وتأخير أى فتعلق عليه فى الهواء ثم دنا منه وقيل دنا أى قصد القرب من محمد أو تحرك من المكان الذى كان فيه فنزل الى النبى صلى الله عليه وسلم يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وقد يقال الدنو والتدلى بمعنى واحد فلا يفيد الا التأكيد ثم زاد تأكيدا بقوله (فكان قاب قوسين) قال أهل العربية هو من باب حذف المضافات أى فكان مقدار مسافة قرب جبرائيل عليه السلام مثل قاب قوسين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس كلها المقدار والعرب تقدر الأشياء بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع وغيرها وفى الحديث لا صلاة الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وقال صلى الله عليه وسلم لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وقوله (أو أدنى) أى فى تقديركم كقوله مائة ألف أو يزيدون وقال بعضهم الضمير فى فاستوى لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن تعليم جبرائيل اياه كان قبل كماله واستوائه فحين تكاملت قواه النظرية والعلمية وصار بالأفق الأعلى أى بالرتبة العليا من المراتب الانسانية دنا من الأمة فتدلى أى لان لهم ورفق بهم حتى قال انما أنا بشر مثلكم يوحى الى

منكم لهن واختلفت القراء فى قراءة قوله اللات فقرأته عامة قراء الأمصار بتخفيف التاء على المعنى الذى وصفت وذكر أن اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش وقال بعضهم كان بالطائف ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفرأيتم اللات والعزى أما اللات فكان بالطائف حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفرأيتم اللات والعزى قال اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش * وقرأ ذلك ابن عباس ومجاهد وأبو صالح اللات بتشديد التاء وجعلوه صفة للوثن الذى عبدوه وقالوا كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه ذكر الخبر بذلك عمن قاله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد أفرأيتم اللات والعزى قال كان يلت السويق للحاج فعكف على قبره * قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد أفرأيتم اللات قال اللات كان يلت السويق للحاج حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد اللات قال كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله اللات قال رجل يلت للمشركين السويق فمات فعكفوا على قبره حدثنا أحمد بن هشام قال ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى صالح فى قوله اللات قال اللات الذى كان يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق وكان بالطائف حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبد الرحمن عن أبى الأشهب عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال كان يلت السويق للحاج * وأولى القراءتين بالصواب عندنا فى ذلك قراءة من قرأه بتخفيف التاء على المعنى الذى وصفت لقارئه كذلك لاجماع الحجة من قراء الأمصار عليه وأما العزى فان أهل التأويل اختلفوا فيها فقال بعضهم كانت شجرات يعبدونها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد والعزى قال العزى شجيرات * وقال آخرون كانت العزى حجرا أبيض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال العزى حجر أبيض * وقال آخرون كان بيتا بالطائف تعبده ثقيف ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والعزى قال العزى بيت بالطائف تعبده ثقيف * وقال آخرون بل كانت ببطن نخلة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعزى قال أما العزى فكانت ببطن نخلة * وأما مناة فانها كانت فيما ذكر لخزاعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومناة الثالثة الأخرى قال أما مناة فكانت بقديد آلهة كانوا يعبدونها يعنى اللات والعزى ومناة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومناة الثالثة الأخرى قال مناة بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب واختلف أهل العربية فى وجه الوقف على اللات ومنات فكان بعض نحويى البصرة يقول اذا سكت قلت اللات وكذلك مناة تقول منات * وقال قال بعضهم اللات فجعله من اللت الذى يلت ولغة للعرب يسكتون على ما فيه الهاء بالتاء يقولون رأيت طلحت وكل شئ مكتوب بالهاء فانها تقف عليه بالتاء نحو نعمة ربك وشجرة وكان بعض نحويى الكوفة يقف على اللات بالهاء أفرأيتم اللاه وكان غيره منهم يقول الاختيار فى كل ما لم يضف أن يكون بالهاء رحمة من ربى وشجرة تخرج وما كان مضافا فجائز بالهاء والتاء فالتاء للاضافة والهاء لانه يفرد ويوقف عليه دون الثانى وهذا القول الثالث أفشى اللغات وأكثرها فى العرب

فكان الفرق بينه وبين جبرائيل قليلا جدا وعلى هذا يمكن أن يكون الرجحان فى الكمال للنبى صلى الله عليه وسلم كما يقول أكثر أهل السنة أو بالعكس كما تزعم طائفة منهم ومن غيرهم ويحتمل على هذا القول أن يكون الضمير فى دنا لجبريل والمراد أن النبى صلى الله عليه وسلم وان زال عن الصفات البشرية من الشهوة والغضب والجهل وبلغ الأفق الأعلى الانسانى ولكن نوعيته لم تزل عنه وكذلك جبرائيل وان ترك اللطافة المانعة من الرؤية ونزل الى الأفق الأدنى من الآفاق الملكية ولكن لم يخرج عن كونه ملكا فلم يبق بينهما الا اختلاف حقيقتهما نظيره ولقد رآه بالافق المبين أى رأى جبرائيل وهو أى محمد بالأفق الفارق بين درجة الانسان ومنزلة الملك كقول القائل رأيت الهلال على السطح أى وأنا على السطح وقد يجعل ذكر القوس عبارة عن معنى آخر وهو أن العرب كانوا اذا عاهدوا فيما بينهم طرحوا قوسا أو قوسين لتأكيد العهد بين الاثنين فأخبر الله سبحانه أنه كان بين جبرائيل ومحمد عليه الصلاة والسلام من المحبة وقرب المنزلة مثل ما تعرفونه فيما بينكم عند المعاقدة وقيل الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم أو لله والمراد قرب المكان بينهما وهذا يشبه مذهب المجسمة الا أن يقال دنا دنو ألفة لا دنو زلفة دنا دنو اكرام لا دنو أجسام دنا دنو أنس لا دنو نفس والقوسان أحدهما صفة الحدوث والأخرى صفة القدم أخبر بالقصة اكراما وكتم

وان كان للاخرى وجه معروف وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول اللات والعزى ومناة الثالثة أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها وقوله ألكم الذكر وله الأنثى يقول أتزعمون أن لكم الذكر الذى ترضونه ولله الانثى التى لا ترضونها لأنفسكم تلك اذا قسمة ضيزى يقول جل ثناؤه قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية ناقصة غير تامة لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم وآثرتم أنفسكم بما ترضونه والعرب تقول ضزته حقه بكسر الضاد وضزته بضمها فأنا أضيزه وأضوزه وذلك اذا انقصته حقه ومنعته وحدثت عن معمر بن المثنى قال أنشدنى الاخفش

فان تنأ عنا ننتقصك(١) وان تغب * فسهمك مضؤوز وأنفك راغم

ومن العرب من يقول ضيزى بفتح الضاد وترك الهمز فيها ومنهم من يقول ضأزى بالفتح والهمز وضؤزى بالضم والهمز ولم يقرأ أحد بشئ من هذه اللغات وأما الضيزى بكسر الضاد فانها فعلى بضم الفاء وانما كسرت الضاد منها كما كسرت من قولهم قوم بيض وعين وهى فعل لأن واحدها بيضاء وعيناء ليؤلفوا بين الجمع والاثنين والواحد وكذلك كرهوا ضم الضاد من ضيزى فتقول ضوزى مخافة أن تصير بالواو وهى من الياء وقال الفراء انما قضيت على أولها بالضم لأن النعوت للمؤنث تأتى اما بفتح واما بضم فالمفتوح سكرى وعطشى والمضموم الأنثى والحبلى فاذا كان اسما ليس بنعت كسر أوله كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين كسر أولها لأنها اسم ليس بنعت وكذلك الشعرى كسر أولها لأنها اسم ليس بنعت وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله قسمة ضيزى قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنها فقال بعضهم قسمة عوجاء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تلك اذا قسمة ضيزى قال عوجاء * وقال آخرون قسمة جائرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تلك اذا قسمة ضيزى يقول قسمة جائرة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قسمة ضيزى قال قسمة جائرة حدثنا محمد بن حفص أبو عبيد الوصابى قال ثنا ابن حميد قال ثنا ابن لهيعة عن ابن عمرة عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تلك اذا قسمة ضيزى قال تلك اذا قسمة جائرة لا حق فيها * وقال آخرون قسمة منقوصة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان تلك اذا قسمة ضيزى قال منقوصة * وقال آخرون قسمة مخالفة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تلك اذا قسمة ضيزى قال جعلوا لله تبارك وتعالى بنات وجعلوا الملائكة لله بنات وعبدوهم وقرأ أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر الآية وقرأ ويجعلون لله البنات الى آخر الآية وقال دعوا لله ولدا كما دعت اليهود والنصارى وقرأ كذلك قال الذين من قبلهم قال والضيزى فى كلام العرب المخالفة وقرأ ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ يقول تعالى ذكره ما هذه الأسماء التى سميتموها وهى اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أيها المشركون بالله وآباؤكم من قبلكم ما أنزل الله بها يعنى بهذه الأسماء يقول لم يبح الله ذلك لكم ولا أذن لكم به كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد

الاسرار اعظاما قوله (فأوحى الى عبده ما أوحى) الضمير فى الفعلين إما لله أو لجبرائيل والمراد بالعبد اما محمد صلى الله عليه وسلم أو جبريل عليه السلام فيحصل تقديرات أحدها فأوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم عبده ما أوحى وفيه تفخيم لشأن الوحى وقيل أوحى اليه الصلاة وقيل أوحى الله اليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك والظاهر أنها أسرار وحقائق ومعارف لا يعلمها الا الله ورسوله ثانيها فأوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه أولا جبرائيل يعنى أن الوحى كان ينزل عليه أولا بواسطة جبرائيل وقد ارتفعت الآن تلك الواسطة وعلى هذا يحتمل أن يقال ما مصدرية أى أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم الايحاء أى العلم بالايحاء كى يفرق بين الملك والجن أو كلمه أنه وحى أو خلق فيه علما ضروريا ثالثها فأوحى الله الى عبده جبريل ما أوحى رابعها فأوحى الله الى جبرائيل ما أوحى جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء قبله وفيه اشارة الى أن جبريل عليه السلام أمين لم يخن قط فى شئ مما أوحى الى الانبياء خامسها فأوحى جبريل الى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله اليه سادسها فأوحى جبرائيل الى عبد الله ما أوحى هو وفى هذين الوجهين لا يمكن أن يراد بالعبد الا محمد صلى الله عليه وسلم قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) الأشهر

---

(١) الذى فى اللسان والصحاح وان تقموا أورد البيت فى روح المعانى فان تنأ عنها تقتنصك الخ ففيه روايات

فى قوله من سلطان الى آخر الآية وقوله ان يتبعون الا الظنّ يقول تعـالى ذكره ما يتبع هؤلاء المشركون فى هـذه الاسماء التى سموا بهـا آلهتهم الا الظنّ بأن ما يقولون حق لا اليقـين وما تهوى الأنفس يقول وهوى أنفسهم لأنهـم لم يأخذوا ذلك عن وحى جاءهـم من الله ولا عن رسول لله أخبرهـم به وانما هو اختراق من قبل أنفسهم أو أخذوه عن آبائهـم الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ما هم عليه منه وقوله ولقد جاءهم من ربهم الهـدى يقول ولقد جاء هؤلاء المشركين بالله من ربهـم البيان مما هم منـه على غير يقـين وذلك تسميتهم اللات والعزى ومناة الثالثة بهـذه الأسماء وعبادتهـم اياها يقول لقد جاءهم من ربهم الهـدى فى ذلك والبيان بالوحى الذى أوحيناه الى محمد صلى الله عليه وسـلم أن عبادتها لا تنبغى وأنه لا تصلح العبادة الا لله الواحد القهار وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد جاءهم من ربهم الهـدى فما انتفعوا به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ يقول تعالى ذكره أم اشتهى محمد صلى الله عليه وسـلم ما أعطاه الله من هذه الكرامة التى كرمه بها من النبوة والرسالة وانزال الوحى عليـه وتمنى ذلك فأعطاه اياه ربه فلله ما فى الدار الآخرة والأولى وهى الدنيا يعطى من شاء من خلقه ما شاء ويحرم من شاء منهـم ما شاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم للانسان ما تمنى قال وان كان محمد تمنى هـذا فذلك له وقوله وكم من ملك فى السـموات لا تغنى شفاعتهـم شيأ يقول تعالى ذكره وكم من ملك فى السـموات لا تغنى كثير من ملائكة الله لا تنفع شفاعتهم عند الله لمن شفعوا له شيأ الا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى يقول ومن بعـد أن يرضى لملائكته الذين يشـفعون له أن يشفعوا له فتنفعه حينئذ شفاعتهـم وانما هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لعبـدة الأوثان والمـلا من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون ما نعبـدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال الله جل ذكره لهـم ما تنفع شـفاعة ملائكتى الذين هم عندى لمن شفعوا له الا من بعد اذنى لهم بالشفاعة له ورضاى فكيف بشفاعة من دونهـم فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهـم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظنّ وان الظنّ لا يغنى من الحق شـيأ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين لا يصدّقون بالبعث فى الدار الآخرة وذلك يوم القيامة ليسمون ملائكة الله تسمية الاناث وذلك أنهـم كانوا يقولون هم بنـات الله وبنحو الذى قلنا فى قوله تسمية الانثى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تسـمية الأنثى قال الاناث وقوله وما لهم به من علم يقول تعالى وما لهم بما يقولون من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى من حقيقة علم ان يتبعون الا الظنّ يقول ما يتبعون فى ذلك الا الظنّ يعنى أنهم انما يقولون ذلك ظنا بغير علم وقوله وان الظنّ لا يغنى من الحق شـيأ يقول وان الظنّ لا ينفع من الحق شـيأ فيقوم مقامه وقوله فأعرض عمن تولى عن ذكرنا يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فدع من أدبر يا محمد عن ذكر الله ولم يؤمن به فهو وحده وقوله ولم يرد الا الحياة الدنيا يقول ولم يطلب ما عند الله فى الدار الآخر ولكنه طلب زينـة الحياة الدنيا والتمس البقاء فيها ۞ القول

أن اللام للعهد وهو فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه ومن قرأ بالتشديد فظاهر أى صدق فؤاده ما عاينه ولم يشك فى ذلك وقيـل اللام للجنس والمراد أن جنس الفؤاد لا ينكر ذلك وان كان الوهم والخيـال ينـكره والمقصود نفى الجواز لا نفى الوقوع كقوله لا تدركه الأبصار وما ربك بغافل بخلاف قوله ان الله لا يضيع أجر المحسـنين لا يغفر أن يشرك به فانه لنفى الوقوع والظاهر أن فاعل رأى محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الفؤاد أو البصر أى ما رآه الفؤاد ولم يقل له انه جن أو شـيطان أو لم يكذب الفؤاد ما رآه بصر محمد صلى الله عليه وسلم وما المرئىّ فيه أقوال أحدها ما مرّ وهو أنه رأى جبريل فى صورته بالأفق الشرقى والثانى الآيات العجيبة الالهية والثالث الرب تعالى والمسئلة مبنية على جواز الرؤية وقد تقدم البحث عن ذلك فى قـوله لا تدركه الأبصار ثم على وقوع الرؤية وقد تقـدم خلاف الصحابة فيـه فى حديث معراج النبى صلى الله عليـه وسلم وذلك فى أول سبحان الذى ولعل القول الأول أصـح يروى أنه ما رأى جبريل أحد من الأنبياء فى صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء واليـه الاشارة بقوله (أفتمارونه) من المراء أى أتجادلونه (على ما يرى) ومن قرأ أفتمرونه فمعناه أتغلبونه فى المراء يقال ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى

فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى يقوله هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة فى الملائكة من تسميتهم اياها تسمية الأنثى مبلغهم من العلم يقول ليس لهم علم الا هذا الكفر بالله والشرك به على وجه الظن بغير يقين علم وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم قال يقول ليس لهم علم الا الذى هم فيه من الكفر برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدتهم لما جاء من عند الله قال وهؤلاء أهل الشرك وقوله ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن طريقه فى سابق علمه فلا يؤمن وذلك الطريق هو الاسلام وهو أعلم بمن اهتدى يقول وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه فى سابق علمه وذلك الطريق أيضا الاسلام ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم﴾ يقول تعالى ذكره ولله ملك ما فى السموات وما فى الارض من شئ وهو يضل من يشاء وهو أعلم بهم ليجزى الذين أساؤا بما عملوا يقول ليجزى الذين عصوه من خلقه فأساؤا بمعصيتهم اياه فيثيبهم بها النار ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى يقول وليجزى الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم اياه فى الدنيا بالحسنى وهى الجنة فيثيبهم بها وقيل عنى بذلك أهل الشرك والايمان ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله ابن عياش قال قال زيد بن أسلم فى قول الله ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا المؤمنون وقوله الذين يجتنبون كبائر الاثم يقول الذين يبتعدون عن كبائر الاثم التى نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها وذلك الشرك بالله وما قد بيناه فى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وقوله والفواحش وهى الزنا وما أشبهه مما أوجب الله فيه حدا وقوله الا اللمم اختلف أهل التأويل فى معنى الا فى هذا الموضع فقال بعضهم هى بمعنى الاستثناء المنقطع وقالوا معنى الكلام الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم الذى ألموا به من الاثم والفواحش فى الجاهلية قبل الاسلام فان الله قد عفا لهم عنه فلا يؤاخذهم به ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم يقول الا ما قد سلف حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال المشركون انما كانوا بالامس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل الا اللمم ما كان منهم فى الجاهلية قال واللمم الذى ألموا به من تلك الكبائر والفواحش فى الجاهلية قبل الاسلام وغفرها لهم حين أسلموا حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عياش عن ابن عون عن محمد قال سأل رجل زيد بن ثابت عن هذه الآية الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فقال حرم الله عليك الفواحش ما ظهر منها وما بطن حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم فى قول الله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال كبائر الشرك والفواحش الزنا تركوا ذلك حين دخلوا فى الاسلام فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الاسلام * وكان بعض أهل العلم بكلام العرب ممن يوجه تأويل الا فى هذا الموضع الى هذا الوجه الذى ذكرته عن ابن عباس يقول فى تأويل ذلك لم يؤذن لهم فى اللمم وليس هو من الفواحش ولا من كبائر الاثم

يعلى وقيل معناه افتجحدونه ولابد من تضمين معنى الغلبة (ولقد رآه نزلة أخرى) أى مرة أخرى فانتصبت على الظرف لان الفعلة صيغة المرة فكانت النزلة فى حكم المرة أى نزل عليه جبريل فى صورته تارة أخرى فى ليلة المعراج ووجه الاستفهام الانكارى أنه لما رآه وهو على بسيط الأرض احتمل أن يقال انه كان من الجن احتمالا بعيدا فلما رآه (عند سدرة المنتهى) لم يحتمل أن يكون هناك جن ولا انس فلم يبق للجدال مجال أما القائل بالقول الثالث فزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه مرتين والنزلة اما بمعنى الحركة والانتقال عند من يجوز ذلك أو بمعنى قرب الرحمة والافضال وأما النبى صلى الله عليه وسلم لأنه نزل عن متن الهوى ومركب النفس وقيل أراد بالنزلة ضدها وهى العرجة واختير هذه العبارة ليعلم أن هذه عرجة تتبعها النزلة ليست عرجة لا نزلة لها وهى عرجة الآخرة وعلى القول الأول أيضا يحتمل أن تكون النزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن جبريل تخلف عنه فى مقام لو دنوت أنملة لاحترقت ثم عاد النبى صلى الله عليه وسلم اليه ومعنى أخرى أنه صلى الله عليه وسلم ترددفى أمر الصلاة مرارا فلعله كان ينزل الى جبرائيل كل مرة لا أقل من نزلتين أما السدرة فالأكثرون على أنها شجرة فى السماء السابعة وقيل فى السادسة نبقها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما

وقد يستثنى الشئ من الشئ وليس منه على ضمير قد كف عنه فمجازه الا أن يلم بشئ ليس من الفواحش ولا من الكبائر قال الشاعر

و بلدة ليس بها أنيس * الا اليعافير والا العيس

واليعافير الظباء والعيس الابل وليسا من الناس فكأنه قال ليس به أنيس غير أن به ظباء وابلا وقال بعضهم اليعفور من الظباء الأحمر والأعيس الأبيض وقال بنحو هذا القول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الاعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشى و يصدق ذلك الفرج و يكذبه فان تقدم بفرجه كان زانيا والا فهو اللمم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وأخبرنا ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيأ أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدركه ذلك لا محالة فزنا العينين النظر و زنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق فى قوله الا اللمم قال ان تقدم كان زنا وان تأخر كان لمما حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا منصور بن عبد الرحمن قال سألت الشعبي عن قول الله يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال هو ما دون الزنا ثم ذكر لنا عن ابن مسعود قال زنا العينين ما نظرت اليه وزنا اليد ما لمست وزنا الرجل ما مشت والتحقيق بالفرج حدثني محمد ابن معمر قال ثنا يعقوب قال ثنا وهيب قال ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم بن عمرو القارئ قال ثني عبد الرحمن بن نافع الذى يقال له ابن لبابة الطائفي قال سألت أبا هريرة عن قول الله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة اذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا * وقال آخرون بل ذلك استثناء صحيح ومعنى الكلام الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم الا أن يلم بها ثم يتوب ذكر من قال ذلك حدثني سليمن بن عبد الجبار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا زكريا بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية الا اللمم قال الذى يلم بالذنب ثم يدعه وقال الشاعر

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا يونس عن الحسن عن أبى هريرة أراه رفعه فى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فتلك الالمام حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فى قول الله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال اللمة من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود حدثني يعقوب قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فى قول الله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال اللمة من

لا يقطعها وقد ورد الحديث بذلك فعلى هذا عند ظرف مكان ثم ان كان المرئى جبريل فلا اشكال وان كان هو الله تعالى فكقول القائل رأيت الهلال على السطح وقدمر وقال بعضهم عند ظرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر والمعنى رآه عند الحيرة القصوى أى فى وقت تحار عقول العقلاء فيه ولكنه ما حار ولم يعرض له سدر واضافة سدرة الى المنتهى اما من اضافة الشئ الى مكانه كما يقال أشجار البلدة الفلانية كذا وأشجار الجنة لا تيبس ولا تخلو من الثمار فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك ولا يعلم ماوراءه أحد واليه ينتهى أرواح الشهداء وإما من اضافة المحل الى الحال كما يقال ظرف المداد أى سدرة هى محل انتهاء الجنة واما من اضافة الملك الى مالكه كما يقال دار زيد وأشجار عمرو فيكون التقدير سدرة المنتهى اليه وهو الله سبحانه قال وأن الى ربك المنتهى فالاضافة للتشريف نحو بيت الله وناقة الله قال الحسن (جنة المأوى) هى التى يصير اليها المتقون وقيل يأوى اليها أرواح الشهداء والظاهر أن الضمير فى عندها للسدرة وقيل للنزلة من ذهب الى أن سدرة المنتهى معناها الحيرة القصوى قال (اذ يغشى السدرة ما يغشى) معناه ورود حالة على حالة أى طرأ على محمد حين ما يحار العقل ما طرأ من فضل الله ومن رحمته والأكثرون قالوا فيه تعظيم وتكثير لما يغشى الشجرة من الخلائق الدالة على عظمة الله

الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن فى قوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيخفيها فيتوب منها حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس الا اللمم يلم بها فى الحين قلت الزنا قال الزنا ثم يتوب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور قال قال معمر كان الحسن يقول فى اللمم تكون اللمة من الرجل بالفاحشة ثم يتوب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح قال الزنا ثم يتوب * قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن قتادة عن الحسن الا اللمم قال أن يقع الوقعة ثم ينتهي حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال اللمم الذى تلم المرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرني يحيى بن أيوب عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب أن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال اللمم ما دون الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا مرة عن عبد الله بن القاسم فى قوله الا اللمم قال اللمة يلم بها من الذنوب حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله الا اللمم قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

* وقال آخرون ممن وجه معنى الا الى الاستثناء المنقطع اللمم هو دون حد الدنيا وحد الآخرة قد تجاوز الله عنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن عطاء عن ابن الزبير الا اللمم قال ما بين الحدين حد الدنيا وعذاب الآخرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن ابن عباس أنه قال اللمم ما دون الحدين حد الدنيا والآخرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدى عن شعبة عن الحكم وقتادة عن ابن عباس بمثله الا أنه قال حد الدنيا وحد الآخرة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا شعبة عن الحكم بن عتيبة قال قال ابن عباس اللمم ما دون الحدين حد الدنيا وحد الآخرة حدثني محمد ابن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال كل شئ بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات وهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته فى الدنيا وأما حد الآخرة فكل شئ ختمه الله بالنار وأخر عقوبته الى الآخرة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فى قوله الا اللمم يقول ما بين الحدين كل ذنب ليس فيه حد فى الدنيا ولا عذاب فى الآخرة فهو اللمم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم واللمم ما كان بين الحدين لم يبلغ حد الدنيا ولا حد الآخرة موجبة قد أوجب الله لأهلها النار أو فاحشة يقام عليه الحد فى الدنيا وحدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن قتادة قال قال بعضهم اللمم ما بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس قال اللمم ما بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قال قال الضحاك الا اللمم قال كل شئ بين حد الدنيا والآخرة فهو اللمم

يغفره

وجلاله مما لا يحيط بها الوصف وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر والرفرف كل ما يبسط من أعلى الى أسفل وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش أو جراد من ذهب والمحققون على أنها أنوار الله تعالى تجلى للسدرة كما تجلى للجبل لكن السدرة كانت أقوى من الجبل ومحمد صلى الله عليه وسلم كان أثبت من موسى فلم تضطرب الشجرة ولم يصعق محمد صلى الله عليه وسلم قوله (ما زاغ البصر) فيه وجهان أشهرهما أنه بصر محمد صلى الله عليه وسلم اى لم يلتفت الى ما يغشاها فان كان الغاشي هو الفراش او الجراد من ذهب فمعناه ظاهر ويكون ذلك ابتلاء وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم بالأمور الدنيوية وان كان الغاشي أنوار الله فالمراد أنه لم يلتفت الى غير المقصود ولم يشتغل بالنور عن ذى النور أو المراد ما زاغ البصر بالصعقة بخلاف موسى عليه السلام وفى الاول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم وفى الثاني بيان مزيته وذهب بعضهم الى أن اللام للجنس اى ما زاغ بصره أصلا فى ذلك الموضع هيبة واجلالا والظاهر أن الضمير فى قوله (وما طغى) للبصر أى ما جاوز حده المعين المأمور برؤيته ويحتمل أن يكون لمحمد صلى الله عليه وسلم أى ما زاغ بصره بالميل الى غير المقصود وما طغى محمد بسبب الالتفات قال بعض العلماء فيه

يغفره الله * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال الا بمعنى الاستثناء المنقطع ووجه معنى الكلام الى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم بما دون كبائر الاثم ودون الفواحش الموجبة للحدود فى الدنيا والعذاب فى الآخرة فان ذلك معفو لهم عنه وذلك عندى نظير قوله جل ثناؤه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما فوعد جل ثناؤه باجتناب الكبائر العفو عما دونها من السيآت وهو اللمم الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج ويكذبه وذلك أنه لاحد فيما دون ولوج الفرج فى الفرج يجب وذلك هو العفو من الله فى الدنيا عن عقوبة العبد عليه والله جل ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم واللمم فى كلام العرب المقاربة للشئ ذكر الفراء أنه سمع العرب تقول ضربه ما لمم القتل يريدون ضربا مقاربا للقتل قال وسمعت من آخر ألم يفعل فى معنى كاد يفعل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد واسع المغفرة واسع عفوه للمذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الاثم وانما أعلم جل ثناؤه بقوله هذا عباده أنه يغفر اللمم بما وصفنا من الذنوب لمن اجتنب كبائر الاثم والفواحش كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان ربك واسع المغفرة قد غفر ذلك لهم وقوله هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض يقول تعالى ذكره ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر والمحسن منكم من المسىء والمطيع من العاصى حين ابتدعكم من الأرض فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها وحين أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم يقول وحين أنتم حمل لم تولدوا (١) منكم وأنفسكم بعد ما صرتم رجالا ونساء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض قال كنحو قوله وهو أعلم بالمهتدين وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اذ أنشأكم من الأرض قال حين خلق آدم من الأرض ثم خلقكم من آدم وقرأ واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم وقد بينا فيما مضى قبل معنى الجنين ولم قيل له جنين بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله فلا تزكوا أنفسكم يقول جل ثناؤه فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قال سمعت زيد بن أسلم يقول فلا تزكوا أنفسكم يقول فلا تبرؤها وقوله هو أعلم بمن اتقى يقول جل ثناؤه ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى﴾ يقول تعالى ذكره أفرأيت يا محمد الذى أدبر عن الايمان بالله وأعرض عنه وعن دينه وأعطى صاحبه قليلا من ماله ثم منعه فلم يعطه فبخل عليه وذكر أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فضمن له الذى عاتبه ان هو أعطاه شيأ من ماله ورجع الى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة ففعل فأعطى الذى عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له ثم بخل عليه ومنعه تمام

بيان لوصول محمد صلى الله عليه وسلم الى سدرة اليقين الذى لا يقين فوقه اذ لم ير الشئ على خلاف ما هو عليه بخلاف الناظر الى عين الشمس فانه اذا نظر الى شئ آخر رآه أبيض أو أصفر أو أخضر قوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) الظاهر أن الكبرى صفة الآيات أى لقد رأى بعض آيات ربه الكبرى وذلك البعض اما جبرائيل على صورته واما سائر عجائب الملكوت ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف أى لقد رأى من آيات ربه آية هى الكبرى وعلى هذا لا تكون تلك الآية رؤية جبريل لما ورد فى الأخبار أن لله ملائكة أعظم منه كالملك الذى يسمى روحا نعم لو قيل انها رؤية الله الأعظم كان له وجه عند من يقول بأنه صلى الله عليه وسلم رأى الله ليلة المعراج وفيه خلاف تقدم قوله (أفرأيتم اللات والعزى) الخ اى عقيب ما سمعتم من عظمة الله تعالى ونفاذ أمره فى الملا الأعلى وأن الذى سد الأفق ببعض أجنحته تخلف عند سدرة المنتهى هل تنظرون الى هذه الأصنام مع قلتها وفقرها حتى تعلموا فساد ما ذهبتم اليه وعولتم عليه قال فى الكشاف اللات اسم صنم كان لثقيف بالطائف وأصله فعلة من لوى يلوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أى يطوفون فكأنه حذفت الياء تخفيفا وحركت الواو فانقلبت ألفا والوقف عليه بالتاء كيلا يشبه اسم الله وقيل أصله اللات بالتشديد وقد قرئ به زعموا أنه سمى

(١) لعله فلا تزكوا أنفسكم بعد ما وحرر كتبه مصححه

ماضمن له ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله
وأكدى قال الوليد بن المغيرة أعطى قليلا ثم أكدى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
قال ابن زيد في قوله أفرأيت الذي تولى الى قوله فهو يرى قال هذا رجل أسلم فلقيه بعض من
يعيره فقال أتركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار كان ينبغي لك أن تنصرهم فكيف
يفعل بآبائك فقال اني خشيت عذاب الله فقال أعطني شيأ وأنا أحمل كل عذاب كان عليك عنك
فأعطاه شيأ فقال زدني فتعاسر حتى أعطاه شيأ وكتب له كتابا وأشهد له فذلك قول الله أفرأيت
الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى عاسره أعنده علم الغيب فهو يرى نزلت فيه هذه الآية وبنحو
الذي قلنا في معنى قوله أكدى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا
مهران عن أبي سنان الشيباني عن ثابت عن الضحاك عن ابن عباس أعطى قليلا وأكدى قال
أعطى قليلا ثم انقطع حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن
أبيه عن ابن عباس قوله أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى يقول أعطى قليلا ثم انقطع
حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد أعطى قليلا وأكدى
قال انقطع فلا يعطي شيأ ألم تر الى البئر يقال لها أكدت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد وأكدى انقطع عطاؤه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن
طاوس وقتادة في قوله وأكدى قال أعطى قليلا ثم قطع ذلك * قال ثنا ابن ثور قال ثنا معمر
عن عكرمة مثل ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأكدى أي بخل
وانقطع عطاؤه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك
يقول في قوله وأكدى يقول انقطع عطاؤه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
في قوله وأكدى عاسره والعرب تقول حفر فلان فأكدى وذلك اذا بلغ الكدية وهو أن يحفر
الرجل في السهل ثم يستقبله جبل فيكدى يقال قد أكدى كداء وكديت أظفاره وأصابعه كدا
شديدا منقوص اذا غلظت وكديت أصابعه اذا كلت فلم تعمل شيأ وكدا النبت اذا قل ريعه
يهمز ولا يهمز وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول اشتق قوله أكدى من كدية الركية
وهو أن يحفر حتى ييأس من الماء فيقال حينئذ بلغنا كديتها وقوله أعنده علم الغيب فهو يرى
يقول تعالى ذكره أعند هذا الذي ضمن له صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة علم الغيب
فهو يرى حقيقة قوله ووفائه بما وعده وقوله أم لم ينبأ بما في صحف موسى يقول تعالى ذكره أم لم
يخبر هذا المضمون له أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة بالذي في صحف موسى بن عمران عليه
السلام وقوله وابراهيم الذي وفى يقول وابراهيم الذي وفى من أرسل اليه ما أرسل به ثم
اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وفى فقال بعضهم وفاؤه بما عهد اليه ربه من تبليغ رسالاته
وهو ألا تزر وازرة وزر أخرى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن
سفيان عن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس وابراهيم الذي وفى قال كانوا قبل ابراهيم يأخذون
الولي بالولي حتى كان ابراهيم فبلغ ألا تزر وازرة وزر أخرى لا يؤاخذ أحد بذنب غيره حدثنا
ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن مجاهد وعكرمة وابراهيم الذي وفى قالوا بلغ

هذه

برجل كان يلت عنده السمن بالزيت
ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان
رجل يلت السويق بالطائف
وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه
وثنا والعزى تأنيث الأعز وكان
لغطفان وهي شجرة سمرة بعث اليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد
ابن الوليد فقطعها فخرجت منها
شيطانة مكشوفة الرأس ناشرة
الشعر تضرب رأسها وتدعو بالويل
والثبور فجعل خالد يضربها بالسيف
حتى قتلها وهو يقول
يا عز كفرانك لا سبحانك
اني رأيت الله قد أهانك
فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
وأخبره بما فعل فقال تلك العزى
ولن تعبد أبدا وأما مناة فهي صخرة
كانت لهذيل وخزاعة كأنها سميت
بذلك لأن دماء النسائك كانت تمنى
عندها أي تراق ومن قرأ بالمد فلعلها
مفعلة من النوء كأنهم كانوا
يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها
و(الأخرى) لا يطلق الا اذا كان
الأول مشاركا للثاني فلا يقال رأيت
رجلا وامرأة أخرى وانما يقال
رأيت رجلا ورجلا آخر وههنا
ليست عزى ثالثة فكيف قال ومناة
الثالثة الأخرى وأجيب بأن
الأخرى صفة ذم لها أي المتأخرة
الوضيعة المقدار كقوله وقالت
أخراهم لأولاهم أي وضعاؤهم
لرؤسائهم ويجوز أن تكون الأولية
والتقدم عندهم للات والعزى
وذلك أن الأول كان على صورة
آدمي والعزى كانت من النبات
ومناة من الجماد وقيل في الكلام
تقديم وتأخير أي ومناة الأخرى

هذه الآيات ألا تزر وازرة وزر أخرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وابراهيم الذى وفى قال وفى طاعة الله وبلغ رسالات ربه الى خلقه * وكان عكرمة يقول وفى هؤلاء الآيات العشر ألا تزر وازرة وزر أخرى حتى بلغ وأن عليه النشأة الاخرى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وابراهيم الذى وفى وفى طاعة الله ورسالاته الى خلقه حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا أبو بكير عن أبى حصين عن سعيد بن جبير فى قوله وابراهيم الذى وفى قال بلغ ما أمر به حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان وابراهيم الذى وفى قال بلغ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وابراهيم الذى وفى قال وفى بلغ رسالات ربه بلغ ما أرسل به كما يبلغ الرجل ما أرسل به * وقال آخرون بل وفى بما رأى فى المنام من ذبح ابنه وقالوا قوله ألا تزر وازرة وزر أخرى من المؤخر الذى معناه التقديم وقالوا معنى الكلام أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ألا تزر وازرة وزر أخرى وبما فى صحف ابراهيم الذى وفى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى يقول ابراهيم الذى استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا والذى فى صحف موسى ألا تزر وازرة وزر أخرى الى آخر الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن لهيعة عن أبى صخر عن القرظى وسئل عن هذه الآية وابراهيم الذى وفى قال وفى بذبح ابنه * وقال آخرون بل معنى ذلك أنه وفى ربه جميع شرائع الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا على بن الحسن قال ثنا خارجة بن مصعب عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال الاسلام ثلاثون سهما وما ابتلى بهذا الدين أحد فأقامه الا ابراهيم قال الله وابراهيم الذى وفى فكتب الله له براءة من النار حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وابراهيم الذى وفى ما فرض عليه * وقال آخرون وفى بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى حدثنا أبو كريب قال ثنا رشدين بن سعد قال ثنى زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أنس عن أبيه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذى وفى لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى ختم الآية * وقال آخرون بل وفى ربه عمل يومه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وابراهيم الذى وفى قال أتدرون ما وفى قالوا الله ورسوله أعلم قال وفى عمل يومه أربع ركعات فى النهار * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال وفى جميع شرائع الاسلام وجميع ما أمر به من الطاعة لأن الله تعالى ذكره أخبر عنه أنه وفى فعم بالخبر عن توفيته جميع الطاعة ولم يخصص بعضا دون بعض فان قال قائل فانه خص ذلك بقوله وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى فان ذلك مما أخبر الله جل ثناؤه أنه فى صحف موسى وابراهيم لا مما خص به الخبر عن أنه وفى وأما التوفية فانها على العموم ولو صح الخبران اللذان ذكرناهما أو أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نعد القول به الى غيره ولكن فى اسنادهما نظر يجب التثبت فيهما من أجله وقوله ألا تزر وازرة وزر أخرى فأن من قوله الا تزر على التأويل الذى تأولناه فى موضع خفض ردا على ما التى فى قوله أم لم ينبأ بما فى صحف موسى يعنى بقوله ألا تزر وازرة وزر أخرى غيرها بل كل

الثالثة وقيل ان الأصنام فيها كثرة فاذا أخذنا اللات والعزى مقدمين كانت لهما ثوالث كثيرة وهذه ثالثة أخرى وقيل فيه حذف والتقدير أفرأيتم اللات والعزى المعبودتين بالباطل ومناة الثالثة المعبودة الأخرى ثم انه تعالى حين وبخهم على الشرك فكأنهم قالوا نحن لا نشك فى أن شيأ منها ليس مثلا لله تعالى ولكنا صورنا هذه الأشياء على صور الملائكة المعظمين الذين اعترف بهم الأنبياء وقالوا انهم يرتقون ويقفون عند سدرة المنتهى ويرد عليهم الأمر والنهى ويصدر عنهم الينا فوبخهم على قولهم ان هؤلاء الأصنام التى هى اناث أنداد لله تعالى أو على قولهم الملائكة بنات الله فاستفهم منكرا (ألكم الذكر) الذى ترغبون فيه (وله الأنثى) التى تستنكفون عنها (تلك) القسمة (اذا) أى اذا صح ماذكرتم (قسمة ضيزى) أى جائرة غير عادلة من ضازه يضيزه اذا ضامه وهى فعلى بالضم وكان يمكن أن تقلب الياء واوا لتسلم الضمة الا أنه فعل بالعكس أى قلبت الضمة كسرة لتسلم الياء فان ابقاء الحرف أولى من ابقاء الحركة ومن قرأ بالهمزة فمن ضأزه بالهمزة والمعنى واحد ولكنها فعلى بالكسر قال بعضهم انهم ما قسموا ولم يقولوا لنا البنون وله البنات ولكنهم نسبوا الى الله البنات وكانوا يكرهونهن فلزم من هذه النسبة قسمة جائرة فتقدير الكلام تلك النسبة قسمة غير عادلة اذ العدالة تقتضى أن يكون الشريف للشريف والوضيع

آثمة فانما اثمها عليها وقد بينا تأويل ذلك باختلاف أهل العلم فيه فيما مضى قبل ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو مالك الجنبى قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك الغفارى فى قوله ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى الى قوله من النذر الأولى قال هذا فى صحف ابراهيم وموسى وانما عنى بقوله ألا تزر وازرة وزر أخرى الذى ضمن للوليد بن المغيرة أن يتحمل عنه عذاب الله يوم القيامة يقول ألم يخبر قائل هذا القول وضامن هذا الضمان بالذى فى صحف موسى وابراهيم مكتوب أن لا تأثم آثمة إثم أخرى غيرها وأن ليس للانسان الا ما سعى يقول جل ثناؤه أولم ينبأ أنه لا يجازى عامل الا بعمله خيرا كان ذلك أوشرا كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأن ليس للانسان الا ما سعى وقرأ ان سعيكم لشتى قال أعمالكم * وذكر عن ابن عباس أنه قال هذه الآية منسوخة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأن ليس للانسان الا ما سعى قال فأنزل الله بعد هذا والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم فأدخل الله الأبناء بصلاح الآباء الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن الى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى﴾ قوله جل ثناؤه وأن سعيه سوف يرى يقول تعالى ذكره وأن عمل كل عامل سوف يراه يوم القيامة من ورد القيامة بالجزاء الذى يجازى عليه خيرا كان أوشرا لا يؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله ولا يثاب على صالح عمله عامل غيره وانما عنى بذلك الذى رجع عن اسلامه بضمان صاحبه له أن يتحمل عنه العذاب أن ضمانه ذلك لا ينفعه ولا يغنى عنه يوم القيامة شيأ لأن كل عامل فبعمله مأخوذ وقوله ثم يجزاه الجزاء الأوفى يقول تعالى ذكره ثم يثاب بسعيه ذلك الثواب الأوفى وانما قال جل ثناؤه الأوفى لأنه أوفى ما وعد خلقه عليه من الجزاء والهاء فى قوله ثم يجزاه من ذكر السعى وعليه عادت وقوله وأن الى ربك المنتهى يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وأن الى ربك يا محمد انتهاء جميع خلقه ومرجعهم وهو المجازى جميعهم بأعمالهم صالحهم وطالحهم ومحسنهم ومسيئهم وقوله وأنه هو أضحك وأبكى يقول تعالى ذكره وأن ربك هو أضحك أهل الجنة فى الجنة بدخولهم اياها وأبكى أهل النار فى النار بدخولهموها وأضحك من شاء من أهل الدنيا وأبكى من أراد أن يبكيه منهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنه هو أمات وأحيى وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى﴾ يقول تعالى ذكره وأنه هو أمات من مات من خلقه وهو أحيا من حيى منهم وعنى بقوله أحيا نفخ الروح فى النطفة الميتة فجعلها حية بتصييره الروح فيها وقوله وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة اذا تمنى يقول تعالى ذكره وأنه ابتدع انشاء الزوجين الذكر والأنثى وجعلهما زوجين لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى له زوج فهما زوجان يكون كل واحد منهما زوجا للآخر وقوله من نطفة اذا تمنى ومن من صلة خلق يقول تعالى ذكره خلق ذلك من نطفة اذا أمناه الرجل والمرأة وقوله وأن عليه النشأة الأخرى يقول تعالى ذكره وأن على ربك يا محمد أن يخلق هذين الزوجين بعد مماتهم وبلاهم فى قبورهم الخلق الآخر وذلك إعادتهم أحياء خلقا جديدا كما كانوا قبل مماتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى﴾ يقول تعالى ذكره وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه فجعل له قنية أصول أموال واختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم بالذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى

محمد

للوضيع (ان هى) يعنى ليس الأصنام أو أسماؤها المذكورات (الا أسماء سميتموها) وقد مر فى الاعراف وفى يوسف قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله الذم يتم بقوله (ما أنزل الله بها من سلطان) فان اطلاق الاسم على المسمى انما يجوز اذا لم يتبعه مفسدة دينية وههنا يمكن أن يكون مرادهم من قولهم الملائكة بنات الله أنهم أولاد الله من حيث انه لا واسطة بينهم وبينه فى الايجاد كما تقوله الفلاسفة والعرب قد تستعمل البنت مكان الولد كما يقال بنت الجبل وبنت الشفة لما يظهر منهما بغير واسطة خصوصا اذا كان فى اللفظ تاء التأنيث كالملائكة الا أنه لم يجز فى الشرع اطلاق هذا اللفظ على الملائكة لأنه يوهم النقص فى حقه تعالى ثم قال وهذا بحث يدق عن ادراك اللغوى ان لم يكن عنده من العلوم حظ عظيم قلت هذا البحث الدقيق يوجب أن يكون الذم راجعا الى ترك الأدب فقط وليس الأمر كذلك فان الذم انما توجه الى المشرك لأنه ادعى الالهية لما هو أبعد شئ منها وما أمكن له على تصحيح دعواه حجة عقلية ولا سمعية ومعنى ما أنزل الله بها أى بسببها وصحتها وقال الرازى الباء للمصاحبة كقول القائل ارتحل فلان بأهله ومتاعه أى ارتحل ومعه الأهل والمتاع ومن قرأ ان تتبعون على الخطاب فظاهر ومن قرأ على الغيبة فاما للالتفات واما لأن الضمير للآباء وصيغة الاستقبال حكاية الحال الماضية ويحتمل أن يكون المراد عامة الكفار قوله

محمد بن عمارة الأسدي قال ثنا عبيدالله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن السدّي عن أبي صالح قوله أغنى وأقنى قال أغنى المال وأقنى القنية * وقال آخرون عنى بقوله أغنى أخدم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبوعاصم قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد في قوله وأنه هو أغنى وأقنى قال أغنى موّل وأقنى أخدم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن قوله أغنى وأقنى قال أخدم حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله أغنى وأقنى قال أغنى وأخدم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أغنى وأقنى قال أعطى وأرضى وأخدم * وقال آخرون بل عنى بذلك بأنه أغنى من المال وأقنى رضى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنه هو أغنى وأقنى قال فانه أغنى وأرضى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد وأنه هو أغنى وأقنى قال أغنى موّل وأقنى رضى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أغنى قال موّل وأقنى قال رضى حدثني علي قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأنه هو أغنى وأقنى يقول أعطاه وأرضاه حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ليث عن مجاهد مثل حديث ابن بشار عن عبدالرحمن عن سفيان * وقال آخرون بل عنى بذلك أنه أغنى نفسه وأفقر خلقه اليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه وأنه هو أغنى وأقنى قال زعم حضرمي أنه ذكر له أنه أغنى نفسه وأفقر الخلائق اليه * وقال آخرون بل عنى بذلك أنه أغنى من شاء من خلقه وأفقر من شاء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنه هو أغنى وأقنى قال أغنى فأكثر وأقنى أقل وقرأ يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له وقوله وأنه هو رب الشعرى يقول تعالى ذكره وأن ربك يا محمد هو رب الشعرى يعني بالشعرى النجم الذي يسمى هذا الاسم وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبده من دون الله و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنه هو رب الشعرى قال هو الكوكب الذي يدعى الشعرى حدثني علي بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن خصيف عن مجاهد في قوله وأنه هو رب الشعرى قال الكوكب الذي خلف الجوزاء كانوا يعبدونه حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد وأنه هو رب الشعرى قال كان يعبد في الجاهلية حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله رب الشعرى قال مرزم الجوزاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنه هو رب الشعرى كان حيّ من العرب يعبدون الشعرى هذا النجم الذي رأيتم قال بشر قال يزيد النجم الذي يتبع الجوزاء حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله رب الشعرى قال كان ناس في الجاهلية يعبدون هذا النجم الذي يقال له الشعرى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنه هو رب الشعرى كانت تعبد

(وما تهوى الانفس) يجوز أن تكون ما مصدرية وفائدة العدول عن صريح المصدر الى العبارة الموجودة أن القائل اذا قال أعجبني صنعك لم يعلم أن الاعجاب من أمر قد تحقق أو من أمر هو فيه واذا قال أعجبني ما تصنع شمل الحال والاستقبال ويجوز أن تكون ما موصولة والفرق أن المتبع في الأول الهوى وفي الثاني مقتضى الهوى وقوله الانفس من باب مقابلة الجمع بالجمع والمعنى اتبع كل واحد منهم ما تهواه نفسه كقولك خرج الناس بأهلهم أي كل واحد بأهله ولعل الظن يختص بالاعتقاد وهوى النفس بالعمل ويجوز أن يكون الظن مقصودا به كل ما له محمل مرجوح والهوى يراد به ما لا وجه له أصلا ويحتمل أن يراد بالظن ما له محمل راجح أيضا وهو وان كان واجب العمل به في المسائل الاجتهادية الا أنه مذموم عند القدرة على اليقين والى هذا أشار بقوله (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وهو القرآن أو الرسول أو المعجزة وفي هذه الحالة لا يجوز البناء على الظن بل يجب التعويل على اليقين قوله (أم للانسان) أم منقطعة والهمزة فيها للانكار والمراد تمنيهم شفاعة الآلهة وأن لهم عند الله الحسنى على تقدير البعث اذ تمنى أشرافهم أن يكونوا أنبياء دون محمد صلى الله عليه وسلم قوله (فلله الآخرة والأولى) ردّ عليهم أي هو مالكها فهو المعطي والمانع ولا حكم لاحد عليه ومعنى الفاء أنه اذا تقرر أن شيأ من الأشياء ليس بتمني الانسان فلا حكم الا لله

في الجاهلية فقال تعبدون هذه وتتركون ربها اعبدوا ربها قال والشعرى النجم الوقاد الذي يتبع الجوزاء يقال له المرزم وقوله وأنه أهلك عادا الأولى يعني تعالى ذكره بعاد الأولى عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية وإياهم عنى بقوله ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض قراء البصرة عادا لولى ترك الهمز وجزم النون حتى صارت اللام في الأولى كأنها لام مثقلة والعرب تفعل ذلك في مثل هذا حكي عنها سماعا منهم قم لان عنا يريد قم الآن جزموا الميم لما حركت اللام التي مع الألف في الآن وكذلك تقول صم اثنين يريدون صم الاثنين وأما عامة قراء الكوفة وبعض المكيين فإنهم قرؤا ذلك باظهار النون وكسرها وهمز الأولى على اختلاف في ذلك عن الأعمش فروى أصحابه عنه غير القاسم بن معن موافقة أهل بلده في ذلك وأما القاسم بن معن فحكي عنه عن الأعمش أنه وافق في قراءته ذلك قراءة المدنيين * والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما ذكرنا من قراءة الكوفيين لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب وأن قراءة من كان من أهل السليقة فعلى البيان والتفخيم وأن الادغام في مثل هذا الحرف وترك البيان إنما يوسع فيه لمن كان ذلك سجيته وطبعه من أهل البوادي فأما المولدون فإن حكمهم أن يتحروا أفصح القراآت وأعذبها وأثبتها وإن كانت الأخرى جائزة غير مردودة وإنما قيل لعاد بن إرم عاد الأولى لأن بني لقيم بن هزال بن هزيل بن عبيل بن صد بن عاد الأكبر كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكانا بمكة مع اخوانهم من العمالقة ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم وهم عاد الآخرة ثم هلكوا بعد وكان هلاك عاد الآخرة ببغي بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما ذكرنا قيل لعاد الأكبر الذي أهلك الله ذريته بالريح عاد الأولى لأنها أهلكت قبل عاد الآخرة وكان ابن زيد يقول إنما قيل لعاد الأولى لأنها أول الأمم هلاكا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أهلك عادا الاولى قال يقال هي من أول الأمم وقوله وثمود فما أبقى يقول تعالى ذكره ولم يبق الله ثمود فيتركها على طغيانها وتمردها على ربها مقيمة ولكنه عاقبها بكفرها وعتوها فأهلكها واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء البصرة وبعض الكوفيين وثمودا فما أبقى بالاجراء اتباعا للمصحف إذ كانت الألف مثبتة فيه وقرأه بعض عامة الكوفيين بترك الاجراء وذكر أنه في مصحف عبد الله بغير ألف * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحتهما في الاعراب والمعنى وقد بينا قصة ثمود وسبب هلاكها فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى﴾ يقول تعالى ذكره وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم أشد ظلما لأنفسهم وأعظم كفرا بربهم وأشد طغيانا وتمردا على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانا من غيرهم من الأمم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح دعاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم نوح ألف سنة الا خمسين عاما كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبي الله حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به فيقول يا بني ان أبي قد مشى بي الى هذا وأنا مثلك يومئذ تتابعا في الضلالة وتكذيبا بأمر الله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر

ثم بين أن الشفاعة عند الله لا تكون الا برضاه وفيه أصناف من المبالغة من جهة أن كم للتكثير والعرب تستعمل الكثير وتريد الكل كما قد تستعمل الكل وتريد به الكثير كقوله تدمر كل شيء ومن جهة لفظ الملك فانهم أشرف المخلوقات سوى الانبياء عند بعض ومن قبل أنهم في السموات فان ذلك يدل على علو مرتبتهم ودنو منزلتهم ومن قبل اجتماعهم المدلول عليه بضمير الجمع في شفاعتهم واذا كان حالهم هكذا فكيف يكون حال الجمادات وقوله (لمن يشاء) أي لمن يريد الشفاعة له (ويرضى) أي ويراه أهلا أن يشفع له فههنا أيضا أنواع أخر من المبالغة الاول توقيف الشفاعة على الاذن والثاني تعليقها بالمشيئة فيفهم منه أنه بعد أن يؤذن في مطلق الشفاعة يحتاج الى الأذن في كل مرة معينة والثالث رضا الله الشفاعة فقد يشاء ولكن لا يرضاه كقوله ولا يرضى لعباده الكفر وهذا عند أهل السنة واضح ثم صرح بالتوبيخ على قولهم الملائكة بنات الله فقال (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أي كل واحد منهم (تسمية الأنثى) لأنهم اذا جعلوا الكل بنات فقد جعلوا كل واحدة بنتا وبالعكس * وههنا سؤالان أحدهما ان الذين لا يؤمنون بالآخرة أعم من هؤلاء المسمين فكان الأولى أن يقال ان الذين يسمون لا يؤمنون وثانيهما أنه كيف يلزم من عدم الايمان بالآخرة هذه التسمية والجواب عن الأول أن اللام للعهد وبه خرج

عن قتادة فى قوله انهم كانواهم أظلم وأطغى قال دعاهم نبى الله ألف سنة الاخمسين عاما وقوله والمؤتفكة أهوى يقول تعالى والمخسوف بها المقلوب أعلاها أسفلها وهى قرية سذوم قوم لوط أهوى الله فأمر جبريل صلى الله عليه وسلم فرفعها من الأرض السابعة بجناحه ثم أهواها مقلوبة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله والمؤتفكة أهوى قال أهواها جبريل قال رفعها الى السماء ثم أهواها حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن اسمعيل عن أبى عيسى يحيى بن رافع والمؤتفكة أهوى قال قرية لوط حين أهوى بها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والمؤتفكة أهوى قال قرية لوط حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله والمؤتفكة أهوى قال هم قوم لوط حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والمؤتفكة أهوى قال قرية لوط أهواها من السماء ثم أتبعها ذاك الصخر اقتلعت من الارض ثم هوى بها فى السماء ثم قلبت حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والمؤتفكة أهوى قال المكذبين أهلكهم الله وقوله فغشاها ماغشى يقول تعالى ذكره فغشى الله المؤتفكة من الحجارة المنضودة المسومة ماغشاها فأمطرها اياه من سجيل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فغشاها ماغشى غشاها صخرا منضودا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فغشاها ماغشى قال الحجارة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فغشاها ماغشى قال الحجارة التى رماهم بها من السماء * القول فى تأويل قوله تعالى { فبأى آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة } يقول فبأى آلاء ربك تتمارى يقول تعالى ذكره فبأى نعمات ربك يا ابن آدم التى أنعمها عليك ترتاب وتشك وتجادل والآلاء جمع إلى وفى واحدها لغات ثلاثة إلى على مثال علِى وألى على مثال على وألى على مثال علا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فبأى آلاء ربك تتمارى يقول فبأى نعم الله تتمارى يا ابن آدم وحدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فبأى آلاء ربك تتمارى قال بأى نعم ربك تتمارى وقوله هذا نذير من النذر الاولى اختلف أهل التأويل فى معنى قوله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم هذا نذير من النذر الأولى ووصفه اياه بأنه من النذر الاولى وهو آخرهم فقال بعضهم معنى ذلك أنه نذير لقومه وكانت النذر الذين قبله نذرا لقومهم كما يقال هذا واحد من بنى آدم وواحد من الناس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله هذا نذير من النذر الأولى قال أنذر محمد صلى الله عليه وسلم كما أنذرت الرسل من قبله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا نذير من النذر الأولى انما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بما بعث الرسل قبله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن شريك عن جابر عن أبى جعفر هذا نذير من النذر الأولى قال هو محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون معنى ذلك غير هذا كله وقالوا معناه هذا الذى أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التى ذكرت لكم أنى أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التى أنذرتها الامم قبلكم فى صحف ابراهيم وموسى ذكر من قال ذلك حدثنا

الجواب عن الثانى أيضا لانه يخبر عن جميع معهود أنهم يسمون ولا يلزم من حمل شئ على شئ أن يكون بينهما ملازمة ولو سلم أن اللام للعموم فالمراد بمثل هذا التركيب المبالغة والتوكيد كما تقول الانسان زيد وعلى هذا فان أريد بالحمل مجرد الاخبار فلا اشكال وان أريد الملازمة فمعناه المبالغة أيضا لأن غاية جهلهم بالآخرة وبالجزاء حملهم على ارتكاب مثل هذا الافتراء على الله والى هذا أشار بقوله (ما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن) واعلم أن الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه بحث مع هؤلاء المشركين الذين سموا الملائكة إناثا بحثا طويلا بناء على ظنه بهم أنهم رأوا فى لفظ الملائكة تاء فلذلك جعلوه مؤنثا وحاصل ذلك البحث يرجع الى أن التاء لا يلزم أن تكون للتأنيث فقد تكون لتأكيد الجمع كحجارة وصقورة أو لغير ذلك من المعانى ونحن قد أسقطنا تلك البحوث لعدم فائدتها كما نبهناك عليه ثم بين الله سبحانه قاعدة كلية فقال (وان الظن لا يغنى من الحق شيأ) أى كل ما يجب أن يحصل منه المكلف على العلم واليقين فلا ينفع فيه الظن والتخمين ومن جملته مسائل المبدا والمعاد التى ينبنى البحث فيها على البراهين العقلية والدلائل السمعية ومن قنع فى أمثالها بالوهم والظن لعدم الاستعداد أو لحفظ بعض المنافع الدنيوية وجب الاعراض عنه كما قال (فأعرض) أى اذا وقفت على قلة استعدادهم وعدم طلبهم للحق فأعرض يا محمد أو يا طالب الحق (عمن تولى عن ذكرنا

ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن اسمعيل عن أبي مالك هذا نذير من النذر الاولى قال مما أنذروا به قومهم فى صحف ابراهيم وموسى وهذا الذى ذكرت عن أبي مالك أشبه بتأويل الآية وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر ذلك فى سياق الآيات التى أخبر عنها أنها فى صحف ابراهيم وموسى نذير من النذر الأولى التى جاءت الامم قبلكم كما جاءتكم فقوله هذا بان تكون اشارة الى ما تقدمها من الكلام أولى وأشبه منه بغير ذلك وقوله أزفت الآزفة يقول دنت الدانية وانما يعنى دنت القيامة القريبة منكم أيها الناس يقال منه أزف رحيل فلان اذا دنا وقرب كما قال نابغة بنى ذبيان

أزف الترحل غير أن ركابنا * لما تزل برحالنا وكأن قد

وكما قال كعب بن زهير

بان الشباب وأمسى الشيب قد أزفا * ولا أرى لشباب ذاهب خلفا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أزفت الآزفة من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أزفت الآزفة قال اقتربت الساعة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أزفت الآزفة قال الساعة ليس لها من دون الله كاشفة وقوله ليس لها من دون الله كاشفة يقول تعالى ذكره ليس للآزفة التى قد أزفت وهى الساعة التى قد دنت من دون الله كاشف يقول ليس تنكشف فتقوم الا باقامة الله اياها وكشفها دون من سواه من خلقه لأنه لم يطلع عليها ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقيل كاشفة فأنثت وهى بمعنى الانكشاف كما قيل فهل ترى لهم من باقية بمعنى فهل ترى لهم من بقاء وكما قيل العاقبة وماله من ناهية وكما قيل ليس لوقعتها كاذبة بمعنى تكذيب ولا تزال تطلع على خائنة منهم بمعنى خيانة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا﴾ يقول تعالى ذكره لمشركى قريش أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون أن نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وتضحكون منه استهزاء به ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصى الله وأنتم من أهل معاصيه وأنتم سامدون يقول وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر معرضون عن آياته يقال للرجل دع عنا سمودك يراد به دع عنا لهوك يقال منه سمد فلان يسمد سمودا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه فقال بعضهم غافلون وقال بعضهم مغنون وقال بعضهم مبرطمون ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قوله سامدون قال هو الغناء كانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وهى لغة أهل اليمن قال اليمانى اسمد حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سامدون يقول لاهون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنتم سامدون يقول لاهون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال هى يمانية اسمد تغن لنا حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال هو الغناء وهى يمانية يقولون اسمد لنا تغن لنا * قال ثنا عبيد الله الاشجعى عن سفيان عن حكيم بن الديلم

عن

ولم يرد الا الحياة الدنيا) ويجوز أن يكون هذا الاعراض متضمنا للامر بالقتال أى أعرض عن المقال وأقبل على القتال وقوله (ذلك) أى الذى ذكر من التسمية أو من اعتقاد كون الاصنام شفعاء (مبلغهم من العلم) جملة معترضة ثم بين علة الاعراض قائلا (ان ربك هو أعلم) الى آخره وفيه بيان أنه تعالى يجازى كل فريق بحسب ما يستحقه وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم كيلا يتعب نفسه فى تحصيل ما ليس يرجى حصوله وهو ايمان أهل العناد الذين قنعوا بالظن بدل العلم ووقفوا لدى الباطل دون الحق ثم قرر أنه انما سوى الملك والملكوت لغرض الجزاء والاثابة والحسنى صفة المثوبة والاعمال واضافة الكبائر الى الاثم اضافة النوع الى الجنس لأن الاثم يشمل الكبائر والصغائر واختلف فى الكبائر وقد أشبعنا القول فيها فى سورة النساء فى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه والفواحش ما تزايد قبحه من الكبائر كأنها مع كبر مقدار عقابها قبيحة فى الصورة كالشرك بالله والمراد باللمم الصغائر والتركيب يدل على القلة ومنه اللمم المس من الجنون وألم بالمكان اذا قل لبثه فيه قال

* ألمت فحيت ثم قامت فودعت *

والا صفة كأنه قيل كبائر الاثم وفواحشه غير اللمم أو استثناء منقطع لأن اللمم ليس من الفواحش عن أبى سعيد الخدرى اللمم هى النظرة والغمزة والقبلة وعن السدى الخطرة من الذنب وعن الكلبى كل ذنب لم يذكر الله عز وجل عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء هى ما تعتاده

عن الضحاك عن ابن عباس وأنتم سامدون قال كانوا يمرون على النبي صلى الله عليه وسلم شامخين ألم تروا الى الفحل فى الابل عطنا شامخا حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن الحسن فى قوله وأنتم سامدون قال غافلون حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنتم سامدون قال كانوا يمرون على النبي صلى الله عليه وسلم غضابا مبرطمين وقال عكرمة هو الغناء بالحميرية * قال ثنا الاشجعى ووكيع عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هى البرطمة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأنتم سامدون قال البرطمة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأنتم سامدون قال البرطمة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن عكرمة عن ابن عباس قال السامدون المغنون بالحميرية حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كان عكرمة يقول السامدون يغنون بالحميرية ليس فيه ابن عباس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سامدون أى غافلون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله سامدون قال غافلون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأنتم سامدون السمود اللهو واللعب حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سفيان بن سعيد عن فطر عن أبى خالد الوالبى عن على رضى الله عنه قال رآهم قياما ينتظرون الامام فقال مالكم سامدون حدثنى ابن سنان القزاز قال ثنا أبو عاصم عن عمران بن زائدة بن نشيط عن أبيه عن أبى خالد قال خرج علينا على رضى الله عنه ونحن قيام فقال مالى أراكم سامدين * قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا سفيان عن فطر عن زائدة عن أبى خالد بمثله حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدىّ عن سعيد عن أبى معشر عن ابراهيم فى قوله وأنتم سامدون قال قيام القوم قبل أن يجىء الامام حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن عمران الخياط عن ابراهيم فى القوم ينتظرون الصلاة قياما قال كان يقال ذاك السمود حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن ليث والعرزمى عن مجاهد وأنتم سامدون قال البرطمة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس وأنتم سامدون قال الغناء باليمانية اسمد لنا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنتم سامدون قال السامد الغافل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال كانوا يكرهون أن يقوموا اذا أقام المؤذن الصلاة وليس عندهم الامام وكانوا يكرهون أن ينتظروه قياما وكان يقال ذاك السمود أو من السمود وقوله فاسجدوا لله واعبدوا يقول تعالى ذكره فاسجدوا لله أيها الناس فى صلاتكم دون من سواه من الآلهة والأنداد واياه فاعبدوا دون غيره فانه لا ينبغى أن تكون العبادة الا له فأخلصوا له العبادة والسجود ولا تجعلوا له شريكا فى عبادتكم اياه

آخر تفسير سورة والنجم

النفس حينا بعد حين قال جار الله معنى قوله (ان ربك واسع المغفرة) أنه يكفر الصغائر باجتناب الكبائر ويكفر الكبائر بالتوبة وأقول فيه اشارة الى أن اللمم مالا يمكن فيه الاجتناب عنه لكل الناس أولا كثرهم فالعفو عن ذلك يحتاج الى سعة وكثرة بل فيه بشارة أنه سبحانه يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك لأن غفران اللمم لا يوجب الوصف بسعة المغفرة وانما يوجب ذلك أن لو غفر معها الكبائر وقوله (هو أعلم بكم) الى آخره دليل على وجوب وقوع الغفران لأنه اذا كان عالما بأصلهم وفرعهم كان عالما بضعفهم ونقصهم فلا يؤاخذهم بما يصدر عنهم على مقتضى جبلتهم وطبعهم فكل شئ يرجع الى الأصل والأرض بطبعها تميل الى الأسفل والجنين أوله نطفة مذرة وآخره الاغتذاء بدماء قذرة واذا كان مبدأ حاله هكذا وهو فى أوسط أمره متصف بالظلم والجهل والعاقبة غير معلومة وجب عليه أن لا يزكى نفسه فان الله تعالى أعلم بالزكى والتقى أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وما أحسن نسق هذه الجمل وقد أبعد بعض أهل النظم فقال لماذكر أنه أعلم بمن ضل كان للكافر أن يقول كيف يعلم الله أمورا نعملها فى البيت الخالى وفى جوف الليل المظلم فأجاب الله تعالى بأنا نعلم ماهو أخفى من ذلك وهو أحوالكم وقت كونكم أجنة وقوله (فى بطون أمهاتكم) للتأكيد فانه اذا خرج من بطن الأم يدعى سقطا أو ولدا وقيل أراد أن الضال والمهتدى حصلا على ماهما عليه

﴿تفسير سورة اقتربت الساعة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله اقتربت الساعة دنت الساعة التى تقوم فيها القيامة وقوله اقتربت افتعلت من القرب وهذا من الله تعالى ذكره انذار لعباده بدنو القيامة وقرب فناء الدنيا وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم وهم عنها فى غفلة ساهون وقوله وانشق القمر يقول جل ثناؤه وانفلق القمر وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل هجرته الى المدينة وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر آية حجة على صدق قوله وحقيقة نبوته فلما أراهم أعرضوا وكذبوا وقالوا هذا سحر مستمر سحرنا محمد فقال الله جل ثناؤه وان يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار وقال به أهل التأويل * ذكر الآثار المروية بذلك والأخبار عمن قاله من أهل التأويل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن أنس قال انشق القمر فرقتين حدثنا ابن المثنى والحسن بن أبى يحيى المقدسى قالا ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن قتادة قال سمعت أنسا يقول انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى يعقوب الدورقى قال ثنا أبو داود قال ثنا سعيد عن قتادة قال سمعت أنسا يقول فذكر مثله حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج بن محمد عن شعبة عن قتادة عن أنس قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر ابن المفضل قال ثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما حدثنى أبو السائب قال ثنا معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن أبى معمر عن عبد الله قال انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى حتى ذهبت منه فرقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا حدثنى اسحق بن أبى اسرائيل قال ثنا النضر بن شميل المازنى قال أخبرنا شعبة عن سليمن قال سمعت ابراهيم عن أبى معمر عن عبد الله قال تفلق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فكانت فرقة على الجبل وفرقة من ورائه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد حدثنا اسحق بن أبى اسرائيل قال ثنا النضر قال أخبرنا شعبة عن سليمن عن مجاهد عن ابن عمر مثل حديث ابراهيم فى القمر حدثنى عيسى بن عثمان ابن عيسى الرملى قال ثنى عمى يحيى بن عيسى عن الاعمش عن ابراهيم عن رجل عن عبد الله قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فانشق القمر فأخذت فرقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله قال رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق حدثنا الحسن بن يحيى المقدسى قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

بتقدير الله و بأنه كتب عليهما فى رحم أمهما أنه ضال أو مهتد وقيل فيه تقرير الجزاء وتحقيق الحشر فان العالم بأحوال المكلف وهو جنين القادر على انشائه من الأرض أول مرة عالم بأجزائه بعد التفرق قادر على جمعه بعد التمزق والعامل فى اذ هو اذكر أو ما يدل عليه أعلم أى يعلمكم وقت الانشاء والخطاب للموجودين وقت نزول الآية وللآخرين بالتبعية ويجوز أن يكون الانشاء من الأرض اشارة الى خلق أبينا آدم وقوله واذ أنتم يكون خطابا بالناقوله (أفرأيت الذى تولى) قال بعض المفسرين نزل فى الوليد بن المغيرة جلس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع وعظه وأثرت الحكمة فيه تأثيرا قويا فقال له رجل لم تترك دين آبائك قال أخاف ثم قال له لا تخف وأعطنى كذا وأنا أتحمل عنك أوزارك فأعطاه ما ألزمه وتولى عن الوعظ واستماع كلام النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم نزل فى عثمان بن عفان كان يعطى ماله عطاء فقال له أخوه من أمه عبد الله بن سعد بن أبى سرح يوشك أن يفنى مالك فأمسك فقال له عثمان ان لى ذنوبا وخطايا وانى أرجو أن يغفر الله لى بسبب العطاء فقال عبد الله أعطنى ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وامسك عن الاعطاء ومعنى تولى ترك المركز يوم أحد فعاد عثمان الى خير من ذلك يقال أكدى الحافر اذا لقيته كدية وهى أرض صلبة كالصخرة ونحوه أجبل الحافر وأجبل الشاعر اذا أفحم ثم

قريش هذا سحر ابن أبي كبشة سحركم فسلوا السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله تبارك وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال قد مضى انشقاق القمر حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن محمد قال نبئت أن ابن مسعود كان يقول قد انشق القمر * قال أخبرنا ابن علية قال أخبرنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال ألا ان الله يقول اقتربت الساعة وانشق القمر ألا وان الساعة قد اقتربت ألا وان القمر قد انشق ألا وان الدنيا قد آذنت بفراق الاوان اليوم المضمار وغدا السباق فقلت لأبي أتستبق الناس غدا فقال يا بني انك لجاهل انما هو السباق بالأعمال ثم جاءت الجمعة الاخرى فحضرنا فخطب حذيفة فقال ألا ان الله تبارك وتعالى يقول اقتربت الساعة وانشق القمر ألا و إن الساعة قد اقتربت ألا و إن القمر قد انشق ألا و إن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وان اليوم المضمار وغدا السباق ألا وان الغاية النار والسابق من سبق الى الجنة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن قال كنت مع أبي بالمدائن قال فخطب أميرهم وكان عطاء يرى أنه حذيفة فقال في هذه الآية اقتربت الساعة وانشق القمر قد اقتربت الساعة وانشق القمر قد اقتربت الساعة وانشق القمر اليوم المضمار وغدا السباق والسابق من سبق الى الجنة والغاية النار قال فقلت لأبي غدا السباق قال فأخبره حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن حصين عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن خارجة عن الحصين بن عبد الرحمن عن ابن جبير عن أبيه وانشق القمر قال انشق ونحن بمكة حدثنا محمد بن عسكر قال ثنا عثمان بن صالح وعبد الله بن عبد الحكم قالا ثنا بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عراك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال انشق القمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا نصر بن علي قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال انشق القمر قبل الهجرة أو قال قد مضى ذاك حدثنا اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن علي عن ابن عباس بنحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن علي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية اقتربت الساعة وانشق القمر قال ذاك قد مضى كان قبل الهجرة انشق حتى رأوا شقيه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر قال قد مضى كان قد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأعرض المشركون وقالوا سحر مستمر حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اقتربت الساعة وانشق القمر قال رأوه منشقا حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور وليث عن مجاهد اقتربت الساعة وانشق القمر قال انفلق القمر فلقتين فثبتت فلقة وذهبت فلقة من وراء الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهدوا حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي سنان عن ليث عن مجاهد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر اشهد

وبخه بأنه لا يعلم الغيب فكيف يعلم أن أوزاره محمولة عنه وقيل نزلت في أهل الكتاب وذلك أنه لما بين حال المشركين المعاندين شرع في قصة هؤلاء والمعنى أفرأيت الذي تولى أي صار متوليا لكتاب الله وأعطى قليلا من الزمان حق الله فيه ولما بلغ عصر محمد صلى الله عليه وسلم أمسك عن العمل به قالوا يؤيد هذا التفسير قوله (أم لم ينبأ بما في صحف موسى) عينها أو جنسها وهو ما نبأهم به نبينا صلى الله عليه وسلم وجمع الصحف إما لأن موسى له صحيفة وابراهيم له صحيفة فذكر التثنية بصيغة الجمع وإما لأن كل واحد منهما له صحف لقوله تعالى وألقى الألواح وكل لوح صحيفة وتقديم صحف موسى اما لأنها أقرب وأشهر وأكثر وإما لأنه رتب وصف ابراهيم عليه واما لحسن رعاية الفاصلة وقد راعى في آخر سبح اسم ربك هذا المعنى مع ترتيب الوجود والتشديد في قوله وفى للمبالغة في الوفاء أو لأنه بمعنى وفر وأتم كقوله فأتمهن وأطلق الفعل ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح الولد وعلى نار نمرود وقيامه بأضيافه بنفسه يروى أنه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يطلب ضيفا فان وافقه أكرمه والا نوى الصوم وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما رمي في النار قال له جبريل وميكائيل ألك حاجة فقال أما اليكم فلا قالا فسل الله قال حسبي من سؤالي علمه

يا أبا بكر فقال المشركون سحر القمر حتى انشق حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي سنان قال قدم رجل المدائن فقام فقال ان الله تبارك وتعالى يقول اقتربت الساعة وانشق القمر وان القمر قد انشق وقد آذنت الدنيا بفراق اليوم المضمار وغدا السباق والسابق من سبق الى الجنة والغاية النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اقتربت الساعة وانشق القمر يحدث الله في خلقه ما يشاء حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن أنس قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال اقتربت الساعة وانشق القمر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وانشق القمر قد مضى كان الشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأعرض عنه المشركون وقالوا سحر مستمر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمرو عن مغيرة عن ابراهيم قال مضى انشقاق القمر بمكة وقوله وان يروا آية يعرضوا يقول تعالى ذكره وان ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلالة تدلهم على صدقه فيما جاءهم به عن ربهم يعرضوا عنها فيولوا مكذبين بها منكرين أن يكون حقا يقينا ويقولوا تكذيبا منهم بها وانكارا لها أن تكون حقا هذا سحر سحرنا به محمد حين خيل الينا أنا نرى القمر منفلقا باثنين بسحره وهو سحر مستمر يعني يقول سحر مستمر ذاهب من قولهم قد مر هذا السحر اذا ذهب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سحر مستمر قال ذاهب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر قال اذا رأى أهل الضلالة آية من آيات الله قالوا انما هذا عمل السحر يوشك هذا أن يستمر ويذهب حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ويقولوا سحر مستمر يقول ذاهب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ويقولوا سحر مستمر كما يقول أهل الشرك اذا كسف القمر يقولون هذا عمل السحرة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قوله سحر مستمر قال حين انشق القمر بفلقتين فلقة من وراء الجبل وذهبت فلقة أخرى فقال المشركون حين رأوا ذلك سحر مستمر وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يوجه قوله مستمر الى أنه مستفعل من الامرار من قولهم قد مر الحبل اذا صلب وقوي واشتد وأمررته أنا اذا فتلته فتلا شديدا أو يقول معنى قوله ويقولوا سحر مستمر سحر شديد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر﴾ يقول تعالى ذكره وكذب هؤلاء المشركون من قريش بآيات الله بعدما أتتهم حقيقتها وعاينوا الدلالة على صحتها برؤيتهم القمر منفلقا فلقتين واتبعوا أهواءهم يقول وآثروا اتباع ما دعتهم اليه أهواء أنفسهم من تكذيب ذلك على التصديق بما قد أيقنوا صحته من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما جاءهم به من ربهم وقوله وكل أمر مستقر يقول تعالى ذكره وكل أمر من خير أو شر مستقر قراره ومتناه نهايته فالخير مستقر بأهله في الجنة والشر مستقر بأهله في النار كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكل أمر مستقر أي بأهل الخير الخير وبأهل الشر الشر وقوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر يقول تعالى ذكره ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا بآيات الله واتبعوا

بحالي وروى في الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الفجر والضحى وروى ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا أصبح واذا أمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى حين تظهرون وعن الهزيل بن شرحبيل كان بين نوح وابراهيم صلى الله عليه وسلم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل الزوج بامرأته والعبد بسيده وأول من خالفهم ابراهيم فلهذا قال سبحانه (ألا تزر وازرة) وهي مخففة من الثقيلة ولهذا لم ينصب الفعل وضمير الشأن محذوف ومحلها الجر بدلا مما في صحف موسى أو الرفع كأن قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل هو أنه لا تزر نفس من شأنها أن تزر وزر نفس أخرى اذا لم تحمل التي يتوقع منها ذلك فغيرها أولى بأن لا تحمل ثم عطف على قوله ألا تزر قوله (وأن ليس) وحكمه حكم ما يتلوه من المعطوفات فيما مر وفيه مباحث الأول الانسان عام وقيل هو الكافر وأورد عليه أن الله سبحانه قال ليس للانسان ولو أراد الكافر لقال ليس على الانسان وهذا بالحقيقة غير وارد فان اللام قد تستعمل في مثل هذا المعنى قال تعالى وان أسأتم فلها وورد على الأول أن الدعاء والصدقة والحج ينفع الميت كما ورد في الأخبار وأيضا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والاضعاف فوق ما سعى وأجاب بعضهم بأن قوله ليس للانسان الا ما سعى كان في شرع من تقدم ثم انه تعالى نسخه في شريعتنا

أهواءهم من الاخبار عن الأمم السالفة الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذى هم عليه وأحل الله بهم من عقوباته ماقص فى هذا القرآن مافيه لهم مزدجر يعنى مايردعهم ويزجرهم عماهم عليه مقيمون من التكذيب بآيات الله وهو مفتعل من الزجر وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مزدجر قال منتهى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر أى هذا القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر قال المزدجر المنتهى وقوله حكمة بالغة يعنى بالحكمة البالغة هذا القرآن ورفعت الحكمة ردًا على ما التى فى قوله ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر وتأويل الكلام ولقد جاءهم من الانباء النبأ الذى فيه مزدجر حكمة بالغة ولو رفعت الحكمة على الاستئناف كان جائزا فيكون معنى الكلام حينئذ ولقد جاءهم من الانباء النبأ الذى فيه مزدجر ذلك حكمة بالغة أوهو حكمة بالغة فتكون الحكمة كالتفسير لها وقوله فما تغنى النذر وفى ما التى فى قوله فما تغنى النذر وجهان أحدهما أن تكون بمعنى الجحد فيكون اذا وجهت الى ذلك معنى الكلام فليست تغنى عنهم النذر ولا ينتفعون بها لاعراضهم عنها وتكذيبهم بها والآخر أن تكون بمعنى أى فيكون معنى الكلام اذا وجهت الى ذلك فأى شئ تغنى عنهم النذر والنذر جمع نذير كالجدد جمع جديد والحصر جمع حصير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فتول عنهم يوم يدع الداع الى شئ نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فتول عنهم فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك الذين ان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانهم يوم يدعو داعى الله الى موقف القيامة وذلك هو الشئ النكر خشعا أبصارهم يقول ذليلة أبصارهم خاشعة لاضربها يخرجون من الأجداث وهى جمع جدث وهى القبور وانما وصف جل ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم والمراد به جميع أجسامهم لأن أثر ذلة كل ذليل وعزة كل عزيز تتبين فى ناظريه دون سائر جسده فلذلك خص الأبصار بوصفها بالخشوع وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله خشعا أبصارهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خاشعا أبصارهم أى ذليلة أبصارهم واختلفت القراء فى قراءة قوله خاشعا أبصارهم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض المكيين والكوفيين خشعا بضم الخاء وتشديد الشين بمعنى خاشع وقرأه عامة قراء الكوفة وبعض البصريين خاشعا أبصارهم بالألف على التوحيد اعتبارا بقراءة عبد الله وذلك أن ذلك فى قراءة عبد الله خاشعة أبصارهم وألحقوه وهو بلفظ الاسم فى التوحيد اذ كان صفة بحكم فعل ويفعل فى التوحيد اذا تقدم الأسماء كما قال الشاعر

وشباب حسن أوجههم * من اياد بن نزار بن معد

فوحد حسنا وهو صفة للاوجه وهى جمع وكما قال الآخر

يرمى الفجاج بها الركبان معترضا * أعناق بزلها مرخى لها الجدل

فوحد معترضا وهى من صفة الأعناق والجمع والتأنيث فيه جائزان على ما بينا وقوله كأنهم جراد منتشر يقول تعالى ذكره يخرجون من قبورهم كأنهم فى انتشارهم وسعيهم الى موقف الحساب جراد منتشر وقوله مهطعين الى الداع يقول مسرعين بنظرهم قبل داعيهم الى ذلك الموقف

وجعل للانسان ماسعى ومالم يسع وقال المحققون ان سعى غيره وكذا الاضعاف لما لم ينفعه الامبنيا على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا كان سعى غيره كأنه سعى نفسه الثانى مامصدرية والمضاف محذوف أى الاثواب أو جزاء سعيه ويجوز أن تكون موصولة أى الا الجزاء الذى سعى فيه الثالث فى صيغة المضى اشارة الى أنه لايفيد الانسان الا الذى قد حصل فيه ووجد وأما مجرد النية مع التوانى والتراخى فذلك مما لااعتماد عليه ولعل ذلك من مكايد الشيطان يمنيه ويعده الى أن يحل الأجل بغتة قوله (وأن سعيه سوف يرى) ان كان من الرؤية فكقوله اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وان كان من الاراءة فالفائدة فى اراءته وعرضه عليه أن يفرح به وهو ويحزن الكافر والله قادر على اعادة كل معدوم عرضا كان أو جوهرا والمراد أن يريه الله اياه على صورة جميلة ان كان عملا صالحا وبالضد ان كان بالضد ويجوز أن يكون مجازا عن الثواب كما يقال سترى احسانك عند الملك أى جزاءه الا أن القول الاول أقوى لقوله (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) اللهم الا أن يراد تراخى الرتبة والفائدة تعود الى الوصف بالأوفى وهو الرؤية التى هى أوفى من كل واف أى يجزى العبد بسعيه الجزاء الأتم وجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الأوفى) وأبدل عنه كقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا ومن لطائف الآية أنه قال فى حق المسىء لاتزر

وقد بينا معنى الاهطاع بشواهده المغنية عن الاعادة ونذكر بعض مالم نذكره فيما مضى من الرواية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عثمان بن يسار عن تميم بن حذلم قوله مهطعين الى الداع قال هو التحميج حدثنا ابن حميد قال ثنا سفيان عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى مهطعين الى الداع قال التحميج * قال ثنا مهران عن سفيان مهطعين الى الداع قال هكذا أبصارهم شاخصة الى السماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مهطعين الى الداعى أى عامدين الى الداع حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله مهطعين يقول ناظرين وقوله يقول الكافرون هذا يوم عسر يقول تعالى ذكره يقول الكافرون بالله يوم يدع الداعى الى شئ نكر هذا يوم عسر وانما وصفوه بالعسر لشدة أهواله وبلباله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ﴾ وهذا وعيد من الله تعالى ذكره وتهديد للمشركين من أهل مكة وسائر من أرسل اليه رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه وتقدّم منه اليهم ان هم لم ينيبوا من تكذيبهم اياه أنه محل بهم ما أحل بالأمم الذين قص قصصهم فى هذه السورة من الهلاك والعذاب ومنج نبيه محمدا والمؤمنين به كما نجى من قبله من الرسل وأتباعهم من نقمه التى أحلها بأممهم فقال جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كذبت يا محمد قبل هؤلاء الذين كذبوك من قومك الذين اذا رأوا آية أعرضوا وقالوا سحر مستمر قوم نوح فكذبوا عبدنا نوحا اذ أرسلناه اليهم كما كذبتك قريش اذ أتيتهم بالحق من عندنا وقالوا هو مجنون وازدجر وهو افتعل من زجرت وكذا تفعل العرب بالحرف اذا كان أوله زايا صيروا تاء الافتعال منه دالا من ذلك قولهم ازدجر من زجرت وازدلف من زلفت وازديد من زدت واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى زجروه فقال بعضهم كان زجرهم اياه أن قالوا استطير جنونا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد وقالوا مجنون وازدجر قال استطير جنونا حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد بمثله حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وازدجر قال استطير جنونا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى هذه الآية وقالوا مجنون وازدجر قال استعر جنونا حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن الحباب قال وأخبرنى شعبة بن الحجاج عن الحكم عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل كان زجرهم اياه وعيدهم له بالشتم والرجم بالقول القبيح ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقالوا مجنون وازدجر قال اتهموه وزجروه وأوعدوه لئن لم يفعل ليكونن من المرجومين وقرأ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وقوله فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر يقول تعالى ذكره فدعا نوح ربه ان قومى قد غلبونى تمرّدا وعتوا ولا طاقة لى بهم فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾ يقول تعالى ذكره ففتحنا لما دعانا نوح مستغيثا بنا على قومه أبواب السماء بماء منهمر وهو المندفق كما قال امرؤ القيس فى صفة غيث

راح تمريه الصبا ثم انتحى * فيه شؤبوب جنوب منهمر

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران

وازرة وزر أخرى ولا يلزم منه أن يبق الوزر على المذنب بل يجوز أن يسقط عنه بالمحو والعفو ولو قال كل وازرة تزر وزر نفسها لم يكن بد من بقاء وزرها عليها وقال فى حق المحسن ليس له الا ما سعى ولم يقل ليس له ما لم يسع اذ العبارة الثانية لا يلزمها أن له ما سعى والعبارة الاولى يلزمها ذلك لأنها فى قوة كلامين اثبات ونفى والحاصل أنه قال فى حق المسىء بعبارة لا تقطع رجاءه وفى حق المحسن بعبارة توجب رجاءه كل ذلك لأن رحمته سبقت غضبه قوله (وأن الى ربك المنتهى) المشهور أن فيه بيان المعاد كقوله عز من قائل والى الله المصير أى للناس بين يدى الله وقوف وفيه بيان وقت الجزاء وقد يقال المراد به التوحيد وهو تأويل أهل العرفان والحكماء يستدلون به على وجود الصانع فان الممكن لا بد أن ينتهى الى الواجب وقيل أراد أن البحث والادراك ينتهى عنده كما قيل اذا بلغ الكلام الى الله فأمسكوا وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا ذكر الرب فانتهوا والخطاب عام لكل سامع مكلف وفيه تهديد للمسئ ووعد للمحسن وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية له ثم بين غاية قدرته وهى ايجاده الضدين الضحك والبكاء والاماتة والاحياء فى شخص واحد وكذا الذكورة والانوثة فى مادة واحدة هى النطفة نطفت اذا تمنى تدفق فى الرحم يقال منى وأمنى وقال الاخفش تخلق والمنى التقدير وفيه ابطال قول

عن سفيان بماء منهمر قال ينصب انصبابا وقوله وفجرنا الأرض عيونا يقول جل ثناؤه وأسلنا الأرض عيون الماء كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان فى قوله وفجرنا الأرض عيونا قال فجرنا الارض الماء وجاء من السماء فالتقى الماء على أمر قد قدر يقول تعالى ذكره فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله وقضاه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان فالتقى الماء على أمر قد قدر قال ماء السماء وماء الارض وانما قيل فالتقى الماء على أمر قد قدر والالتقاء لا يكون من واحد وانما يكون من اثنين فصاعدا لأن الماء قد يكون جمعا وواحدا وأريد به فى هذا الموضع مياه السماء ومياه الارض فخرج بلفظ الواحد ومعناه الجمع وقيل التقى الماء على أمر قد قدر لأن ذلك كان أمرا قد قضاه الله فى اللوح المحفوظ كما حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال كانت الأقوات قبل الأجساد وكان القدر قبل البلاء وتلا فالتقى الماء على أمر قد قدر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾ يقول تعالى ذكره وحملنا نوحا اذ التقى الماء على أمر قد قدر على سفينة ذات ألواح ودسر والدسر جمع دسار وقد يقال فى واحدها دسير كما يقال حبيك وحباك والدسار المسمار الذى تشد به السفينة يقال منه دسرت السفينة اذا شددتها بمسامير أو غيرها وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرنى ابن لهيعة عن أبى صخر عن القرظى وسئل عن هذه الآية وحملناه على ذات ألواح ودسر قال الدسر المسامير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وحملناه على ذات ألواح ودسر حدثنا أن دسرها مساميرها التى شدت بها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ذات ألواح قال معاريض السفينة قال ودسر قال دسرت بمسامير حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ودسر قال الدسر المسامير التى دسرت بها السفينة ضربت فيها شدت بها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ودسر يقول المسامير * وقال آخرون بل الدسر صدر السفينة قالوا وانما وصف بذلك لأنه يدفع الماء ويدسره ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وحملناه على ذات ألواح ودسر قال تدسر الماء بصدرها أو قال بجؤجؤها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول فى قوله ودسر جؤجؤها تدسر به الماء حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن أنه قال تدسر الماء بصدرها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ودسر قال الدسر كلكل السفينة * وقال آخرون الدسر عوارض السفينة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الحصين عن مجاهد ذات ألواح ودسر قال ألواح السفينة ودسر عوارضها * وقال آخرون الألواح جانباها والدسر طرفاها ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ذات ألواح ودسر أما الألواح فجانبا السفينة وأما الدسر فطرفاها وأصلها * وقال آخرون بل الدسر أضلاع السفينة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ودسر قال أضلاع السفينة وقوله تجرى

الطبيعيين ان مبدأ الضحك قوة التعجب ومبدأ البكاء رقة القلب وان الحياة مستندة الى الطبيعة كالنبات والموت أمر ضرورى وهو تداعى الاجزاء العنصرية الى الانفكاك بعد اجتماعها على سبيل الاتفاق أولا اقتضاء سبب سماوى من اتصال أو انفصال وذلك أن انتهاء كل ممكن الى الواجب واجب قوله (أمات وأحيى) اما الأجل الفاصلة أو لأنه اعتبر حالة كون الانسان نطفة ميتة قال الاطباء الذكر أسخن وأجف والانثى أبرد وأرطب وقالوا فى نبات شعر الرجل ان الشعور تتكون من بخار دخانى منجذب الى المسام فاذا كانت المسام فى غاية الرطوبة والتحلل كما فى مزاج الصبى والمرأة لا ينبت الشعر لخروج تلك الادخنة من المسام الرطبة بسهولة قبل أن يتكون شعرا واذا كانت فى غاية اليبوسة والتكاثف لم ينبت لعسر خروجه من المخرج الضيق وانما يندفع كثرة تلك الأبخرة الى الرأس حتى رأس المرأة والصبى لأنه مخلوق كقبة فوق الأبخرة والأدخنة فيتصاعد اليها وأما فى الرجل فيندفع الى صدره كثيرا لحرارة القلب والى آلات التناسل لحرارة الشهوة والى اللحيين لكثرة الحرارة بسبب الأكل والكلام ومع حرارة الابخرة ومن شأن الحرارة جذب الرطوبة كجذب السراج الزيت هذا أقوى ما قالوا فى هذا الباب ويرد عليه أنه ما السبب لتلازم شعر اللحية وآلة التناسل فانها لو قطعت لم تنبت اللحية ولو سلم التلازم من حيث ان

بأعيننا يقول جل ثناؤه تجري السفينة التي حملنا نوحا فيها بمرأى منا ومنظر * وذكر عن سفيان
في تأويل ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان في قوله تجري بأعيننا يقول
بأمرنا جزاء لمن كان كفر اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم تأويله فعلنا ذلك ثوابا لمن
كان كفر فيه بمعنى كفر بالله فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد جزاء لمن كان كفر قال كفر بالله وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد جزاء لمن كان كفر قال لمن كان كفر فيه * ووجه آخرون معنى من
الى معنى ما في هذا الموضع وقالوا معنى الكلام جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين
أهلكهم وغرقهم من قوم نوح ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد في قوله جزاء لمن كان كفر قال لمن كان كفر نعم الله وكفر بأياديه وآلائه ورسله وكتبه فان
ذلك جزاء له * والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد وهو أن معناه ففتحنا أبواب
السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فغرقنا قوم نوح ونجينا نوحا عقابا بامن الله وثوابا للذي جحد
وكفر لان معنى الكفر الجحود والذي جحد ألوهته ووحدانيته قوم نوح فقال بعضهم لبعض لا تذرن
آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ومن ذهب به الى هذا التأويل كانت
من الله كأنه قيل عوقبوا لله ولكفرهم به ولو وجه موجه الى أنها مراد بها نوح والمؤمنون به كان
مذهبا فيكون معنى الكلام حينئذ فعلنا ذلك جزاء لنوح ولمن كان معه في الفلك كأنه قيل غرقناهم
لنوح ولصنيعهم بنوح ما صنعوا من كفرهم به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد تركناها آية
فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ يقول تعالى
ذكره ولقد تركنا السفينة التي حملنا فيها نوحا ومن كان معه آية يعني عبرة وعظة لمن بعد قوم نوح من
الأمم ليعتبروا ويتعظوا فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله وتكذيب رسله فيصيبهم
مثل ما أصابهم من العقوبة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر قال أبقاها الله
بباقردى من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت اليها أوائل هذه الأمة نظرا وكم من سفينة كانت
بعدها قد صارت رمادا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله
ولقد تركناها آية قال ألقى الله سفينة نوح على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة * قال ثنا
ابن ثور عن معمر عن مجاهد أن الله حين غرق الأرض جعلت الجبال تشمخ فتواضع الجودي
فرفعه الله على الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقوله فهل من مدكر يقول فهل من ذي تذكر
يتذكر ما قد فعلنا بهذه الأمة التي كفرت بربها وعصت رسوله نوحا وكذبته فيما أتاهم به عن ربهم
من النصيحة فيعتبر بهم ويحذر أن يحل به من عذاب الله بكفره بربه وتكذيبه رسوله محمدا صلى الله
عليه وسلم مثل الذي حل بهم فينيب الى التوبة ويراجع الطاعة وأصل مدكر مفتعل من ذكر
اجتمعت فاء الفعل وهي ذال وتاء وهي بعد الذال فصيرتا دالا مشددة وكذلك تفعل العرب فيما
كان أوله ذالا يتبعها تاء الافتعال يجعلونهما جميعا دالا مشددة فيقولون ادكرت ادكارا وانما
هو اذتكرت اذتكارا وفهل من مذتكر ولكن قيل ادكرت ومدكر لما قد وصفت وقد ذكر عن
بعض بني أسد أنهم يقولون في ذلك مذكر فيقلبون الدال ويعتبرون الدال والتاء ذالا مشددة
وذكر عن الاسود بن يزيد أنه قال قلت لعبد الله بن مسعود فهل من مدكر أو مذكر فقال أقرأني

حرارة الخصيان تقل بسبب قطع
آلة الشهوة فلا بد أن يعترفوا بانتهاء
جميع الممكنات الى الواجب بالذات
واعلم أنه سبحانه في هذه الآية
وسط الفصل بين الاسم والخبر
حيث كان توهم الحملية فيه أكثر
وترك الفصل حيث لم يكن كذلك
ففي آيات الضحك والبكاء والاماتة
والاحياء وسط الفصل للتوهمات
المذكورة حتى قال نمرود أنا أحيي
وأميت وأما خلق الذكر والأنثى
فلم يتوهم أحد أنه بفعل المخلوقين فلم
يؤكد بالفصل وعلى هذا القياس قوله
(وأن عليه النشأة الأخرى) ظاهره
وجوب وقوع الحشر في الحكمة
الالهية للمجازاة على الاحسان
والاساءة وقال في التفسير الكبير
هو كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر أي
بعد خلقته ذكرا وأنثى نفخ فيه
الروح الانساني ثم أغناه بلبن الام
وبنفقة الأب في صغره ثم أقناه
بالكسب بعد كبره أي أعطاه القنية
وهي المال الذي تأثلته وعزمت
أن لا تخرجه من يدك وبالجملة
فالاغناء بكل ما تدفع به الحاجة
والاقناء بما زاد عليه وانما وسط
الفصل لأن كثيرا من الناس يزعم
أن الفقر والغنى بكسب الانسان
واجتهاده فمن كسب استغنى ومن
كسل افتقر وذهب بعضهم الى أنه
بالبخت أو النجوم فقال ردا عليهم
(وأنه هو رب الشعرى) وهما شعريان
شامية ويمانية وهذه أنورهما
وخصت بالذكر لأن أبا كبشة أحد
أجداد رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قبل أمه قال لا أرى شمسا
ولا قمرا ولا نجما تقطع السماء عرضا

رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر يعني بذال مشددة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فهل من مدّكر قال المذكر الذي يتذكر وفي كلام العرب المذكر المتذكر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان فهل من مدّكر قال فهل من مذكر وقوله فكيف كان عذابي ونذر يقول تعالى ذكره فكيف كان عذابي لهؤلاء الذين كفروا بربهم من قوم نوح وكذبوا رسوله نوحا اذ تمادوا في غيهم وضلالهم وكيف كان انذاري بما فعلت بهم من العقوبة التي أحللت بهم بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسوله نوحا صلوات الله عليه وهو انذار لمن كفر من قومه من قريش وتحذير منه لهم أن يحل بهم على تماديهم في غيهم مثل الذي حل بقوم نوح من العذاب وقوله ونذر يعني وانذاري وهو مصدر وقوله ولقد يسرنا القرآن للذكر يقول تعالى ذكره ولقد سهلنا القرآن بيناه وفصلناه للذكر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ وهوناه كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يسرنا القرآن للذكر قال هوناه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر قال يسرنا بينا وقوله فهل من مدكر يقول فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر * وقد قال بعضهم في تأويل ذلك هل من طالب علم أو خير فيعان عليه وذلك قريب المعنى مما قلناه ولكنا اخترنا العبارة التي عبرناها في تأويله لأن ذلك هو الأغلب من معانيه على ظاهره ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر يقول فهل من طالب خير يعان عليه حدثنا الحسين بن علي الصدائي قال ثنا يعقوب قال ثني الحرث بن عبيد الايادي قال سمعت قتادة يقول في قول الله فهل من مدّكر قال هل من طالب خير يعان عليه حدثنا علي بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة أو أيوب بن سويد أو كلاهما عن ابن شوذب عن مطر في قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قال هل من طالب علم فيعان عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر﴾ يقول تعالى ذكره كذبت أيضا عاد نبيهم هودا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به عن الله كالذي كذبت قوم نوح وكالذي كذبتم معشر قريش نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى جميع رسله فكيف كان عذابي ونذر يقول فانظروا معشر كفرة قريش بالله كيف كان عذابي إياهم وعقابي لهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسوله هودا وانذاري بفعلي بهم ما فعلت من سلك طرائقهم وكان على مثل ما كانوا عليه من التمادي في الغي والضلالة وقوله انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا يقول تعالى ذكره انا بعثنا على عاد اذ تمادوا في طغيانهم وكفرهم بالله ريحا صرصرا وهي الشديدة العصوف في برد التي لصوتها صرير وهي مأخوذة من شدة صوت هبوبها اذا سمع فيها كهيئة قول القائل صر فقيل منه صرصر كما قيل فكبكبوا فيها من فكبوا ونهنهت من نههت وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ريحا صرصرا قال ريحا باردة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا والصرصر الباردة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال الصرصر الباردة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك

غيرها فليس شيء مثلها فعبدها وعبدتها خزاعة فخالفوا قريشا في عبادة الاوثان وكانت قريش يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم في دينهم وحين ذكر أنه أغنى وأقنى وذلك كان بفضل المولى لا بعطاء الشعرى ذكرهم حال الأقدمين الهلكى وعاد الأولى قوم هود والأخرى ارم ميزوا عن قوم كانوا بمكة وقيل أراد التقدم في الدنيا وأنهم كانوا أشرافا قوله (وثمود) عطف على عادا أي أهلك عادا وثمود (فما أبقى) أي ما رحم عليهم ومن المفسرين من قال فما أبقى أي ما ترك أحدا منهم كقوله فهل ترى لهم من باقية و به تمسك الحجاج على من زعم أن ثقيفا من ثمود وانما وصف قوم نوح بأنهم كانوا هم أظلم وأطغى فبالغ بتوسيط الفصل وبناء التفضيل لأن نوحا عليه السلام كان أول الرسل الى أهل الأرض وكان قومه أول من سن التكذيب وايذاء النبي والبادي أظلم ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ولأنهم كانوا مجاوزين حد الاعتدال يضربون نبيهم حتى لم يربه حراك وينفرون عنه الناس ويخوفون صبيانهم وما نجع فيهم وعظه ألف سنة الا خمسين عاما وليس قوله انهم كانوا تعليلا للاهلاك حتى يرد عليه أن غيرهم من الظالمين والطاغين لا يلزم أن يهلكوا وانما هي جملة معترضة بيانا لشدة طغيانهم وفرط ظلمهم (والمؤتفكة) يعني قريات قوم لوط لانها ائتفكت بأهلها أي انقلبت وقد مر في هود (أهوى) اي رفعها

يقول فى قوله ريحا صرصرا باردة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان ريحا صرصرا
قال شديدة والصرصر الباردة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ريحا
صرصرا قال الصرصر الشديدة وقوله فى يوم نحس مستمر يقول فى يوم شر وشؤم لهم وبنحو
الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور
عن معمر عن قتادة قال النحس الشؤم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
فى قوله فى يوم نحس قال النحس الشر فى يوم نحس فى يوم شر * وقد تأول ذلك آخرون بمعنى شديد
ومن تأول ذلك كذلك فانه يجعله من صفة اليوم ومن جعله من صفة اليوم فانه ينبغى أن يكون
قراءته بتنوين اليوم وكسر الحاء من النحس فيكون فى يوم نحس كما قال جل ثناؤه فى أيام نحسات
ولا أعلم أحدا قرأ ذلك كذلك فى هذا الموضع غير أن الرواية التى ذكرت فى تأويل ذلك عمن ذكرت
عنه على ما وصفنا تدل على أن ذلك كان قراءة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال
ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فى يوم نحس قال أيام
شداد وحدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول
فى قوله فى يوم نحس يوم شديد وقوله مستمر يقول فى يوم شر وشؤم استمر بهم البلاء والعذاب
فيه الى أن وافى بهم جهنم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى يوم
نحس مستمر يستمر بهم الى نار جهنم وقوله تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر يقول تقتلع
الناس ثم ترمى بهم على رؤسهم فتندق رقابهم وتبين من أجسامهم كما حدثنا ابن حميد قال
ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة شماليا منهم ستة من أشد عاد
وأجسمها منهم عمرو بن الحلى والحرث بن شداد والهلقام وابنا تيقن وخلجان بن سعد فأدلجوا
العيال فى شعب بين جبلين ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عمن بالشعب من العيال
فجعلت الريح تخفقهم رجلا رجلا فقالت امرأة من عاد

(١) ذهب الدهر بعمرو بن حلى والهنيات * ثم بالحرث والهلقام طلاع الثنيات
والذى سد الريح أيام البليات

حدثنا العباس بن الوليد البيروتى قال أخبرنى أبى قال ثنى اسماعيل بن عياش عن محمد بن اسحق
قال لما هبت الريح قام سبعة من عاد فقالوا نرد الريح فأتوا فم الشعب الذى منه يأتى الريح فوقفوا عليه
فجعلت الريح تهب فتدخل تحت واحد واحد فتقتلعه من الأرض فترمى به على رأسه فتندق رقبته
ففعلت ذلك بستة منهم وتركتهم كما قال الله أعجاز نخل منقعر وبقى الخلجان فأتى هودا فقال ياهود
ما هذا الذى أرى فى السحاب كهيئة البخاتى قال تلك ملائكة ربى قال مالى ان أسلمت قال تسلم
قال أيقيدنى ربك ان أسلمت من هؤلاء فقال ويلك أرأيت ملكا يقيد جنوده فقال وعزته لو فعل
ما رضيت قال ثم مال الى جانب الجبل فأخذ بركن منه فهزه فاهتز فى يده ثم جعل يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه * يالك من يوم دهانى أمسه
بثابت الوطء شديد وطسه * لو لم يجئنى جئته أجسه

قال ثم هبت الريح فألحقته بأصحابه حدثنى محمد بن ابراهيم قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا
نوح بن قيس قال ثنا محمد بن سيف عن الحسن قال لما أقبلت الريح قام اليها قوم عاد فأخذ
بعضهم بأيدى بعض كما تفعل الأعاجم وغمزوا أقدامهم فى الأرض وقالوا ياهود من يزيل أقدامنا

الى السماء على جناح جبريل فأسقطها
الى الأرض (فغشاها ما غشى) من
الحجارة المسومة وفيه تهويل
وتفخيم لما صب عليهم من العذاب
ويجوز أن يكون ما فاعلا كقوله
والسماء وما بناها هذا كله حكاية
ما فى الصحف الا فيمن قرأ وإن
الى ربك المنتهى بالكسر على
الابتداء وكذا ما بعده أما قوله (فبأى
آلاء ربك تتمارى) فقد قيل هو أيضا
مما فى الصحف وقيل هو ابتداء
كلام والخطاب لكل سامع
ولرسول الله صلى الله عليه وسلم
كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك
والمراد أنه لم يبق فيها امكان الشك
وقد عد نعما ونقما وجعل كلها آلاء
لأن النقم أيضا نعم ان أراد أن يعتبر
ويحتمل أن يقال لما عد نعمه على
الانسان من خلقه وإغنائه وإقنائه
ثم ذكر أنه أهلك من كفر بها وبخ
الانسان على جحد شئ من نعمه
فيصيبه مثل ما أصاب المتمارين
أو يقال لما حكى الاهلاك قال للشاك
أنت ما أصابك الذى أصابهم وذلك
بحفظ الله اياك فبأى آلاء ربك
تتمارى وسيجئ له مزيد بيان فى
سورة الرحمن (هذا) القرآن أو الرسول
(نذير) أى انذار أو منذر من جنس
الانذارات أو المنذرين وقال
(الأولى) على تأويل الجماعة وحين
فرغ من بيان التوحيد والرسالة ختم
السورة بذكر اقتراب الحشر فقال
(أزفت الآزفة) أى قربت الموصوفة
بالقرب فى قوله اقترب للناس
حسابهم وما يدريك لعل الساعة
قريب وفيه تنبيه على أن قرب
الساعة يزداد كل يوم وأنها تكاد تقوم

(١) لم تقف على هذا بعد البحث فتأمل وحرر كتبه مصححه

عن الأرض ان كنت صادقا فأرسل الله عليهم الريح فصيرتهم كأنهم أعجاز نخل منقعر حدثني محمد بن ابراهيم قال ثنا مسلم قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا أشعث بن جابر عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال ان كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراعين من حجارة لو اجتمع عليها خمسمائة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يحملوها وان كان الرجل منهم ليغمز قدمه في الأرض فتدخل في الأرض وقال كأنهم أعجاز نخل ومعنى الكلام فيتركهم كأنهم أعجاز نخل منقعر فترك ذكر فيتركهم استغناء بدلالة الكلام عليه وقيل انما شبههم بأعجاز نخل منقعر لأن رؤسهم كانت تبين من أجسامهم فتذهب لذلك رقابهم وتبقى أجسادهم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن ابن عرفة قال ثنا خلف بن خليفة عن هلال بن خباب عن مجاهد في قوله كأنهم أعجاز نخل منقعر قال سقطت رؤسهم كأمثال الأخبية وتفردت أو تفرقت أعناقهم « قال أبو جعفر أنا أشك » فشبهها بأعجاز نخل منقعر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر قال هم قوم عاد حين صرعتهم الريح فكأنهم فلق نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر يقول تعالى ذكره فانظروا يا معشر كفار قريش كيف كان عذابي قوم عاد اذ كفروا بربهم وكذبوا رسوله فان ذلك سنة الله في أمثالهم وكيف كان انذاري بهم من أنذرت ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر﴾ يقول تعالى ذكره ولقد سهلنا القرآن وهوناه لمن أراد التذكر به والاتعاظ فهل من مدكر يقول فهل من متعظ ومنزجر بآياته وقوله كذبت ثمود بالنذر يقول تعالى ذكره كذبت ثمود قوم صالح بنذر الله التي أتتهم من عنده فقالوا تكذيبا منهم لصالح رسول ربهم أبشرا منا نتبعه نحن الجماعة الكثيرة وهو واحد وقوله انا اذا لفي ضلال وسعر يقول قالوا انا اذا باتباعنا صالحا ان اتبعناه وهو بشر منا واحد لفي ضلال يعنون لفي ذهاب عن الصواب وأخذ على غير استقامة وسعر يعنون بالسعر جمع سعير وكان قتادة يقول عني بالسعر العناء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا اذا لفي ضلال وسعر في عناء وعذاب حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله انا اذا لفي ضلال وسعر قال ضلال وعناء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل مكذبي رسوله صالح صلى الله عليه وسلم من قومه ثمود أألقي عليه الذكر من بيننا يعنون بذلك أنزل الوحي وخص بالنبوة من بيننا وهو واحد منا انكارا منهم أن يكون الله يرسل رسولا من بني آدم وقوله بل هو كذاب أشر يقول قالوا ما ذلك كذلك بل هو كذاب أشر يعنون بالأشر المرح ذا التجبر والكبرياء والمرح من النشاط وقد حدثني الحسن بن محمد ابن سعيد القرشي قال قلت لعبد الرحمن بن أبي حماد ما الكذاب الأشر قال الذي لا يبالي ما قال و بكسر الشين من الأشر وتخفيف الراء قرأت قراء الأمصار وذكر عن مجاهد أنه كان يقرؤه كذاب أشر بضم الشين وتخفيف الراء وذلك في الكلام نظير الحذر والحذر والعجل والعجل * والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ستعلمون غدا من الكذاب الأشر يقول تعالى ذكره قال الله لهم ستعلمون غدا في القيامة من الكذاب الأشر منكم معشر ثمود ومن رسولنا صالح حين تردون على ربكم وهذا التأويل تأويل من قرأه ستعلمون بالتاء وهي قراءة عامة أهل الكوفة سوى عاصم والكسائي وأما تأويل ذلك على قراءة

(ليس لها من دون الله) نفس (كاشفة) تكشف عن وقت مجيئها أو تقدر على كشفها ودفعها اذا وقعت ولا يلزم من قدرة الله على دفعها وجوب وقوع الدفع فان كل مقدور لا يلزم أن يكون واقعا والتاء في كاشفة للتأنيث كما مر أو للمبالغة أي لا أحد يكشف حقيقتها أو هي مصدر كالعافية ومن زائدة والتقدير ليس لها كاشفة دون الله ويحتمل أن يراد ليس لها في الوجود نفس تكشف عنها من غير الله بل انما يكشفها من عند الله ومن قبل علمه واخباره ثم وبخهم على التعجب من القرآن ومن حديث القيامة وضحكهم منه استهزاء وانكارا وفي قوله (ولا تبكون) الى آخره تنبيه على أن البكاء والخشوع وحضور القلب حق عليهم عند سماع القرآن كما قال اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا والسمود الغفلة وقد يكون مع اللهو عن مجاهد كانوا يمرون بالنبي صلى الله عليه وسلم غضابا مبرطمين وقال البرطمة الاعراض ثم انهم كانوا أنصفوا من أنفسهم وقالوا لا نعجب ولا نضحك ولا نسمد بل نبكي ونخشع فلا جرم قال (فاسجدوا) أي اذا اعترفتم لله بالعبودية فاخضعوا له وأقيموا وظائف العبادة وقد مر في سورة الحج في قوله ألقى الشيطان في أمنيته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة في الصلاة ثم سجد فسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس وذكرنا سببه

﴿سورة القمر وهي مكية حروفها ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون كلماتها ثلثمائة وثنتان وأربعون آياتها خمس وخمسون﴾

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شئ نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر أءلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن﴾

من قراءه بالياء وهي قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة وعاصم والكسائي فانه قال الله سيعلمون غدا من الكذاب الأشر وترك من الكلام ذكر قال الله استغناء بدلالة الكلام عليه * والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لتقارب معنييهما وصحتهما في الاعراب والتأويل ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾ يقول تعالى ذكره انا باعثو الناقة التي سألتها ثمود صالحا من الهضبة التي سألوه بعثها منها آية لهم وحجة لصالح على حقيقة نبوته وصدق قوله وقوله فتنة لهم يقول ابتلاء لهم واختبارا هل يؤمنون بالله ويتبعون صالحا ويصدقونه بما دعاهم اليه من توحيد الله اذا أرسل الناقة أم يكذبونه ويكفرون بالله وقوله فارتقبهم يقول تعالى ذكره لصالح انا مرسلو الناقة فتنة لهم فانتظرهم وتبصر ماهم صانعوه بها واصطبر يقول له واصطبر على ارتقابهم ولا تعجل وانتظر مايصنعون بناقة الله وقيل واصطبر وأصل الطاء تاء فجعلت طاء وانما هو افتعل من الصبر وقوله ونبئهم أن الماء قسمة بينهم يقول تعالى ذكره ونبئهم أخبرهم أن الماء قسمة بينهم يوم غب الناقة وذلك أنها كانت ترد الماء يوما وتغب يوما فقال جل ثناؤه لصالح أخبر قومك من ثمود أن الماء يوم غب الناقة قسمة بينهم فكانوا يقتسمون ذلك يوم غبها فيشربون منه ذلك اليوم ويتزودون فيه منه ليوم ورودها وقد وجه تأويل ذلك قوم الى أن الماء قسمة بينهم وبين الناقة يوما لهم ويوما لها وأنه انما قيل بينهم والمعنى ماذكرت عندهم لأن العرب اذا أرادت الخبر عن فعل جماعة بني آدم مختلطا بهم البهائم جعلوا الفعل خارجا مخرج فعل جماعة بني آدم لتغليبهم فعل بني آدم على فعل البهائم وقوله كل شرب محتضر يقول تعالى ذكره كل شرب من ماء يوم غب الناقة ومن لبن يوم ورودها محتضر يحضرونه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كل شرب محتضر قال يحضرون بهم الماء اذا غابت واذا جاءت حضروا اللبن حدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كل شرب محتضر قال يحضرون بهم الماء اذا غابت واذا جاءت حضروا اللبن ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾ يقول تعالى ذكره فنادت ثمود صاحبهم عاقر الناقة قدار بن سالف ليعقر الناقة حضا منهم له على ذلك وقوله فتعاطى فعقر يقول فتناول الناقة بيده فعقرها وقوله فكيف كان عذابي ونذر يقول جل ثناؤه لقريش فكيف كان عذابي اياهم معشر قريش حين عذبتهم ألم أهلكهم بالرجفة ونذر يقول فكيف كان انذاري من أنذرت من الأمم بعدهم بما فعلت بهم وأحللت بهم من العقوبة ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فتعاطى فعقر قال تناولها بيده فكيف كان عذابي ونذر قال يقال انه ولد زنية فهو من التسعة الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون وهم الذين قالوا لصالح لنبيتنه وأهله ولنقتلنهم وقوله انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة وقد بينا فيما مضى أمر الصيحة وكيف أتتهم وذكرنا ماروي في ذلك من الآثار فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله فكانوا كهشيم المحتظر يقول تعالى ذكره فكانوا بهلاكهم بالصيحة بعد نضارتهم أحياء وحسنهم قبل بوارهم كيبيس الشجر الذي حظرته بحظير حظرته بعد حسن نباته وخضرة ورقه قبل يبسه وقد

المـاء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنـادوا صـاحبهم فتعاطى فعـقر فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنـذر انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عنـدنا كذلك نجزى من شكر ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر ولقـد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتـدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سـيهزم الجمع و يولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ان المجرمين فى ضلال وسـعر يوم يسحبون فى النار على وجـوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مسـتطر ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾

﴿القراآت مستقر بالجر يزيد الداعى الى الداعى بالياء فى الحـالين سهل و يعـقوب وابن كثير غير ابن فليح و زمعة وافق أبو عمرو وأبو جعفر ونافع غير قالون فى الوصل فيهما بالياء يدع الداع بغير ياء فى الحالين الى الداع فى الوصل قالون الباقون بغير ياء فى الحالين شئ نكر بسكون

اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله كهشيم المحتظر فقال بعضهم عنى بذلك العظام المحترقة وكأنهم وجهوا معناه الى أنه مثـل هؤلاء القوم بعـد هلا كهم و بلائهم بالشئ الذى أحرقه محرق فى حظيرته ذكر من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة قال ثنا قابوس عن أبيه عن ابن عباس كهشيم المحتظر قال كالعظام المحترقة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فكانوا كهشيم المحتظر قال المحترق ولا بيان عندنا فى هذا الخبر عن ابن عباس كيف كانت قراءته ذلك الا أنا وجهنا معنى قوله هـذا على النحو الذى جاء نا من تأويله قوله كهشيم المحتظر الى أنه كان يقـرأ ذلك كنحو قراءة الامصار وقد يحتمل تأويله ذلك كذلك أن يكون قـراءته كانت بفتح الظاء من المحتظر على أن المحتظر نعت للهشيم أضيف الى نعته كما قيل انه هذا لهو حق اليقـين وقد ذكر عن الحسن وقتادة أنهما كانا يقـرآن ذلك كذلك و يتأولانه هـذا التأويل الذى ذكرناه عن ابن عبـاس حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنى أبى عن الحسن قال كان قتادة يقرأ كهشيم المحتظر يقول المحترق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فكانوا كهشيم المحتظر يقول كهشيم محترق * وقال آخرون بل عنى بذلك التراب الذى يتناثر من الحائط ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير كهشيم المحتظر قال التراب الذى يتناثر من الحائط * وقال آخرون بل هو حظيرة الراعى للغنم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى اسحق وأسنده قال المحتظر حظيرة الراعى للغنم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معـاذ يقول أخبرنا عبيـد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله كهشيم المحتظر المحتظر الحظيرة تتخـذ للغنم فتيبس فتصـير كهشيم المحتظر قال هو الشوك التى تحظر به العرب حول مواشـيها من السـباع والهشيم يابس الشجر الذى فيه شوك ذلك الهشيم * وقال آخرون بل عنى به هشيم الخيمة وهو ما تكسر من خشبها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن مجاهد فى قوله كهشيم المحتظر قال الرجل يهشم الخيمة وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كهشيم المحتظر الهشيم الخيمة * وقال آخرون بل هو الورق الذى يتناثر من خشب الحطب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سـفيان كهشيم قال الهشيم اذا ضربت الحظيرة بالعصا تهشم ذاك الورق فيسقط والعرب تسمى كل شئ كان رطبا فيبس هشيما ۞ القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر﴾ يقول تعالى ذكره ولقد هوّنا القرآن بيناه للذكر يقول لمن أراد أن يتـذكر به فيتعظ فهـل من مدكر يقول فهل من متعظ به ومعتبر فيعتـبر به فيرتدع عما يكرهه الله منه وقوله كذبت قوم لوط بالنذر يقول تعالى ذكره كذبت قوم لوط بآيات الله التى أنذرهم وذكرهم بها وقوله انا أرسلنا عليهم حاصبا يقول تعالى ذكره انا أرسلنا عليهم حجارة وقوله الا آل لوط نجيناهم بسحر يقول غير آل لوط الذين صدقوه واتبعوه على دينه فانا نجيناهم من العذاب الذى عذبنا به قومه الذين كذبوه والحاصب الذى حصبناهم به بسحر نعمة من عنـدنا يقول نعمة أنعمناها على لوط وآله وكرامة أكرمناهم بها من عندنا وقوله كذلك نجزى من شكر يقول كما أثبنا لوطا وآله وأنعمنا عليه فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهـم ايانا كذلك

نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه فأطاعنا وانتهى الى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا وأجرى قوله بسحر لأنه نكرة واذا قالوا افعلت هذا سحر بغير باء لم يجروه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أنذر لوط قومه بطشتنا التى بطشنا ها قبل ذلك فتماروا بالنذر يقول فكذبوا بانذاره ما أنذرهم من ذلك شكا منهم فيه وقوله فتماروا تفاعلوا من المرية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فتماروا بالنذر لم يصدقوه وقوله ولقد راودوه عن ضيفه يقول جل ثناؤه ولقد راود لوطا قومه عن ضيفه الذين نزلوا به حين أراد الله اهلاكهم فطمسنا أعينهم يقول فطمسنا على أعينهم حتى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق فلم يبصروا ضيفه والعرب تقول قد طمست الريح الأعلام اذا دفنتها بما تسفى عليها من التراب كما قال كعب بن زهير

من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت * عرضتها طامس الأعلام مجهول

يعنى بقوله طامس الأعلام مندفن الأعلام وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم قال عمى الله عليهم الملائكة حين دخلوا على لوط حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم وذكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه فى عقوبتهم ليلة أتوا لوطا وأنهم عالجوا الباب ليدخلوا عليه فصفقهم بجناحه وتركهم عميا يترددون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم قال هؤلاء قوم لوط حين راودوه عن ضيفه طمس الله أعينهم فكان ينهاهم عن عملهم الخبيث الذى كانوا يعملون فقالوا انا لا نترك عملنا فاياك أن تنزل أحدا أو تضيفه أو تدعه ينزل عليك فانا لا نتركه ولا نترك عملنا قال فلما جاءه المرسلون خرجت امرأته الشقية من الشق فأتتهم فدعتهم وقالت لهم تعالوا فانه قد جاء قوم لم أر قط أحسن وجوها منهم ولا أحسن ثيابا ولا أطيب أرواحا منهم قال فجاؤه يهرعون اليه فقال ان هؤلاء ضيفى فاتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى قالوا أولم ننهك عن العالمين أليس قد تقدمنا اليك وأعذرنا فيما بيننا و بينك قال هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فقال له جبريل عليه السلام ما يهولك من هؤلاء قال أما ترى ما يريدون فقال انا رسل ربك لن يصلوا اليك لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك لتصنعن هذا الامر سرا وليكونن فيه بلاء قال فنشر جبريل عليه السلام جناحا من أجنحته فاختلس به أبصارهم فطمس أعينهم فجعلوا يجول بعضهم فى بعض فذلك قول الله فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولقد راودوه عن ضيفه جاءت الملائكة فى صور الرجال وكذلك كانت تجىء فرآهم قوم لوط حين دخلوا القرية وقيل انهم نزلوا بلوط فأقبلوا اليهم يريدونهم فتلقاهم لوط يناشدهم الله أن لا يخزوه فى ضيفه فأبوا عليه وجاؤا ليدخلوا عليه فقالت الرسل للوط خل بينهم و بين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا البيت وطمس الله على أبصارهم فلم يروهم وقالوا قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا فلم يروهم ورجعوا وقوله فذوقوا عذابى ونذر يقول تعالى ذكره فذوقوا معشر قوم لوط من سدوم عذابى الذى حل بكم وانذارى الذى أنذرت به غيركم من الامم من النكال والمثلات ۞ القول فى تأويل قوله تعالى

(ولقد

الكاف ابن كثير خاشعا بالألف أبو عمرو وسهل و يعقوب وحمزة وعلى وخلف الآخرون خشعا كركع ففتحنا بالتشديد ابن عامر و يزيد وسهل و يعقوب وفجرنا بالتخفيف أبو زيد عن المفضل ونذرى وما بعده بالياء فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل أولقى مثل أونبئكم ستعلمون على الخطاب ابن عامر وحمزة سنهزم بالنون الجمع بالنصب روح و زيد عن يعقوب ۞ الوقوف القمر ه مستمر ه مستقر ه مزدجر ه لا بناء على أن قوله حكمة بدل من ما أو من مزدجر النذر ه لا للعطف مع اتصال المعنى عنهم م لأنه لو وصل لأوهم أن الظرف متصل به وليس كذلك بل هو ظرف يخرجون نكر ه لا لا تصال الحال بالظرف من قبل اتحاد عاملهما منتشر ه لا لأن مهطعين حال بعد حال الداع ط عسر ه وازدجر ه فانتصر ه منهمر ه ز للعطف مع اتحاد مقصود الكلام قدر ه ج للعارض من الجملتين المتفقتين وللآية مع احتمال الحال أى وقد حملناه ودسر ه لا لأن تجرى صفة لها بأعيننا ج لأن جزاء مفعول له أو مصدر لفعل محذوف كفر ه مدكر ه ونذر ه مدكر ه ونذر ه مستمر ه لا لأن ما بعده صفة الناس لا لأن كأنهم حال منقعر ه ونذر ه مدكر ه بالنذر ه نتبعه لا لتعلق اذا بها وسعر ه أشر ه الأشر ه واصطبر ه لا للعطف بينهم ج لأن كل مبتدأ مع أن الجملة من بيان

﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾
يقول تعالى ذكره ولقد صبح قوم لوط بكرة ذكر أن ذلك كان عند طلوع الفجر حدثنا ابن حميد
قال ثنا مهران عن سفيان بكرة قال عند طلوع الفجر وقوله عذاب وذلك قلب الارض بهم
وتصيير أعلاها أسفلها بهم ثم إتباعهم بحجارة من سجيل منضود كما حدثنا ابن حميد قال ثنا
مهران عن سفيان ولقد صبحهم بكرة عذاب قال حجارة رموا بها وقوله مستقر يقول استقر
ذلك العذاب فيهم الى يوم القيامة حتى يوافوا عذاب الله الأكبر في جهنم وبنحو الذي قلنا في
ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر يقول صبحهم عذاب مستقر استقر بهم الى نار جهنم
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولقد صبحهم بكرة الآية قال ثم
صبحهم بعد هذا يعني بعد أن طمس الله أعينهم فهم في ذلك العذاب الى يوم القيامة قال وكل قومه
كانوا كذلك ألا تسمع قوله حين يقول أليس منكم رجل رشيد حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران
عن سفيان مستقر استقر وقوله فذوقوا عذابي ونذر يقول تعالى ذكره لهم فذوقوا معشر قوم
لوط عذابي الذي أحللته بكم بكفركم بالله وتكذيبكم رسوله وانذاري بكم الامم سواكم بما أنزلته بكم
من العقاب وقوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر يقول تعالى ذكره ولقد سهلنا القرآن
للذكر لمن أراد التذكر به فهل من متعظ ومعتبر به فيتزجر به عما نهاه الله عنه الى ما أمره به وأذن له
فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ
عزيز مقتدر﴾ يقول تعالى ذكره ولقد جاء أتباع فرعون وقومه انذارنا بالعقوبة بكفرهم بنا
وبرسولنا موسى صلى الله عليه وسلم كذبوا بآياتنا كلها يقول جل ثناؤه كذب آل فرعون بادلتنا التي
جاءتهم من عندنا وحججنا التي أتتهم بأنه لا اله الا الله وحده كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر يقول
تعالى ذكره فعاقبناهم بكفرهم بالله عقوبة شديد لا يغلب مقتدر على ما يشاء غير عاجز ولا ضعيف
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة قوله فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر يقول عزيز في نقمته اذا انتقم ۞ القول
في تأويل قوله تعالى ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع
منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله عنهم أنهم
ان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أكفاركم معشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم
نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون فهم يأملون أن ينجوا من عذابي ونقمي
على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي يقول انما أنتم في كفركم بالله وتكذيبكم رسوله كبعض هذه الامم
التي وصفت لكم أمرهم وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم به كالذي نزل بهم ان لم تتوبوا وتنيبوا كما
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أكفاركم خير من أولئكم أي ممن
مضى حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسن عن يزيد النحوي عن
عكرمة أكفاركم خير من أولئكم يقول أكفاركم يا معشر قريش خير من أولئكم الذين مضوا
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أكفاركم خير من أولئكم قال
أكفاركم خير من الكفار الذين عذبناهم على معاصي الله أهؤلاء الكفار خير من أولئك وقال
أكفاركم خير من أولئكم استنفاها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي
قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر يقول

ما تقدم محتضر ه فعقر ه ونذر ه
المحتظر ه مدكر ه بالنذر ه
لوط ط لأن الجملة لا تصلح
صفة للمعرفة بسحر ه لا عندنا
ط شكر ه بالنذر ه ونذر ه
مستقر ه ج للفاء أي فقيل لهم
ذقوا ونذر ه مدكر ه النذر
ه ج لاتصال المعنى بلا عطف
مقتدر ه في الزبر ه ج لان ما بعده
يصلح استفهام انكار مستأنف
ويصلح بدلا عن أم قبله منتصر ه
الدبر ه وأمر ه وسعر ط
بناء على أن يوم ليس ظرفا الضلال
وانما هو ظرف لمحذوف أي يقال لهم
ذقوا وجوههم ط سقر ه بقدر
ه بالبصر ج مدكر ه الزبر ه
مستطر ه ونهر ه لا لان ما بعده
بدل مقتدر ه ۞ التفسير أول
هذه السورة مناسب لآخر السورة
المتقدمة أزفت الآزفة الا أنه ذكر
ههنا دليلا على الاقتراب وهو قوله
وانشق القمر في الصحيحين عن
أنس أن الكفار سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر
مرتين وعن ابن عباس انفلق
فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت
وقال ابن مسعود رأيت حراء بين
فلقتي القمر وعن حذيفة أنه خطب
بالمدائن ثم قال ألا ان الساعة قد
اقتربت وان القمر قد انشق على عهد
نبيكم صلى الله عليه وسلم هذا قول
أكثر المفسرين وعن بعضهم أن
المراد سينشق القمر وصيغة الماضي
على عادة اخبار الله وذلك أن انشقاق
القمر أمر عظيم الوقع في النفوس
فكان ينبغي أن يبلغ وقوعه حد
التواتر وليس كذلك وأجيب بأن

ليس كفاركم خيرا من قوم نوح وقوم لوط حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس أكفاركم خير من أولئكم قال كفار هذه الأمة وقوله أم لكم براءة في الزبر يقول جل ثناؤه أم لكم براءة من عقاب الله معشر قريش أن يصيبكم بكفركم بما جاءكم به الوحي من الله في الزبر وهي الكتب كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا أبو عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الزبر يقول الكتب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم لكم براءة في الزبر في كتاب الله براءة مما تخافون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة أم لكم براءة في الزبر يعني في الكتب وقوله أم يقولون نحن جميع منتصر يقول تعالى ذكره أيقول هؤلاء الكفار من قريش نحن جميع منتصر ممن قصدنا بسوء ومكروه وأراد حربنا وتفريق جمعنا فقال الله جل ثناؤه سيهزم الجمع يعني جمع كفار قريش ويولون الدبر يقول ويولون أدبارهم المؤمنين بالله عند انهزامهم عنه وقيل الدبر فوحد والمراد به الجمع كما يقال ضربنا منهم الرأس أي ضربنا منهم الرؤس اذ كان الواحد يؤدي عن معنى جمعه ثم ان الله تعالى ذكره صدق وعده المؤمنين به فهزم المشركين به من قريش يوم بدر وولوهم الدبر كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن أيوب قال لا أعلمه الا عن عكرمة أن عمر قال لما نزلت سيهزم الجمع جعلت أقول أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس سيهزم الجمع ويولون الدبر قال يوم بدر * قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة قوله سيهزم الجمع يعني جمع بدر ويولون الدبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سيهزم الجمع الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هزموا وولوا الدبر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قال هذا يوم بدر حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن عكرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثب في الدرع ويقول هزم الجمع وولوا الدبر حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس سيهزم الجمع ويولون الدبر قال كان ذلك يوم بدر قال قالوا نحن جميع منتصر قال فنزلت هذه الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر﴾ يقول تعالى ذكره ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون من أنهم لا يبعثون بعد مماتهم بل الساعة موعدهم للبعث والعقاب والساعة أدهى وأمر عليهم من الهزيمة التي يهزمونها عند التقائهم مع المؤمنين ببدر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عمرو بن مرة عن شهر بن حوشب قال ان هذه الآية نزلت بهلاك انما موعدهم الساعة ثم قرأ أكفاركم خير من أولئكم الى قوله والساعة أدهى وأمر وقوله ان المجرمين في ضلال وسعر يقول تعالى ذكره ان المجرمين في ذهاب عن الحق وأخذ على غير هدى وسعر يقول في احتراق من شدة العناء والنصب في الباطل كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله في ضلال وسعر قال في عناء وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم يقول تعالى ذكره يوم يسحب هؤلاء المجرمون في النار على وجوههم وقد تأول بعضهم قوله في النار على وجوههم الى النار وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله يوم يسحبون الى النار على وجوههم

الناقلين لعلهم اكتفوا باعجاز القرآن عن تشهير سائر المعجزات بحيث يبلغ التواتر وأيضا انه سبحانه جعل انشقاق القمر آية من الآيات لرسوله ولو كانت مجرد علامة القيامة لم يكن معجزة له كما لم يكن خروج دابة الارض وطلوع الشمس من المغرب وغيرهما معجزات له نعم كلها مشتركة في نوع آخر من الاعجاز وهو الاخبار عن الغيوب وزعم بعض أهل التنجيم أن ذلك كان حالة شبه الخسوف ذهب بعض جرم القمر عن البصر وظهر في الجوشيء مثل نصف جرم القمر ونحن نقول اخبار الصادق بان يتمسك به أولى من قول الفلسفي هذا مع أن استدلالهم على امتناع الخرق في السماويات لا يتم كما بيناه في الحكمة وكيف يدل انشقاق القمر على اقتراب الساعة نقول من جهة ان ذلك يدل على جواز انخراق السماويات وخرابها خلاف ما زعمه منكرو الحشر من الفلاسفة وغيرهم ومن ههنا ظن بعضهم واليه ميل الامام فخر الدين الرازي أن المراد باقتراب الساعة ليس هو القرب الزماني وانما المراد قربها في العقول وفي الاذهان كأنه لم يبق بعد ظهور هذه الآية للمنكر مجال واستعمال لفظ الاقتراب ههنا مع أنه مقطوع به كاستعمال لعل في قوله لعل الساعة تكون قريبا والأمر عند الله معلوم قال وانما ذهبنا الى هذا التأويل لئلا يبقى للكافر مجال الجدال فانه قد مضى قرب سبعمائة سنة ولم تقم الساعة ولا يصح اطلاق لفظ القرب على مثل هذا الزمان والجواب أن كل ما هو آت قريب وزمان العالم زمان مديد والباقي بالنسبة

وقوله ذوقوا مس سـقر يقول تعالى ذكره يوم يسحبون فى النار على وجوههم يقال لهم ذوقوا مس
سقر وترك ذكر يقال لهم استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره فان قال قائل وكيف يذاق مس
سـقر أوله طعم فيذاق فان ذلك مختلف فيه فقال بعضهم قيل ذلك كذلك على مجاز الكلام كما
يقـال كيف وجدت طعم الضرب وهو مجاز وقال آخر ذلك كما يقال وجدت مس الحمى يراد به
أول ما نالنى منها وكذلك وجدت طعم عفوك وأما سقر فانها اسم (١) باب من أبواب جهنم وترك
اجراؤها لأنها اسم لمؤنث معرفة وقوله انا كل شئ خلقناه بقدر يقول تعالى ذكره انا خلقنا كل شئ
بمقدار قدرناه وقضيناه وفى هذا بيان أن الله جل ثناؤه توعد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم فى القدر
مع كفرهـم به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس
ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا هشام بن سعد عن أبى ثابت عن ابراهيم بن محمد
عن أبيه عن ابن عباس أنه كان يقول انى أجد فى كتاب الله قوما يسـحبون فى النار على وجوههم
يقال لهم ذوقوا مس سقر لأنهم كانوا يكذبون بالقدر وانى لا أراهم فلا أدرى أشئ كان قبلنا أم شئ
فيما بقى حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن
زياد بن اسمعيل السهمى عن محمـد بن عباد بن جعفر عن أبى هريرة أن مشركى قريش خاصمت
النبى صلى الله عليه وسلم فى القدر فأنزل الله انا كل شئ خلقناه بقدر حدثنا ابن بشار وابن المثنى
وأبو كريب قالوا ثنا وكيع بن الجراح قال ثنا سـفيان عن زياد بن اسمعيل السهمى عن
محمد بن عباد بن جعفر المخزومى عن أبى هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم
يخاصمونه فى القدر فنزلت ان المجرمين فى ضلال وسعر حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو عاصم
عن سفيان عن زياد بن اسمعيل السهمى عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومى عن أبى هريرة بنحوه
حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنـا هشيم قال اخبرنا حصين عن سعد بن عبيدة عن أبى
عبـد الرحمن السلمى قال لما نزلت هذه الآية انا كل شئ خلقناه بقدر قال رجل يا رسول الله ففيم
العمل أفى شئ نستأنفه أو فى شئ قد فرغ منه قال فقال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم اعملوا فكل
ميسر لما خلق له سنيسره لليسرى وسنيسره للعسرى حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا
عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول لما تكلم الناس
فى القدر نظرت فاذا هـذه الآية أنزلت فيهم ان المجرمين فى ضلال وسـعر الى قوله خلقناه بقدر
حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم ويزيد بن هرون قالا ثنا سفيان عن سالم عن محمد بن
كعب قال ما نزلت هذه الآية الا تعييرا لأهل القـدر ذوقوا مس سـقر انا كل شئ خلقناه بقدر
حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن سالم بن أبى حفصة عن محمد بن كعب القرظى
ذوقوا مس سقر قال نزلت تعييرا لأهل القدر * قال ثنا مهران عن سفيان عن زياد بن اسمعيل
السهمى عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومى عن أبى هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبى صلى
الله عليه وسـلم يخاصمونه فى القدر فنزلت انا كل شئ خلقناه بقـدر * قال ثنا مهران عن حازم
عن أسامة عن محمد بن كعب القرظى مثله حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية
عن على عن ابن عباس قوله انا كل شئ خلقناه بقـدر قال خلق الله الخلق كلهم بقدر وخلق لهم
الخير والشر بقدر فخير الخير السعادة وشر الشر الشقاء بئس الشر الشقاء * واختلف أهل العربية
فى وجه نصب قوله كل شئ خلقناه بقدر فقال بعض نحويى البصرة نصب كل شئ فى لغـة من قال
عبد الله ضربته قال وهى فى كلام العرب كثير قال وقد رفعت كل فى لغة من رفع ورفعت على وجه

الى الماضى شئ يسير قال اهل اللغة
فى افتعل مزيد تجشم ومبالغة فمعنى
اقترب دنا دنوا قريبا وكذلك اقتدر
أبلغ من قدر ثم بين أن ظهور آيات الله
لا يؤثر فيهم بل يزيد فى عنـادهم
وتمردهم حتى سموها سحرا مستمرا
أى دائما مطردا كأنهم قابلوا ترادف
الآيات وتتابع المعجزات باستمرار
السحر وكان رسـول الله صلى الله
عليه وسلم يأتى كل أوان بمعجزة قولية
أو فعلية سماوية أو أرضية وقيل هو
من قولهم حبل مرير الفتل من المرّة
وهى الشدة أى سحر قوىّ محكم وقيل
من المرارة يقال استمر الشئ اذا اشتد
مرارته أى سحر مسـتبشع مرّ
فى مذاقنا وقيـل مستمر أى مار
ذاهب زائل عما قريب عللوا أنفسهم
بالأمانى الفارغة فخيب الله آمالهم
باعلاء الدين وتكامل قوته كل يوم
والظاهر أن قوله (وان يروا) الى آخر
الآية جملة معترضة بيانا لما اعتادوه
عند رؤية الآيات وقوله (وكذبوا)
عطف على قوله اقترب كأنهم قابلوا
الاقتراب والانشـقاق بالتكذيب
واتبـاع الاهواء والمعـنى وكذبوا
بالأخبار عن اقتراب الساعة (واتبعوا
أهواءهم) فى أن محمدا صلى الله عليه
وسلم ساحر أو كاهن أو كذبوا بانشقاق
القمر واتبعوا آراءهم الفاسدة فى أنه
خسوف عرض للقمر وكذلك كل
آية (وكل أمر مستقر) صائر الى غاية
وان أمر محمد صـلى الله عليه وسـلم
سيصير الى حد يعرف منه حقيقته
وكذلك أمرهم مستقر على حالة
البطلان والخذلان ومن قرأ بالجر
فلعطف كل على السـاعة أى
اقـتربت الساعة واقترب كل أمر

(١) الذى فى كتب اللغة أنها اسم لجهنم فتنبه كتبه مصححه

آخر قال انا كل شئ خلقناه بقدر فجعل خلقناه من صفة الشئ وقال غيره انما نصب كل لأن قوله خلقناه فعل لقوله انا وهو أولى بالتقديم اليه من المفعول فلذلك اختير النصب وليس قبل عبدالله فى قوله عبدالله ضربته شئ هو أولى بالفعل وكذلك انا طعامك أكلناه الاختيار النصب لانك تريد انا أكلنا طعامك الأكل أولى بانا من الطعام قال وأما قول من قال خلقناه وصف للشئ فبعيد لأن المعنى انا خلقنا كل شئ بقدر وهذا القول الثانى أولى بالصواب عندى من الأول للعلل التى ذكرتها لصاحبها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شئ فعلوه فى الزبر﴾ يقول تعالى ذكره وما أمرنا للشئ اذا أمرناه وأردنا أن نكونه الا قولة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيها ولا مرادّة كلمح بالبصر يقول جل ثناؤه فيوجد ما أمرناه وقلنا له كن كسرعة اللمح بالبصر لا يبطئ ولا يتأخر يقول تعالى ذكره لمشركى قريش الذين كذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولقد أهلكنا أشياعكم معشر قريش من الأمم السالفة والقرون الخالية على مثل الذى أنتم عليه من الكفر بالله وتكذيب رسله فهل من مدكر يقول فهل من متعظ بذلك منزجر يتزجر به كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر قال أشياعكم من أهل الكفر من الأمم الماضية يقول فهل من أحد يتذكر وقوله وكل شئ فعلوه فى الزبر يقول تعالى ذكره وكل شئ فعله أشياعكم الذين مضوا قبلكم معشر كفار قريش فى الزبر يعنى فى الكتب التى كتبتها الحفظة عليهم وقد يحتمل أن يكون مرادا به فى أم الكتاب كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى الزبر قال الكتب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكل شئ فعلوه فى الزبر قال فى الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ يقول تعالى ذكره وكل صغير وكبير من الأشياء مستطر يقول مثبت فى الكتاب مكتوب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكل صغير وكبير مستطر يقول مكتوب فاذا أراد الله أن ينزل كتابا نسخته السفرة قوله وكل صغير وكبير مستطر قال مكتوب حدثنا بشر قال ثنا عبيدالله بن معاذ عن أبيه عن عمران بن حدير عن عكرمة قال مكتوب فى كل سطر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مستطر قال محفوظ مكتوب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكل صغير وكبير مستطر أى محفوظ حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول مستطر قال مكتوب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكل صغير وكبير مستطر قال مكتوب وقرأ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين وقرأ وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ وانما هو مفتعل من سطرت اذا كتبت سطرا وقوله ان المتقين فى جنات ونهر يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا عقاب الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه فى بساتين يوم القيامة وأنهار ووحد النهر فى اللفظ ومعناه الجمع كما وحد الدبر ومعناه الادبار فى قوله يولون الدبر وقد قيل ان معنى ذلك

مستقر وبين حاله ثم أشار بقوله (ولقد جاءهم) الى أن كل ما هو لطف بالعباد قد وجد فأخبرهم الرسول باقتراب القيامة وأقام الدليل على صدقه ووعظهم بأحوال القرون الخالية وأهوال الدار الآخرة وفى كل ذلك (مزدجر) لهم أى ازدجار أو موضع ازدجار ومظنة اذّكار وهو افتعال من الزجر قلبت التاء دالا وقوله (حكمة) يحتمل أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هذا الترتيب فى ارسال الرسول وايضاح الدليل والانذار بمن مضى من القرون حكمة بالغة كاملة قد بلغت منتهى البيان (فما تغنى) نفى أو استفهام انكار معناه أنك أتيت بما عليك من دعوى النبوة مقرونة بالآية الباهرة وأنذرتهم بأحوال الأقدمين فلم يفدهم فأى غناء تغنى النذر أى الانذارات بعد هذا (فتول عنهم) لعلمك أن الانذار لا يفيد فيهم ولا يظهر الحق لهم الى يوم البعث والنشور والداعى اسرافيل أو جبريل ينادى الى شئ منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وتخصيص المدعوين بالكافرين من حيث إنهم هم الذين يكرهون ذلك اليوم من ضيق العطن قوله (خاشعا) حال من الخارجين والفعل للابصار وليس قراءة من قرأ خشعا على الجمع من باب أكلونى البراغيث كما ظن فى الكشاف ولكنه أحسن من ذلك ولهذا تواترت قراءته لعدم مشابهة الفعل صورة تقول فى السعة قام رجل قعود غلمانه وضعف قاعدون وأضعف منه يقعدون لأن

ان المتقين فى سعة يوم القيامة وضياء فوجهوا معنى قوله ونهر الى معنى النهار وزعم الفراء أنه سمع بعض العرب ينشد

ان تك ليليا فانى نهر * متى أتى الصبح فلا أنتظر

وقوله نهر على هذا التأويل مصدر من قولهم نهرت أنهر نهرا وعنى بقوله فانى نهر أى انى لصاحب نهار أى لست بصاحب ليلة وقوله فى مقعد صدق يقول فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم عند مليك مقتدر يقول عند ذى ملك مقتدر على ما يشاء وهو الله ذو القوة المتين تبارك وتعالى

آخر تفسير سورة اقتربت الساعة

﴿ تفسير سورة الرحمن عز ذكره ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان﴾ يقول تعالى ذكره الرحمن أيها الناس برحمته اياكم علمكم القرآن فأنعم بذلك عليكم اذ بصركم به ما فيه رضا ربكم وعرفكم ما فيه سخطه لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم وعملكم بما أمركم به و تجنبكم ما يسخطه عليكم فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه وتنجوا من أليم عقابه وروى عن قتادة فى ذلك ما حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان العقيلى قال ثنا أبو العوام العجلى عن قتادة أنه قال فى تفسير الرحمن علم القرآن قال نعمة والله عظيمة وقوله خلق الانسان يقول تعالى ذكره خلق آدم وهو الانسان فى قول بعضهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله خلق الانسان قال الانسان آدم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران قال ثنا سعيد عن قتادة خلق الانسان قال الانسان آدم صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل عنى بذلك الناس جميعا وانما وحد فى اللفظ لأدائه عن جنسه كما قيل ان الانسان لفى خسر والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب لاحتمال ظاهر الكلام اياهما وقوله علمه البيان يقول تعالى ذكره علم الانسان البيان ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى بالبيان فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به بيان الحلال والحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله علمه البيان علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه ليحتج بذلك على خلقه حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن سعيد عن قتادة علمه البيان الدنيا والآخرة ليحتج بذلك عليه حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة فى قوله علمه البيان قال تبين له الخير والشر وما يأتى وما يدع * وقال آخرون عنى به الكلام أى ان الله عز وجل علم الانسان البيان ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله علمه البيان قال البيان الكلام * والصواب من القول فى ذلك أن يقال معنى ذلك أن الله علم الانسان ما به الحاجة اليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام والمعايش والمنطق وغير ذلك مما به الحاجة اليه لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك أنه علمه من البيان بعضا دون بعض بل عم فقال علمه البيان فهو كما عم جل ثناؤه وقوله الشمس والقمر بحسبان اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه الشمس والقمر بحسبان ومنازل لها

زيادة الحرف ليست فى قوة زيادة الاسم وجوز أن يكون فى خشعا ضميرهم ويقع أبصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار سكونها على هيئة لا تلتفت يمنة ويسرة كقوله لا يرتد اليهم طرفهم والأجداث القبور شبههم بالجراد المنتشر للكثرة والتموج والذهاب فى كل مكان وقيل المنتشر مطاوع أنشره اذا أحياه فكأنهم جراد يتحرك من الارض ويدب فيكون اشارة الى كيفية خروجهم من الاجداث وضعف حالهم ومعنى مهطعين مسرعين وقد مر فى ابراهيم عليه السلام ثم انه سبحانه أعاد بعض الأنباء وقدم قصة نوح على عاد وفائدة قوله (فكذبوا عبدنا) بعد قوله كذبت قبلهم قوم نوح هى فائدة التخصيص بعد التعميم أى كذبت الرسل أجمعين فلذلك كذبوا نوحا و يجوز أن يكون المراد التكرير أى تكذيبا عقيب تكذيب كلما مضى منهم قرن تبعه قرن آخر مكذب وقوله عبدنا تشريف وتنبيه على أنه هو الذى حقق المقصود من الخلق وقتئذ ولم يكن على وجه الارض حينئذ عابد لله سواه فكذبوه (وقالوا) هو (مجنون) وازدجروه أى استقبلوه بالضرب والشتم وغير ذلك من الزواجر عن تبليغ ما أمر به وجوز أن يكون من جملة قولهم أى قالوا ازدجرته الجن ومسته وذهبت بلبه (فدعى ربه أنى مغلوب) غلبنى قومى بالايذاء والتكذيب وقيل غلبتنى نفسى بالدعاء عليهم حين أيست من اجابتهم لى (فانتصر) منهم فانتقم منهم لى أولدينك روى أن الواحد من

يجريان ولايعدوانها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا الفريابى قال ثنا اسرائيل قال ثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله الشمس والقمر بحسبان قال بحساب ومنازل يرسلان حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الشمس والقمر بحسبان قال يجريان بعدد وحساب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك الشمس والقمر بحسبان قال بحساب ومنازل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الشمس والقمر بحسبان أى بحساب وأجل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله الشمس والقمر بحسبان قال يجريان فى حساب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الشمس والقمر بحسبان قال يحسب بهما الدهر والزمان لولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدرك أحد كيف يحسب شيئا لو كان الدهر ليلا كله كيف يحسب أو نهارا كله كيف يحسب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة الشمس والقمر بحسبان قال بحساب وأجل * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهما يجريان بقدر ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا عبد الله بن داود عن أبى الصهباء عن الضحاك فى قوله الشمس والقمر بحسبان قال بقدر يجريان * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهما يدوران فى مثل قطب الرحا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا محمد بن يوسف قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو يحيى عن مجاهد * قال ثنا محمد بن يوسف قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بحسبان قال كحسبان الرحا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بحسبان قال كحسبان الرحا * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل لأن الحسبان مصدر من قول القائل حسبته حسابا وحسبانا مثل قولهم كفرته كفرانا وغفرته غفرانا وقد قيل انه جمع حساب كالشهبان جمع شهاب واختلف أهل العربية فيما رفع به الشمس والقمر فقال بعضهم رفعا بحسبان أى بحساب وأضمر الخبر وقال وأظن والله أعلم أنه قال يجريان بحساب وقال بعض من أنكر هذا القول منهم هذا غلط بحسبان يرافع الشمس والقمر أى هما بحساب قال والبيان يأتى على هذا علمه البيان أن الشمس والقمر بحسبان قال فلا يحذف الفعل ويضمر الا شاذا فى الكلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى النجم فى هذا الموضع مع اجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق فقال بعضهم عنى بالنجم فى هذا الموضع من النبات ما نجم من الأرض مما ينبسط عليها ولم يكن على ساق مثل البقل ونحوه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله والنجم قال النجم ما يبسط على الارض حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله والنجم قال النجم كل شئ ذهب مع الارض فرشا قال والعرب تسمى الثيل نجما حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا رواد بن الجراح عن شريك عن السدى والنجم والشجر يسجدان قال النجم نبات الأرض حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان والنجم قال النجم الذى ليس له ساق * وقال آخرون عنى بالنجم فى هذا الموضع نجم

قومه كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وأبواب السماء وفتحها حقيقة عند من يجوز لها أبوابا وفيها مياها وعند أهل البحث والتدقيق هو مجاز عن كثرة انصباب الماء من ذلك الصوب كما يقال فى المطر الوابل جرت ميازيب السماء وفتحت أفواه القرب والباء للآلة نحو فتحت الباب بالمفتاح ونظيره قول القائل يفتح الله لك بخير وفيه لطيفة هى جعل المقصود مقدما فى الوجود والتقدير يفيض الله لك خيرا يأتى ويفتح لك الباب ويجوز أن يراد فتحنا أبواب السماء مقرونة (بماء منهمر) منصب فى كثرة وتتابع أربعين يوما قال علماء البيان قوله (وفجرنا الارض عيونا) أبلغ من أن لو قال وفجرنا عيون الارض أى جعلنا الارض كلها كأنها عيون منفجرة نظيره واشتعل الرأس شيبا وقدمر (فالتقى الماء) أى جنسه يعنى مياه السماء والارض يؤيده قراءة من قرأ فالتقى الماآن (على أمر قد قدر) أى على حال قدرها الله عز وجل كيف شاء أو على حال جاءت مقدرة متساوية أى قدر ماء السماء كقدر ماء الأرض ولعله اشارة الى أن ماء الأرض ينبع من العيون حتى اذا ارتفع وعلا لقيه ماء السماء ويحتمل أن يقال اجتمع الماء على أمر هلاكهم وهو مقدر فى اللوح (وذات ألواح ودسر) هى السفينة وهى من الصفات التى تؤدى مؤدى الموصوف فتنوب منابه وهذا الايجاز من فصيح

السماء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
في قوله والنجم قال نجم السماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
والنجم يعني نجم السماء حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والنجم
والشجر يسجدان قال انما يريد النجم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة عن الحسن نحوه * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عني بالنجم ما نجم من
الأرض من نبت لعطف الشجر عليه فكان بأن يكون معناه لذلك ما قام على ساق وما لا يقوم على
ساق يسجدان لله بمعنى أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه أشبه وأولى بمعنى
الكلام من غيره وأما قوله والشجر فان الشجر ما قد وصفت صفته قبل وبالذي قلنا في ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن
علي عن ابن عباس قوله والشجر يسجدان قال الشجر كل شيء قام على ساق حدثنا ابن حميد
قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد في قوله والشجر قال الشجر كل شيء قام على ساق حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله والشجر قال الشجر شجر الارض حدثنا
ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان والشجر يسجدان قال الشجر الذي له سوق وأما قوله
يسجدان فانه عني به سجود ظلهما كما قال جل ثناؤه ولله يسجد من في السموات والارض طوعا
وكرها وظلالهم بالغدو والآصال كما حدثنا ابن حميد قال ثنا تميم بن عبد المؤمن عن زبرقان
عن أبي رزين وسعيد والنجم والشجر يسجدان قال الاظلهما سجودهما حدثنا ابن بشار قال
ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة والنجم والشجر يسجدان قال ما نزل من
السماء شيأ من خلقه الا عبده له طوعا وكرها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة عن الحسن وهو قول قتادة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في
قوله والنجم والشجر يسجدان قال يسجد بكرة وعشيا وقيل والنجم والشجر يسجدان فثنى وهو
خبر عن جمعين وقد زعم الفراء أن العرب اذا جمعت الجمعين من غير الناس مثل السدر والنخل
جعلوا فعلهما واحدا فيقولون الشاء والنعم قد أقبل والنخل والسدر قد ارتوى قال وهذا أكثر
كلامهم وتثنيته جائزة وقوله والسماء رفعها يقول تعالى ذكره والسماء رفعها فوق الارض وقوله
ووضع الميزان يقول ووضع العدل بين خلقه في الارض وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله وخفض
الميزان والخفض والوضع متقارب المعنى في كلام العرب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله
ووضع الميزان قال العدل وقوله ألا تطغوا في الميزان يقول تعالى ذكره ألا تظلموا وتبخسوا في الوزن
كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألا تطغوا في الميزان اعدل
يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك وأوف كما تحب أن يوفى لك فان بالعدل صلاح الناس وكان ابن
عباس يقول يا معشر الموالي انكم قد وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم هذا المكيال والميزان
حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن مغيرة عن مسلم عن أبي المغيرة
قال سمعت ابن عباس يقول في سوق المدينة يا معشر الموالي انكم قد بليتم بأمرين أهلك فيهما أمتان

الكلام وبديعه والدسر المسامير
جمع دسار من دسره اذا دفعه لأنه
يدسر به منفذه فعلنا كل ما ذكرنا
من فتح أبواب السماء وغيره (جزاء)
أو جزيناهم جزاء (لمن كان كفر)
وهو نوح عليه السلام لأن وجود
النبي صلى الله عليه وسلم نعمة من
الله وتكذيبه كفرانها يحكى أن رجلا
قال للرشيد الحمد لله عليك فسئل
عن معناه قال انت نعمة حمدت الله
عليها والضمير في (تركناها) للسفينة
أو للفعلة كما مر في العنكبوت
فأنجيناه وأصحاب السفينة
وجعلناها آية والمدكر المعتبر وأصله
مذتكر افتعال من الذكر والاستفهام
فيه وفي قوله (كيف كان عذابي ونذر)
أي انذاراتي للتوبيخ والتخويف
(ولقد يسرنا القرآن) سهلناه للادكار
والاتعاظ بسبب المواعظ الشافية
والبيانات الوافية وقيل للحفظ
والاول أنسب بالمقام وان روى
أنه لم يكن شئ من كتب الله محفوظا
على ظهر القلب سوى القرآن
سؤال * ما الحكمة في تكرير ما كرر
في هذه السورة من الآي والجواب
أن فائدته تجديد التنبيه على الادكار
والاتعاظ والتوقيف على تعذيب
الامم السالفة ليعتبروا بحالهم وطالما
قرعت العصا لذوي الحلوم
وأصحاب النهى وهكذا حكم التكرير
في سورة الرحمن عند عد كل نعمة
وفي سورة المرسلات عند عد كل
آية لتكون مصورة للاذهان
محفوظة في كل أوان ونفس هذه
القصص كم كررت في القرآن
بعبارات مختلفة أوجز وأطنب
لأن التكرير يوجب التقرير

من الأمم المكيال والميزان * قال ثنا مروان عن مغيرة قال رأى ابن عباس رجلا يزن قد أرجح فقال أقم اللسان أقم اللسان أليس قد قال الله وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وقوله وأقيموا الوزن بالقسط يقول وأقيموا لسان الميزان بالعدل وقوله ولا تخسروا الميزان يقول تعالى ذكره ولا تنقصوا الوزن اذا وزنتم للناس وتظلموهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوّام عن قتادة والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قال قتادة قال ابن عباس يا معشر الموالي انكم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم اتقى الله رجل عند ميزانه اتقى الله رجل عند مكياله فانما يعدله شئ يسير ولا ينقصه ذلك بل يزيده الله ان شاء الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قال نقصه اذا نقصه فقد خسره تخسيره نقصه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان) يقول تعالى ذكره والأرض وضعها للأنام والأرض وطأها للخلق وهم الأنام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله للأنام يقول للخلق حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والأرض وضعها للأنام قال كل شئ فيه الروح حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أبو رجاء عن الحسن في قوله والأرض وضعها للأنام قال للخلق الجن والانس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله للأنام قال للخلائق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة للأنام قال للخلق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وضعها للأنام قال الأنام الخلق حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوّام عن قتادة والأرض وضعها للأنام قال للخلق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله وقوله فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام يقول تعالى ذكره في الأرض فاكهة والهاء والألف فيها من ذكر الأرض والنخل ذات الأكمام والأكمام جمع كم وهو ما تكممت فيه واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم عني بذلك تكمم النخل في الليف ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سألت الحسن عن قوله والنخل ذات الأكمام فقال سعفة من ليف عصبت بها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والحسن ذات الأكمام أكمامها ليفها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والنخل ذات الأكمام الليف الذي يكون عليها * وقال آخرون يعني بالأكمام الرفات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة والنخل ذات الأكمام قال أكمامها رفاتها * وقال آخرون بل معنى الكلام والنخل ذات الطلع المتكمم في كمامه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والنخل ذات الأكمام وقيل له هو الطلع قال نعم وهو في كم منه حتى ينفتق عنه قال والحب أيضا في أكمام وقرأ وما تخرج من ثمرات من أكمامها * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال

ان

والتذكير ينبه الغافل على أن كل موضع مختص بمزيد فائدة لم يعرف من غيره وانما كرر قوله فكيف كان عذابي ونذر مرتين في قصة عاد لأن الاستفهام الاول أورده للبيان كما يقول المعلم لمن لا يعرف كيف المسئلة الفلانية ليصير المسئول سائلا فيقول كيف هي فيقول المعلم انها كذا وكذا والاستفهام الثاني للتوبيخ والتخويف فأما في قصة ثمود فاقتصر على الاول للاختصار وفي قصة نوح اقتصر على الثاني لذلك ولعله ذكر الاستفهامين في معاني قصة عاد لفرط عتوهم وقولهم من أشد منا قوة وقد مر في حم السجدة تفسير الصرصر والأيام النحسات وانما وحد ههنا لأنه أراد مبدأ الأيام ووصفه بالمستمر أغنى عن جمعه أي استمر عليهم ودام حتى أهلكهم وقيل استمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وقيل المستمر الشديد المرارة (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم فتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) منقلع عن مغارسه وفي هذا التشبيه اشارة الى جثثهم الطوال العظام ويجوز أن الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس كأعجاز النخل أصولا بلا فروع قال النحويون اسم الجنس الذي تميز واحده بالتاء جاز في وصفه التذكير كما في الآية والتأنيث كما في قوله أعجاز نخل خاوية هذا مع أن كلا من السورتين وردت على مقتضى الفواصل قوله (أبشرا) من باب ما أضمر عامله على شريطة التفسير وانما أولى حرف الاستفهام ليعلم أن

ان الله وصف النخل بأنها ذات أكمام وهي متكممة في ليفها وطلعها متكمم في جفه ولم يخصص الله
الخبر عنها بتكممها في ليفها ولا تكمم طلعها في جفه بل عم الخبر عنها بأنها ذات أكمام * والصواب أن
يقال عني بذلك ذات ليف وهي به متكممة وذات طلع هو في جفه متكمم فيعمم كما عم جل ثناؤه
وقوله والحب ذو العصف والريحان يقول تعالى ذكره وفيها الحب وهو حب البر والشعير ذو الورق
والتبن هو العصف وإياه عني علقمة بن عبدة

تسقى مذانب قد مالت عصيفتها * حدورها من أتيّ الماء مطموم

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح
قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والحب ذو العصف والريحان يقول التبن حدثني
محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله
والحب ذو العصف والريحان قال العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤسه فهو يسمى
العصف إذا يبس حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد والحب ذو
العصف البقل من الزرع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والحب
ذو العصف وعصفه تبنه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال
العصف التبن حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الضحاك والحب ذو
العصف قال الحب البر والشعير والعصف التبن حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا عبد الله
ابن المبارك الخراساني عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك قوله والحب ذو العصف والريحان
قال الحب أول ما ينبت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله والحب
ذو العصف والريحان قال العصف الورق من كل شئ قال يقال للزرع إذا قطع عصافة وكل
ورق فهو عصافة حدثنا الحسن بن عرفة قال ثني يونس بن محمد قال ثنا عبد الواحد
قال ثنا أبو روق عطية بن الحرث قال سمعت الضحاك يقول في قوله والحب ذو العصف قال
العصف التبن حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة
عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس ذو العصف قال العصف الزرع وقال بعضهم العصف هو
الحب من البر والشعير بعينه ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول
أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والحب ذو العصف والريحان أما العصف فهو البر
والشعير وأما قوله والريحان فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم هو الرزق ذكر
من قال ذلك حدثني زيد بن أخزم الطائي قال ثنا عامر بن مدرك قال ثنا عتبة بن يقظان
عن عكرمة عن ابن عباس قال كل ريحان في القرآن فهو رزق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن
ابن أبي نجيح عن مجاهد والريحان قال الرزق حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان
عن الضحاك والريحان الرزق ومنهم من يقول ريحاننا حدثني سليمن بن عبد الجبار قال ثنا
محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس والريحان قال
الريح حدثنا الحسن بن عرفة قال ثني يونس بن محمد قال ثنا عبد الواحد قال ثنا أبو
روق عطية بن الحرث قال سمعت الضحاك يقول في قوله والريحان قال الرزق والطعام * وقال
آخرون هو الريحان الذي يشم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال

الانكار لم يقع على مجرد الاتباع ولكنه
وقع على اتباع البشر الموصوف وأنه
من جهات احداها كونه بشرا
وذلك لزعمهم أن الرسول لا يكون
بشرا الثانية كونه منهم وفيه بيان قوة
المماثلة وفيه بيان مزيد استكبار أن
يكون الواحد منهم مختصا بالنبوة مع
أنهم أعرف بحاله الثالثة كونه
واحدا أي كيف تتبع الأمة رجلا
واحدا أو أرادوا أنه واحد من
الآحاد دون الاشراف والسعر
النيران جمع سعير للمبالغة أو لأن
جهنم دركات أو لدوام العذاب
كأن يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال
عن الحق وفي سعر فعكسوا عليه
قائلين ان اتبعناك كنا إذا كما تقول
وقيل الضلال البعد عن الصواب
والسعر الجنون ومنه ناقة مسعورة
وفي قوله (أألقي الذكر عليه من بيننا)
تصريح بما ذكرنا من أن واحدا
منهم كيف اختص بالنبوة وفي
الالقاء أيضا تعجب آخر منهم وذلك
أن الالقاء انزال بسرعة كأنهم قالوا
الملك جسم والسماء بعيدة فكيف
نزل في لحظة واحدة أنكروا أصل
الالقاء ثم الالقاء عليه من بينهم
والأشر البطر المتكبر أي حمله بطره
وشطارته على ادعاء ما ليس له ثم قال
سبحانه تهديدا لهم ولأمثالهم
(سيعلمون غدا) أي فيما يستقبل من
الزمان هو وقت نزول العذاب أو
يوم القيامة (من الكذاب الأشر)
بالتشديد أي الأبلغ في الشرارة
وحكى ابن الانباري أن العرب
تقول هو أخير وأشر وذلك أصل
مرفوض ومن قرأ ستعلمون على
الخطاب فاما حكاية جواب صالح

ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال الريحان ماتنبت الأرض من الريحان حدثت عن الحسين قال سمعت أبامعاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والريحان أما الريحان فما أنبتت الأرض من ريحان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن والريحان قال ريحانكم هذا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والريحان الرياحين التى توجد ريحها * وقال آخرون هو خضرة الزرع ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والريحان يقول خضرة الزرع * وقال آخرون هو ماقام على ساق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال الريحان ماقام على ساق * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى به الرزق وهو الحب الذى يؤكل منه وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لأن الله جل ثناؤه أخبر عن الحب أنه ذو العصف وذلك ماوصفنا من الورق الحادث منه والتبن اذا يبس فالذى هو أولى بالريحان أن يكون حبه الحادث منه اذ كان من جنس الشئ الذى منه العصف ومسموع من العرب تقول خرجنا نطلب ريحان الله ورزقه ويقال سبحانك وريحانك أى ورزقك ومنه قول النمر بن تولب

سلام الاله وريحانه * وجنته وسماء درر

وذكر عن بعضهم أنه كان يقول العصف المأكول من الحب والريحان الصحيح الذى يؤكل واختلفت القراء فى قراءة قوله والريحان فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين وبعض الكوفيين بالرفع عطفا به على الحب بمعنى وفيها الحب ذو العصف وفيها الريحان أيضا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والريحان بالخفض عطفا به على العصف بمعنى والحب ذو العصف وذو الريحان * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالخفض للعلة التى بينت فى تأويله وأنه بمعنى الرزق وأما الذين قرؤه رفعا فانهم وجهوا تأويله فيما أرى الى أنه الريحان الذى يشم فلذلك اختاروا الرفع فيه وكونه خفضا بمعنى وفيها الحب ذو الورق والتبن وذو الرزق المطعوم أولى وأحسن لماقد بيناه قبل ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان فبأى نعم ربكما معشر الجن والانس من هذه النعم تكذبان كما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سهل السراج عن الحسن فبأى آلاء ربكما تكذبان فبأى نعمة ربكما تكذبان * قال عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قال لابأيتها يارب حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك النضرى قالا ثنا يحيى بن سليمن الطائفى عن اسمعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال مالى أسمع الجن أحسن جوابا بالربها منكم قالوا وماذا يارسول الله قال ماأتيت على قول الله فبأى آلاء ربكما تكذبان الاقالت الجن لابشئ من نعمة ربنا نكذب حدثنى على قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول فبأى نعمة الله تكذبان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول للجن والانس بأى نعم الله تكذبان حدثنى ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الاعمش وغيره عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان اذا قرأ فبأى آلاء ربكما تكذبان قال لابأيتها ربنا حدثنى يونس قال أخبرنا

ابن

أو هو على طريقة الالتفات ثم انه تعالى خاطب صالحا بقوله (انا مرسلوا الناقة) أى مخرجوها من الصخرة كماسألوا فتنة وامتحانا لهم (فارتقبهم) وتبصر ماهم فاعلون بها (واصطبر) على ايذائهم (ونبئهم أن الماء قسمة) أى مقسوم (بينهم) خص العقلاء بالذكر تغليبا (كل شرب محتضر) فيه يوم لها ويوم لهم كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقدمر فى الشعراء وقال فى الكشاف محضور لهم وللناقة وفيه ابهام وقيل يحضرون الماء فى نوبتهم واللبن فى شربها (فنادوا صاحبهم) وهو قدار نداء المستغيث وكان أشجع وأهجم على الأمور أو كان رئيسهم (فتعاطى) فاجترأ على الأمر العظيم فتناول العقر وأحدثه بها أو تعاطى الناقة أو السيف أو الأجر والهشيم الشجر اليابس المتهشم أى المتكسر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة ووجه التشبيه أن مايحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتكسر وأنهم صاروا موتى جاثمين ملقى بعضهم فوق بعض كالحطب الذى يكسر فى الطرق والشوارع ويحتمل أن يكون ذلك لبيان كونهم وقودا للجحيم كقوله فكانوا لجهنم حطبا والحاصب الريح التى ترميهم بالحجارة وقدمر فى العنكبوت ولعل التذكير بتأويل العذاب والسحر القطعة من الليل وهو السدس الآخر كمامر فى هود والحجر وصرف لأنه نكرة واذا أردت سحر يومك لم تصرفه والظاهر أن الاستثناء من الضمير فى عليهم لأنه أقرب ولأنه المقصود وجوز أن يكون استثناء من فاعل

ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قال الآلاء القدرة فبأى آلائه تكذب
خلقكم كذا وكذا فبأى قدرة الله تكذبان أيها الثقلان الجن والانس فان قال لنا قائل وكيف قيل
فبأى آلاء ربكما تكذبان فخاطب اثنين وانما ذكر فى أول الكلام واحد وهو الانسان قيل عاد
بالخطاب فى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان الى الانسان والجان ويدل على أن ذلك كذلك ما بعد
هذا من الكلام وهو قوله خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار وقد
قيل انما جعل الكلام خطابا لاثنين وقد ابتدئ الخبر عن واحد لما قد جرى من فعل العرب
تفعل ذلك وهو أن يخاطبوا الواحد بفعل الاثنين فيقولون خلياها يا غلام وما أشبه ذلك مما قد بيناه
فى كتابنا هذا فى غير موضع وقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار يقول تعالى ذكره خلق الله
الانسان وهو آدم من صلصال وهو الطين اليابس الذى لم يطبخ فانه من يبسه له صلصلة اذا حرك
ونقر كالفخار يعنى أنه من يبسه وان لم يكن مطبوخا كالذى قد طبخ بالنار فهو يصلصل كما
يصلصل الفخار والفخار هو الذى قد طبخ من الطين بالنار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبيد الله بن يوسف الجبيرى قال ثنا محمد بن كثير قال
ثنا مسلم يعنى الملائى عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله من صلصال كالفخار قال هو من الطين
الذى اذا أمطرت السماء فيبست الارض كأنه خزف رقاق حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان
ابن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال خلق الله آدم
من طين لازب واللازب اللزج الطيب من بعد حما مسنون منتن قال وانما كان حما مسنونا بعد
التراب قال فخلق منه آدم بيده قال فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى فكان ابليس يأتيه فيضربه
برجله فيصلصل فيصوّت قال فهو قول الله تعالى كالفخار يقول كالشئ المنفرج الذى ليس
بمصمت حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن
الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الصلصال التراب المدقق
حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال الصلصال
التراب المدقق حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
قوله خلق الانسان من صلصال كالفخار يقول الطين اليابس حدثنا هناد قال ثنا أبو
الأحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله من صلصال كالفخار قال الصلصال طين خلط برمل
فكان كالفخار حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من صلصال كالفخار
والصلصال التراب اليابس الذى يسمع له صلصلة فهو كالفخار كما قال الله عز وجل حدثنا ابن
عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله من صلصال كالفخار قال من طين له
صلصلة كان يابسا ثم خلق الانسان منه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
فى قوله من صلصال كالفخار قال يبس آدم فى الطين فى الجنة حتى صار كالصلصال وهو الفخار
والحمأ المسنون المنتن الريح حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام
عن قتادة خلق الانسان من صلصال كالفخار قال من تراب يابس له صلصلة * قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا شبيب عن عكرمة عن ابن عباس خلق الانسان من صلصال كالفخار قال ما عصر
فخرج من بين الاصابع ولو وجه موجه قوله صلصال الى أنه فعلال من قولهم صل اللحم اذا أنتن
وتغيرت ريحه كما قيل من صر الباب صرصر وكبكب من كب كان وجها ومذهبا وقوله وخلق

كذبت وهو بعيد (نعمة) مفعول له
أى انعاما وقوله (كذلك نجزى من
شكر) أكثر المفسرين على أنه اشارة
الى أنه تعالى يصون من عذاب
الدنيا كل من شكر نعمة الله بالطاعة
والايمان وقيل انه وعد بثواب
الآخرة أى كما نجيناهم من عذاب
الدنيا ننعم عليهم يوم الحساب
بالثواب وحين أجمل قصتهم
فصلها بعض التفصيل قائلا (ولقد
أنذرهم) أى لوط (بطشتنا) شدة
أخذنا بالعذاب (فتماروا بالنذر)
فتشاكوا بالانذارات (ولقد راودوه
عن ضيفه) معناها قريب من المطالبة
كما مر فى يوسف والضمير للقوم
باعتبار البعض لأن بعضهم
راودوه وكان غيرهم راضين بذلك
فكانوا جميعا على مذهب واحد
(فطمسنا أعينهم) مسخناها
وجعلناها مع الوجه صفحة ملساء
لا يرى لها شق وانما قال فى يس
ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بزيادة
حرف الجر لأنه أراد به اطباق
الجفنين على العين وهو أمر كثير
الوقوع قريب الامكان بخلاف
ما وقع للمراودين من قوم لوط فانه
أنذر وأبعد والكل بالاضافة الى
قدرة الله تعالى واحد الا أنه حين
علق الطمس بالمشيئة ذكر ما هو
أقرب الى الوقوع كيلا يكون للمنكر
مجال كثير ونقل عن ابن عباس أن
المراد بالطمس المنع عن الادراك
فما جعل على بصرهم شيأ غير أنهم
دخلوا ولم يروا هناك شيأ ولعل فى
هذا النقل خللا لأنه لا يناسب
قوله عقيب ذكر الطمس (فذوقوا
عذابى ونذر) أى فقلت لهم على

الجان من مارج من نار يقول تعالى ذكره وخلق الجان من مارج من نار وهو ما اختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر من قولهم مرج أمر القوم اذا اختلط ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمرو كيف بك اذا كنت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم وذلك هو لهب النار ولسانه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا عبدالله بن يوسف الجبيري أبو حفص قال ثنا محمد بن كثير قال ثنا مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله من مارج من نار قال من أوسطها وأحسنها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وخلق الجان من مارج من نار يقول خلقه من لهب النار من أحسن النار حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله من مارج من نار يقول خالص النار حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال خلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا ألهبت حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة في قوله من مارج من نار قال من أحسن النار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من مارج من نار قال اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار اذا أوقدت وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال والأحمر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد وخلق الجان من مارج من نار قال هو اللهب المنقطع الأحمر * قال ثنا مهران عن سفيان عن الضحاك في قوله وخلق الجان من مارج من نار قال أحسن النار حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من مارج من نار قال من لهب النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وخلق الجان من مارج من نار أي من لهب النار حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن في قوله من مارج من نار قال من لهب النار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وخلق الجان من مارج من نار قال المارج اللهب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة وخلق الجان من مارج من نار قال من لهب من نار وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي نعمة ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذبان ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره ذلكم أيها الثقلان رب المشرقين يعني بالمشرقين مشرق الشمس في الشتاء ومشرقها في الصيف وقوله ورب المغربين يعني ورب مغرب الشمس في الشتاء ومغربها في الصيف وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر عن ابن أبزى قوله رب المشرقين ورب المغربين قال مشارق الصيف ومغارب الصيف مشرقان تجري فيهما الشمس ستون وثلثمائة في ستين وثلثمائة برج لكل برج مطلع لا تطلع يومين من مكان واحد وفي المغرب ستون وثلثمائة برج لكل برج مغيب لا تغيب يومين في برج حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله رب المشرقين ورب المغربين قال مشرق الشتاء ومغربه

ومشرق

السنة الملائكة ذوقوا ألم عذابي وتبعة انذاراتي ثم حكى العذاب الذي عم الكل بقوله ولقد صبحهم ولقائل أن يسأل ما الفائدة في قوله (بكرة) مع قوله صبحهم والجواب أن صبحهم يشمل من أول الصبح الى آخر الاسفار وأنه تعالى وعدهم أول الصبح كما قال ان موعدهم الصبح فأراد بقوله بكرة تحقيق ذلك الوعد ويمكن أن يقال قد يذكر الوقت المبهم لبيان أن تعيين الوقت غير مقصود كما تقول خرجنا في بعض الأوقات ولا فائدة فيه الا قطع المسافة فانه ربما يقول السامع متى خرجتم فيحتاج الى أن تقول في وقت كذا أو في وقت من الاوقات فاذا قال من أول الأمر في وقت من الأوقات أشار الى أن غرضه بيان الخروج لا تعيين وقته وبمثله أجيب عن قوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ويحتمل أن يقال صبحهم معناه قال لهم بكرة عموا صباحا وهو بطريق التهكم كقوله فبشرهم بعذاب ويجوز أن يكون التصبيح بمعنى الاغاثة من قولهم يا صباحاه والعذاب المستقر الثابت الذي لا مدفع له أو الذي استقر عليهم ودام الى الاستئصال الكلي أو الى القيامة وما بعدها قوله (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني موسى وهرون وغيرهما وأنهما عرضا عليه ما أنذر به المرسلون وهو بمعنى الانذارات (بآياتنا كلها) هي الآيات التسع أو جميع معجزات الأنبياء عليهم السلام لأن تكذيب البعض تكذيب الكل العزيز المقتدر الغالب الذي لا يعجزه شئ ثم

ومشرق الصيف ومغربه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رب المشرقين ورب المغربين فشرقها فى الشتاء ومشرقها فى الصيف حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد ابن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة قوله رب المشرقين ورب المغربين قال مشرق الشتاء ومغربه ومشرق الصيف ومغربه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله رب المشرقين ورب المغربين قال أقصر مشرق فى السنة وأطول مشرق فى السنة وأقصر مغرب فى السنة وأطول مغرب فى السنة وقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول فبأى نعم ربكما معشر الجن والانس من هذه النعم التى أنعم بها عليكم من تسخيره الشمس لكم فى هذين المشرقين والمغربين تجرى لكم دائبة بمرافقكما ومصالح دنياكما ومعايشكما تكذبان وقوله مرج البحرين يلتقيان يقول تعالى ذكره مرج رب المشرقين ورب المغربين البحرين يلتقيان يعنى بقوله مرج أرسل وخلى من قولهم مرج فلان دابته اذا خلاها وتركها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله مرج البحرين يقول أرسل واختلف أهل العلم فى البحرين اللذين ذكرهما الله جل ثناؤه فى هذه الآية أى البحرين هما فقال بعضهم هما بحران أحدهما فى السماء والآخر فى الأرض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن ابن أبزى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال بحر فى السماء وبحر فى الارض حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله مرج البحرين يلتقيان قال بحر فى السماء وبحر فى الارض حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله مرج البحرين يلتقيان قال بحر فى السماء والارض يلتقيان كل عام * وقال آخرون عنى بذلك بحر فارس وبحر الروم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن زياد مولى مصعب عن الحسن مرج البحرين يلتقيان قال بحر الروم وبحر فارس واليمن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مرج البحرين يلتقيان فالبحران بحر فارس وبحر الروم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مرج البحرين يلتقيان قال بحر فارس وبحر الروم * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى به بحر السماء وبحر الارض وذلك أن الله قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان واللؤلؤ والمرجان انما يخرج من أصداف بحر الارض عن قطر ماء السماء فمعلوم أن ذلك بحر الارض وبحر السماء وقوله بينهما برزخ لا يبغيان يقول تعالى ذكره بينهما حاجز وبعد لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغى بذلك عليه وكل شئ كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب وما بين الدنيا والآخرة برزخ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن ابن أبزى بينهما برزخ لا يبغيان لا يبغى أحدهما على صاحبه * قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا فطر عن مجاهد قوله بينهما برزخ لا يبغيان قال بينهما حاجز من الله لا يبغى أحدهما على الآخر حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بينهما برزخ لا يبغيان يقول حاجز حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بينهما برزخ لا يبغيان والبرزخ هذه الجزيرة هذا اليبس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال البرزخ الذى بينهما الارض التى بينهما حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة بينهما برزخ لا يبغيان قال حجز المالح عن العذب والعذب

خاطب كفار أهل مكة بقوله (أكفاركم خير من أولئكم) المكذبين وهو استفهام انكار لأن الأقدمين كانوا أكثر عددا وقوة وبطشا (أم لكم براءة فى الزبر) الكتب المتقدمة أن من كفر منكم كان آمنا من سخط الله فأمنتم بتلك البراءة كما أن البيداء وهو من فى يده قانون أصل الخراج اذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة (أم يقولون نحن جميع) جمع مجتمع أمرنا (منتصر) منتقم عن أبى جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم فى الصف فقال نحن ننتصر اليوم من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) أى الأدبار عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر أى جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى) من أنواع عذاب الدنيا أو أدهى الدواهى والداهية اسم فاعل من دهاه أمر كذا اذا أصابه ويختص بأمر صعب كالحادثة والنازلة (وأمر) من المرارة وقيل من المرور أى أدوم وأكثر مرورا وقيل من المرة الشدة قوله (ان المجرمين) الآية روى الواحدى فى تفسيره باسناده عن أبى هريرة قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القدر فأنزل الله تعالى هذه الآية الى قوله خلقناه بقدر وعن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مجوس هذه الأمة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله فى قوله (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق فى الدنيا (وسعر) وهو نيران

عن المالح والماء عن اليبس واليبس عن الماء فلا يبغي بعضه على بعض بقوته ولطفه وقدرته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال منعهما أن يلتقيا بالبرزخ الذي جعل بينهما من الارض قال والبرزخ بعد الارض الذي جعل بينهما واختلف أهل التأويل في معنى قوله لا يبغيان فقال بعضهم معنى ذلك لا يبغي أحدهما على صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن ابن أبزى لا يبغيان لا يبغي أحدهما على صاحبه * قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا فطر عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة مثله * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهما لا يختلطان ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا يبغيان قال لا يختلطان * وقال آخرون بل معنى ذلك لا يبغيان على اليبس ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يبغيان على اليبس وما أخذ أحدهما من صاحبه فهو بغي فحجز أحدهما عن صاحبه بقدرته ولطفه وجلاله تبارك وتعالى * وقال آخرون بل معناه لا يبغيان أن يلتقيا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يبغيان قال لا يبغي أحدهما أن يلتقي مع صاحبه * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله وصف البحرين اللذين ذكرهما في هذه الآية أنهما لا يبغيان ولم يخصص وصفهما في شيء دون شيء بل عم الخبر عنهما بذلك فالصواب أن يعم كما عم جل ثناؤه فيقال انهما لا يبغيان على شيء ولا يبغي أحدهما على صاحبه ولا يتجاوزان حد الله الذي حده لهما وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي نعم الله ربكما معشر الجن والانس تكذبان من هذه النعم التي أنعم عليكم من مرجه البحرين حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره يخرج من هذين البحرين اللذين مرجهما الله وجعل بينهما برزخا اللؤلؤ والمرجان واختلف أهل التأويل في صفة اللؤلؤ والمرجان فقال بعضهم اللؤلؤ ما عظم من الدر والمرجان ما صغر منه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس اللؤلؤ والمرجان قال اللؤلؤ العظام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أما اللؤلؤ فعظامه وأما المرجان فصغاره وان لله فيهما خزانة دل عليها عامة بني آدم فأخرجوا متاعا ومنفعة وزينة وبلغة الى أجل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال اللؤلؤ الكبار من اللؤلؤ والمرجان الصغار منه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اللؤلؤ والمرجان أما المرجان فاللؤلؤ الصغار وأما اللؤلؤ فما عظم منه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان اللؤلؤ الصغار وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المرجان هو اللؤلؤ الصغار وحدثنا عمرو بن سعيد بن بشار القرشي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا عبد الله بن ميسرة الحراني قال ثني شيخ بمكة من أهل الشأم أنه سمع كعب الأحبار يسئل عن المرجان فقال هو البسذ «قال أبو جعفر» البسذ له

في الآخرة أو في ضلال وجنون في الدنيا لا يهتدون ولا يعقلون أو في ضلال وسعر في الآخرة لأنهم لا يجدون الى مقصودهم والى الجنة سبيلا والنيران ظاهر أنها في الآخرة وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والمشهور بناء على الحديث المذكور أن قوله (إنا كل شيء) متعلق بما قبله كأنه قال ان مس النار جزاء من أنكر هذا المعنى وهو منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر قال النحويون النصب في مثل هذه الصور لازم لئلا يلتبس المفسر بالصفة وذلك أن النصب نص في المعنى المقصود وأما الرفع فيحتمل معنيين أحدهما كل شيء فانه مخلوق بقدر وهو يؤدي مؤدى النصب والآخر كل شيء مخلوق لنا فانه بقدر وهذا غير مقصود بل فاسد اذ يفهم منه أن شيأ من الأشياء غير مخلوق لله ليس بقدر والقدر التقدير أي كل شيء خلقناه مرتبا على وفق الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح ثابتا في سابق العلم الأزلي * واعلم أنه قدم في هذا الكتاب أن الجبري يقول القدرية التي ذمها النبي صلى الله عليه وسلم هو المعتزلي الذي ينفي كون الطاعة والمعصية بتقدير الله والمعتزلة تقول الجبري الذي يدعي أن الزنا والسرقة وغيرهما من القبائح كلها بتقدير الله تعالى وكذا حال السني لأنه وان كان يثبت للعبد كسبا الا أنه يسند الخير والشر الى القضاء والقدر وقال بعض العلماء ان كل واحد من الفريقين لا يدخل في اسم القدرية الا اذا كان النافي نافيا القدرة لله لا

شعب وهو أحسن من اللؤلؤ * وقال آخرون المرجان من اللؤلؤ الكبار واللؤلؤ منها الصغار ذكر من قال ذلك حدثنى ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن موسى بن أبى عائشة أو قيس ابن وهب عن مرة قال المرجان اللؤلؤ العظام حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله المرجان قال ما عظم من اللؤلؤ حدثنى محمد بن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الأشقر قال ثنا زهير عن جابر عن عبدالله بن يحيى عن على وعن عكرمة عن ابن عباس قال المرجان عظيم اللؤلؤ * وقال آخرون المرجان جيد اللؤلؤ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا شريك عن موسى بن أبى عائشة قال سألت مرة عن اللؤلؤ والمرجان قال المرجان جيد اللؤلؤ * وقال آخرون المرجان حجر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون الأودى عن ابن مسعود اللؤلؤ والمرجان قال المرجان حجر * والصواب من القول فى اللؤلؤ أنه هو الذى عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحب وأما المرجان فانى رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لا يتدافعون أنه جمع مرجانة وأنه الصغار من اللؤلؤ وقد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمى أهل العلم والله أعلم بصواب ذلك وقد زعم بعض أهل العربية أن اللؤلؤ والمرجان يخرج من أحد البحرين ولكن قيل يخرج منهما كما يقال أكلت خبزا ولبنا وكما قيل

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

وليس ذلك كما ذهب اليه بل ذلك كما وصفت قبل من أن ذلك يخرج من أصداف البحر عن قطر السماء فلذلك قيل يخرج منهما اللؤلؤ يعنى بهما البحران وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن عبدالله بن عبدالله الرازى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان السماء اذا أمطرت فتحت الأصداف أفواهها فمنها اللؤلؤ حدثنى محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا أبو يحيى الحمانى قال ثنا الأعمش عن عبدالله بن عبدالله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا نزل القطر من السماء تفتحت الأصداف فكان لؤلؤا حدثنى عبدالله بن محمد بن عمرو الغزى قال ثنا الفريابى قال ذكر سفيان عن الأعمش عن عبدالله بن عبدالله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان السماء اذا أمطرت تفتحت لها الأصداف فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ حدثنا محمد بن اسمعيل الفزارى قال أخبرنا محمد بن سوار قال ثنا محمد بن سليمن الكوفى ابن أخى عبدالرحمن ابن الأصبهانى عن عبدالرحمن بن الأصبهانى عن عكرمة قال ما نزلت قطرة من السماء فى البحر إلا كانت بها لؤلؤة أو نبتت بها عنبرة فيما يحسب الطبرى واختلفت القراء فى قراءة قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة يخرج على وجه ما لم يسم فاعله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض المكيين بفتح الياء * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لتقارب معنييهما وقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأى نعم ربكما معشر الثقلين التى أنعم بها عليكم فيما أخرج لكم من منافع هذين البحرين تكذبان وقوله وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام يقول تعالى ذكره ولرب المشرقين والمغربين الجوارى وهى السفن الجارية فى البحار وقوله المنشآت فى البحر اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته

أن يقول هو قادر على أن يلجئ العبد الى الطاعة ولكن حكمته اقتضت بناء التكليف على الاختيار والا كان المثبت منكرا للتكليف وهم أهل الاباحة القائلين بأن الكل اذا كان بتقدير الله فلا فائدة فى التكليف ولعل وجه تشبيههم بالمجوس أنهم فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم كالمجوس فيما بين الكفار المتقدمين فكما أن المجوس نوع من الكفرة أضعف شبهة وأشد مخالفة للعقل فكذلك القدرية فى هذه الأمة وبهذا التأويل لا يلزم الجزم بأنهم من أهل النار وأيضا لعل اسم القدرية لأهل الاثبات أولى منه لأهل النفى كما تقول دهرى لأنه يقول بالدهر والثنوية لاثباتهم الهين اثنين أو نورا وظلمة وقال بعضهم هذا الاسم باهل النفى أولى لأن الآية نزلت فى منكرى القدرة وهم المشركون القائلون بأن الحوادث كلها مستندة الى اتصالات الكواكب وانصرافاتها فلا قدرة لله على شئ من ذلك قوله (وما أمرنا الا واحدة) أى الا كلمة واحدة وهى كن تأكيد لاثبات القدرة له وقد مر مثله فى النحل وقوله (كلمح بالبصر) تأكيد على تأكيد وهذا تمثيل والا فتكوينه وايجاده عين مشيئته وارادته ومعنى الخلق والامر أيضا تقدم مشبعا فى الأعراف ثم هددهم مرة أخرى بقوله (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم فى الكفر من الأمم ثم ذكر نوعا آخر من التهديد مع بيان كمال القدرة والعلم فقال (وكل شئ فعلوه فى الزبر) أى فى صحف الحفظة قال النحويون هذا مما التزم فيه

عامة قراء الكوفة المنشآت بكسر الشين بمعنى الظاهرات السير اللاتى يقبلن ويدبرن وقرأ ذلك
عامة قراء البصرة والمدينة وبعض الكوفيين المنشآت بفتح الشين بمعنى المرفوعات القلاع اللاتى
تقبل بهن وتدبر * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى
متقاربتاه فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ذكر من قال فى تأويل ذلك ما ذكرناه فيه حدثنى محمد
ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال
ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله المنشآت فى البحر قال ما رفع قلعه من السفن
فهى منشآت واذا لم يرفع قلعها فليست بمنشأة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام يعنى السفن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد فى قوله وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام يعنى السفن حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام قال
السفن وقوله كالأعلام يقول كالجبال شبه السفن بالجبال والعرب تسمى كل جبل طويل
علما ومنه قول جرير * اذا قطعنا علما بدا علم *

وقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأى نعم ربكما معشر الجن والانس التى أنعمها
عليكم باجرائه الجوارى المنشآت فى البحر جارية بمنافعكم تكذبان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
{كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأى آلاء ربكما تكذبان يسئله من
فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن فبأى آلاء ربكما تكذبان} يقول تعالى ذكره كل من
على ظهر الأرض من جن وانس فانه هالك ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والاكرام وذو
الجلال والاكرام من نعت الوجه فلذلك رفع ذو وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله بالياء ذى الجلال
والاكرام على أنه من نعت الرب وصفته وقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأى
نعم ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذبان وقوله يسئله من فى السموات والأرض يقول تعالى
ذكره اليه يفزع بمسألة الحاجات كل من فى السموات والأرض من ملك وانس وجن وغيرهم
لاغنى بأحد منهم عنه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يسئله
من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن لا يستغنى عنه أهل السماء ولا أهل الأرض يحيى
حيا ويميت ميتا ويربى صغيرا ويذل كبيرا وهو مسأل حاجات الصالحين ومنتهى شكواهم
وصريخ الأخيار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن
أبيه عن ابن عباس قوله يسئله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن قال يعنى مسئلة
عباده اياه الرزق والموت والحياة كل يوم هو فى ذلك وقوله كل يوم هو فى شأن يقول تعالى ذكره
هو كل يوم فى شأن خلقه فيفرج كرب ذى كرب ويرفع قوما ويخفض آخرين وغير ذلك من شؤن
خلقه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا
مهران عن سفيان عن يونس بن خباب والاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير كل يوم هو
فى شأن قال يجيب داعيا ويعطى سائلا أو يفك عانيا أو يشفى سقيما حدثنا ابن بشار قال
ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير فى قوله كل يوم هو فى شأن
قال يفك عانيا ويشفى سقيما ويجيب داعيا وحدثنى اسمعيل بن اسرائيل اللاآل قال ثنا أيوب
ابن سويد عن سفيان عن الأعمش عن مجاهد فى قوله كل يوم هو فى شأن قال من شأنه أن يعطى
سائلا ويفك عانيا ويجيب داعيا ويشفى سقيما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

الرفع لأن النصب يكون نصا فى
معنى غير مقصود بل فاسد اذ يلزم
منه أن يكون كل شئ مفعولا فى الزبر
وهذا معنى غير مستقيم كما ترى وأما
الرفع فيحتمل معنيين أحدهما
صحيح مقصود وهو أن يقدر قوله
فعلوه صفة للشئ والظرف خبر أى
كل شئ مفعول للناس فانه فى الزبر
والآخر أن تقدر الجملة خبرا ويبقى
الظرف لغوا فيؤدى الكلام حينئذ
مؤدى النصب ولا ريب أن الوجه
الذى يصح المعنى فيه على أحد
الاحتمالين أولى من الذى يكون
نصا فى المعنى الفاسد ثم أكد المعنى
المذكور بقوله (وكل صغير وكبير)
من الاعمال بل مما وجد ويوجد
(مستطر) أى مسطور فى اللوح ثم
ختم السورة بوعد المتقين والنهر جنس
أريد به الانهار اكتفى به للفاصلة
ولما سلف مثله مرارا كقوله
ان المتقين فى جنات وعيون وقيل
معناه السعة والضياء من النهار (فى
مقعد صدق) وفى مكان مرضى من
الجنة مقربين (عند مليك مقتدر)
لا يكتنه كنه عظمته واقتداره نظيره
قول القائل فلان فى بلدة كذا فى دار
كذا مقرب عند الملك ويحتمل أن
يكون الظرف صفة مقعد صدق
كما يقال قليل عند أمين خير من
كثير عند خائن قال أهل اللغة القعود
يدل على المكث بخلاف الجلوس
ولهذا يقال للؤمن مقعد دون مجلس
ومنه قواعد البيت وكذا فى سائر
تقاليبه من نحو وقع أى لزق بالارض
وعقود والاضافة فى مقعد صدق
كهى فى قولك رجل صدق أى
رجل صادق فى الرجولية كامل

قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كل يوم هو في شأن قال كل يوم هو يجيب داعيا و يكشف كربا و يجيب مضطرا و يغفر ذنبا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير كل يوم هو في شأن يجيب داعيا و يعطي سائلا و يفك عانيا و يتوب على قوم و يغفر حدثنا ابن بشار قال ثنا مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن قال يخلق مخلقا و يميت ميتا و يحدث أمرا حدثني عبدالله بن محمد بن عمرو الغزي قال ثنا ابراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي قال ثنا عمرو ابن بكر السكسكي قال ثنا الحرث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عبدة بن رباح عن منيب بن عبدالله الأزدي عن أبيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية كل يوم هو في شأن فقلنا يا رسول الله وما ذلك الشأن قال يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع أقواما و يضع آخرين حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيدالله بن موسى عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه ما بين السماء والارض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق بكل نظرة و يحيي و يميت و يعز و يذل و يفعل ما يشاء وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي نعم ربكما معشر الجن والانس التي أنعم عليكم من صرفه اياكم في مصالحكم وما هو أعلم به منكم من تقليبه اياكم فيما هو أنفع لكم تكذبان ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة و بعض المكيين سنفرغ لكم بالنون وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سيفرغ لكم بالياء وفتحها ردا على قوله يسئله من في السموات والارض ولم يقل يسألنا من في السموات فأتبعوا الخبر الخبر * والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وأما تأويله فانه وعيد من الله لعباده وتهدد كقول القائل الذي يتهدد غيره و يتوعده ولا شغل له يشغله عن عقابه لأتفرغن لك وسأتفرغ لك بمعنى سأجد في أمرك وأعاقبك وقد يقول القائل للذي لا شغل له قد فرغت لي وقد فرغت لشتمي أي أخذت فيه وأقبلت عليه وكذلك قوله جل ثناؤه سنفرغ لكم سنحاسبكم ونأخذ في أمركم أيها الانس والجن فنعاقب أهل المعاصي ونثيب أهل الطاعة و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان قال وعيد من الله للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أنه تلا سنفرغ لكم أيها الثقلان قال دنا من الله فراغ لخلقه حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جويبر عن الضحاك سنفرغ لكم أيها الثقلان قال وعيد وقد يحتمل أن يوجه معنى ذلك الى سنفرغ لكم من وعدنا كم ما وعدناكم من الثواب والعقاب وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان فبأي نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعمها عليكم من ثوابه أهل طاعته وعقابه أهل معصيته تكذبان وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ان استطعتم أن تنفذوا فقال بعضهم معنى ذلك ان استطعتم أن تجوزوا أطراف

فيها و يجوز أن يكون سبب الاضافة أن الصادق قد أخبر عنه وهو الله و رسوله أو الصادق اعتقد فيه وهو المكلف أو يراد مقعد لا يوجد فيه كذب فان من وصل الى الله استحال عليه الا الصدق وهو تبارك وتعالى أعلم وأجل وأكرم

(سورة الرحمن مكية الا قوله يسأله من في السموات والارض الآية حروفها ألف وثلثمائة وستة وثلاثون كلماتها ثلثمائة واحدى وخمسون آياتها ثمان وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن فبأي

السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم بخوزوا ذلك فانكم لاتجوزونه الا بسلطان من ربكم قالوا وانما هذا قول يقال لهم يوم القيامة قالوا ومعنى الكلام سنفرغ لكم أيها الثقلان فيقال لهم يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا أبو أسامة عن الأجلح قال سمعت الضحاك بن مزاحم قال اذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها ونزل من فيها من الملائكة فأحاطوا بالارض ومن عليها ثم بالثانية ثم بالثالثة ثم بالرابعة ثم بالخامسة ثم بالسادسة ثم بالسابعة فصفوا صفا دون صف ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم فاذا رآها أهل الارض ندوا فلا يأتون قطرا من أقطار الارض الا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه فذلك قول الله انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين وذلك قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم وقوله يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان وذلك قوله وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها * وقال آخرون بل معنى ذلك أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا هاربين من الموت فان الموت مدرككم ولا ينفعكم هربكم منه ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول يامعشر الجن والانس الآية يعنى بذلك أنه لايجيرهم أحد من الموت وأنهم ميتون لايستطيعون فرارا منه ولا محيصا ولو نفذوا أقطار السموات والارض كانوا فى سلطان الله ولأخذهم الله بالموت * وقال آخرون بل معنى ذلك ان استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان يقول ان استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان يعنى البينة من الله جل ثناؤه * وقال آخرون معنى قوله لاتنفذون لاتخرجون من سلطانى ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لاتنفذون الا بسلطان يقول لاتخرجون من سلطانى وأما الاقطار فهى جمع قطر وهى الاطراف كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض قال من أطرافها وقوله جل ثناؤه ولو دخلت عليهم من أقطارها يقول من أطرافها وأما قوله الا بسلطان فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم معناه الا ببينة وقد ذكرنا ذلك قبل * وقال آخرون معناه الا بحجة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن رجل عن عكرمة لاتنفذون الا بسلطان قال كل شيء فى القرآن سلطان فهو حجة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بسلطان قال بحجة * وقال آخرون بل معنى ذلك الا بملك وليس لكم ملك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان قال لاتنفذون الا بملك وليس لكم ملك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة لاتنفذون الا بسلطان قال الا بسلطان من الله الا بملكة منه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لاتنفذون الا بسلطان يقول الا بملكة

من

آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان حور

من الله * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك الابجحة و بينة لأن ذلك هو معنى السلطان فى كلام العرب وقد يدخل الملك فى ذلك لان الملك حجة وقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأى نعم ربكما تكذبان معشر الثقلين التى أنعمت عليكم من التسوية بين جميعكم بأن جميعكم لا يقدرون على خلاف أمر أراده بكم تكذبان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأىّ آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأىّ آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره يرسل عليكما أيها الثقلان يوم القيامة شواظ من نار وهو لهبها من حيث تشتعل وتؤجج بغير دخان كان فيه ومنه قول رؤبة بن العجاج

ان لهم من وقعنا أقياظا * ونار حرب تسعر الشواظا

و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله شواظ من نار يقول لهب النار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يرسل عليكما شواظ من نار يقول لهب النار حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله شواظ من نار قال لهب النار حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد يرسل عليكما شواظ من نار قال اللهب المتقطع حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن مجاهد يرسل عليكما شواظ من نار قال الشواظ الأخضر المنقطع من النار * قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله يرسل عليكما شواظ من نار قال الشواظ هذا اللهب الأخضر المنقطع من النار * قال ثنا مهران عن سفيان فى قوله يرسل عليكما شواظ من نار قال الشواظ اللهب الأخضر المتقطع من النار * قال ثنا مهران عن سفيان عن الضحاك الشواظ اللهب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يرسل عليكما شواظ من نار أى لهب من نار حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة شواظ من نار قال لهب من نار وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يرسل عليكما شواظ من نار قال الشواظ اللهب وأما النحاس فالله أعلم بما أراد به * وقال آخرون الشواظ هو الدخان الذى يخرج من اللهب ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله شواظ من نار الدخان الذى يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب واختلفت القراء فى قراءة قوله شواظ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والبصرة غير ابن أبى اسحق شواظ بضم الشين وقرأ ذلك ابن أبى اسحق وعبد الله بن كثير شواظ من نار بكسر الشين وهما لغتان مثل الصوار من البقر والصوار بكسر الصاد وضمها وأعجب القراءتين الىّ ضم الشين لأنها اللغة المعروفة وهى مع ذلك قراءة القراء من أهل الأمصار وأما قوله ونحاس فان أهل التأويل اختلفوا فى المعنىّ به فقال بعضهم عنى به الدخان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا موسى بن عمير عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله ونحاس فلا تنتصران قال النحاس الدخان حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ونحاس دخان النار حدثنا أبو كريب

مقصورات فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرىّ حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام﴾ ۞ القراآت والحب ذا العصف والريحان بالنصب فيهما ابن عامر والحب ذو العصف بالرفع فيهما والريحان بالجر حمزة وعلى وخلف الباقون برفع الريحان يخرج مجهولا من الاخراج أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل و يعقوب اللؤلؤ كنظائره والجوار بمالة قتيبة ونصير وأبو عمرو وخلف طريق ابن عبدوس المنشآت بكسر الشين حمزة ويحيى طريق الصريعينى سيفرغ بالياء حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون على طريق الالتفات أيه الثقلان بضم الهاء مثل أيه المؤمنون وأيه الساحر شواظ بكسر الشين ابن كثير ونحاس بالجر ابن كثير وأبو عمرو وسهل لم يطمثهن بضم الميم فى احداهما تخيرا على وروى أبو الحرث عنه فى الاولى بالضم من استبرق بنقل حركة الهمزة الى النون رويس وورش والشمونى وحمزة فى الوقف ذوالجلال بالرفع ابن عامر ۞ الوقوف الرحمن ه لا القرآن ه ط الانسان ه البيان ه بحسبان ه ص لعطف الجملتين المتفقتين يسجدان ه الميزان ه لا لتعلق أن الميزان ه للانام ه لا لأن الجملة بعدها حال فاكهة ص الاكمام ه ص والريحان ه ج لابتداء الاستفهام مع دخول فاء التعقيب والوقف أجوز لأن الابتداء بالاستفهام

قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله ونحاس قال دخان * وقال آخرون عني بالنحاس في هذا الموضع الصفر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ونحاس قال النحاس الصفر يعذبون به حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد ونحاس قال يذاب الصفر من فوق رؤسهم * قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد ونحاس قال يذاب الصفر فيصب على رأسه حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان ونحاس يذاب الصفر فيصب على رؤسهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونحاس قال توعدهما بالصفر كما تسمعون أن يعذبهما به حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس قال يخوفهم بالنار و بالنحاس * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عني بالنحاس الدخان وذلك أنه جل ثناؤه ذكر أنه يرسل على هذين الحيين شواظ من نار وهو النار المحضة التي لا يخلطها دخان والذي هو أولى بالكلام أنه توعدهم بنار هذه صفتها أن يتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب دون ما هو من غير جنسها وذلك هو الدخان والعرب تسمي الدخان نحاسا بضم النون ونحاسا بكسرها والقراء مجمعة على ضمها ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة بني ذبيان

يضوء كضوء سراج السليـ * ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

يعني دخانا وقوله فلا تنتصران يقول تعالى ذكره فلا تنتصران أيها الجن والانس منه اذا هو عاقبكما هذه العقوبة ولا تستنقذان منه كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فلا تنتصران قال يعني الجن والانس قال وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان يقول تعالى ذكره فاذا انشقت السماء وتفطرت وذلك يوم القيامة فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس فكانت وردة كالدهان قال كالفرس الورد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان يقول تغير لونها حدثنا عبد الله بن أحمد بن حبويه قال ثنا شهاب بن عباد قال ثنا ابراهيم ابن حميد عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله وردة كالدهان قال كلون البرذون الورد ثم كانت بعد كالدهان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فكانت وردة كالدهان يقول تتغير السماء فيصير لونها كلون الدابة الوردة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وردة كالدهان هي اليوم خضراء كما ترون ولونها يوم القيامة لون آخر حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا ابن العوام عن قتادة في قوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان قال هي اليوم خضراء ولونها يومئذ الحمرة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وردة كالدهان قال انها اليوم خضراء وسيكون لها يومئذ لون آخر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فكانت وردة كالدهان قال مشرقة كالدهان واختلف أهل التأويل في معنى قوله كالدهان فقال بعضهم معناه كالدهن صافية الحمرة مشرقة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا

مبالغة في التنبيه وكذلك في جميع السورة تكذبان ٥ كالفخار ٥ لا نار ٥ ج تكذبان ٥ المغربين ٥ ج تكذبان ٥ يلتقيان ٥ لا لأن ما بعده حال من الضمير في يلتقيان ولا يبغيان ٥ حال بعد حال تكذبان ٥ والمرجان ٥ ج تكذبان ٥ كالأعلام ٥ ج تكذبان ٥ فان ٥ ج لعطف الجملتين المختلفتين والاولى الوصل لأن الكلام الأول يتم بالثاني والاكرام ٥ ج تكذبان ٥ والارض ط شان ٥ج تكذبان ٥ الثقلان ٥ تكذبان ٥ فانفذوا ٥ ط بسلطان ٥ ج تكذبان ٥ فلا تنتصران ٥ ج تكذبان ٥ كالدهان ٥ ج تكذبان ٥ ولا جان ٥ ج تكذبان ٥ والأقدام ٥ ج تكذبان ٥ المجرمون ٥ م لأنه لو وصل صار ما بعده حالا من المجرمين وليس كذلك آن ج تكذبان ٥ جنتان ٥ ج تكذبان ٥ لا لأن قوله ذواتا صفة أفنان ٥ ج تكذبان ٥ تجريان ٥ تكذبان ٥ زوجان ٥ تكذبان ٥ ج لأن متكئين حال الا أن الكلام قد تطاول من إستبرق ط دان ٥ ج تكذبان ٥ الطرف لا لأن لم يطمثهن حال عنهن جان ٥ ج تكذبان ٥ والمرجان ٥ ج تكذبان ٥ الا الاحسان ج تكذبان ٥ جنتان ٥ تكذبان ٥ مدهامتان ٥ تكذبان ٥ نضاختان ٥ تكذبان ٥ ورمان ٥ ج تكذبان ٥ج حسان ٥ تكذبان ٥ في الخيام ٥ ج تكذبان ٥ جان ٥ ج تكذبان ٥ ج حسان ٥ ج

ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وردة كالدهان قال كالدهن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله كالدهان يعني خالصة * وقال آخرون عني بذلك فكانت وردة كالأديم وقالوا الدهان جماع واحدها دهن * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عني به الدهن في اشراق لونه لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي قدرة ربكما معشر الجن والانس على ما أخبركم بأنه فاعل بكم تكذبان ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره فيومئذ لا يسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم لأن الله قد حفظها عليهم ولا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض ربهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان يقول تعالى ذكره لا يسألهم عن أعمالهم ولا يسأل بعضهم عن بعض وهو مثل قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ومثل قوله لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تسئل عن أصحاب الجحيم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان قال حفظ الله عز وجل عليهم أعمالهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال كان مجاهد يقول لا يسأل الملائكة عن المجرم يعرفون بسيماهم حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال قد كانت مسئلة ثم ختم على ألسنة القوم فتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكم من عدله فيكم أنه لم يعاقب منكم الا مجرما وقوله يعرف المجرمون بسيماهم يقول تعالى ذكره تعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم وسيماهم التي يسومهم الله بها من اسوداد الوجوه وازرقاق العيون كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن في قوله يعرف المجرمون بسيماهم قال يعرفون باسوداد الوجوه وزرقة العيون حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد ابن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة يعرف المجرمون بسيماهم قال زرق العيون سود الوجوه وقوله فيؤخذ بالنواصي والأقدام يقول تعالى ذكره فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم الى جهنم وتقذفهم فيها فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي نعم ربكما معشر الجن والانس التي أنعم عليكم بها من تعريفه ملائكته أهل الاجرام من أهل الطاعة منكم حتى خصوا بالاذلال والاهانة المجرمين دون غيرهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهؤلاء المجرمين الذين أخبر جل ثناؤه أنهم يعرفون يوم القيامة بسيماهم حين يؤخذ بالنواصي والاقدام هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون فترك ذكر يقال اكتفاء بدلالة الكلام عليه منه وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان وقوله يطوفون بينها وبين حميم آن يقول تعالى ذكره يطوف هؤلاء المجرمون الذين وصف صفتهم في جهنم بين أطباقها وبين حميم آن يقول وبين ماء قد أسخن وأغلي حتى انتهى حره وأنى طبخه وكل

تكذبان ٥ والاكرام ٥ ۞ التفسير افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على الهيبة والعظمة وهي انشقاق القمر وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والعناية وهي القرآن الكريم الذي فيه شفاء القلوب والطهارة عن الذنوب وهو أسبق الآلاء قدما وأجل النعماء منصبا وبين السورتين مناسبة أخرى من جهة أنه ذكر هناك مايدل على الانتقام والغضب كقوله فذوقوا عذابي ونذر وقوله فكيف كان عذابي ونذر وذكر في هذه السورة بعد تعداد كل نعمة فبأي آلاء ربكما تكذبان مرة بعد مرة وتذكير النعمة نعمة على نعمة لأنها مما توقظ الوسنان وتنبه أهل الغفلة والنسيان قال جار الله (الرحمن) مبتدأ والأفعال بعده مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها عن العاطف إما لان العائد قام مقام الصدر وإما لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعله أحد بأحد فما تنكر من احسانه قلت فعلى هذا لو لم يوقف على القرآن جاز وقيل الرحمن خبر مبتدا أي هو الرحمن ثم استأنف قائلا (علم القرآن) وما مفعوله الأول قيل هو متعد الى واحد والمعنى جعل القرآن علامة وآية للنبوة وقيل هو جبرائيل أي علم جبرائيل القرآن حتى نزل به على محمد وقيل علم محمدا أو الانسان القرآن كما يليق بفهمهم على حسب استعدادهم ولعله يلزم من الوجه الأخير شبه تكرار من قوله (خلق

شئ قد أدرك و بلغ فقد أنى ومنه قوله غير ناظرين اناه يعنى ادراكه و بلوغه كما قال نابغة بنى ذبيان
ويخضب لحية غدرت وخانت * بأحمر من نجيع الجوف آن
يعنى مدرك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وبين حميم آن يقول انتهى حره حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وبين حميم آن يقول غلى حتى انتهى غليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وبين حميم آن قال قد بلغ إناه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال الآنى الذى قد انتهى حره حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا شبيب عن بشر عن عكرمة عن ابن عباس يطوفون بينها وبين حميم آن قال الآنى ما اشتد غليانه ونضجه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حميم آن هو الذى قد انتهى غليه حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة وبين حميم آن قال أنى طبخها منذ يوم خلق الله السموات والارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يطوفون بينها وبين حميم آن يقول حميم قد أنى طبخه منذ خلق الله السموات والارض حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن حميم آن يقول حميم قد آن منتهى حره حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان حميم آن قال قد انتهى حره * وقال بعضهم عنى بالآنى الحاضر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يطوفون بينها وبين حميم آن قال يطوفون بينها وبين حميم حاضر الآنى الحاضر وقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول فبأى نعم ربكما معشر الجن والانس التى أنعمها عليكم بعقوبته أهل الكفر به وتكريمه أهل الايمان به تكذبان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره ولمن اتقى الله من عباده فخاف مقامه بين يديه فأطاعه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه جنتان يعنى بستانين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم فى البيان عن تأويله غير أن معنى جميعهم يؤل الى هذا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال وعد الله جل ثناؤه المؤمنين الذين خافوا مقامه فأدوا فرائضه الجنة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان يقول خاف ثم اتقى والخائف من ركب طاعة الله وترك معصيته حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن مجاهد فى قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان هو الرجل يهم بالذنب فيذكر مقام ربه فينزع حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن منصور عن مجاهد قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال الرجل يهم بالذنب فيذكر مقامه بين يدى الله فيتركه فله جنتان * قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله عز وجل فيدعها * قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد ولمن خاف مقام ربه جنتان قال فى الذى اذا هم بمعصية تركها حدثنا نصر

ابن

الانسان علمه البيان) فالأول اشارة الى قواه البدنية والثانى اشارة الى قواه النطقية ويلزم منه أيضا أن يكون التعليم قبل الخلق ظاهرا الا أن يكون تفصيلا لما أجمله وقد نقل عن ابن عباس أن الانسان آدم علمه الأسماء كلها أو محمد صلى الله عليه وسلم والبيان القرآن فيه بيان ما كان وما سيكون الى يوم القيامة قوله (الشمس والقمر بحسبان) أى بحسبانه استغنى عن الوصل اللفظى بالربط المعنوى لرعاية الفاصلة يعنى أنهما يجريان فى بروجهما ومنازلهما بحساب معلوم (والنجم) وهو النبات بغير ساق (والشجر يسجدان) بالانقياد له وانما وسط العاطف بين هاتين الجملتين لما بين العلوى والسفلى من تناسب التقابل ولما بين الحسبان والسجود من تناسب التجانس وذلك لأن سيرهما بحساب مقدر مقرر وهو من جنس الانقياد لأمر الله (والسماء رفعها) قال فى الكشاف أى خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه قلت انه حمل الرفع على ارتفاع المنزلة ولعل المراد به الرفع الحسى ليطابق قوله (والأرض وضعها) أى خفضها فى مركز العالم مدحوة محاطة بالماء نعم لو جعل وضع الأرض عبارة عن ذلها وتسخيرها كقوله هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا صح تفسيره وانما وسط قوله (ووضع الميزان) بين رفع السماء ووضع الارض لأنه لا ينتفع بالميزان الا اذا كان معلقا فى الهواء

ابن علي قال ثنا اسحق بن منصور عن مجاهد قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال هو الرجل يهم بمعصية الله تعالى ثم يتركها مخافة الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد ولمن خاف مقام ربه جنتان قال يذنب الذنب فيذكر مقام ربه فيدعه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم في هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان قال اذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال ان المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له ودانوا له وتعبدوا بالليل والنهار حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام قال ثنا قتادة في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال ان الله مقاما قد خافه المؤمنون حدثني محمد بن موسى قال ثنا عبد الله بن الحرث القرشي قال ثنا شعبة بن الحجاج قال ثنا سعيد الجريري عن محمد بن سعد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وسرق وان رغم أنف أبي الدرداء حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا محمد ابن جعفر عن محمد بن أبي حرملة عن عطاء بن يسار قال أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوما هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله قال ولمن خاف مقام ربه جنتان قال فقلت يا رسول الله وان زنى وان سرق قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان زنى وان سرق رغم أنف أبي الدرداء حدثنا علي بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر عن أبي موسى عن أبيه قال حماد لا أعلمه الا رفعه في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من ذهب للمقربين أو قال للسابقين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا سيار قال قيل لأبي الدرداء في هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقيل وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق وقال انه ان خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن ابن المبارك عن سعيد الجريري عن رجل عن أبي الدرداء ولمن خاف مقام ربه جنتان فقال أبو الدرداء وان زنى وان سرق قال نعم وان رغم أنف أبي الدرداء حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن الصلت عن عمرو بن ثابت عمن ذكره عن أبي وائل عن ابن مسعود في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال وان زنى وان سرق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتا السابقين فقرأ ذواتا أفنان فقرأ حتى بلغ كأنهن الياقوت والمرجان ثم رجع الى أصحاب اليمين فقال ومن دونهما جنتان فذكر فضلهما وما فيهما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال مقامه حين يقوم العباد يوم القيامة وقرأ يوم يقوم الناس لرب العالمين وقال ذاك مقام ربك وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي نعم ربكما أيها الثقلان التي أنعم عليكم باثابته المحسن منكم ما وصف جل ثناؤه في هذه الآيات تكذبان وقوله ذواتا أفنان يقول ذواتا ألوان واحدها فن وهو من قولهم افتن فلان في حديثه اذا أخذ في فنون منه وضروب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحسين ابن يزيد الطحان قال ثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن

بين الأرض والسماء وهذا أمر حسي وأما العقلي فهو أنه بدأ أولا من النعم بذكر القرآن الذي هو بيان الشرائع والتكاليف ثم أتبعه ذكر كيفية خلق الانسان وقواه النفسانية وما يتم به معاشه من السماويات والأرضيات ثم ذكر أنه خلق لأجلهم آلة الوزن بها يقيمون العدالة في معاملاتهم وأمور تمدنهم فصار كامر في حم عسق الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وكما يجيء في الحديد وأنزلنا معهم الكتاب والميزان وأن في قوله (ألا تطغوا) مفسرة أو ناصبة أي لأن لا تجاوزوا حد الاعتدال في شأن هذه الآية أي في شأن الوزن ثم أكد المذكور بقوله اثباتا ونفيا (وأقيموا الوزن بالقسط) قوموه أو قوموا لسان الميزان بالعدل (ولا تخسروا الميزان) أي لا تجعلوها سببا للخسران والتطفيف وفي تكرير لفظ الميزان بل في ورود هذه الجمل المتقاربة الدلالة مكررة اشارة الى الاهتمام بأمر العدل وندب اليه وتحريض عليه وقيل الأول ميزان الدنيا والثاني ميزان الآخرة والثالث ميزان العقل وقيل نزلت متفرقة فاقتضى الاظهار قوله (للأنام) أي لكل ما على ظهر الأرض من دابة وقيل للانسان وخص بالذكر لشرفه ولأن الباقي خلق لأجله (فيها فاكهة) التنوين للتعظيم وهي كل ما يتفكه به وقد أفرد النخل بالذكر للتفضيل ولأنه فاكهة غذائية والاكمام جمع كم وهو وعاء الثمر ثم ذكر أقوات البهائم والانسان قائلا (والحب ذو العصف) وهو ورق الزرع

ابن عباس فى قوله ذواتا أفنان قال ذواتا ألوان حدثنا الفضل بن اسحق قال ثنا أبو قتيبة قال
ثنا عبدالله بن النعمان عن عكرمة ذواتا أفنان قال ظل الأغصان على الحيطان قال وقال الشاعر

ماهاج شوقك من هديل حمامة * تدعو على فنن الغصون حماما
تدعو أبا فرخين صادف ضاريا * ذا مخلبين من الصقور قطاما

حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن مجاهد ذواتا أفنان قال ذواتا ألوان * قال
ثنا مهران عن أبى سنان ذواتا أفنان قال ذواتا ألوان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ
يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ذواتا أفنان يقول ألوان من الفاكهة * وقال
آخرون ذواتا أغصان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن
رجل من أهل البصرة عن مجاهد ذواتا أفنان قال ذواتا أغصان * وقال آخرون معنى ذلك ذواتا
أطراف أغصان الشجر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ذواتا أفنان يقول فيما بين أطراف شجرها يعنى
يمس بعضها بعضا كالمعروشات و يقال ذواتا فضول عن كل شئ * وقال آخرون بل عنى بذلك
فضلهما وسعتهما على ماسواهما ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله ذواتا أفنان يعنى فضلهما وسعتهما على ماسواهما حدثنا ابن عبدالأعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ذواتا أفنان قال ذواتا فضل على ماسواهما وقوله
فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأى نعم ربكما معشر الثقلين التى أنعم عليكما بإثابته هذا
الثواب أهل طاعته تكذبان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فيهما عينان تجريان فبأى آلاء
ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره فى هاتين
الجنتين عينا ماء تجريان خلالهما فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان يقول
تعالى ذكره فيهما من كل نوع من الفاكهة ضربان فبأى آلاء ربكما التى أنعم بها على أهل طاعته من
ذلك تكذبان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى
الجنتين دان فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره ولمن خاف مقام ربه جنتان يتنعمون
فيهما متكئين على فرش فنصب متكئين على الحال من معنى الكلام الذى قبله لأن الذى قبله
بمعنى الخبر عمن خاف مقام ربه أنه فى نعمة وسرور يتنعمون فى الجنتين وقوله على فرش بطائنها
من إستبرق وجنى الجنتين يقول تعالى ذكره بطائن هذه الفرش من غليظ الديباج والاستبرق
عند العرب ماغلظ من الديباج وخشن وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة
يقول يسمى المتاع الذى ليس فى صفاقة الديباج ولا خفة العرقة إستبرقا و نحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عمران بن موسى القزاز قال ثنا
عبدالوارث بن سعيد قال ثنا يحيى بن أبى اسحق قال قال لى سالم بن عبدالله ما الاستبرق قال
قلت ماغلظ من الديباج وخشن منه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن أبى عروبة عن
قتادة عن عكرمة فى قوله إستبرق قال الديباج الغليظ وحدثنا اسحق بن زيد الخطابى قال
ثنا الفريابى عن سفيان عن أبى اسحق عن هبيرة بن يريم عن ابن مسعود فى قوله فرش بطائنها
من إستبرق قال قد أخبرتم بالبطائن فكيف لو أخبرتم بالظواهر حدثنا الرفاعى قال ثنا ابن
اليمان عن سفيان عن أبى اسحق عن هبيرة قال هذه البطائن فاظنكم بالظواهر حدثنا أبو هشام
الرفاعى قال ثنا أبو داود عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال قيل له هذه البطائن من إستبرق

أو التبن وقال الفراء والسدى وهو
أول ماينبت من الزرع (والريحان)
الورق ومن رفع فعلى حذف
المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه أى وذو الريحان وقال
الحسن وابن زيد على هذه
القراءة هو ريحانكم الذى يشم
ثم خاطب الجن والانس بقوله
(فبأى آلاء ربكما تكذبان) عن جابر
ابن عبدالله قال قرأ علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن
حتى ختمها ثم قال مالى أراكم
سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا
ماقرأت عليهم هذه الآية مرة
الاقالوا ولا بشئ من نعمك ربنا
نكذب فلك الحمد قال جار الله
الخطاب فى ربكما للثقلين بدلالة
الانام عليهما قلت ربما يصرح به
قوله أيها الثقلان سميا بذلك لانهما
ثقلا الارض أو بما سيذكر عقيبه
من قوله (خلق الانسان) والجان
خلقناه وقيل التكذيب امابالسان
والقلب معا واما بالقلب دون
اللسان كالمنافقين فكأنه قال فيا أيها
المكذبان بأى آلاء ربكما تكذبان
وقيل أراد فيا أيها المكذبان بالدلائل
السمعية والعقلية أو بدلائل الآفاق
ودلائل الأنفس والاستفهام
للتوبيخ والزجر قوله (خلق
الانسان من صلصال) قدم
فى سورة الحجر الا أنه شبهه ههنا
بالفخار وهو الخزف بيانا لغاية
يبس طينته وكزازته والتركيب
يدل عليه ومنه الفخور ولولا يبس
دماغه لم يفخر ومنه الفرخ لأنه
تنشق البيضة عنه وكل يابس
عرضة للتشقق ومنه الخزف لغاية

فالظواهر قال هذا انما قال الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقد زعم أهل العربية أن البطانة قد تكون ظهارة والظهارة تكون بطانة وذلك أن كل واحد منهما قد يكون وجها قال وتقول العرب هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذى نراه وقوله وجنى الجنتين دان يقول وثمر الجنتين الذى يجتنى قريب منهم لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها الاجتناء ثمرها ولكنهم يجتنونها من قعود بغير عناء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجنى الجنتين دان ثمارهم دانية لا يرد أيديهم عنه بعد ولا شوك ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لا يقطع رجل ثمرة من الجنة فتصل الى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرا منها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وجنى الجنتين دان قال لا يرد يده بعد ولا شوك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجنى الجنتين دان يقول ثمارها دانية وقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأى آلاء ربكما معشر الثقلين التى أنعم عليكما من أن أثاب أهل طاعته منكم هذا الثواب وأكرمهم هذه الكرامة تكذبان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره فى هذه الفرش التى بطائنها من إستبرق قاصرات الطرف وهن النساء اللاتى قد قصر طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم من الرجال وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنى أبى عن أبى يحيى عن مجاهد فى قوله فيهن قاصرات الطرف قال قصر طرفهن عن الرجال فلا ينظرن الا الى أزواجهن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيهن قاصرات الطرف الآية يقول قصر طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قاصرات الطرف قال لا ينظرن الا الى أزواجهن تقول وعزة ربى وجلاله وجماله ان أرى فى الجنة شيأ أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجك وقوله لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يقول لم يمسهن انس قبل هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم وهم الذين قال فيهم ولمن خاف مقام ربه جنتان ولا جان يقال منه ما طمث هذا البعير حبل قط(١) أى ما مشطه حبل وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول الطمث هو النكاح بالتدمية ويقول الطمث هو الدم ويقول طمثها اذا دماها بالنكاح وانما عنى فى هذا الموضع أنه لم يجامعهن انس قبلهم ولا جان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يقول لم يدمهن انس ولا جان حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن اسمعيل عن رجل عن على لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال منذ خلقهن حدثنا الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا أبو معاوية الضرير عن مغيرة بن مسلم عن عكرمة قال لا تقل للمرأة طامث فان الطمث هو الجماع ان الله يقول لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال لم يمسهن شئ انس ولا غيره حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال لم يمسهن حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية عن عاصم قال قلت لأبى العالية امرأة طامث قال ما طامث فقال رجل

يبوسة مزاجه والجان أبو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافى الذى لا دخان فيه من مرج اذا اضطرب ولعلها المخلوطة بسواد النار من مرج الشئ اختلط وقوله (من نار) بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار ويجوز أن يكون نارا مخصوصة فيكون صفة (رب المشرقين) يعنى مشرق الصيف ومشرق الشتاء والأول مطلع أول السرطان والثانى مطلع أول الجدى هذا فى بلادنا الشمالية والحال فى الجنوبية بالعكس قوله (مرج البحرين) وقد مر فى الفرقان معناه أرسلهما ملحا وعذبا متلاقيين (بينهما برزخ لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة (يخرج منهما) أى من كل منهما وقال فى الكشاف أعاد الضمير الى البحرين لاتحادهما فالخارج من العذب كأنه خارج من الملح تقول خرجت من البلد ولم تخرج الا من محلة بل من دار وقال أبو على الفارسى أراد من أحدهما فحذف المضاف قلت ونحن قد سمعنا أن الأصداف تخرج من البحر المالح ومن الأمكنة التى فيها عيون عذبة فى مواضع من البحر الملح ويؤيده قوله سبحانه فى فاطر ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها فلا حاجة الى هذه التكلفات قال الفراء وغيره من أهل اللغة اللؤلؤ الدر والمرجان ما صغر منه وعن مقاتل بالضد ويشبه أن يكون اللؤلؤ هذا الجنس المعروف والمرجان البسذ يقال انه ينبت فى بحر الروم والافرنج كالشجر وهو

(١) لعله أى ما مسه وحرر

حائض فقال أبو العالية حائض أليس يقول الله عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فان قال
قائل وهل يجامع النساء الجن فيقال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فان مجاهدا روى عنه
ما حدثني به محمد بن عمارة الأسدي قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي
عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه
فذلك قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وكان بعض أهل العلم ينتزع بهذه الآية في أن الجن
يدخلون الجنة ذكر من قال ذلك حدثني أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصي قال ثنى أبو حيوة
شريح بن يزيد الحضرمي قال ثنى أرطاة بن المنذر قال سألت ضمرة بن حبيب هل للجن من
ثواب قال نعم ثم نزع بهذه الآية لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فالانسيات للانس والجنيات
للجن وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي آلاء ربكما معشر الجن والانس من
هذه النعم التي أنعمها على أهل طاعته تكذبان ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كأنهن الياقوت
والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾
يقول تعالى ذكره كأن هؤلاء القاصرات الطرف اللواتي هن في هاتين الجنتين في صفائهن الياقوت
الذي يرى السلك الذي فيه من ورائه فكذلك يرى مخ سوقهن من وراء أجسامهن وفي حسنهن
الياقوت والمرجان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر الأثر الذي روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بذلك حدثني محمد بن حاتم قال ثنا عبيدة عن حميد عن عطاء بن
السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من أهل
الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول
كأنهن الياقوت والمرجان أما الياقوت فانه لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه
حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون قال
قال ابن مسعود ان المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير يرى بياض ساقها وحسن
ساقها من ورائهن ذلكم بأن الله يقول كأنهن الياقوت والمرجان ألا وانما الياقوت حجر فلو جعلت
فيه سلكا ثم استصفيته لنظرت الى السلك من وراء الحجر * قال ثنا ابن علية قال ثنا أبو رجاء
عن الحسن في قوله كأنهن الياقوت والمرجان في بياض المرجان حدثنا أبو هشام الرفاعي قال
ثنا ابن فضيل قال ثنا عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون قال أخبرنا عبد الله ان المرأة من
أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقها وحسنه ومخ ساقها من وراء ذلك
وذلك لأن الله قال كأنهن الياقوت والمرجان ألا ترى أن الياقوت حجر فاذا أدخلت فيه سلكا
رأيت السلك من وراء الحجر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن
أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها كما
يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا المطلب
ابن زياد عن السدي في قوله كأنهن الياقوت والمرجان قال صفاء الياقوت وحسن المرجان
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كأنهن الياقوت والمرجان صفاء الياقوت
في بياض المرجان ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل الجنة فله فيها زوجتان يرى
مخ سوقهما من وراء ثيابهما حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام
عن قتادة كأنهن الياقوت والمرجان قال شبهه بهن صفاء الياقوت في بياض المرجان حدثنا محمد
ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة كأنهن الياقوت والمرجان في صفاء الياقوت

الفصل المشترك بين المعدن
والنبات والجواري السفن الجارية
حذف الموصوف للعلم به ومن قرأ
(المنشآت) بفتح الشين فمعناها
المرفوعات الشرع والتي رفع خشبها
بعضها على بعض وركب حتى
ارتفعت والقارئ بالكسر أراد
الرافعات الشرع أو اللائي ينشئن
في السير أو ينشئن الأمواج
بجريهن والأعلام الجبال الطوال
شبههن في البحر بالجبال في البر
والضمير في (عليها) للارض بدلالة
المقال أو الحال والوجه عبارة عن
الذات كما مر في تفسير البسملة وفي
قوله كل شئ هالك الا وجهه وقوله
ذو صفة للوجه وهو على القياس
وفيه دلالة على أن الوجه والرب
ذات واحد بخلاف قوله في آخر
السورة تبارك اسم ربك فان الاسم
غير المسمى في الأصح فلهذا قال ذي
الجلال والاكرام ومعناه ذو النعمة
والتعظيم كما سبق في البسملة
والنعمة في فناء ما على الأرض هو
مجيء وقت الجزاء (يسأله من في
السموات) من الملائكة (و) من
في (الأرض) من الثقلين الملائكة
لمصالح الدارين والثقلان لمصالح
الدارين وعن مقاتل يسأل أهل
الأرض الرزق والمغفرة وتسأل
الملائكة أيضا الرزق والمغفرة
للناس (كل يوم هو في شأن)
سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك الشأن فقال من
شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا
ويرفع قوما ويضع آخرين
قلت هذا التفسير يطابق ما مر في
الحكمة وما ذكرنا في الكتاب مرارا

وبياض المرجان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كأنهن الياقوت والمرجان قال كأنهن الياقوت في الصفاء والمرجان في البياض الصفاء صفاء الياقوتة والبياض بياض اللؤلؤ حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان كأنهن الياقوت والمرجان قال في صفاء الياقوت وبياض المرجان وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم معشر الثقلين من اثابته أهل طاعته منكم بما وصف في هذه الآيات تكذبان

وقوله هل جزاء الاحسان إلا الاحسان يقول تعالى ذكره هل ثواب خوف مقام الله عز وجل لمن خافه فأحسن في الدنيا عمله وأطاع ربه إلا أن يحسن اليه في الآخرة ربه بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدنيا ما وصف في هذه الآيات من قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان الى قوله كأنهن الياقوت والمرجان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة هل جزاء الاحسان إلا الاحسان قال عملوا خيرا فجوزوا خيرا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا عبيدة بن بكار الأزدي قال ثني محمد بن جابر قال سمعت محمد بن المنكدر يقول في قول الله جل ثناؤه هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال هل جزاء من أنعمت عليه بالاسلام الا الجنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هل جزاء الاحسان إلا الاحسان قال ألا تراه ذكرهم ومنازلهم وأزواجهم والأنهار التي أعدها لهم وقال هل جزاء الاحسان إلا الاحسان حين أحسنوا في هذه الدنيا أحسنا اليهم أدخلناهم الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران قال ثنا سفيان عن سالم بن أبي حفصة عن أبي يعلى عن محمد بن الحنفية هل جزاء الاحسان إلا الاحسان قال هي مسجلة للبر والفاجر وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول فبأي نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكم من اثابته المحسن منكم باحسانه تكذبان ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره ومن دون هاتين الجنتين اللتين وصف الله جل ثناؤه صفتهما التي ذكر أنهما لمن خاف مقام ربه جنتان ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله ومن دونهما في هذا الموضع فقال بعضهم معنى ذلك ومن دونهما في الدرج ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال ثنا اسحق بن سليمن قال ثنا عمرو ابن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وكان عرشه على الماء قال كان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ثم اتخذ دونها جنة أخرى ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة قال ومن دونهما جنتان وهي التي لا تعلم أو قال وهما التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيهما أو ما فيها يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن عنبسة عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير بنحوه * وقال آخرون بل معنى ذلك ومن دونهما في الفضل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن دونهما جنتان هما أدنى من هاتين لأصحاب اليمين وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم باثابته أهل الاحسان ما وصف من هاتين الجنتين تكذبان وقوله مدهامتان يقول تعالى ذكره مسوادتان من شدة خضرتهما وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله

من أن القضاء هو الحكم الكلي الواقع في الازل والقدر هو صدور تلك الأحكام في أزمنتها المقدرة فبالاعتبار الاول قال جف القلم بما هو كائن وبالاعتبار الثاني قال كل يوم هو في شأن وهذا بالنسبة الى المقضيات ولا تغير في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وبالجملة انها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها وروى الواحدي في البسيط عن ابن عباس ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وحين بين أن كل زمان مقدر لاجل شأن قال (سنفرغ لكم) قال أهل البيان هو مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك والمراد تجرد داعيته للايقاع به من النكاية فيه والمراد شؤنه ستنتهي الى شأن الجزاء وقصد المحاسبة ثم هدد الثقلين بانهم لا يستطيعون الهرب من أحكامه وأقضيته فيهما نفذ من الشيء اذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية وأقطار السموات والارض نواحيهما واحدها قطر وهو في الهندسة عبارة عن الخط المنصف للدائرة والسلطان القوة والغلبة أراد أنه لا مفر من حكمه الا بتسلط تام ولا سلطان فلا مفر قال الواحدي أراد أنه لا خلاص من الموت ويحتمل أن يخص هذا بيوم الجزاء المشار اليه بقوله سنفرغ لكم ويؤيده ما روى أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا

مدهامتان يقول خضراوان حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى
أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله مدهامتان قال خضراوان من الري و يقال ملتفتان حدثني
موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال أخبرنا محمد بن بشر قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن حارثة
ابن سليمن السلمي قال سمعت ابن الزبير وهو يفسر هذه الآية على المنبر وهو يقول هل تدرون
ما مدهامتان خضراوان من الري حدثني محمد بن عمارة هو الأسدي قال ثنا عبيد الله بن
موسى قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن حارثة بن سليمن هكذا قال قال ابن الزبير مدهامتان
خضراوان من الري حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل بن
أبي خالد عن حارثة بن سليمن أن ابن الزبير قال مدهامتان قال هما خضراوان من الري حدثنا
الفضل بن الصباح قال ثنا ابن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مدهامتان
قال خضراوان حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية مدهامتان قال
خضراوان من الري حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسمعيل بن
أبي خالد عن أبي صالح في قوله مدهامتان قال خضراوان من الري حدثنا ابن حميد قال ثنا
يعقوب عن عنبسة عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير مدهامتان قال علاهما الري من السواد
والخضرة * قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير مدهامتان قال خضراوان
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله مدهامتان قال مسوادّتان
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مدهامتان يقول خضراوان من
الري ناعمتان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله مدهامتان
قال خضراوان من الري اذا اشتدت الخضرة ضربت الى السواد حدثني يعقوب قال ثنا
ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله مدهامتان قال ناعمتان حدثنا ابن حميد قال ثنا
مهران عن أبي سنان مدهامتان قال مسوادّتان من الري حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتا السابقين فقرأ ذواتا أفنان وقرأ كأنهن
الياقوت والمرجان ثم رجع الى أصحاب اليمين فقال ومن دونهما جنتان فذكر فضلهما وما فيهما
قال مدهامتان من الخضرة من شدة خضرتهما حتى كادتا تكونان سوداوين حدثني محمد بن
سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الأشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله مدهامتان قال خضراوان وقوله فبأي آلاء ربكما
تكذبان يقول فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم بإثابته أهل الاحسان ما وصف في هاتين الجنتين
تكذبان وقوله فيهما عينان نضاختان يقول تعالى ذكره في هاتين الجنتين اللتين من دون الجنتين
اللتين هما لمن خاف مقام ربه عينان نضاختان يعني فوارتان واختلف أهل التأويل في المعنى
الذي ينضخان به فقال بعضهم ينضخان بالماء ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري
قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة في قوله فيهما عينان نضاختان قال ينضخان بالماء
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله نضاختان قال ينضخان بالماء
حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فيهما عينان
نضاختان يقول نضاختان بالماء * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهما ممتلئتان ذكر من قال ذلك

وجدوا الملائكة أحاطت به
ويعضده قوله عقيبه يرسل عليكما
الآية جاء في الخبر يحاط على الخلق
بلسان من نار ثم ينادون يا معشر
الجن والانس الآية وذلك قوله
(يرسل عليكما شواظ) وهو
اللهب الذي لا دخان له معه وقرأ
ابن كثير بكسر الشين لغة أهل مكة
يقولون صوار بالضم والكسر
والنحاس الدخان ومن قرأ بالرفع
فمعناه يرسل عليكما هذا مرة وهذا
مرة ويجوز أن يرسلا معا من غير
أن يمزج أحدهما بالآخر ومن قرأ
بالجر فبتقدير وشئ من نحاس
وعن أبي عمرو أن الشواظ يكون
من الدخان أيضا وقيل هو الصفر
المذاب يصب على رؤسهم وعن
ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم
ساقهم شواظ الى المحشر (فلا
تنتصران) فلا تمتنعان (فاذا انشقت
السماء) لنزول الملائكة (فكانت
وردة) أي حمراء (كالدهان) وهو
جمع الدهن أو اسم ما يتدهن به
كالحزام والادام شبهها بدهن
الزيت كقوله كالمهل وهو دردى
الزيت وقيل الدهان الاديم
الأحمر عن ابن عباس تصير كلون
الفرس الورد وقيل تحمر
احمرار الورد ثم تذوب ذوبان الدهن
وقال قتادة هي اليوم خضراء ولها
يوم القيامة لون آخر يضرب الى
الحمرة والفاء في قوله فاذا للتعقيب
وفي فكانت للعطف والجواب
محذوف كما سيجئ في قوله اذا السماء
انشقت والمراد أنهما لا ينتصران
حين ارسال الشواظ عليهما لحين
تنشق السماء وصارت الارض

حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله عينان نضاختان قال ممتلئتان لا تنقطعان * وقال آخرون تنضخان الماء والفاكهة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله فيهما عينان نضاختان قال بالماء والفاكهة * وقال آخرون نضاختان بألوان الفاكهة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد فيهما عينان نضاختان قال نضاختان بألوان الفاكهة * وقال آخرون نضاختان بالخير ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فيهما عينان نضاختان يقول نضاختان بالخير * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك أنهما تنضخان بالماء لأنه المعروف بالعيون اذ كانت عيون ماء وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم بإثابته محسنكم هذا الثواب الجزيل تكذبان ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره وفي هاتين الجنتين المدهامتين فاكهة ونخل ورمان وقد اختلف في المعنى الذي من أجله أعيد ذكر النخل والرمان وقد ذكر قبل أن فيهما الفاكهة فقال بعضهم أعيد ذلك لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة * وقال آخرون هما من الفاكهة وقالوا قلنا هما من الفاكهة لأن العرب تجعلهما من الفاكهة قالوا فان قيل لنا فكيف أعيدا وقد مضى ذكرهما مع ذكر سائر الفواكه قلنا ذلك كقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فقد أمرهم بالمحافظة على كل صلاة ثم أعاد العصر تشديدا لها كذلك أعيد النخل والرمان ترغيبا لأهل الجنة وقال وذلك كقوله ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض ثم قال وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب وقد ذكرهم في أول الكلمة في قوله من في السموات ومن في الأرض حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن رجل عن سعيد بن جبير قال نخل الجنة جذوعها من ذهب وعروقها من ذهب وكرانيفها من زمرذ وسعفها كسوة لأهل الجنة ورطبها كالدلاء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من العسل ليس له عجم * قال ثنا ابن ثور عن معمر عن زيد بن أسلم عن وهب الذماري قال بلغنا أن في الجنة نخلا جذوعها من ذهب وكرانيفها من ذهب وجريدها من ذهب وسعفها كسوة لأهل الجنة كأحسن حلل رآها الناس قط وشماريخها من ذهب وعراجينها من ذهب وثفاريقها من ذهب ورطبها أمثال القلال أشد بياضا من اللبن والفضة وأحلى من العسل والسكر وألين من الزبد والسمن وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول فبأي نعم ربكما تكذبان يقول فبأي نعم ربكما التي أنعمها عليكم بهذه الكرامة التي أكرم بها محسنكم تكذبان وقوله فيهن خيرات حسان يقول تعالى ذكره في هذه الجنان الاربع اللواتي اثنتان منهن لمن يخاف مقام ربه والأخريان منهن من دونهما المدهامتان خيرات الاخلاق حسان الوجوه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيهن خيرات حسان يقول في هذه الجنان خيرات الأخلاق حسان الوجوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله خيرات حسان قال خيرات في الاخلاق حسان في الوجوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فيهن خيرات حسان قال الخيرات الحسان الحور العين حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة فيهن خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه

والجو والهواء كلها نارا وتذوب السماء كما يذوب النحاس الاحمر كيف تنتصران ويمكن أن يكون وجه تشبيه السماء يومئذ بالدهن هو الميعان والذوبان بسرعة وعدم رسوب الخبث كخبث الحديد ونحوه والغرض بيان بساطة السماء وأنه لا اختلاف للاجزاء فيها (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) وضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والضمير في ذنبه عائد الى الانس لان الفاعل رتبته التقديم وكأنه قيل لا يسئل بعض الانس عن ذنبه ولا بعض الجن والجمع بين هذه الآية وبين قوله فوربك لنسألنهم هو ما مر من أن المواطن مختلفة أو لا يسئل سؤال استعلام وانما يسئل سؤال توبيخ وتقريع وعندي أن بيان عدم احتياج المذنب الى السؤال عن حاله لأن كل ما هو اليوم فيه كامن فذلك في يوم القيامة يظهر ويبرز من ظلمة الطبيعة والعصيان أو من نور الطاعة والايمان واليه الاشارة بقوله (يعرف المجرمون بسيماهم) من سواد الوجه وزرقة العين (فيؤخذ) كل منهم أو جنس المجرم (بالنواصي) أي بسببها ولعل المراد أن تجعل الأقدام مضمومة الى النواصي من خلف أو من قدام ويلقون في النار روى الحسن عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بالف عام فهم كل يوم يزدادون قوة الى

حدثنا أبوهشام قال ثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبيد عن مسروق عن عبدالله فيهن خيرات حسان قال فى كل خيمة زوجة حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ابن وهب قال ثنا محمد بن الفرج الصدفى الدمياطى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله أخبرنى عن قوله فيهن خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول فبأى نعم ربكما التى أنعم عليكم بما ذكر تكذبان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حور مقصورات فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الخيرات الحسان حور يعنى بقوله حور بيض وهى جمع حوراء والحوراء البيضاء وقد بينا معنى الحور فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبوهشام قال ثنا عبيدالله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى القتات عن مجاهد حور قال بيض * قال ثنا أبونعيم عن اسرائيل عن مسلم عن مجاهد حور قال بيض * قال ثنا وكيع قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد حور قال النساء حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول حدثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حور مقصورات الحوراء العيناء الحسناء حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان الحور سواد فى بياض * قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله حور مقصورات فى الخيام قال الحور البيض قلوبهم وأنفسهم وأبصارهم وأما قوله مقصورات فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم تأويله أنهن قصرن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا ولا يرفعن أطرافهن الى غيرهم من الرجال ذكر من قال ذلك حدثنا أبوهشام قال ثنا عبيدالله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى القتات عن مجاهد مقصورات فى الخيام قال قصر طرفهن وأنفسهن على أزواجهن حدثنا أبوهشام قال ثنا وكيع قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مقصورات قال قصر طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد مقصورات فى الخيام قال قصرن أنفسهن وأبصارهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنا أبوهشام قال ثنا عبيدالله وابن اليمان عن أبى جعفر عن الربيع مقصورات فى الخيام قال قصرن طرفهن على أزواجهن حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد مقصورات فى الخيام قال قصرن أنفسهن وقلوبهن وأبصارهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنا أبوكريب قال ثنا يحيى ابن يمان عن سفيان عن منصور عن مجاهد مقصورات فى الخيام قال قصر طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله مقصورات قال مقصورات على أزواجهن فلا يردن غيرهم * وقال آخرون عنى بذلك أنهن محبوسات فى الحجال ذكر من قال ذلك حدثنا أبوكريب قال ثنا ابن يمان عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية حور مقصورات فى الخيام قال محبوسات فى الخيام حدثنا جعفر بن محمد البزورى قال ثنا عبيدالله بن موسى عن أبى جعفر عن الربيع بمثله حدثنا أبوهشام الرفاعى قال ثنا أبونعيم عن اسرائيل عن مجاهد عن ابن عباس مقصورات قال محبوسات حدثنا أبوكريب قال ثنا ابن يمان قال أخبرنا أبومعشر السندى عن محمد بن كعب قال محبوسات فى الحجال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث

قال

قوتهم حتى يقبضوا من قبضوا عليه بالنواصى والأقدام ويجوز أن يكون الفعل مسندا الى قوله بالنواصى نحو ذهب بزيد ثم ذكر أنهم يوبخون بقول الملائكة لهم (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) والاصل الخطاب والالتفات للتبعيد والتسجيل عليهم بالاجرام والآنى الذى بلغ منتهى حره قال الزجاج أنى يأنى أنا اذا انتهى فى النضج والحرارة والمعنى أنهم لا يزالون طائفين بين عذاب الجحيم وبين الحميم وذلك حين ما يستغيثون كقوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال جار الله نعمته فيما ذكره من الاهوال وأنواع المخاوف هى نجاة الناجى منه وما فى الانذار به من اللطف ويمكن أن يراد بأى الآلاء المعدودة فى أول السورة تكذبان فتستحقان هذه الاشياء المذكورة من العذاب ثم شرع فى ثواب أهل الخشية والطاعة قائلا (ولمن خاف مقام ربه) وقد مر نظيره فى ابراهيم قوله ذلك لمن خاف مقامى قال المفسرون الجنتان احداهما للخائف الانسى والثانية للخائف الجنى أو احداهما لفعل الطاعات والثانية لترك المنكرات أو احداهما للجزاء والأخرى للزائد عليه تفضلا أو هما جنة عدن وجنة النعيم أو احداهما جسمانية والأخرى روحانية وقيل التثنية للتأكيد كقوله ألقيا وهو ضعيف والأفنان جمع الفنن وهو الغصن المستقيم طولا قاله مجاهد وعكرمة والكلبى وغيرهم وانما خصها بالذكر لانها هى التى تورق وتثمر وتظل والساق

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله مقصورات في الخيام قال لا يبرحن الخيام حدثني عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا عثام بن علي عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله حور مقصورات في الخيام قال عذارى الجنة حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا ثنا عثام بن علي عن اسمعيل عن أبي صالح مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله مقصورات قال المحبوسات في الخيام لا يخرجن منها حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله مقصورات في الخيام قال محبوسات ليس بطوافات في الطرق * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تبارك وتعالى وصفهن بأنهن مقصورات في الخيام والقصر هو الحبس ولم يخصص وصفهن بأنهن محبوسات على معنى من المعنيين اللذين ذكرنا دون الآخر بل عم وصفهن بذلك والصواب أن يعم الخبر عنهن بأنهن مقصورات في الخيام على أزواجهن فلا يردن غيرهم كما عم ذلك وقوله في الخيام يعني بالخيام البيوت وقد تسمي العرب هوادج النساء خياما ومنه قول لبيد

شاقتك ظعن الحي يوم تحملوا * فتكنسوا قطنا تصر خيامها

وأما في هذه الآية فانه عني بها البيوت ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى عن سعيد قال ثنا شعبة قال ثنا عبد الملك بن ميسرة عن أبي الأحوص عن عبد الله حور مقصورات في الخيام قال الدر المجوف حدثنا الحسن ابن عرفة قال ثنا شبابة قال ثنا شعبة عن عبد الملك عن أبي الأحوص عن عبد الله مثله حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن هشام عن محمد عن ابن عباس في قوله حور مقصورات في الخيام قال الخيمة لؤلؤة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب حدثنا أبو هشام قال ثنا أبو نعيم عن اسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في الخيام قال بيوت اللؤلؤ حدثنا محمد بن اسمعيل الأحمسي قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا ادريس الأودي عن شمر بن عطية عن أبي الأحوص قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتدرون ما حور مقصورات في الخيام الخيام در مجوف * قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن أبي الاحوص في قوله حور مقصورات في الخيام قال در مجوف * وبه عن أبي الاحوص قال الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب * قال ثنا أبو داود قال ثنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال الخيمة في الجنة من درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي يحدث عن قتادة عن خليد العصري قال لقد ذكر لي أن الخيمة لؤلؤة مجوفة لها سبعون مصراعا كل ذلك من در حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير أنه قال الخيام در مجوف * قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال الخيام در مجوف حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا وكيع ويعلى عن منصور عن مجاهد في الخيام قال الدر المجوف حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد في الخيام قال خيام در مجوف * قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن حرب بن بشير عن عمرو بن ميمون قال الخيام الخيمة درة مجوفة حدثنا أبو هشام

لاجل ضرورة القيام ولا ضرورة في الجنة ولا كلفة وعن سعيد بن جبير هي جمع فن والمعنى أنهما صاحبتا فنون النعم وعلى هذا يكون قوله (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي صنفان كتفصيل بعد اجمال والصنفان رطب ويابس أو معروف وغريب (فيهما) أي في كل منهما (عينان تجريان) من جبل من مسك احداهما في الاعالي والأخرى في الاسافل وقال الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والأخرى السلسبيل (متكئين) حال من الخائفين المذكورين في قوله ولمن خاف وجوز أن يكون نصبا على المدح قال المفسرون اذا كان بطائن الفرش وهي التي تحت الظهارة مما يلي الارض من إستبرق فما ظنك بظهائرها ويجوز أن يكون ظهائرها السندس والتحقيق أنه لا يعلمها الا الله كقوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم (وجنى الجنتين) أي ثمرها (دان) قريب يناله القائم والقاعد والنائم قال جار الله (فيهن) أي في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى وقيل في الفرش أي عليها وقيل في الجنان لأن ذكر الجنتين يدل عليه ولأنهما يشتملان على أماكن ومجالس ومتنزهات وهذا الوجه عندي أظهر وسيجيء بيانه بنوع آخر عن قريب قال الفراء الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية و (قبلهم) أي قبل أصحاب الجنتين واللفظ يدل عليه قال مقاتل هن من حور الجنة وقال الكلبي والشعبي هن من نساء الدنيا أنشئن

خلقاآخرلم يجامعهن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه انسى ولاجنى قال فى الكشاف لم يطمث الانسيات منهن أحد من الانس والجنيات أحدمن الجن قلت هذا التفصيل لعله لاحاجة اليه يعرف بأدنى تأمل قال الزجاج فيه دليل على أن الجن تطمث كما تطمث الانس ثم ذكر أنهن فى صفاء الياقوت و بياض اللؤلؤ الصغار (هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الجزاء وخص ابن عباس فقال هل جزاء من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله الا الجنة وحين فرغ من نعت جنتى المقربين شرع فى وصف جنتين لأصحاب اليمين فقال ومن دونهما أى ومن أسفل منهما فى المكان أوفى الفضل أوفيهماوهو الأظهر روى أبوموسى عن النبى صلى الله عليه وسلم جنتان من فضة أبنيتهما ومافيهما و جنتان من ذهب أبنيتهما وما فيهما (مدهامتان) هو من الادهيام ادهام يدهام فهو مدهام نظير اسوادّ يسوادّ فهو مسوادّ فى اللفظ وفى المعنى وذلك أن كل نبت أخضر فتمام خضرته من الرى أن يضرب الى السواد (نضاختان) فوارتان والنضخ بالخاء المعجمة أكثرمن النضح وهوالرش قال ابن عباس تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور وانما خص النخيل والرمان بالذكر بعد اندراجهما فى الفاكهة لفضلهما و شرفهما فالنخل فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء كامل ومنه قال أبو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا يأكل

قال ثنا وكيع عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال الخيمة درة مجوفة حدثنا أبو هشام قال ثنا ابن اليمان عن أبى معشر عن محمد بن كعب فى الخيام فى الحجال * قال ثنا عبيد الله وابن اليمان عن أبى جعفر عن الربيع فى الخيام قال فى الحجال حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن أبى قيس عن منصور عن مجاهد فى الخيام قال خيام اللؤلؤ حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى الخيام الخيام اللؤلؤ والفضة كما يقال والله أعلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حور مقصورات فى الخيام ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف باب من ذهب وقال قتادة كان يقال مسكن المؤمن فى الجنة يسير الراكب الجواد فيه ثلاث ليال وأنهاره وجنانه وما أعدالله له من الكرامة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف باب من ذهب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مقصورات فى الخيام قال يقال خيامهم فى الجنة من لؤلؤ حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله مقصورات فى الخيام قال الخيام الدر المجوف حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن أبى مجلز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قول الله حور مقصورات فى الخيام قال در مجوف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول كان ابن مسعود يحدّث عن نبى الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هى الدر المجوف يعنى الخيام فى قوله حور مقصورات فى الخيام حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله حور مقصورات فى الخيام قال فى خيام اللؤلؤ وقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول فبأى نعم ربكما التى أنعم عليكما من الكرامة باثابة محسنكم هذه الكرامة تكذبان وقوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يقول تعالى ذكره لم يمسهن بنكاح فيدميهن انس قبلهم ولا جان وقرأت قراء الأمصار لم يطمثهن بكسر الميم فى هذا الموضع وفى الذى قبله وكان الكسائى يكسر احداهما و يضم الأخرى * والصواب من القراءة فى ذلك ماعليه قراء الأمصار لانها اللغة الفصيحة والكلام المشهور من كلام العرب وقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان يقول فبأى نعم ربكما التى أنعم عليكم بها مما وصف تكذبان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام﴾ يقول تعالى ذكره ينعم هؤلاء الذين أكرمهم جل ثناؤه هذه الكرامة التى وصفها فى هذه الآيات فى الجنتين اللتين وصفهما متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان واختلف أهل التأويل فى معنى الرفرف فقال بعضهم هى رياض الجنة واحدتها رفرفة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية متكئين على رفرف خضر قال رياض الجنة حدثنا عباس بن محمد قال ثنا أبو نوح قال أخبرنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير مثله حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا سعيد بن جبير فى قوله متكئين على رفرف خضر قال الرفرف رياض الجنة * وقال آخرون هى المحابس ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله متكئين على رفرف خضر يقول المحابس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله متكئين

على

على رفرف خضر قال الرفرف فضول المحابس والبسط حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله متكئين على رفرف خضر قال هي البسط أهل المدينة يقولون هي البسط حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن سلمة بن كهيل الحضرمي عن رجل يقال له غزوان رفرف خضر قال فضول المحابس * قال ثنا مهران عن سفيان عن هرون عن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال فضول الفرش والمحابس حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مروان في قوله رفرف خضر قال فضول المحابس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله متكئين على رفرف خضر قال الرفرف المحابس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة رفرف خضر قال محابس خضر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله رفرف خضر قال هي المحابس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله متكئين على رفرف خضر قال الرفرف المحابس * وقال آخرون بل هي المرافق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن الرفرف مرافق خضر وأما العبقري فانه الطنافس الثخان وهي جماع واحدها عبقرية وقد ذكر أن العرب تسمي كل شئ من البسط عبقريا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله وعبقري حسان قال الزرابي حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وعبقري حسان قال العبقري الزرابي الحسان حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله وعبقري حسان قال العبقري عتاق الزرابي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال العبقري الزرابي حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة وعبقري حسان قال الزرابي حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وعبقري حسان قال زرابي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعبقري حسان قال العبقري الطنافس * وقال آخرون العبقري الديباج ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن مجاهد وعبقري حسان قال هو الديباج والقراء في جميع الأمصار على قراءة ذلك على رفرف خضر وعبقري حسان بغير ألف في كلا الحرفين وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر غير محفوظ ولا صحيح السند على رفارف خضر وعباقري بالألف والاجراء وذكر عن زهير الفرقبي أنه كان يقرأ على رفارف خضر بالالف وترك الاجراء وعباقري حسان بالألف أيضا وبغير اجراء وأما الرفارف في هذه القراءة فانها قد تحتمل وجه الصواب وأما العباقري فانه لا وجه له في الصواب عند أهل العربية لان ألف الجماع لا يكون بعدها أربعة أحرف ولا ثلاثة صحاح وأما القراءة الاولى التي ذكرت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت صحيحة لوجب أن تكون الكلمتان غير مجراتين وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان يقول تعالى ذكره فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم من اكرامه أهل الطاعة منكم هذه الكرامة تكذبان وقوله تبارك اسم ربك يقول تعالى ذكره تبارك ذكر ربك يا محمد ذي الجلال يعني ذي العظمة والاكرام يعني ومن له الاكرام من جميع خلقه كما حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذي الجلال والاكرام يقول ذو العظمة والكبرياء

آخر تفسير سورة الرحمن عز وجل

فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه ووافقهما الشافعي والخيرات مخفف خيرات لأن الخير الذي هو بمعنى التفضيل لا يجمع جمع السلامة والمعنى أنهن فاضلات الأخلاق حسان الصور واعلم أنه سبحانه قال في الموضعين عند ذكر الحورفيهن وفي سائر المواضع فيهما والسر فيه أن تمام اللذة عند اجتماع النسوان للرجل الواحد هو أن يكون لكل منهن مسكن على حدة متباعد من مسكن الأخرى واسع بحيث يسع ما يليق بحاله أو بحالها من الجواري والغلمان وسائر الأسباب فيحصل هناك منتزهات كثيرة كل منها جنة وكأن في ضمير الجمع اشارة الى ذلك وأما العيون والفواكه فلم يكن شئ منها بهذه المثابة من كمال اللذة فاكتفى فيها بعود الضمير الى الجنتين فقط والمقصورات اللواتي قصرن أي حبسن في خدورهن امرأة مقصورة أي مخدرة روى قتادة عن ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها أربعة آلاف مصراع من ذهب وعن النبي صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون وقال أهل المعاني كنى عن الجماع في الدنيا بنحو قوله من قبل أن تمسوهن وذكر الجماع في الآخرة بلفظ يقرب من الصريح وهو الطمث فما الحكمة في ذلك والجواب أن المباشرة في الدنيا قبيحة لما فيها من قضاء الشهوة واسقاط القوى

وهى فى الآخرة بخلاف ذلك فانها داعية روحانيـة ولذة حقيقية فلم يحتج الى الكناية لأن الكنايات انما تجرى فى الهنيآت قال جار الله متكئين نصب على الاختصاص قلت ويجوز أن يكون حالا والعامل مضمر يدل عليه قوله (لم يطمثهن انس قبلهم) أى يطمثونهم فى حال الاتكاء قال أبو عبيـدة والضحاك ومقاتل والحسن الرفرف ضرب من البسط وقيل كل ثوب عريض فهو رفرف ويقـال لأطراف البسـط وفضول الفسطاط رفارف وقال الزجاج الرفرف ههنا رياض الجنة وقيل الوسائد قال جار الله العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون اليه كل شئ غريب عجيب وعن أبى عبيـدة كل شئ من البسط عبـقرى وهو جمع واحده عبقرية ومما يدل على أن صفات هـاتين الجنتين تقاصرت عن الاولين قوله مدهامتان فانه دون قوله ذواتا أفنـان وذلك أن كمال الخضرة لا يوجب كون البستـان ذا فنن ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكا قال أهل العلم كرر قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان احدى وثلاثين مرة ثمـانية منها ذكرها عقيب تعداد عجائب خلقه وذكر المبدأ والمعاد ثم سبعة منها عقيب ذكر النار وأهوالهـا على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة أورد ثمـانية فى وصف الجنات وأهلها على عـدد أبواب الجنة وثمانية بعدها عقيب وصف الجنات التى هى دونهما فمن

﴿تفسـير سورة الواقعـة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا و بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله اذا وقعت الواقعة اذا نزلت صيحة القيامة وذلك حين ينفخ فى الصور لقيام الساعة كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله اذا وقعت الواقعـة يعنى الصيحة حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله اذا وقعت الواقعة الواقعة والطامة والصاخة ونحو هذا من أسماء القيامة عظمه الله وحذره عباده وقوله ليس لوقعتها كاذبة يقول تعالى ليس لوقعة الواقعة تكذيب ولا مردودية ولا مثنوية والكاذبة فى هذا الموضع مصدر مثل العاقبة والعافية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليس لوقعتها كاذبة أى ليس لها مثنوية ولا رجعة ولا ارتداد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ليس لوقعتها كاذبة قال مثنوية وقوله خافضـة رافعة يقول تعالى ذكره الواقعـة حينئـذ خافضة أقواما كانوا فى الدنيا أعزاء الى نار الله وقوله رافعـة يقول رفعت أقواما كانوا فى الدنيا وضعاء الى رحمة الله وجنته وقيل خفضت فأسمعت الادنى ورفعت فأسمعت الأقصى ذكر من قال فى ذلك ما قلنا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله يعنى العتكى عن عثمان بن عبد الله بن سراقة قوله خافضة رافعة قال الساعة خفضت أعداء الله الى النار ورفعت أولياء الله الى الجنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خافضة رافعة يقول تخللت كل سهل وجبل حتى أسمعت القريب والبعيد ثم رفعت أقواما فى كرامة الله وخفضت أقواما فى عذاب الله حدثنا ابن عبـد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة خافضة رافعة قال أسمعت القريب والبعيد خافضة أقواما الى عذاب الله ورافعة أقواما الى كرامة الله حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة قوله خافضة رافعة قال خفضت وأسمعت الادنى ورفعت فأسمعت الاقصى قال فكان القريب والبعيد من الله سواء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس خافضة رافعة قال سمعت القريب والبعيد حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معـاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله خافضـة رافعة خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى فكان فيها القريب والبعيد سواء وقوله اذا رجت الأرض رجا يقول تعالى ذكره اذا زلزلت الارض فحركت تحريكا من قولهم السهم يرتج فى الغرض بمعنى يهتز ويضطرب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عبـاس قوله اذا رجت الارض رجا يقول زلزلها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قول الله اذا رجت الارض رجا قال زلزلت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذا رجت الارض رجا يقول زلزلت زلزلة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة

اذارجت الارض رجا قال زلزلت زلزالا وقوله و بست الجبال بسا يقول تعالى ذكره فتت الجبال فتا فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول كما قال جل ثناؤه وكانت الجبال كثيبا مهيلا والبسيسة عند العرب الدقيق والسويق تلت وتتخذزادا وذكر عن لص من غطفان أنه أراد أن يخبز نخاف أن يعجل عن الخبز فبل الدقيق وأكله عجينا وقال

لاتخبزا خبزا و بسابسا * ملسا بذود الحلسى ملسا

و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله و بست الجبال بسا يقول فتتت فتا حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله و بست الجبال بسا قال فتتت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله و بست الجبال بسا قال كما يبس السويق حدثنى أحمد بن عمرو البصرى قال ثنا حفص بن عمر العدنى عن الحكم بن أبان عن عكرمة و بست الجبال بسا قال فتتت فتا حدثنى اسمعيل بن موسى ابن بنت السدى قال أخبرنا بشر بن الحكم الاحمسى عن سعيد ابن الصلت عن اسمعيل السدى وأبى صالح و بست الجبال بسا قال فتتت فتا حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد و بست الجبال بسا قال كما يبس السويق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله و بست الجبال بسا قال صارت كثيبا مهيلا كما قال الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله و بست الجبال بسا قال فتت فتا وقوله فكانت هباء منبثا اختلف أهل التأويل فى معنى الهباء فقال بعضهم هو شعاع الشمس الذى يدخل من الكوة كهيئة الغبار ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله فكانت هباء منبثا يقول شعاع الشمس حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد هباء منبثا قال شعاع الشمس حين يدخل من الكوة * قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله فكانت هباء منبثا قال شعاع الشمس يدخل من الكوة وليس بشئ * وقال آخرون هو رهج الدواب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى اسحق عن الحرث عن على رضى الله عنه قال رهج الدواب * وقال آخرون هو ما تطاير من شرر النار الذى لاعين له ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فكانت هباء منبثا قال الهباء الذى يطير من النار اذا اضطرمت يطير منه الشرر فاذا وقع لم يكن شيأ * وقال آخرون هو يبيس الشجر الذى تذروه الرياح ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فكانت هباء منبثا كيبيس الشجر تذروه الرياح يمينا وشمالا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله هباء منبثا يقول الهباء ما تذروه الريح من حطام الشجر وقد بينا معنى الهباء فى غير هذا الموضع بشواهده فأغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله منبثا فانه يعنى متفرقا

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم﴾ يقول تعالى ذكره وكنتم أيها الناس أنواعا ثلاثة وضروبا كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا

اعتقد الثانية الاولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة ثم نزه نفسه عما لا يليق بجلاله وختم السورة عليه والاسم مقحم كما بينا وفائدة هذا التوسيط سلوك سبيل الكناية كما يقال ساحة فلان بريئة عن المثالب والله أعلم بحقائق كلامه

﴿سورة الواقعة مكية غير آية وتجعلون رزقكم حروفها ألف وسبعمائة وثلاثة كلمها ثلثمائة وثمان وتسعون آياتها ست وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا و بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا أنشأناهن انشاء

ابن ثور عن معمر عن قتادة وكنتم أزواجا ثلاثة قال منازل الناس يوم القيامة وقوله فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وهـذا بيان من الله عن الازواج الثلاثة يقول جل ثناؤه وكنتم أزواجا ثلاثة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون بجعل الخبر عنهـم مغنيا عن البيان عنهم على الوجه الذى ذكرنا لدلالة الكلام على معناه فقال فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة يعجب نبيه محمدا منهـم وقال ما أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنـة أى شئ أصحاب اليمين وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة يقول تعـالى ذكره وأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهـم ذات الشمال الى النار والعرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى ومنه قول أعشى بنى ثعلبة

فأنحى على شؤمى يديه فذادها * بأظمأ من فرع الذؤابة أسحما

وقوله والسابقون السابقون وهم الزوج الثـالث وهم الذين سبقوا الى الايمـان بالله ورسوله وهم المهاجرون الأولون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله يعنى العتكى عن عثمان بن عبد الله بن سراقة قوله وكنتم أزواجا ثلاثة قال اثنان فى الجنة وواحد فى النار يقول الحور العين للسابقين والعرب الأتراب لأصحاب اليمين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وكنتم أزواجا ثلاثة قال منازل الناس يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسـن فى قوله وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون الى ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى بين أصحاب اليمين من الامم السابقة وبين أصحاب اليمين من هذه الأمة وكان السابقون من الامم أكثر من سابقى هذه الامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة أى ماذا لهـم وماذا أعدّ لهم وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة أى ماذا لهم وماذا أعدّ لهم والسابقون السابقون أى من كل أمة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول وجدت الهوى ثلاثة أثلاث فالمرء يجعل هواه علمه فيديل هواه على علمه ويقهر هواه علمه حتى ان العـلم مع الهوى قبيح ذليل والعلم ذليل الهوى غالب قاهر فالذى قد جعل الهوى والعلم فى قلبه فهذا من أزواج النار واذا كان ممن يريد الله به خيرا اسـتفاق واستنبه فاذا هو عون للعلم على الهوى حتى يديل الله العـلم على الهوى فاذا حسنت حال المؤمن واستقامت طريقته كان الهوى ذليلا وكان العلم غالبا قاهرا فاذا كان ممن يريد الله به خيرا ختم عمله بادالة العـلم فتوفاه حين توفاه وعلمه هو القـاهر وهو العامل به وهواه الذليل القبيح ليس له فى ذلك نصيب ولا فعل والثالث الذى قبح الله هواه بعلمه فلا يطمع هواه أن يغلب العـلم ولا أن يكون له معه نصف ولا نصيب فهذا الثالث وهو خيرهم كلهـم وهو الذى قال الله عز وجل فى سورة الواقعة وكنتم أزواجا ثلاثة قال فزوجان فى الجنة وزوج فى النار قال والسابق الذى يكون العلم غالبـا للهوى والآخر الذى ختم الله بادالة العـلم على الهوى فهذان زوجان فى الجنة والآخر هواه قاهر لعلمه فهذا زوج النار واختلف أهل العربية فى الرافع أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة فقـال بعض نحويى البصرة خبر قوله فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة قال ويقول زيد ما زيد يريد زيد شـديد وقال غيره قوله ما أصحاب الميمنة لا تكون الجملة خبره ولكن الثانى عائد على الاول وهو تعجب فكأنه قال أصحاب الميمنة ما هـم والقارعة ما هى والحاقة ما هى فكان الثانى عائد الاول وكان تعجبا والتعجب بمعنى

الخبر

فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سمـوم وحمـيم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعـوثون أوآباؤنا الأولون قل ان الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معـلوم ثم انكم أيهـا الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمـالـئون منها البطـون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هـذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصـدّقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قـدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبـدّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحـرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعـون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشـاء جعلناه أجاجا فـلولا تشكرون أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشـئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم

الخبر ولو كان استفهاما لم يجز أن يكون خبرا للابتداء لان الاستفهام لا يكون خبرا والخبر لا يكون استفهاما والتعجب يكون خبرا فكان خبرا للابتداء وقوله زيد وما زيد لا يكون الا من كلامين لأنه لا تدخل الواو في خبر الابتداء كأنه قال هذا زيد وما هو أي ما أشده وما أعلمه واختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله والسابقون السابقون فقال بعضهم هم الذين صلوا للقبلتين حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن خارجة عن قرة عن ابن سيرين والسابقون السابقون الذين صلوا للقبلتين * وقال آخرون في ذلك بما حدثني به عبد الكريم بن أبي عمير قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو قال ثنا عثمان بن أبي سودة قال السابقون السابقون أولهم رواحا الى المساجد وأسرعهم خفوقا في سبيل الله والرفع في السابقين من وجهين أحدهما أن يكون الأول مرفوعا بالثاني ويكون معنى الكلام حينئذ والسابقون الأولون كما يقال السابق الأول والثاني أن يكون مرفوعا بأولئك المقربون يقول جل ثناؤه أولئك الذين يقربهم الله منه يوم القيامة اذا أدخلهم الجنة وقوله في جنات النعيم يقول في بساتين النعيم الدائم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ﴾ يقول تعالى ذكره جماعة من الأمم الماضية وقليل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم الآخرون وقيل لهم الآخرون لأنهم آخر الأمم على سرر موضونة يقول فوق سرر منسوجة قد أدخل بعضها في بعض كما يوضن حلق الدرع بعضها فوق بعض مضاعفة ومنه قول الأعشى

ومن نسج داود موضونة * تساق مع الحي عيرا فعيرا

ومنه وضين الناقة وهو البطان من السيور اذا نسج بعضه على بعض مضاعفا كالحلق حلق الدرع وقيل وضين وانما هو موضون صرف من مفعول الى فعيل كما قيل قتيل لمقتول وحكي سماعا من بعض العرب أزيار الآجر موضون بعضها على بعض يراد مشرج صفيف وقيل انما قيل لها سرر موضونة لأنها مشبكة بالذهب والجوهر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال ثنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس على سرر موضونة قال مرمولة بالذهب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الحصين عن مجاهد على سرر موضونة قال مرمولة بالذهب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله على سرر موضونة قال يعني الأسرة المرملة حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن حصين عن مجاهد قال الموضونة المرملة بالذهب حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة قوله على سرر موضونة قال مشبكة بالدر والياقوت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله موضونة قال مرمولة بالذهب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله على سرر موضونة والموضونة المرمولة وهي أوثر السرر حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة في قوله موضونة قال مرمولة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر في قوله على سرر موضونة قال مرملة مشبكة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول

وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ﴾ ۞ القرا آت ينزفون من باب الافعال عاصم وحمزة وخلف الباقون بفتح الزاء وحور عين بجرهما يزيد وعلي وحمزة عربا بالسكون حمزة وخلف ويحيى وحماد واسمعيل أئذا أئنا كما في الرعد الا ابن عامر فانه تابع عاصما والا يزيد فانه تابع قالون شرب بضم الشين أبو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وسهل الباقون بالفتح وكلاهما مصدر قدرنا بالتخفيف ابن كثير أئنا لمغرمون بهمزتين أبو بكر وحماد الآخرون بهمزة واحدة مكسورة على الخبر بموقع على الوحدة حمزة وعلي وخلف تكذبون بالتخفيف المفضل فروح بضم الراء قتيبة ويعقوب ۞ الوقوف الواقعة ه لا بناء على أن العامل في الظرف هو ليس ولو كان منصوبا باضمار اذكر أو كان الجواب محذوفا أي اذا وقعت الواقعة كان كيت وكيت صح الوقف كاذبة ه م لئلا يصير ما بعدها صفة رافعة ه لا لتعلق الظرف بخافضة أو لكونه بدلا من الاول رجا ه لا بسا ه لا منبثا ه ثلاثة ه ط ما أصحاب الميمنة ه ط لتناهي استفهام

ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله على سرر موضونة الوضن التشبيك والنسج يقول وسطها مشبك منسوج حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله على سرر موضونة الموضونة المرمولة بالجلد ذاك الوضين منسوجة * وقال آخرون بل معنى ذلك أنها مصفوفة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله على سرر موضونة يقول مصفوفة وقوله متكئين عليها متقابلين يقول تعالى ذكره متكئين على السرر الموضونة متقابلين بوجوههم لا ينظر بعضهم الى قفا بعض كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على سرر متقابلين قال لا ينظر أحدهم فى قفا صاحبه وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله متكئين عليها ناعمين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن أبى اسحق فى قراءة عبد الله يعنى ابن مسعود متكئين عليها ناعمين وقد بينا ذلك فى غير هذا الموضع وذكرنا ما فيه من الرواية وقوله يطوف عليهم ولدان مخلدون يقول تعالى ذكره يطوف على هؤلاء السابقين الذين قربهم الله فى جنات النعيم ولدان مخلدون واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله مخلدون فقال بعضهم عنى بذلك أنهم ولدان على سن واحدة لا يتغيرون ولا يموتون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مخلدون قال لا يموتون * وقال آخرون عنى بذلك أنهم مقرطون مسورون والذى هو أولى بالصواب فى ذلك قول من قال معناه أنهم لا يتغيرون ولا يموتون لأن ذلك أظهر معنييه والعرب تقول للرجل اذا كبر ولم يشمط انه لمخلد وانما هو مفعل من الخلد وقوله بأكواب وأباريق والأكواب جمع كوب وهو من الأباريق ما اتسع رأسه ولم يكن له خرطوم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله بأكواب قال الأكواب الجرار من الفضة حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد بأكواب وأباريق قال الأباريق ما كان لها آذان والأكواب ما ليس لها آذان حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال الأكواب ليس لها آذان حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سئل الحسن عن الأكواب قال هى الأباريق التى يصب لهم منها حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت أبى قال مر أبو صالح صاحب الكلبى قال فقال أبى قال لى الحسن وأنا جالس سله فقلت ما الأكواب قال جرار الفضة المستديرة أفواهها والأباريق ذوات الخراطيم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد بأكواب قال ليس لها عرى ولا آذان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بأكواب وأباريق والأكواب التى يغترف بها ليس لها خراطيم وهى أصغر من الاباريق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله بأكواب وأباريق قال الأكواب التى دون الأباريق ليس لها عرى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الأكواب جرار ليست لها عرى وهى بالنبطية كوبا واياها عنى الأعشى بقوله

صريفية طيب طعمها * لها زبد بين كوب ودن

وأما الأباريق فهى التى لها عرى وقوله وكأس من معين وكأس خمر من شراب معين ظاهر للعيون

التعجب ما أصحاب المشأمة ه ط السابقون ه لا بناء على أن السابقون تأكيد والجملة بعده خبر المقربون ه ج لاحتمال أن ما بعده خبر مبتدا محذوف أى هم فى جنات النعيم ه الأولين ه لا الآخرين ه لا موضونة ه لا متقابلين ه مخلدون ه لا معين ه لا ولا ينزفون ه لا يتخيرون ه لا يشتهون ه ط لمن قرأ وحور عين بالرفع المكنون ه ج يعملون ه تأثيما ه لا سلاما ه ط ما أصحاب اليمين ه ط مخضود ه لا منضود ه لا ممدود ه لا مسكوب ه لا كثيرة ه لا ممنوعة ه لا مرفوعة ه ط انشاء ه لا أبكارا ه لا أترابا ه لا اليمين ه ط الأولين ه الآخرين ه ط ما أصحاب الشمال ه ط وحميم ه لا يحموم ه لا ولا كريم ه مترفين ه ج العظيم ه ج لمبعوثون ه لا الأولون ه والآخرين ه لا معلوم ه المكذبون ه لا زقوم ه لا البطون ه ج والوقف أجوز الحميم ه ج الهيم ه ط الدين ه تصدقون ه تمنون ه ط الخالقون ه بمسبوقين ه لا تعلمون ه تذكرون ه تحرثون ه ط الزارعون ه تفكهون ه لمغرمون ه لا محرومون ه تشربون ه المنزلون ه تشكرون ه تورون ه ط المنشئون ه للمقوين ه ج العظيم ه النجوم ه لا عظيم ه لا كريم ه لا مكنون ه المطهرون ه ط العالمين ه مدهنون ه تكذبون ه الحلقوم ه لا

جار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وكأس من معين قال الخمر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكأس من معين أى من خمر جارية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وكأس من معين الكأس الخمر حدثنا أبو سنان قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة فى قوله وكأس من معين قال الخمر الجارية حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن سلمة ابن نبيط عن الضحاك مثله وقوله لا يصدعون عنها يقول لا تصدع رؤسهم عن شربها فتسكر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى اسمعيل بن موسى السدى قال أخبرنا شريك عن سالم عن سعيد قوله لا يصدعون عنها قال لا تصدع رؤسهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يصدعون عنها ليس لها وجع رأس حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة لا يصدعون عنها قال لا تصدع رؤسهم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد لا يصدعون عنها يقول لا تصدع رؤسهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا يصدعون عنها يعنى وجع الرأس وقوله ولا ينزفون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ينزفون بفتح الزاى ووجهوا ذلك الى أنه لا تنزف عقولهم وقرأته عامة قراء الكوفة لا ينزفون بكسر الزاى بمعنى ولا ينفد شرابهم * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيها الصواب واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء فيه وقد ذكرنا اختلاف أقوالهم فى ذلك وبينا الصواب من القول فيه فى سورة الصافات فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع غير أنا سنذكر قول بعضهم فى هذا الموضع لئلا يظن ظان أن معناه فى هذا الموضع مخالف معناه هنالك ذكر قول من قال منهم معناه لا تنزف عقولهم حدثنا اسمعيل بن موسى قال أخبرنا شريك عن سالم عن سعيد ولا ينزفون قال لا تنزف عقولهم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد ولا ينزفون قال لا تنزف عقولهم وحدثنا ابن حميد مرة أخرى فقال ولا تذهب عقولهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا ينزفون لا تنزف عقولهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ولا ينزفون قال لا يغلب أحد على عقله حدثنا ابن بشار قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد فى قوله ولا ينزفون قال لا يغلب أحد على عقله حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة فى قول الله ولا ينزفون قال لا تغلب على عقولهم وقوله وفاكهة مما يتخيرون يقول تعالى ذكره ويطوف هؤلاء الولدان المخلدون على هؤلاء السابقين بفاكهة من الفواكه التى يتخيرونها من الجنة لأنفسهم وتشتهيها نفوسهم ولحم طير مما يشتهون يقول ويطوفون أيضا عليهم بلحم طير مما يشتهون من الطير الذى تشتهيه نفوسهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله وحور عين فقرأته عامة قراء الكوفة وبعض المدنيين وحور عين بالخفض اتباعا لاعرابها اعراب ما قبلها من الفاكهة واللحم وان كان ذلك مما لا يطاف به ولكن لما كان معروفا معناه المراد أتبع الآخر الأول فى الاعراب

تنظرون ٥ لا تبصرون ٥ مدينين ٥ لا صادقين ٥ المقربين ٥ لا نعيم ٥ اليمين ٥ لا اليمين ٥ الضالين ٥ لا حميم ٥ لا جحيم ٥ اليقين ٥ العظيم ٥ ۞ التفسير (اذا وقعت الواقعة) نظير قولك حدثت الحادثة وكانت الكائنة وهى القيامة التى تقع لا محالة يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله واللام فى (لوقعتها) للوقت أى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله لأن الايمان حينئذ بما هو غائب الآن ضرورى الا أنه غير نافع لأنه ايمان اليأس ويجوز أن يراد ليس لها وقتئذ نفس تكذبها وتقول لها لم تكونى لأن انكار المحسوس غير معقول وجوز جار الله أن يكون من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه فيكون المراد أن القيامة واقعة لا تطاق شدة وفظاعة وأن الأنفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الأمور وقيل هى مصدر كالعافية فيؤل المعنى الى الأول وقال فى الكشاف هو بمعنى التكذيب من قولهم حمل على قرنه فما كذب أى فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من طاقته له والحاصل من هذا التوجيه أنها اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد (خافضة رافعة) أى هى تخفض أقواما وترفع آخرين إما لأن الواقعات العظام تكون كذلك كما قال

وما ان طبنا جبن ولكن * منايانا ودولة آخرينا

واما الان للاشقياء الدركات وللسعداء الدرجات واما الآن زلزلة الساعة تزيل الاشياء عن مقارها فتنتثر الكواكب وتسير الجبال في الجو يؤيده قوله (اذا رجت الأرض) أي حركت تحريكا عنيفا حتى ينهدم كل بناء عليها (وبست الجبال بسا) أي فتتت حتى تعود كالسويق أوسيقت من بس الغنم اذا ساقها (فكانت) أي صارت غبارا متفرقا ثم ذكر أحوال الناس يومئذ قائلا (وكنتم) لفظ الماضي لتحقق الوقوع (أزواجا) أي أصنافا (ثلاثة) ثم فصلها فقال (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) وهو تعجب من شأنهم كقولك زيد ما زيد سموا بذلك لأنهم يؤتون صحائفهم بأيمانهم أولأنهم أهل المنزلة السنية من قولهم فلان مني باليمين اذا وصفته بالرفعة عندك وذلك لتيمنهم بالميامن دون الشمائل وتبركهم بالسانح دون البارح ولعل اشتقاق اليمين من اليمن والشمال من الشؤم والسعداء ميامين على أنفسهم والأشقياء مشائيم عليها روى أن أهل الجنة يؤخذ بهم الى جانب اليمين وأهل النار يؤخذ بهم في الشمال (والسابقون) الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه من التوحيد والاخلاص والطاعة (هم السابقون) عرف الخبر للمبالغة كقوله وشعرى شعرى يريد والسابقون من عرفت حالهم و بلغك وصفهم وعلى هذا يحسن الوقف على السابقون (أولئك المقربون) الى مقامات لا يكشف المقال عنها من الجمال

كما قال بعض الشعراء

اذا ما الغانيات برزن يوما * وزججن الحواجب والعيونا

فالعيون تكحل ولا تزجج الا الحواجب فردها في الاعراب على الحواجب لمعرفة السامع معنى ذلك وكما قال الآخر

تسمع للاحشاء منه لغطا * ولليدين جسأة ودئدا

والجسأة غلظ في اليد وهي لا تسمع وقرأ ذلك بعض قراء المدينة ومكة والكوفة وبعض أهل البصرة بالرفع وحور عين على الابتداء وقالوا الحور العين لا يطاف بهن فيجوز العطف بهن في الاعراب على اعراب فاكهة ولحم ولكنه مرفوع بمعنى وعندهم حور عين أولهم حور عين والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء مع تقارب معنييهما فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب والحور جماعة حوراء وهي النقية بياض العين الشديدة سوادها والعين جمع عيناء وهي النجلاء العين في حسن وقوله كأمثال اللؤلؤ المكنون يقول هن في صفاء بياضهن وحسنهن كاللؤلؤ المكنون الذي قد صين في كن وقوله جزاء بما كانوا يعملون يقول تعالى ذكره ثوابا لهم من الله بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا وعوضا من طاعتهم اياه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن يمان عن ابن عيينة عن عمرو عن الحسن وحور عين قال شديدة السواد سواد العين شديدة البياض بياض العين * قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن رجل عن الضحاك وحور عين قال بيض عين قال عظام الأعين حدثنا ابن عباس الدوري قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال الحور سود الحدق حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا ابراهيم بن محمد الأسلمي عن عباد بن منصور الباجي أنه سمع الحسن البصري يقول الحور صوالح نساء بني آدم * قال ثنا ابراهيم بن محمد عن ليث بن أبي سليم قال بلغني أن الحور العين خلقن من الزعفران حدثنا الحسن بن يزيد الطحان قال حدثتنا عائشة امرأة ليث عن ليث عن مجاهد قال خلق الحور العين من الزعفران حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا عمرو بن سعد قال سمعت ليثا ثني عن مجاهد قال حور العين خلقن من الزعفران * وقال آخرون بل معنى قوله حور أنهن يحار فيهن الطرف ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن رجل عن مجاهد وحور عين قال يحار فيهن الطرف وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله كأمثال اللؤلؤ قال أهل التأويل وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا أحمد بن الفرج الصدفي الدمياطي عن عمرو ابن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله كأمثال اللؤلؤ المكنون قال صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الاصداف الذي لا تمسه الأيدي وقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما يقول لا يسمعون فيها باطلا من القول ولا تأثيما يقول ليس فيها ما يؤثمهم وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما والتأثيم لا يسمع وانما يسمع اللغو كما قيل أكلت خبزا ولبنا واللبن لا يؤكل فجازت اذ كان معه شئ يؤكل وقوله الا قيلا سلاما سلاما يقول لا يسمعون فيها من القول الا قيلا سلاما أي اسلم مما تكره وفي نصب قوله سلاما سلاما وجهان ان شئت جعلته تابعا للقيل و يكون السلام حينئذ هو القيل فكأنه قيل لا يسمعون فيها الا

ولا تأثيما الاسلاما سلاما ولكنهم يسمعون سلاما سلاما والثانى أن يكون نصبه بوقوع القيل عليه فيكون معناه حينئذ الاقيل سلام فاذا نون نصب قوله سلاما سلاما بوقوع قيل عليه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحاب اليمين وهم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم يا محمد ما أصحاب اليمين أى شئ هم وما لهم وماذا أعد لهم من الخير وقيل انهم أطفال المؤمنين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن معمر قال ثنا أبو هشام المخزومى قال ثنا عبد الواحد قال ثنا الأعمش قال ثنا عثمان بن قيس أنه سمع زاذان أبا عمرو يقول سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين قال أصحاب اليمين أطفال المؤمنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين أى ماذا لهم وماذا أعد لهم ثم ابتدأ الخبر عما أعد لهم فى الجنة وكيف يكون حالهم اذا هم دخلوها فقال هم فى سدر مخضود يعنى فى ثمر سدر موقر حملا قد ذهب شوكه وقد اختلف فى تأويله أهل التأويل فقال بعضهم يعنى بالمخضود الذى قد خضد من الشوك فلا شوك فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله سدر مخضود قال خضده وقره من الحمل ويقال خضد حتى ذهب شوكه فلا شوك فيه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه فى سدر مخضود قال زعم محمد بن عكرمة قال لا شوك فيه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن عكرمة فى قوله فى سدر مخضود قال لا شوك فيه حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن قسامة بن زهير فى قوله فى سدر مخضود قال خضد من الشوك فلا شوك فيه حدثنا أبو حميد الحمصى أحمد بن المغيرة قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا عمرو بن عمرو بن عبد الله الاحوسى عن السفر بن نسير فى قول الله عز وجل فى سدر مخضود قال خضد شوكه فلا شوك له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فى سدر مخضود قال كنا نحدث أنه الموقر الذى لا شوك فيه حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا قتادة فى قوله فى سدر مخضود قال ليس فيه شوك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى الأحوص فى سدر مخضود قال لا شوك له حدثنا مهران عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن عكرمة فى سدر مخضود قال لا شوك فيه وحدثنى به ابن حميد مرة أخرى عن مهران بهذا الاسناد عن عكرمة فقال لا شوك له وهو الموقر * وقال آخرون بل عنى به أنه الموقر حملا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مخضود قال يقولون هذا الموقر حملا حدثنى محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى سدر مخضود قال الموقر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى سدر مخضود قال الموقر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى سدر مخضود يقول موقر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى سدر مخضود قال ثمرها أعظم من القلال وقوله وطلح منضود أما القراء فعلى قراءة ذلك بالحاء وطلح منضود وكذا هو فى مصاحف أهل الأمصار وروى عن على

والعارفون يقولون لهم انهم أهل الله وفى لفظ السبق اشارة الى ذلك (وفى جنات النعيم) اخفاء حالهم وبيان محل أجسادهم أو هى الجنة الروحانية النورانية (ثلة من الأولين) أى جماعة كثيرة من لدن آدم الى أول زمان نبينا صلى الله عليه وسلم قال أهل الاشتقاق أصل الثلة من الثل وهو الكسر كما أن الأمة من الأم وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم ثم اشتق الامام منه اذ به يحصل الأمة المقتدية به (وقليل من الآخرين) أى من هذه الأمة قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين وصدقوا بهم أكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وههنا سؤال وهو أنه كيف قال ههنا وقليل من الآخرين وفيما بعده قال وثلة من الآخرين والجواب أن الثلتين فى آية أصحاب اليمين هما جميعا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم * جواب آخر وهو أن يقال الخطاب فى قوله وكنتم أزواجا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم والأولون منهم هم الصحابة والتابعون كقوله والسابقون الأولون والآخرون منهم هم الذين يلونهم الى يوم الدين ولا ريب أن السابقين يكونون فى الأولين أكثر منهم فى الآخرين وأما أصحاب اليمين فيوجدون فى كلا القبيلين كثيرا وعلى هذا يكون الترتيب المذكور ساقطا ولا نسخ لامكان اجتماع مضمونى الخبرين فى الواقع قال الزجاج وهو قول مجاهد والضحاك يعنى جماعة ممن تبع النبى صلى الله عليه وسلم وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده وروى

ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقرأ وطلع منضود بالعين حدثنا عبدالله بن محمد الزهري قال ثنا سفيان قال ثنا زكريا عن الحسن بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قرأها طلع منضود حدثنا سعيد بن يحيي الأموي قال ثنى أبي قال ثنا مجاهد عن الحسن بن سعد عن قيس ابن سعد قال قرأ رجل عند علي وطلح منضود فقال علي ما شأن الطلح انما هو وطلع منضود ثم قرأ طلعها هضيم فقلنا أولا نحولها فقال ان القرآن لا يهاج اليوم ولا يحوّل وأما الطلح فان معمر بن المثنى كان يقول هو عند العرب شجر عظام كثير الشوك وأنشد لبعض الحداة

بشرها دليلها وقالا * غدا ترين الطلح والحبالا

وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فانهم يقولون انه هو الموز حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا سليمن التيمي عن أبي سعيد مولى بني رقاش قال سألت ابن عباس عن الطلح فقال هو الموز حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سليمن التيمي قال ثنا أبو سعيد الرقاشي أنه سمع ابن عباس يقول الطلح المنضود هو الموز حدثني يعقوب وأبو كريب قالا ثنا ابن علية عن سليمن قال ثنا أبو سعد الرقاشي قال قلت لابن عباس ما الطلح المنضود قال هو الموز حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا أبو سعيد الرقاشي قال سألت ابن عباس عن الطلح فقال هو الموز حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن التيمي عن أبي سعيد الرقاشي عن ابن عباس وطلح منضود قال الموز * قال ثنا مهران عن سفيان عن الكلبي عن الحسن بن سعيد عن علي رضي الله عنه وطلح منضود قال الموز حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن رجل من أهل البصرة أنه سمع ابن عباس يقول في الطلح المنضود هو الموز حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وطلح منضود قال موز كم لأنهم كانوا يعجبون بوج وظلاله من طلحه وسدره حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن عطاء في قوله وطلح منضود قال الموز حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة قال الطلح المنضود هو الموز * قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله وطلح منضود قال الموز حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وطلح منضود قال الموز حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وطلح منضود كنا نحدث أنه الموز حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وطلح منضود قال الله أعلم الا أن أهل اليمن يسمون الموز الطلح وقوله منضود يعني أنه قد نضد بعضه على بعض وجمع بعضه الى بعض ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وطلح منضود قال بعضه على بعض حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وطلح منضود متراكم لأنهم يعجبون بوج وظلاله من طلحه وسدره وقوله وظل ممدود يقول وهم في ظل دائم لا تنسخه الشمس فتذهبه وكل ما لا انقطاع له فانه ممدود كما قال لبيد

غلب البقاء وكنت غير مغلب * دهر طويل دائم ممدود

الواحدي في تفسيره باسناده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جميع الثلتين من أمتي وأجاب بعضهم بأنه لما نزلت الآية الاولى شق على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وزيفت هذه الرواية بظهور ورود الآية الاولى في السابقين والثانية في أصحاب اليمين وبأن النسخ لا يتضح بل لا يصح في الاخبار وبأن الآية الاولى لا توجب الحزن ولكنها تقتضي الفرح من حيث انه اذا كان السابقون في هذه الأمة موجودين وان كانوا قليلين وقد صح أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم لزم أن يكون بعض الامة مع محمد صلى الله عليه وسلم سابقين فيكونون في درجة الانبياء والرسل الماضين ولعل في قوله علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل اشارة الى هذا وأقول عندي أن الجواب الصحيح هو أن السابقين في الامم الماضية يجب أن يكونوا أكثر لان فيض الله سبحانه المقدر للنوع الانساني اذا وزع على أشخاص أقل يكون نصيب كل منهم أوفر مما لو قسم على أشخاص أكثر ولعلنا قد كتبنا في هذا المعنى رسالة وعسى أن يكون هذا سببا لخاتمة نبينا صلى الله عليه وسلم أما أصحاب اليمين وهم أهل الجنة كما قلنا فانهم كثيرون من هذه الامة لأنهم كل من آمن بالله ورسوله وعمل صالحا هذا ما سنح في الوقت والله تعالى أعلم بمراده ثم وصف حال المقربين

ونحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار وقال به أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال خمسمائة ألف سنة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن زياد مولى بنى مخزوم عن أبى هريرة قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذى أنزل التوراة على لسان موسى والفرقان على لسان محمد لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها لمن وراء سور الجنة وما فى الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن اسمعيل بن أبى خالد عن زياد مولى لبنى مخزوم أنه سمع أبا هريرة يقول ثم ذكر نحوه الا أنه قال وما فى الجنة من نهر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال مسيرة سبعين ألف سنة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو يحيى بن سليمن عن هلال بن على عن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن محمد عن زياد قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام اقرؤا ان شئتم وظل ممدود حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن محمد عن زياد قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن أبى الضحى قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين أو مائة عام هى شجرة الخلد حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها * قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها * قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة وعبد الرحمن عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها واقرؤا ان شئتم قوله وظل ممدود حدثنا أبو كريب قال ثنا فردوس قال ثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب

بقوله (على سرر موضونة) قال المفسرون أى منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت وقد دوخل بعضها فى بعض كما توضن حلق الدرع أى استقروا على السرر (متكئين) وقوله (ولدان مخلدون) أى غلمان لا يهرمون ولا يغيرون قال الفراء والعرب تقول للرجل اذا كبر ولم يشمط انه لمخلد قال ويقال مخلدون مقرطون من الخلدة وهو القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها قال جار الله روى هذا عن على رضى الله عنه والحسن قال فى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة والأكواب الاقداح المستديرة الافواه ولا آذان لها ولا عرى والاباريق ذوات الخراطيم الواحد إبريق وهو الذى يبرق لونه من صفائه والباقى مفسر فى الصافات الى قوله مما يتخيرون أى يختارون تخيرت الشئ أخذت خيره قال ابن عباس يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ومن قرأ وحور عين بالرفع فمعناه ولهم أو عندهم حور ومن خفضهما فعلى العطف المعنوى أى يكرمون أو يتنعمون بأكواب وبكذا وكذا والكاف فى قوله (كأمثال) للمبالغة فى التشبيه قوله (جزاء) مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله لأجل الجزاء قوله (ولا تأثيما) أى لا يقول بعضهم لبعض أثمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه اثم وانتصب (سلاما) على البدل من قيلا أو على أنه مفعول به أى

فى ظلها مائة عام لا يقطعها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا خالد قال ثنا عوف عن محمد ابن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم و بمثله عن خلاس حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال ثنا أبو حصين قال كنا على باب فى موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعنى الضبى فحدث أبو صالح فقال حدثنى أبو هريرة قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما فقال أبو صالح أتكذب أبا هريرة فقال ما أكذب أبا هريرة ولكنى أكذبك قال فشق على القراء يومئذ حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة وظل ممدود قال حدثنا عن أنس بن مالك قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها * قال ثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وظل ممدود قال قتادة حدثنا أنس بن مالك أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن محمد بن زياد عن أبى هريرة مثل ذلك أيضا وقوله وماء مسكوب يقول تعالى ذكره وفيه أيضا ماء مسكوب يعنى مصبوب سائل فى غير أخدود كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان وماء مسكوب قال يجرى فى غير أخدود

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين﴾ يقول وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة يقول تعالى ذكره وفيها فاكهة كثيرة لا ينقطع عنهم شئ منها أرادوه فى وقت من الأوقات كما تنقطع فواكه الصيف فى الشتاء فى الدنيا ولا يمنعهم منها ولا يحول بينهم وبينها شوك على أشجارها أو بعدها منهم كما تمتنع فواكه الدنيا من كثير ممن أرادها ببعدها على الشجرة منهم أو بما على شجرها من الشوك ولكنها اذا اشتهاها أحدهم وقعت فى فيه أو دنت منه حتى يتناولها بيده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية فيما مضى قبل ونذكر بعضا آخر منها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله لا مقطوعة ولا ممنوعة قال لا يمنعه شوك ولا بعد وقوله وفرش مرفوعة يقول تعالى ذكره ولهم فيها فرش مرفوعة طويلة بعضها فوق بعض كما يقال بناء مرفوع وكالذى حدثنا أبو كريب قال ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وفرش مرفوعة قال ان ارتفاعها لكما بين السماء والأرض وان ما بين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة عام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا عمرو عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرش مرفوعة والذى نفسى بيده ان ارتفاعها ثم ذكر مثله وقوله انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا يقول تعالى ذكره انا خلقناهن خلقا فأوجدناهن قال أبو عبيدة يعنى بذلك الحور العين اللاتى ذكرهن قبل فقال وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون انا أنشأناهن انشاء وقال الأخفش أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة انا أنشأناهن انشاء قال خلقناهن خلقا حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن شيبان عن جابر الجعفى عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية انا أنشأناهن انشاء قال من الثيب

والابكار

لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما عقيبه سلام ثم عجب من شأن أصحاب اليمين والسدر شجر النبق والمخضود الذى لا شوك له كأنه خضد شوكه وقال مجاهد هو من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب كأنه من كثرة ثمره ثنى أغصانه والطلح شجر الموز أو أم غيلان كثير النور طيب الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وفى الكشاف أن عليا عليه السلام أنكره وقال ماشأن الطلح انما هو طلع وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل أو نحولها قال آى القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول قال وعن ابن عباس نحوه قلت وفى هذه الرواية نظر لا يخفى والمنضود الذى نضد بالحمل من أوله الى آخره فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) أى ممتد منبسط كظل الطلوع والغروب لا يتقلص ويحتمل أن يراد أنه دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس والعرب تقول لكل شئ طويل لا ينقطع انه ممدود والمسكوب المصبوب يسكب لهم أين شاؤا وكيف شاؤا أو يسكبه الله فى مجاريه من غير انقطاع أو أراد أنه يجرى على الأرض فى غير أخدود (لا مقطوعة) فى بعض الاوقات (ولا ممنوعة) عن طالبيها بنحو حظيرة أو لبذل ثمن كما هو شأن البساتين والفواكه فى الدنيا (مرفوعة) أى نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة قاله على رضى الله عنه وقيل هى النساء المرفوعة على الأرائك والمرأة يكنى عنها بالفراش يدل على هذا

والأبكار وقوله فجعلناهن أبكارا يقول فصيرناهن أبكارا عذارى بعد اذ كن كما حدثنا حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن موسى بن عبيدة عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن موسى بن عبيدة عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال أنشأ عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا حدثنا عمر بن اسمعيل بن مجالد قال ثنا محمد بن ربيعة الكلابي عن موسى بن عبيدة الربذى عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله انا أنشأناهن انشاء قال منهن العجائز اللاتى كن في الدنيا عمشا رمصا حدثنا سوار بن عبد الله بن داود عن موسى بن عبيدة الربذى عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا أنشأناهن انشاء قال هن اللواتى كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا حدثنا ابن بشار قال ثنا عمرو ابن عاصم قال ثنا المعتمر عن أبيه عن قتادة عن صفوان بن محرز في قوله انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا قال فهن العجز الرمص حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة في قوله انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا قال ان منهن العجز الرجف أنشأهن الله في هذا الخلق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا أنشأناهن انشاء قال قتادة كان صفوان بن محرز يقول ان منهن العجز الرجف صيرهن الله كما تسمعون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قوله أبكارا يقول عذارى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا محمد بن الفرج الصدفى الدمياطى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين قال هن اللواتى قبضن في الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى حدثنا أبو عبيد الوصابى قال ثنا محمد بن حمير قال ثنا ثابت بن عجلان قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس في قوله انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا قال هن من بنى آدم نساء كن في الدنيا ينشئهن الله أبكارا عذارى عربا وقوله عربا يقول تعالى ذكره فجعلناهن أبكارا غنجات متحببات الى أزواجهن يحسن التبعل وهى جمع واحدهن عروب كما واحد الرسل رسول وواحد القطف قطوف ومنه قول لبيد

وفى الجزوع عروب غير فاحشة * ريا الروادف يعشى دونها البصر

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسمعيل بن أبان واسمعيل بن صبيح عن أبي ادريس عن ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس عربا أترابا قال الملقة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله عربا يقول عواشق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس عربا قال العرب المتحببات المتوددات الى أزواجهن حدثنى سليمن بن عبيد الله الغيلانى قال ثنا أيوب قال أخبرنا قرة عن الحسن قال العرب العاشق حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال في هذه الآية عربا قال العرب المغنوجة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن شعبة عن سماك عن عكرمة قال هى المغنوجة حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا عمارة

قوله (انا أنشأناهن) وعلى التفسير الأول جعل ذكر الفرش وهى المضاجع دليلا عليهن ومعنى الانشاء انه ابتدأ خلقهن من غير ولادة أو أعاد خلقهن انشاء روى الضحاك عن ابن عباس أنهن نساؤنا العجز الشمط يخلقهن الله بعد الكبر والهرم (أبكارا عربا) جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين كأزواجهن كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا من غير وجع وقوله (لأصحاب اليمين) متعلق بأنشأنا وجعلنا ثم عجب من أصحاب الشمال ومعنى (في سموم) في حرّ نار ينفذ في المسام والحميم الماء الكثير الحرارة واليحموم الدخان الأسود يفعول من الأحم وهو الأسود ثم نعت الظل بأنه حار ضار لا منفعة فيه ولا روح لمن يأوى اليه قال ابن عباس لا بارد المدخل ولا كريم المنظر قال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شئ ينوى به المدح في الاثبات أو الذم في النفى تقول هو سمين كريم وما هذه الدار بواسعة ولا بكريمة ثم ذكر أعمالهم الموجبة لهذا العقاب فقال (انهم كانوا قبل ذلك) أى في الدنيا (مترفين) متنعمين متكبرين عن التوحيد والطاعة والاخلاص (وكانوا يصرون على الحنث) وهو الذنب الكبير ووصفه بالعظم مبالغة على مبالغة تقول بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم وحنث في يمينه خلاف برّ فيها وخص جمع من المفسرين

ابن أبي حفصة عن عكرمة في قوله عربا قال غنجات حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن يمان عن أبي اسحق التيمي عن صالح بن حيان عن أبي بريدة عربا قال الشكلة بلغة مكة والغنجة بلغة المدينة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال سمعت ابراهيم التيمي يعني ابن الزبرقان عن صالح بن حيان عن أبي يزيد بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عثمان بن بشار عن تميم بن حذلم قوله عربا قال حسن تبعل المرأة حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن عثمان بن بشار عن تميم بن حذلم في عربا قال العربة الحسنة التبعل قال وكانت العرب تقول للمرأة اذا كانت حسنة التبعل انها العربة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عربا قال حسنات الكلام حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن خصيف عن مجاهد قال عواشق * قال ثنا ابن يمان عن شريك عن خصيف عن مجاهد وعكرمة مثله * قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن مجاهد في عربا قال العرب المتحببات حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن خصيف عن مجاهد عربا قال العرب العواشق حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن غالب أبي الهذيل عن سعيد بن جبير عربا قال العرب اللاتي يشتهين أزواجهن حدثني أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال المشتهية لبعولتهن * قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا عثمان بن الأسود عن عبد الله بن عبيد الله قال العرب التي تشتهي زوجها حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن عثمان بن الاسود عن عبد الله بن عبيد بن عمير عربا قال العربة التي تشتهي زوجها ألا ترى أن الرجل يقول للناقة انها لعربة حدثني ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عربا قال عشقا لأزواجهن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عربا أترابا يقول عشق لأزواجهن يحببن أزواجهن حبا شديدا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد يقول سمعت الضحاك يقول العرب المتحببات حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عربا أترابا قال متحببات الى أزواجهن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله عربا قال العرب الحسنة الكلام حدثنا ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سئل الأوزاعي عن عربا قال سمعت يحيى يقول هن العواشق حدثني أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا محمد بن الفرج الصدفي الدمياطي عن عمرو بن هاشم عن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله عربا أترابا قال عربا متعشقات متحببات أترابا على ميلاد واحد حدثني محمد ابن حفص أبو عبيد الوصابي قال ثنا محمد بن حمير قال ثنا ثابت بن عجلان قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس عربا والعرب الشوق واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة وبعض قراء الكوفيين عربا بضم العين والراء وقرأه بعض قراء الكوفة والبصرة عربا بضم العين وتخفيف الراء وهي لغة تميم وبكر والضم في الحرفين أولى القراءتين بالصواب لما ذكرت من أنها جمع عروب وان كان فعول أو فعيل أو فعال اذا جمع جمع على فعل بضم الفاء والعين مذكرا كان أو مؤنثا والتخفيف في العين جائز وان كان الذي ذكرت أقصى الكلامين عن وجه

التخفيف

فقالوا عني به الشرك وعن الشعبي هو اليمين الغموس وذلك أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون يدل عليه ما بعده وقدم مثله في الصافات واعلم أنه سبحانه ذكر في تفصيل الأزواج الثلاثة نسقا عجيبا وأسلوبا غريبا وذلك أنه لم يورد في التفصيل الا ذكر صنفين أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ثم بعد ما عجب منهما بين حال الثلاثة السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأقول وبالله التوفيق هذا كلام موجز معجز فيه لطائف خلت التفاسير عنها منها أنه طوى ذكر السابقين في أصحاب الميمنة لأن كلا من السابقين ومن أصحاب اليمين أصحاب اليمن والبركة كما أن أصحاب الشمال أهل الشؤم والنكد وكأن في هذا الطي اشارة الى الحديث القدسي أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري ومنها أن ذكر السابقين وقع في الوسط باعتبار وخير الأمور أوسطها وفي الاول باعتبار والأشراف بالتقديم أولى وفي الآخر باعتبار ليكون اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون ومنها أن مفهوم السابق متعلق بمسبوق فما لم يعرف ذات المسبوق لم يحسن ذكر السابق من حيث هو سابق فهذا ما سنح للخاطر وسمح به والله تعالى أعلم بمراده ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرر لهم ما شكوا فيه فقال (قل ان الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات) أي ينتهي أمر جميعهم الى وقت (يوم معلوم) عند الله وفيه رجوع

التخفيف وقوله أترابا يعني أنهن مستويات على سن واحدة واحدتهن ترب كما يقال شبه وأشباه
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن الحسين بن
الحرث قال ثنا محمد بن ربيعة عن سلمة بن سابور عن عطية عن ابن عباس قال الأتراب
المستويات حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أترابا قال أمثالا
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أترابا يعني سنا واحدة حدثني ابن
عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت
أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أترابا قال الأتراب المستويات
وقوله لأصحاب اليمين يقول تعالى ذكره أنشأنا هؤلاء اللواتي وصف صفتهن من الأبكار للذين
يؤخذ بهم ذات اليمين من موقف الحساب الى الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثلة من
الأولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم
لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرّون على الحنث العظيم﴾ يقول تعالى
ذكره الذين لهم هذه الكرامة التي وصف صفتها في هذه الآيات ثلتان وهي جماعتان وأمتان وفرقتان
ثلة من الأولين يعني جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وثلة من الآخرين
يقول وجماعة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال به أهل التأويل ذكر الرواية بذلك حدثنا
ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان قال قال الحسن ثلة من الأولين من الأمم وثلة من الآخرين
أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ثلة من
الأولين قال أمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا الحسن عن
حديث عمران بن حصين عن عبد الله بن مسعود قال تحدثنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة حتى أكرينا في الحديث ثم رجعنا الى أهلينا فلما أصبحنا غدونا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت عليّ الأنبياء الليلة بأتباعها من أممها فكان النبي
يجيء معه الثلة من أمته والنبي معه العصابة من أمته والنبي معه النفر من أمته والنبي معه الرجل من
أمته والنبي ما معه من أمته أحد من قومه حتى أتى عليّ موسى بن عمران في كبكبة من بني اسرائيل
فلما رأيتهم أعجبوني فقلت أي رب من هؤلاء قال هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه من
بني اسرائيل فقلت رب فأين أمتي فقيل انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال
فقلت من هؤلاء فقيل هؤلاء أمتك فقيل أرضيت فقلت رب رضيت رب رضيت قيل انظر
عن يسارك فاذا الأفق قد سد بوجوه الرجال فقلت رب من هؤلاء قيل هؤلاء أمتك فقيل
أرضيت فقلت رضيت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين ألفا من أمتك يدخلون الجنة
لا حساب عليهم قال فأنشأ عكاشة بن محصن رجل من بني أسد بن خزيمة فقال يا نبي الله ادع
ربك أن يجعلني منهم قال اللهم اجعله منهم ثم أنشأ رجل آخر فقال يا نبي الله ادع ربك أن يجعلني
منهم قال سبقك بها عكاشة فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم فدى لكم أبي وأمي ان استطعتم أن
تكونوا من السبعين فكونوا فان عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب فان عجزتم وقصرتم
فكونوا من أهل الأفق فاني رأيت ثم أناسا يتهرشون كثيرا أو قال يتهوشون قال فتراجع المؤمنون
أو قال فتراجعنا على هؤلاء السبعين فصار من أمرهم أن قالوا نراهم ناسا ولدوا في الاسلام فلم

الى أول السورة ولما كرر ذكر
المعاد بعبارات شتى ذكر طرفا من
حال المكذبين المعاصرين ومن
ضاهاهم فقال (ثم انكم أيها الضالون)
عن الهدى (المكذبون) بالبعث
(لآكلون) أي في السموم المذكور
(من شجر) هو للابتداء (من زقوم)
هو للبيان (فمالئون منها البطون)
أنث الضمير بتأويل الشجرة قال
جار الله عطف الشاربين على
الشاربين لاختلافهما اعتبارا
وذلك أن شرب الماء المتناهي
الحرارة عجيب وشربه كشرب الهيم
أعجب والهيم الابل التي بها الهيام
واذا شربت فلا تروى واحدها أهيم
والمؤنث هيماء وزنه فعل كبيض
ويجوز أن يكون جمع الهيام بفتح
الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك
كسحاب وسحب ثم خفف وفعل
به ما فعل بنحو جمع أبيض والمعنى
أنه يسلط عليهم الجوع حتى
يضطروا الى أكل الزقوم ثم يسلط
عليهم العطش الى أن يضطروا الى
شرب الحميم كالابل الهيم (نحن
خلقناكم فلولا تصدقون) بالبعث
بعد الخلق فان من قدر على البدء كان
على الاعادة أقدر ثم برهن على أنه
لا خالق الا هو فقال (أفرأيتم ما تمنون)
أي تقذفونه في الارحام يقال أمنى
النطفة ومناها وقد مر في قوله من
نطفة اذا تمنى (أأنتم تخلقونه) تقدرونه
وتصورونه ووجه الاستدلال أن
المني انما يحصل من فضلة الهضم
الرابع وهو كالطل المنبث في جميع
الاعضاء ولهذا تشترك كل
الاعضاء في لذة الوقاع ويجب
اغتسال كلها لحصول الانحلال

يزالوا يعملون به حتى ما تواعليه فنمى حديثهم ذاك الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس كذاك ولكنهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ انى لأرجوأن يكون من تبعني من أمتي ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال انى لأرجوأن تكونوا الشطر فكبرنا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثلة من الأولين وثلة من الآخرين حدثنا أبو كريب قال ثنا الحسن بن بشر البجلي عن الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن عبد الله بن مسعود قال تحدثنا ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكرينا أو أكثرنا ثم ذكر نحوه الا أنه قال فاذا الظراب ظراب مكة مسدودة بوجوه الرجال وقال أيضا فانى رأيت عنده أناسا يتهاوشون كثيرا قال فقلنا من هؤلاء السبعون ألفا فاتفق رأينا على أنهم قوم ولدوا فى الاسلام و يموتون عليه قال فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكنهم قوم لا يكتوون وقال أيضا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأرجوأن تكونوا ربع أهل الجنة فكبر أصحابه ثم قال انى لأرجوأن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبر أصحابه ثم قال انى لأرجوأن تكونوا شطر أهل الجنة ثم قرأ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عوف عن عبد الله بن الحرث قال كلهم فى الجنة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قالوا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا نعم قال والذى نفسى بيده إنى لأرجوأن تكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا هذه الآية ثلة من الأولين وثلة من الآخرين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن بديل بن كعب أنه قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون صفا منها من هذه الأمة وفى رفع ثلة وجهان أحدهما الاستئناف والآخر بقوله لأصحاب اليمين ثلتان ثلة من الأولين وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر من وجه عنه صحيح أنه قال الثلتان جميعا من أمتي ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال قال النبي صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتي وقوله وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال يقول تعالى ذكره معجبا نبيه محمدا من أهل النار وأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال من موقف الحساب الى النار ما أصحاب الشمال ماذا لهم وماذا أعدلهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال أى ماذا لهم وماذا أعدلهم وقوله فى سموم وحميم يقول هم فى سموم جهنم وحميمها وقوله وظل من يحموم يقول تعالى ذكره وظل من دخان شديد السواد والعرب تقول لكل شئ وصفته بشدة السواد أسود يحموم ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا سليمن الشيبانى قال ثنى يزيد بن الأصم قال سمعت ابن عباس يقول فى وظل من يحموم قال هو ظل الدخان حدثنا محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا قبيصة بن ليث عن الشيبانى عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت الشيبانى عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس بمثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الشيبانى عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس وظل من يحموم قال هو

الدخان

عنها جميعا فالذى قدر على جمع تلك الاغذية فى بدن الانسان ثم على جمع تلك الاجزاء الطلية فى أوعيتها ثم على تمكينها فى الرحم الى أن تتكون انسانا كاملا يقدر على جمعها بعد تفريقها بالموت المقدر بينهم بحيث لا يفوته شئ منها والى هذا أشار بقوله (ومانحن بمسبوقين على أن نبدل) أى نحن قادرون على ذلك لا يغلبنا عليه أحد يقال سبقته على الشئ اذا أعجزته عنه وغلبته عليه والأمثال جمع المثل أى على أن نبدل مكانكم أشباهكم من الخلق و (فيما لا تعلمون) أى فى خلق مالا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يريد بيان قدرته على نشأتنا فى جملة خلق تماثلنا أوخلق لا تماثلنا وجوز جار الله أن يكون جمع مثل بفتحتين والمعنى انا قادرون على تغيير صفاتكم التى أنتم عليها وانشاء صفات لا تعلمونها ثم ذكرهم النشأة الاولى ليكون تذكيرا بعد تذكير فقال (ولقد علمتم) الآية ثم دل على كمال عنايته ورحمته ببريته مع دليل آخر على قدرته قائلا (أفرأيتم ماتحرثون) من الطعام أى تبذرون حبه (أأنتم تزرعونه) أى تجعلونه بحيث يكون نباتا كاملا يستحق اسم الزرع وفى الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحد زرعت وليقل حرثت والحطام ما تحطم وتكسر من الحشيش اليابس وقوله (فظلتم) أصله فظللتم حذفت احدى اللامين للتخفيف وهو مما جاء مستعملا غير مقيس عليه ومعنى (تفكهون) تعجبون كأنه تكلف الفكاهة وعن الحسن تندمون على الانفاق

الدخان حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا ابراهيم بن طهمان عن سماك بن
حرب عن عكرمة عن ابن عباس وظل من يحموم قال الدخان حدثنى على قال ثنا أبو صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وظل من يحموم يقول من دخان حميم حدثنا
ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية
وظل من يحموم قال الدخان حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن اسمعيل بن أبى خالد عن
أبى مالك فى قوله وظل من يحموم قال دخان حميم حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ثنا ابن
المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك بمثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو
عن منصور عن مجاهد وظل من يحموم قال الدخان * قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد
مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من يحموم قال من دخان حميم
حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن سليمن الشيبانى عن يزيد بن الأصم عن
ابن عباس ومنصور عن مجاهد وظل من يحموم قالا دخان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا
ابن ثور عن معمر عن قتادة وظل من يحموم قال من دخان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة وظل من يحموم كانت تحدث أنها ظل الدخان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد فى قوله وظل من يحموم قال ظل الدخان دخان جهنم زعم ذلك بعض أهل العلم
وقوله لا بارد ولا كريم يقول تعالى ذكره ليس ذلك الظل ببارد كبرد ظلال سائر الاشياء ولكنه
حار لأنه دخان من سعير جهنم وليس بكريم لأنه مؤلم من استظل به والعرب تتبع كل منفى عنه
صفة حمد نفى الكرم عنه فتقول ماهذا الطعام بطيب ولا كريم وماهذا اللحم بسمين ولا كريم وما
هذه الدار بنظيفة ولا كريمة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا النضر قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله لا بارد
ولا كريم قال كل شراب ليس بعذب فليس بكريم وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا بارد ولا كريم قال لا بارد المنزل ولا كريم
المنظر وقوله انهم كانوا قبل ذلك مترفين يقول تعالى ذكره ان هؤلاء الذين وصف صفتهم
من أصحاب الشمال كانوا قبل أن يصيبهم من عذاب الله ما أصابهم فى الدنيا مترفين يعنى منعمين
كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس انهم
كانوا قبل ذلك مترفين يقول منعمين وقوله وكانوا يصرّون على الحنث العظيم يقول جل ثناؤه
وكانوا يقيمون على الذنب العظيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يصرون
يدمنون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال
ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يدهنون أو يدمنون حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكانوا يصرّون قال لا يتوبون ولا يستغفرون
والاصرار عند العرب على الذنب الاقامة عليه وترك الاقلاع عنه وقوله على الحنث العظيم يعنى
على الذنب العظيم وهو الشرك بالله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن

عليه والتعب فيه أو على المعاصى
التى تكون سببا لذلك من قرأ (انا)
بالخبر فواضح ويحسن تقدير القول
أولا بد منه ومن قرأ بالاستفهام
فللتعجب ولا بد من تقدير القول
أيضا ومعنى (لمغرمون) لمهلكون من
الغرام الهلاك لهلاك الرزق أو من
الغرامة أى لملزمون غرامة ما أنفقنا
(بل نحن) قوم (محرومون) لا حظ لنا
ولو كنا مجدودين لما جرى علينا ما
جرى ورفضوا العجب من حالهم
ثم أسندوا ذلك الى ما كتب عليهم
فى الأزل من الادبار وسوء القضاء
نعوذ بالله منهما ثم ذكر دليلا آخر مع
كونه نعمة أخرى وهو انزال الماء
من المزن وهو السحاب الأبيض
خاصة والاجاج الماء الملح اكتفى
باللام الأولى فى جواب لو عن
اشاعة الثانية وهى ثابتة فى المعنى
لأن شرطية لو غير واضحة ليس الا
أن الثانى امتنع لامتناع الأول وهذا
أمر وهمى فاحتيج فى الربط الى
اللام التوكيدى ويمكن أن يقال ان
المطعوم مقدم على أمر المشروب
والوعيد بفقده أشد وأصعب فلهذا
خصت آية المطعوم باللام المفيدة
للتأكيد وانما ختم الآية بقوله (فلولا
تشكرون) لأنه وصف الماء بقوله
الذى تشربون ولم يصف المطعوم
بالأكل أولأنه قال أأنتم أنزلتموه من
المزن وهذا لا عمل للآدمى فيه أصلا
بخلاف الحرث أو لأن الشرب من
تمام الأكل فيعود الشكر الى
النعمتين جميعا ثم عد نعمة اخرى
من قبيل ما مر ومعنى (تورون)
تقدحونها وتستخرجونها من
الشجر وقد سبق ذكرها فى آخر
يس واعلم أنه سبحانه بدأ فى هذه

قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد على الحنث العظيم قال على الذنب حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا أبو تميلة قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك فى قوله الحنث العظيم قال الشرك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله على الحنث العظيم يعنى الشرك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة الحنث العظيم قال الذنب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وكانوا يصرّون على الحنث العظيم قال الحنث العظيم الذنب العظيم قال وذلك الذنب العظيم الشرك لايتوبون ولايستغفرون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكانوا يصرون على الحنث العظيم وهو الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن ابن جريج عن مجاهد على الحنث العظيم قال الذنب العظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل ان الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم﴾ يقول تعالى ذكره وكانوا يقولون كفرا منهم بالبعث وانكارا لاحياء الله خلقه من بعد مماتهم أئذا كنا ترابا فى قبورنا من بعد مماتنا وعظاما نخرة أئنا لمبعوثون منها أحياء كما كنا قبل الممات أو آباؤنا الأولون الذين كانوا قبلنا وهم الأولون يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء ان الأولين من آبائكم والآخرين منكم ومن غيركم لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وذلك يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب الشمال ثم انكم أيها الضالون عن طريق الهدى المكذبون بوعيد الله ووعده لآكلون من شجر من زقوم وقوله فمالئون منها البطون يقول فمالئون من الشجر الزقوم بطونهم واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث الشجر فى قوله فمالئون منها البطون أى من الشجر فشاربون عليه لأن الشجر تؤنث وتذكر وأنث لأنه حمله على الشجرة لأن الشجرة قد تدل على الجميع فتقول العرب نبتت قبلنا شجرة مرة وبقلة رديئة وهم يعنون الجميع وقال بعض نحويى الكوفة لآكلون من شجر من زقوم وفى قراءة عبد الله لآكلون من شجرة من زقوم على واحدة فمعنى شجر وشجرة واحد لأنك اذا قلت أخذت من الشاء فان نويت واحدة أو أكثر من ذلك فهو جائز ثم قال فمالئون منها البطون يريد من الشجرة ولو قال فمالئون منه اذا لم يذكر الشجر كان صوابا يذهب الى الشجر فى منه ويؤنث الشجر فيكون منها كناية عن الشجر والشجر يؤنث ويذكر مثل التمر يؤنث ويذكر * والصواب من القول فى ذلك عندنا القول الثانى وهو أن قوله فمالئون منها مراد به من الشجر أنث للمعنى وقال فشاربون عليه مذكرا للفظ الشجر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ يقول تعالى ذكره فشارب أصحاب الشمال على الشجر من الزقوم اذا أكلوه فملئوا منه بطونهم من الحميم الذى انتهى غليه وحره وقد قيل ان معنى قوله فشاربون عليه فشاربون على الأكل من الشجر من الزقوم وقوله فشاربون شرب الهيم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة شرب الهيم بضم الشين وقرأ ذلك بعض قراء مكة والبصرة والشام شرب الهيم اعتلالا بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأيام منى انها أيام أكل وشرب * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع تقارب معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فى قراءته لأن ذلك فى فتحه وضمه نظير فتح قولهم الضعف

والضعف

الدلائل بذكر خلق الانسان لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم أعقبه بذكر ما فيه قوام الناس وقيام معايشهم وهو الحب ثم أتبعه الماء الذى به يتم العجين ثم ختم بالنار التى بها يحصل الخبز وذكر عقيب كل واحد ما يأتى عليه ويفسده فقال فى الاولى نحن قدرنا بينكم الموت وفى الثانية لو نشاء لجعلناه حطاما وفى الثالثة لو نشاء جعلناه أجاجا ولم يقل فى الرابعة ما يفسدها بل قال (نحن جعلناها تذكرة) تتعظون بها ولا تنسون نار جهنم كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزأ من جهنم (ومتاعا) وسبب تمتع ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهى القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام فى السفر من أقوى الرجل اذا لم يأكل شيأ من أيام وفى نسق هذه الآيات بشارة للمؤمنين وذلك أنه سبحانه بدأ بالوعيد الشديد وهو تغيير ذات الانسان بالكلية فى قوله وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم ثم ترك ذلك المقام الى أسهل منه وهو تغيير قوته ذاتا فقال لو نشاء لجعلناه حطاما ثم عقبه بأسهل وهو تغيير مشروبه نعتا لا ذاتا ولهذا حذف اللام فى قوله لو نشاء جعلناه أجاجا ويحتمل عندى أن يكون سبب حذف اللام هو كون لو بمعنى ان وذلك أن الماء باق ههنا فيكون التعليق حقيقة بخلاف الزرع فانه بعد أن حصد صار التعليق المذكور وهميا فافهم ثم ختم بتذكير النار

والضعف وضمه وأما الهيم فانها جمع أهيم والأنثى هيماء والهيم الابل التى يصيبها داء فلا تروى من الماء ومن العرب من يقول هائم والانثى هائمة ثم يجمعونه على هيم كما قالوا عائط وعيط وحائل وحول ويقال ان الهيم الرمل بمعنى أن أهل النار يشربون الحميم شرب الرمل الماء ذكر من قال عنى بالهيم الابل العطاش حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله شرب الهيم يقول شرب الابل العطاش حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فشاربون شرب الهيم قال الابل الظماء حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عمران بن حدير عن عكرمة فى قوله فشاربون شرب الهيم قال هى الابل المراض تمص الماء مصا ولا تروى حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فى قوله فشاربون شرب الهيم قال الابل يأخذها العطاش فلا تزال تشرب حتى تهلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن خصيف عن عكرمة فشاربون شرب الهيم قال هى الابل يأخذها العطاش * قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن عباس قال هى الابل العطاش حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله شرب الهيم قال الابل الهيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فشاربون شرب الهيم الهيم الابل العطاش تشرب فلا تروى يأخذها داء يقال له الهيام حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فشاربون شرب الهيم قال داء بالابل لا تروى معه * ذكر من قال هى الرملة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان فشاربون شرب الهيم قال السهلة وقوله هذا نزلهم يوم الدين يقول تعالى ذكره هذا الذى وصفت لكم أيها الناس أن هؤلاء المكذبين الضالين يأكلونه من شجر من زقوم يشربون عليه من الحميم هو نزلهم الذى ينزلهم ربهم يوم الدين يعنى يوم يدين الله عباده وقوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون يقول تعالى ذكره لكفار قريش والمكذبين بالبعث نحن خلقناكم أيها الناس ولم تكونوا شيأ فأوجدناكم بشرا فهلا تصدقون من فعل ذلك بكم فى قيله لكم انه يبعثكم بعد مماتكم وبلاكم فى قبوركم كهيآتكم قبل مماتكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث أفرأيتم أيها المنكرون قدرة الله على احيائكم من بعد مماتكم النطف التى تمنون فى أرحام نسائكم أأنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون وقوله نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين يقول تعالى ذكره نحن قدرنا بينكم أيها الناس الموت فعجلناه لبعض وأخرناه عن بعض الى أجل مسمى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قدرنا بينكم الموت قال المستأخر والمستعجل وقوله وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم يقول تعالى ذكره وما نحن بمسبوقين أيها الناس فى أنفسكم وآجالكم ففتات علينا فيها فى الأمر الذى قدرناه لها من حياة وموت بل لا يتقدم شئ منها أجلنا ولا يتأخر عنه وقوله على أن نبدل أمثالكم يقول على أن نبدل منكم أمثالكم بعد مهلككم فنجىء بآخرين من جنسكم وقوله

وفيه وعد من وجه ووعيد من وجه أما الأول فلانه لم يبين ما يفسدها كما قلنا فهذا يدل على أن الختم وقع على الرأفة والرحمة وأما الثانى فلان عدم ذكر مفسدها يدل على بقائها فى الآخرة وفى قوله تذكرة اشارة الى ما قلنا ثم أمر باحداث التسبيح بذكره أو بذكر اسمه العظيم تنزيها له عما يقول الكافرون به وبنعمته وبقدرته على البعث ثم عظم شأن القرآن بقوله (فلا أقسم) أى فأقسم والعرب تزيد لا قبل فعل أقسم كأنه ينفى ما سوى المقسم عليه فيفيد التأكيد ومواقع النجوم مساقطها ومغاربها ولا ريب أن لأواخر الليل خواص شريفة ولهذا قال سبحانه والمستغفرين بالأسحار وعن سفيان الثورى ان الله تعالى ريحا تهب وقت الأسحار تحمل الأذكار والاستغفار الى الملك الجبار وقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض فيه اعتراض ومواقعها منازلها ومسايرها فى أبراجها أوهى أوقات نزول نجوم القرآن الكريم الحسن المرضى من بين جنس الكتب أو كرمه نفعه للمكلفين أو هو كرامته على الله عزوجل (فى كتاب مكنون) مستور الا على من أراد الله تعالى اطلاعه على أسراره من ملائكته المقربين وهو اللوح (لا يمسه) ان كان الضمير للكتاب فالمعنى أنه لا يصل الى ما فيه (الا) عبيده (المطهرون) من الأدناس الجسمية وهم الكروبيون وان كان للقرآن فالمراد أنه لا ينبغى أن يمسه الا من هو على الطهارة الباطنة والظاهرة فلا يمسه كافر ولا جنب

وننشئكم فيما لاتعلمون يقول ونبدلكم عما تعلمون من أنفسكم فيما لاتعلمون منها من الصور وبنحو
الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد فى قوله وننشئكم فى أى خلق شئنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أءنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ يقول تعالى ذكره
ولقد علمتم أيها الناس الاحداثة الاولى التى أحدثناكموها ولم تكونوا من قبل ذلك شيأ وبنحو
الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد فى قوله النشأة الأولى قال اذ لم تكونوا شيأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله ولقد علمتم النشأة الأولى يعنى خلق آدم لست سائلا أحدا من الخلق الا
أنبأك أن الله خلق آدم من طين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة
ولقد علمتم النشأة الأولى قال هو خلق آدم حدثنى محمد بن موسى الحرسى قال ثنا جعفر بن
سليمن قال سمعت أبا عمران الجونى يقرأ هذه الآية ولقد علمتم النشأة الأولى قال هو خلق آدم
وقوله أفلا تذكرون يقول تعالى ذكره فهلا تذكرون أيها الناس فتعلموا أن الذى أنشأكم النشأة
الأولى ولم تكونوا شيأ لايتعذر عليه أن يعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء وقوله أفرأيتم ما تحرثون
يقول تعالى ذكره أفرأيتم أيها الناس الحرث الذى تحرثونه أءنتم تزرعونه أم نحن الزارعون يقول
أءنتم تصيرونه زرعا أم نحن نجعله كذلك وقد حدثنى أحمد بن الوليد القرشى قال ثنا مسلم
ابن أبى مسلم الحرمى قال ثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن محمد عن أبى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقولن زرعت ولكن قل حرثت قال أبو هريرة ألم تسمع الى قول
الله أفرأيتم ما تحرثون أءنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لو نشاء
لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون﴾ يقول تعالى ذكره لو نشاء جعلنا
ذلك الزرع الذى زرعناه حطاما يعنى هشيما لاينتفع به فى مطعم وغذاء وقوله فظلتم تفكهون
اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك فظلتم تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم
من المصيبة باحتراقه وهلاكه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال
ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فظلتم تفكهون قال تعجبون حدثنا
ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فظلتم تفكهون قال تعجبون
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فظلتم تفكهون قال تعجبون
* وقال آخرون معنى ذلك فظلتم تلاومون بينكم فى تفريطكم فى طاعة ربكم جل ثناؤه حتى نالكم
بما نالكم من اهلاك زرعكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح
قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فى قوله فظلتم تفكهون يقول تلاومون * قال ثنا مهران
عن سفيان عن سماك بن حرب البكرى عن عكرمة فظلتم تفكهون قال تلاومون * وقال آخرون
بل معنى ذلك فظلتم تندمون على ما سلف منكم فى معصية الله التى أوجب لكم عقوبته حتى نالكم
فى زرعكم ما نالكم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنى ابن علية عن
أبى رجاء عن الحسن فظلتم تفكهون قال تندمون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

عن

ولامحدث ومن الناس من حرم
قراءة القرآن عند الحدث الاصغر
أيضا وعن ابن عباس فى رواية
وهو مذهب الامامية اباحة قراءته
فى الجنابة الا فى أربع سور فيها سجدة
التلاوة لأن سجدتها واجبة عندهم
ثم وبخ المتهاونين بشأن القرآن فقال
(أفبهذا الحديث) أى بالقرآن
أو بهذا الكلام الدال على حقيقة
القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون
من أدهن فى الامر اذا لان جانبه
ولايتصلب فيه (وتجعلون رزقكم)
أى شكر رزقكم (أنكم تكذبون)
بالبعث وبما دل عليه القرآن ومن
أظلم ممن وضع التكذيب موضع
الشكر كأنه عاد الى ما انجر منه
الكلام وهو ذكر تعداد النعم من
قوله أفرأيتم ما تحرثون الى قوله
للمقوين وقيل نزلت فى الأنواء
ونسبتهم الامطار اليها يعنى وتجعلون
شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم
تكذبون بكونه من الله عز وجل
وتنسبونه الى النجوم ثم زاد فى توبيخ
الانسان على جحد أفعال الله وآياته
وترتيب الآية بالنظر الى أصل المعنى
هو أن يقال فلولا ترجعون
الارواح الى الابدان اذا بلغت
الحلقوم ان كنتم غير مدينين فزاد
فى الكلام توكيدات منها تكرير فلولا
التحضيضية لطول الفصل كما كرر
قوله فلا تحسبنهم بعد قوله لاتحسبن
الذين يفرحون ومنها تقديم الظرف
وهو قوله اذا بلغت الحلقوم أى
النفس وانما أضمرت للعلم بها
كقوله ما ترك على ظهرها وانما
قدم الظرف للعناية فانه لاوقت
لكون الانسان أحوج الى التصرف

عن قتادة قوله فظلتم تفكهون قال تندمون * وقال آخرون بل معنى ذلك فظلتم تعجبون ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فظلتم تفكهون قال تعجبون حين صنع بحرثكم ما صنع به وقرأ قول الله عز وجل انا لمغرمون بل نحن محرومون وقرأ قول الله واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين قال هؤلاء ناعمين وقرأ قول الله جل ثناؤه فأخرجناهم من جنات وعيون الى قوله كانوا فيها فاكهين * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى فظلتم فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم وأصله من التفكه بالحديث اذا حدث الرجل الرجل بالحديث يعجب منه ويلهى به فكذلك ذلك وكأن معنى الكلام فأقمتم تتعجبون يعجب بعضكم بعضا مما نزل بكم وقوله انا لمغرمون اختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم انا لمولع بنا ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن الحباب قال أخبرنى الحسين بن واقد قال ثنى يزيد النحوى عن عكرمة فى قول الله تعالى ذكره انا لمغرمون قال انا لمولع بنا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال مجاهد فى قوله انا لمغرمون أى لمولع بنا * وقال آخرون بل معنى ذلك انا لمعذبون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا لمغرمون أى معذبون * وقال آخرون بل معنى ذلك انا لملقون للشر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انا لمغرمون قال ملقون للشر * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه انا لمعذبون وذلك أن الغرام عند العرب العذاب ومنه قول الأعشى

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ * ـط جزيلا فانه لا يبالى

يعنى بقوله يكن غراما يكن عذابا وفى الكلام متروك اكتفى بدلالة الكلام عليه وهو فظلتم تفكهون تقولون انا لمغرمون فترك تقولون من الكلام لما وصفنا وقوله بل نحن محرومون يعنى بذلك تعالى ذكره أنهم يقولون ما هلك زرعنا وأصبنا به من أجل إنا لمغرمون ولكنا قوم محرومون يقول انهم غير مجدودين ليس لهم جد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بل نحن محرومون قال حورفنا فحرمنا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله بل نحن محرومون قال أى محارفون

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون أءنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره أفرأيتم أيها الناس الماء الذى تشربون أءنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم الى قرار الارض أم نحن منزلوه لكم وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله المزن قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من المزن قال السحاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أءنتم أنزلتموه من المزن أى من السحاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أءنتم أنزلتموه من المزن قال المزن السحاب اسمها أنزلتموه من المزن قال السحاب حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

والتدبير منه ولانه أراد أن يرتب الاعتراضات عليه ومنها زيادة الجمل المعترضة وهى قوله (وأنتم) يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) اليه (ونحن أقرب اليه منكم) بالقدرة والعلم أو بملائكة الموت (ولكن لا تبصرون) لا بالبصر ولا بالبصيرة ومعنى مدينين مربوبين مملوكين مقهورين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ومنها قوله (ان كنتم صادقين) فانه شرط زائد على شرط أى ان كنتم صادقين ان كنتم غير مدينين فارجعوا الأرواح الى أبدانكم ممتنعين عن الموت والحلقوم الحلق وهو مجرى النفس والواو والميم زائدان ووزنه فعلوم ويمكن أن يقال ان فعل فلولا الأول محذوف يدل عليه ما قبله والمعنى تكذبون مدة حياتكم جاعلين التكذيب رزقكم ومعاشكم فلولا تكذبون وقت الموت وأنتم فى ذلك الوقت تعلمون الأحوال وتشاهدونها ويحتمل أن يكون معنى مدينين مقيمين من مدن اذا أقام والمعنى ان كنتم على ما تزعمون من أنكم لا تبقون فى العذاب الا أياما معدودة فلم لا ترجعون أنفسكم الى الدنيا ان لم تكن الآخرة دار الاقامة ويجوز أن يكون من الدين بمعنى الجزاء والمعنى يؤول الى الأول لأن الجزاء نوع من القهر والتسخير ويحتمل عندى أن يكون الضمير فى ترجعونها عائدا الى ملائكة الموت بدليل قوله (ونحن أقرب) والمعنى فلولا تردون عن ميتكم ملائكة الموت ان كنتم غير مقهورين تحت قدرتنا وارادتنا

في قوله أنزلتموه من المزن قال المزن السماء والسحاب وقوله لو نشاء جعلناه أجاجا يقول تعالى ذكره لو نشاء جعلنا ذلك الماء الذي أنزلناه لكم من المزن ملحا وهو الأجاج والأجاج من الماء ما اشتدت ملوحته يقول لو نشاء فعلنا ذلك به فلم تنتفعوا به في شرب ولا غرس ولا زرع وقوله فلولا تشكرون يقول تعالى ذكره فهلا تشكرون ربكم على اعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لشربكم ومنافعكم وصلاح معايشكم وتركه أن يجعله أجاجا لا تنتفعون به ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين﴾ يقول تعالى ذكره أفرأيتم أيها الناس النار التي تستخرجون من زندكم أأنتم أنشأتم شجرتها يقول أأنتم أحدثتم شجرتها واخترعتم أصلها أم نحن المنشئون يقول أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه وقوله نحن جعلناها تذكرة يقول نحن جعلنا النار تذكرة لكم تذكرون بها نار جهنم فتعتبرون وتتعظون بها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تذكرة قال تذكرة النار الكبرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة للنار الكبرى ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا يا نبي الله ان كانت لكافية قال قد ضربت بالماء ضربتين أو مرتين ليستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن مجاهد تذكرة قال للنار الكبرى التي في الآخرة وقوله ومتاعا للمقوين اختلف أهل التأويل في معنى المقوين فقال بعضهم هم المسافرون ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله للمقوين قال للمسافرين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومتاعا للمقوين قال يعني المسافرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومتاعا للمقوين قال للرمل المسافر حدثني ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله للمقوين قال للمسافرين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومتاعا للمقوين قال للمسافرين * وقال آخرون عني بالمقوين المستمتعون بها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومتاعا للمقوين للمستمتعين الناس أجمعين حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن مجاهد ومتاعا للمقوين للمستمتعين المسافر والحاضر حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب الشهيد قال ثنا عتاب بن بشر عن خصيف في قوله ومتاعا للمقوين قال للخلق * وقال آخرون بل عني بذلك الجائعون ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومتاعا للمقوين قال المقوي الجائع وفي كلام العرب يقول أقويت منه كذا وكذا ما أكلت منه منذ كذا وكذا شيأ * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال عني بذلك للمسافر الذي لا زاد معه ولا شيء له وأصله من قولهم أقوت الدار اذا خلت من أهلها وسكانها كما قال الشاعر

وحين بين أنه لا قدرة لهم على رجع الحياة والنفس الى البدن وأنهم مجزيون في دار الاقامة فصل حال المكلف بعد الموت قائلا (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) أي من السابقين من الأزواج الثلاثة (فروح) أي فله استراحة وهذا أمر يعم الروح والبدن (وريحان) أي رزق وهذا للبدن (وجنة نعيم) وهذا للروح يتنعم بلقاء المليك المقتدر ويروى ان المؤمن لا يخرج من الدنيا الا ويؤتى اليه بريحان من الجنة يشمه (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك) أيها النبي (من أصحاب اليمين) أي أنت سالم من شفاعتهم هذا قول كثير من المفسرين وقال جار الله فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين كقوله وتحيتهم فيها سلام (ان هذا) القرآن أو الذي أنزل في هذه السورة (لهو حق اليقين) أي الحق الثابت من اليقين وهو علم يحصل به ثلج الصدر ويسمى ببرد اليقين وقد يسمى العلم الحاصل بالبرهان فالاضافة بمعنى من كقولك خاتم فضة وهذا في الحقيقة لا يفيد سوى التأكيد كقولك حق الحق وصواب الصواب أي غايته ونهايته التي لا وصول فوقه أو المراد هذا هو اليقين حقا لا اليقين الذي يظن أنه يقين ولا يكون كذلك في نفس الامر هذا ما قاله أكثر المفسرين وقيل الاضافة فيه كما في جانب الغربي ومسجد الجامع أي حق الامر اليقين ويحتمل أن تكون الاضافة كما في قولنا حق النبي أن يصلى عليه وحق المال أن تؤدى

أقوى وأقفر من نعم وغيرها * هوج الرياح بهابي الترب موّار

يعني بقوله أقوى خلا من سكانه وقد يكون المقوى ذا الفرس القوى وذا المال الكثير فى غير هذا الموضع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك العظيم فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسبح يا محمد بذكر ربك العظيم وتسميته وقوله فلا أقسم بمواقع النجوم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فلا أقسم بمواقع النجوم فقال بعضهم عنى بقوله فلا أقسم أقسم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير فلا أقسم قال أقسم * وقال بعض أهل العربية معنى قوله فلا فليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد فقيل أقسم وقوله بمواقع النجوم اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه فلا أقسم بمنازل القرآن وقالوا أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزل القرآن فى ليلة القدر من السماء العليا الى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق فى السنين بعد قال وتلا ابن عباس هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم قال نزل متفرقا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فى قوله فلا أقسم بمواقع النجوم قال أنزل الله القرآن نجوما ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن عكرمة ان القرآن نزل جميعا فوضع بمواقع النجوم فجعل جبريل يأتى بالسورة وانما نزل جميعا فى ليلة القدر حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مجاهد فلا أقسم بمواقع النجوم قال هو محكم القرآن حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال مستقر الكتاب أوله وآخره * وقال آخرون بل معنى ذلك فلا أقسم بمساقط النجوم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بمواقع النجوم قال فى السماء ويقال مطالعها ومساقطها حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا أقسم بمواقع النجوم أى مساقطها * وقال آخرون بل معنى ذلك بمنازل النجوم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فلا أقسم بمواقع النجوم قال بمنازل النجوم * وقال آخرون بل معنى ذلك بانتثار النجوم عند قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فلا أقسم بمواقع النجوم قال قال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبها فى السماء وذلك أن المواقع جمع موقع والموقع المفعل من وقع يقع موقعا فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا فى ذلك ولذلك قلنا هو أولى معانيه به واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة بموقع على التوحيد وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين بمواقع على الجماع * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ

زكاته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها أى الا بحق هذه الكلمة ومن حقها أداء الزكاة والصلاة فكذلك حق اليقين الاعتراف بما قال الله سبحانه فى شأن الازواج الثلاثة وعلى هذا يحتمل أن يكون اليقين بمعنى الموت كقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال أهل اليقين للعلم ثلاث مراتب أولها علم اليقين وهو مرتبة البرهان وثانيها عين اليقين وهو أن يرى المعلوم عيانا فليس الخبر كالمعاينة وثالثها حق اليقين وهو أن يصير العالم والمعلوم والعلم واحدا ولعله لا يعرف حق هذه المرتبة الا من وصل اليها كما أن طعم العسل لا يعرفه إلا من ذاقه بشرط أن لا يكون مزاجه ومذاقه فاسدين روى جمع من المفسرين أن عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود فى مرضه الذى مات فيه فقال له ما تشتكى قال ذنوبى قال ما تشتهى قال رحمة ربى قال أفلا ندعو الطبيب قال الطبيب أمرضنى قال أفلا نأمر بعطائك قال لا حاجة لى فيه قال تدفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبدا

﴿سورة الحديد مدنية وقيل مكية حروفها ١٤٧٤ كلماتها ٥٤٤ آياتها ٢٩﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله ما فى السموات والارض

فمصيب وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم يقول تعالى ذكره وان هذا القسم الذى أقسمت لقسم
لو تعلمون ماهو وماقدره قسم عظيم هو من المؤخر الذى معناه التقديم وانما هو وانه لقسم عظيم
لو تعلمون عظمه وقوله انه لقرآن كريم يقول تعالى ذكره فلا أقسم بمواقع النجوم ان هذا القرآن
لقرآن كريم والهاء فى قوله انه من ذكر القرآن وقوله فى كتاب مكنون يقول تعالى ذكره هو فى كتاب
مصون عند الله لا يمسه شئ من أذى من غبار ولا غيره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنى اسمعيل بن موسى قال أخبرنا شريك عن حكيم عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس لا يمسه الا المطهرون الكتاب الذى فى السماء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن
أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فى كتاب مكنون قال القرآن فى كتابه المكنون الذى لا يمسه شئ من
تراب ولا غبار حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك
يقول فى قوله لا يمسه الا المطهرون زعموا أن الشياطين تنزلت به على محمد فأخبرهم الله أنها لا تقدر
على ذلك ولا تستطيعه وما ينبغى لهم أن ينزلوا بهذا وهو محجوب عنهم وقرأ وما ينبغى لهم
وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا
عبيد الله يعنى العتكى عن جابر بن زيد وأبى نهيك فى قوله فى كتاب مكنون قال هو كتاب فى السماء
قوله لا يمسه الا المطهرون يقول تعالى ذكره لا يمس ذلك الكتاب المكنون الا الذين قد طهرهم الله
من الذنوب واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله الا المطهرون فقال بعضهم هم الملائكة
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن
أبيه عن ابن عباس قال اذا أراد الله أن ينزل كتابا نسخته السفرة فلا يمسه الا المطهرون قال يعنى
الملائكة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الربيع بن أبى راشد
عن سعيد بن جبير لا يمسه الا المطهرون قال الملائكة الذين فى السماء حدثنا ابن حميد قال ثنا
مهران عن سفيان عن الربيع بن أبى راشد عن سعيد بن جبير لا يمسه الا المطهرون قال الملائكة
حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن الربيع بن أبى راشد عن سعيد بن جبير
لا يمسه الا المطهرون قال الملائكة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله
يعنى العتكى عن جابر بن زيد وأبى نهيك فى قوله لا يمسه الا المطهرون يقول الملائكة * قال
ثنا مهران عن سفيان عن أبيه عن عكرمة لا يمسه الا المطهرون قال الملائكة حدثنى محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لا يمسه الا المطهرون قال الملائكة حدثنا ابن حميد
قال ثنا جرير عن عاصم عن أبى العالية لا يمسه الا المطهرون قال الملائكة * وقال آخرون هم
حملة التوراة والانجيل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان
عن أبيه عن عكرمة لا يمسه الا المطهرون قال حملة التوراة والانجيل * وقال آخرون فى ذلك هم
الذين قد طهروا من الذنوب كالملائكة والرسل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا مروان قال أخبرنا عاصم الأحول عن أبى العالية الرياحى فى قوله لا يمسه الا المطهرون
قال ليس أنتم أنتم أصحاب الذنوب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله
لا يمسه الا المطهرون قال الملائكة والأنبياء والرسل التى تنزل به من عند الله مطهرة والأنبياء
مطهرة فجبريل ينزل به مطهر والرسل الذين تجيئهم به مطهرون فذلك قوله لا يمسه الا المطهرون

وهو العزيز الحكيم له ملك
السموات والارض يحيى ويميت
وهو على كل شئ قدير هو الأول
والآخر والظاهر والباطن وهو
بكل شئ عليم هو الذى خلق
السموات والأرض فى ستة أيام
ثم استوى على العرش يعلم
ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما
ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
معكم أينما كنتم والله بما تعملون
بصير له ملك السموات والأرض
والى الله ترجع الأمور يولج الليل فى
النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم
بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله
وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر
كبير ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول
يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ
ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذى
ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم
من الظلمات الى النور وان الله بكم
لرؤف رحيم ومالكم ألا تنفقوا فى
سبيل الله ولله ميراث السموات
والأرض لا يستوى منكم من أنفق
من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم
درجة من الذين أنفقوا من بعد
وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله
بما تعملون خبير من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له
وله أجر كريم يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم
وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات
تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها
ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول
المنافقون والمنافقات للذين آمنوا
انظرونا نقتبس من نوركم قيل
ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب

والملائكة والأنبياء والرسل من الملائكة والرسل من بنى آدم فهؤلاء ينزلون به مطهرون وهؤلاء يتلونه على الناس مطهرون وقرأ قول الله بأيدى سفرة كرام بررة قال بأيدى الملائكة الذين يحصون على الناس أعمالهم * وقال آخرون عنى بذلك أنه لا يمسه عند الله الا المطهرون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يمسه الا المطهرون ذاكم عند رب العالمين فأما عندكم فيمسه المشرك النجس والمنافق الرجس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله لا يمسه الا المطهرون قال لا يمسه عند الله الا المطهرون فأما فى الدنيا فانه يمسه المجوسى النجس والمنافق الرجس وقال فى حرف ابن مسعود ما يمسه الا المطهرون * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون الا المطهرون فعم بخبره المطهرين ولم يخصص بعضا دون بعض فالملائكة من المطهرين والرسل والأنبياء من المطهرين وكل من كان مطهرا من الذنوب فهو ممن استثنى وعنى بقوله الا المطهرون وقوله تنزيل من رب العالمين يقول هذا القرآن تنزيل من رب العالمين نزله من الكتاب المكنون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله العتكى عن جابر بن زيد وأبى نهيك فى قوله تنزيل من رب العالمين قال القرآن ينزل من ذلك الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ يقول تعالى ذكره أفبهذا القرآن الذى أنبأتكم خبره وقصصت عليكم أمره أيها الناس أنتم تلينون القول للمكذبين به ممالأة منكم لهم على التكذيب به والكفر واختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم فى ذلك نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أفبهذا الحديث أنتم مدهنون قال تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا اليهم * وقال آخرون بل معناه أفبهذا الحديث أنتم مكذبون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أفبهذا الحديث أنتم مدهنون يقول مكذبون غير مصدّقين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أنتم مدهنون يقول مكذبون وقوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون يقول وتجعلون شكر الله على رزقه اياكم التكذيب وذلك كقول القائل لآخر جعلت احسانى اليك اساءة منك الىّ بمعنى جعلت شكر احسانى أو ثواب احسانى اليك اساءة منك الىّ وقد ذكر عن الهيثم بن عدى أن من لغة أزدشنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف فيه منهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنى عبد الأعلى التعلبى عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على رضى الله عنه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن عبد الأعلى التعلبى عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على رفعه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا يحيى بن أبى بكر عن اسرائيل عن عبد الأعلى عن أبى عبد الرحمن عن علىّ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم أنكم تكذبون قال يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال

بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانىّ حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدّقين والمصدّقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا

ما مطر قوم قط الا أصبح بعضهم كافرا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وقرأ ابن عباس وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا معاذ بن سليمن عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرأ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ثم قال ما مطر الناس ليلة قط الا أصبح بعض الناس مشركين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال وقال وتجعلون شكركم أنكم تكذبون حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وتجعلون رزقكم يقول شكركم على ما أنزلت عليكم من الغيث والرحمة تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال فكان ذلك منهم كفرا بما أنعم عليهم حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن اسمعيل بن أمية قال أحسبه أوغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض عثانين الأسد فقال كذبت بل هو رزق الله حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال محمد فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال ونحن قد سمعنا من أبي هريرة وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقى فلما استسقى التفت الى العباس فقال يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم بقى من نوء الثريا فقال العلماء بها يزعمون أنها تعترض فى الأفق بعد سقوطها سبعا قال فما مضت سابعة حتى مطروا حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال كان يقرؤها وتجعلون شكركم أنكم تكذبون يقول جعلتم رزق الله بنوء النجم وكان رزقهم فى أنفسهم بالانواء أنواء المطر اذا نزل عليهم المطر قالوا رزقنا بنوء كذا وكذا واذا أمسك عنهم كذبوا فذلك تكذيبهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عطاء الخراسانى فى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال كان ناس يمطرون فيقولون مطرنا بنوء كذا مطرنا بنوء كذا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال قولهم فى الأنواء مطرنا بنوء كذا ونوء كذا يقول قولوا هو من عند الله وهو رزقه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون يقول جعل الله رزقكم فى السماء وأنتم تجعلونه فى الأنواء حدثني أبو صالح الصرارى قال ثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدى قال ثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما مطر قوم من ليلة الا أصبح قوم بها كافرين ثم قال وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا * وقال آخرون بل معنى ذلك وتجعلون حظكم منه التكذيب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أما الحسن فكان يقول بئسما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله الا التكذيب به حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال الحسن فى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم يقول تعالى ذكره فهلا اذا بلغت النفوس عند خروجها من أجسادكم أيها الناس حلاقيمكم وأنتم حينئذ تنظرون يقول ومن حضرهم منكم من أهليهم حينئذ اليهم ينظر وخرج الخطاب ههنا عاما للجميع والمراد به من حضر الميت من أهله وغيرهم وذلك معروف

من

بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

﴿ القراآت أخذ مجهولا ميثاقكم بالرفع أبو عمرو وكل بالرفع ابن عامر أنظرونا من الانظار حمزة الامانى بسكون الياء يزيد لا تؤخذ بالتأنيث ابن عامر ويزيد وسهل ويعقوب وما نزل بالتشديد مجهولا عباس نزل بالتخفيف من النزول نافع وحفص الباقون بالتشديد ولا تكونوا على الخطاب رويس المصدقين والمصدقات بتشديد الدال فقط

من كلام العرب وهو أن يخاطب الجماعة بالفعل كأنهم أهله وأصحابه والمراد به بعضهم غائبا كان أو شاهدا فيقول قتلتم فلانا والقاتل منهم واحد إما غائب وإما شاهد وقد بينا نظائر ذلك في مواضع كثيرة من كتابنا هذا يقول ونحن أقرب اليه منكم يقول ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول قيل فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون كأنه قد سمع منهم والله أعلم انا نقدر على أن لا نموت فقال فلولا اذا بلغت الحلقوم ثم قال فلولا ان كنتم غير مدينين أي غير مجزيين ترجعون تلك النفوس وأنتم ترون كيف تخرج عند ذلك ان كنتم صادقين بأنكم تمتنعون من الموت ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم﴾ يقول تعالى ذكره فهلا ان كنتم أيها الناس غير مدينين واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مدينين فقال بعضهم غير محاسبين ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فلولا ان كنتم غير مدينين يقول غير محاسبين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله غير مدينين قال محاسبين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلولا ان كنتم غير مدينين أي محاسبين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فلولا ان كنتم غير مدينين قال كانوا يجحدون أن يدانوا بعد الموت قال وهو مالك يوم الدين يوم يدان الناس بأعمالهم قال يدانون يحاسبون حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أبو رجاء عن الحسن في قوله فلولا ان كنتم غير مدينين قال غير محاسبين حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة فلولا ان كنتم غير مدينين قال غير مبعوثين وغير محاسبين * وقال آخرون معناه غير مبعوثين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فلولا ان كنتم غير مدينين غير مبعوثين يوم القيامة ترجعونها ان كنتم صادقين * وقال آخرون بل معناه غير مجزيين بأعمالكم * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم من قولهم كما تدين تدان ومن قول الله مالك يوم الدين وقوله ترجعونها ان كنتم صادقين يقول تردون تلك النفوس من بعد مصيرها الى الحلاقيم الى مستقرها من الأجساد ان كنتم صادقين ان كنتم تمتنعون من الموت والحساب والمجازاة وجواب قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وجواب قوله فلولا ان كنتم غير مدينين جواب واحد وهو قوله ترجعونها وذلك نحو قوله فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم جعل جواب الجزاءين جوابا واحدا وبنحو الذي قلنا في قوله ترجعونها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ترجعونها قال لتلك النفس ان كنتم صادقين وقوله فأما ان كان من المقربين فروح وريحان يقول تعالى ذكره فأما ان كان الميت من المقربين الذين قربهم الله من جواره في جنانه فروح وريحان يقول فله روح وريحان واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار فروح بفتح الراء بمعنى فله برد وريحان يقول ورزق واسع في قول بعضهم وفي قول آخرين فله راحة وريحان وقرأ ذلك الحسن البصري فروح بضم الراء بمعنى أن روحه تخرج في ريحانة * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالفتح لاجماع الحجة من القراء عليه بمعنى فله الرحمة والمغفرة والرزق الطيب الهنيّ واختلف أهل التأويل في تأويل

ابن كثير وأبو بكر وحماد بما أتاكم مقصورا من الاتيان أبو عمرو فان الله هو الغني بغير الفصل أبو جعفر ونافع وابن عامر ابراهام كنظائره

۞ الوقوف الارض ج لعطف الجملتين المختلفتين الحكيم ه والارض ج لاحتمال أن يكون قوله يحيي مستأنفا لا محل له أوله محل بتقدير هو يحيي وأن يكون حالا من المجرور في قوله له والجار عاملا فيها ويميت ج قدير ه والباطن ج عليم ه العرش ط فيها ط كنتم ط بصير ه والارض ط الامور ه في الليل ط الصدور ه فيه ط كبير ه بالله ط مؤمنين ه الى النور ط رحيم ه والارض ط وقاتل ط وقاتلوا ط الحسنى ط خبير ه كريم ج لاحتمال تعلق الظرف بقوله وله أجر أو بقوله بشراكم أي يقال لهم ذلك يومئذ أو هو مفعول اذكر فيها ط العظيم ه ج وان وصل وقف على نوركم لأن يوم قد يتعلق بالنور فيوقف على نوركم وقد يتعلق بقوله قيل ارجعوا نورا ط باب ط العذاب ط معكم ط الغرور ه كفروا ط النار ط مولاكم ط المصير ه الحق ط الامن قرأ ولا تكونوا على النهى قلوبهم ط فاسقون ه موتها ط تعقلون ه كريم ه الصديقون ه والوصل أولى ومن وقف على الصديقين لم يقف على ربهم ونورهم ط الجحيم ه والاولاد ط حطاما ط ورضوان ط الغرور ه ورسله ط من يشاء ط العظيم ه نبرأها ط يسير ه ج لاحتمال

قوله فروح وريحان فقال بعضهم معنى ذلك فراحة ومستراح ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فروح وريحان يقول راحة ومستراح حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فأما ان كان من المقربين فروح وريحان قال يعني بالريحان المستريح من الدنيا وجنة نعيم يقول مغفرة ورحمة * وقال آخرون الروح الراحة والريحان الرزق ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فروح قال راحة وقوله وريحان قال الرزق * وقال آخرون الروح الفرح والريحان الرزق ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ادريس قال سمعت أبي عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير في قوله فروح وريحان قال الروح الفرح والريحان الرزق وأما الذين قرؤا ذلك بضم الراء فانهم قالوا الروح هي روح الانسان والريحان هو الريحان المعروف وقالوا معنى ذلك أن أرواح المقربين تخرج من أبدانهم عند الموت بريحان تشمه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن الحسن فروح وريحان قال تخرج روحه في ريحانة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فأما ان كان من المقربين قال لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا والمقربون السابقون حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض * وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح الراء الروح الرحمة والريحان الريحان المعروف ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فروح وريحان قال الروح الرحمة والريحان يتلقى به عند الموت * وقال آخرون منهم الروح الرحمة والريحان الاستراحة ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فروح وريحان الروح المغفرة والرحمة والريحان الاستراحة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبيه عن منذر الثوري عن الربيع بن خثيم فأما ان كان من المقربين قال هذا عند الموت فروح وريحان قال يجاء له من الجنة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن في قوله فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم قال ذلك في الآخرة فقال له بعض القوم قال أما والله انهم ليرون عند الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا حماد قال ثنا قرة عن الحسن بمثله * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال عني بالروح الفرح والرحمة والمغفرة وأصله من قولهم وجدت روحا اذا وجد نسيما يستروح اليه من كرب الحر وأما الريحان فانه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت كما قال أبو العالية والحسن ومن قال في ذلك نحو قولهما لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه وقوله وجنة نعيم يقول وله مع ذلك بستان نعيم يتنعم فيه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وجنة نعيم قال قد عرضت عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم﴾ يقول تعالى ذكره وأما ان كان الميت من أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم الى الجنة من ذات أيمانهم فسلام لك من أصحاب اليمين ثم اختلف في معنى قوله فسلام لك من أصحاب اليمين فقال أهل التأويل فيه ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين قال سلام من عند الله وسلمت عليه ملائكة الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب

قال

تعلق اللام بما قبله أو بمحذوف أي ذلك لكيلا آتاكم ط فخور ٥ لا لأن ما بعده بدل بالبخل ط الحميد ٥ بالقسط ط ٥ للعطف ظاهرا مع أن انزال الحديد ابتداء اخبار غير مختص بالرسل بالغيب ط عزيز ٥ مهتد ج لأن الجملتين وان اتفقتا لفظا الا أن الاولى للبعض القليل والثانية للكثير فيبنى على الاستئناف فاسقون ٥ ورحمة ط لأن ما بعدها منصوب بابتدعوا المقدر رعايتها ط لان الجملتين وان اتفقتا لفظا الا أن قوله فآتينا ليس جزاء ترك الرعاية انما هو تمام بيان التفرقة بين الفريقين فيرجع الى قوله فمنهم مهتد أجرهم ٥ ط لما مر فاسقون ٥ ويغفر لكم ط رحيم ٥ لا وقد يجوز الوقف بناء على أن المراد ذلك ليعلم يشاء ط العظيم ٥ ۞ التفسير معنى تسبيح الموجودات قد تقدم في قوله وان من شئ الا يسبح بحمده والآن نقول انه بدأ في سورة بني اسرائيل بلفظ المصدر وهو سبحان وفي هذه السورة وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المستقبل وفي سورة الأعلى بلفظ الامر استيعابا للاقسام وذلك دليل على أن التسبيح لله تعالى مستمر دائم في الأوقات كلها من الأزل الى الأبد وتفسير أسماء الله الحسنى المذكورة في أول هذه السورة قد سبق في البسملة فلا حاجة الى اعادة كلها الا أنا نأخذ كما أورده الامام فخر الدين ههنا على سبيل الايجاز مع تنقيح ما يجب تنقيحه قال هذا مقام مهيب والبحث فيه من وجوه

قال قال ابن زيد فى قوله وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين قال سلم مما يكره وأما أهل العربية فانهم اختلفوا فى ذلك فقال بعض نحويى البصرة وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين أى فيقال سلم لك وقال بعض نحويى الكوفة قوله فسلام لك من أصحاب اليمين أى فذلك مسلم لك أنك من أصحاب اليمين وألقيت أن ونوى معناها كما تقول أنت مصدّق مسافر عن قليل اذا كان قد قال انى مسافر عن قليل وكذلك يجب معناه أنك مسافر عن قليل ومصدق عن قليل قال وقوله فسلام لك معناه فسلم لك أنت من أصحاب اليمين قال وقد يكون كالدعاء له كقوله فسقيا لك من الرجال قال وان رفعت السلام فهو دعاء والله أعلم بصوابه * وقال آخر منهم قوله فأما ان كان من المقربين فانه جمع بين جوابين ليعلم أن أما جزاء قال وأما قوله فسلام لك من أصحاب اليمين (٢) قال وهذا أصل الكلمة مسلم لك هذا ثم حذفت أن وأقيم من مقامها قال وقد قيل فسلام لك أنت من أصحاب اليمين فهو على ذاك أى سلام لك يقال أنت من أصحاب اليمين وهذا كله على كلامين قال وقد قيل مسلم أى كما تقول فسلام لك من القوم كما تقول فسقيا لك من القوم فتكون كلمة واحدة * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال معناه فسلام لك انك من أصحاب اليمين ثم حذفت واجترئ بدلالة من عليها منها فسلمت من عذاب الله ومما تكره لأنك من أصحاب اليمين وقوله وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم يقول تعالى وأما ان كان الميت من المكذبين بآيات الله الجائرين عن سبيله فله نزل من حميم قد أغلى حتى انتهى حره فهو شرابه وتصلية جحيم يقول وحريق النار يحرق بها والتصلية التفعلة من صلاه الله النار فهو يصليه تصلية وذلك اذا أحرقه بها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ﴾ يقول تعالى ذكره ان هذا الذى أخبرتكم به أيها الناس من الخبر عن المقربين وأصحاب اليمين وعن المكذبين الضالين وما اليه صائرة أمورهم لهو حق اليقين يقول لهو الحق من الخبر اليقين لاشك فيه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان هذا لهو حق اليقين قال الخبر اليقين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين حتى ختم ان الله تعالى ليس تاركا أحدا من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن فأما المؤمن فأيقن فى الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه واختلف أهل العربية فى وجه اضافة الحق الى اليقين والحق يقين فقال بعض نحويى البصرة قال حق اليقين فأضاف الحق الى اليقين كما قال ذلك دين القيمة أى ذلك دين الملة القيمة وذلك حق الأمر اليقين قال وأما هذا رجل السوء فلا يكون فيه هذا الرجل السوء كما يكون فى الحق اليقين لأن السوء ليس بالرجل واليقين هو الحق وقال بعض أهل الكوفة اليقين نعت للحق كأنه قال الحق اليقين والدين القيم فقد جاء مثله فى كثير من الكلام والقرآن ولدار الآخرة والدار الآخرة قال فاذا أضيف توهم به غير الأول وقوله فسبح باسم ربك العظيم يقول تعالى ذكره فسبح بتسمية ربك العظيم باسمائه الحسنى

آخر تفسير سورة الواقعة

(٢) فيه سقط من الناسخ ولعل الاصل من أصحاب اليمين انك من أصحاب اليمين قال وهذا الخ تأمل كتبه مصححه

الاول أن تقدم الشئ على الشئ اما تقدم التأثير كتقدم حركة الاصبع على حركة الخاتم واما التقدم بالحاجة لا بالتأثير كتقدم الامام على المأموم أو معقول كما اذا جعلنا المبدأ هو الجنس العالى واما بالزمان كتقدم الأب على الابن قال وتقدم بعض أجزاء الزمان على الزمان عندى ليس من هذه الأقسام الخمسة أما التأثير والحاجة فلأنه لو كان كذلك لوجدا معا كما أن العلة والمعلول يوجدان معا وكذا الواحد والاثنان وأما الشرف والمكان فظاهران وأما بالزمان فان الزمان لا يقع فى الزمان والا تسلسل قلت لم لا يجوز أن يكون تقدم أجزاء الزمان بعضها على بعض بالحاجة أى بالطبع فان الزمان كما لا يخفى حين كان كما متصلا غير قار الذات اقتضت حقيقته أن يكون له وجود سيال يعقب بعض أجزائه بعضا لا تنتهى النوبة الى جزء مفروض منه الا وقد انقضى منه جزء مفروض على الاتصال وقال اذا عرفت ذلك فنقول القرآن دال على أنه تعالى قبل كل شئ والبرهان أيضا يدل على هذا لأن انتهاء الممكنات لابد أن يكون الى الواجب الا أن تلك القبلية ليست بالتأثير لأن المؤثر من حيث هو مؤثر مضاف الى الأثر من حيث هو أثر والمضافان معا والمعى لا يكون قبل ولا بالحاجة لأنهما قد يكونان معا كما قلنا ولا لمحض الشرف فان تلك القبلية ليست مرادة ههنا ولا بالمكان وهو ظاهر ولا بالزمان لان الزمان بجميع أجزائه ممكن الوجود والتقدم على جميع الازمنة لا يكون بالزمان فاذن

﴿ تفسير السورة التى يذكر فيها الحديد ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والأرض يحيي و يميت وهو على كل شئ قدير﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله سبح لله ما فى السموات والأرض أن كل ما دونه من خلقه يسبحه تعظيما له واقرارا بربوبيته واذعانا لطاعته كما قال جل ثناؤه تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله وهو العزيز الحكيم يقول ولكنه جل جلاله العزيز فى انتقامه ممن عصاه فخالف أمره مما فى السموات والأرض من خلقه الحكيم فى تدبيره أمرهم وتصريفه اياهم فيما شاء وأحب وقوله له ملك السموات والارض يقول تعالى ذكره له سلطان السموات والأرض وما فيهن ولا شئ فيهن يقدر على الامتناع منه وهو فى جميعهم نافذ الأمر ماضى الحكم وقوله يحيي و يميت يقول يحيي ما يشاء من الخلق بأن يوجده كيف يشاء وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيوانا بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها ونحو ذلك من الأشياء و يميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة بعد بلوغه أجله فيفنيه وهو على كل شئ قدير يقول جل ثناؤه وهو على كل شئ ذو قدرة لا يتعذر عليه شئ أراده من إحياء و إماتة و إعزاز و إذلال و غير ذلك من الأمور

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ يقول تعالى ذكره هو الأول قبل كل شئ بغير حد والآخر يقول والآخر بعد كل شئ بغير نهاية وانما قيل ذلك كذلك لأنه كان ولا شئ موجود سواه وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها كما قال جل ثناؤه كل شئ هالك إلا وجهه وقوله والظاهر يقول وهو الظاهر على كل شئ دونه وهو العالى فوق كل شئ فلا شئ أعلى منه والباطن يقول وهو الباطن جميع الأشياء فلا شئ أقرب الى شئ منه كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال به أهل التأويل ذكر من قال ذلك والخبر الذى روى فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى أصحابه اذ ثار عليهم سحاب فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم(١) قال فانها الرقيع موج مكفوف وسقف محفوظ قال فهل تدرون كم بينكم و بينها قالوا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة سنة قال فهل تدرون ما فوق ذلك فقالوا مثل ذلك قال فوقها سماء أخرى و بينهما مسيرة خمسمائة سنة قال هل تدرون ما فوق ذلك فقالوا مثل قولهم الأول قال فان فوق ذلك العرش و بينه و بين السماء السابعة مثل ما بين السماءين قال هل تدرون ما التى تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الأرض قال فهل تدرون ما تحتها قالوا له مثل قولهم الأول قال فان تحتها أرضا أخرى و بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو دلى أحدكم بحبل الى الأرض الأخرى لهبط على الله ثم قرأ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم وقوله وهو بكل شئ عليم يقول تعالى ذكره وهو بكل شئ ذو علم لا يخفى عليه شئ فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء

ولا

تقدم الواجب تعالى على ما عداه خارج عن هذه الاقسام الخمسة وكيفيته لا يعلمها الا هو قلت انه سبحانه متقدم على ماسواه بجميع أقسام التقدمات الخمسة أما بالتأثير فظاهر وقوله والمضافان معا قلنا ان أردت من الحيثية المذكورة فسلم ولا محذور وان أردت مطلقا فممنوع وأما بالطبع فلأن ذات الواجب من حيث هو لا تفتقر الى الممكن من حيث هو وحال الممكن بالخلاف وأما بالشرف فظاهر وأما بالمكان فلانه وراء كل الاماكن ومعها لقوله فأينما تولوا فثم وجه الله وقد جاء فى الحديث لو أدليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وههنا سر لعلنا قد رمزنا اليه فى هذا الكتاب تفهمه باذن الله ان كنت أهلا له وأما بالزمان فأظهر قوله والتقدم على الزمن لا يكون بالزمان قلنا ممنوع لان الزمان عند المحققين هو أمر وهمى والزمان الذى يتكلم هو فيه انما هو مقدار حركة الفلك الأعظم ولا ريب أن قبل هذه الحركة لا يوجد لها مقدار الا أن قبل كل شئ يوجد امتداد وهمى يحصل فيه وجود الواجب سبحانه ومن هذا التحقيق يرتفع ما أشكل على الامام من التمييز بين الأزل وما لا يزال فان المبادئ الوهمية تتغير بتغير الاعتبارات و باختلافها تختلف حقائقها اذ ليس لها وجود سواها فقد يصير ما هو فى جانب الأزل فى جانب لا يزال و بالعكس اذا

(١) فيه سقط كما لا يخفى وفى الدر وابن كثير قال هذا العنان هذه روايا الارض يسوقها الله الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع الخ فتأمل كتبه مصححه

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين وقوله هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام يقول تعالى ذكره هو الذى أنشأ السموات السبع والأرضين فدبرهن وما فيهن ثم استوى على عرشه فارتفع عليه وعلا وقوله يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها يقول تعالى ذكره مخبرا عن صفته وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه يعلم ما يلج فى الأرض من خلقه يعنى بقوله يلج يدخل وما يخرج منها منهم وما ينزل من السماء الى الأرض من شئ قط وما يعرج فيها فيصعد اليها من الأرض وهو معكم أينما كنتم يقول وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم و يعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم وهو على عرشه فوق سمواته السبع والله بما تعملون بصير يقول والله بأعمالكم التى تعملونها من حسن وسيئ وطاعة ومعصية ذو بصر وهو لها محص ليجازى المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿له ملك السموات والأرض والى الله ترجع الأمور يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور﴾ يقول تعالى ذكره له سلطان السموات والأرض نافذ فى جميعهن وفى جميع ما فيهن أمره والى الله ترجع الامور يقول جل ثناؤه والى الله مصير أمور جميع خلقه فيقضى بينهم بحكمه وقوله يولج الليل فى النهار يعنى بقوله يولج الليل فى النهار يدخل ما نقص من ساعات الليل فى النهار فيجعله زيادة فى ساعاته و يولج النهار فى الليل يقول و يدخل ما نقص من ساعات النهار فى الليل فيجعله زيادة فى ساعات الليل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية بما قالوا فيما مضى من كتابنا هذا غير أنا نذكر فى هذا الموضع بعض ما لم نذكره هنالك ان شاء الله تعالى حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل قال قصر هذا فى طول هذا وطول هذا فى قصر هذا حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم فى قوله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل قال دخول الليل فى النهار ودخول النهار فى الليل حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم فى قوله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل قال قصر أيام الشتاء فى طول ليله وقصر ليل الصيف فى طول نهاره وقوله وهو عليم بذات الصدور يقول وهو ذو علم بضمائر صدور عباده وما عزمت عليه نفوسهم من خير أو شر أو حدثت بهما أنفسهم لا يخفى عليه من ذلك خافية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾ يقول تعالى ذكره آمنوا بالله أيها الناس فأقروا بوحدانيته و برسوله محمد صلى الله عليه وسلم فصدقوه فيما جاءكم به من عند الله واتبعوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يقول جل ثناؤه وأنفقوا مما خولكم الله من المال الذى أورثكم عمن كان قبلكم فجعلكم خلفاءهم فيه فى سبيل الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله مستخلفين فيه قال المعمرين فيه بالرزق وقوله فالذين آمنوا منكم وأنفقوا يقول فالذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس وأنفقوا مما خولهم الله عمن كان قبلهم و رزقهم من المال فى سبيل الله لهم أجر كبير يقول لهم ثواب عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وما لكم لا تؤمنون بالله وما شأنكم أيها الناس لا تقرون بوحدانية الله ورسوله محمد صلى الله عليه

تغيرت المبادئ المفروضة قال أما البحث عن كونه تعالى آخرا بمعنى أنه يبقى وكل شئ يفنى فنهم من أوجب ذلك حتى يتقرر كونه آخرا وهو مذهب جهم فانه زعم أنه سبحانه يوصل الثواب الى أهل الثواب والعقاب الى أهل العقاب ثم يفنى الجنة وأهلها والنار وأهلها والعرش والكرسى والملك والفلك ولا يبقى مع الله شئ أصلا فى أبد الآباد كما لم يكن قبله شئ فى أزل الآزال قال ومن حجج جهم أنه تعالى اما أن يكون عالما بعدد حركات أهل الجنة والنار أولا فان كان عالما لزم تناهيه فان الاحاطة بما لا يتناهى مستحيلة وان لم يعلم لزم نسبة الجهل اليه تعالى وذلك محال وأيضا الحوادث المستقبلة قابلة للزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك فهو متناه وأجاب عن الأول بان امكان استمرار هذه الأشياء حاصل الى الأبد والدليل عليه أن هذه الماهيات لو زال امكانها لزم انقلاب الممكن الى الممتنع ولزم أن تنقلب قدرة الله من صلاحية التأثير الى امتناع التأثير قلت هذه مغالطة فانه لا يلزم من الامكان الذاتى للشئ وقوعه فى الخارج ولا من عدم وقوعه فى الخارج الامتناع الذاتى وأجاب عن الثانى بأنه يعلم أن عددها ليس بمعين وهذا لا يكون جهلا انما الجهل أن يكون له عدد معين ولا يعلمه قلت الذى علمه متناه يجب أن يكون معلومه متناهيا أما الذى لا نهاية لعلمه فلم يبعد بل يجب أن تكون معلوماته غير متناهية وأجاب عن الثالث بأن الخارج منه الى الوجود أبدا يكون متناهيا قلت الزيادة والنقصان لا يوجبان

وسلم يدعوكم الى الاقرار بوحدانيته وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك ما قطع عذركم وأزال الشك من قلوبكم وقد أخذ ميثاقكم قيل عنى بذلك وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم فى صلب آدم بأن الله ربكم لا اله لكم سواه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقد أخذ ميثاقكم قال فى ظهر آدم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق غير أبى عمرو وقد أخذ ميثاقكم بفتح الألف من أخذ ونصب الميثاق بمعنى وقد أخذ بكم ميثاقكم وقرأ ذلك أبو عمرو وقد أخذ ميثاقكم بضم الألف ورفع الميثاق على وجه ما لم يسم فاعله والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كان فتح الألف من أخذ ونصب الميثاق أعجب القراءتين الى فى ذلك لكثرة القرأة بذلك وقلة القراء بالقراءة الأخرى وقوله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يوما من الأيام فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول واعلامه ودعائه اياكم الى ما قد تقررت صحته عندكم بالاعلام والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى ينزل على عبده محمد آيات بينات يعنى مفصلات ليخرجكم من الظلمات الى النور يقول جل ثناؤه ليخرجكم أيها الناس من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن الضلالة الى الهدى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من الظلمات الى النور قال من الضلالة الى الهدى وقوله وان الله بكم لرؤف رحيم يقول تعالى ذكره وان الله بانزاله على عبده ما أنزل عليه من الآيات البينات لهدايتكم وتبصيركم الرشاد لذو رأفة بكم ورحمة فمن رأفته ورحمته بكم فعل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير﴾ يقول تعالى ذكره وما لكم أيها الناس أن لا تنفقوا مما رزقكم الله فى سبيل الله والى الله صائر أموالكم ان لم تنفقوها فى حياتكم فى سبيل الله لأن له ميراث السموات والأرض وانما حثهم جل ثناؤه بذلك على حظهم فقال لهم أنفقوا أموالكم فى سبيل الله ليكون ذلك لكم ذخرا عند الله من قبل أن تموتوا فلا تقدروا على ذلك وتصير الأموال ميراثا لمن له السموات والأرض وقوله لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه لا يستوى منكم أيها الناس من آمن قبل فتح مكة وهاجر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل قال آمن فأنفق يقول من هاجر ليس كمن لم يهاجر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ليث عن مجاهد لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح يقول من آمن * قال ثنا مهران عن سفيان قال يقول غير ذلك * وقال آخرون عنى بالفتح فتح مكة وبالنفقة النفقة فى جهاد المشركين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد

وقاتلوا

التناهى كتضعيف الألف والألفين مرارا غير متناهية قال فالمتكلمون حين أثبتوا امكان بقاء العالم عولوا فى أبدية الجنة والنار على اجماع المسلمين واختلفوا فى معنى كونه تعالى آخرا على وجوه أحدها أنه تعالى يفنى جميع العالم ليتحقق كونه آخرا ثم انه يوجدها ويبقيها أبدا قلت هذا حقيق بأن لا يسمى آخرية بل يسمى توسطا وثانيها أن صحة آخرية كل الأشياء مختصة به فلا جرم وصف بكونه آخرا أقول هذا أول المسئلة لأن الكلام لم يقع فى اختصاص وجوده وعدمه وانما النزاع فى معنى قوله آخرا وثالثها أنه أول فى الوجود آخر فى الاستدلال لأن المقصود من جميع الاستدلالات معرفة ذات الصانع وصفاته وأما سائر الاستدلالات التى لا يراد بها معرفة الصانع فهى حقيرة خسيسة قلت أراد أنه غاية الأفكار ونهاية الأنظار وهذا معنى حسن فى نفسه الا أنه لا يطابق معنى الاول كل المطابقة ورابعها أنه أول فى ترتيب نزول الوجود وآخر اذا عكس الترتيب قلت هذا تصور صحيح ينطبق على السلسلة المترتبة من العلل والمعلولات وعلى المترتبة من الأشرف الى الأخس وعلى الآخذة من الوحدة الى الكثرة ومما يلى الازل الى ما يلى الأبد ومما يلى المحيط الى ما يقرب من المركز فهو سبحانه أول بالترتيب الطبيعى وآخر بالترتيب المنعكس فقد وضح بهذا البيان صحة اطلاق التقدمات الخمسة ومقابلاتها عليه تعالى وهذا من غوامض

وقاتلوا وكلا وعدالله الحسنى قال كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر وكانت نفقتان احداهما أفضل من الأخرى كانت النفقة والقتال من قبل الفتح فتح مكة أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله من قبل الفتح قال فتح مكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبدالله بن عياش قال قال زيد بن أسلم فى هذه الآية لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح قال فتح مكة * وقال آخرون عنى بالفتح فى هذا الموضع صلح الحديبية ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبدالله عن داود عن عامر قال فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية يقول تعالى ذكره لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية حدثنى حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية قوله لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل قال فتح الحديبية قال فصل ما بين العمرتين فتح الحديبية حدثنى ابن المثنى قال ثنا عبدالوهاب قال ثنا داود عن عامر قال فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية وأنزلت لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح الى والله بما تعملون خبير فقالوا يارسول الله فتح هو قال نعم عظيم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبدالأعلى قال ثنا داود عن عامر قال فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية ثم تلا هذا الآية لايستوى منكم الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى هشام ابن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم قلنا من هم يارسول الله أقريش هم قال لا ولكن أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوبا فقلنا هم خير منا يارسول الله فقال لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه ألا ان هذا فصل ما بيننا و بين الناس لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح الآية الى قوله والله بما تعملون خبير حدثنى ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا محمد بن جعفر قال أخبرنى زيد بن أسلم عن أبى سعيد التمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم فقلنا من هم يارسول الله أقريش قال لا هم أرق أفئدة وألين قلوبا وأشار بيده الى اليمن فقال هم أهل اليمن ألا ان الايمان يمان والحكمة يمانية فقلنا يارسول الله هم خير منا قال والذى نفسى بيده لو كان لأحدهم جبل ذهب ينفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال ألا ان هذا فصل ما بيننا و بين الناس لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعدالله الحسنى * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال معنى ذلك لايستوى منكم أيها الناس من أنفق فى سبيل الله من قبل فتح الحديبية للذى ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رويناه عن أبى سعيد الخدرى عنه وقاتل المشركين بمن أنفق بعد ذلك وقاتل وترك ذكر من أنفق بعد ذلك وقاتل استغناء بدلالة الكلام الذى ذكر عليه من ذكره أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين أنفقوا فى سبيل الله من قبل فتح الحديبية وقاتلوا المشركين أعظم درجة فى الجنة عند الله من الذين أنفقوا من بعد ذلك وقاتلوا وقوله وكلا وعدالله الحسنى يقول تعالى ذكره وكل هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وعدالله الجنة بانفاقهم فى سبيله وقتالهم أعداءه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث

الأسرار وقد وفقنى الله تعالى لحله وبيانها فالشكر على آلائه أما تفسير الظاهر والباطن فالمحققون قالوا انه الظاهر بالأدلة الدالة على وجوده والباطن لأنه جل عن ادراك الحواس والعقول اياه امافى الدنيا أوفيها وفى الآخرة جميعا وقيل معنى الظاهر الغالب والباطن العالم بما بطن أى خفى قال الليث يقال أنت أبطن بهذا الأمر أى أخبر به وباقى الآيات قد سبق تفسيرها فى مواضع الا قوله (يعلم ما يلج) فانه قد مر فى أول سبا فقط فلا حاجة الى الاعادة وقوله (وهو معكم) معية العلم والقدرة أو استصحاب المكان عند بعض قوله له ملك السموات والارض و بعده مثله ليس بتكرار لأن الأول فى الدنيا لقوله يحيى ويميت والثانى فى العقبى لقوله (والى الله ترجع الأمور) قوله (مستخلفين فيه) أراد أن المال مال الله والعباد عباد الله الا أنه قد جعل أرزاقهم متداولة بيد حكمته متعلقة بالوسائط والروابط فالسعيد من وفقه الله تعالى لرعاية حق الاستخلاف فيتصرف فيما آتاه الله على وفق ما أمره الله من الانفاق فى سبيل الله قبل أن ينتقل منه الى غيره بارث أو حادث كما انتقل من غيره اليه بأحد السببين قوله (لا تؤمنون) حال من معنى الفعل كقولك مالك قائما أى ما تصنع والواو فى قوله (والرسول) للحال من ضمير لا تؤمنون فهما حالان متداخلتان وأخذ الميثاق اشارة الى الأقوال المذكورة فى تفسير قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من الذين أنفقوا وآمنوا وكلا وعد الله الحسنى قال الجنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكلا وعد الله الحسنى قال الجنة وقوله والله بما تعملون خبير يقول تعالى ذكره والله بما تعملون من النفقة في سبيل الله وقتال أعدائه وغير ذلك من أعمالكم التي تعملون خبير لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيكم على جميع ذلك يوم القيامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم﴾ يقول تعالى ذكره من هذا الذي ينفق في سبيل الله في الدنيا محتسبا في نفقته مبتغيا ما عند الله وذلك هو القرض الحسن يقول فيضاعف له ربه قرضه ذلك الذي أقرضه بانفاقه في سبيله فيجعل له بالواحدة سبعمائة وكان بعض نحويي البصرة يقول في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فهو كقول العرب لي عندك قرض صدق وقرض سوء اذا فعل به خيرا وأنشد في ذلك بيتا للشنفرى

سنجزى سلامان بن مفرج قرضها * بما قدمت أيديهم فأزلت

وله أجر كريم يقول وله ثواب وجزاء كريم يعني بذلك الأجر الجنة وقد ذكرنا الرواية عن أهل التأويل في ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم فقال بعضهم معنى ذلك يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يضيء نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن أبين فصنعاء فدون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي يذكر عن المنهال عن عمرو عن قيس بن سكن عن عبد الله قال يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا على ابهامه يطفأ مرة ويقد مرة * وقال آخرون بل معنى ذلك يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى ايمانهم وهداهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم يقول الله فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما نورهم فهداهم * وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن الضحاك وذلك أنه لو عني بذلك النور الضوء المعروف لم يخص عنه الخبر بالسعي بين الأيدي والأيمان دون الشمائل لأن ضياء المؤمنين الذي يؤتونه في الآخرة يضيء لهم جميع ما حولهم وفي خصوص الله جل ثناؤه الخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيمانهم دون الشمائل ما يدل على أنه معني به غير الضياء وان كانوا لا يخلون من الضياء فتأويل الكلام اذ كان الأمر على ما وصفنا وكلا وعد الله الحسنى يوم ترون المؤمنين والمؤمنات يسعى ثواب ايمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم وفي أيمانهم كتب أعمالهم تطاير ويعني بقوله يسعى يمضي والباء في قوله وبأيمانهم بمعنى في وكان بعض نحويي البصرة يقول الباء في قوله وبأيمانهم بمعنى على أيمانهم وقوله يوم ترى من صلة وعد وقوله بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار يقول تعالى ذكره يقال لهم بشارتكم اليوم أيها المؤمنون التي تبشرون بها جنات تجري

والمراد أنه قد تعاضدت الدلائل السمعية والبراهين العقلية على الايمان بالله فأي عذر لكم في تركه (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه ولا ريب أن الايمان بالله شامل للتصديق بجميع أوامره وأحكامه ومن جملتها الايمان بالرسول وبالقرآن وبما فيه استدل القاضي بقوله ومالكم على أن العبد قادر على الايمان وعلى الاستطاعة قبل الفعل والا لم يصح التوبيخ كما لا يقال مالك لا تطول ولا تبيض والبحث في أمثاله مذكور في مواضع والضمير في قوله (ليخرجكم) لله تعالى أو لعبده والميراث مجاز عن بقائه بعد فناء الخلق وقد مر في آخر آل عمران قال المفسرون ان أبا بكر أول من أنفق في سبيل الله فنزل فيه وفي أمثاله السابقين الأولين من المهاجرين والانصار (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح) أي فتح مكة وتمامه أن يقال ومن أنفق بعد الفتح فحذف لدلالة قوله (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) وسبب الفضل أنهم أنفقوا قبل عز الاسلام وقوة أهله فكانت الحاجة الى الانفاق حينئذ أمس مع أنه كان أصدق انباء عن ثقة صاحبه بهذا الدين (وكلا وعد الله الحسنى) المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات ومن قرأ بالرفع فتقديره وكل وعده الله والقرض مجاز عن انفاق المال في سبيل الله وقد مر

من تحتها الأنهار فأبشروا بها وقوله خالدين فيها يقول ماكثين في الجنات لا ينتقلون عنها ولا يتحوّلون وقوله ذلك هو الفوز العظيم يقول خلودهم في الجنات التي وصفها هو النجح العظيم الذي كانوا يطلبونه بعد النجاة من عقاب الله ودخول الجنة خالدين فيها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأمانيّ حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور ﴾ يقول تعالى ذكره هو الفوز العظيم في يوم يقول المنافقون والمنافقات واليوم من صلة الفوز للذين آمنوا بالله ورسله انظرونا واختلفت القراء في قراءة قوله انظرونا فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض أهل الكوفة انظرونا موصولة بمعنى انتظرونا وقرأته عامة قراء الكوفة أنظرونا مقطوعة الألف من أنظرت بمعنى أخرونا وذكر الفراء أن العرب تقول أنظرني وهم يريدون انتظرني قليلا وأنشد في ذلك بيت عمرو بن كلثوم

أبا هند فلا تعجل علينا * وأنظرنا نخبرك اليقينا

قال فمعنى هذا انتظرنا قليلا نخبرك لأنه ليس ههنا تأخير إنما هو استماع كقولك للرجل اسمع مني حتى أخبرك * والصواب من القراءة في ذلك عندي الوصل لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب اذا أريد به انتظرنا وليس للتأخير في هذا الموضع معنى فيقال أنظرونا بفتح الألف وهمزها وقوله نقتبس من نوركم يقول نستصبح من نوركم والقبس الشعلة وقوله قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يقول جل ثناؤه فيجابون بأن يقال لهم ارجعوا من حيث جئتم واطلبوا لأنفسكم هنالك نورا فانه لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم يقول المنافقون والمنافقات الى قوله و بئس المصير قال ابن عباس بينما الناس في ظلمة اذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلا من الله الى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا تبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ انظرونا نقتبس من نوركم فانا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا الآية كان ابن عباس يقول بينما الناس في ظلمة ثم ذكر نحوه وقوله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يقول تعالى ذكره فضرب الله بين المؤمنين والمنافقين بسور وهو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بسور له باب قال كالحجاب في الأعراف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فضرب بينهم بسور له باب السور حائط بين الجنة والنار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فضرب بينهم بسور له باب قال هذا السور الذي قال الله وبينهما حجاب وقد قيل ان ذلك السور ببيت المقدس عند وادي جهنم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا الحسن بن بلال قال ثنا حماد قال أخبرنا أبو سنان قال كنت مع علي بن عبد الله بن عباس عند وادي جهنم فحدث عن أبيه أنه قال فضرب

في أواخر البقرة قال أهل السنة انه تعالى كتب في اللوح المحفوظ أن كل من صدر عنه الفعل الفلاني فله كذا من الثواب وهو الأجر الكريم فاذا ضم الى ذلك مثله فهو المضاعفة وقال الجبائي ان الأعواض تضم الى الثواب فهو المضاعفة وانما وصف الأجر بالكريم لأنه جلب ذلك الضعف و بسببه حصلت لكل الزيادة فكان كريما من هذا الوجه ثم أكد الايمان بالله ورسوله والانفاق في سبيله بتذكير يوم المحاسبة فقال (يوم ترى) يا محمد أو يا من له أهلية الخطاب وقد مرّ إعرابه عن ابن مسعود وقتادة مرفوعا ان كل انسان مؤمن فانه يحصل له النور يوم القيامة على قدر ثوابه منهم من يضيء له نور كما بين عدن الى صنعاء ومنهم من نوره مثل الجبل ومنهم من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وأدناهم نورا من يكون نوره على ابهامه ينطفئ مرة ويتقد أخرى وقال مجاهد ما من عبد الا وينادي يوم القيامة يا فلان هذا نورك و يا فلان لا نور لك هذا وقد بينا لك في هذا الكتاب مرارا أن الكمالات والخيرات كلها أنوار وأكمل الأنوار معرفة الله سبحانه وانما قال (بين أيديهم و بأيمانهم) لأن ذلك جعل أمارة النجاة ولهذا ورد ان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم ومعنى سعي النور سعيه بسعيهم جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم جنات) قوله (يوم يقول) بدل من

قوله يوم ترى أو منصوب باذ كر مقدرا قال جمع من العلماء الناس كلهم يوم القيامة فى الظلمات ثم انه تعالى يعطى المؤمنين هذه الأنوار والمنافقون يطلبونها منهم قائلين (انظرونا) لأنهم (١٣٠) اذا نظروا اليهم والنور قدامهم استضاؤا بتلألؤ تلك الأنوار قال الفارسى حذف الجار وأوصل الفعل وأنشد أبو الحسن

ظاهرات الجمال والحسن ينظر ن كما ينظر الأراك الظباء

والمعنى ينظرن الى الأراك فان كانت هذه الحالة عند الموقف فالمراد انظروا الينا وان كانت هذه الحالة عند سير المؤمنين الى الجنة احتمل أن يكون النظر بمعنى الانتظار لأنهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على الركاب وهؤلاء مشاة فى القيود والسلاسل ومن قرأ أنظرونا أى أمهلونا جعل استبطاءهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم امهالا لهم قال الحسن يعطى يوم القيامة كل أحد نورا على قدر عمله ثم انه يؤخذ من حر جهنم ومافيه من الكلاليب والحسك وتلق على الطريق فتمضى زمرة من المؤمنين وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضى زمرة أخرى كأضوإ الكواكب فى السماء ثم على ذلك ثم تغشاهم الظلمة فينطفئ نور المنافقين فهنالك يقول المنافقون للمؤمنين انظرونا (نقتبس من نوركم) والاقتباس أخذ القبس أى الشعلة من النار (قيل ارجعوا وراءكم) أى الى الموقف حيث أعطينا هذا النور فاطلبوا نورا وهو تهكم بهم أو الى الدنيا (فالتمسوا نورا) بتحصيل سببه وهو الايمان والعمل الصالح أو اكتساب المعارف الالهية والأخلاق الفاضلة كأنها خدعة خدع بها المنافقون كقوله يخادعون الله وهو خادعهم وعلى هذا فالسور هو امتناع العود الى الدنيا وعلى الاول قالوا انهم يرجعون الى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم فيجدون السور مضروبا بينهم وبين المؤمنين وهو حائط الجنة أو هو الأعراف (باطنه)

بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فقال هذا موضع السور عند وادى جهنم حدثنى ابراهيم بن عطية بن رديح بن عطية قال ثنى عمى محمد بن رديح بن عطية عن سعيد بن عبد العزيز عن أبى العوام عن عبادة بن الصامت أنه كان يقول باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال هذا باب الرحمة حدثنا ابن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة عن سعيد بن عطية بن قيس عن أبى العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ان السور الذى ذكره الله فى القرآن فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب هو السور الشرقى باطنه المسجد وظاهره وادى جهنم حدثنى محمد ابن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا شريح أن كعبا كان يقول فى الباب الذى فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقوله له باب باطنه فيه الرحمة يقول تعالى ذكره لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبل ذلك الظاهر العذاب يعنى النار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وظاهره من قبله العذاب أى النار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله باطنه فيه الرحمة قال الجنة ومافيها وقوله ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى يقول تعالى ذكره ينادى المنافقون المؤمنين حين حجز بينهم بالسور فبقوا فى الظلمة والعذاب وصار المؤمنون فى الجنة ألم نكن معكم فى الدنيا نصلى ونصوم ونناكحكم ونوارثكم قالوا بلى يقول قال المؤمنون بلى بل كنتم كذلك ولكنكم فتنتم أنفسكم فنافقتم وفتنتهم أنفسهم فى هذا الموضع كانت النفاق وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فتنتم أنفسكم قال النفاق وكان المنافقون مع المؤمنين أحياء ينا كحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم وكانوا معهم أمواتا ويعطون النور جميعا يوم القيامة فيطفأ النور من المنافقين اذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ وقوله وتربصتم يقول وتلبثتم بالايمان ودافعتم بالاقرار بالله ورسوله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتربصتم قال بالايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ فتربصوا انا معكم متربصون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتربصتم يقول تربصوا بالحق وأهله وقوله وارتبتم يقول وشككتم فى توحيد الله وفى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وارتبتم شكوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وارتبتم ارتابوا كانوا فى شك من الله وقوله وغرتكم الأمانى يقول وخدعتكم أمانى نفوسكم فصدتكم عن سبيل الله وأضلتكم حتى جاء أمر الله يقول حتى جاء قضاء الله بمناياكم فاجتاحتكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وغرتكم الامانى حتى جاء أمر الله كانوا على خدعة من الشيطان والله مازالوا عليها حتى قذفهم الله فى النار وقوله وغركم بالله

الغرور

أى باطن السور أو الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (فيه الرحمة وظاهره) وهو ما ظهر لأهل النار (من قبله) أى من جهته (العذاب) قال
أبو مسلم المراد من قول المؤمنين ارجعوا منع المنافقين عن الاستضاءة كقول الرجل لمن يريد القرب منه وراءك أوسع

الغرور يقول وخدعكم بالله الشيطان فأطمعكم بالنجاة من عقوبته والسلامة من عذابه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الغرور أى الشيطان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وغرّكم بالله الغرور أى الشيطان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وغركم بالله الغرور الشيطان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمنين لأهل النفاق بعد أن ميز بينهم فى القيامة فاليوم أيها المنافقون لا يؤخذ منكم فدية يعنى عوضا وبدلا يقول لا يؤخذ ذلك منكم بدلا من عقابكم وعذابكم فيخلصكم من عذاب الله ولا من الذين كفروا يقول ولا تؤخذ الفدية أيضا من الذين كفروا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا يعنى المنافقين ولا من الذين كفروا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاليوم لا يؤخذ منكم من المنافقين ولا من الذين كفروا معكم مأواكم النار واختلفت القراء فى قراءة قوله فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فقرأت ذلك عامة القراء بالياء يؤخذ وقرأه أبو جعفر القارئ بالتاء * وأولى القراءتين بالصواب الياء وان كانت الأخرى جائزة وقوله مأواكم النار يقول مثواكم ومسكنكم الذى تسكنونه يوم القيامة النار وقوله هى مولاكم يقول النار أولى بكم وقوله وبئس المصير يقول وبئس مصير من صار الى النار

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ يقول تعالى ذكره ألم يأن للذين آمنوا ألم يحن للذين صدقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله فتخضع قلوبهم له ولما نزل من الحق وهو هذا القرآن الذى نزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قال تطيع قلوبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله(١) حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الآية ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أول ما يرفع من الناس الخشوع حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال كان شداد بن أوس يقول أول ما يرفع من الناس الخشوع واختلفت القراء فى قراءة قوله وما نزل من الحق فقرأته عامة القراء غير شيبة ونافع بالتشديد نزل وقرأه شيبة ونافع وما نزل بالتخفيف وبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب لتقارب معنييهما وقوله ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد يقول تعالى ذكره ألم يأن لهم أن لا يكونوا يعنى

(١) سقط التفسير من قلم الناسخ وفى الدر عن عكرمة ألم يحن للذين آمنوا وحرر كتبه مصححه

لك والمراد أنه لا سبيل لهم الى هذا النور والمراد من السور منعهم من رؤية المؤمنين قال الأخفش الباء فى قوله بسور صلة وفائدته التوكيد وأرادوا بقوله (ألم نكن معكم) مرافقتهم فى الظاهر ومعنى (فتنتم) محنتم (أنفسكم) بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم فى وعيد الله أو فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو فى البعث أو فى كل ما هو من عند الله (وغرتكم الأمانى) بكثرة الآمال وطول الآجال (حتى جاء أمر الله) بالموت على النفاق ثم أوقعكم فى النار (وغركم بالله) الشيطان (الغرور) فنفخ فى خيشومكم ان الله غفور ان باب التوبة مفتوح (فاليوم لا يؤخذ منكم) أيها المنافقون (فدية) قيل أى توبة والاولى العموم ليشمل كل ما يفتدى به (ولا من الذين كفروا) فى الظاهر فالحاصل أنه لا فرق بين الذين أظهروا الكفر منكم وبين الذين أضمروه فان كلا منكم (مأواكم النار هى مولاكم) وقيل المراد أنها تتولى أموركم كما توليتم فى الدنيا أعمال أهل النار وقيل أراد هى أولى بكم قال جار الله حقيقته هى محراكم ومقمنكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم قال فى التفسير الكبير هذا معنى وليس بتفسير للفظ من حيث اللغة وغرضه أن الشريف المرتضى لما تمسك فى امامة علىّ رضى الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلىّ مولاه فهذا علىّ مولانا احتج بقول الأئمة فى تفسير الآية ان المولى معناه الأولى وإذا ثبت أن اللفظ محتمل وجب حمله عليه لأن ما عداه بين الثبوت ككونه ابن العم والناصر أو بين الانتفاء كالمعتق والمعتق فيكون

الذين آمنوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كالذين أوتوا الكتاب من قبل يعنى من بنى اسرائيل ويعنى بالكتاب الذى أوتوه من قبلهم التوراة والانجيل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبى معشر عن ابراهيم قال جاء عتريس بن عرقوب الى ابن مسعود فقال يا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فقال عبد الله هلك من لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر قلبه منكرا ان بنى اسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم وقالوا نعرض بنى اسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه ومن كفر به قتلناه قال فجعل رجل منهم كتاب الله فى قرن ثم جعل القرن بين ثندوتيه فلما قيل له أتؤمن بهذا قال آمنت به ويومئ الى القرن الذى بين ثندوتيه ومالى لا أومن بهذا الكتاب فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن ويعنى بقوله فطال عليهم الأمد ما بينهم وبين موسى صلى الله عليه وسلم وذلك الأمد الزمان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الأمد قال الدهر وقوله فقست قلوبهم عن الخيرات واشتدت على السكون الى معاصى الله وكثير منهم فاسقون يقول جل ثناؤه وكثير من هؤلاء الذين أوتوا الكتاب من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاسقون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدّقين والمصدّقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم﴾ يقول تعالى ذكره اعلموا أيها الناس أن الله يحيي الأرض الميتة التى لا تنبت شيأ بعد موتها يعنى بعد دثورها ودروسها يقول وكما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دروسها كذلك نهدى الانسان الضال عن الحق الى الحق فنوفقه ونسدده للايمان حتى يصير مؤمنا من بعد كفره ومهتديا من بعد ضلاله وقوله قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون يقول قد بينا لكم الأدلة والحجج لتعقلوا وقوله ان المصدقين والمصدقات اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار خلا ابن كثير وعاصم بتشديد الصاد والدال بمعنى ان المتصدقين والمتصدقات ثم تدغم التاء فى الصاد فتجعلها صادا مشددة كما قيل يا أيها المزمل يعنى المتزمل وقرأ ابن كثير وعاصم ان المصدقين والمصدقات بتخفيف الصاد وتشديد الدال بمعنى ان الذين صدقوا الله ورسوله * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال انهما قراءتان معروفتان صحيح معنى كل واحدة منهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فتأويل الكلام اذا على قراءة من قرأ ذلك بالتشديد فى الحرفين أعنى فى الصاد والدال ان المتصدقين من أموالهم والمتصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا بالنفقة فى سبيله وفيما أمر بالنفقة فيه أو فيما ندب اليه يضاعف لهم ولهم أجر كريم يقول يضاعف الله لهم قروضهم التى أقرضوها اياه فيوفيهم ثوابها يوم القيامة ولهم أجر كريم يقول ولهم ثواب من الله على صدقهم وقروضهم اياه كريم وذلك الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ يقول تعالى ذكره والذين أقروا بوحدانية الله وارساله رسله فصدقوا الرسل وآمنوا بما جاؤهم به من عند ربهم أولئك هم الصديقون وقوله والشهداء عند ربهم اختلف

على التقدير الأول عبثا وعلى التقدير الثانى كذبا قال واذا كان قول هؤلاء معنى لا تفسيرا بحسب اللغة سقط الاستدلال قلت فى هذا الاسقاط بحث لا يخفى وجوزوا أن يراد فى الآية نفى الناصر لأنه اذا قال هى ناصركم على سبيل التهكم وليس لها نصرة لزم نفى الناصر رأسا كقوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل ويقال ناصره الخذلان ومعينه البكاء قوله سبحانه (ألم يأن للذين آمنوا) من أنى الأمر يأنى اذا جاء إناه أى وقته قال جمع من المفسرين نزل فى المنافقين الذين أظهروا الايمان وفى قلوبهم النفاق المباين للخشوع وقال آخرون نزل فى المؤمنين المحقين روى الأعمش أن الصحابة لما قدموا المدينة أصابوا لين العيش ورفاهية فغيروا بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية وعن أبى بكر الصديق أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن ابن عباس أنه عاتبه على رأس ثلاث عشرة وقوله (لذكر الله) من اضافة المصدر الى الفاعل أى ترق قلوبهم لمواعظ الله التى ذكرها فى القرآن (وما نزل من الحق) وأراد أن القرآن جامع للوصفين الذكر والموعظة ولكونه حقا نازلا من السماء ويجوز أن يكون من اضافة المصدر الى المفعول أى لذكرهم الله والقرآن كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ويحتمل أن تكون اللام للتعليل أى يجب أن يورثهم الذكر خشوعا ولا يكونوا كمن يذكره بالغفلة ومن قرأ ولا تكونوا بالتاء الفوقانية فهى الناهية ومن قرأ بالياء التحتانية احتمل أن يكون منصوبا عطفا على أن تخشع والأمد الأجل والأمل أى طالت المدة بين اليهود أهل
والنصارى وبين أنبيائهم أو طالت أعمارهم فى الغفلة والأمل البعيد فحصلت القسوة فى قلوبهم بسببه فاختلفوا فيما أحدثوا من التحريف

والبدع وقال مقاتل ابن سليمن طال عليهم أمد خروج النبي صلى الله عليه وسلم أو طال عليهم عهدهم بسماع التوراة والانجيل فزال وقعهما في قلوبهم قاله القرطبي وقرئ الأمد بالتشديد أي الوقت الأطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين وفيه اشارة الى أن عدم الخشوع في أول الأمر يفضي الى الفسوق في آخر الأمر قال الحسن أما والله لقد استبطأ قلوب المؤمنين وهم يقرؤن من القرآن أقل مما تقرؤن فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسوق قوله (اعلموا أن الله يحيي الأرض) فيه وجهان الأول أنه تمثيل والمعنى أن القلوب التي ماتت بسبب القساوة فالمواظبة على الذكر سبب لعود حياة الخشوع اليها كما يحيي الله الأرض بالغيث الثاني أنه زجر لأهل الفسق وترغيب في الخشوع لأنه يذكر القيامة وبعث الأموات ثم استأنف وعد المنفقين ووعيد أضدادهم بقوله (ان المصدقين) وأصله المتصدقين وعطف عليه قوله (وأقرضوا الله) لأن الألف واللام بمعنى الذي كأنه قال ان الذين تصدقوا وأقرضوا والظاهر أن الأول هو الواجب والثاني هو التطوع لان تشبيهه بالقرض كالدلالة على ذلك وأيضا ذكر الاول بلفظ اسم الفاعل الدال على الاستمرار ينبئ عن الالتزام والوجوب ومن قرأ بتشديد الدال فقط فمعناه ان الذين صدقوا الله ورسوله وأقرضوا ويندرج تحت التصديق الايمان وجميع الأعمال الصالحات الا أنه أفرد الانفاق بالذكر تحريضا عليه كما أنه أفرد الايمان لتفضيله والترغيب فيه وقال (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) الكاملون في الصدق اذ لا قول أصدق من التوحيد والاعتراف بالرسالة أو هم الكثيرو الصدق من حيث انهم ضموا صدقا الى صدق وهو الايمان بالله و رسوله أو به و برسول رسوله ثم حث على الجهاد بقوله (والشهداء) وهو مبتدأ خبره (عند ربهم) وفيه بيان أنهم من الله بمنزلة وسعة وقد بين ثوابهم

أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم والشهداء عند ربهم منفصل من الذي قبله والخبر عن الذين آمنوا بالله ورسله متناه عند قوله الصديقون والصديقون مرفوعون بقوله هم ثم ابتدئ الخبر عن الشهداء فقيل والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والشهداء في قولهم مرفوعون بقوله لهم أجرهم ونورهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون قال هذه مفصولة والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم قال هي للشهداء خاصة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق قال هي خاصة للشهداء * قال ثنا مهران عن سفيان عن أبي الضحى أولئك هم الصديقون ثم استأنف الكلام فقال الشهداء عند ربهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون هذه مفصولة سماهم الله صديقين بأنهم آمنوا بالله وصدقوا رسله ثم قال والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم هذه مفصولة * وقال آخرون بل قوله والشهداء من صفة الذين آمنوا بالله ورسله قالوا انما تناهى الخبر عن الذين آمنوا عند قوله والشهداء عند ربهم ثم ابتدئ الخبر عما لهم فقيل لهم أجرهم ونورهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرنا أبو قيس أنه سمع هذيلا يحدث قال ذكروا الشهداء فقال عبد الله الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه والرجل يقاتل للدنيا والرجل يقاتل للسمعة والرجل يقاتل للمغنم قال شعبة شيأ هذا معناه والرجل يقاتل يريد وجه الله والرجل يموت على فراشه وهو شهيد وقرأ عبد الله هذه الآية والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت وليث عن مجاهد والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم قال كل مؤمن شهيد ثم قرأها حدثني صالح بن حرب أبو معمر قال ثنا اسمعيل بن يحيى قال ثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مؤمنو أمتي شهداء قال ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الصديقون والشهداء عند ربهم قال بالايمان على أنفسهم بالله * وقال آخرون الشهداء عند ربهم في هذا الموضع النبيون الذين يشهدون على أممهم من قول الله عز وجل فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا * والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال الكلام والخبر عن الذين آمنوا متناه عند قوله أولئك هم الصديقون وان قوله والشهداء عند ربهم خبر مبتدأ عن الشهداء وانما قلنا ان ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب لان ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر وأن الايمان غير موجب

الجسماني (لهم أجرهم ونورهم) ويجوز أن يكون قوله عند ربهم حالا أو صفة للشهداء كقوله مررت على اللئيم يسبني وما بعده خبر وقال الفراء والزجاج هم الأنبياء لقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ومن جعل الشهداء عطفا على ما قبله قال أراد أنهم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله قال مجاهد كل مؤمن فهو صديق وشهيد وقال جار الله المعنى أن الله يعطي المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي أجرهم مع أضعافه أجر أولئك وقيل أريد أنهم شهداء عند ربهم على أعمال عباده وعن الحسن كل مؤمن فانه يشهد كرامة ربه وعن الأصم ان المؤمن قائم لله تعالى بالشهادة فيما تعبدهم به من الايمان والطاعة ثم ذكر ما يدل على حقارة أمور الدنيا وشبهها في سرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث ور بادا الى أن يتكامل نشؤه ومعنى إعجاب الكفار أنهم جحدوا نعمة الله فيه بعد أن راق في نظرهم فبعث الله عليه العاهة فصيره كلا شئ كما فعل بأصحاب الجنتين في الكهف وفي سبأ وبأصحاب الجنة في نون ومن جعل الكفار بمعنى الزراع فظاهر قاله ابن مسعود وصيرورته حطاما هي عوده الى كمال حاله في النضج واليبس ثم عظم أمور الآخرة بتنوين التنكير في قوله (وفي الآخرة عذاب شديد) للكافرين (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا ألهتك عن طلب الآخرة فأما اذا دعتك الى طلب رضوان الله ولقائه فنعم المتاع ونعم الوسيلة ثم حث على المسابقة الى المغفرة والى الجنة وقد مر نظيره في آل عمران الا أن البشارة ههنا أعم لأنه قال هناك أعدت للمتقين الذين ينفقون الى آخره وههنا قال قد أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ولأن هؤلاء أدون حالا من أولئك جعل عرض الجنة هنا أقل فقال (وجنة عرضها كعرض السماء

في المتعارف للمؤمن اسم شهيدا لا بمعنى غيره الا أن يراد به شهيد على ما آمن به وصدقه فيكون ذلك وجها وان كان فيه بعض البعد لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه اذا أطلق بغير وصل فتأويل قوله والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم اذا والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أو هلكوا في سبيله عند ربهم لهم ثواب الله اياهم في الآخرة ونورهم وقوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله وكذبوا بأدلته وحججه أولئك أصحاب الجحيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور﴾ يقول تعالى ذكره اعلموا أيها الناس أن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم ما هي إلا لعب ولهو تتفكهون به وزينة تتزينون بها وتفاخر بينكم يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياشها وتكاثر في الأموال والأولاد يقول تعالى ذكره ويباهي بعضكم بعضا بكثرة الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج يقول تعالى ذكره ثم ييبس ذلك النبات فتراه مصفرا بعد أن كان أخضر نضرا وقوله ثم يكون حطاما يقول تعالى ذكره ثم يكون ذلك النبات حطاما يعني به أنه يكون تبنا يابسا متهشما وفي الآخرة عذاب شديد يقول تعالى ذكره وفي الآخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوان لأهل الايمان بالله ورسوله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو الآية يقول صار الناس الى هذين الحرفين في الآخرة وكان بعض أهل العربية يقول في قوله وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ذكر ما في الدنيا وأنه على ما وصف وأما الآخرة فانها إما عذاب وإما جنة قال والواو فيه وأو بمنزلة واحدة وقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور يقول تعالى ذكره وما زينة الحياة الدنيا المعجلة لكم أيها الناس الا متاع الغرور حدثنا علي بن حرب الموصلي قال ثنا المحاربي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ يقول تعالى ذكره سابقوا أيها الناس الى عمل يوجب لكم مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت هذه الجنة للذين آمنوا بالله ورسله يعني الذين وحدوا الله وصدقوا رسله وقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يقول جل ثناؤه هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض التي أعدها الله للذين آمنوا بالله ورسله فضل الله تفضل به على المؤمنين والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه وهو ذو الفضل العظيم عليهم بما بسط لهم من الرزق في الدنيا ووهب لهم من النعم وعرفهم موضع الشكر ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعده لهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير﴾ يقول تعالى ذكره ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في الأرض بجدوبها وقحوطها وذهاب زرعها وفسادها ولا في أنفسكم بالأوصاب والأوجاع والأسقام الا في كتاب يعني الا في أم الكتاب من قبل أن نبرأها يقول من قبل أن نبرأ الأنفس يعني من قبل أن نخلقها يقال

والأرض) فلم يجمع السماء وأدخل حرف التشبيه الدال على أن المشبه أدون حالا من المشبه به وفى لفظ سابقوا ههنا اشارة الى أن مراتب هؤلاء مختلفة بعضها أسبق من بعض كالمسابقة فى الخيل وفى لفظ سارعوا هنالك رمز الى أن كلهم مستوون فى القرب أو متقاربون

قد برأ الله هذا الشئ بمعنى خلقه فهو بارئه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها قال هو شئ قد فرغ منه من قبل أن نبرأ النفس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ما أصاب من مصيبة فى الأرض أما مصيبة الأرض فالسنون وأما فى أنفسكم فهذه الأمراض والأوصاب من قبل أن نبرأها من قبل أن نخلقها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ما أصاب من مصيبة فى الأرض قال هى السنون ولا فى أنفسكم قال الأوجاع والأمراض قال وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها فسألته عنها فقال سبحان الله ومن يشك فى هذا كل مصيبة بين السماء والأرض ففى كتاب الله من قبل أن تبرأ النسمة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها يقول هو شئ قد فرغ منه من قبل أن نبرأها من قبل أن نبرأ الأنفس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله جل ثناؤه فى كتاب من قبل أن نبرأها قال من قبل أن نخلقها قال المصائب والرزق والأشياء كلها مما تحب وتكره فرغ الله من ذلك كله قبل أن يبرأ النفوس ويخلقها ＊ وقال آخرون عنى بذلك ما أصاب من مصيبة فى دين ولا دنيا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها يقول فى الدين والدنيا الا فى كتاب من قبل أن نخلقها واختلف أهل العربية فى معنى فى التى بعد قوله الا فقال بعض نحويى البصرة يريد والله أعلم بذلك الا هى فى كتاب فجاز فيه الاضمار قال وقد يقول عندى هذا ليس الا يريد الا هو وقال غيره منهم قوله فى كتاب من صلة ما أصاب وليس اضمار هو بشئ وقال ليس قوله عندى هذا ليس الا مثله لأن الا تكفى من الفعل كأنه قال ليس غيره وقوله ان ذلك على الله يسير يقول تعالى ذكره ان خلق النفوس واحصاء ما هى لاقية من المصائب على الله سهل يسير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾ يعنى تعالى ذكره ما أصابكم أيها الناس من مصيبة فى أموالكم ولا فى أنفسكم الا فى كتاب قد كتب ذلك فيه من قبل أن نخلق نفوسكم لكيلا تأسوا يقول لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا فلم تدركوه منها ولا تفرحوا بما آتاكم منها ومعنى قوله بما آتاكم اذا مدت الالف منها بالذى أعطاكم منها ربكم وملككم وخولكم واذا قصرت الالف فمعناها بالذى جاءكم منها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس لكيلا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم منها حدثت عن الحسين بن يزيد الطحان

لأن المرتبة العليا واحدة وهى مرتبة السابقين المقربين وانها غاية الرتب الانسانية فافهم هذه الأسرار فان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال الزجاج لما أمرنا بالمسابقة الى المغفرة بين أن الوصول الى الجنة والحصول فى النار بالقضاء والقدر فقال (ما أصاب من مصيبة) أى لا يوجد مصيبة (فى الأرض) من القحط والوباء والبلاء (ولا فى أنفسكم) من المرض والفتن (الا فى كتاب) أى هو مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ وانما قيد المصائب بكونها فى الأرض والأنفس لأن الحوادث المطلقة كلها ليست مكتوبة فى اللوح لأن حركات أهل الجنة والنار غير متناهية فاثباتها فى الكتاب محال ولهذا قال جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين ولم يقل الى الأبد وفى الآية تخصيص آخر وهو أنه لم يذكر أحوال أهل السموات وفيه سر قال أهل البرهان فصل فى هذه السورة وأجمل فى التغابن فقال ما أصاب من مصيبة الا باذن الله والتفصيل بهذه السورة أليق لأنه فصل أحوال الدنيا والآخرة بقوله اعلموا أنما الحياة الدنيا الى آخره قوله (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نخلق المصائب والأنفس أو الأرض أو المخلوقات (ان ذلك) الاثبات أو الحفظ (على الله يسير) وان كان عسيرا على غيره ثم بين وجه الحكمة فى ذلك الاثبات قائلا (لكيلا تأسوا) أى لكيلا تحزنوا (على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) نظيره ما ورد فى الخبر من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب لأنه لما علم وجوب وقوعه من حيث تعلق علم الله وحكمه وقدرته به عرف أن الفائت لا يرده الجزع والمعطى لا يكاد يثبت ويدوم لانه عرضة للزوال ونهزة للانتقال فلا يشتد به فرحه روى عكرمة

عن ابن عباس ليس أحد الا وهو يفرح و يحزن ولكن اجعلوا المصيبة صبرا والخير شكرا أو المراد أنه لم ينف الأسى والفرح على الاطلاق
ولكنه نهى عما يبلغ حدّ الجزع والبطر ولا لوم على مالا يخلو منه البشر والباقي ظاهر وقد مر في النساء والمقصود أن البخيل

قال ثنا اسحق بن منصور عن قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس لكيلا تأسوا على
مافاتكم قال الصبر عند المصيبة والشكر عند النعمة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن
سفيان عن سماك البكري عن عكرمة عن ابن عباس لكيلا تأسوا على مافاتكم قال ليس أحد الا
يحزن ويفرح ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرا ومن أصابه خير فجعله شكرا حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا
تفرحوا بما آتاكم قال لا تأسوا على مافاتكم من الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم منها واختلفت القراء
في قراءة قوله بما آتاكم فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والكوفة بما آتاكم بمد الألف وقرأه بعض
قراء البصرة بما أتاكم بقصر الالف وكأن من قرأ ذلك بقصر الالف اختار قراءته كذلك اذ كان
الذي قبله على مافاتكم ولم يكن على ما أفاتكم فيرد الفعل الى الله فألحق قوله بما أتاكم به ولم يرده الى
أنه خبر عن الله * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان صحيح معناهما فبأيتهما قرأ القارئ
فمصيب وان كنت أختار مد الالف لكثرة قارئي ذلك كذلك وليس للذي اعتل به منه معتلو
قارئيه بقصر الالف كبير معنى لان ما جعل من ذلك خبرا عن الله وما صرف منه الى الخبر عن غيره
فغير خارج جميعه عند سامعيه من أهل العلم أنه من فعل الله تعالى فالفائت من الدنيا من فاته منها
شئ والمدرك منها ما ادرك عن تقدير الله عز وجل وقضائه وقد بين ذلك جل ثناؤه لمن عقل عنه
بقوله ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها فأخبر أن
الفائت منها بافاتته اياهم فاتهم والمدرك منها باعطائه اياهم أدركوا وأن ذلك محفوظ لهم في كتاب
من قبل أن يخلقهم وقوله والله لا يحب كل مختال فخور يقول والله لا يحب كل متكبر بما أوتى
من الدنيا فخور به على الناس ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس
بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد﴾ يقول تعالى ذكره والله لا يحب كل مختال فخور
الباخلين بما أوتوا في الدنيا على اختيالهم به وفخرهم بذلك على الناس فهم يبخلون باخراج حق الله
الذي أوجبه عليهم فيه ويشحون به وهم مع بخلهم به أيضا يأمرون الناس بالبخل وقوله ومن
يتول فان الله هو الغني الحميد يقول تعالى ذكره ومن يدبر معرضا عن عظة الله فان الله هو الغني
الحميد يقول تعالى ذكره ومن يدبر معرضا عن عظة الله تاركا العمل بما دعاه اليه من الانفاق في
سبيله فرحا بما أوتى من الدنيا مختالا به فخورا بخيلا فان الله هو الغني عن ماله ونفقته وعن غيره من
سائر خلقه الحميد الى خلقه بما أنعم به عليهم من نعمه واختلف أهل العربية في موضع جواب
قوله الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل فقال بعضهم استغنى بالأخبار التي لاشباههم ولهم
في القرآن كما قال ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى ولم يكن في ذا
الموضع خبر والله أعلم بما ينزل هو كما أنزل أو كما أراد أن يكون وقال غيره من أهل العربية الخبر قد جاء
في الآية التي قبل هذا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
عطف بجزاءين على جزاء وجعل جوابهما واحدا كما تقول ان تقم وان تحسن آتك لا أنه حذف
الخبر واختلفت القراء في قراءة قوله فان الله هو الغني الحميد فقرأ ذلك عامة قراء المدينة فان الله
الغني بحذف هو من الكلام وكذلك ذلك في مصاحفهم بغير هو وقرأته عامة قراء الكوفة فان الله

يفرح فرحا مطغيا لحبه المال
ليفتخر به ويتكبر على الناس
ويحمل غيره على امساك المال
لمقتضى شحه الطبيعي (ومن يتول)
عن أوامر الله ونواهيه ولا يعرف
حق الله فيما أعطاه (فان الله هو
الغني) عن طاعة المطيعين (الحميد)
في ذاته وان لم يحمده الحامدون وقيل
ان الآية نزلت في اليهود الذين كتموا
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا
ببيان نعته ثم أراد أن يبين الغرض
من بعثة الرسل المؤيدين بالمعجزات
ومن إنزال الكتاب والميزان معهم
يروى أن جبرائيل نزل بالميزان فدفعه
الى نوح فقال مر قومك يزنوا به
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى أنزل أربع بركات من
السماء الى الأرض أنزل الحديد والنار
والماء والملح وعن الحسن انزالها
تهيئتها كقوله وأنزل لكم من الأنعام
ثمانية أزواج وقال قطرب هو من
النزل يقال أنزل الأمير على فلان نزلا
حسنا ومنهم من قال هو من باب
علفتها تبنا وماء باردا وللعلماء في
المناسبة بين الكتاب والميزان
والحديد وجوه أحدها أن مدار
التكليف على فعل ما ينبغي وترك
مالا ينبغي والثاني لا يتم الا بالحديد
الذي فيه بأس شديد والأول إما
أن يكون من باب الاعتقادات
ولن يتم الا بالكتاب السماوي
ولاسيما اذا كان معجزا وإما أن
يكون من باب المعاملات ولا
ينتظم الا بالميزان فأشرف الاقسام
ما يتعلق بالقوة النظرية الروحانية
ثم ما يتعلق بالعملية الجسمانية ثم ما يتعلق بالزواجر وقد روعي في الآية هذا النسق وثانيها المعاملات إما مع هو
الخالق وطريقها الكتاب أو مع الخلق وهم اما أحباب ويفتقر في نظام أمورهم الى الميزان وإما أعداء فيدفعون بالسيف وثالثها

هو الغنى الحميد باثبات هو فى القراءة وكذلك هو فى مصاحفهم * والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز﴾ يقول تعالى ذكره لقد أرسلنا رسلنا بالمفصلات من البيان والدلائل وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع والميزان بالعدل كما **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة الكتاب والميزان قال الميزان العدل **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنزلنا معهم الكتاب والميزان (١) بالحق قال الميزان ما يعمل الناس ويتعاطون عليه فى الدنيا من معايشهم التى يأخذون ويعطون يأخذون بميزان ويعطون بميزان يعرف ما يأخذ وما يعطى قال والكتاب فيه دين الناس الذى يعملون ويتركون فالكتاب للآخرة والميزان للدنيا وقوله ليقوم الناس بالقسط يقول تعالى ذكره ليعمل الناس بينهم بالعدل وقوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد يقول تعالى ذكره وأنزلنا لهم الحديد فيه بأس شديد يقول فيه قوة شديدة ومنافع للناس وذلك ما ينتفعون به منه عند لقائهم العدو وغير ذلك من منافعه وقد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال ثلاثة أشياء نزلت مع آدم صلوات الله عليه السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد قال البأس الشديد السيوف والسلاح الذى يقاتل الناس بها ومنافع للناس بعد يحفرون بها الارض والجبال وغير ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وجنة وسلاح وأنزله ليعلم الله من ينصره وقوله وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب يقول تعالى ذكره أرسلنا رسلنا الى خلقنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليعدلوا بينهم وليعلم حزب الله من ينصر دين الله ورسله بالغيب منه عنهم وقوله ان الله قوى عزيز يقول تعالى ذكره ان الله قوى على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة وخالف أمره ونهيه عزيز فى انتقامه منهم لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحل به من العقوبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا أيها الناس نوحا الى خلقنا وابراهيم خليله اليهم رسولا وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب وكذلك كانت النبوة فى ذريتهما وعليهم أنزلت الكتب التوراة والانجيل والزبور والفرقان وسائر الكتب المعروفة فمنهم مهتد يقول فمن ذريتهما مهتد الى الحق مستبصر وكثير منهم يعنى من ذريتهما فاسقون يعنى ضلال خارجون عن طاعة الله الى معصيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أتبعنا على آثارهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح وابراهيم برسلنا وأتبعنا بعيسى ابن مريم وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه يعنى الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته رأفة وهو أشد الرحمة ورحمة ورهبانية ابتدعوها

(١) لعله والميزان الميزان بالحق فتدبر كتبه مصححه

السابقون يعاملون بمقتضى الكتاب فينصفون ولا ينتصفون ويحترزون عن مواقع الشبهات والمقتصدون ينصفون و ينتصفون فلا بد لهم من الميزان والظالمون ينتصفون من غير انصاف فلا بد لهم من السيوف الزواجر ورابعها أن الانسان فى مقام الحقيقة وهو مقام النفس المطمئنة والمقربين لا يسكن الا بكتاب الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب أو هو فى مقام الطريقة وهو النفس اللوامة وأصحاب اليمين لا بد لهم من الميزان فى معرفة الأخلاق المتوسطة غير المائلة الى طريق الافراط والتفريط أو هو فى مقام الشريعة والنفس الأمارة لا تنزجر الا بحديد المجاهدة وسيف الرياضة وخامسها السالك اما أن يكون صاحب المكاشفة والوصول فانتبه بميزان الكتاب أو صاحب الطلب والاستدلال فانتبه بميزان الدليل والحجة وان كان صاحب العناد واللجاج فلا بد له من الحديد وسادسها الاقوال تصحح بالكتاب والأعمال تقوم بالميزان وميزان العدل والاحوال يعتبر بحديد الرياضة أو نقول الأقوال تصحح بالكتاب والاعمال تقوم بالميزان والمنحرفون من أحد الموضوعين يولون بالسيف وسابعها الكتاب للعلماء والميزان للعوام والسيف للملوك قال أهل التجارب فى منافع الحديد ما من صناعة الا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد بيانه أن أصول الصناعات أربعة الزراعة والحياكة والبناء والامارة أما الزراعة فتحتاج الى الحديد فى كراية الأرض واصلاحها وحفرها

يقول أحدثوها ما كتبناها عليهم يقول ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم الا ابتغاء رضوان الله يقول لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها واختلف أهل التأويل في الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها فقال بعضهم هم الذين ابتدعوها لم يقوموا بها ولكنهم بدلوا وخالفوا دين الله الذي بعث به عيسى فتنصروا وتهودوا * وقال آخرون بل هم قوم جاؤا من بعد الذين ابتدعوها فلم يرعوها حق رعايتها لأنهم كانوا كفارا ولكنهم قالوا نفعل كالذي كانوا يفعلون من ذلك أوليا فهم الذين وصف الله بأنهم لم يرعوها حق رعايتها وبنحو الذي قلنا في تأويل هذه الأحرف الى الموضع الذي ذكرنا أن أهل التأويل فيه مختلفون في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة فهاتان من الله والرهبانية ابتدعها القوم من أنفسهم ولم تكتب عليهم ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ذكر لنا أنهم رفضوا النساء واتخذوا الصوامع حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ورهبانية ابتدعوها قال لم تكتب عليهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما كتبناها عليهم قال فلم قال ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوعا فما رعوها حق رعايتها ذكر من قال الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها كانوا غير الذين ابتدعوها ولكنهم كانوا المريدي الاقتداء بهم حدثنا الحسين بن الحريث أبو عمار المروزي قال ثنا الفضل بن موسى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل فقيل لملكهم ما نجد شيأ أشد علينا من شتم يشتمناه هؤلاء انهم يقرؤن ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون هؤلاء الآيات مع ما يعيبوننا به في قراءتهم فادعهم فليقرؤا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا به قال فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك فدعونا قال فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم أعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة منهم دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما تشرب الوحوش فان قدرتم علينا بأرضكم فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من أولئك الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فأنزل الله جل ثناؤه ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها الآخرون قالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم قال فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وجاء صاحب الدار من داره وآمنوا به وصدقوه فقال الله جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته قال أجرين لايمانهم بعيسى وتصديقهم بالتوراة والانجيل وايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم به قال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ثنا داود بن المحبر قال ثنا الصعق بن حزن قال ثنا عقيل الجعدي عن أبي اسحق الهمداني عن سويد بن غفلة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف من كان قبلنا على احدى وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم فرقة من الثلاث

وتنقية آبارها ثم الحبوب لا بد من طحنها وخبزها وكل منهما يحتاج الى شئ من حديد وأكل الفواكه واللحوم وغيرها يفتقر أيضا فى التغيير والتقطيع الى الحديد وأما الحياكة فتحتاج الى آلات الحراثة والى آلات الغزل والى أدوات الحياكة والخياطة وأما البناء فلا يكمل الحال فيه الا بآلات حديدية وأما الامارة فلا تتم الا بأسباب الحرب وآلات السياسة فظهر أن أكثر مصالح العالم لا تتم الا بالحديد ولا يقوم الذهب ولا الجواهر فى أكثرها مقام الحديد فلو لم يوجد الذهب والجواهر فى الدنيا لم يختل شئ من المهمات ولو لم يوجد الحديد لاختلت المصالح فعند هذا يظهر أثر عناية الله بحال عبيده فان كل شئ تكون حاجاتهم اليه أكثر يكون وجوده أسهل قال بعضهم

سبحان من خص الفلز بعزه
والناس مستغنون عن أجناسه
وأذل أنفاس الهواء وكل ذى
نفس فمحتاج الى أنفاسه

نظيره الحاجة الى الطعام ثم الى الهواء فالطعام قلما يوجد الا بالثمن والماء قد يباع فى بعض الأمكنة والزمان والهواء لا يباع أصلا لأن الحاجة الى النفس أمس قال بعض المحققين ههنا ان العلم أبلغ ما يحتاج الانسان اليه اذ به قوام روحه وصلاح معاده فلا جرم لا يقع فى عرضة البيع وكثيرا ما يعطى الأجر على تعلمه قوله (وليعلم الله) ظاهره أنه معطوف على المعنى التقدير وأنزلنا الحديد لأجل المنافع الدنيوية ولأجل المصالح الدينية

وازت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فقتلتهم الملوك وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك فأقاموا بين ظهراني قومهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فقتلتهم الملوك ونشرتهم بالمناشير وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام بين ظهراني قومهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى صلوات الله عليه فلحقوا بالبراري والجبال فترهبوا فيها فهو قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال ما فعلوها الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها قال ما رعاها الذين من بعدهم حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم قال وهم الذين آمنوا بي وصدقوني قال وكثير منهم فاسقون قال فهم الذين جحدوني وكذبوني حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس و رهبانية ابتدعوها ما كتبناها قال الآخرون ممن تعبد من أهل الشرك وفني من فني منهم يقولون نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان وهم في شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم * ذكر من قال الذين لم يرعوها حق رعايتها الذين ابتدعوها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة الى قوله حق رعايتها يقول ما أطاعوني فيها وتكلموا فيها بمعصية الله وذلك أن الله عز وجل كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فلما استخرج أهل الايمان ولم يبق منهم إلا القليل وكثر أهل الشرك وذهب الرسل وقهروا اعتزلوا في الغيران فلم يزل بهم ذلك حتى كفرت طائفة منهم وتركوا أمر الله عز وجل ودينه وأخذوا بالبدعة و بالنصرانية و باليهودية فلم يرعوها حق رعايتها وثبتت طائفة على دين عيسى ابن مريم صلوات الله عليه حين جاءهم بالبينات و بعث الله عز وجل محمدا رسولا صلى الله عليه وسلم وهم كذلك فذلك قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته الى والله غفور رحيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم كان الله عز وجل كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فلما استخرج أهل الايمان ولم يبق منهم الا القليل وكثر أهل الشرك وانقطعت الرسل اعتزلوا الناس فصاروا في الغيران فلم يزالوا كذلك حتى غيرت طائفة منهم فتركوا دين الله وأمره وعهده الذي عهده اليهم وأخذوا بالبدع فابتدعوا النصرانية واليهودية فقال الله عز وجل لهم ما رعوها حق رعايتها وثبتت طائفة منهم على دين عيسى صلوات الله عليه حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا بن أبي مريم قال سمعت أبا أمامة الباهلي يقول ان الله كتب عليكم صيام رمضان ولم يكتب عليكم قيامه وانما القيام شيء ابتدعتموه وان قوما ابتدعوا بدعة لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فلم يرعوها حق رعايتها فعابهم الله بتركها فقال و رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها * وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال ان الذين وصفهم الله بأنهم لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها بعض الطوائف التي ابتدعتها وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر أنه آتى الذين آمنوا منهم أجرهم قال فدل بذلك على أن منهم من قد رعاها حق رعايتها فلو لم يكن منهم من كان كذلك لم يكن مستحق الأجر الذي قال جل ثناؤه فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم الا أن الذين لم يرعوها حق رعايتها ممكن أن يكونوا كانوا على عهد الذين ابتدعوها وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم لأن الذين هم من أبنائهم اذا لم يكونوا رعوها فجائز في كلام العرب أن يقال لم يرعها القوم على العموم والمراد منهم البعض

وهو ظهور معلوم الله وتعلق علمه بما سيقع من نصرة دينه و رسله باستعمال السيوف والرماح وغيرها ويجوز أن يكون المعطوف عليه محذوفا بدليل ما تقدمه أي وأنزلنا الحديد ليقوم الناس بالقسط خوفا من أن يجعل وليعلم الله ومعنى (بالغيب) غائبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه وفيه اشارة الى أن الجهاد المعتبر هو الذي يوجد عن اخلاص القلب خاليا من النفاق والرياء وفي قوله (ان الله قوي عزيز) رمز الى أنه تعالى قادر على اهلاك أعداء الدين و إعلاء كلمته بدون واسطة الجهاد ولكنه كلفهم ذلك ليتوسلوا به الى نيل درجة الصديقين والشهداء وحين حكى قصة الرسل مجملة أعقبها بنوع من التفصيل والكتاب ظاهره الوحي عن ابن عباس هو الخط بالقلم والضمير في (فمنهم) للذرية أو للرسل اليهم بدليل الارسال والفاسقون إما العاصون بارتكاب الكبائر و إما الكافرون ولعل هذا أظهر لوقوعه في طباق المهتدين الا أن يحمل الفاسق على الذي لا يهتدي لوجه رشده قال مقاتل المراد بالرأفة والرحمة هو ما أوقع الله تعالى في قلوبهم من التوادّ والتعاطف كما جاء في نعت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم قال أبو علي الفارسي الرهبانية لا يستقيم حمل نصبها على جعلنا لأن ما يبتدعونه لا يجوز أن يكون مجعولا لله قال في التفسير الكبير هذا الكلام انما يتم لو ثبت امتناع مقدور بين قادرين من أين يليق بأبي علي

الحاضر وقد مضى نظير ذلك في مواضع كثيرة من هذا الكتاب وقوله فآتينا الذين آمنوا منهم
أجرهم يقول تعالى ذكره فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسله من هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم
على ابتغائهم رضوان الله وايمانهم به وبرسوله في الآخرة وكثير منهم أهل معاص وخروج عن
طاعته والايمان به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم قال الذين رعوا ذلك
الحق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين
من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين
صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والانجيل خافوا الله باداء طاعته واجتناب معاصيه
وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي
قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يعني الذين آمنوا
من أهل الكتاب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت
الضحاك يقول في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يعني الذين آمنوا من أهل الكتاب
وقوله يؤتكم كفلين من رحمته يعطكم ضعفين من الأجر لايمانكم بعيسى صلى الله عليه وسلم
والأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم حين بعث نبيا وأصل
الكفل الحظ وأصله ما يكتفل به الراكب فيحبسه ويحفظه عن السقوط يقول يحصنكم هذا
الكفل من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من السقوط وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو عمار المروزي قال ثنا الفضل بن موسى عن سفيان عن
عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يؤتكم كفلين من رحمته قال أجرين لايمانهم
بعيسى صلى الله عليه وسلم وتصديقهم بالتوراة والانجيل وايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وتصديقهم به * قال ثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس يؤتكم كفلين من رحمته قال أجرين ايمانهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم وايمانهم بعيسى صلى الله عليه وسلم والتوراة والانجيل * وبه عن عطاء بن السائب عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس * وهرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس يؤتكم كفلين من رحمته
قال أجرين حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله
يؤتكم كفلين من رحمته يقول ضعفين * قال ثنا مهران قال ثنا يعقوب عن جعفر بن
أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعفرا في سبعين راكبا الى النجاشي
يدعوه فقدم عليه فدعاه فاستجاب له وآمن به فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن قد آمن به من
أهل مملكته وهم أربعون رجلا ائذن لنا فنأتي هذا النبي فنسلم به ونساعد هؤلاء في البحر فانا أعلم
بالبحر منهم فقدموا مع جعفر على النبي صلى الله عليه وسلم وقد تهيأ النبي صلى الله عليه وسلم لوقعة
أحد فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدة الحال استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي
الله ان لنا أموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا وآسينا
المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فأنزل الله فيهم الذين آتيناهم
الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين
فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا
يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر

كأجوركم

أن يخوض في أمثال هذه الأشياء
قلت الظن بالعلماء ينبغي أن يكون
أحسن من هذا ولا حاجة الى احالة
تمام الكلام على المسئلة المذكورة
ولكن يرد على أبي علي أنه اذا جاز
أن يكون الكفر والفسوق وسائر
المعاصي الصادرة عن العبد منسوبة
الى تخليق الله فلم لا يجوز أن يكون
الابتداع وهو إحداث أمر من
عند نفسه لا على ألسنة الرسل
مجعولا لله سبحانه قال المفسرون
ان الجبابرة ظهروا على أمة عيسى
بعد رفعه فقاتلوهم ثلاث مرات
فقتلوهم حتى لم يبق منهم الا القليل
فترهبوا على رؤس الجبال فارين
من الفتنة متحملين كلفا
ومشاق زائدة على العبادات
المكتوبة عليهم من الخلوة
والاعتزال والتعبد في الغيران
والكهوف روى ابن مسعود أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابن
مسعود أما علمت أن بني اسرائيل
تفرقوا سبعين فرقة كلها في النار
الا ثلاث فرق فرقة آمنت بعيسى
عليه السلام وقاتلوا أعداءه في
نصرته حتى قتلوا وفرقة لم يكن لها
طاقة بالقتال فأمروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر وفرقة لم يكن لها طاقة
بالأمرين فلبسوا العباء وخرجوا الى
القفار والفيافي وهو قوله وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رأفة الآية قال
العلماء لم يرد الله تعالى بقوله
(ابتدعوها) طريقة الذم ولكن
المراد انهم أحدثوها من عند أنفسهم
ونذروها والرهبانية بفتح الراء

كأجوركم فما فضلكم علينا فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته
فجعل لهم أجرهم وزادهم النور والمغفرة ثم قال لكيلا يعلم أهل الكتاب وهكذا قرأها سعيد بن
جبير لكيلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد قوله يؤتكم كفلين من رحمته قال ضعفين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال
ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يؤتكم كفلين من رحمته قال والكفلان أجران
بايمانهم الأول وبالكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حدثت عن الحسين قال سمعت
أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا
برسوله يعني الذين آمنوا من أهل الكتاب يؤتكم كفلين من رحمته يقول أجرين بايمانكم
بالكتاب الأول والذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد في قوله يؤتكم كفلين من رحمته قال أجرين أجر الدنيا وأجر الآخرة حدثنا
ابن حميد قال ثنا حكام عن سفيان قال ثنا عنبسة عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن
أبي موسى يؤتكم كفلين من رحمته قال الكفلان ضعفان من الأجر بلسان الحبشة حدثنا ابن
عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الشعبي قال ان الناس يوم القيامة على أربع منازل
رجل كان مؤمنا بعيسى فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فله أجران ورجل كان كافرا بعيسى
فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فله أجر ورجل كان كافرا بعيسى فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
فباء بغضب على غضب ورجل كان كافرا بعيسى من مشركي العرب فمات بكفره قبل محمد فباء
بغضب حدثني العباس بن الوليد قال أخبرني أبي قال سألت سعيد بن عبد العزيز عن
الكفل كم هو قال ثلثمائة وخمسون حسنة والكفلان سبعمائة حسنة قال سعيد سأل عمر بن
الخطاب رضي الله عنه حبرا من أحبار اليهود كم أفضل ما ضعفت لكم الحسنة قال كفل ثلثمائة
وخمسون حسنة قال فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل في سورة
الحديد يؤتكم كفلين من رحمته فقلت له الكفلان في الجمعة مثل هذا قال نعم وبنحو الذي قلنا
في ذلك صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا
ابن علية قال ثنا معمر بن راشد عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل آمن بالكتاب الأول
والكتاب الآخر ورجل كانت له أمة فأدبها وأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها وعبد مملوك
أحسن عبادة ربه ونصح لسيده حدثني يعقوب قال ثنا ابن أبي زائدة قال ثني صالح
ابن صالح الهمداني عن عامر عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه
وسلم بنحوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثني عبد الصمد قال ثنا شعبة عن صالح بن
صالح سمع الشعبي يحدث عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم بنحوه حدثني محمد بن عبد الحكم قال أخبرنا إسحق بن الفرات عن يحيى بن أيوب
قال قال يحيى بن سعيد أخبرنا نافع أن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
انما آجالكم في آجال من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل
اليهود والنصارى كمثل رجل استأجر عمالا فقال من يعمل من بكرة الى نصف النهار على قيراط
قيراط ألا فعملت اليهود ثم قال من يعمل من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط

مصدر وهو الفعلة المنسوبة الى
الرهبان بالفتح أيضا وهو الخائف
فعلان من رهب كخشيان من
خشي وقرئ بالضم وهو نسبة الى
الرهبان جمع الراهب وقوله (الا
ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع
عند الأكثر أي ما فرضناها
نحن عليهم ولكنهم ابتدعوها
طلب رضوان الله وقال آخرون
انه متصل والمعنى ما تعبدناهم بها
الا على وجه تحصيل مرضاة الله
فتكون ندبا ان أتى بها ارتضاها الله
وان لم يأت بها فلا حرج وفي قوله
(فما رعوها حق رعايتها) أقوال
أحدها أنهم ما أقاموا على تلك السيرة
ولكنهم ضموا اليه التثليث والاتحاد
الا أناسا منهم أقاموا على دين عيسى
حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه
وسلم فآمنوا به وثانيها أن أكثرهم لم
يتوسلوا بها الى مرضاة الله ولكنهم
جعلوها سلما الى المنافع الدنيوية
وثالثها أن يكون في الكلام اضمار
أي لم نفرضها أولا عليهم بل كانت
على جهة الاستحباب ثم فرضناها
عليهم فما رعوها الا قليلا منهم آمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد أن
استقاموا على الطريقة ورابعها أن
الصالحين من قوم عيسى ابتدعوا
الرهبانية وانقرضوا عليها ثم جاء
بعدهم من لم يرعها كما رعاها

ألا فعملت النصارى ثم قال من يعمل من صلاة العصر الى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فعملتم حدثني علي بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الأمة أوقال أمتي ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل قال من يعمل لي من غدوة الى نصف النهار على قيراط قالت اليهود نحن فعملوا قال فمن يعمل من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قالت النصارى نحن فعملوا وأنتم المسلمون تعملون من صلاة العصر الى الليل على قيراطين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل أجرا قال هل ظلمتكم من أجوركم شيأ قالوا لا قال فذاك فضلي أوتيه من أشاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني الليث وابن لهيعة عن سليمن بن عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي أنه قال شهدت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال قولا كثيرا حسنا جميلا وكان فيها من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله مثل الذي لنا وعليه مثل الذي علينا ومن أسلم من المشركين فله أجره وله مثل الذي لنا وعليه مثل الذي علينا وقوله ويجعل لكم نورا تمشون به اختلف أهل التأويل في الذي عني به النور في هذا الموضع فقال بعضهم عني به القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو عمار المروزي قال ثنا الفضل بن موسى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ويجعل لكم نورا تمشون به قال الفرقان واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس ويجعل لكم نورا تمشون به قال الفرقان واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ويجعل لكم نورا تمشون به قال القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء عن سعيد مثله * وقال آخرون عني بالنور في هذا الموضع الهدى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تمشون به قال هدى * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نورا يمشون به والقرآن مع اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم نور لمن آمن بهما وصدقهما وهدى لأن من آمن بذلك فقد اهتدى وقوله ويغفر لكم يقول ويصفح لكم عن ذنوبكم فيسترها عليكم والله غفور رحيم يقول تعالى ذكره والله ذو مغفرة ورحمة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب يفعل بكم ربكم هذا لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي آتاكم وخصكم به لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضلهم على جميع الخلق فأعلمهم الله جل ثناؤه أنه قد آتى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل والكرامة مالم يؤتهم وأن أهل الكتاب حسدوا المؤمنين لما نزل قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم فقال الله عز وجل فعلت ذلك ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا

الحواريون ثم خاطب المؤمنين منهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا) أي بعيسى (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم أولا بعيسى وثانيا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ويجعل لكم نورا تمشون به) وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم أو النور المذكور في قوله أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس ويجوز أن يكون الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم والمراد اثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد مؤمني أهل الكتاب في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين وذلك أن مؤمني أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وفيه أنهم مثلهم في الايمانين لأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله على أنه يجوز أن يكون النصيب الواحد من الأجر أزيد من نصيبين فان المال اذا قسم نصفين كان الكفل الواحد نصفا واذا قسم عشرة أقسام كان الكفل الواحد جزأ من عشرة ولا شك أن النصيب الواحد من القسمة الأولى أزيد من النصيب الواحد من القسمة الثانية قوله

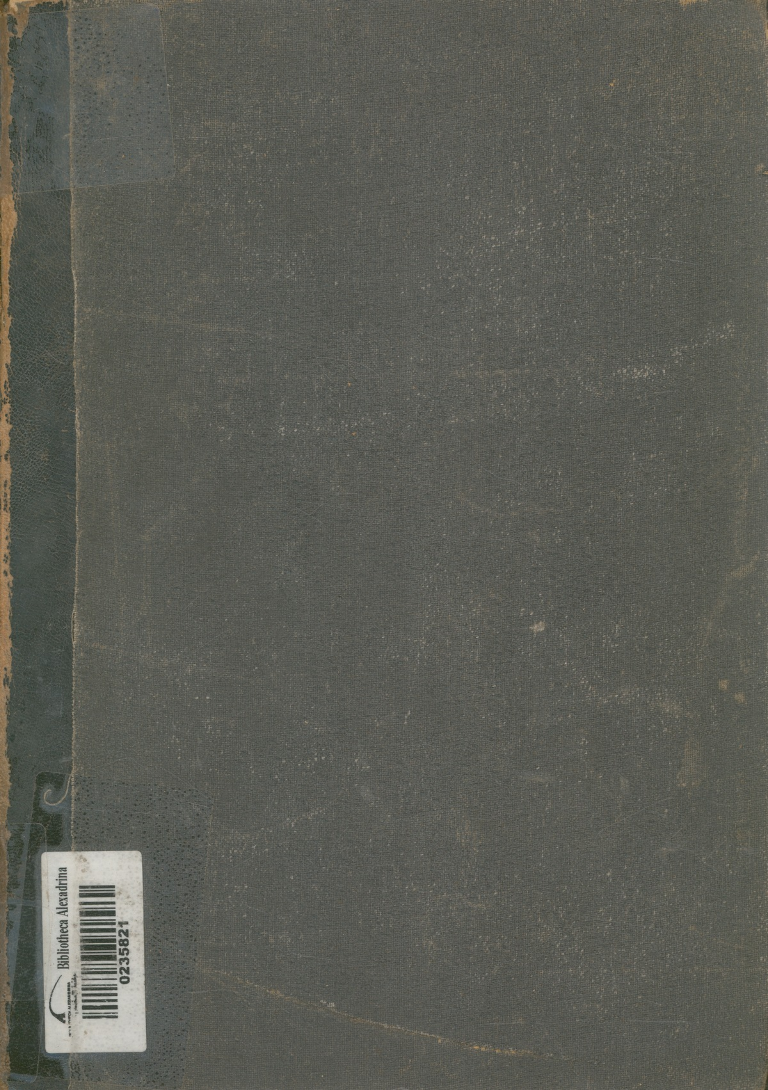
اتقوا الله وآمنوا برسوله الآية قال لما نزلت هذه الآية حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله عز وجل لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون الآية قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انما مثلنا ومثل أهل الكتابين قبلنا كمثل رجل استأجر أجراء يعملون الى الليل على قيراط فلما انتصف النهار سئموا عمله وملوا فحاسبهم فأعطاهم نصف قيراط ثم استأجر أجراء يعملون الى الليل على قيراط فعملوا الى صلاة العصر ثم سئموا وملوا عمله فحاسبهم فأعطاهم على قدر ذلك ثم استأجر أجراء الى الليل على قيراطين يعملون له بقية عمله فقيل له ما شأن هؤلاء أقلهم عملا وأكثرهم أجرا قال مالي أعطي من شئت فأرجو أن نكون نحن أصحاب القيراطين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة كفلين من رحمته قال بلغنا أنها حين نزلت حسد أهل الكتاب المسلمين فأنزل الله لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله حدثنا أبو عمار قال ثنا الفضل بن موسى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لئلا يعلم أهل الكتاب الذين يتسمعون ألا يقدرون على شئ من فضل الله حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مثله وقيل لئلا يعلم وانما هو ليعلم وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله لكي يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون لأن العرب تجعل لا صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح كقوله في الجحد السابق الذي لم يصرح به ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك وقوله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وقوله وحرام على قرية أهلكناها الآية ومعنى ذلك أهلكناها أنهم يرجعون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أبو هرون الغنوي قال قال خطاب بن عبد الله لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله * قال ثنا ابن علية عن أبي المعلى قال كان سعيد بن جبير يقول لكيلا يعلم أهل الكتاب وقوله وأن الفضل بيد الله يقول تعالى ذكره وليعلموا أن الفضل بيد الله دونهم ودون غيرهم من الخلق يؤتيه من يشاء يقول يعطي فضله ذلك من يشاء من خلقه ليس ذلك الى أحد سواه والله ذو الفضل العظيم يقول تعالى ذكره والله ذو الفضل على خلقه العظيم فضله

(تم)

(آخر تفسير سورة الحديد)

(تم الجزء السابع والعشرون من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء الثامن والعشرون وأوله تفسير سورة المجادلة)

(لئلا يعلم) الآية أكثر المفسرين والنحويين على أن لا زائدة والمعنى ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا أن الشأن لا ينالون ولا يقدرون على شئ من الكفلين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم من قبله أو المراد أنا بالغنا في هذا البيان وأمعنا في الوعد لهم والوعيد ليعلم أهل الكتاب أن الشأن هو أنهم لا يقدرون على تخصيص فضل الله بقوم معينين ولا يمكنهم حصر الاجر في طائفة مخصوصين (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) وقيل غير زائدة والضمير في لا يقدرون للرسول وأصحابه والعلم بمعنى الاعتقاد والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لا يقدرون على شئ من فضل الله ولكي يعتقدوا أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقد خص بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم ومن آمن به وبالله التوفيق واليه المرجع والمآب
والله أعلم


Bibliotheca Alexandrina
0235821